الثاني

المثل السائر للموصلي

وبهامشه

أدب الكاتب لابن قتيبة الدينوري

المثل السائر

في

أدب الكاتب والشاعر

للشيخ الامام والعلامة الهمام ضياء الدين أبى الفتح
نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلى
الشافعى رحمه الله آمين

وبهامشه كتاب أدب الكاتب تأليف أبى محمد عبد الله بن مسلم
ابن قتيبة الدينورى رضى الله عنه آمين

يطلب من مكتبة

محمود توفيق

الكتبي بميدان الأزهر الشريف بمصر

الطبعة الأولى

١٣٥٤ هـ — ١٩٣٥ م

مطبعة حجازى بالقاهرة

الله

بسم الله الرحمن الرحيم

نسأل الله ربنا أن يبلغ بنا من الحمد ماهو أهله وأن يعلمنا من البيان مايقصر عنه مزية الفضل وأصله وحكمة الخطاب وفصله ونرغب اليه أن يوفقنا للصلاة على نبينا ومولانا محمد رسوله الذى هو أفصح من نطق بالضاد ونسخ هديه شريعة كل هاد وعلى آله وصحبه الذين منهم من سبق وبدر ومنهم من صابر وصبر ومنهم من آوى ونصر ﴿ وبعد ﴾ فان علم البيان لتأليف النظم والنثر بمنزلة أصول الفقه للاحكام وأدلة الاحكام وقد ألف الناس فيه كتبا وجلبوا ذهبا وحطبا وما من تأليف إلا وقد تصفحت شينه وسينه وعلمت غثه وسمينه فلم أجد ماينتفع به فى ذلك إلا كتاب الموازنة لأبى القاسم الحسن بن بشر الآمدى وكتاب سر الفصاحة لأبى محمد عبد الله بن سنان الخفاجى غير أن كتاب الموازنة أجمع أصولا وأجدى محصولا وكتاب سر الفصاحة وان نبه فيه على نكت منيرة فانه قد أكثر مما قل به مقدار كتابه من ذكر الأصوات والحروف والكلام عليها ومن الكلام على اللفظة المفردة وصفاتها مما لاحاجة الى أكثره ومن الكلام فى مواضع شذ عنه الصواب فيها وسيرد بيان ذلك كله فى مواضع من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى على أن كلا الكتابين قد أهملا من هذا العلم أبوابا ولربما ذكرا فى بعض المواضع قشورا وتركا لبابا وكنت عثرت على ضروب كثيرة منه فى غضون القرآن الكريم ولم أجد أحدا ممن تقدمنى تعرض لذكر شيء منها وهى اذا عدت كانت فى هذا العلم بمقدار شطره واذا نظر الى فوائدها وجدت محتوية عليه بأسره وقد أوردتها ههنا وشفعتها بضروب أخر مدونة فى الكتب المتقدمة بعد أن حذفت منها ماحذفته وأضفت اليها ما أضفته وهدانى الله لابتداع أشياء لم تكن من قبلى مبتدعة ومنحنى درجة الاجتهاد التى لا تكون أقوالها تابعة وانما هى متبعة وكل ذلك يظهر عند الوقوف على كتابى هذا وعلى غيره من الكتب (وقد بنيته) على مقدمة ومقالتين (فالمقدمة) تشتمل على أصول علم البيان (والمقالتان) تشتملان على فروعه فالاولى فى الصناعة اللفظية والثانية فى الصناعة المعنوية ولا أدعى

فيها

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قال أبو محمد) عبد الله بن مسلم بن قتيبة رحمه الله تعالى (أما بعد) حمد الله بجميع محامده والثناء عليه بما هو أهله (والصلاة) على رسوله المصطفى وآله فانى رأيت أكثر أهل زماننا هذا عن سبيل الأدب ناكبين ومن اسمه متطيرين ولأهله كارهين أما الناشىء منهم فراغب عن التعليم والشادى تارك للازدياد والمتأدب فى عنفوان الشباب ناس أو متناس ليدخل فى جملة المجدودين ويخرج عن جملة المحدودين فالعلماء مغمورون وبكثرة الجهل مقموعون حين خوى نجم الخير وكسدت سوق البر وبارت بضائع أهله وصار العلم عارا على صاحبه والفضل نقصا وأموال الملوك وقفا على النفوس والجاه الذى هو زكاة الشرف يباع بيع الخلق وآضت المروءات فى زخارف النجد وتشييد البنيان ولذات النفوس فى اصطفاق المزاهر ومعاطاة الندمان ونبذت الصنائع وجهل قدر المعروف وماتت الخواطر

فيما ألفته من ذلك فضيلة الاحسان ولا السلامة من سلق اللسان فان الفاضل من تعد سقطاته وتحصى غلطاته و يسيء بالاحسان ظنا لا كمن هو بابنه وشعره مفتون وإذا تركت الهوى قلت ان هذا الكتاب بديع فى اغرابه وليس له صاحب فى الكتب فيقال انه من أخدانه أو من اترابه مفرد بين أصحابه ومع هذا فانى أتيت بظاهر هذا العلم دون خافيه وحمت حول حماه ولم أقع فيه إذ الغرض انما هو الحصول على تعليم الكلام التى بها تنظم العقود وترصع وتخلب العقول فتخدع وذلك شيء تحيل عليه الخواطر لا تنطق به الدفاتر (واعلم) أيها الناظر فى كتابى أن مدار علم البيان على حاكم الذوق السليم الذى هو أنفع من ذوق التعليم وهذا الكتاب وان كان فيما يلقيه اليك استاذا واذا سألت عما ينتفع به فى فنه قيل لك هذا فان الدربة والادمان أجدى عليك نفعا وأهدى بصرا وسمعا وهما يريانك الخبر عيانا ويجعلان عسرك من القول امكانا وكل جارحة منك قلبا ولسانا فخذ من هذا الكتاب ما أعطاك واستنبط بادمانك ما أخطاك وما مثلى فيما مهدته لك من هذه الطريق الا كمن طبع سيفا ووضعه فى يمينك لتقاتل به وليس عليه أن يخلق لك قلبا فان حمل النصال غير مباشرة القتال

وانما يبلغ الانسان غايته * ما كل ماشية بالرحل شملال

والنرجع الى ما نحن بصدده فنقول أما مقدمة الكتاب فانها تشتمل على عشرة فصول

﴿ الفصل الأول موضوع علم البيان ﴾

موضوع كل علم هو الشيء الذى يسئل فيه عن أحواله التى تعرض لذاته فموضوع الفقه هو أفعال المكلفين والفقيه يسأل عن أحوالها التى تعرض لها من الفرض والنفل والحلال والحرام والندب والمباح وغير ذلك وموضوع الطب هو بدن الانسان والطبيب يسأل عن أحواله التى تعرض له من صحته وسقمه وموضوع الحساب هو الاعداد والحاسب يسأل عن أحوالها التى تعرض لها من الضرب والقسمة والنسبة وغير ذلك وموضوع النحو هو الألفاظ والمعانى والنحوى يسأل عن أحوالهما فى الدلالة من جهة الأوضاع اللغوية وكذلك يجرى الحكم فى كل علم من العلوم وبهذا الضابط انفرد كل علم برأسه ولم يختلط بغيره وعلى هذا فموضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة وصاحبه يسأل عن أحوالهما اللفظية والمعنوية وهو والنحوى يشتركان فى أن النحوى ينظر فى دلالة الألفاظ على المعانى من جهة الوضع اللغوى وتلك دلالة عامة وصاحب علم البيان ينظر فى فضيلة تلك الدلالة وهى دلالة خاصة والمراد بها أن يكون على هيئة مخصوصة من الحسن وذلك أمر وراء النحو والاعراب ألا ترى أن النحوى يفهم معنى الكلام المنظوم والمنثور ويعلم مواقع اعرابه ومع ذلك فانه لا يفهم ما فيه من الفصاحة والبلاغة ومن هنا غلط مفسرو الاشعار فى اقتصارهم على شرح المعنى وما فيها من الكلمات اللغوية وتبيين مواضع الاعراب منها دون شرح ما تضمنته من أسرار الفصاحة والبلاغة

﴿ الفصل الثانى فى آلات علم البيان وأدواته ﴾

اعلم أن صناعة تأليف الكلام من المنظوم والمنثور تفتقر الى آلات كثيرة وقد قيل ينبغى للكاتب أن يتعلق بكل علم حتى قيل كل ذى علم يسوغ له أن ينسب نفسه اليه فيقول فلان النحوى وفلان الفقيه وفلان المتكلم ولا يسوغ له أن ينسب نفسه الى الكتابة فيقول فلان الكاتب وذلك لما يفتقر اليه من الخوض فى كل فن وملاك هذا كله الطبع فانه إذا لم يكن

وسقطت همم النفوس وزهد فى لسان الصدق وعقد الملكوت فأبعد غايات كاتبنا فى كتابته أن يكون حسن الخط قويم الحروف وأعلى منازل أديبنا أن يقول من الشعر أبياتا فى مدح قينة أو وصف كاس وأرفع درجات لطيفنا أن يطالع شيئا من تقويم الكواكب وينظر فى شيء من القضاء وحد المنطق ثم يعترض على كتاب الله بالطعن وهو لا يعرف معناه وعلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب وهو لا يدرى من نقله قد رضى عوضا من الله ومما عنده بأن يقال فلان لطيف وفلان دقيق النظر يذهب إلى أن لطف النظر قد أخرجه عن جملة الناس وبلغ به علم ما جهلوه فهو يدعوهم الرعاع والغثاء والغثر وهو لعمر الله بهذه الصفات أولى وهي به أليق لأنه جهل وظن أن قد علم فهاتان جهالتان ولأن هؤلاء جهلوا وعلموا أنهم يجهلون (ولو أن) هذا هذا المعجب بنفسه الزارى على الاسلام برأيه نظر من جهة النظر لاحياه الله بنور الهدى وثلج اليقين ولكنه طال عليه أن ينظر فى علم الكتاب وفى أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته وفى علوم العرب ولغاتها وآدابها فنصب لذلك وعاداه وانحرف عنه الى علم قد سلمه له ولأمثاله المسلمون وقل فيه المناظرون له ترجمة تروق بلا معنى

ثم طبع فانه لا تغنى تلك الآلات شيئا ومثال ذلك كمثل النار الكامنة فى الزناد والحديدة التى يقدح بها ألا ترى أنه إذا لم يكن فى الزناد نار لا تفيد تلك الحديدة شيئا وكثيراً ما رأينا وسمعنا من غرائب الطباع فى تعلم العلوم حتى أن بعض الناس يكون له نفاذ فى تعلم علم مشكل المسالك صعب المأخذ فاذا كلف تعلم ماهو دونه من سهل العلوم نكص على عقبيه ولم يكن له فيه نفاذ وأغرب من ذلك أن صاحب الطبع فى المنظوم يجيد فى المديح دون الهجاء أو فى الهجاء دون المديح أو يجيد فى المراثى دون التهانى أو فى التهانى دون المراثى وكذلك صاحب الطبع فى المنثور هذا ابن الحريرى صاحب المقامات قد كان على ماظهر عنه من تنميق المقامات واحدا فى فنه فلما حضر ببغداد ووقف على مقاماته قيل هذا يستصلح لكتابة الانشاء فى ديوان الخلافة ويحسن أثره فيه فأحضر وكلف كتابة كتاب فأفحم ولم يجر لسانه فى طويلة ولا قصيرة فقال فيه بعضهم

شيخ لنا من ربيعة الفرس * ينتف عثنونه من الهوس
أنطقه الله بالمشان وقد * ألجمه فى بغداد بالخرس

وهذا مما يعجب منه وسئلت عن ذلك فقلت لا عجب لأن المقامات مدارها جميعها على حكاية تخرج الى مخلص وأما المكاتبات فانها بحر لا ساحل له لأن المعانى تتجدد فيها بتجدد حوادث الأيام وهى متجددة على عدد الأنفاس ألا ترى أنه إذا خطب الكاتب المفلق عن دولة من الدول الواسعة التى يكون لسلطانها سيف مشهور وسعى مذكور ومكث على ذلك برهة يسيرة لا تبلغ عشر سنين فانه يدون عنه من المكاتبات مايزيد على عشرة أجزاء كل جزء منها أكبر من مقامات الحريرى حجما لأنه إذا كتب فى كل يوم كتابا واحدا اجتمع من كتبه أكثر من هذه العدة المشار اليها واذا نخلت وغربلت واختير الأجود منها اذ تكون كلها جيدة فيخلص منها النصف وهو خمسة أجزاء والله يعلم ما اشتملت عليه من الغرائب والعجائب وماحصل فى ضمنها من المعانى المبتدعة على أن الحريرى قد كتب فى أثناء مقاماته رقاعا فى مواضع عدة فجاء بها منحطة عن كلامه فى حكاية المقامات لا بل جاء بالغث البارد الذى لا نسبة له الى باقى كلامه فيها وله أيضا كتابة أشياء خارجة عن المقامات واذا وقف عليها أقسم أن قائل هذه ليس قائل هذه لما بينهما من التفاوت البعيد وبلغنى عن الشيخ أبى محمد بن الخشاب النحوى رحمه الله أنه كان يقول ابن الحريرى رجل مقامات أى أنه لم يحسن من الكلام المنثور سواها وان أتى بغيرها لا يقول شيئا فانظر أيها المتأمل الى هذا التفاوت فى الصناعة الواحدة من الكلام المنثور ومن أجل ذلك قيل شيآن لا نهاية لهما البيان والجمال *

وعلى هذا فاذا ركب الله تعالى فى الانسان طبعا قابلا لهذا الفن فيفتقر حينئذ الى ثمانية أنواع من الآلات ﴿النوع الأول﴾ معرفة علم العربية من النحو والتصريف ﴿النوع الثانى﴾ معرفة ما يحتاج اليه من اللغة وهو المتداول المألوف استعماله فى فصيح الكلام غير الوحشى الغريب ولا المستكره المعيب ﴿النوع الثالث﴾ معرفة أمثال العرب وأيامهم ومعرفة الوقائع التى جاءت فى حوادث خاصة بأقوام فان ذلك جرى مجرى الأمثال أيضا ﴿النوع الرابع﴾ الاطلاع على تأليفات من تقدمه من أرباب هذه الصناعة المنظومة منه والمنثورة والتحفظ للكثير منه ﴿النوع الخامس﴾ معرفة الأحكام السلطانية الامامة والامارة والقضاء والحسبة وغير ذلك ﴿النوع السادس﴾ حفظ القرآن الكريم والتدرب باستعماله وادراجه فى مطاوى كلامه ﴿النوع السابع﴾ حفظ ما يحتاج اليه من الأخبار الواردة عن النبى صلى الله عليه وسلم والسلوك بها مسلك القرآن الكريم فى الاستعمال ﴿النوع الثامن﴾ وهو مختص بالناظم دون الناثر

واسم يهول بلا جسم فاذا سمع الفمر والحدث الفرقوله الكون والفساد وسمع الكيان والأسماء المفردة والكيفية والكمية والزمان والدليل والأخبار المؤلفة راعه ما سمع وظن أن تحت هذه الألقاب كل فائدة وكل لطيفة فاذا طالعها لم يحل منها بطائل انما هو الجوهر يقوم بنفسه والعرض لا يقوم بنفسه ورأس الخط النقطة والنقطة لا تنقسم والكلام أربعة أمر وخبر واستخبار ورغبة ثلاثة لا يدخلها الصدق والكذب وهى الأمر والاستخبار والرغبة وواحد يدخله الصدق والكذب وهو الخبر والآن حد الزمانين مع هذيان كثير والخبر ينقسم الى تسعة آلاف وكذا كذا مائة من الوجوه فاذا أراد المتكلم أن يستعمل بعض تلك الوجوه فى كلامه كانت وبالا على لفظه وقيدا للسانه وعيا فى المحافل وغفلة عند المتناظرين (ولقد بلغنى) أن قوما من أصحاب الكلام سألوا محمد بن الجهم أن يذكر لهم مسئلة من حد المنطق حسنة لطيفة فقال لهم ما معنى قول الحكيم أول الفكرة آخر العمل وأول العمل آخر الفكرة فسألوه التأويل فقال لهم مثل هذا رجل قال انى صانع لنفسى كنا فوقعت فكرته على السقف ثم انحدر فعلم أن السقف لا يكون إلا على حائط وأن الحائط لا يقوم الا على أس وأن الأس

وذلك

لا يقوم الأعلى أصل ثم ابتدأ فى العمل بالاصل ثم بالأس ثم بالحائط ثم بالسقف فكان (٥) ابتداء تفكره آخر عمله وآخر

وذلك علم العروض والقوافى الذى يقام به ميزان الشعر * ولنذكر بعد ذلك فائدة كل نوع من هذه الانواع ليعلم أن معرفته مما تمس الحاجة اليه فنقول أما علم النحو فانه فى علم البيان من المنظوم والمنثور بمنزلة أبجد فى تعليم الخط وهو أول ما ينبغى اتقان معرفته لكل أحد ينطق باللسان العربى ليأمن معرة اللحن ومع هذا فانه وان احتيج اليه فى بعض الكلام دون بعض لضرورة الافهام فان الواضع لم يخص منه شيئا بالوضع بل جعل الوضع عاما واذا نظرنا إلى ضرورته وأقسامه المدونة وجدنا أكثرها غير محتاج اليه فى افهام المعانى ألا ترى أنك لو أمرت رجلا بالقيام فقلت له قوم باثبات الواو ولم تجزم لما اختل من فهم ذلك شىء وكذلك الشرط لو قلت ان تقوم أقوم ولم تجزم لكان المعنى مفهوما والفضلات كلها تجرى هذا المجرى كالحال والتمييز والاستثناء فاذا قلت جاء زيد راكب وما فى السماء قدر راحة سحاب وقام القوم الا زيد فلزمت السكون فى ذلك كله ولم تبين اعرابا لما توقف الفهم على نصب الراكب والسحاب ولا على نصب زيد وهكذا يقال فى المجرورات وفى المفعول فيه والمفعول له والمفعول معه وفى المبتدأ والخبر وغير ذلك من أقسام أخر لا حاجة إلى ذكرها لكن قد خرج عن هذه الامثلة ما لا يفهم الا بقيود تقيده وانما يقع ذلك فى الذى تدل صيغته الواحدة على معانى مختلفة ولنضرب لذلك مثالا يوضحه فنقول اعلم أن من أقسام الفاعل والمفعول ما لا يفهم الا بعلامة كتقديم المفعول على الفاعل فانه إذا لم يكن ثم علامة تبين أحدهما من الآخر والا أشكل الأمر كقولك ضرب زيد عمرو ويكون زيد هو المضروب فانك إذا لم تنصب زيدا أو ترفع عمرا والا لا يفهم ما أردت وعلى هذا ورد قوله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء وكذلك لو قال قائل ما أحسن زيد ولم يبين الاعراب فى ذلك لما علمنا غرضه منه اذ يحتمل أن يريد به التعجب من حسنه أو يريد به الاستفهام عن أى شىء منه أحسن ويحتمل أن يريد به الاخبار بنفى الاحسان عنه ولو بين الاعراب فى ذلك فقال ما أحسن زيدا وما أحسن زيد وما أحسن زيد علمنا غرضه وفهمنا مغزى كلامه لانفراد كل قسم من هذه الاقسام الثلاثة بما يعرف به من الاعراب فوجب حينئذ بذلك معرفة النحو اذ كان ضابط المعانى الكلام حافظا لها من الاختلاف * وأول من تكلم فى النحو أبو الاسود الدؤلى وسبب ذلك أنه دخل على ابنة له بالبصرة فقالت له يا أبت ما أشد الحر متعجبة ورفعت أشد فظنها مستفهمة فقال شهر ناجر فقالت يا أبت إنما أخبرتك ولم أسألك فأتى على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال يا أمير المؤمنين ذهبت لغة العرب ويوشك ان تطاول عليها زمان أن تضمحل فقال له وما ذاك فأخبره خبر ابنته فقال هلم صحيفة ثم أملى عليه الكلام لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ثم رسم له رسوما فنقلها النحويون فى كتبهم وقيل ان أبا الاسود دخل على زياد ابن أبيه بالبصرة فقال انى أرى العرب قد خالطت العجم وتغيرت ألسنتها أفتأذن لى أن أصنع ما يقيمون به كلامهم فقال لا فقام من عنده ودخل عليه رجل فقال أيها الامير مات أبانا وخلف بنون فقال زياد مات أبانا وخلف بنون ردوا على أبا الاسود فردوه فقال له اصنع ما كنت نهيتك عنه فوضع شيئا ثم جاء بعده ميمون الاقرن فزاد عليه ثم جاء بعده عنبسة بن معدان المهرى فزاد عليه ثم جاء بعده عبد الله بن أبى اسحق الحضرمى وأبو عمرو بن العلاء فزاد عليه ثم جاء بعدهما الخليل بن أحمد الازدى وتتابع الناس واختلف البصريون والكوفيون فى بعض ذلك فهذا ما بلغنى من أمر النحو فى أول وضعه وكذلك العلوم كلها يوضع منها فى مبادى أمرها شىء يسير ثم يزاد بالتدريج الى أن يستكمل آخرا (فان قيل) أما علم النحو فمسلم اليك أنه تجب معرفته لكن التصريف لا حاجة

عمله بدء فكرته فأية منفعة فى هذه المسئلة وهل يجهل أحد هذا حتى يحتاج إلى اخراجه بهذه الالفاظ الهائلة وهكذا جميع ما فى هذا الكتاب ولو أن مؤلف حد المنطق بلغ زماننا هذا حتى يسمع دقائق الكلام فى الدين والفقه والفرائض والنحو لعد نفسه من البكم أو يسمع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته لأيقن أن للعرب الحكمة وفصل الخطاب فالحمد لله الذى أعاذ الوزير أبا الحسن أيده الله من هذه الرذيلة وأبانه بالفضيلة وحباه بخيم السلف الصالح ورداء الايمان وغشاه بنوره وجعله هدى فى الضلالات ومصباحا فى الظلمات وعرفه ما اختلف فيه المختلفون على سنن الكتاب والسنة فقلوب الخيار به متعلقة وانفسهم اليه مائلة وأيديهم الى الله فيه مظان القبول ممتدة وألسنتهم بالدعاء له شافعة يهجع ويستيقظون ويغفل ولا يغفلون وحق لمن قام لله مقامه وصبر على الجهاد صبره ونوى فيه نيته أن يلبسه الله لباس الضمير ويرديه بهاء السلف ويصير اليه مختلفات القبول ويسعده بلسان الصدق فى الآخرين فانى رأيت كثيرا من

اليه لان التصريف إنما هو معرفة أصل الكلمة وزيادتها وحذفها وابدالها وهذا لا يضر جهله ولا تنفع معرفته ولنضرب لذلك مثالا كيف اتفق فنقول إذا قال القائل رأيت سرداحا لا يلزمه أن يعرف الالف في هذه الكلمة زائدة هي أم أصلية لان العرب لم تنطق بها الا كذلك ولو قالت سردحا بغير ألف لما جاز لأحد أن يزيد الالف فيها من عنده فيقول سرداحا فعلم بهذا أنه إنما ينطق بالالفاظ كما سمعت عن العرب من غير زيادة فيها ولا نقص وليس يلزم بعد ذلك أن يعلم أصلها ولا زيادتها لان ذلك أمر خارج تقتضيه صناعة تأليف الكلام (فالجواب) عن ذلك أنا نقول اعلم أنا لم نجعل معرفة التصريف كمعرفة النحو لان الكاتب أو الشاعر اذا كان عارفا بالمعاني مختارا لها قادرا على الالفاظ مجيدا فيها ولم يكن عارفا بعلم النحو فانه يفسد ما يصوغه من الكلام ويختل عليه ما يقصده من المعاني كما أريناك في ذلك المثال المتقدم وأما التصريف فانه إذا لم يكن عارفا به لم تفسد عليه معاني كلامه وانما تفسد عليه الاوضاع وان كانت المعاني صحيحة وسيأتي بيان ذلك في تحرير الجواب فنقول أما قولك ان التصريف لا حاجة اليه واستدلالك بما ذكرته من المثال المضروب فان ذلك لا يستمر لك الكلام فيه ألا ترى أنك مثلت كلامك في لفظة سرداح وقلت انه لا يحتاج الى معرفة الالف زائدة هي أم أصلية لانها إنما نقلت عن العرب على ما هي عليه من غير زيادة ولا نقص وهذا لا يطرد الا فيما هذا سبيله من نقل الالفاظ على هيئتها من غير تصرف فيها بحال فأما إذا أريد تصغيرها أو جمعها والنسبة اليها فانه إذا لم يعرف الاصل في حروف الكلمة وزيادتها وحذفها وابدالها يضل حينئذ عن السبيل وينشأ من ذلك مجال للعائب والطاعن ألا ترى أنه إذا قيل للنحوي وكان جاهلا بعلم التصريف كيف تصغير لفظة اضطراب فانه يقول ضطيرب ولا يلام على جهله بذلك لان الذي تقتضيه صناعة النحو قد أتى به وذلك أن النحاة يقولون اذا كانت الكلمة على خمسة أحرف وفيها حرف زائد أو لم يكن حذفته نحو قولهم في منطلق مطيلق وفي جحمرش جحيمر فلفظة منطلق على خمسة أحرف وفيها حرفان زائدان هما الميم والنون الا أن الميم زيدت فيها لمعنى فلذلك لم تحذف وحذفت النون وأما لفظة جحمرش فخماسية لا زيادة فيها وحذف منها حرف أيضا ولم يعلم النحوي أن علماء النحو انما قالوا ذلك مهملا اتكالا منهم على تحقيقه من علم الصرف لانه لا يلزمهم أن يقولوا في كتب النحو أكثر مما قالوا وليس عليهم أن يذكروا في باب من أبواب النحو شيئا من التصريف لان كلا من النحو والتصريف علم منفرد برأسه غير أن أحدهما مرتبط بالآخر ومحتاج اليه وانما قلت ان النحوي اذا سئل عن تصغير لفظة اضطراب يقول ضطيرب لانه لا يخلو إما أن يحذف من لفظة اضطراب الالف أو الضاد أو الطاء أو الراء أو الباء وهذه الحروف المذكورة غير الالف ليست من حروف الزيادة فلا تحذف بل الأولى أن يحذف الحرف الزائد ويترك الحرف الذي ليس بزائد فلذلك قلنا ان النحوي يصغر لفظة اضطراب على ضطيرب فيحذف الالف التي هي حرف زائد دون غيرها مما ليس من حروف الزيادة وأما أن يعلم أن الطاء في اضطراب مبدلة من تاء وانه اذا أريد تصغيرها تعاد الى الاصل الذي كانت عليه وهو التاء فيقال ضتيرب فان هذا لا يعلمه الا التصريفي وتكليف النحوي الجاهل بعلم التصريف معرفة ذلك كتكليفه علم ما لا يعلمه فثبت بما ذكرناه أنه يحتاج الى علم التصريف لئلا يغلط في مثل هذا (ومن العجب) أن يقال انه لا يحتاج الى معرفة التصريف ألم تعلم أن نافع بن أبي نعيم وهو من أكبر القراء السبعة قدرا وأفخمهم شأنا قال في معايش معائش بالهمز ولم يعلم الاصل في ذلك فأوخذ عليه وعيب من اجله ومن

كتاب أهل زماننا كسائر أهله قد (٦) استطابوا الدعة واستوطؤا مركب العجز وأعفوا أنفسهم من كد النظر وقلوبهم من تعب التفكر حين نالوا الدرك بغير سبب وبلغوا البغية بغير آلة ولعمري كان ذلك فأين همة النفس وأين الانفة من مجانسة البهائم وأي موقف أخزى لصاحبه من موقف رجل من الكتاب اصطفاه بعض الخلفاء لنفسه وارتضاه لسره فقرأ عليه يوما كتابا في الكتاب ومطرنا مطرا كثر عنه الكلا فقال له الخليفة ممتحنا له وما الكلا فتردد في الجواب وتعثر لسانه ثم قال لا أدري فقال سل عنه ومن مقام آخر في مثل حاله قرأ على بعض الخلفاء كتابا ذكر فيه حاضر طيء فصحفه تصحيفا أضحك منه الحاضرين ومن قول آخر في وصف برذون اهداه وقد بعثت به اليك أبيض الظهر والشفتين فقيل له لو قلت أرثم ألمظ قال فبياض الظهر ما هو قالوا لا ندري قال انما جهلت من الشفتين ما جهلتم من الظهر ولقد حضرت جماعة من وجوه الكتاب والعمال العلماء بتحلب الفيء وقتل النفوس فيه واخراب البلاد والتوفير العائد على السلطان بالخسران المبين وقد دخل عليهم رجل من النخاسين ومعه جارية ردت عليه بسن شاغية زائدة فقال تبرأت اليهم

جملة

جملة من عابه أبو عثمان المازني فقال في كتابه في التصريف ان نافعا لم يدر ما العربية وكثيرا ما يقع أولو العلم في مثل هذه المواضع فكيف الجهال الذين لا معرفة لهم بها ولا اطلاع لهم عليها واذا علم حقيقة الأمر في ذلك لم يغلط فيما يوجب قدحا ولا طعنا وهذه لفظة معايش لا يجوز همزها باجماع من علماء العربية لأن الياء فيها ليست مبدلة من همزة وانما الياء التي تبدل من الهمزة في هذا الموضع تكون بعد ألف الجمع المانع من الصرف ويكون بعدها حرف واحد ولا تكون عينا نحو سفائن وفي هذا الموضع غلط نافع رحمة الله عليه لأنه لا شك اعتقد أن معيشة بوزن فعيلة وجمع فعيلة هو على فعائل ولم ينظر إلى أن الأصل في معيشة معيشة على وزن مفعلة وذلك لأن أصل هذه الكلمة من عاش التي أصلها عيش على وزن فعل ويلزم مضارع فعل المعتل العين يفعل لتصح الياء نحو يعيش ثم تنقل حركة العين إلى الفاء فتصير يعيش ثم يبنى من يعيش مفعول فيقال معيوش به كما يقال مسيور به ثم يخفف ذلك بحذف الواو فيقال معيش به كما يقال مسير به ثم تؤنث هذه اللفظة فتصير معيشة ومع هذا فلا ينبغي لصاحب هذه الصناعة من النظم والنثر أن يهمل من علم العربية ما يخفى عليه باهماله اللحن الخفي فان اللحن الظاهر قد كثرت مفاوضات الناس فيه حتى صار يعلمه غير النحوي ولا شك أن قلة المبالاة بالأمر واستشعار القدرة عليه توقع صاحبه فيما لا يشعر أنه وقع فيه فيجهل بما يكون عالما به ألا ترى أن أبا نواس كان معدودا في طبقات العلماء مع تقدمه في طبقات الشعراء وقد غلط فيما لا يغلط مثله فيه فقال في صفة الخمر

كأن صغرى وكبرى من فواقعها * حصباء در على أرض من الذهب

وهذا لا يخفى على مثل أبي نواس فانه من ظواهر علم العربية وليس من غوامضه في شيء لأنه أمر نقلي يحمل ناقله فيه على النقل من غير تصرف وقول أبي نواس صغرى وكبرى غير جائز فان فعلى أفعل لا يجوز حذف الالف واللام منها وانما يجوز حذفهما من فعلى التي لا أفعل لها نحو حبلى الا أن تكون فعلى أفعل مضافة وههنا قد عريت عن الاضافة وعن الألف واللام فانظر كيف وقع أبو نواس في مثل هذا الموضع مع قربه وسهولته وقد غلط أبو تمام في قوله

بالقائم الثامن المستخلف اطأدت * قواعد الملك ممتدا لها الطول

ألا ترى أنه قال اطأدت والصواب اتطدت لأن التاء تبدل من الواو في موضعين أحدهما مقيس عليه كهذا الموضع لأنك إذا بنيت افتعل من الوعد قلت اتعد ومثله ما ورد في هذا البيت فانه من وطد يطد كما يقال وعد يعد فاذا بني منه افتعل قيل اتطد ولا يقال اطأد وأما غير المقيس فقولهم في وجاه تجاه وقالوا تكلان وأصله الواو لأنه من وكل يكل فأبدلت الواو تاء للاستحسان فهذه الأمثلة قد أشرت اليها ليعلم مكان الفائدة في أمثالها وتتوقى على أني لم أجد أحدا من الشعراء المفلقين سلم من مثل ذلك فاما أن يكون لحن لحنا يدل على جهله مواقع الاعراب واما أن يكون أخطأ في تصريف الكلمة ولا أعني بالشعراء من هو قريب عهد بزماننا بل أعني بالشعراء من تقدم زمانه كالمتنبي ومن كان قبله كالبحتري ومن تقدمه كأبي تمام ومن سبقه كأبي نواس والمعصوم من عصمه الله تعالى على أن المخطىء في التصريف أندر وقوعا من المخطىء في النحو لأنه قلما يقع له كلمة يحتاج في استعمالها إلى الابدال والنقل في حروفها وأما النحو فانه يقع الخطأ فيه كثيرا حتى انه ليشذ في ظاهره في بعض الأحوال فكيف خافيه كقول أبي نواس في الأمين محمد رحمه الله

يا خير من كان ومن يكون * الا النبي الطاهر الميمون

فرفع في الاستثناء من الموجب وهذا من ظواهر النحو وليس من خافيه في شيء وكذلك قال

من الشفاء فردوها على بالزيادة فكم في فم الانسان من سن فما كان فيهم أحد عرف ذلك حتى أدخل رجل منهم سبابته في فيه يعد بها عوارضه فسال لعابه وضم رجل فاه وجعل يعدها بلسانه فهل يحسن بمن ائتمنه السلطان على رعيته وأمواله ورضي بحكمه ونظره أن يجهل هذا من نفسه وهل هو في ذلك الا بمنزلة من جهل عدد أصابعه ولقد جرى في هذا المجلس كلام في ذكر عيوب الرقيق فما رأيت أحدا منهم يعرف فرق ما بين الوكع والكوع ولا الحنف من الفدع ولا اللمى من اللطع فلما ان رأيت هذا الشأن كل يوم إلى نقصان وخشيت أن يذهب رسمه ويعفو أثره جعلت له حظا من عنايتي وجزأ من تأليفي فعملت لمغفل التأديب كتبا خفافا في المعرفة وفي تقويم اللسان واليد يشتمل كل كتاب منها على فن وأعفيته من التطويل والتثقيل لأنشطه لتحفظه ودراسته ان فاءت به همته وأقيد عليه بها ما أضل من المعرفة واستظهر له باعداد الآلة لزمان الأدلة أو لقضاء الوطر عند تبين فضل النظر وألحقه مع كلال الحد ويبس الطينة بالمرهفين وأدخله وهو الكودن في مضمار العتاق وليست كتبنا هذه لمن لم يتعلق من الانسانية الا بالجسم ومن الكتابة الا بالاسم ولم يتقدم من الأدوات الا بالقلم والدواة

أبو الطيب المتنبي

أرأيت همة ناقتي في ناقة * نقلت يدا سرحا وخفا مجمرا
تركت دخان الرمث في أوطانها * طلبا لقوم يوقدون العنبرا
وتكرمت ركباتها عن مبرك * تقعان فيه وليس مسكا اذفرا

فجمع في حال التثنية لأن الناقة ليس لها الا ركبتان فقال ركبات وهذا من أظهر ظواهر النحو وقد خفي على مثل المتنبي ومع هذا فينبغي لك أن تعلم أن الجهل بالنحو لا يقدح في فصاحة ولا بلاغة ولكنه يقدح في الجاهل به نفسه لأنه رسوم قوم تواضعوا عليه وهم الناطقون باللغة فوجب اتباعهم والدليل على ذلك أن الشاعر لم ينظم شعره وغرضه منه رفع الفاعل ونصب المفعول أو ماجرى مجراهما وانما غرضه إيراد المعنى الحسن في اللفظ الحسن المتصفين بصفة الفصاحة والبلاغة ولهذا لم يكن اللحن قادحا في حسن الكلام لأنه إذا قيل جاء زيد راكب ان لم يكن حسنا الا بأن يقال جاء زيد راكبا بالنصب لكان النحو شرطا في حسن الكلام وليس كذلك فتبين بهذا أنه ليس الغرض من نظم الشعر إقامة اعراب كلماته وإنما الغرض أمر وراء ذلك وهكذا يجري الحكم في الخطب والرسائل من الكلام المنثور وأما الادغام فلا حاجة اليه لكاتب لكن الشاعر ربما احتاج اليه لأنه قد يضطر في بعض الأحوال إلى ادغام حرف وإلى فك ادغام من أجل إقامة الميزان الشعري ﴿النوع الثاني﴾ وهو قولنا انه يحتاج إلى معرفة اللغة مما تداول استعماله فسيرد بيانه عند ذكر اللفظة الواحدة والكلام على جيدها ورديئها في المقالة المختصة بالصناعة اللفظية ويفتقر أيضا مؤلف الكلام إلى معرفة عدة أسماء لما يقع استعماله في النظم والنثر ليجد إذا ضاق به موضع في كلامه بايراد بعض الألفاظ فيه العدول عنه إلى غيره مما هو في معناه وهذه الأسماء تسمى المترادفة وهي اتحاد المسمى واختلاف أسمائه كقولنا الخمر والراح والمدام فان المسمى بهذه الأسماء شيء واحد وأسماؤه كثيرة وكذلك يحتاج إلى معرفة الأسماء المشتركة ليستعين بها على استعمال التجنيس في كلامه وهي اتحاد الاسم واختلاف المسميات كالعين فانها تطلق على العين الناظرة وعلى ينبوع الماء وعلى المطر وغيره إلا أن المشتركة تفتقر في الاستعمال إلى قرينة تخصصها كي لا تكون مبهمة لأنا إذا قلنا عين ثم سكتنا وقع ذلك على محتملات كثيرة من العين الناظرة والعين النابعة والمطر وغيره مما هو موضوع بازاء هذا الاسم واذا قرنا اليه قرينة تخصصه زال ذلك الابهام بأن تقول عين حسناء أو عين نضاخة أو ملثة أو غير ذلك * وهذا موضع للعلماء فيه مجاذبات جدلية (فمنهم) من ينكر أن يكون اللفظ المشترك حقيقة في المعنيين جميعا ويقول ان ذلك يخل بفائدة وضع اللغة لأن اللغة إنما هي وضع الألفاظ في دلالتها على المعاني أي وضع الأسماء على المسميات لتكون منبئة عنها عند اطلاق اللفظ والاشتراك لا بيان فيه وانما هو ضد البيان لكن طريق البيان أن يجعل أحد المعنيين في اللفظ المشترك حقيقة والآخر مجازا فاذا قلنا هذه كلمة وأطلقنا القول فهم منه اللفظة الواحدة واذا قيدنا اللفظ فقلنا هذه كلمة شاعرة فهم منه القصيدة المقصدة من الشعر وهي مجموع كلمات كثيرة ولو أطلقنا من غير تقييد وأردنا القصيدة من الشعر لما فهم مرادنا ألبتة هذا خلاصة ماذهب اليه من ينكر وقوع اللفظ المشترك في المعنيين حقيقة وفي ذلك مافيه وسأبين مادخله من الخلل فأقول في الجواب عن ذلك ما استخرجته بفكري ولم يكن لأحد فيه قول من قبلي وهو اما قولك ان فائدة وضع اللغة إنما هو البيان عند اطلاق اللفظ واللفظ المشترك يخل بهذه الفائدة فهذا غير مسلم بل فائدة وضع اللغة هو البيان والتحسين

ولكنها لمن شدا شيئا من الاعراب نعرف الصدر والمصدر والحال والظرف وشيئا من التعاريف والأبنية وانقلاب الياء عن الواو والألف عن الياء وأشباه ذلك ولا بد له مع كتبنا هذه من النظر في الاشكال لمساحة الأرضين حتى يعرف المثلث القائم الزاوية والمثلث الحاد والمثلث المنفرج ومساقط الاحجار والمربعات المختلفات والقسي والمدورات والعمودين ويمتحن معرفته بالعمل في الأرضين لا في الدفاتر فان المخبر ليس كالمعاين وكانت العجم تقول من لم يكن عالما باجراء المياه وحفر فرض المشارب وردم المهاوي ومجاري الأيام في الزيادة والنقص ودوران الشمس ومطالع النجوم وحال القمر في استهلاله وأفعاله ووزن الموازين وذرع المثلث والمربع والمختلف الزوايا ونصب القناطر والجسور والدوالي والنواعير على المياه وحال أدوات الصناع ودقائق الحساب كان ناقصا في حال كتابته ولابد له مع ذلك من النظر في جمل الفقه ومعرفة أصوله من حديث رسول الله ﷺ وصحابته كقوله البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه والخراج بالضمان وجرح العجماء جبار ولا يغلق الرهن والمنحة مردودة والعارية مؤداة والزعيم غارم ولا وصية لوارث ولا قطع في ثمر ولا كثر ولا قود الا بحديدة أما

(أما البيان) فقد وفى الأسماء المتباينة التى هى كل اسم واحد دل على مسمى واحد فاذا أطلق اللفظ فى هذه الأسماء كان بينا مفهوما لا يحتاج إلى قرينة ولو لم يضع الواضع من الأسماء شيئا غيرها لكان كافيا فى البيان (وأما التحسين) فان الواضع لهذه اللغة العربية التى هى أحسن اللغات نظر الى ما يحتاج اليه أرباب الفصاحة والبلاغة فيما يصوغونه من نظم ونثر ورأى أن من مهمات ذلك التجنيس ولا يقوم به إلا الأسماء المشتركة التى هي كل اسم واحد دل على مسميين فصاعدا فوضعها من أجل ذلك وهذا الموضع يتجاذبه جانبان يترجح أحدهما على الآخر وبيانه أن التحسين يقضى بوضع الأسماء المشتركة ووضعها يذهب بفائدة البيان عند إطلاق اللفظ وعلى هذا فان وضعها الواضع ذهب بفائدة البيان وان لم يضع ذهب بفائدة التحسين لكنه ان وضع استدرك ما ذهب من فائدة البيان بالقرينة وان لم يضع لم يستدرك ما ذهب من فائدة التحسين فترجح حينئذ جانب الوضع فوضع (فان قيل) فلم لا تنسب الأسماء المشتركة الى اختلاف القبائل لا إلى واضع واحد (قلت) فى الجواب هذا تعسف لا حاجة اليه وهو مدفوع من وجهين أحدهما ما قدمت القول فيه من الترجيح الذى سوغ للواضع أن يضع الآخر ألا ترى أنه قد ورد من الجموع ما يقع على مسميين اثنين كقولهم كعاب جمع كعب الذى هو كعب الرجل وجمع كعبة وهى البنية المعروفة واذا أطلقنا اللفظ فقلنا كعاب من غير قرينة لا يدرى ما المراد بذلك أكعب الرجل أم البنية المعروفة وكذلك ورد واحد وجمع على وزن واحد كقولهم راح اسم للخمر وراح جمع راحة وهى الكف وكقولهم عقاب وهو الجزاء على الذنب وجمع عقبة أيضا وفى اللغة من هذا شىء كثير وهو بالاجماع من علماء العربية أنه لم يجر فيه خلاف بين القبائل فاتضح بهذا أن الأسماء المشتركة من واضع واحد (فان قلت) ان الواضع انما وضع المفرد من الألفاظ والجمع وضعه غيره (قلت) فى الجواب ان الذى وضع المفرد هو الذى وضع الجمع لأن من قواعد وضع اللغة أن يوضع المفرد والجمع والمذكر والمؤنث والمصغر والمكبر والمصادر وأسماء الفاعلين وما جرى هذا المجرى واذا أخل بشىء من ذلك كان قد أخل بقاعدة من قواعد وضع اللغة ثم لو سلمت اليك أن واضع الجمع غير واضع المفرد لكان ذلك قدحا فى الواضع الثانى اذ جاء بالابهام عند اطلاق اللفظ لأنه جمع كعبة التى هى البنية وكعب الرجل على كعاب وهذا لفظ مشترك مبهم عند الاطلاق ولا فرق بين أن يضعه الواضع الأول أو واضع ثان فان الابهام حاصل منه * وكان فاوضنى بعض الفقهاء فى قوله تعالى فى سورة البقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين وقال ان لون البقرة كان أسود والاصفر هو الاسود فأنكرت عليه هذا القول فأخذ يجادل مجادلة غير عارف و يعزو ذلك الى تفسير النقاش وتفسير البلاذرى فقلت له اعلم أن هذا الاسم الذى هو الاصفر لا يخلو فى دلالته على الاسود من وجهين اما انه من الأسماء المتباينة التى يدل كل اسم منها على مسمى واحد كالانسان والاسد والفرس وغير ذلك واما انه من الاسماء المشتركة التى يدل الاسم منها على مسميين فصاعدا ولا يجوز أن يكون من الاسماء المتباينة لانا نراه متجاذبا بين لونين أحدهما هذا اللون الزعفرانى الشكل والآخر اللون المظلم الشكل وعلى هذا فانه يكون من الأسماء المشتركة واذا كان من الاسماء المشتركة فلا بد له من قرينة تخصصه باللون الزعفرانى دون اللون المظلم لان الله تعالى قال صفراء فاقع لونها والفاقع من صفات اللون الزعفرانى خاصة لانه قد ورد للألوان صفات متعددة لكل لون منها صفة فقيل أبيض يقق وأسود حالك وأحمر قان وأصفر فاقع ولم يقل أسود فاقع ولا أصفر حالك فعلم حينئذ أن لون البقرة لم يكن أسود وانما كان أصفر فلما تحقق عند

والمرأة تعاقل الرجل الى ثلث دينه ولا تعقل العاقلة عمدا ولا عبدا ولا صلحا ولا اعترافا ولا طلاق فى اغلاق والبيعان

بالخيار ما لم يتفرقا والجار أحق بصقبه والطلاق بالرجال والعدة بالنساء ونهيه فى البيوع عن المخابرة والمحاقلة والمزابنة والمعاومة والثنيا وعن ربح ما لم يضمن وبيع ما لم يقبض وعن بيعتين فى بيعة وعن شرطين فى بيع وعن بيع وسلف وعن بيع الغرر وبيع المواصفة وعن الكالىء بالكالىء وعن تلقى الركبان فى أشباه لهذا اذا هو حفظها وتفهم معانيها وتدبرها أغنته باذن الله تعالى عن كثير من إطالة الفقهاء ولا بدله مع ذلك من دراسة أخبار الناس وتحفظ عيون الحديث ليدخلها فى تضاعيف سطوره متمثلا اذا كتب ويصل بها كلامه اذا حاور ومدار الامر على القطب وهو العقل وجودة القريحة فان القليل معهما باذن الله كاف والكثير مع غيرها مقصر ونحن نستحب لمن قبل عنا وائتم بكتبنا أن يؤدب نفسه قبل أن يؤدب لسانه ويهذب ألفاظه ويصون مروءته عن دناءة الغيبة وصناعته عن شين الكذب ويجانب قبل مجانبته اللحن

 وخطل القول وشنع الكلام ورفث المزح (وكان) رسول الله صلى الله عليه وسلم ولنا فيه أسوة حسنة يمزح ولا

ذلك الفقيه ما أشرت اليه أذعن بالتسليم (وأما النوع الثالث) فهو معرفة أمثال العرب وأيامهم ومعرفة الوقائع التي وردت في حوادث خاصة بأقوام وقولي هذا لا يقتضي كل الأمثال الواردة عنهم فان منها ما لا يحسن استعماله كما أن من ألفاظهم أيضا ما لا يحسن استعماله وكنت جردت من كتاب الأمثال للميداني أوراقا خفيفة تشتمل على الحسن من الامثال الذي يدخل في باب الاستعمال وسبيل المتصدي لهذا الفن أن يسلك ما سلكته وليعلم أن الحاجة اليها شديدة وذلك أن العرب لم تضع الامثال إلا لأسباب أوجبتها وحوادث اقتضتها فصار المثل المضروب لأمر من الامور عندهم كالعلامة التي يعرف بها الشيء وليس في كلامهم أوجز منها ولا أشد اختصارا * وسبب ذلك ما أذكره لك لتكون من معرفته على يقين (فأقول) قد جاء عن العرب من جملة أمثالهم أن يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر وهو مثل يضرب للأمر الظاهر المشهور والاصل فيه كما قال المفضل بن محمد أنه بلغنا أن بني ثعلبة بن سعد بن ضبة في الجاهلية تراهنوا على الشمس والقمر ليلة أربع عشرة من الشهر فقالت طائفة تطلع الشمس والقمر يرى وقالت طائفة يغيب القمر قبل أن تطلع الشمس فتراضوا برجل جعلوه حكما فقال واحد منهم ان قومي يبغون علي فقال الحكم ان يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر فذهبت مثلا ومن المعلوم أن قول القائل أن يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر اذا أخذ على حقيقته من غير نظر الى القرائن المنوطة به والاسباب التي قيل من أجلها لا يعطي من المعنى ما قد أعطاه المثل وذلك أن المثل له مقدمات وأسباب قد عرفت وصارت مشهورة بين الناس معلومة عندهم وحيث كان الامر كذلك جاز إيراد هذه اللفظات في التعبير عن المعنى المراد ولولا تلك المقدمات المعلومة والاسباب المعروفة لما فهم من قول القائل ان يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر ما ذكرناه من المعنى المقصود بل ما كان يفهم من هذا القول معنى مفيد لان البغي هو الظلم والقمر ليس من شأنه أن يظلم أحدا فكان يصير معنى المثل ان كان يظلمك قومك لا يظلمك القمر وهذا كلام مختل المعنى ليس بمستقيم فلما كانت الامثال كالرموز والاشارات التي يلوح بها على المعاني تلويحا صارت من أوجز الكلام وأكثره اختصارا ومن أجل ذلك قيل في حد المثل انه القول الوجيز المرسل ليعمل عليه وحيث هي بهذه المثابة فلا ينبغي الاخلال بمعرفتها (وأما أيام العرب) فانها تتنوع وتتشعب فمنها أيام تخار ومنها أيام محاربة ومنها أيام منافرة ومنها غير ذلك ولا يخلو الناظم والناثر من الانتصاب لوصف يوم يمر به في بعض الاحوال شبيها بيوم من تلك الايام وبما ثلاله فاذا جاء بذكر بعض تلك الايام المناسبة لمراده الموافقة له وقاس عليه يومه فانه يكون في غاية الحسن والرونق هذا لا اخفاء به (وأما الوقائع) التي وردت في حوادث خاصة بأقوام فانها كالامثال في الاستشهاد بها وسأبين لك نبذة منها حتى تعلم مقدار الفائدة بها فمن ذلك أنه ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث بيعة الحديبية تحت الشجرة وكان أرسل عثمان رضي الله عنه الى مكة في حاجة عرضت له ولم يحضر البيعة فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الشمال على اليمين وقال هذه عن عثمان وشمالي خير من يمينه وقد استعملت أنا هذا في جملة كتاب فقلت ولا يعد البر برآ حتى يلحق الغيب بالحضور ويصل من لم يصله بجزاء ولا شكور فزنة الغائب بالشاهد من كرم الاحسان ولهذا نابت شمال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمين عثمان ومن ذلك أنه ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه استدعى أبا موسى الاشعري ومن يليه من العمال وكان منهم الربيع بن زياد الحارثي فمضى الى يرفأ مولى عمر وسأله عما يروج عنده وينفق عليه فأشار الى خشونة العيش فمضى

ويضحك حتى يسيل لعابه وسئل عن رجل فقال توفي البارحة فلما رأى جزع السائل قرأ الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها (ومازح) معاوية الاحنف بن قيس فما رؤي مازحان أوقر منهما قال له معاوية يا أحنف ما الشيء الملفف في البجاد فقال له السخينة يا أمير المؤمنين أراد معاوية قول الشاعر

إذا ما مات ميت من تميم * فسرك أن يعيش فجيء بزاد بخبز أو بتمر أو بسمن * أو الشيء الملفف في البجاد تراه يطوف الآفاق حرصا * ليأكل رأس لقمان ابن عاد

والملفف في البجاد وطب اللبن وأراد الاحنف أن قريشا تعير بأكل السخينة وهي حساء من دقيق يتخذ عند غلاء السعر وعجف المال وكلب الزمان (فهذا) وما أشبهه مزح الاشراف وذوي المروآت فاما السباب وشتم السلف وذكر الاعراض بكبير الفواحش فمما لا نرضاه لخساس العبيد وصغار الولدان (ونستحب) له أن يدع في كلامه التقعير والتعقيب كقول يحيى بن يعمر لرجل خاصمته امرأته ان سألتك

ولبس جبة صوف وعمامة دسماء وخفا مطابقا وحضر بين يديه فى جملة العمال فصوب عمر نظره وصعده فلم يقع إلا عليه فأدناه وسأله عن حاله ثم أوصى أباموسى الأشعرى به وقد استعملت أنا هذا فى جملة تقليد لبعض الملوك من ديوان الخلافة فقلت واذا استعنت بأحد على عملك فاضرب عليه بالأرصاد ولا ترض بما عرفته من مبدأ حاله فان الأحوال تنتقل بنقل الأجساد واياك أن تخدع بصلاح الظاهر كما خدع عمر بن الخطاب بالربيع بن زياد فانظر كيف فعلت فى هاتين القصتين وكيف أوردتهما فى الغرض الذى قصدته وامض أنت على هذا النهج فانه من محاسن هذه الصنعة وعرض على كتاب كتبه عبد الرحيم بن على البيسانى رحمه الله عن الملك صلاح الدين يوسف ابن أيوب رحمه الله الى ديوان الخلافة ببغداد فى سنة احدى وسبعين وخمسمائة وضمنه ماأبلاه فى خدمة الدولة من فتح الديار المصرية ومحو الدولة العلوية واقامة الدعوى العباسية وشرح فيه ماقاساه فى الفتح من الأهوال ولما تأملته وجدته كتابا حسنا قد وفى فيه الخطابة حقها إلا أنه أخل بشىء واحد وهو أن مصر لم تفتح إلا بعد أن قصدت من الشام ثلاث مرات وكان الفتح فى المرة الثالثة وهذا له نظير فى فتح النبى صلى الله عليه وسلم مكة فانه قصدها عام الحديبية ثم سار اليها فى عمرة القضاء ثم سار اليها عام الفتح ففتحها وقد سألنى بعض الاخوان أن أنشىء فى ذلك كتابا الى ديوان الخلافة معارضا للكتاب الذى أنشأه عبد الرحيم بن على رحمه الله فأجبته الى سؤاله وعددت مساعى صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله فقلت ومن جملتها مافعله الخادم فى الدولة المصرية وقد قام بها منبر وسرير وقالت منا أمير ومنكم أمير فرد الدعوة العباسية إلى معادها وأذكر المنابر مانسيته بها من زهو أعوادها وكانت أخرجت منها اخراج النبى صلى الله عليه وسلم من قريته وقذف الشيطان على حقها بباطله وعلى صدقها بغويته ثم طوتها الليالى طى السجل للكتاب وكثر عليها مرور الدهر حتى نسى لها عدد السنين والحساب ولم يعدها الى وطنها حتى تغربت لها الأرواح عن أوطانها وسهرت لها أجفان السيوف سهر العيون عن أجفانها وتطاردت الآراء فى تسهيل أمرها قبل مطاردة أقرانها وحتى تقدمتها غربات ثلاث كلها ذوات غروب وكل خطب من خطوبها ذو خطوب الى أن تمخض ليلها عن صبحه وأصبحت فى الاسلام كعام حديبيته وعمرة قضائه وعام فتحه وفى ذكر أخبارها مايطبع الأسنة فى رؤس الاقلام ويرهب سامعها ولم ينله شىء من مكروهها سوى الكلام ويومها للدولة هو اليوم الذى أرخ فيه معاد نصرها وميعاد بشرها فاذا عدت لياليها السالفة كانت كسائر الليالى وهذه ليلة قدرها فهذا فصل من فصول الكتاب فانظر كيف ماثلت بين الفتح المصرى وفتح مكة وذكرت أيضا حديث الحباب بن المنذر الأنصارى حيث قال بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم منا أمير ومنكم أمير وذلك لما حضر أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنهم فى سقيفة بنى ساعدة والقصة مشهورة فقال الحباب بن المنذر منا أمير ومنكم أمير فقال أبو بكر رضى الله عنه بل نحن الامراء وأنتم الوزراء وهذا الذى ذكرته هو نكتة هذا الفتح التى عليها المعول ومركزه الذى عليه يدور (وعجبت) من عبد الرحيم بن على البيسانى مع تقدمه فى فن الكتابة كيف فاته أن يأتى به فى الكتاب الذى كتبه وكذلك وجدت لابن زياد البغدادى كتابا كتبه الى الملك الناصر صلاح الدين يوسف المقدم ذكره فى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وضمنه فصولا تشتمل على أمور أنكرت عليه من ديوان الخلافة فمن تلك الامور التى أنكرت عليه أنه تلقب بالملك الناصر وذلك لقب هو لأمير المؤمنين خاصة فانه الامام

ثمن شكرها وشبركها انشأت تطلها وتضهلها وكقول عيسى بن عمر و يوسف بن عمر بن هبيرة يضربه بالسياط والله ان كانت الا أثيابا فى أسيفاط قبضها عشاروك (فهذا) وأشباهه كان يستثقل والادب غض والزمان زمان وأهله يتحلون فيه بالفصاحة ويتنافسون فى العلم ويرونه تلو المقدار فى درك مايطلبون وبلوغ مايؤملون فكيف به اليوم مع انقلاب الحال وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبغضكم الى الثرثارون المتفيهقون المتشدقون (ويستحب له) ان استطاع أن يعدل بكلامه عن الجهة التى تلزمه مستثقل الاعراب ليسلم من اللحن وقباحة التقعير فقد كان واصل بن عطاء سام نفسه للثغة اخراج الراء من كلامه وكانت لثغته على الراء فلم يزل يروضها حتى انقادت له طباعه وأطاعه لسانه فكان لا يتكلم فى مجالس التناظر بكلمة فيها راء وهذا أشد وأعسر مطلبا مما أردناه وليس حكم الكتاب فى هذا الباب حكم الكلام لان الاعراب لا يقبح منه شىء فى الكتاب فلا يثقل وانما يكره فيه وحشى الغريب وتعقيد الكلام كقول بعض الكتاب فى كتابه إلى العامل فوقه وأنا محتاج الى أن تنفذ الى جيشا لجبا عرمرما وكقول آخر فى كتابه عضب عارض ألم ألم فأنهيته عذرا وكان

الناصر لدين الله فلما وقفت على ذلك الكتاب وجدته كتابا حسنا قد أجاد فيه كل الاجادة ولم أجد فيه مغمزا إلا في هذا الفصل الذي يتضمن حديث اللقب فانه لم يأت بكلام يناسب باقي الفصول المذكورة بل أتى فيه بكلام فيه غثاثة كقوله ما يستصلحه المولى فهو على عبده حرام وشيئا من هذا النسق وكان الأليق والأحسن أن يحتج بحجة فيها روح ويذكر كلاما فيه ذلاقة ورشاقة * وحضر عندي في بعض الأيام بعض اخواني وجرى حديث ذلك فسألني عما كان ينبغي أن يكتب في هذا الفصل فذكرت ما عندي وهو قد علم أن للأنبياء والخلفاء خصائص يختصون بها على حكم الانفراد وليس لأحد من الناس أن يشاركهم فيها مشاركة الأنداد وقد أجرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك في أشياء نص عليها بحكمه ومن جملتها أنه نهى غيره أن يجمع بين كنيته وبين اسمه وهذا مسوغ لأمير المؤمنين أن يختص بأمر يكون به مشهورا وعلى غيره محظورا وقد وسم نفسه بسمة نزلت عليه من السماء وتميزت به من بين المسميات والأسماء ثم استمرت عليها الأيام حتى خوطب بها من الحاضر والباد ورفعها الخطباء على المنابر في أيام الجمع ومواسم الأعياد وقد شاركته أنت فيها غير مراقب لمزية التعظيم ولا فارق بين فسحة التحليل وحرج التحريم والشرع والأدب يحكمان عليك بأن تلقى ما فرط منك بالمتاب ولا تحوج فيه إلى التقريع الذي هو أشد العتاب ومثلك من عرف الحق فأمسكه بيده ونسخ اغفال أمسه باستئناف التيقظ في غده والله قد رفع المؤاخذة عمن أتى الشيء خطأ لا عمدا وقبل التوبة ممن أخذ على نفسه بالاخلاص عهدا * فانظر أيها المتأمل كيف جئت بالخبر النبوي وجعلته شاهدا على هذا الموضع ولا يمكن أن يحتج في مثل ذلك إلا بمثل هذا الاحتجاج وما أعلم كيف شذ عن ابن زياد أن يأتي به مع أنه كان كاتبا مفلقا ارتضى كتابته ولم أجد في متأخري العراقيين من يماثله في هذا الفن (وأما النوع الرابع) وهو الاطلاع على كلام المتقدمين من المنظوم والمنثور فان في ذلك فوائد جمة لأنه يعلم منه أغراض الناس ونتائج أفكارهم ويعرف به مقاصد كل فريق منهم وإلى أين ترامت به صنعته في ذلك فان هذه الاشياء مما تشحذ القريحة وتذكي الفطنة واذا كان صاحب هذه الصناعة عارفا بها تصير المعاني التي ذكرت وتعب في استخراجها كالشيء الملقى بين يديه يأخذ منه ما أراد ويترك ما أراد وأيضا فانه إذا كان مطلعا على المعاني المسبوق إليها قد ينقدح له من بينها معنى غريب لم يسبق إليه ومن المعلوم أن خواطر الناس وان كانت متفاوتة في الجودة والرداءة فان بعضها لا يكون عاليا على بعض أو منحطا عنه الا بشيء يسير وكثيرا ما تتساوى القرائح والافكار في الاتيان بالمعاني حتى ان بعض الناس قد يأتي بمعنى موضوع بلفظ ثم يأتي الآخر بعده بذلك المعنى واللفظ بعينهما من غير علم منه بما جاء به الاول وهذا الذي يسميه أرباب هذه الصناعة وقوع الحافر على الحافر وسيأتي لذلك باب مفرد في آخر كتابنا هذا ان شاء الله تعالى (وأما النوع الخامس) وهو معرفة الاحكام السلطانية من الامامة والامارة والقضاء والحسبة وغير ذلك فانا أوجبنا معرفتها والاحاطة بها لما يحتاج اليه الكاتب في تقليدات الملوك والامراء والقضاة والمحتسبين ومن يجري مجراهم وأيضا فانه قد يحدث في الامامة حادث في بعض الاوقات بأن يموت الامام القائم بأمر المسلمين ثم يتولى من بعده من لم تكمل فيه شرائط الامامة أو يكون كامل الشرائط غير أن الامام الذي كان قبله عهد بها الى آخر غيره وهو ناقص الشرائط أو يكون قد تنازع الامامة اثنان أو يكون أرباب الحل والعقد قد اختاروا إماما وهم غير كاملي الشرائط التي تجب أن توجد فيهم أو يكون أمر غير ما ذكرناه فتختلف الاطراف في ذلك وينتصب ملك من الملوك له عناية بالامام الذي

هذا الرجل قد أدرك صدرا من الزمان وأعطى بسطة في العلم واللسان وكان لا يشان في كتابته الا بتركه سهل الألفاظ ومستعمل المعاني وبلغني أن الحسن بن سهل أيام دولته رآه يكتب وقد رد عن هاء الله خطا من آخر السطر الى أوله فقال ما هذا فقال طغيان في القلم وكان هذا الرجل صاحب جد وأخا ورع ودين لم يمزح بهذا القول ولا كان الحسن أيضا عنده ممن يمازح (وتستحب له أيضا) أن يترك ألفاظه في كتبه فيجعلها على قدر الكاتب والمكتوب اليه وأن لا يعطى خسيس الناس رفيع الكلام ولا رفيع الناس وضيع الكلام فاني رأيت الكتاب قد تركوا تفقد هذا من أنفسهم وخلطوا فيه فليس يفرقون بين من يكتب إليه فرأيت في هكذا وبين من يكتب اليه فاني رأيت كذا ورأيك انما يكتب بها الى الأكفاء والمساوين ولا يجوز أن يكتب بها الى الرؤساء والاساتذة لان فيها معنى الامر ولذلك نصبت ولا يفرقون بين من يكتب اليه وأنا فعلت ذلك وبين من يكتب اليه ونحن فعلنا ذلك ونحن لا يكتب بها عن نفسه الا أمراؤنا لانها من كلام الملوك والعظماء قال الله عز وجل انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال انا كل شيء خلقناه بقدر وعلى هذا الابتداء خوطبوا

قد قام للمسلمين فيأمر كاتبه أن يكتب كتابا فى أمره إلى الاطراف المخالفة له وإذا لم يكن الكاتب عند ذلك عارفا بالحكم فى هذه الحوادث واختلاف أقوال العلماء فيها وما هو رخصة فى ذلك وما ليس برخصة لا يكتب كتابا ينتفع به ولسنا نعني بهذا القول أن يكون الكتاب مقصورا على فقه محض فقط لأنا لو أردنا ذلك لما كنا نحتاج فيه إلى كتب كتاب بلاغى بل كنا نقتصر على إرسال مصنف من مصنفات الفقه عوضاً عن الكتاب وإنما قصدنا أن يكون الكتاب الذى يكتب فى هذا المعنى مشتملا على الترغيب والترهيب والمسامحة فى موضع والمحاققة فى موضع مشحوناً ذلك بالنكت الشرعية المبرزة فى قوالب البلاغة والفصاحة كما فعل الكاتب الصابى فى الكتاب الذى كتبه عن عز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه إلى الامام الطائع لما خلع المطيع فانه من محاسن الكتب التى تكتب فى هذا الفن (وأما النوع السادس) وهو حفظ القرآن الكريم فان صاحب هذه الصناعة ينبغى له أن يكون عارفا بذلك لان فيه فوائد كثيرة منها أنه يضمن كلامه بالآيات فى أماكنها اللائقة بها ومواضعها المناسبة لها ولا شبهة فيما يصير للكلام بذلك من الفخامة والجزالة والرونق ومنها أنه إذا عرف مواقع البلاغة وأسرار الفصاحة المودعة فى تأليف القرآن اتخذه بحراً يستخرج منه الدرر والجواهر ويودعها مطاوى كلامه كما فعلته أنا فيما أنشأته من المكاتبات وكفى بالقرآن الكريم وحده آلة وأداة فى استعمال أفانين الكلام فعليك أيها المتوشح لهذه الصناعة بحفظه والفحص عن سره وغامض رموزه واشاراته فانه تجارة لن تبور ومنبع لا يغور وكنز يرجع اليه وذخر يعول عليه (وأما النوع السابع) وهو حفظ الاخبار النبوية مما يحتاج إلى استعماله فان الأمر فى ذلك يجرى مجرى القرآن الكريم وقد تقدم القول عليه فاعرفه (وأما النوع الثامن) وهو ما يختص بالناظم دون الناثر وذلك معرفة العروض وما يجوز فيه من الزحاف وما لا يجوز فان الشاعر محتاج اليه ولسنا نوجب عليه المعرفة بذلك لينظم بعلمه فان النظم مبنى على الذوق ولو نظم بتقطيع الافاعيل لجاء شعره متكلفا غير مرضى وانما أريد للشاعر معرفة العروض لان الذوق قد ينبو عن بعض الزحافات ويكون ذلك جائزاً فى العروض وقد ورد للعرب مثله فاذا كان الشاعر غير عالم به لم يفرق بين ما يجوز من ذلك وما لا يجوز وكذلك أيضاً يحتاج الشاعر إلى العلم بالقوافى والحركات ليعلم الروى والردف وما يصح من ذلك وما لا يصح فاذا أكمل صاحب هذه الصناعة معرفة هذه الآلات وكان ذا طبع مجيب وقريحة مواتية فعليه بالنظر فى كتابنا هذا والتصفح لما أودعناه من حقائق علم البيان ونبهنا عليه من أصول ذلك وفروعه على أن الذى ذكرناه من هذه الآلات الثمان هو كالأصل لما يحتاج إليه الخطيب والشاعر ومعرفته ضرورية لابد منها وههنا أشياء أخر هى كالتوابع والروادف وبالجملة فان صاحب هذه الصناعة يحتاج إلى التشبث بكل فن من الفنون حتى أنه يحتاج إلى معرفة ما تقوله النادبة بين النساء والماشطة عند جلوة العروس وإلى ما يقوله المنادى فى السوق على السلعة فما ظنك بما فوق هذا والسبب فى ذلك أنه مؤهل لأن يهيم فى كل واد فيحتاج أن يتعلق بكل فن

﴿الفصل الثالث فى الحكم على المعانى﴾ وفائدة هذا الفصل الاحاطة بأساليب المعانى على اختلافها وتباينها وصاحب هذه الصناعة مفتقر إلى هذا الفصل والذى يليه بخلاف غيرهما من هذه الفصول المذكورة لاسيما مفسرى الأشعار فانهم به أعنى * واعلم أن الاصل فى المعنى أن يحمل على ظاهر لفظه ومن يذهب إلى التأويل يفتقر إلى دليل كقوله تعالى وثيابك فطهر فالظاهر من لفظ الثياب هو ما يلبس ومن تأول ذهب إلى أن المراد هو القلب لا الملبوس وهذا

فى الجواب فقال تعالى حكاية عمن حضره الموت رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت ولم يقل رب ارجعنى وربما صدر الكاتب كتابه بأكرمك الله وأبقاك فاذا توسط كتابه وعدد على المكتوب اليه ذنوبا له قال فلعنك الله واخزاك فكيف يكرمه الله ويلعنه ويخزيه فى حال وكيف يجمع بين هذين فى كتاب (وقال ابرويز لكاتبه فى تنزيل الكلام (انما الكلام اربعة) سؤالك الشىء وسؤالك عن الشىء وأمرك بالشىء وخبرك عن الشىء فهذه دعائم المقالات ان التمس اليها خامس لم يوجد وان نقص منها رابع لم تتم فاذا طلبت فأسجح واذا سألت فأوضح واذا امرت فاحتم واذا أخبرت فحقق (وقال أيضا) وأجمع الكثير مما تريد فى القليل مما تقول يريد الايجاز وهذا ليس بمحمود فى كل موضع ولا بمختار فى كل كتاب بل لكل مقام مقال ولو كان الايجاز محمودا فى كل الاحوال لجرده الله فى القرآن ولم يفعل الله ذلك ولكنه أطال تارة للتوكيد وحذف تارة للايجاز وكرر تارة للافهام وعلل هذا مستقصاة فى كتابنا المؤلف فى تأويل مشكل القرآن وليس يجوز لمن قام مقاما فى تحضيض على حرب او حمالة بدم او صلح بين عشائر ان يقلل الكلام ويختصره ولا لمن كتب

لابد له من دليل لانه عدول عن ظاهر اللفظ وكذلك ورد عن عيسى بن مريم عليه السلام أنه قال إذا أردت أن تصلى فادخل بيتك وأغلق بابك فالظاهر من هذا هو البيت والباب ومن تأول ذهب إلى أنه أراد أنك تجمع عليك همّ قلبك وتمنع أن يخطر به سوى أمر الصلاة فعبر عن القلب بالبيت وعن منع الخواطر التى تخطر له باغلاق الباب وهذا يحتاج إلى دليل لانه عدول عن ظاهر اللفظ فالمعنى المحمول على ظاهره لا يقع فى تفسيره خلاف والمعنى المعدول عن ظاهره إلى التأويل يقع فيه الخلاف اذ باب التأويل غير محصور والعلماء متفاوتون فى هذا فانه قد يأخذ بعضهم وجها ضعيفا من التأويل فيكسوه بعبارته قوة تميزه على غيره من الوجوه القوية فان السيف بضاربه

إن السيوف مع الذين قلوبهم * كقلوبهن إذا التقى الجمعان
تلقى الحسام على جراءة حده * مثل الجبان بكف كل جبان

وذهب بعضهم فى الفرق بين التفسير والتأويل إلى شىء غير مرضى فقال التفسير بيان وضع اللفظ حقيقة كتفسير الصراط بالطريق والتأويل إظهار باطن اللفظ كقوله تعالى إن ربك لبالمرصاد فتفسيره من الرصد يقال رصدته إذا رقبته وتأويله تحذير العباد من تعدى حدود الله ومخالفة أوامره والذى عندى فى ذلك أنه أصاب فى الآخر ولم يصب فى الاول لان قوله التفسير بيان وضع اللفظ حقيقة لا مستند لجوازه بل التفسير يطلق على بيان وضع اللفظ حقيقة ومجازا لانه من الفسر وهو الكشف كتفسير الرصد فى الآية المشار إليها بالرقبة وتفسيره بالتحذير من تعدى حدود الله ومخالفة أوامره وأما التأويل فانه أحد قسمى التفسير وذلك أنه رجوع عن ظاهر اللفظ وهو مشتق من الاول وهو الرجوع يقال آل يؤل إذا رجع وعلى هذا فان التأويل خاص والتفسير عام فكل تأويل تفسير وليس كل تفسير تأويلا ولهذا يقال تفسير القرآن ومن تفسيره ظاهر وباطن وهذا الفصل الذى نحن بصدد ذكره ههنا يرجع أكثره إلى التأويل لانه أدق ولا يخلو تأويل المعنى من ثلاثة أقسام إما أن يفهم منه شىء واحد لا يحتمل غيره وإما أن يفهم منه الشىء وغيره وتلك الغيرية إما أن تكون ضداً أو لا تكون ضداً وليس لنا قسم رابع فالأول يقع عليه أكثر الاشعار ولا يجرى فى الدقة واللطافة مجرى القسمين الآخرين وأما القسم الثانى فانه قليل الوقوع جداً وهو من أظرف التأويلات المعنوية لان دلالة اللفظ على المعنى وضده أغرب من دلالته على المعنى وغيره مما ليس بضده فمما جاء منه قول النبى صلى الله عليه وسلم صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فى غيره من المساجد إلا المسجد الحرام فهذا الحديث يستخرج منه معنيان ضدان أحدهما أن المسجد الحرام أفضل من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والآخر أن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من المسجد الحرام أى ان صلاة واحدة فيه لا تفضل ألف صلاة فى المسجد الحرام بل تفضل ما دونها بخلاف المساجد الباقية فان ألف صلاة فيها تقصر عن صلاة واحدة فيه وكذلك جاء قول النبى صلى الله عليه وسلم أيضاً من كلام النبوة الاولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت وهذا يشتمل على معنيين ضدين أحدهما أن المراد به إذا لم تفعل فعلا تستحى منه فافعل ما شئت والآخر أن المراد به إذا لم يكن لك حياء يزعك عن فعل ما يستحى منه فافعل ما شئت وهذان معنيان ضدان أحدهما مدح والآخر ذم ومثله ورد فى الحديث النبوى أيضا وذلك أنه ذكر شريح الحضرمى عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال لا يتوسد القرآن وهذا يحتمل مدحا وذما أما المدح فالمراد به أنه لا ينام الليل عن القرآن فيكون القرآن متوسداً معه لم يتهجد به وأما الذم فالمراد به أنه لا يحفظ من القرآن شيئاً فاذا نام لم يتوسد معه القرآن وهذان التأويلان من الأضداد وكثيرا ما يرد أمثال ذلك فى الاحاديث

النبوية

إلى عامة كتابا فى فتح أو استصلاح أن يوجز ولو كتب كاتب إلى أهل بلد فى الدماء إلى الطاعة والتحذير عن المعصية كتاب يزيد بن الوليد إلى مروان حين بلغه عنه تلكؤه فى بيعته أما بعد فانى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فاعتمد على أيتهما شئت لم يعمل هذا الكلام فى أنفسها عمله فى نفس مروان ولكن الصواب ان يطيل ويكرر ويعيد ويبدىء ويحذر وينذر (هذا) منتهى القول فيما نختاره للكاتب فمن تكاملت له هذه الادوات وأمده الله بآداب النفس من العفاف والحلم والصبر والتواضع للحق وسكون الطائر وخفض الجناح فهذا المتناهى فى الفضل العالى فى ذرى المجد الحاوى قصب السبق الفائز بخير الدارين إن شاء الله تعالى

﴿باب معرفة ما يضعه الناس فى غير موضعه﴾

من ذلك (أشفار العين) يذهب الناس الى أنها الشعر الثابت على حروف العين وذلك غلط إنما الأشفار حروف العين التى ينبت عليها الشعر والشعر هو الهدب وقال الفقهاء المتقدمون فى كل شفر من أشفار العين ربع الدية يعنون فى كل جفن وشفر كل شىء حرفه وكذلك شفيره ومنه يقال شفير الوادى وشفر الرحم فان كان

النبوية ويجرى على هذا النهج من الشعر قول أبي الطيب في قصيدة يمدح بها كافورا

وأظلم أهل الظلم من بات حاسدا * لمن بات في نعمائه يتقلب

وهذا البيت يستخرج منه معنيان ضدان أحدهما أن المنعم عليه يحسد المنعم والآخر أن المنعم يحسد المنعم عليه وكذلك ورد قوله أيضا من قصيدة يمدحه

فان نلت ما أملت منك فربما * شربت بماء يعجز الطير ورده

فان هذا البيت يحتمل مدحا وذما وإذا أخذ بمفرده من غير نظر الى ما قبله فانه يكون بالذم أولى منه بالمدح لانه يتضمن وصف نواله بالبعد والشذوذ وصدر البيت مفتتح بان الشرطية وقد أجيب بلفظة رب التي معناها التقليل أي لست من نوالك على يقين فان نلته فربما وصلت الى مورد لا يصل اليه الطير لبعده وإذا نظر الى ما قبل هذا البيت دل على المدح خاصة لارتباطه بالمعنى الذي قبله وكثيرا ما كان يقصد المتنبي هذا القسم في شعره كقوله من قصيدة أولها

عدوك مذموم بكل لسان * ولو كان من أعدائك القمران

ولله سر في علاك وانما * كلام العدا ضرب من الهذيان

ثم قال

فمالك تعنى بالأسنة والقنا * وجدك طعان بغير سنان

فان هذا بالذم أشبه منه بالمدح لانه يقول لم تبلغ ما بلغته بسعيك واهتمامك بل بجد وسعادة وهذا لا فضل فيه لان السعادة تنال الخامل والجاهل ومن لا يستحقها وأكثر ما كان المتنبي يستعمل هذا القسم في قصائده الكافوريات (وحكى) أبو الفتح بن جني قال قرأت على أبي الطيب ديوانه الى أن وصلت الى قصيدته التي أولها * أغالب فيك الشوق والشوق أغلب * فأتيت منها على هذا البيت وهو

وما طربي لما رأيتك بدعة * لقد كنت أرجو أن أراك فأطرب

فقلت له يا أبا الطيب لم تزد على أن جعلته أبا زنة فضحك لقولي وهذا القسم من الكلام يسمى الموجه أي له وجهان وهو مما يدل على براعة الشاعر وحسن تأتيه * وأما القسم الثالث فانه يكون أكثر وقوعا من القسم الثاني وهو واسطة بين طرفين لان القسم الاول كثير الوقوع والقسم الثاني قليل الوقوع وهذا القسم الثالث وسط بينهما فمما جاء منه قوله تعالى ولا تقتلوا أنفسكم فان هذا له وجهان من التأويل أحدهما القتل الحقيقي الذي هو معروف والآخر هو القتل المجازي وهو الاكباب على المعاصي فان الانسان اذا أكب على المعاصي قتل نفسه في الآخرة ومن ذلك ما ورد في قصة ابراهيم وذبح ولده عليهما السلام فقال الله تعالى حكاية عنه وقال إني ذاهب الى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين فقوله تعالى وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين قد يكون بشارة بنبوته بعد البشارة بميلاده وقد يكون استئنافا بذكره بعد ذكر اسمعيل عليه السلام وذبحه والتأويل متجاذب بين هذين الأمرين ولا دليل على الاختصاص بأحدهما ولم يرد في القرآن ما يدل على أن الذبيح اسمعيل ولا اسحق عليهما السلام وكذلك لم يرد في الاخبار التي صحت عن رسول الله صلى الله

أحد من الفصحاء سمى الشعر شفرا فانما سماه بمنبته والعرب تسمى الشيء باسم الشيء إذا كان مجاورا له وكان منه بسبب على ما بينت لك في باب تسمية الشيء باسم غيره ومن ذلك (حمة العقرب والزنبور) يذهب الناس الى أنها شوكة العقرب وشوكة الزنبور التي يلسعان بها وذلك غلط انما الحمة سمهما وضرهما وكذلك هي من الحية لانها سم ومنه قول ابن سيرين يكره الترياق إذا كان فيه الحمة يعني بذلك السم وأراد لحوم الحيات لانها سم (ومنه قوله لا رقية الا من نملة أو حمة أو نفس) فالنملة قروح تخرج في الجنب تقول المجوس ان ولد الرجل إذا كان من اخته ثم خط على النملة يشفى صاحبها قال الشاعر

ولا عيب فينا غير عرف لمعشر * كرام وأنا لا نخط على النمل

يريد أنا لسنا بمجوس ننكح الاخوات (والنفس) العين يقال أصابت فلانا نفس والنافس العاين والحمة لكل هامة ذات سم فاما شوكة العقرب فهي الابرة (ومن ذلك الطرب) يذهب الناس الى أنه في الفرح دون الجزع وليس كذلك انما الطرب خفة تصيب الرجل لشدة السرور أو لشدة الجزع قال الشاعر وهو النابغة الجعدي

وأراني طربا في أثرهم * طرب الواله أو كالمختبل

وقال آخر   يقلن لقد بكيت   فقلت كلا   وهل يبكي من الطرب الجليد وانما هو ههنا بمعنى الجزع ومن ذلك (الحشمة) يضعها الناس موضع الاستحياء قال الاصمعي وليس كذلك انما هي بمعنى الغضب وحكي عن بعض فصحاء العرب انه قال ان ذلك لمما يحشم بنى فلان أى يغضبهم قال الاصمعي ونحو من هذا قول الناس (زكنت الامر) يذهبون فيه الى معنى ظننت وتوهمت وليس كذلك انما هو بمعنى علمت يقال زكنت الأمر أزكنه قال قعنب ابن أم صاحب   ولن يراجع قلبي ودهم أبدا * زكنت منهم على مثل الذى زكنوا   أى علمت منهم مثل الذى علموا منى (ومن ذلك القافلة) يذهب الناس الى انها الرفقة فى السفر ذاهبة كانت أو راجعة وليس كذلك انما القافلة الراجعة من السفر يقال قفلت فهى قافلة وقفل الجند من مبعثهم أى رجعوا ولا يقال لمن خرج الى مكة من العراق قافلة حتى يصدرون ومن ذلك (المأتم) يذهب الناس الى انه المصيبة يقولون كنا فى مأتم وليس كذلك انما المأتم النساء يجتمعن فى الخير والشر والجمع مآتم والصواب ان يقولوا كنا فى مناحة وانما قيل لها مناحة من النوائح لتقابلهن عند البكاء يقال الجبلان يتناوحان إذا تقابلا وكذلك الشجر وقال الشاعر   الاحياء

عليه وسلم وأما ما يروى عنه أنه قال أنا ابن الذبيحين فخارج عن الاخبار الصحيحة وفى التوراة ان اسحق عليه السلام هو الذبيح ومن ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم لازواجه أطولكن يدا أسرعكن لحوقا بى فلما مات صلوات الله عليه جعلن يطاولن بين أيديهن حتى ينظرن أيتهن أطول يدا ثم كانت زينب أسرعهن لحوقا به وكانت كثيرة الصدقة فعلمن حينئذ أنه لم يرد الجارحة وانما أراد الصدقة فهذ القول يدل على المعنيين المشار اليهما ومن ذلك ماروى عن أنس ابن مالك رضى الله عنه أنه قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فلم يقل لشىء فعلته لم فعلته ولا لشىء لم أفعله لم لا فعلته وهذا القول يحتمل وجهين من التأويل أحدهما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبر على خلق من يصحبه والآخر أنه وصف نفسه بالفطنة والذكاء فيما يقصده من الاعمال كانه متفطن لما فى نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيفعله من غير حاجة الى استئذانه ومن ذلك ماورد فى الادعية النبوية فانه صلى الله عليه وسلم دعا على رجل من المشركين فقال اللهم اقطع أثره وهذا يحتمل ثلاثة أوجه من التأويل الاول أنه دعا عليه بالزمانة لانه اذا زمن لا يستطيع أن يمشى على الارض فينقطع حينئذ أثره الوجه الثانى أنه دعا عليه بأن لا يكون له نسل من بعده ولا عقب الوجه الثالث أنه دعا عليه بأن لا يكون له أثر من الآثار مطلقا وهو أن لا يفعل فعلا يبقى أثره من بعده كائنا ما كان من عقب أو بناء أو غراس أو غير ذلك وظفرت الحرورية برجل فقالوا له ابرأ من على وعثمان فقال انا من على ومن عثمان أبرأ فهذا يدل على معنيين أحدهما أنه برىء من عثمان وحده والآخر أنه برىء منهما جميعا والرجل لم يرد الا الوجه الاول ومن ذلك ما يحكى عن عبد المسيح بن بقيلة لما نزل بهم خالد بن الوليد على الحيرة وذاك أنه خرج اليه عبد المسيح بن بقيلة فلما مثل بين يديه قال أنعم صباحا أيها الملك فقال له خالد قد أغنانا الله عن تحيتك هذه بسلام عليكم ثم قال له من أين أقصى أثرك قال من ظهر أبى قال فمن أين خرجت قال من بطن أمى قال فعلام أنت قال على الارض قال ففيم أنت قال فى ثيابى قال ابن كم أنت قال ابن رجل واحد قال خالد ما رأيت كاليوم قط أنا أسأله عن الشىء وهو ينحو فى غيره وهذا من توجيه الكلام على نمط حسن وهو يصلح أن يكون جوابا لخالد عما سأل ويصلح أن يكون جوابا لغيره مما ذكره عبد المسيح بن بقيلة وقد ورد فى التوراة أن لا يؤكل الجدى بلبن أمه وهذا يحتمل التحريم فى وجهين أحدهما مادل عليه ظاهر لفظه وهو تحريم لحم الجدى بلبن أمه خاصة واذا أكل بلبن غير ابن أمه جاز ذلك ولم يكن حراما وهذا لا يأخذ به أحد من اليهود والوجه الآخر وهو الذى يؤخذ به عند اليهود جميعهم أن أكل اللحم باللبن حرام كائنا ما كان من اللحوم الا طائفة منهم يسمون القرايين فانهم تأولوا فأكلوا لحم الطير باللبن وقالوا انما حرم اللحم باللبن من اللحوم ذوات الالبان والطير من ذوات البيض لا من ذوات الالبان ومما يجرى على هذا النهج ما يحكى عن افلاطون أنه قال ترك الدواء دواء فذهب بعض الاطباء أنه أراد ان لطف المزاج وانتهى الى غاية لا يحتمل الدواء فتركه حينئذ والاضراب عنه دواء وذهب آخرون الى أنه أراد بالترك الوضع أى وضع الدواء على الداء دواء يشير بذلك الى حذق الطبيب فى أوقات علاجه ومثله فى الشعر قول الفرزدق

إذا جعفر مرت على هضبة الحمى * فقد أخذت الاحياء منها قبورها

وهذا يدل على معنيين أحدهما ذم الاحياء والآخر ذم الأموات أما ذم الأحياء فهو أنهم خذلوا الاموات يريد أنهم تلاقوا قتالهم وقوما آخرين ففر الأحياء عنهم وأسلموهم أو أنهم استنجدوهم فلم ينجدوهم وأما ذم الأموات فهو أن لهم مخازى وفضائح توجب عارا وشنارا فهم يعدون بها

الاحياء و يلصقونها بهم وعلى هذا ورد قول أبي تمام

بالشعر طول إذا اصطكت قصائده * في معشر وبه عن معشر قصر

فهذا البيت يحتمل تأويلين أحدهما أن الشعر يتسع مجاله بمدحك و يضيق بمدح غيرك يريد بذلك ان مآثره كثيرة ومآثر غيره قليلة والآخر أن الشعر يكون ذا فخر ونباهة بمدحك وذا خمول بمدح غيرك فلفظة الطول يفهم منها ضد القصر و يفهم منها الفخر من قولنا طال فلان على فلان أي فخر عليه (ومما) ينتظم بهذا السلك قول أبي كبير الهذلي

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها * فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

وهذا يحتمل وجهين من التأويل أحدهما أنه أراد بسعي الدهر سرعة تقضي الاوقات مدة الوصال فلما انقضى الوصل عاد الدهر الى حالته في السكون والبطء الآخر أنه أراد بسعي الدهر سعي أهل الدهر بالنمائم والوشايات فلما انقضى ما كان بينهما من الوصل سكنوا وتركوا السعاية وهذا من باب وضع المضاف اليه مكان المضاف كقوله تعالى واسأل القرية أي أهل القرية ومن الدقيق المعنى في هذا الباب قول أبي الطيب المتنبي في عضد الدولة من جملة قصيدته التي أولها أوه بديل من قولتي واها فقال

لو فطنت خيله لنائله * لم يرضها أن تراه يرضاها

وهذا يستنبط منه معنيان غير ان أحدهما أن خيله لو علمت مقدار عطاياه النفيسة لما رضيت له بأن تكون من جملة عطاياه لأن عطاياه أنفس منها الآخر أن خيله لو علمت أنه يهبها من جملة عطاياه لما رضيت ذلك إذ تكره خروجها عن ملكه وهذان الوجهان أنا ذكرتهما وإنما المذكور منهما أحدهما وهذا الذي أشرت اليه من الكلام على المعاني وتأويلاتها كاف لمن عنده ذوق وله قوة على حملها على أشباهها ونظائرها

﴿ الفصل الرابع ﴾ في الترجيح بين المعاني وهذا الفصل هو ميزان الخواطر الذي يوزن به نقد درهمها ودينارها بل المحك الذي يعلم منه مقدار عيارها ولا يزن به الا ذو فكرة متقدة ولمحة منتقدة فليس كل من حمل ميزانا سمي صرافا ولا كل من وزن به سمي عرافا والفرق بين هذا الترجيح والترجيح الفقهي أن هناك يرجح بين دليلي الخصمين في حكم شرعي وههنا يرجح بين جانبي فصاحة و بلاغة في ألفاظ ومعان خطابية و بيان ذلك أن صاحب الترجيح الفقهي يرجح بين خبر التواتر مثلا و بين خبر الآحاد أو بين المسند والمرسل أو ما جرى هذا المجرى وهذا لا يعرض اليه صاحب علم البيان لأنه ليس من شأنه ولكن الذي هو من شأنه أن يرجح بين حقيقة ومجاز أو بين حقيقتين أو بين مجازين و يكون ناظرا في ذلك كله إلى الصناعة الخطابية ولربما اتفق هو وصاحب الترجيح الفقهي في بعض المواضع كالترجيح بين عام وخاص أو ما شابه ذلك وكنا قد قدمنا القول في الحكم على المعاني وانقسامها ولنبين في هذا الفصل مواضع الترجيح بين وجوه تأويلاتها فنقول (أما القسم الأول) من المعاني فلا تعلق للترجيح به إذ ما دل عليه ظاهر لفظه ولا يحتمل الا وجها واحدا فليس من هذا الباب في شيء والترجيح إنما يقع بين معنيين يدل عليهما لفظ واحد ولا يخلو الترجيح بينهما من ثلاثة أقسام اما أن يكون اللفظ حقيقة في أحدهما مجازا في الآخر أو حقيقة فيهما جميعا أو مجازا فيهما جميعا وليس لنا قسم رابع والترجيح بين الحقيقتين أو بين المجازين يحتاج إلى نظر وأما الترجيح بين الحقيقة والمجاز فانه يعلم ببديهة النظر لمكان الاختلاف بينهما والشيئان المختلفان يظهر الفرق بينهما بخلاف ما يظهر بين الشيئين المشتبهين فمثال الحقيقة والمجاز قوله تعالى و يوم يحشر

غشية قام النائحات وشققت * جيوب بأيدي مأتم وخدود * أي بأيدي نساء وقال آخر * رمته أناة من ربيعة عامر نؤوم الضحى في مأتم أي مأتم يريد في نساء أي نساء (ومن ذلك قول الناس فلان يتصدق إذا أعطى وفلان يتصدق إذا سأل) وهذا غلط والصواب فلان يسأل وإنما المتصدق المعطي قال الله تعالى وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين (ومن ذلك الحمام) يذهب الناس الى أنه الدواجن التي تستفرخ في البيوت وذلك غلط إنما الحمام ذوات الاطواق وما أشبهها مثل الفواخت والقماري والقطا قال ذلك الاصمعي ووافقه عليه الكسائي * قال حميد بن ثور * وما هاج هذا الشوق الا حمامة * دعت ساق حر ترحة وترنما فالحمامة ههنا قمرية وقال النابغة الذبياني شعرا واحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت * الى حمام شراع وارد الثمد قال الاصمعي هذه زرقاء اليمامة نظرت الى قطا قال وأما الدواجن التي في البيوت فانها وما شاكلها من طير الصحراء اليمام الواحدة يمامة (ومن ذلك) الربيع يذهب الناس الى أنه الفصل الذي يتبع الشتاء و يأتي فيه الورد والنور ولا يعرفون الربيع غيره والعرب تختلف في ذلك فمنهم من يجعل

أعداء الله إلى النار فهم يوزعون حتى إذا ماجاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون فالجلود ههنا تفسر حقيقة ومجازا أما الحقيقة فيراد بها الجلود مطلقا وأما المجاز فيراد بها الفروج خاصة وهذا هو المانع البلاغى الذى يرجح جانب المجاز على الحقيقة لما فيه من لطف الكناية عن المكنى عنه وقد يسأل ههنا فى الترجيح بين الحقيقة والمجاز عن غير الجانب البلاغى و يقال ما بيان هذا الترجيح فيقال طريقه لفظ الجلود عام فلا يخلو إما أن يراد به الجلود مطلقا أو يراد به الجوارح التى هى أدوات الأعمال خاصة ولا يجوز أن يراد به الجلود على الاطلاق لأن شهادة غير الجوارح التى هى الفاعلة شهادة باطلة إذ هى شهادة غير شاهد والشهادة هنا يراد بها الاقرار فتقول اليد أنا فعلت كذا و كذا وتقول الرجل أنا مشيت الى كذا وكذا وكذلك الجوارح الباقية تنطق مقرة بأعمالها فترجح بهذا أن يكون المراد به شهادة الجوارح وإذا أريد به الجوارح فلا يخلو إما أن يراد به الكل أو البعض فان أريد به الكل دخل تحته السمع والبصر ولم يكن لتخصيصهما بالذكر فائدة وان أريد به البعض فهو بالفرج أخص منه بغيره من الجوارح لأمرين أحدهما أن الجوارح كلها قد ذكرت فى القرآن الكريم شاهدة على صاحبها بالمعصية ماعدا الفرج فكان حمل الجلد عليه أولى ليستكمل ذكر الجميع الآخر أنه ليس فى الجوارح ما يكره التصريح بذكره الا الفرج فكنى عنه بالجلد لأنه موضع يكره التصريح فيه بالمسمى على حقيقته ﴿ فان قيل ﴾ ان تخصيص السمع والبصر بالذكر من باب التفصيل كقوله تعالى فاكهة ونخل ورمان والنخل والرمان من الفاكهة ﴿قلت ﴾ فى الجواب هذا القول عليك لا لك لأن النخل والرمان إنما ذكر التفضيل لهما فى الشكل أو فى الطعم والفضيلة ههنا فى ذكر الشهادة إنما هى تعظيم لأمر المعصية وغير السمع والبصر أعظم فى المعصية لأن معصية السمع إنما تكون فى سماع غيبة أو فى سماع صوت مزمار أو وتر أو ماجرى هذا المجرى ومعصية البصر إنما تكون فى النظر إلى محرم وكلتا المعصيتين لاحد فيها وأما المعاصى التى توجد من غير السمع والبصر فأعظم لأن معصية اليد توجب القطع ومعصية الفرج توجب جلد مائة أو الرجم وهذا أعظم فكان ينبغى أن تخص بالذكر دون السمع والبصر وإذا ثبت فساد ماذهبت اليه فلم يكن المراد بالجلود الا الفروج خاصة (وأما مثال المعنيين) إذا كانا حقيقيين فقول النبى صلى الله عليه وسلم التمسوا الرزق فى خبايا الأرض والخبايا جمع خبية وهو كل مايخبأ كائنا ما كان وهذا يدل على معنيين حقيقيين أحدهما الكنوز المخبوأة فى بطون الأرض والآخر الحرث والغراس وجانب الحرث والغراس أرجح لأن مواضع الكنوز لا تعلم حتى تلتمس والنبى صلى الله عليه وسلم لا يأمر بذلك لأنه شئ مجهول غير معلوم فبقى المراد بخبايا الأرض مايحرث ويغرس وكذلك ورد قوله صلى الله عليه وسلم إذا ابتلت النعال فالصلاة فى الرحال وهذا الحديث مرخص فى ترك صلاة الجماعة بسبب المطر وله تأويلان أحدهما أنه أراد نعال الأرض وهو ماغلظ منها والآخر أنه أراد الاحذية والوجه هو الثانى لظهوره فى الدلالة على المعنى وأكثر العلماء عليه ولو كان المراد به ماغلظ من الأرض لخرج عن هذا الحكم كل بلد تكون أرضه سهلة لاغلظ فيها (وأما مثال المعنيين المجازيين) فقول أبى تمام

قد بلونا أبا سعيد حديثا * وبلونا أبا سعيد قديما
ووردناه ساحلا وقليبا * ورعيناه بأرضا وحميا
فعلمنا ان ليس الا بشق الأ‍ : * فس صار الكريم يدعى كريما

فالساحل والقليب يستخرج منهما تأويلان مجازيان أحدهما أنه أراد بهما الكثير والقليل

الذى تدعوه العامة الربيع ثم فصل القيظ بعده وهو الوقت الذى تدعوه العامة الصيف ومن العرب من يسمى الفصل الذى تدرك فيه الثمار وهو الخريف الربيع الأول و يسمى الفصل الذى يتلو الشتاء وتأتى فيه الكمأة والنور الربيع الثانى وكلهم مجمعون على أن الخريف هو الربيع (ومن ذلك الظل والفىء) يذهب الناس إلى أنهما شىء واحد وليس كذلك لأن الظل يكون غدوة وعشية ومن أول النهار إلى آخره ومعنى الظل الستر ومنه قول الناس أنا فى ظلك أى فى دارك وسترك ومنه ظل الجنة وظل شجرها إنما هو سترها ونواحيها وظل الليل سواده لأنه يستر كل شىء قال ذو الرمة

قد أعسف النازح المجهود مشعبه * فى ظل أخضر يدعو هامه البوم

أى فى ستر ليل أسود فكان معنى ظل الشمس ماسترته الشخوص من مسقطها والفىء لا يكون الا بعد الزوال ولا يقال لما قبل الزوال فىء وإنما سمى بالعشى فيئا لأنه ظل فاء عن جانب إلى جانب أى رجع عن جانب المغرب إلى جانب المشرق

بالنسبة إلى الساحل والقليب والآخر أنه أراد بهما السبب وغير السبب فان الساحل لا يحتاج فى ورده إلى سبب والقليب يحتاج فى ورده الى سبب وكلا هذين المعنيين مجاز فان حقيقة الساحل والقليب غيرهما والوجه هو الثانى لانه أدل على بلاغة القائل ومدح المقول فيه أما بلاغة القائل فالسلامة من هجنة التكرير بالمخالفة بين صدر البيت وعجزه فان عجزه يدل على القليل والكثير لأن البارض هو أول النبت حين يبدو فاذا كثر وتكاثف سمى جميما فكأنه قال أخذنا منه تبرعا ومسئلة وقليلا وكثيرا وأما مدح المقول فيه فلتعداد حالاته الأربع فى تبرعه وسؤاله واكثاره واقلاله وما فى معاناة هذه الاحوال من المشاق فهذا ما يتعلق بالترجيح البلاغى بين الحقيقة والحقيقة وبين المجاز والمجاز وبين الحقيقة والمجاز (وههنا) ترجيح آخر لا يتعلق بما أشرنا اليه اذ هو خارج عما تقتضيه المعاني الخطابية من جهة الفصاحة أو البلاغة وذلك أن يرجح بين معنيين أحدهما تام والآخر مقدر أو يكون أحدهما مناسبا لمعنى تقدمه أو تأخر عنه والآخر غير مناسب أو بأن ينظر فى الترجيح بينهما الى شيء خارج عن اللفظ فمثال المعنيين المشار اليهما أن المعنى التام هو الذى يدل عليه لفظه ولا يتعداه وأما المقدر فهو الذى لا يدل عليه لفظه بل يستدل عليه بقرينة أخرى وتلك القرينة قد تكون من توابعه وقد لا تكون (فما) جاء من ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم فى سائمة الغنم زكاة فهذا اللفظ يستخرج منه معنيان أحدهما تام والآخر مقدر فالتام دلالته على وجوب الزكاة فى السائمة لا غير والمقدر دلالته على سقوط الزكاة عن المعلوفة الا أنه ليس مفهوما عن نفس اللفظ بل من قرينة أخرى هى كالتابعة له وهى أنه لما خصت السائمة بالذكر دون المعلوفة علم من مفهوم ذلك أن المعلوفة لا زكاة فيها وللفقهاء فى ذلك مجاذبات جدلية يطول الكلام فيها وليس هذا موضعها والذى يترجح عندى هو القول بفحوى المعنى المقدر وهو الذى يسميه الفقهاء مفهوم الخطاب وله فى الشعر أشباه ونظائر (فما) ورد من ذلك شعرا قول جرى بن كلب الفقعسى من شعراء الحماسة وقد خطب اليه ابن كوز ابنته فرده

تبغى ابن كوز والسفاهة كاسمها * ليستادمنا ان سنونا لياليا
فلا تطلبنها ياابن كوز فانه * غذا الناس مذ قام النبي الجواريا

وهذا البيت الثانى يشتمل على المعنيين التام والمقدر أما التام فان ابن كوز سأل أبا هذه الجارية أن يزوجه إياها فى سنة والسنة الجدب فرده وقال قد غذا الناس البنات مذ قام النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أيضا أغذو هذه ولولا ذلك لوأدتها كما كانت الجاهلية تفعل وفيه وجه آخر وهو أنهم كانوا يئدون البنات قبل الاسلام فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك فقوله غذا الناس مذ قام النبي الجواريا أى فى النساء كثرة فتزوج بعضهن وخل ابنتى وهذان المعنيان هما اللذان دل عليهما ظاهر اللفظ وأما المعنى المقدر الذى يعلم من مفهوم الكلام فانه يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر باحياء البنات ونهى عن الوأد ولو أنكحتكها لكنت قد وأدتها اذ لا فرق بين انكاحك اياها وبين وأدها وهذا ذم للخاطب وهو معنى دقيق ومجيء المعانى المستخرجة من المفهومة قليل فى الشعر (وأما) ما يستدل عليه بقرينة ليست من توابعه فان ذلك أدق من الأول وألطف مأخذا فمما ورد منه قول النبي صلى الله عليه وسلم من جعل قاضيا بين الناس فقد ذبح بغير سكين فهذا يستخرج منه المعنيان المشار اليهما فالتام منهما يدل على أنه من جعل قاضيا فقد عرض نفسه لخطر عظيم كالذبح بغير سكين وأما المقدر فانه يدل على أنه من جعل قضيا فقد أمر بمفارقة هواه وهذا لا يدل عليه اللفظ بنفسه بل يستدل عليه بقرينة

والفيء هو الرجوع ومنه قول الله عز وجل حتى تفيء إلى أمر الله أى ترجع وقال امرؤ القيس

تيممت العين التى عند ضارج
يفيء عليها الظل عرمضها طامى

أى يرجع عليها الظل من جانب إلى جانب فهذا يدلك على معنى الفيء وقال الشماخ

اذا الارطى توسد ابرديه * خدود جآذر بالرمل عين

ابرداه الظل والفيء يريد وقت نصف النهار وكأن الظباء فى بعض ذلك الوقت كانت فى ظل ثم زالت الشمس فتحول الظل فصار فيئا فحولت خدودها (ومن ذلك الآل والسراب) لا يكادون يفرقون بينهما وانما الآل أول النهار وآخره الذى يرفع كل شيء وسمى آلا لأن الشخص هو الآل فلما رفع الشخص قيل هذا آل قد بدا وتبين قال النابغة الجعدى

حتى لحقنا بهم تعدى فوارسنا
كأننا رعن قف يرفع الآلا

وهذا من المقلوب أراد كأننا رعن قف يرفعه الآل وأما السراب فهو الذى تراه نصف النهار كأنه ماء قال الله عز وجل كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء (ومن ذلك الدلج) يذهب الناس إلى انه الخروج من المنزل فى آخر الليل وليس كذلك انما الدلج سير الليل قال الشاعر

كأنها وقد براها الاخماس * ودلج الليل وهاد قياس

أخرى ولكنها ليست من توابعه ووجه ذلك أن لفظ الحديث عام يشمل القضاة على الاطلاق ولا يخلو اما أن يراد به عذاب الآخرة أو عذاب الدنيا ولا يجوز أن يكون المراد به عذاب الآخرة لأنه ليس كل قاض معذبا فى الآخرة بل المعذب منهم قضاة السوء فوضح بهذا أن المراد بالحديث عذاب الدنيا وعلى هذا فلا يخلو إما أن يكون العذاب صورة أو معنى ولا يجوز أن يكون صورة لانا نرى الانسان إذا جعل قاضيا لا يذبح ولا يناله شىء من ذلك فبقى أن يكون المراد به عذابا معنويا وهو الذبح المجازى غير الحقيقى وفحوى ذلك ان نفس الانسان مركبة على حب هواها فاذا جعل قاضيا فقد أمر بترك ما جبل على حبه من الامتناع عن الرشوة والحكم لصديقه على عدوه ورفع الحجاب بينه و بين الناس والجلوس للحكم فى أوقات راحته وغير ذلك من الأشياء المكروهة التى تشق على النفس وتجددها ألما مبرحا والذبح هو قطع الحلقوم والألم حاصل به وهو كالذبح الحقيقى بل أشد منه لان ألم الذبح الحقيقى يكون لحظة واحدة ثم ينقضى ويزول وألم قطع النفس عن هواها يدوم ولا ينقضى وهو أشد العذاب قال الله تعالى فى عذاب أهل النار وحيل بينهم و بين ما يشتهون وقال فى نعيم أهل الجنة وفيها ماتشتهى الأنفس وتلذ الأعين وكثيرا ما رأينا وسمعنا من حمله حب الشىء على اتلاف نفسه فى طلبه وركوب الاهوال من أجله فاذا امتنع عنه مع حبه اياه فقد ذبح نفسه أى قطعها عنه كما يقطع الذابح حلق الذبيحة ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم انتقلنا عن الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر فسمى جهاد الكفار الجهاد الأصغر وجهاد النفس الجهاد الأكبر فكما أن مجاهدة النفس عن هواها قتال بغير سيف فكذلك قطعها عن هواها ذبح بغير سكين وهذا موضع غامض والترجيح فيه مختص بالوجه الآخر لاشتماله على المعنى المقصود وهو المراد من القضاة على الاطلاق (وأما) مثال المعنيين اذا كان أحدهما مناسبا لمعنى تقدمه أو لمعنى تأخر عنه والآخر غير مناسب فالاول هو ما كان مناسبا لمعنى تقدمه كقوله تعالى لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فالدعاء ههنا يدل على معنيين أحدهما النهى أن يدعى الرسول باسمه فيقال يامحمد كما يدعو بعضهم بعضا بأسمائهم وانما يقال له يارسول الله أو يا نبى الله الآخر النهى أن يجعلوا حضورهم عنده اذا دعاهم لامر من الامور كحضور بعضهم عند بعض بل يتأدبون معه بأن لا يفارقوا مجلسه الا باذنه وهذا الوجه هو المراد لمناسبة معنى الآية التى قبله وهو قوله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه وأما الثانى وهو ما كان مناسبا لمعنى تأخر عنه كقوله تعالى والتين والزيتون وطور سينين فالتين والزيتون ههنا هذا الشجر المعروف وهما اسما جبلين أيضا وتأويلهما بالجبلين أولى للمناسبة بينهما و بين ما أتى بعدهما من ذكر الجبل الذى هو الطور وعلى هذا ورد قول الشاعر فى أبيات الحماسة

ولو كنت مولى قيس عيلان لم تجد * علىّ لانسان من الناس درهما
ولكننى مولى قضاعة كلها * فلست أبالى أن أدين وتغرما

فاذا نظرنا الى البيت الأول وجدناه يحتمل مدحا وذما أى أنهم كانوا يغنونه بعطائهم أن يدين أو أنه كان يخاف الدين حذر أن لا يقوموا عنه بوفائه لكن البيت الثانى حقق أن الاول ذم وليس بمدح فهذا المعنى لا يتحقق فهمه الا بآخره وأما الذى يكون الترجيح فيه بسبب شىء خارج عن مفهوم اللفظ فقوله تعالى وهو الله فى السموات وفى الارض يعلم سركم وجهركم فهذا مستنبط منه معنيان أحدهما أن الله يعلم السر والجهر فى السموات والأرض وفى ذلك تقديم وتأخير أى يعلم سركم وجهركم فى السموات وفى الأرض الآخر أنه فى السموات وانه يعلم

يعنى الأسد وكان رجل من أصحاب اللغة يخطىء الشماخ فى قوله
وتشكو بعين ما أكل ركابها
وقيل المنادى أصبح القوم أدلجى
وقال كيف يكون الادلاج مع الصبح ولم يرد الشماخ ماذهب اليه وانما أراد المنادى كان مرة ينادى أصبح القوم كما يقول القائل لقوم أصبحوا وهم نيام أصبحتم كما تنامون وكان مرة ينادى ادلجى أى سيرى ليلا يقال أدلجت فأنا مدلج ادلاجا والاسم الدلج بفتح الدال واللام والدلجة فان أنت خرجت من آخر الليل فقد ادلجت بتشديد الدال تدلج ادلاجا والاسم منه الدلجة بضم الدال ومن الناس من يجيز الدلجة والدلجة فى كل واحد منهما كما يقال برهة من الدهر وبرة (ومن ذلك العرض) يذهب الناس الى انه سلف الرجل من آبائه وأمهاته وان القائل إذا قال شتم عرضى فلان يريد شتم آبائى وأمهاتى وأهل بيتى وليس كذلك انما عرض الرجل نفسه ومن شتم عرض رجل فانما ذكره فى نفسه بالسوء ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم فى أهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون وانما هو عرق يخرج من أعراضهم

السر والجهر فى الأرض من بنى آدم لان الوقف يكون على السموات ثم يستأنف الكلام فيقول يعلم سركم وجهركم فى الارض الا أن هذا يمنع منه اعتقاد التجسيم وذلك شىء خارج عن مفهوم اللفظ

﴿ الفصل الخامس فى جوامع الكلم ﴾ قال النبى صلى الله عليه وسلم أوتيت جوامع الكلم فالكلم جمع كلمة والجوامع جمع جامعة والجامعة اسم فاعلة من جمعت فهى جامعة كما يقال فى المذكر جمع فهو جامع والمراد بذلك أنه صلى الله عليه وسلم أوتى الكلم الجوامع للثانى وهو عندى ينقسم قسمين القسم الأول منهما هو مااستخرجته ونبهت عليه ولم يكن لاحد فيه قول سابق وهو أن لنا ألفاظا تتضمن من المعنى مالا تتضمنه أخواتها مما يجوز أن يستعمل فى مكانها (فمن ذلك) ما يأتى على حكم المجاز ومنه ما يأتى على حكم الحقيقة أما ما يأتى على حكم المجاز فقوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين الآن حمى الوطيس وهذا لم يسمع من أحد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو أتينا بمجاز غير ذلك فى معناه فقلنا استعرت الحرب لما كان مؤديا من المعنى ما يؤديه حمى الوطيس والفرق بينهما أن الوطيس هو التنور وهو موطن الوقود ومجتمع النار وذلك يخيل الى السامع أن هناك صورة شبيهة بصورته فى حميها وتوقدها وهذا لا يوجد فى قولنا استعرت الحرب او ماجرى مجراه وكذلك قال صلى الله عليه وسلم بعثت فى نفس الساعة فقوله نفس الساعة من العبارة العجيبة التى لايقوم غيرها مقامها لأن المراد بذلك أنه بعث والساعة قريبة منه لكن قربها منه لايدل على مادل عليه النفس وذلك أن النفس يدل على أن الساعة منه بحيث يحس بها كما يحس الانسان بنفس من هو الى جانبه وقد قال صلى الله عليه وسلم فى موضع آخر بعثت أنا والساعة كهاتين وجمع بين أصبعيه السبابة والوسطى ولو قال بعثت على قرب من الساعة أو والساعة قريبة منى لما دل ذلك على مادل عليه نفس الساعة وهذا لايحتاج الى الاطالة فى بيانه لانه بين واضح وقد ورد شىء من ذلك فى أقوال الشعراء المفلقين ولقد تصفحت الاشعار قديمها وحديثها وحفظت ماحفظت منها وكنت إذا مررت بنظرى فى ديوان من الدواوين ويلوح لى فيه مثل هذه الالفاظ أجد لها نشوة كنشوة الخمر وطربا كطرب الالحان وكثير من الناظمين والناثرين يمر على ذلك ولا يتفطن له سوى أنه يستحسنه من غير نظر فيما نظرت أنا فيه ويظنه كغيره من الالفاظ المستحسنة (فمما) جاء من ذلك قول أبى تمام

كم صارم عضب أناف على قفا * منهم لأعبا الوغى حمال
سبق المشيب اليه حتى ابتزه * وطن النهى من مفرق وقذال

فقوله وطن النهى من الكلمات الجامعة وهى عبارة عن الرأس ولا يجاء بمثلها فى معناها مما يسد مسدها وكذلك ورد قول البحترى

قلب يطل على افكاره ويد * تمضى الامور ونفس لهوها التعب

فقوله قلب يطل على أفكاره من الكلمات الجوامع ومراده بذلك أن قلبه لاتملؤه الافكار ولا تحيط به وانما هو عال عليها يصف بذلك عدم احتفاله بالقوادح وقلة مبالاته بالخطوب التى تحدث أفكارا تستغرق القلوب وهذه عبارة عجيبة لا يؤتى بمثلها مما يسد مسدها (وأما) ما يأتى على حكم الحقيقة فكقول ابن الرومى

سقى الله أوطارا لنا ومآربا * تقطع من أقرانها ما تقطعا
ليالى تنسينى الليالى حسابها * بلهنية أقضى بها الحول أجمعا
سوى عزة لا أعرف اليوم باسمه * وأعمل فيه اللهو مرأى ومسمعا

تشتمه ومن ذكرك بسوء فلا تذكره ودع ذلك قرضا لك عليه ليوم القصاص والجزاء ولم يرد اقرض عرضك من أبيك وأمك وأسلافك لان شتم هؤلاء ليس اليه التحليل منه فقال ابن عيينة لو أن رجلا أصاب من عرض رجل شيئا ثم تورع فجاء الى ورثته أو الى جميع أهل الارض فحللوه ماكان فى حل ولو أصاب من ماله ثم دفعه الى ورثته لكنا نرى ذلك كفارة فعرض الرجل أشد من ماله قال حسان بن ثابت الانصارى

هجوت محمدا وأجبت عنه * وعند الله فى ذاك الجزاء
فان أبى ووالده وعرضى * لعرض محمد منكم فداء

أراد فان أبى وجدى ونفسى فداء لنفس محمد ومما يزيد فى وضوح هذا حديث حدثنيه الزيادى عن حماد ابن زيد عن هشام عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيعجز أحدكم أن يكون كأبى ضمضم كان اذا خرج من منزله قال اللهم إنى تصدقت بعرضى عن عبادك (ومن ذلك العترة)

فقوله لا أعرف اليوم باسمه من الكلمات الجامعة أى انى قد شغلت باللذات عن معرفة الليالى والايام ولو وصف اشتغاله باللذات مهما وصف لم يأت بمثل قوله لا أعرف اليوم باسمه (وأما القسم الثانى) من جوامع الكلم فالمراد به الايجاز الذى يدل به بالالفاظ القليلة على المعانى الكثيرة أى ان ألفاظه صلوات الله عليه جامعة للمعانى المقصودة على ايجازها واختصارها وجل كلامه جار هذا المجرى فلا يحتاج الى ضرب الامثلة به وسيأتى فى باب الايجاز منه مافيه كفاية ومقنع ﴿فان قيل﴾ فما الفرق بين هذين القسمين اللذين ذكرتهما فانهما فى النظر سواء ﴿قلت﴾ فى الجواب ان الايجاز هو أن يؤتى بألفاظ دالة على معنى من غير أن تزيد على ذلك المعنى ولا يشترط فى تلك الالفاظ أنها لا نظير لها فانها تكون قد اتصفت بوصف آخر خارج عن وصف الايجاز وحينئذ يكون إيجازا وزيادة (وأما) هذا القسم الآخر فانه ألفاظ افراد فى حسنها لا نظير لها فتارة تكون موجزة وتارة لا تكون موجزة وليس الغرض منها الايجاز وانما الغرض مكانها من الحسن الذى لا نظير لها فيه ألا ترى الى قول أبى تمام وطن النهى فان ذلك عبارة عن الرأس ولاشك أن الرأس أوجز لان الرأس لفظة واحدة ووطن النهى لفظتان الا أن وطن النهى أحسن فى التعبير عن الرأس من الرأس فبان بهذا أن أحد هذين القسمين غير الآخر

﴿الفصل السادس فى الحكمة التى هى ضالة المؤمن﴾ قال النبى صلى الله عليه وسلم الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فهو أحق بها إذا وجدها والمراد بذلك أن الحكمة قد يستفيدها أهلها من غير أهلها كما يقال رب رمية من غير رام وهذا لا يخص علما واحدا من العلوم بل يقع فى كل علم والمطلوب منه ههنا هو ما يخص علم البيان من الفصاحة والبلاغة دون غيره ومذ سمعت هذا الخبر النبوى جعلت كدى فى تتبع أقوال الناس فى مفاوضاتهم ومحاوراتهم فانه قد تصدر الاقوال البليغة والحكم والامثال ممن لا يعلم مقدار ما يقوله فاستفدت بذلك فوائد كثيرة لا أحصرها عددا وأنا أذكر منها طرفا يستدل به على أشباهه ونظائره فمن ذلك انى سرت فى بعض الطرق وفى صحبتى رجل بدوى من الانباط لا يعتد بقوله فكان يقول غداً ندخل البلد وتشتغل عنى وكان الامر كما قال فدخلت مدينة حلب وشغلت عنه أياما ثم لقينى فقال لى من تروى فترت عظامه وهذا القول من الأقوال البليغة وهى من الحكمة التى هى الضالة المطلوبة عند مؤمنى الفصاحة والبلاغة ثم انى سمعت منه بعد ذلك شيئا يناسب قوله الاول فانى سافرت له الى صاحب فى حلب فى شىء أخذته منه فاستقله وقال الماء أروى لشدوق النيب وهذا أيضا من الحكمة فى بابها وسافرت مرة أخرى على طريق المناظر وكان فى صحبتى رجل بدوى فسألته عن مسافة ما بين تدمر وأراك فقال إذا خرج سرحا هما تلاقيا فعبر عن قرب المسافة بينهما بأوجز عبارة وأبلغها ثم سألته ليلة من الليالى عن الصبح انرتحل من موضعنا فقال قد ظهر الصبح الا أنه لم يملك الانسان بصره وهذا القول من الحكمة أيضا وكان تزوج غلام من غلمانى بدمشق فوقعت المرأة منه بموقع وشغف بها ثم انى سافرت عن دمشق لمهم عرض لى وسافر ذلك الغلام فى صحبتى فلما عدنا من السفر شغل بامرأته والمقام عندها فسألته عن حاله فقال انها قد طالت وحسنت وهى كذا وكذا وأخذ يصفها فقال أخ له كان حاضرا يامولاى هى تلك لم تزد شيئا وانما هى فى عينه جبار من الجبابرة وكذا القول قد ورد فى بعض أبيات الحماسة وهو معدود من أبيات المعانى

أهابك اجلالا وما بك قدرة * على ولكن ملء عين حبيبها

فكثيرا ما يصدر مثل هذه الاقوال عن ألسنة الجهال * وسمعت ما يجرى هذا المجرى من بعض العبيد الاحابيش الذين لا يستطيعون تقويم صيغ الالفاظ فضلا عما وراء ذلك وذاك أنه رأى

الله عنها وعترة الرجل ذريته وعشيرته الادنون من مضى منهم ومن غبر ويدلك على ذلك قول أبى بكر رضى الله عنه نحن عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى خرج منها وبيضته التى تفقأت عنه وانما جيبت العرب عنا كما جيبت الرحا عن قطبها ولو لم يكن أبو بكر رضوان الله عليه ليدعى بحضرة القوم جميعا مالا يعرفونه (ومن ذلك الخلف والكذب) لا يكاد الناس يفرقون بينهما والكذب فيما مضى وهو أن يقول فعلت كذا وكذا ولم يفعله والخلف مايستقبل وهو أن تقول سأفعل كذا وكذا ولا تفعله (ومن ذلك الجاعرة) يذهب الناس الى أنها حلقة الدبر وهى تحتمل أن تسمى جاعرة لانها تجعر أى تخرج الجعر ولكن العرب تجعل الجاعرتين من الفرس والحمار موضع الرقمتين من مؤخر الحمار قال كعب بن زهير يذكر الحمار والاتن

اذا ما انتحاهن شؤبوبه
رأيت لجاعرتيه غضونا

شؤبوبه شدة دفعته يقول اذا عدا واشتد عدوه رأيت لجاعرتيه تكسيرا لقبضة قوائمه وبسطه اياها وأما قول الهذلى فى صفة الضبع * عشنزرة جواعرها ثمان * فلا أعرف من أحد علما ثنا فيه قولا أرتضيه (ومن ذلك الفقير والمسكين) لا يكاد الناس يفرقون بينهما وقد فرق الله تعالى بينهما

صبيا

صبيا فى يده طاقة ريحان فقال هذه طاقة آس تحمل طاقة ريحان فلما سمعت ذلك منه أخذتنى هزة التعجب وذكرت شعر أبى نواس الذى تواصفه الناس فى هذا المعنى وهو قوله

ووردة جاء بها شادن * فى كفه اليمنى فحيانا
سبحت ربى حين أبصرتها * ريحانة تحمل ريحانا

وحضر عندى فى بعض الأيام رجل نصرانى موسوم بالطب وكان لا يحسن أن يقول كلمة واحدة وهو أقلف اللسان يسىء العبارة فسألته عن زيارة شخص وهل يتردد اليه أم لا فقال

ظلام الليل يهدينى الى باب من أوده * وضوء النهار يضل بى عن باب من لا أوده

وهذا من ألطف المعانى وأحسنها وهو من الحكمة المطلوبة * وكنت قصدت زيارة بعض الاخوان من الاجناد وهو من الاغتام الاعجام فسألته عن حاله وكان توالت عليه نكبات طالت أيامها وعظمت آلامها فقال لى فى الجواب ما معناه إنه لم يبق عندى ارتياع لوقوع نائبة من النوائب وهذا معنى لو أتى به شاعر مفلق أو كاتب بليغ لاستحسن منه غاية الاستحسان * وكنت فى سنة ثمان وثمانين وخمسمائة بأرض فلسطين فى الجيش الذى كان قبالة العدو الكافر من الفرنج لعنهم الله وتقابل الفريقان على مدينة يافا وكان الى جانبى ثلاثة فرسان من المسلمين فتعاقدوا على الحملة الى نحو العدو فلما حملوا اصدق منهم اثنان وتلكأ واحد فقيل له فى ذلك فقال الموت طعام لا تجشه المعدة فلما سمعت هذه الكلمة استحسنتها واذا هى صادرة عن رجل من أهل بصرى فدم من الأفدام ولو أخذت فى ذكر ما سمعته من هذا لأطلت وانما دللت بيسير ما ذكرته على المراد وهو أنه يجب على المتصدى للشعر والخطابة أن يتتبع أقوال الناس فى محاوراتهم فانه لا يعدم مما يسمعه منهم حكما كثيرة ولو أراد استخراج ذلك بفكره لأعجزه * ويحكى عن أبى تمام أنه لما نظم قصيدته البائية التى أولها

على مثلها من أربع وملاعب * انتهى منها الى قوله

يرى أقبح الاشياء أوبة آمل * كسته يد المأمول حلة خائب

ثم قال وأحسن من نور يفتحه الصبا * ووقف عند صدر هذا البيت يردده واذا سائل يسأل على الباب وهو يقول من بياض عطايا كم فى سواد مطالبنا فقال أبو تمام بياض العطايا فى سواد المطالب * فأتم صدر البيت الذى كان يردده من كلام السائل * وسمعت امرأة قد توفى لها ولد وهو بكرها الذى هو أول أولادها فقالت كيف لا أحزن لذهابه وهو أول درهم وقع فى الكيس فأخذت أنا هذا المعنى وأودعته كتابا من كتبى فى التعازى وهو كتاب كتبته الى بعض الاخوان وقد توفى بكره من الاولاد فقلت وهو أول درهم ادخرته فى كيس الادخار وأعددته لحوادث الليل والنهار (و بلغنى) عن الشيخ أبى محمد أحمد بن أحمد المعروف بابن الخشاب البغدادى وكان إماما فى علم العربية وغيره فقيل انه كان كثيرا ما يقف على حلق القصاص والمشعبذين فاذا أتاه طلبة العلم لا يجدونه فى أكثر أوقاته إلا هناك فليم على ذلك وقيل له أنت إمام الناس فى العلم وما الذى يبعثك على الوقوف بهذه المواقف الرذيلة فقال لو علمتم ما أعلم لما لمتم ولطالما استفدت من هؤلاء الجهال فوائد كثيرة تجرى فى ضمن هذيانهم معانى غريبة لطيفة ولو أردت أنا أو غيرى أن نأتى بمثلها لما استطعنا ذلك ولا شك أن هذا الرجل رأى ما رأيته ونظر الى ما نظرت اليه

(الفصل السابع فى الحقيقة والمجاز) وهذا الفصل مهم كبير من مهمات علم البيان لا بل هو علم البيان بأجمعه فان فى تصريف العبارات على الاسلوب المجازى فوائد كثيرة وسيرد بيانها

فى آية الصدقات فقال جل ثناؤه انما الصدقات للفقراء والمساكين وجعل لكل صنف سهما والفقير الذى له البلغة من العيش والمسكين الذى لا شىء له قال الراعى

أما الفقير الذى كانت حلوبته * وفق العيال فلم يترك لها سبد

فجعل له حلوبة وجعلها وفقا لعياله أى قوتا لا فضل فيه (ومن ذلك الخائن والسارق) لا يكاد الناس يفرقون بينهما والخائن الذى أو تمن فأخذ قال النمر بن تولب

وان بنى ربيعة بعد وهب * كراعى البيت يحفظه فخانا

والسارق من سرقك سرا بأى وجه كان ويقال كل خائن سارق وليس كل سارق خائنا والغاصب الذى جاهرك ولم يستتر والقطع فى السرق دون الخيانة والغصب (ومن ذلك البخيل واللئيم) يذهب الناس الى أنهما سواء وليس كذلك انما البخيل الشحيح الضنين واللئيم الذى جمع الشح ومهانة النفس ودناءة الآباء يقال كل لئيم بخيل وليس كل بخيل لئيما * قال أبو يزيد الملوم الذى يلام ولا ذنب له والمليم الذى يأتى ما يلام عليه قال الله عز وجل فالتقمه الحوت وهو مليم والمليام الذى يقوم بعذر اللئام (ومن ذلك التلاد والتليد) لا يفرق الناس بينهما والتليد ما ولد عند غيرك ثم اشتريته صغيرا فنبت عندك والتلاد ما ولد عندك ومنه حديث شريح فى رجل اشترى جارية وشرطوا أنها مولدة

فى مواضعها من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى وقد نبهنا في هذا الموضع على جملتها دون تفصيلها فأما الحقيقة فهى اللفظ الدال على موضوعه الاصلى وأما المجاز فهو ما أريد به غير المعنى الموضوع له فى أصل اللغة وهو مأخوذ من جاز من هذا الموضع إلى هذا الموضع إذا تخطاه اليه فالمجاز إذاً اسم للمكان الذى يجاز فيه كالمعاج والمزار وأشباههما وحقيقته هى الانتقال من مكان الى مكان فجعل ذلك لنقل الالفاظ من محل الى محل كقولنا زيد أسد فان زيد إنسان والاسد هو هذا الحيوان المعروف وقد جزنا من الانسانية الى الاسدية أى عبرنا من هذه الى هذه لوصلة بينهما وتلك الوصلة هى صفة الشجاعة وقد يكون العبور لغير وصلة وذلك هو الاتساع كقولهم في كتاب كليلة ودمنة قال الأسد وقال الثعلب فان القول لاوصلة بينه وبين هذين بحال من الاحوال وانما أجرى عليهما اتساعا محضاً لاغير ولهذا مثال فى المجاز الحقيقى الذى هو المكان المجاز فيه فانه لايخلو إما أن يجاز من سهل إلى سهل أو من وعر إلى وعر أو من سهل إلى وعر فالجواز من سهل الى سهل أو من وعر الى وعر هو كقولنا زيد أسد فالمشابهة حاصلة فى ذات بينهما كالمشابهة الحاصلة فى المكان والجواز من سهل إلى وعر كقولهم قال الأسد وقال الثعلب فكما أنه لامشابهة بين القول وبين هذين فكذلك لامشابهة بين السهل والوعر وسيأتى كشف الغطاء عن ذلك واشباع القول فى تحقيقه فى باب الاستعارة فليؤخذ من هناك وقد ذهب قوم الى ان الكلام كله حقيقة لامجاز فيه وذهب آخرون الى أنه كله مجاز لاحقيقة فيه وكلا هذين المذهبين فاسد عندى وسأجيب الخصم عما ادعاه فيهما فأقول محل النزاع هو أن اللغة كلها حقيقة أو أنها كلها مجاز ولا فرق عندى بين قولك انها كلها حقيقة أو أنها كلها مجاز فان كلا الطرفين عندى سواء لان منكرهما غير مسلم لهما وأنا بصدد أن أبين أن فى اللغة حقيقة ومجازا والحقيقة اللغوية هى حقيقة الالفاظ فى دلالاتها على المعانى وليست بالحقيقة التى هى ذات الشىء أى نفسه وعينه فالحقيقة اللفظية إذاً هى دلالة اللفظ على المعنى الموضوع له فى أصل اللغة والمجاز هو نقل المعنى عن اللفظ الموضوع له إلى لفظ آخر غيره وتقرير ذلك بأن أقوال المخلوقات كلها تفتقر إلى أسماء يستدل بها عليها ليعرف كل منها باسمه من أجل التفاهم بين الناس وهذا يقع ضرورة لابد منها فالاسم الموضوع بازاء المسمى هو حقيقة له فاذا نقل إلى غيره صار مجازا ومثال ذلك أنا إذا قلنا شمس أردنا به هذا الكوكب العظيم الكثير الضوء وهذا الاسم له حقيقة لانه وضع بازائه وكذلك إذا قلنا بحر أردنا به هذا الماء العظيم المجتمع الذى طعمه ملح وهذا الاسم له حقيقة لانه وضع بازائه فاذا نقلنا الشمس الى الوجه المليح استعارة كان ذلك له مجازاً لاحقيقة وكذلك إذا نقلنا البحر إلى الرجل الجواد استعارة كان ذلك له مجازاً لاحقيقة ﴿فان قيل﴾ ان الوجه المليح يقال له شمس وهو حقيقة فيه وكذلك البحر يقال للرجل الجواد وهو حقيقة فيه (فالجواب) عن ذلك من وجهين أحدهما نظرى والآخر وضعى أما النظرى فهو أن الالفاظ إنما جعلت أدلة على افهام المعانى ولو كان ما ذهبت اليه صحيحا لكان البحر يطلق على هذا الماء العظيم الملح وعلى الرجل الجواد بالاشتراك وكذلك الشمس أيضا فانها كانت تطلق على هذا الكوكب العظيم الكثير الضوء وعلى الوجه المليح بالاشتراك وحينئذ فاذا ورد أحد هذين اللفظين مطلقا بغير قرينة تخصصه فلا يفهم المراد به ما هو من أحد المعنيين المشتركين المندرجين تحته ونحن نرى الامر بخلاف ذلك فانا إذا قلنا شمس أو بحر وأطلقنا القول لايفهم من ذلك وجه مليح ولا رجل جواد وانما يفهم منه ذلك الكوكب المعلوم وذلك الماء المعلوم لاغير فبطل إذاً ما ذهبت إليه بما بيناه وأوضحناه ﴿فان قلت﴾ إن العرف يخالف ما ذهبت إليه فان من الالفاظ ما إذا

ٯوجدها تليدة فالمولدة بمنزلة التلاد وهما ما ولد عندك والتليدة فى حديث شريح التى ولدت ببلاد العجم وحملت صغيرة فنبتت ببلاد الاسلام (ومن ذلك الحمد والشكر) لايفرق الناس بينهما فالحمد الثناء على الرجل بما فيه من الحسن تقول حمدت الرجل إذا أثنيت عليه بكرم أو حسب أو شجاعة وأشباه ذلك والشكر له الثناء عليه بمعروف اولاكه وقد يوضع الحمد موضع الشكر فيقال حمدته على معروفه عندى كما يقال شكرت له ولا يوضع الشكر موضع الحمد فيقال شكرت له على شجاعته (ومن ذلك الجبهة والجبين) لا يكاد الناس يفرقون بينهما فالجبهة مسجد الرجل الذى يصيبه ندب السجود والجبينان يكتنفانها من كل جانب جبين (ومن ذلك اللبة) يذهب الناس إلى أنها النقرة التى فى النحر وذلك غلط إنما اللبة المنحر فأما النقرة فهى الثغرة (ومن ذلك الأرى) يذهب الناس إلى أنه المعلف وذلك غلط انما الارى الاخسية التى تشد بها الدواب وهى من تأريت المكان إذا أقمت به قال الشاعر الأعشى

لايتآرى لما فى القدر يرقبه ... ولا يعض على شرسوفه الصفر

أى لايتجسس على إدراك القدر ليأكل منها وتقدير آرى من الفعل فاعول (ومن ذلك المذلة) يذهب

اطاق

أطلق لم يذهب الفهم منه الا الى المجاز دون الحقيقة كقولهم الغائط فان العرف خصص ذلك بقضاء الحاجة دون غيره من المطمئن من الأرض (قلت) في الجواب هذا شيء ذهب اليه الفقهاء وليس الأمر كما ذهبوا اليه لأنه ان كان إطلاق اللفظ فيه بين عامة الناس من اسكاف وحداد ونجار وخباز ومن جرى مجراهم فهؤلاء لا يفهمون من الغائط الا قضاء الحاجة لأنهم لم يعلموا أصل وضع هذه الكلمة وأنها مطمئن من الأرض وأما خاصة الناس الذين يعلمون أصل الوضع فانهم لا يفهمون عند اطلاق اللفظ الا الحقيقة لا غير ألا ترى أن هذه اللفظة لما وردت في القرآن الكريم وأريد بها قضاء الحاجة قرنت بألفاظ تدل على ذلك كقوله تعالى أو جاء أحد منكم من الغائط فان قوله أو جاء أحد منكم من الغائط دليل على أنه أراد قضاء الحاجة دون المطمئن من الأرض فالكلام في هذا وأمثاله انما هو مع علم أصل الوضع حقيقة والنقل عنه مجازا وأما الجهال فلا اعتبار بهم ولا اعتداد بأقوالهم والعجب عندي من الفقهاء الذين دونوا ذلك على مادونوه وذهبوا الى ماذهبوا اليه وأما الوجه الوضعي فهو أن المرجع في هذا وما يجري مجراه الى أصل اللغة التي هي وضع الاسماء على المسميات ولم يوجد فيها أن الوجه المليح يسمى شمسا ولا أن الرجل الجواد يسمى بحرا وانما أهل الخطابة والشعر توسعوا في الاساليب المعنوية فنقلوا الحقيقة الى المجاز ولم يكن ذلك من واضع اللغة في أصل الوضع ولهذا اختص كل منهم بشيء اخترعه في التوسعات المجازية هذا امرؤ القيس قد اخترع شيئا لم يكن قبله فمن ذلك أنه أول من عبر عن الفرس بقوله قيد الأوابد ولم يسمع ذلك لأحد من قبله وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم حنين الآن حمي الوطيس وأراد بذلك شدة الحرب فان الوطيس في أصل الوضع هو التنور فنقل الى الحرب استعارة ولم يسمع هذا اللفظ على هذا الوجه من غير النبي صلى الله عليه وسلم وواضع اللغة ماذكر شيئا من ذلك فعلمنا حينئذ أن من اللغة حقيقة بوضعه ومجازا بتوسعات أهل الخطابة والشعر وفي زماننا هذا قد يخترعون أشياء من المجاز على حكم الاستعارة لم تكن من قبل ولو كان هذا موقوفا من جهة واضع اللغة لما اخترعه أحد من بعده ولا زيد فيه ولا نقص منه * وأما الفرق بينه وبين الحقيقة فهو أن الحقيقة جارية على العموم في نظائر ألا ترى أنا اذا قلنا فلان عالم صدق على كل ذي علم بخلاف واسأل القرية لأنه لا يصح الا في بعض الجمادات دون بعض إذ المراد أهل القرية لأنهم ممن يصح السؤال لهم ولا يجوز أن يقال واسأل الحجر والتراب وقد يحسن أن يقال واسأل الربع والطلل (واعلم) أن كل مجاز فله حقيقة لانه لم يصح أن يطلق عليه اسم المجاز الا لنقله عن حقيقة موضوعة له إذ المجاز هو اسم للوضع الذي ينتقل فيه من مكان إلى مكان فجعل ذلك لنقل الالفاظ من الحقيقة إلى غيرها وإذا كان كل مجاز لابدله من حقيقة نقل عنها إلى حالته المجازية فكذلك ليس من ضرورة كل حقيقة أن يكون لها مجاز فان من الاسماء مالا مجاز له كأسماء الاعلام لانها وضعت للفرق بين الذوات لا للفرق بين الصفات وكذلك فاعلم أن المجاز أولى بالاستعمال من الحقيقة في باب الفصاحة والبلاغة لانه لولم يكن كذلك لكانت الحقيقة التي هي الأصل أولى منه حيث هو فرع عليها وليس الأمر كذلك لانه قد ثبت وتحقق أن فائدة الكلام الخطابي هو إثبات الغرض المقصود في نفس السامع بالتخييل والتصوير حتى يكاد ينظر اليه عيانا ألا ترى أن حقيقة قولنا زيد أسد هي قولنا زيد شجاع لكن فرق بين القولين في التصوير والتخييل وإثبات الغرض المقصود في نفس السامع لان قولنا زيد شجاع لا يتخيل منه السامع سوى أنه رجل جريء مقدام فاذا قلنا زيد أسد يخيل عند ذلك صورة الأسد وهيئته وماعنده من البطش والقوة

الناس الى بها الخبزة فيقولون أطعمنا ملة وذلك غلط إنما الملة موضع الخبزة سمى بذلك لحرارته ومنه قيل فلان يتململ على فراشه والأصل يتملل فأبدل من احدى اللامات ميما ويقال مللت الخبزة في الملة أملها ملا والصواب ان تقول أطعمنا خبز ملة (ومن ذلك العبير) يذهب الناس الى أنه أخلاط من الطيب وقال أبو عبيدة العبير عند العرب الزعفران وحده وأنشد للاعشى

وتبرد برد رداء العرو س في الصيف رقرقت فيه العبيرا

ورقرقت بمعنى رققت فأبدلوا من القاف الوسطى راء كما قالوا حثحث والأصل حثثته أي صبغته بالزعفران وصقلته وكان الاصمعي يزعم أن العبير أخلاط تجمع بالزعفران ولا أرى القول إلا ماقال الاصمعي لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمرأة تعجز إحداكن أن تتخذ تومتين ثم تلطخها بعبير أو زعفران ففرق صلى الله عليه وسلم بين العبير والزعفران (والتومة) حبة تعمل من فضة كالدرة وكان بعض أصحاب اللغة يذهب في قول بعض الناس خرجنا نتنزه إذا خرجوا الى البساتين الى الغلط وقال انما التنزه التباعد عن المياه والريف ومنه يقال فلان يتنزه عن الاقذار أي يباعد نفسه عنها وفلان نزيه كريم إذا كان بعيدا عن اللوم وليس هذا عندي

ودق الفرائس وهذا لانزاع فيه وأعجب ما فى العبارة المجازية أنها تنقل السامع عن خلقه الطبيعى فى بعض الأحوال حتى أنها ليسمح بها البخيل ويشجع بها الجبان ويحكم بها الطائش المتسرع ويجد المخاطب بها عند سماعها نشوة كنشوة الخمر حتى اذا قطع عنه ذلك الكلام أفاق وندم على ما كان منه من بذل مال أو ترك عقوبة أو اقدام على أمر مهول وهذا هو فحوى السحر الحلال المستغنى عن القاء العصا والحبال (واعلم) أنه إذا ورد عليك كلام يجوز أن يحمل معناه عن طريق الحقيقة وعلى طريق المجاز باختلاف لفظه فانظر فان كان لامزية لمعناه فى حمله على طريق المجاز فلا ينبغى أن يحمل الا على طريق الحقيقة لأنها هى الأصل والمجاز هو الفرع ولا يعدل عن الأصل الى الفرع الا لفائدة مثال ذلك قول البحترى

مهيب كحد السيف لو ضربت به * ذرى أجا ظلت وأعلامها وهد

ويروى أيضا لو ضربت به طلى أجا جمع طلية وهى العنق فهذا البيت لايجوز حمله على المجاز لان الحقيقة أولى به ألا ترى أن الذرى جمع ذروة وهو أعلى الشىء يقال ذروة الجبل أعلاه والطلى جمع طلية وهى العنق والعنق أعلى الجسد ولا فرق بينهما فى صفة العلو هنا فلا يعدل إذا إلى المجاز إذ لا مزية له على الحقيقة وهكذا كل ما يجىء من الكلام الجارى هذا المجرى فانه ان لم يكن فى المجاز زيادة فائدة على الحقيقة لا يعدل اليه

﴿ الفصل الثامن فى الفصاحة والبلاغة ﴾ اعلم ان هذا باب متعذر على الوالج ومسلك متوعر على الناهج ولم يزل العلماء من قديم الوقت وحديثه يكثرون القول فيه والبحث عنه ولم أجد من ذلك ما يعول عليه إلا القليل وغاية ما يقال فى هذا الباب ان الفصاحة هى الظهور والبيان فى أصل الوضع اللغوى يقال أفصح الصبح إذا ظهر ثم أنهم يقفون عند ذلك ولا يكشفون عن السر فيه وبهذا القول لا تتبين حقيقة الفصاحة لأنه يعترض عليه بوجوه من الاعتراضات أحدها أنه إذا لم يكن اللفظ ظاهرا بينا لم يكن فصيحا ثم إذا ظهر وتبين صار فصيحا الوجه الآخر أنه إذا كان اللفظ الفصيح هو الظاهر البين فقد صار ذلك بالنسب والاضافات إلى الاشخاص فان اللفظ قد يكون ظاهرا لزيد ولا يكون ظاهرا لعمرو فهو إذا فصيح عند هذا وغير فصيح عند هذا وليس كذلك بل الفصيح هو فصيح عند الجميع لا خلاف فيه بحال من الأحوال لأنه إذا تحقق حد الفصاحة وعرف ماهى لم يبق فى اللفظ الذى يختص به خلاف الوجه الآخر أنه إذا جىء بلفظ قبيح ينبو عنه السمع وهو مع ذلك ظاهر بين ينبغى أن يكون فصيحا وليس كذلك لأن الفصاحة وصف حسن اللفظ لا وصف قبح فهذه الاعتراضات الثلاثة واردة على قول القائل ان اللفظ الفصيح هو الظاهر البين من غير تفصيل * ولما وقفت على أقوال الناس فى هذا الباب ملكتنى الحيرة فيها ولم يثبت عندى منها ما أعول عليه ولكثرة ملابستى هذا الفن ومعاركتى إياه انكشف لى السر فيه وسأوضحه فى كتابى هذا وأحقق القول فيه فأقول ان الكلام الفصيح هو الظاهر البين وأعنى بالظاهر البين أن تكون ألفاظه مفهومة لا يحتاج فى فهمها الى استخراج من كتاب لغة وانما كانت بهذه الصفة لأنها تكون مألوفة الاستعمال بين أرباب النظم والنثر دائرة فى كلامهم وإنما كانت مألوفة الاستعمال دائرة فى الكلام دون غيرها من الالفاظ لمكان حسنها وذلك ان أرباب النظم والنثر غربلوا اللغة باعتبار ألفاظها وسبروا وقسموا فاختاروا الحسن من الالفاظ فاستعملوه ونفوا القبيح منها فلم يستعملوه فحسن الاستعمال سبب استعمالها دون غيرها واستعمالها دون غيرها سبب ظهورها وبيانها فالفصيح إذاً من الالفاظ هو الحسن (فان قيل) من أى وجه علم أرباب النظم والنثر الحسن من الالفاظ

خطأ لان البساتين فى كل مصر وفى كل بلد انما تكون خارج المصر فاذا اراد الرجل آن يأتيها فقد أراد أن يتنزه أى يتباعد عن المنازل والبيوت ثم كثر هذا واستعمل حتى صارت النزهة القعود فى الخضر والجنان (ومن ذلك الاعجمى والعجمى والاعرابى والعربى) لايكاد عوام الناس يفرقون بينهما فالاعجمى الذى لا يفصح وان كان نازلا فى البادية والعجمى المنسوب الى العجم وان كان فصيحا والاعرابى هو البدوى وان كان بالحضر والعربى المنسوب إلى العرب وإن لم يكن بدويا (ومن ذلك اشلاء الكلب) هو عند الناس اغراؤه بالصيد وبغيره مما تريد أن يحمل عليه وذلك غلط وانما اشلاء الكلب أن تدعوه اليك وكذلك الناقة والشاة قال الراجز

اشليت عنزى ومسحت قعبى

يريد أنه دعا عنزه ليحلبها فأما اغراء الكلب بالصيد فهو الايساد تقول أسدته وأوسدته اذا أغريته (ومن ذلك حاشية الثوب) يذهب الناس إلى أنها جانبه الذى لا هدب له وذلك غلط وحواشى الثوب جوانبه كلها فأما جانبه الذى لا هدب له فهو طرته وكفته (ومن ذلك الهجنة والاقراف) لا يكاد يفرق الناس بينهما فالهجنة انما تكون من قبل الأم فاذا كان الأب عتيقا والأم ليست كذلك كان الولد هجينا والاقراف من قبل الأب

حتى

حتى استعملوه وعلموا القبيح منها حتى نفوه ولم يستعملوه (قلت فى الجواب) ان هذا من الأمور المحسوسة التى شاهدها من نفسها لان الالفاظ داخلة فى حيز الأصوات فالذى يستلذه السمع منها ويميل اليه هو الحسن والذى يكرهه وينفر عنه هو القبيح ألا ترى أن السمع يستلذ صوت البلبل من الطير وصوت الشحرور ويميل اليهما ويكره صوت الغراب وينفر عنه وكذلك يكره نهيق الحمار ولا يجد ذلك فى صهيل الفرس والالفاظ جارية هذا المجرى فانه لاخلاف فى أن لفظة المزنة والديمة حسنة يستلذها السمع وأن لفظة البعاق قبيحة يكرهها السمع وهذه اللفظات الثلاثة من صفة المطر وهى تدل على معنى واحد ومع هذا فانك ترى لفظتى المزنة والديمة وماجرى مجراهما مألوفة الاستعمال وترى لفظ البعاق وماجرى مجراه متروكا لا يستعمل وان استعمل فانما يستعمله جاهل بحقيقة الفصاحة أومن ذوقه غير ذوق سليم لاجرم أنه ذم وقدح فيه ولم يلتفت اليه وان كان عربيا محضا من الجاهلية الاقدمين فان حقيقة الشىء إذا علمت وجب الوقوف عندها ولم يعرج على ماخرج عنها واذن ثبت أن الفصيح من الالفاظ هو الظاهر البين وانما كان ظاهرا بينا لانه مألوف الاستعمال وانما كان مألوف الاستعمال لمكان حسنه وحسنه مدرك بالسمع والذى يدرك بالسمع انما هو اللفظ لانه صوت يأتلف عن مخارج الحروف فما استلذه السمع منه فهو الحسن وما كرهه فهو القبيح والحسن هو الموصوف بالفصاحة والقبيح غير موصوف بفصاحة لانه ضدها لمكان قبحه وقد مثلت ذلك فى المثال المتقدم بلفظة المزنة والديمة ولفظة البعاق ولو كانت الفصاحة لامر يرجع الى المعنى لكانت هذه الالفاظ فى الدلالة عليه سواء ليس منها حسن ومنها قبيح ولما لم يكن كذلك علمنا أنها تخص اللفظ دون المعنى وليس لقائل ههنا أن يقول لا لفظ الا بمعنى فكيف فصلت أنت بين اللفظ والمعنى فانى لم أفصل بينهما وانما خصصت اللفظ بصفة هى له والمعنى يجىء فيه ضمنا وتبعا ﴿الوجه الثانى﴾ ان وزن فعيل هو اسم فاعل من فعل بفتح الفاء وضم العين نحو كرم فهو كريم وشرف فهو شريف ولطف فهو لطيف وهذا مطرد فى بابه وعلى هذا فان اللفظ الفصيح هو اسم فاعل من فصح فهو فصيح واللفظ هو الفاعل للابانة عن المعنى فكانت الفصاحة مختصة به (فان قيل) انك قلت ان الفصيح من الالفاظ هو الظاهر البين أى المفهوم ونرى من آيات القرآن مالا يفهم ما تضمنه من المعنى الا باستنباط وتفسير وتلك الآيات فصيحة لامحالة وهذا بخلاف ماذكرته ﴿قلت﴾ لان الآيات التى تستنبط وتحتاج الى تفسير ليس شىء منها الا ومفردات ألفاظه كلها ظاهرة واضحة وانما التفسير يقع فى غموض المعنى من جهة التركيب لامن جهة ألفاظه المفردة لان معنى المفردة يتداخل بالتركيب ويصير له هيئة تخصه وهذا ليس قادحا فى فصاحة تلك الالفاظ لانها إذا اعتبرت لفظة لفظة وجدت كلها فصيحة أى ظاهرة واضحة وأعجب مافى ذلك أن تكون الالفاظ المفردة التى تركبت منها المركبة واضحة كلها واذا نظر اليها مع التركيب احتاجت الى استنباط وتفسير وهذا لايختص به القرآن وحده بل فى الاخبار النبوية والاشعار والخطب والمكاتبات كثير من ذلك (وسأورد ههنا منه شيئا فأقول) قد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال صومكم يوم تصومون وفطركم يوم تفطرون وأضحاكم يوم تضحون وهذا الكلام مفهومة مفردات ألفاظه لان الصوم والفطر والاضحى مفهوم كله واذا سمع هذا الخبر من غير فكرة قيل علمنا أن صومنا يوم نصوم وفطرنا يوم نفطر وأضحانا يوم نضحى فما الذى أعلمنا به مما لم نعلمه واذا أمعن الناظر نظره فيه علم أن معناه يحتاج الى استنباط والمراد به أنه إذا اجتمع الناس على أن أول شهر رمضان يوم كذا ولم يكن ذلك اليوم أوله فان الصوم صحيح وأوله

فاذا كانت الام من العتاق والاب ليس كذلك كان الولد مقرفا وأنشد أبو عبيدة لهند ابنة النعمان بن بشير فى روح ابن زنباع

وهل هند الا مهرة عربية سليلة أفراس تحللها بغل
فان نتجت مهرا كريما فبالحرى وان يك اقراف فأقرفه الفحل

﴿باب ماجاء مثنى فى مستعمل الكلام﴾

يقال ذهب منه (الاطيبان) يراد الاكل والنكاح (أهلك الرجال الاحمران) الخمر واللحم (وأهلك النساء الاصفران) الذهب والزعفران اجتمع للمرأة (الابيضان) الشحم والشباب أتى عليه (العصران) الغداة والعشى (والملوان) الليل والنهار وهما الجديدان (والعمران) أبو بكر وعمر (والاسودان) التمر والماء قالت عائشة رضى الله عنها لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومالنا طعام الا الاسودان التمر والماء وقال حجازى لرجل استضافه ماعندنا الا الاسودان فقال له خير كثير قال لعلك تظنهما التمر والماء فقال والله ماهما الا الليل والحرة (والاصغران) القلب واللسان (والاصرمان) الذئب والغراب لانهما انصرما من الناس (والخافقان) المشرق والمغرب لان الليل والنهار يخفقان فيهما وقولهم لا يدرى أى طرفيه أطول

هو ذلك اليوم الذى اجتمع الناس عليه وكذا يقال فى يوم الفطر ويوم الاضحى ولهذا الخبر المشار اليه أشباه كثيرة تفهم معانى ألفاظها المفردة واذا تركبت تحتاج فى فهمها الى استنباط (وأما) ماورد من ذلك شعرا فكقول أبى تمام

ولهت فأظلم كل شىء دونها * وأضاء منها كل شىء مظلم

فان الوله والظلمة والاضاءة كل ذلك مفهوم المعنى لكن البيت بجملته يحتاج فى فهمه الى استنباط والمراد به أنها ولهت فأظلم ما بينى وبينها نالنى من الجزع لولها كما يقول الجازع أظلمت الارض على أى انى صرت كالاعمى الذى لا يبصر وأما قوله وأضاء منها كل شىء مظلم أى وضح لى منها ما كان مستتراعنى من حبها اياى وكذلك ورد قول أبى عبادة البحترى فى منهزم

إذا سار سهبا عاد ظهرا عدوه * وكان الصديق بكرة ذلك السهب

فان السير والسهب والظهر والعدو والصديق كل ذلك مفهوم المعنى لكن البيت بمجموعه يحتاج معناه الى استنباط والمراد ان هذا المنهزم يرى ما بين يديه محبوبا اليه وما خلفه مكروها عنده لانه يطلب النجاة فيؤثر البعد مما خلفه والقرب مما أمامه فاذا قطع سهبا وخلفه وراءه صار عنده كالعدو وقبل أن يقطعه كان له صديقا أى يطلب لقاءه ويحب الدنو منه فانظر أيها المتأمل الى ما ذكرته من هذه الامثلة حتى يثبت عندك ما أردت بيانه ﴿وأما البلاغة﴾ فان أصلها فى وضع اللغة من الوصول والانتهاء يقال بلغت المكان إذا انتهيت اليه ومبلغ الشىء منتهاه وسمى الكلام بليغا من ذلك أى أنه قد بلغ الاوصاف اللفظية والمعنوية والبلاغة شاملة للالفاظ والمعانى وهى أخص من الفصاحة كالانسان من الحيوان فكل انسان حيوان وليس كل حيوان انسانا وكذلك يقال كل كلام بليغ فصيح وليس كل كلام فصيح بليغا ويفرق بينها وبين الفصاحة من وجه آخر غير الخاص والعام وهو أنها لا تكون الا فى اللفظ والمعنى بشرط التركيب فان اللفظة الواحدة لا يطلق عليها اسم البلاغة ويطلق عليها اسم الفصاحة اذ يوجد فيها الوصف المختص بالفصاحة وهو الحسن وأما وصف البلاغة فلا يوجد فيها لخلوها من المعنى المفيد الذى ينتظم كلاما ﴿مسئلة تتعلق بهذا الفصل﴾ هل أخذ علم البيان من ضروب الفصاحة والبلاغة بالاستقراء من أشعار العرب أم بالنظر وقضية العقل ﴿الجواب عن ذلك﴾ انا نقول لم يؤخذ علم البيان بالاستقراء فان العرب الذين ألفوا الشعر والخطب لا يخلو أمرهم من حالين اما أنهم ابتدعوا ما أتوا به من ضروب الفصاحة والبلاغة بالنظر وقضية العقل أو أخذوه بالاستقراء ممن كان قبلهم فان كانوا ابتدعوه عند وقوفهم على أسرار اللغة ومعرفة جيدها من رديئها وحسنها من قبيحها فكذلك هو الذى أذهب اليه وان كانوا أخذوه بالاستقراء ممن كان قبلهم فهذا يتسلسل الى أول من ابتدعه ولم يستقره فان كل لغة من اللغات لا تخلو من وصفى الفصاحة والبلاغة المختصين بالالفاظ والمعانى الا أن للغة العربية مزية على غيرها لما فيها من التوسعات التى لا توجد فى لغة أخرى سواها ﴿مسئلة أخرى تتعلق بهذا الفصل أيضا﴾ هل علم البيان من الفصاحة والبلاغة جار مجرى علم النحو أم لا ﴿الجواب عن ذلك﴾ انا نقول الفرق بينهما ظاهر وذاك أن أقسام النحو أخذت من واضعها بالتقليد حتى لو عكس القضية فيها لجازله ذلك ولما كان العقل يأباه ولا ينكره فانه لو جعل الفاعل منصوبا والمفعول مرفوعا قلد فى ذلك كما قلد فى رفع الفاعل ونصب المفعول وأما علم البيان من الفصاحة والبلاغة فليس كذلك لانه استنبط بالنظر وقضية العقل من غير واضع اللغة ولم يفتقر فيه الى التوقيف منه بل أخذت ألفاظ ومعان على هيئة مخصوصة وحكم لها العقل بمزية من الحسن لا يشاركها

وما بعد شتم الوالدين صلوح

يريد أجداده من قبل أبيه وأمه يقال فلان كريم الطرفين يراد به الابوان وقال ابن الاعرابى فى قولهم لا يدرى أى طرفيه أطول قال طرفاه ذكره ولسانه

﴿باب تأويل المستعمل من مزدوج الكلام﴾

(له الطم والرم) الطم البحر والرم الثرى (له الضيح والريح) الضيح الشمس أى ما طلعت عليه الشمس وما جرت الريح (له الويل والأليل) الأليل الانين قال ابن مياده وقولا لها ما تأمرين بوامق له بعد نومات العيون أليل (أكذب من دب ودرج) أى أكذب من الاحياء والاموات يقال للقوم اذا انقرضوا درجوا (لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا) الصرف التوبة والعدل الفدية قال الله تعالى وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أى وان تفد كل فداء وقال يونس الصرف الحيلة ومنه قيل انه يتصرف فى كذا وكذا قال الله تعالى فما يستطيعون صرفا ولا نصرا (ويقولون لا يعرف هرا من بر) قال ابن الاعرابى الهر دعاء الغنم والبر سوقها وقال غيره هر من هررته أى كرهته يقال هر فلان الكاس إذا كرهها

فيها غيرها فان كل عارف باسرار الكلام من أى لغة كانت من اللغات يعلم أن اخراج المعانى فى ألفاظ حسنة رائقة يلذها السمع ولا ينبو عنها الطبع خير من اخراجها فى ألفاظ قبيحة مستكرهة ينبو عنها السمع ولو أراد واضع اللغة خلاف ذلك لما قلدناه ﴿فان قيل﴾ لو أخذت أقسام النحو بالتقليد من واضعها لما أقيمت الادلة عليها وعلم بقضية النظر أن الفاعل يكون مرفوعا والمفعول منصوبا (فالجواب) عن ذلك أنا نقول هذه الادلة واهية لا تثبت على محك الجدل فان هؤلاء الذين تصدوا لاقامتها سمعوا عن واضع اللغة رفع الفاعل ونصب المفعول من غير دليل أبداه لهم فاستخرجوا لذلك أدلة وعللا والا فمن أين علم هؤلاء ان الحكمة التى دعت الواضع الى رفع الفاعل ونصب المفعول هى التى ذكروها

﴿الفصل التاسع فى أركان الكتابة﴾ اعلم أن للكتابة شرائط وأركانا (أما) شرائطها فكثيرة وهذا التأليف موضوع لمجموعها وللقسم الآخر من الكلام المنظوم وليس يلزم الكاتب أن يأتى بالجميع فى كتاب واحد بل يأتى بكل نوع من أنواعها فى موضعه الذى يليق به كما أريناه فيما يأتى من هذا التأليف (وأما) الاركان التى لابد من ايداعها فى كل كتاب بلاغى ذى شأن فخمسة (الاول) أن يكون مطلع الكتاب عليه جدة ورشاقة فان الكاتب من أجاد المطلع والمقطع أو يكون مبنيا على مقصد الكتاب ولهذا باب يسمى باب المبادى والافتتاحات فليحذ حذوه وهذا الركن يشترك فيه الكاتب والشاعر (الركن الثانى) أن يكون الدعاء المودع فى صدر الكتاب مشتقا من المعنى الذى بنى عليه الكتاب وقد نبهنا على طرف من ذلك فى باب يخصه أيضا فليطلب من هناك وهو مما يدل على حذاقة الكاتب وفطانته وكثيرا ماتجده فى مكاتباتى التى أنشأتها فانى قصدته فيها وتوخيته بخلاف غيرى من الكتاب لانه ربما يوجد فى كتابة غيرى قليلا وتجده فى كتابتى كثيرا (الركن الثالث) أن يكون خروج الكاتب من من معنى الى معنى برابطة لتكون رقاب المعانى آخذة بعضها ببعض ولا تكون مقتضبة ولذلك باب مفرد أيضا يسمى باب التخليص والاقتضاب وهذا الركن أيضا يشترك فيه الكاتب والشاعر (الركن الرابع) أن تكون ألفاظ الكتاب غير مخلولقة بكثرة الاستعمال ولا أريد بذلك أن تكون ألفاظا غريبة فان ذلك عيب فاحش بل أريد أن تكون الالفاظ المستعملة مسبوكة سبكا غريبا يظن السامع أنها غير ما فى أيدى الناس وهى مما فى أيدى الناس وهناك معترك الفصاحة التى تظهر فيه الخواطر براعتها والاقلام شجاعتها كما قال البحترى

باللفظ يقرب فهمه فى بعده * عنا ويبعد نيله فى قربه

وهذا الموضع بعيد المنال كثير الاشكال يحتاج الى لطف ذوق وشهامة خاطر وهو شبيه بالشىء الذى يقال انه لا داخل العالم ولا خارج العالم فلفظه هو الذى يستعمل وليس بالذى يستعمل أى أن مفردات ألفاظه هى المستعملة المألوفة ولكن سبكه وتركيبه هو الغريب العجيب واذا سموت أيها الكاتب الى هذه الدرجة واستطعمت طعم هذا الكلام المشار اليه علمت حينئذ أنه كالروح الساكنة فى بدنك التى قال الله فيها قل الروح من أمر ربى وليس كل خاطر براق الى هذه الدرجة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومع هذا فلا تظن أيها الناظر فى كتابى أنى أردت بهذا القول إهمال جانب المعانى بحيث يؤتى باللفظ الموصوف بصفات الحسن والملاحة ولا يكون تحته من المعنى ما يماثله ويساويه فانه اذا كان كذلك كان كصورة حسنة بديعة فى حسنها إلا ان صاحبها بليد أبله والمراد أن تكون هذه الالفاظ المشار اليها جسما لمعنى شريف على أن تحصيل المعانى الشريفة على الوجه الذى أشرت اليه أيسر

يريد مايعرف من يكرهه ممن يبره (القوم فى هياط ومياط) الهياط الصياح والمياط (٢٩) الدفاع والميط الدفع ومنه إماطة الأذى عن الطريق (وقولهم كيف السامة والعامة) السامة الخاصة (ويقولون حياك الله وبياك) حياك الله ملكك والتحية الملك ومنه التحيات لله يراد الملك لله قال عمرو بن معدى كرب

أسيرها الى النعمان حتى
أنيخ على تحيته بجند

يعنى الملك ويقال بياك اعتمدك بالملك والخير قال الشاعر

باتت تبيا حوضها عكوفا
مثل الصفوف لاقت الصفوفا

أى تعتمد حوضها وقال ابن الاعرابى بياك جاءك وروى فى بياك أضحكك وجاء هذا فى حديث يروى فى قصة آدم النبى عليه السلام وأنشد ابن الاعرابى

وعسعس نعم الفتى تبياه

أى تعتمده (وقولهم هو لك حل وبل) قال الاصمعى بل مباح بلغة حمير قال وأخبرنى بذلك المعتمر ابن سليمان (ما به حبض ولا نبض) النبض التحرك ولم يعرف الاصمعى الحبض (وما عنده خير ولا مير) المير مصدر مارهم يميرهم ميرا من الميرة (ماله سبد ولا لبد) السبد الشعر والوبر يعنى الابل والمعز واللبد الصوف يعنى الغنم (ما يعرف قبيلا من دبير) القبيل ما أقبلت به المرأة من غزلها حين تفتله والدبير ما أدبرت به وقال الاصمعى أصله من الاقبالة

من تحصيل الالفاظ المشار اليها (ويحكى) عن المبرد رحمه الله تعالى أنه قال ليس أحد فى زمانى إلا وهو يسألنى عن مشكل من معانى القرآن أو مشكل من معانى الحديث النبوى أو غير ذلك من مشكلات علم العربية فأنا إمام الناس فى زمانى هذا واذا اعرضت لى حاجة الى بعض اخوانى وأردت أن أكتب اليه شيئا فى أمرها أحجم عن ذلك لانى أرتب المعنى فى نفسى ثم أحاول أن أصوغه بألفاظ مرضية فلا أستطيع ذلك ولقد صدق فى قوله هذا وأنصف غاية الانصاف ولقد رأيت كثيرا من الجهال الذين هم من السوقة أرباب الحرف والصنائع وما منهم إلا من يقع له المعنى الشريف ويظهر من خاطره المعنى الدقيق ولكنه لا يحسن أن يزوج بين لفظتين فالعبارة عن المعانى هى التى تتخالب بها العقول وعلى هذا فالناس كلهم مشتركون فى استخراج المعانى فانه لا يمنع الجاهل الذى لا يعرف علما من العلوم أن يكون ذكيا بالفطرة واستخراج المعانى إنما هو بالذكاء لا بتعلم العلم وبلغنى أن قوما ببغداد من رعاع العامة يطوفون بالليل فى شهر رمضان على الحارات وينادون بالسحور ويخرجون ذلك فى كلام موزون على هيئة الشعر وان لم يكن من بحار الشعر المنقولة عن العرب وسمعت شيئا منه فوجدت فيه معانى حسنة مليحة ومعانى غريبة وان لم تكن الالفاظ التى صيغت به صيغة وهذا الركن أيضا يشترك فيه الكاتب والشاعر (الركن الخامس) أن لا يخلو الكتاب من معنى من معانى القرآن الكريم والاخبار النبوية فانها معدن الفصاحة والبلاغة وايراد ذلك على الوجه الذى أشرت اليه فى الفصل الذى يلى هذا الفصل من حل معانى القرآن الكريم والاخبار النبوية أحسن من ايراده على وجه التضمين وتوخى ذلك فى كل كتاب عسر جدا وأنا انفردت بذلك دون غيرى من الكتاب فانى استعملته فى كل كتاب حتى انه ليأتى فى الكتاب الواحد فى عدة مواضع منه ولقد أنشأت تقليدا لبعض الملوك مما يكتب من ديوان الخلافة ثم انى اعتبرت ما ورد فيه من معانى الآيات والاخبار النبوية فكان ما يزيد على الخمسين وهذا لا أتكلفه تكلفا وانما يأتى على حسب ما يقتضيه الموضع الذى يذكر فيه وقد عرفتك أيها الكاتب كيف تستعمل ما تستعمله من ذلك فى الفصل الذى يأتى بعد هذا الفصل فخذه من هناك وهذا الركن يختص بالكاتب دون الشاعر لان الشاعر لا يلزمه ذلك إذ الشعر أكثره مدائح وأيضا فانه لا يتمكن من صوغ معانى القرآن والأخبار فى المنظوم كما يتمكن منه فى المنثور وربما أمكن ذلك فى الشىء اليسير فى بعض الاحيان (واذا) استكملت معرفة هذه الاركان الخمسة وأتيت بها فى كل كتاب بلاغى ذى شأن فقد استحققت حينئذ فضيلة التقدم ووجب لك أن تسمى نفسك كاتبا

﴿الفصل العاشر فى الطريق الى تعلم الكتابة﴾ هذا الفصل هو كنز الكتابة ومنبعها وما رأيت أحدا تكلم فيه بشىء ولما حببت الى هذه الفضيلة وبلغنى الله منها ما بلغنى وجدت الطريق ينقسم فيها الى ثلاث شعب (الاولى) أن يتصفح الكاتب كتابة المتقدمين ويطلع على أوضاعهم فى استعمال الالفاظ والمعانى ثم يحذو حذوهم وهذه أدنى الطبقات عندى (الثانية) أن يمزج كتابة المتقدمين بما يستجيده لنفسه من زيادة حسنة إما فى تحسين ألفاظ أو فى تحسين معان وهذه هى الطبقة الوسطى وهى أعلى من التى قبلها (الثالثة) أن لا يتصفح كتابة المتقدمين ولا يطلع على شىء منها بل يصرف همه الى حفظ القرآن الكريم وكثير من الأخبار النبوية وعدة من دواوين فحول الشعراء ممن غلب على شعره الاجادة فى المعانى والالفاظ ثم يأخذ فى الاقتباس من هذه الثلاثة أعنى القرآن والأخبار النبوية والاشعار فيقوم ويقع ويخطىء ويصيب ويضل ويهتدى حتى يستقيم على طريقة يفتتحها لنفسه وأخلق بتلك الطريق

ان

والادبارة وهو شق فى الاذن ثم يفتل ذلك فاذا أقبل به فهو الاقبالة واذا أدبر به فهو الادبارة والجلدة المعلقة فى الاذن هى الاقبالة والادبارة (وهم بين حاذف وقاذف) الحاذف بالعصا والقاذف بالحجر (وهو جائع نائع) قال بعضهم نائع اتباع وقال بعضهم عطشان وأنشد لعمر بنى شهاب ما أقاموا صدور الخيل والاسل النياع يعنى الرماح العطاش (وما ذقت عنده عبكة ولا لبكة) العبكة الحبة من السويق واللبكة القطعة من الثريد (ومنه ماله ثاغيه ولا راغيه) الثاغية الشاة والراغية الناقة (ويقولون لا يدالس ولا يوالس) يدالس من الدلس وهو الظلمة أى لا يخادعك ويخفى عنك الشىء فكأنه يأتيك به فى الظلام ومنه يقال دلس على كذا وكذا ويوالس من الالس وهو الخيانة وقولهم (فلان يداجى فلانا) مأخوذ من الدجية وهى الظلمة أى يساتره بالعداوة ويخفيها عنه

﴿باب ما يستعمل من الدعاء﴾

(فى الكلام أرغم الله أنفه) أى ألزقه بالرغام وهو التراب ثم يقال على رغمك وعلى رغم أنفك وان رغم أنفك (ويقولون قمقم الله عصبه) اى جمعه وقبضه ومنه قيل للبحر قمقام لانه مجتمع الماء (ويقال استأصل الله شأفته)

أن تكون مبتدعة غريبة لاشركة لأحد من المتقدمين فيها وهذه الطريق هي طريق الاجتهاد وصاحبها يعد إماما في فن الكتابة كما يعد الشافعية وأبو حنيفة ومالك رضي الله تعالى عنهم وغيرهم من الأئمة المجتهدين في علم الفقه الا أنها مستوعرة جدا ولا يستطيعها الا من رزقه الله تعالى لسانا هجاما وخاطرا رقاما وقد سهلت لك صعابها وذللت محاجها وكنت أشح باظهار ذلك لما عاينت من نيله من العناء فاني سلكت اليه كل طريق حتى بلغته آخرا وانما تكون نفاسة الأشياء لعزة حصولها ومشقة وصولها

ليس حلوا وجودك الشيء تبتغيه * ه طلابا حتى يعز طلابه

ولقد مارست الكتابة ممارسة كشفت لي عن أسرارها وأظفرتني بكنوز جواهرها اذ لم يظفر غيري بأحجارها فما وجدت أعون الأشياء عليها الاحل آيات القرآن الكريم والأخبار النبوية وحل الأبيات الشعرية وقد قصرت هذا الفصل على ذكر وجوهها وتقسيمها وتمهيد الطريق الى تعليمها فمن وقف على ماذكرته علم أني لم آت شيئا فريا وأن الله قد جعل تحت خواطري من بنات الافكار سريا وهذه الطريق يجهلها كثير من متعاطي هذه الصناعة والذي يعلمها منهم يرضى بالحواشي والأطراف ويقنع من لآلئها بمعرفة ما في الأصداف ولو استخرج منها ما استخرجت واستنتج ما استنتجت لهام بها في كل واد وتزود الى سلوك طريقها كل زاد

لو يسمعون كما سمعت كلامها * خروا لعزة ركعا وسجودا

ولا أريد بهذه الطريق أن يكون الكاتب مرتبطا في كتابته بما يستخرجه من القرآن الكريم والأخبار النبوية والشعر بحيث انه لا ينشيء كتابا الا من ذلك بل أريد أنه اذا حفظ القرآن الكريم وأكثر من حفظ الاخبار النبوية والاشعار ثم نقب عن ذلك تنقيب مطلع على معانيه مفتش عن دقائقه وقلبه ظهر البطن عرف حينئذ من أين تؤكل الكتف فيما ينشئه من ذات نفسه واستعان بالمحفوظ على الغريزة الطبيعية ألا ترى أن صاحب الاجتهاد من الفقهاء يفتقر الى معرفة آيات الأحكام وأخبار الأحكام والى معرفة الناسخ والمنسوخ من الكتاب والسنة والى معرفة علم العربية والى معرفة الفرائض والحساب من المعلوم والمجهول من أجل مسائل الدور والوصايا وغيرها والى معرفة اجماع الصحابة فهذه أدوات الاجتهاد فاذا عرفها استخرج بفكرته حينئذ ما يؤديه اليه اجتهاده كما فعل أبو حنيفة والشافعي ومالك وغيرهم من أئمة الاجتهاد وكذلك يجري الحكم في الكتاب اذا أحب الترقي الى درجة الاجتهاد في الكتابة فانه يحتاج الى أشياء كثيرة قد ذكرتها في صدر كتابي هذا الا أن رأسها وعمودها وذروة سنامها ثلاثة أشياء هي حفظ القرآن الكريم والاكثار من حفظ الأخبار النبوية والأشعار * وحيث انتهى بنا القول الى هذا الموضع فأول ما أبدأ به على عقب ذلك أن أقول حل الأبيات الشعرية ينقسم الى ثلاثة أقسام (الأول) منها وهو أدناها مرتبة أن يأخذ الناثر بيتا من الشعر فينثره بلفظه من غير زيادة وهذا عيب فاحش ومثاله كمن أخذ عقدا قد أتقن نظمه وأحسن تأليفه فأوهاه وبدده وكان يقوم عذره في ذلك أن لو نقله عن كونه عقدا الى صورة أخرى مثله أو أحسن منه وأيضا فانه اذا نثر الشعر بلفظه كان صاحبه مشهورا بالسرقة فيقال هذا شعر فلان بعينه لكون ألفاظه باقية لم يتغير منها شيء وقد سلك هذا المسلك بعض العراقيين فجاء مستهجنا لا مستحسنا كقوله في بعض أبيات الحماسة

وألد ذي حنق علي كأنما * تغلي عداوة صدره في مرجل

أرجيته عني فأبصر قصده * وكويته فوق النواظر من عل

كما أذهب ذاك (أسكت الله نأمته) مهموزة مخففة الميم وهي من النئيم وهو الصوت الضعيف ويقال نامته بالتشديد غير مهموز أي ما ينم عليه من حركة (ويقال سخم الله وجهه) أي سوده من السخام وهو سواد القدر (أباد الله خضراءهم) أي سوادهم ومعظمهم ولذلك قيل للكتيبة خضراء قال الاصمعي لا يقال أباد الله خضراءهم ولكن يقال أباد الله غضراءهم أي خيرهم وغضارتهم والغضراء طينة خضراء حرة علكة يقال أنبط بئره في غضراء (بالرفاء والبنين) يدعى بذلك للمتزوج والرفاء الالتحام والاتفاق ومنه أخذ رفاء الثوب ويقال بالرفاء من رفوت الرجل اذا سكنته قال الهذلي

رفوني وقالوا ياخويلد لا ترع فقلت وأنكرت الوجوه هم هم

(ويقال من اغتاب خرق) ومن استغفر رفاء وقولهم (مرحبا) أي أتيت رحبا أي سعة وأهلا أي أتيت أهلا لاغرباء فأنس ولا تستوحش وسهلا أي أتيت سهلا لا حزنا وهو في مذهب الدعاء كما

(فقال) فى نثر هذين البيتين فكم لقى ألدذى حنق كأنه ينظر الى الكواكب من عل وتغلى عداوة صدره فى مرجل فكواه فوق ناظريه وأكبه لفمه ويديه فلم يزد هذا الناثر على أن أزال رونق الوزن وطلاوة النظم لاغير ومن هذا القسم ضرب محمود لا عيب فيه وهو أن يكون البيت من الشعر قد تضمن شيئا لا يمكن تغيير لفظه فحينئذ يعذر ناثره اذا أتى بذلك اللفظ ومثاله قول الشاعر فى أول الحماسة

لو كنت من مازن لم تستبح ابلى * بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

وقد نثرت ذلك فقلت لست ممن تستبيح ابلى بنو اللقيطة ولا الذى اذاهم بأمر كانت الآمال اليه وسيطة ولكنى أحمل المهمل وأقرب الأمل وأقول سبق السيف العذل فذكر بنى اللقيطة ههنا لا بد منه على حسب ماذكره الشاعر وكذلك الامثال السائرة فانه لا بد من ذكرها على ماجاءت فى الشعر (وأما القسم الثانى) وهو وسط بين الأول والثالث فى المرتبة وهو أن ينثر المعنى المنظوم ببعض ألفاظه و يعزم عن البعض بألفاظ أخر وهناك تظهر الصنعة فى المماثلة والمشابهة ومؤاخاة الالفاظ الباقية بالالفاظ المرتجلة فانه اذا أخذ لفظا لشاعر مجيد قد نقحه وصححه فقرنه بما لا يلائمه كان كمن جمع بين لؤلؤة وحصاة ولا خفاء بما فى ذلك من الانتصاب للقدح والاستهداف للطعن والطريق المسلوك الى هذا القسم أن تأخذ بعض بيت من الأبيات الشعرية هو أحسن مافيه ثم تماثله وسأورد ههنا مثالا واحدا ليكون قدوة للتعلم (فأقول) قد ورد هذا البيت من شعر أبى تمام فى وصف قصيدة له

وحداء تملأ كل أذن حكمة * و بلاغة وتدر كل وريد

فقوله تملأ كل أذن حكمة من الكلام الحسن وهو أحسن مافى البيت فاذا أردت أن تنثر هذا المعنى فلا بد من استعمال لفظه بعينه لانه فى الغاية القصوى من الفصاحة والبلاغة فعليك حينئذ أن تؤاخيه بمثله وهذا عسر جدا وهو عندى أصعب مثالا من نثر الشعر بغير لفظه لانه مسلك مضيق لما فيه من التعرض لمماثلة ماهو فى غاية الحسن والجودة وأما نثر الشعر بغير لفظه فذلك يتصرف فيه ناثره على حسب مايراه ولا يكون مقيدا فيه بمثال يضطر الى مؤاخاته وقد نثرت هذه الكلمات المشار اليها وأتيت بها فى جملة كتاب فقلت وكلامى قد عرف بين الناس واشتهر وفاق مسير الشمس والقمر واذا عرف الكلام صارت المعرفة له علامة وأمن من سرقته اذ لو سرق لدلت عليه الوسامة ومن خصائص صفاته أن يملأ كل أذن حكمة و يجعل فصاحة كل لسان عجمة واذا جرت نفثاته فى الافهام قالت أهذه بنت فكرة أم بنت كرمة فانظر كيف فعلت فى هذا الموضع فانى لما أخذت تلك الكلمات من البيت الشعرى التزمت بأن أؤاخيها بما هو مثلها أو أحسن منها فجئت بهذا الفصل كما تراه وكذلك ينبغى أن يفعل فيما هذا سبيله (وأما القسم الثالث) وهو أعلى من القسمين الاولين فهو أن يؤخذ المعنى فيصاغ بألفاظ غير ألفاظه وثم يتبين حذق الصائغ فى صياغته و يعلم مقدار تصرفه فى صناعته فان استطاع الزيادة على المعنى فتلك الدرجة العالية والا أحسن التصرف وأتقن التأليف ليكون أولى بذلك المعنى من صاحبه الأول (واعلم) أن من أبيات الشعر ما يتسع المجال لناثره فيورده بضروب من العبارات وذلك عندى شبيه بالمسائل السيالة فى الحساب التى يجاب عنها بعدة من الأجوبة ومن الأبيات ما يضيق فيه المجال حتى يكاد الماهر فى هذه الصناعة أن لا يخرج عن ذلك اللفظ وانما يكون هذا لعدم النظير فأما مايتسع المجال فى نثره فكقول أبى الطيب المتنبى

لا تعـزل المشتاق فى أشواقه * حتى يكون حشاك فى أحشائه

فـكل خلفين شطـر (و يقولون ما بفلان طرق) أى ما به قوة وأصل الطرق الشحم فاستعير لمكان القوة لان القوة أكثر ما تكون عنـده (و يقولون) ادفعه اليه برمته وأصله ان رجلا دفع اليه رجل بعيرا بحبل فى عنقه والرمة الحبل البالى فقيل ذلك لكل من دفع شيئا بجملته لم يحتبس منه شيئا يقول ادفعه اليـه برمته أى كله وهـذا المعنى أراد الاعشى فى قوله للخمار فقلت له هـذه هاتها

بأدماء فى حبل مقتادها

أى بعنى هذه الخمر بناقة برمتها (و يقولون ما به قلبة) قال الفراء أصـله من القـلاب وهو داء يصيب الابل الابل وزاد الاصمعى يشتكى البعير منه قلبه فيموت من يومه فقيل ذلك لكل سالم ليست به علة يقلب لها فينظر اليه قال الراجز

ولم يقلب أرضها البيطار
ولا لحبليه بها حبار

الحبار الاثر أى لم يقلب قوائمها من علة بها وقد كان بعضهم يقول فى قولهم ما به قلبة أى ما به حول قال أبو محمد عبد الله هذا الاصوهل ثم استعير لكل سالم ليست به آفة (و يقولون فلان نسيج وحده) وأصله ان الثوب الرفيع النفيس وقد

وقد نثرت هذا المعنى فمن ذلك قولى لا تعزل المحب فيما يهواه حتى تطوى القلب على ما طواه ومن ذلك وجه آخر وهو اذا اختلفت العينان فى النظر فالعذل ضرب من الهذر ومن هذا الباب قول أبى الطيب المتنبي أيضا

ان القتيل مضرجا بدموعه * مثل القتيل مضرجا بدمائه

أخذت هذا المعنى فنثرته فمن ذلك قولى القتيل بسيف العيون كالقتيل بسيف المنون غير أن ذلك لا يجرد من غمده ولا يقاد صاحبه بعمده فزدت على المعنى الذى تضمنه البيت وغيرت اللفظ ومن ذلك وجه آخر وهو دمع المحب ودم القتيل متفقان فى التشبيه والتمثيل ولا تجد بينهما بونا الا أنهما يختلفان لونا وهذا أحسن من الاول وأما مايضيق فيه المجال فيعسر على الناثر تبديل ألفاظه فكقول أبى تمام

تردى ثياب الموت حمرا فما أتى * لها الليل إلا وهى من سندس خضر

وقول أبى الطيب المتنبي

وكان بها مثل الجنون فأصبحت * ومن جثث القتلى عليها تمائم

وأمثال هذا لا تأتى الا قليلا وسببه أن المعنى ينحصر فى مقصد من المقاصد حتى لا يكاد يأتى الا قدا كهذين البيتين ألا ترى أن أبا تمام قصد المؤاخاة فى ذكر لونى الثياب من الأحمر والأخضر وجاء ذلك واقعا على المعنى الذى أراده من لون ثياب القتلى وثياب الجنة فاذا فك نظم هذا البيت وأريد صوغه بغير لفظه لا يمكن ذلك وبيت أبى الطيب جار هذا المجرى فانه بناه على واقعة من الوقائع وذلك أن حصنا من حصون سيف الدولة قصده الروم وانتزعوه وأخربوه فنهد سيف الدولة اليه واسترجعه وجدد بناءه وهزم الروم ونصب من جثث القتلى على السور فنظم المتنبي فى هذا قصيدا أوله * على قدر أهل العزم تأتى العزائم * فلما انتهى الى ذكر الحصن جاء بهذا البيت فى جملة أبيات فشرح صورة الحال فى ازعاج الحصن بالقتال وتعليق القتلى عليه وأبرز ذلك فى معنى التمثيل بالجنون والتمائم وهذا لا يمكن تبديل لفظه وهو وأمثاله مما يجب على الناثر أن يحسن الصنعة فى فك نظامه لانه يتصدى لنثره بألفاظه فان كان عنده قوة تصرف و بسطة عبارة فانه يأتى به حسنا رائقا وقد نثرت هذين البيتين أما بيت أبى تمام فانى قلت فى نثره لم تكسه المنايا نسج شفارها حتى كسته الجنة نسج شعارها فبدل أحمر ثوبه بأخضره وكأس حمامه بكأس كوثره وهذا من الحسن على غاية يكون كمدحسودها من جملة شهودها وأما بيت أبى الطيب المتنبي فانى قلت فى نثره سرى الى حصن كذا مستعيدا منه سبية نزعها العدو اختلاسا وأخذها مخادعة لا افتراسا فما نزلها حتى استقادها ولا نزلها حتى استعادها وكأنما كان بها جنون فبعث لها من عزائمه عزائم وعلق عليها من رؤس القتلى تمائم وفى هذا من الحسن مالاخفاء به فمن شاء أن ينثر شعرا فلينثر هكذا والا فليترك وقد جئت بهذا المعنى على وجه آخر وأبرزته فى صورة أخرى وذلك انى أضفت الى هذا البيت الذى قبله وهو

بناها فأعلى والقنا تقرع القنا * وموج المنايا حولها متلاطم

ولما نثرت هذين البيتين قلت فى نثرها ما أذكره وهو بناها والاسنة فى بنائها متخاصمة وأمواج المنايا فوق أيدى البانين متلاطمة وما أحلت الحرب عنها حتى زلزلت أقطارها بركض الجياد وأصيبت بمثل الجنون فعلقت عليها تمائم من الرؤس والاجساد ولاشك أن الحرب تفرد عمن عزجانبه وتقول الا هكذا فليكسب المجد كاسبه وهذا أحسن من الأول

لئيم راضع) وأصله ان رجلا كان يرضع الغنم والابل ولا يحلبها لئلا يسمع صوت الحالب فقيل ذلك لكل لئيم من الرجال اذا أرادوا توكيد لؤمه والمبالغة فى ذمه (و يقولون هو على يدى عدل) قال ابن الكلبي هو العدل بن جزء بن سعد العشيرة وكان ولى شرط تبع وكان تبع اذا أراد قتل رجل دفعه اليه فقال الناس وضع على يدى عدل ثم قيل ذلك لكل شيء قد يئس منه (ويقولون لمن رفع صوته قد رفع عقيرته) وأصله أن رجلا قطعت احدى رجليه فرفعها ووضعها على الاخرى وصرخ بأعلى صوته فقيل لكل رافع صوته قد رفع عقيرته (ويقولون) للمرأة السيئة الخلق غل قمل وأصله انهم كانوا يغلون الاسير وعليه الشعر فيقمل (ويقولون هو ابن عمى لحا) أى لاصق النسب من قولهم لججت عينه اذا التصقت (ويقولون فى النكرة هو ابن عم لح) ويقولون (أريته لمحا باصرا) أى نظرا بتحديق شديد ويخرج باصر مخرج لابن وتامر ورامح أى ذو تمر ولبن ورمح وبصر (و يقولون

 برح الخفاء) أى انكشف الامر وذهب السر وبرح فى معنى زال و يقال صار فى البراح وهو المتسع

وأتم معنى * وقد تصرفت فى هذا الموضع بزيادة فى معناه ونثرته على أسلوب أحسن من هذا الاسلوب فقلت بناها ودون ذلك البناء شوك الاسل وطوفان المنايا الذى لا يقال ساوى منه الى جبل ولم يكن بناؤها إلا بعد أن هدمت رؤس عن أعناق وكأنما أصيبت بجنون فعلقت القتلى عليها مكان التمائم أو شينت بعطل فعلقت مكان الاطواق وهـذا الفصل فيه زيادة على الفصل الذى قبله * واذا انتهى بنا الكلام الى ههنا فى التنبيه على نثر الشعر وكيفية نثره وذكر مايسهل منه ومايعسر فلنتبع ذلك بقول كلى فى هذا الباب فنقول من أحب أن يكون كاتبا أو كان عنده طبع مجيب فعليه بحفظ الدواوين ذوات العدد ولا يقنع بالقليل من ذلك ثم يأخذ فى نثر الشعر من محفوظاته وطريقه أن يبتدىء فيأخذ قصيدا من القصائد فينثره بيتا بيتا على التوالى ولا يستنكف فى الابتداء أن ينثر الشعر بألفاظه أو بأكثرها فانه لا يستطيع الا ذلك واذا مرنت نفسه وتدرب خاطره ارتفع عن هذه الدرجة وصار يأخذ المعنى ويكسوه عبارة من عنده ثم يرتفع عن ذلك حتى يكسوه ضروبا من العبارات المختلفة وحينئذ يحصل لخاطره بمباشرة المعانى لقاح فيستنتج منها معانى غير تلك المعانى وسبيله أن يكثر الادمان ليلا ونهارا ولا يزال على ذلك مدة طويلة حتى يصير له ملكة فاذا كتب كتابا أو خطب خطبة تدفقت المعانى فى أثناء كلامه وجاءت ألفاظه معسولة لا مغسولة وكان عليها حدة حتى تكاد ترقص رقصا وهذا شىء خبرته بالتجربة ولا ينبئك مثل خبير *(فان قيل)* الكلام قسمان منظوم ومنثور فلم حضضت على حفظ المنظوم وجعلته مادة للمنثور وهلا كان الأمر بالعكس (قلت) فى الجواب ان الاشعار أكثر والمعانى فيها أغزر وسبب ذلك أن العرب الذين هم أصل الفصاحة كل جل كلامهم شعر ولا نجد الكلام المنثور فى كلامهم الا يسيرا ولو كثر فانه لم ينقل عنهم بل المنقول عنهم هو الشعر فاودعوا أشعارهم كل المعانى كما قال الله تعالى ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون ثم جاء الطراز الاول من المخضرمين فلم يكن لهم الا الشعر ثم استمرت الحال على ذلك فكان الشعر هو الاكثر والكلام المنثور بالنسبة اليه قطرة من بحر ولهذا صارت المعانى كلها مودعة فى الاشعار وحيث كانت بهذه الصورة فكان حتى على حفظها واستعمال معانيها فى الخطب والمكاتبات لهذا السبب وقد نثرت فى هذا الموضع أبياتا تـكون قدوة للتعلم * فمن ذلك قولى فى فصل من فصول الكلام يتضمن ذكر السيادة وهو الشريف من شرف بنفسه لا بما دفن مع أبيه فى رمسه فان تلك مكارم أتت فتجمل الزمان بما تاها ثم مات أربابها فدفنت مع موتاها ولو ساد الناس بآبائهم لكانت السيادة للطينة الاولى ولقد خلق الابناء من الآباء مجبولا وهذا المعنى مأخوذ من قول الشاعر

وما الفخر بالعظم الرميم وانما * فخار الذى يبغى الفخار بنفسه

غير أن الفصل الذى ذكرته يتضمن من المعنى زيادة على ماتضمنه هذا البيت (ومن ذلك) ماكتبته فى فصل من كتاب يتضمن معاتبة أخ لاخوته وتنصله اليهم فقلت جرحوا قلبى وحبهم يذهب بألم الجراحة وطرفوا عينى وهم يزيدون فى نظرها ملاحة واذا صدرت الاساءة عن الاحباب لم يكن وقرها وقرا وأصبحت وهى منسية اذا تجددت الاساءة بالذكرى ومامنهم الامن سيط دمى بدمه ولحمى بلحمه ولولا أن الاسماء معارف الأشخاص لكان اسمى واردا على اسمه وكيف أخشن عليهم وقد جبلنى الله لهم على اللين أم كيف أذود النفس عنهم وهى مشتقة منهم وآدم بين الماء والطين ومتى أؤمل من شجرتى أغصانا كهذه الأغصان وقد أصيبت جرثومتها بالجداد ولهذا قيل ان الاخوة يتعذر الاعتياض عنهم ولا يتعذر الاعتياض

من الارض (و يقولون لا تبلم عليه) أى لا تقبح وأصله من أبلمت الناقة اذا ورم حياؤها من شدة الضيق (و يقولون الناس أخياف) أى مختلفون مأخوذ من الخيف وهو أن يكون احدى العينين من الفرس سوداء والاخرى زرقاء (و يقولون صدقوهم القتال) وهو مأخوذ من الشىء الصدق وهو الصلب و يقال رمح صدق ورجل صدق النظر وصدق اللقاء (و يقولون طعنه فقطره) أى ألقاه على أحد قطريه والقطران الجانبان (و يقال طعنه فجدله) أى رمى به الى الارض و يقال للارض الجدالة قال ذلك أبو زيد وأنشد

قد أركب الآلة بعد الآله
وأترك العاجز بالجداله
منعفرا ليست له محاله

(و يقولون نظرة من ذى علق) أى من ذى هوى قد علق بمن يهواه قلبه (و يقولون بكى الصبى حتى فحم) بفتح الحاء أى انقطع صوته من البكاء من قولك فلان مفحم اذا انقطع عن الخصومة وعن قول الشعر (و يقولون عمل به الفاقرة) وهى الداهية يراد انها فاقرة للظهر أى كاسرة لفقاره يقال فقرتهم الفاقرة ورجل فقر وفقير أى مكسور الفقار و يقال هو من فقرت أنف البعير اذا حززته بحديدة ثم وضعت على موضع الحز الجرير وعليه وتر ملوى

عن

عن الأولاد آخر هذا الفصل مأخوذ من شعر ابن الرومى وهو قوله

تعزيت عمن أثمرتك حياته * ووشك التعزى عن ثمارك أجدر
تغدر أن نعتاض عن أمهاتنا * وأبنائنا والنسل لايتعذر

غير أن ابن الرومى ذكر ذلك فى تعزية انسان بابنه فتصرفت أنا فى هذا المعنى ونقلته الى هذا الفصل فى تضمنه معاتبة أخ لاخوته (ومن ذلك) ماذكرته فى فصل من كتاب يتضمن ذم المشيب فقلت والعيش كل العيش فى سن الحداثة وما يأتى بعدها فلا يدعى الا بسن الغثاثة وليس بعد الأربعين من مصيف اللذة ولا مربع وهى نهاية القوة الصالحة من الطبائع الأربع فاذا تجاوزها المرء أشفت ثمار عمره على خرصها وصارت زيادته كزيادة التصغير التى هى زيادة تدل على نقصها وأصبح بعد ذلك يدعى أبا بعد أن كان يدعى ابنا وتقمص ثوبا من المشيب لايجر ثوبه خيلاء ولايزهى به حسنا وان قيل ان أحسن الثياب شعار البياض قيل إلا هذا الثوب فانه مستثنى ويكفيه من الفظاعة أن ينظر الأحباب اليه نظر القتال ولولا أن الجمود بعده لما استعير له لفظة الاشتعال ومن الناس من يدلس لونه بصبغة الخضاب وليس ذلك إلا احدادا على فقد الشباب وهو فى فعله هذا كاذب ولايخفى أنس الصادق من وحشة الكذاب وخداع النفس أن تسلو عن بئره المعطلة وقصره المشيد ويحسن لها الخروج فى ثوب مرقع وهى تراه بعين الثوب الجديد وبعض هذا مأخوذ من شعر ابن الرومي وهو قوله

رأيت خضاب المرء بعد مشيبه * حدادا على شرخ الشبيبة يلبس

غير أن فى هذا الفصل معانى كثيرة لطيفة لاتوجد فى كلام آخر (ومن ذلك) قولى فى وصف الجود والسخاء وهذا الفصل يشتمل على معان متعددة فمنها قولى فى العطاء وهو شافهتنى أسباب الغنى برؤيته حتى كادت تنطق واخضرت أكنان منزلى بعطائه حتى كادت تورق ومن فضيلة بره أنه لا يأتى به على أعين الناس واذا غرسه عند انسان رب ذلك الغراس فلا يستكثر ماجادت به سحاب يده ولايمنعه عطاء يومه عن عطاء غده وبعض هذا المعنى مأخوذ من شعر أبى نواس

كانوا إذا غرسوا سقوا واذا بنوا * لم يهدموا لبنائهم أسسا

ومن هذا المعنى أيضا قولى وهو أخذ المكارم من سمائها وأرضها وقام بنفلها فى الناس وفرضها وتحلى ببعض أسماء الشهور حتى أصبح بعضها حاسدا لبعضها فالمحرم للعائذ بحرمه وصفر للطامع فى سعادة قدمه وربيع لرائد نواله ورجب لأقوال عذاله وهذا مأخوذ من قول الفرزدق

يداك يد ربيع الناس فيها * وفى الأخرى الشهور من المحرم

وقد قال الشعراء فى ذلك كثيرا الا أنى أنا تصرفت فى هذا المعنى تصرفا لم يتصرف فيه أحد غيرى (ومن هذا المعنى) ماذكرته فى فصل من كتاب وهو ولقد سوى بين أعدائه فى البغض وبين أمواله فهذه مغنية بوقع نصاله وهذه مغنية بصنائع نواله ولو أحب المال لكان أحبه اليه مايبذله كما أن أحب الناس اليه من يسأله ومن أحسن ماسنه من الكرم أنه جاد حتى بدل رغب العارفين زهدا ورأى الحمد عوضا من الصنيعة فأبى أن يعتاض من صنائعه حمدا وبعض هذا المعنى مأخوذ من شعر أبى نواس وهو

ليت أعدائى كانوا * لأبى اسحق مالا

(ومن ذلك) قولى فى وصف القتال وموطن الحرب ووصف الشجاعة والانجاد ومايتعلق بذلك ويجرى معه وهذا الفصل يشتمل على معانى مختلفة (فمن ذلك) ماذكرته فى وصف العسكر وهو فسرنا فى غمامة من الكتائب تظلها غمامة من الطيور الا شائب فهذه يضمها بحر من حديد

(ويقال غضب واستشاط) أى احتد وهو من شاط يشيط إذا احترق كأنه احترق أى التهب فى غضبه قال الأصمعى هو من قولهم ناقة مشياط وهى التى يظهر فيها السمن سريعا (ويقولون سكران مايبت) أى لا يقطع أمرا من قولك بتت الحبل وطلقها ثلاثا بتة قال الأصمعى ولا يقال يبت قال الفراء هما لغتان بتت عليه القضاء وابتته (وقولهم صدقة بتة بتله) من بتلت أى قطعتها يراد أنها بائنة من صاحبها مقطوعة لاسبيل له عليها ومنه قيل لمريم العذراء البتول أى المقطوعة عن الرجال (ويقولون كما تدين تدان) أى كما تفعل يفعل بك وكما تجازى تجازى وهو من قولهم دنته بما صنع أى جازيته (ويقولون عدا فلان طوره) أى جاوز مقداره وهو من أطوار الدار وهو ما كان ممتدا معها من الفناء ومنه يقال أيضا لا أطور به أى لا أقرب فناءه (ويقولون هو فى أمر لاينادى وليده) ترى أصله شدة أصابتهم حتى كانت المرأة تنسى وليدها وتذهل عنه فلا تناديه ثم صار مثلا فى كل شدة وقال أبو عبيدة هو أمر عظيم لاينادى فيه الصغار وانما ينادى فيه الجلة الكبار وقال أبو العميثل

وهذه يضمها بر من صعيد وما مرت ببلد الا أزلت أرضه من سمائه وألبست نهاره ثوب ظلمائه وبدلت أحراره بعبيده وحرائره بامائه وكذلك فعلت بمدينة فلانة وقد ضرب الامن عليها أسوارا وبعد عهدها بالنوائب فلم تدخل لها ديارا فهي تخبر عن الهنية الخفض ولم ترع عنه بالانتقال ولا رأت السيف وقد ألقى لونه في ذوائب الأطفال فما شعر أهلها الا وقد رجمها الجيش بكاهله ورماها بوابله قبل طله وطل السحاب قبل وابله وبرزت خيل القوم ولهازي فرسانها وهي مستبقة الى طرادها كاستباقها الى ميدانها إلا من تتأود القناة من يده بين لهذمين وتستقل السرج منه ومن جواده بين مطهمين فجرت المغاوير الى المغاوير وتلاقت الرياح بالأعاصير وكان الطعن بينهم عناقا واللبث وفاقا وسبق ألم الموت ألم الجراح ونفذت غير مختضبة لسرعتها أسنة الرماح وحصل القوم القبضة وذموا عقبى النهضة وجيء بالأسرى مقرنين في الأصفاد موقنين أن رءوسهم عوارى على تلك الأجساد ولو استطاع رأس أحدهم أن ينكر عنقه لأنكره ولا يود وهو المعظم أن يقال ما أعظمه بل يقال ما أحقره وتصرفت أيدي المسلمين في القتل والنهاب وكان للسيف قارب وللسبي رقاب في هذا الفصل معان كثيرة مستحسنة ومنها ما أخذ من شعر المتنبي كقوله

سحاب من العقبان ترجف تحتها * سحاب اذا استسقت سقتها صوارمه

وكقوله

واستعار الحديد لونا وألقى * لونه في ذوائب الأطفال

(ومن ذلك) ما ذكرته في وصف المسلوبين في فصل من جملة كتاب يتضمن البشرى بهزيمة الكفار وهو فسلبوا وعاضتهم الدماء عن اللباس فهم في صورة عار وزيهم زي كاس وما أسرع ما خيط لهم لباسها المحمر غير أنه لم يجب عليهم ولم يزر وما لبسوه حتى لبس الاسلام شعار النصر الباقي على الدهر وهو شعار نسجه السنان الخارق لا الصنع الحاذق ولم يغب عن لابسه إلا ريثما غابت البيض في الطلى والهام وألف الطعن بين ألف الخط واللام وهذه معان حسنة رائقة ومنها معنى واحد مأخوذ من شعر البحتري وهو

سلبوا وأشرقت الدماء عليهم * محمرة فكأنهم لم يسلبوا

(ومن ذلك) ما ذكرته في صدر كتاب يتضمن فتحا وهو أصدر هذا الكتاب والفتح غض طري لم تنصل حمرة يومه ولا أغمدت سيوف قومه فسطوره متربة بمثار عجاجه ممتلئة بخط ضربه واعجام زجاجه وهذا المعنى ينظر الى قول أبي تمام

كتبت أوجههم مشقا ونمنمة * ضربا وطعنا يقات الهام والصلفا
كتابة ما تنى مقروءة أبدا * وما خططت بها لاما ولا ألفا

إلا أن أبا تمام مثل آثار الضرب والطعن في الوجوه بالكتابة وأنا مثلت الكتابة واعجامه بالضرب والطعن فكأنني عكست المعنى الذي ذكره أبو تمام وهذا مقصد في حل الأبيات الشعرية حسن فان استخراج المعنى من عكسه أدق من استخراجه من نفسه وقد نبهت على ذلك في مواضع أخر من هذا الباب (ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من كتاب يتضمن فتحا من فتوح الكفار وهو وأقبلت أحزاب الكفر وهي معتصمة بصليبها ورفعته على أعواد عالية كهيئة خطيبها ولم تعلم أن الله كتب عليه الهوان بعد تلك الكرامة وأنه ذو شعب أربع والتربيع نحس في حكم النجامة وكيف ترجو بكفرها ظهور أولها منه معنى الاختفاء وللاسلام معنى السلامة ولما التقى الجمعان اصطفقت يمين وشمال وزحفت جبال الى جبال وكثرت النفوس على المنايا

الأعرابي الصبيان إذا رأوا شيئا عجيبا تحشدوا له مثل القرد والحاوي فلا ينادون ولكن يتركون يفرحون والمعنى أنهم في أمر عجيب وقال غير هؤلاء يقال هذا في موضع الكثرة والسعة أي متى أهوى الوليد بيده الى شيء لم يزجر عنه وذلك لكثرة الشيء عندهم ونحو منه (قولهم هم في خير لا يطير غرابه) يقال يقع الغراب فلا ينفر لكثرة ما عندهم (ويقولون هو جلف جاف) وأصله من أجلاف الشاة وهي المسلوخة بلا رأس ولا قوائم ولا بطن (ويقولون لكل ساقطة لاقطة) أي لكل نادة من الكلام من يحملها ويشيعها (ويقولون حلف بالغموس) وهي اليمين التي تغمس صاحبها في الاثم (ويقولون خاس البيع والطعام) وأصله من خاست الجيفة في أول ما تروح فكأنه كسد حتى فسد (يقولون افعل ذلك على ما خيلت) أي على ما شبهت من قولك وهو مخيل للخير أي خليق له (ويقولون تركته يتلدد) أي يتلفت يمينا وشمالا وهو من اللديدين وهما صفحتا العنق (ويقولون لحم ساح بالتشديد وأصله من سح يسح) أي صب كأنه يصب الودك صبا (ويقولون كبر حتى صار كأنه قفة) وهي الشجرة اليابسة البالية يقال قف شجرنا اذا يبس (ويقولون خبيث داعر) قال ابن الأعرابي

حتى

حتى كادت لاتفى بالآجال وأقدمت الخيل اقدام فرسانها وأظلم النقع فلا تبصر الا بآذانها ونالت النحور ثارها من كعوب الرماح واشتكت الأسنة فلا طريق بينها لمهب الرياح واستؤصلت شجرة الكافرين بالقطع لا بالجداد وحال حد السيف دون حديد الاصفاد ونقلوا الى جهنم يصلونها وبئس المهاد وانقلب المسلمون وقد ملؤا الأغماد نصراً والصحائف أجرا والايدى وقرا والقلوب جذلا والألسنة شكرا وكان ذلك اليوم فى الأيام علما وفى الأقسام قسما ولم يره الزمان منسوبا اليه الاراجع شبابا بعد أن ناهز هرما فى هذا الفصل شىء من معانى الشعر وذلك من قول ابى الطيب المتنبى

أتاهم بأوسع من أرضهم * طوال السبيب قصار العسب
تغيب الشواهق فى جيشه * وتبدوا صغارا اذا لم تغب
ولا تعبر الريح فى جوه * اذا لم تخط القنا أو تثب

(ومن قوله أيضا)

فى جحفل ستر العيون غباره * فكأنما يبصرن بالآذان

(ومن ذلك) ماذكرته فى الانجاد واجابة الصريخ وهواذ ستصرخ بعزم غذته صحبة الجيش عن لذة العيش فهو يستعذب حر الثغور على برد الثغور ويلهو بالبيض الذكور عن بيض الخدور ولا طيب عنده الارج العجاج ولاعناق الاأطراف الزجاج ولا أرب له فى الرقاد الاعلى صهوات الجياد فعسكر قلبه أمضى فى الوغى من عسكر ونجدة بأسه تأبى لقاء الاقران فى درع أو مغفر وهذه المعانى مأخوذة من أبيات الحماسة ومن شعر مسلم بن الوليد (ومن ذلك) ماذكرته فى وصف الخبر دون المنظر وهواذا سموت لامر فكن واحدا فى مكانك ولا ترض بكثرة الشركاء فيقال فلان من أقرانك ألم ترالى الحرباء الذى هو دويبة حقيرة الشان ضعيفة الأركان فانه ارتفع فى هواه عن الأرض وأنسها الى السماء وشمسها وقال لاأحب من تفسد الأيام من حسنه ولامن أحد بسمة حلمه ولاخدنه والهمم ليست منوطة بجهارة المناظر والتعويل على الخبر المستتر فى الأفئدة الباطنة لاعلى الظواهر ومن ههنا قيل ان وضاءة النفوس أنضر من وضاءة الأجساد ورقم الشيم أحسن من رقم الابراد وآخر هذا الفصل ينظر الى قول سحيم عبد بني الحسحاس

ان كنت عبدا فنفسى حرة كرما * أوأسود اللون انى أبيض الخلق

الا أن الفصل يتضمن معنى غريبا لم يسبقنى اليه أحد (ومن ذلك) ماذكرته فى الحسد فى فصل من كتاب وهو حاسد سيد نا ينظر الى زهرة دنياه ولا ينظر الى استحقاقه وهو كالناظر الى الأطواق الموضوعة فى الجيد ولايدرى أن الجيد أحسن من أطواقه ولوقاس الدنيا بالاستحقاق لذهب الحسد من صدره وقال مالى أحسد من لم ينله قدر دنياه الى معشار قدره (ومن ذلك) ماذكرته فى صدر كتاب يتضمن الاعذار عن تواتر المكاتبات وهو اذا اعتذر من انقطاع الكتب اعتذار الخادم من اتصالها ولوكانت واردة على غير ذلك الباب الكريم لخاف من املالها وقد عد احتمالها تثقيلها من جملة الأيادى التى أثقلته وأراد أن يجرى معها بسوابق شكره فأعجلته وما أمهلته وهو الآن مرتهن بين قديم وجديد وأصبح كخراش اذ تكاثرت عليه الظباء فلم يدر لكثرتها ما يصيد فان أمسك سيد نا من أياديه والافليتفضل على الشكر بالانظار وليعلم أن ذمة وفائه كذمة ديوان المال فى الاعسار هذا فصل فى هذا المعنى فلما يؤتى بمثله وفيه معنى واحد من قول الشاعر

الدعارة من العود الدعر وهو الكثير الدخان (ويقولون قال ذلك أيضا وفعله أيضا) وهو مصدر آض الى كذا أى صار اليه كأنه قال فعل ذلك عوداً (وقولهم مائة ونيف) مأخوذ من أناف على الشىء إذا أظل عليه وأوفى كأنه لما زاد على المائة أشرف عليها (وقولهم بضع سنين و بضعة عشر) قال أبو عبيدة هو مادون نصف العقد يراد ما بين الواحد إلى أربعة وقال غيره هو ما بين الواحد إلى تسعة (وقولهم أسد خادر) أى داخل فى الخدر يعنون بالخدر الأجمة (وقولهم نص الحديث الى فلان) أى رفعه اليه وهو من النص فى السير وهو أرفعه (وقولهم فلان يحابى فلانا) هو يفاعل من حبوته أحبوه اذا أعطيته (وقولهم فلان قدم) أى ثقيل ومنه قيل ضبع مقدم أى خاثر مشبع ثقيل (وقولهم هرم ماج) أى يمج ريقه ولا يستطيع أن يحبسه من الكبر (وقولهم أنتم لنا خول) هو جمع خايل وهو الراعى يقال فلان يخول على أهله أى يرعى عليهم هذا قول الفراء وقال غيره هو من خولك الله الشىء أى ملكك اياه (وقولهم ماله دار ولا عقار) العقار النخل ويقال بيت كثير العقار أى كثير المتاع قال الأصمعى عقر الدار أصلها ومنه قيل العقار والعقار المنزل والأرض والضياع قال أبو زيد

تكاثرت الظباء على خراش * فما يدرى خراش ما يصيد

(ومن ذلك) ماذكرته في استصلاح مودة فقلت كنت عنده بالمنزلة التي آمن بها ما أجنيه فصرت أخاف مالم أجنه وكان لا يقبل على شهادة عينه فأصبح الآن يقبل على شهادة أذنه لكن لم يجعل الله القلوب بين أصبعين من أصابعه الا ليذهب بها كل واد ومن ههنا كانت تنتقل من وداد إلى قلى ومن قلى الى وداد ولا شك أن لها بين الحالتين عمرا تنتهي إليه كما تنتهي أعمار الأجساد والصبر خير ما استعمل في جفاء الاخوان والماء إذا جرى في مكان ثم انحرف عنه فلابد أن يعود الى ذلك المكان وبعض هذا مأخوذ من شعر ابن الرومى

عهدتك لا تعتد بالعين شاهداً * على فلم أصبحت تعتد بالاذن

(ومن ذلك) ماذكرته في فصل من كتاب الى بعض الملوك على يد بعض العفاة وهو الشيم الكريمة للانسان بمنزلة المسك في سرر الغزلان غير أن طيب هذه يعبق بالانوف وطيب هذه يعبق بالآذان وقد جعل تفاوت المزية بين هذين الطيبين فرقا فأحدهما يبقى دائما ولا يذهب والآخر يذهب ولا يبقى ونصيب مولانا من الطيب الباقى نصيب زكت معادنه وكثرت خزائنه وسارت في الأرض محاسنه ورفعه الله به إلى محل يبعد شأوه على الطالب ولا يرى الا في لسان شاعر أو لسان خاطب وهو مما استثنى من خلق الناس الذى هو من طين لازب ومن أجل ذلك يرون أشباها ما عداه وما منهم الا من يقر بفضله ولو كان من حساده أو عداه وقد أصبحوا وهم يقلون لديه حين يكسرون ويقول كل منهم لصاحبه أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون هذا الفصل وان تضمن شيئا من القرآن الكريم فليس المراد ههنا القرآن الكريم بل منه شيء مأخوذ من الشعر وهو قول المتنبي

الناس مالم يروك أشباه * والدهر لفظ وأنت معناه

(ومن ذلك) ماذكر في وصف الخمر وهو الخمر لا تفى لذة أسكارها بتنغيص خمارها فهى خرقاء البيان بذية اللسان وتأنيثها يدلك أنها من ناقصات العقول والاديان وقد عرف منها سنة الجور في أحكامها ولولا ذلك لما استأثرت من الرؤس بجناية أقدامها وهذا أحسن من قول الشاعر وأغرب وألطف لانه قال

ذكرت حقائدها القديمة إذ غدت * وهنا تداس بأرجل العصار
لانت لهم حتى انتشوا فتحكمت * فيهم فنادت فيهم بالثار

وكذلك قلت في وصفها أيضا وهو مدامة تنفي خواطر الهموم وتسرى مسرى الأرواح في الجسوم وتشهد بأن الكرم مستمد من ماء الكروم ويتمثل حببها نجوما الا أنها مضلة والهداية للنجوم وبعض هذا مأخوذ من قول أبى نواس

إذا هي حلت في اللهاة من الفتى * دعى همه من صدره برحيل

ومازال الشعراء يتواردون على هذا المعنى حتى سمج لكن الذى ذكرته بعد هذا المعنى من محاسن المعانى في وصفها وكذلك ماذكرته في وصفها وهو الخمر كالعذراء في نفورها وملازمة خدورها ولهذا تشمئز من نكاح المزاج وتصحب لمس الماء صحب الابكار لمس الأزواج ومن شأنها أن تلبس عند الزفاف إكليلا على رأسها وكذلك شأن العرائس عند زفافها إلى أعراسها وهذه المماثلة بين الخمر وبين البكر على هذا النسق لم يأت بها أحد غيرى وانما وصفت بأنها بكر كقول أبى نواس فقلت لشيخ منهم متكلم * له دين قسيس وفي نطقه كفر

أعندك بكر مرة الطعم قرقف * صنيعة دهقان تراخى له العمر

وقال غيره هو أسود مثل حنك الغراب وقال يعنى منقاره (وقولهم ليت شعرى) هو من شعرت شعرة قال سيبويه أصله فعلة مثل الدرية والفطنة فحذفت الهاء والشاعر مأخوذ منه (وقولهم لاجرم) قال الفراء هي بمنزلة لابد ولا محالة ثم كثرت في الكلام حتى صارت كقولك حقا وأصله من جرمت الشيء أى كسبت قال الشاعر

ولقد طعنت أبا عيينة طعنة * جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا

أى كسبت لانفسها الغضب قال وليس قول من قال حق لفزارة الغضب بشيء (وقولهم ما رزأته زبالا) الزبال ما تحمله النملة بفمها وما رزأته فتيلا وهو ما يكون في شق النواة يراد ما رزأته شيئا (وقولهم شور به) اذا أخجله وهو من الشوار والشوار الفرج كان رجلا أبدى عورة رجل فاستحيا من ذلك فقيل ذلك لكل من فعل بأحد فعلا يستحيى منه ومن ذلك يقال أبدى الله شوارك ثم سمى متاع البيت شوارا منه (وقولهم بنى فلان على أهله) أصله انه كان من يريد الدخول منهم على أهله ضرب عليها قبة فقيل لكل داخل بأهله بان (وقولهم كسنا في أملاك فلان) هو

فقال

فقال عروس كان كسرى ربيبها * معتقة من دونها الباب والستر
ووصفت بالنكاح والزواج كقوله أيضا
وقهوة كالعقيق صافيـة * يطير من كأسها لها شرر
زوجتها المـاء كى تذل له * فامتعضت حين مسها الذكر

(ومن ذلك ماذكرته فى الحزم وهو لا ينبغى للحازم أن يساور المورد المؤذن بضيقه وان أفضى المصدر الى رحيبه فان توقى الدواء خير من التعرض له مع وجود طبيبه ولندع قول من يقعد على تل السلامة ثم يلبس الكتائب بالكتائب ويقول ليس للعزم الا تمام الصـدور وليس له تمام العواقب بعض هذا مأخوذ من شعر أبى تمام

وركب كأطراف الاسنة عرسوا * على مثلها والليل تسطو غياهبه
لأمر عليهـم أن يتم صـدوره * وليس عليهم أن تتم عواقبـه

(ومن ذلك) ماذكرته فى وصف الرأى والكيد وهو أخفى على العـدو كيده حتى لم يدع كائدا وأعمى عليه سلوك الطريق حتى ظنه حائدا فسيوفه تسطو على بعدها ولا تقطع الا وهى فى غمدها وبعض هذا المعنى أخذته من شعر أبى تمام وهو

سكن الكيد فيهم ان من أعـــظم كيد أن لا يسمى أريبا

(وكذلك) قولى فى هذا المعنى وهو أخذ بسمع العدو و بصره وسد مطلع ورده وصدره فيداه مغلولة مع أنها مطلقة السراح ومقاتله بادية على أنها شاكية السلاح وهذا المعنى ينظر إلى المعنى الذى قبله وكذلك قولى أيضا وهو يبيت برأيه العدو وقبل جيشه وتلقاه يطيش قلمه الذى كل الحلم فى طيشه فاذا أطلت وجوه الآراء كان رأيه لها صباحا واذا جهزت الجحافل لحرب كان قلمه لها سلاحا و بعض هذا مأخوذ من شعر البحترى

وهو المرء ماغزا بلدا بالرأى الا كفاه غزو الجنود

(ومن ذلك) ماذكرته فى وصف السير والركاب والخيل والقفار ومايتعلق بها (فمنه) مايتعلق بالسير وهو ركب ظهر الليل يبارى مسير شهبه بمسير أشهبه و يستقرب بعد المدى فى نيل مطلبه غير أن تلك تفرى أديم الغياهب وهذا يفرى أديم السباسب وهذا مأخوذ من قول المتنبى

يبارى نجوم القذف فى كل ليلة * نجوم له منهن ورد وأدهم

(ومن هذا المعنى) أيضا قولى وهو اتخذ الليـل ظهرا واستلان خشونة المسرى فلم يزل يقذف صبغة سواده بصبغة جواده حتى بدت فى أديم الليل شيات صباحه وشابه الادهم فى غرته وأوضاحه فعند ذلك أخذ أحدها فى رحيله وأخذ الآخر فى نزوله وهذا المعنى ينظر إلى الذى قبلـه وفيه من شرف الصنعة مالا خفاء به (ومن ذلك) ماذكرته أيضا فى فصل من كتاب وهو سرت وتحت بنت قفرة لا يذهب السرى بجماحها ولا تستزيد الحادى من مراحها فهى طموح باثناء الزمام واذا سارت بين الآكام قيل هذه واحدة من الآكام ولم تسم جسرة إلا لانها تقطع عرض الفلاة كما يقطع الجسر عرض المـاء ولا سميت حرفا الا لانها جاءت لمعنى فى العزائم لا لمعنى فى الافعال والاسماء وخلفها جنيب من الخيل يقبل بجذع و يدبر بصخره و ينظر من عين جحظة و يسمع بأذن حشره و يجرى مع الريح الزعزع فيذرها وقد ظهر فيها أثر الفترة وماقيد خلفها الا وهو يهتدى بها فى المسالك المضلة و يطأ على أثرها فيرقم وجوه البدور باشكال الاهلة هذا والليل قد ألقى جرانه فلم يبرح والكواكب قد ركدت فيه فلم تسبح وأنا أود لو زاد طوله ولم تظهر غرة أدهمه ولا تحجوله فقد قيل انه أدنى للبعد وأكتم للاسرار ودل عليه القول النبوى بأن الارض تطوى

الدليل ربما أخذ التراب فشمه ليعلم أعلى قصد هو أم جور ثم كثر ذلك حتى سموا البعد مسافة قال رؤبة * اذا الدليل استاف اخلاق الطرق أى شمها (وقولهم للدية عقل) والاصل ان الابل كانت تجمع وتعقل بفناء ولى المقتول فسميت الدية عقلا وان كانت دراهم أو دنانير (وقولهم للاخيذ أسير) والاصل انهم كانوا اذا أخـذوا رجلا شدوه بالقد فلزم هـذا الاسم كل مأخوذ شد به أو لم يشد يقال ماأحسن ماأسر قتبه أى ماأحسن ماشده بالقـد ومنه قول الله عز وجـل وشددنا أسرهم (وقولهم للنساء ظعائن) وأصل الظعائن الهوادج وكن يكن فيها فقيل للمرأة ظعينة قال أبو زيد ولا يقال ظعن ولا حمول الا للابل التى عليها الهوادج كان فيها نساء أو لم يكن (وقولهم للمزادة راوية) والراوية البعير الذى يستسقى عليه الماء فسمى الوعاء راوية باسم البعير الذى يحمله ومثله الحفض متاع البيت فسمى البعير الذى يحمله حفضا (وقولهم لغسل الوجه واليد وضوء) وأصله من الوضاءة وهى الحسن والنظافة كأن الغاسل وجهه وضأه أى حسنه ونظفه (وقولهم

فيه مالا تطوى فى النهار ومازلت أسير بريدها تنوء به حتى كاد ينضولون السواد وظهرلون السرحان فأغار على سرح السماء كما يغير السرحان على سرح النقاد فعندذلك نهلت العين من الكرى نهلة الطائر ولم يكن ذلك على ظهر الارض المطمئنة وانما كان على الظهر السائر فى هذا الفصل كل مليحة من المعانى ولو لم يكن فى هذا الكتاب سواه لكان كافيا و بعضه مأخوذ من الشعر كقول أبى تمام

طموح بأثناء الزمان كأنما * يخال بها من عدوها طيف جنة

وكقوله

بالشذقميات العتاق كأنما * أشباحها بين الأكام اكام

(ومن ذلك) ماذكرته فى النسب فى فصل من كتاب وهو لهم نسب لاتدخله لام التعريف وهو موضوع لايجرى على سنن التوقيف فاذا ذكر أوله وقفت من عرفانه على طلل و وجدته مهملا فى جملة الهمل وان قيل انه من نجوم السماء قلت لكنه لايخرج عن الثور أو الحمل فما أرهف لوصفه لسان الا نبا ولا اقتدح له زناد خاطر الا كبا وهم منه كآوى الذى يرى الناس له ابنا ولا يرون لابنه أبا وهذا من أغرب مايؤتى به فى ذم النسب وهو من باب توليد المعانى الذى يسمى الكيمياء و بعضه مستولد من قول أبى نواس فى هجاء الخصيب

وماخبره الا كآوى يرى ابنه * ولم يرآوى فى حرون ولا سهل

فأبو نواس ذم خبر الخصيب فى عدم رؤيته وأنا نقلت ذلك الى النسب فجاء ألطف وأحسن وأليق وأدخل فى باب الصنعة واذا حقق النظر فيماذكره أبو نواس فى هذا المعنى لم يوجد مناسبا فان الخبر فى عدم رؤيته لايحمل على ابن آوى وانما المناسبة تقع فى النسب من أجل ذكر الابن والأب (ومن ذلك) ماذكرته فى ذم قوم وهو فصل من كتاب فقلت تركت قوما لم ينقعوا صدى ولم يجروا إلى مدى فأعراضهم نكرة العارف وأموالهم حنظلة الناقف لاتمطر سحبهم على كثرة مائها ولا تركوا الزريعة بأرضهم على نمائها و بعض هذا المعنى مأخوذ من شعر الشريف الرضى

تركت أناسا لم يهشوا لمنة * ولم ينقعوا غل الظماء الخوامس

على القرب فيهم انى غير طامع * ومنك على بعد المدى غير آيس

ومن هذا الباب أيضا قولى وهو تركت قوما يسلون الحبيب و يملون القريب ولايرمون من برعاهم ولايدر اللبن على مرعاهم فنوالهم تحايا وأعراضهم ضحايا ومن أحسن صفاتهم أنهم يعاقبون على الظنة ولايرتاحون لمنة فالذرائع لديهم مدفونة والصنائع غير مسنونة و بعض هذه المعانى مأخوذ من شعر أبى الطيب المتنبى

رأيتكم لايصون العرض جاركم * ولايدر على مرعاكم اللبن

جزاء كل قريب منكم ملل * وحظ كل محب منكم ضغن

(ومن ذلك) ماذكرته على الحث على الاغتراب وهو لولا التغرب لما ارتقت بنات الاصداف الى شرف الاعناق ولا ارتقى تراب الاحجار الى نور الاحداق (وكذلك) قولى فى هذا المعنى وهو فى الانتقال تنويه لخامل الاقدار ولولا ذلك لم يكس الهلال حلة الابدار والمندل الرطب حطب فى أوطانه والمسك دم فى سرر غزلانه ولولا فراق السهم وتره لم يحظ بفضل الاصابة ولافراق الوشيج منبته لم يتحل بعز السنان ولا شرف الذوابة وهذا الفصل فصل من القول فى معناه ومما لم ينبش للخواطر ابتناء مبناه فمنه ماهو مأخوذ من الشعر ومنه مامنح به الخاطر على غير مثال وهو يشهد لنفسه (ومن ذلك) ماذكرته فى وصف الأيام وهو أيام تعد

باعوام

بنجوة فقالوا اذهب ينجو كما قالوا ذهب يتغوط ثم اشتقوا منه فقالوا قد استنجى اذا مسح موضع النجو اوغسله (والتغوط) من الغائط وهو البطن الواسع من الارض المطمئن وكان الرجل اذا أراد قضاء حاجته أتى غائطا من الارض فقيل لكل من أحدث قد تغوط (والعذرة) فناء الدار وكانوا يلقون الحدث بأفنية الدور فسمى الحدث عذرة وفى الحديث اليهود أنتن خلق الله عذرة أى فناء (والحش الكنيف) وأصله البستان وكانوا يقضون حوائجهم فى البساتين فسمى الكنيف حشا (والكنيف) أصله الساتر ومنه قيل للترس كنيف أى ساتر وكانوا قبل أن يحدثوا الكنف يقضون حوائجهم فى البراحات والصحارى فلما حفروا فى الأرض آبارا تستر الحدث سميت كنفا (والتيمم بالصعيد) أصله التعمد يقال تيممتك وتأممتك وأممتك قال الله عزوجل فتيمموا صعيدا طيبا أى تعمدوا ثم كثر استعمالهم لهذه الكلمة حتى صار التيمم مسح الوجه واليدين بالتراب (وقولهم فلان ضخم الدسيعة) وهو من دسع البعير بجرته اذا دفع بها والمعنى انه كثير العطية (وقولهم

بأعوام لقصر أعمارها وشهور لا يشعر بانصافها ولا بسرارها فالأوقات بها أصائل والمحاسن فيها شمائل والمآرب فى ساعاتها رياض فى خمائل فما أدرى أهى خيالات أحلام غرت أم أحاديث أمان مرت وبعض هذا المعنى مأخوذ من أبيات الحماسة

شهور ينقضين وما شعرنا * بانصاف لهن ولا سرار

(ومن ذلك) ماذكرته فى وصف الاخوان وهو ليس الصديق من عد سقطات قرينه وجازاه بغثه وسمينه بل الصديق من ماشى أخاه على عرجه واستقام له على عوجه فذلك الذى ان رأى سيئة وطئها بالقدم وان رأى حسنة رفعها على علم وبعض هذا المعنى مأخوذ من أبيات الحماسة

ان يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا * عنى وما سمعوا من صالح دفنوا

الا ان الذى ذكرته ضد هذا المعنى وقد يستخرج المعنى من ضده وهو أحسن مما يستخرج من نفسه (ومن هذا) قولى أيضا وهو ليس الصديق من صرى اخلاف وده وغش فى صفقة عهده بل الصديق من لا ترد سلعة وده باقالة ولا عيب ولا يخص محافظة اخائه بشهادة دون غيب فذلك أخى من غير نسب وكنزى من غير نشب وهذا مأخوذ من الفقه فى تصرية ضرع الشاة عند البيع وذلك يوجب الرد ﴿ومما﴾ ينتظم بهذا السلك قولى وهو الانتقال عن خلة الوداد كالانتقال عن نسب الميلاد وكما يحرم هذا فى نص الحكم المشروع فكذا يحرم هذا فى خلق الكرم المطبوع على أن نسب الخلة الذى ينميه القلب إلى القلب أوصل من نسب الرحم الذى ينميه الابن إلى الأب ولهذا كانت مودة سلمان قربى ونسب أبى لهب سباوتبا وبعض هذا مأخوذ من شعر أبى نواس وهو

كانت مودة سلمان له نسبا * ولم يكن بين نوح وابنه رحم

﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى وصف الديار وهو دار كانت مقاصر جنة فأصبحت وهى ملاعب جنة ولقد عميت أخبار قطانها وأنشاز أوطانها حتى شابهت احداهما فى الخفاء الأخرى فى العفاء وكنت أظن أنها لا تسقى بعدهم بغمام ولا يرفع عنها جلباب ظلام غير أن السحاب بكاهم فجرت بها سوافح دموعه والليل شق عليهم ثوبه فظهر الصباح من خلال صدوعه وهذه معان لطيفة جدا وبعضها مأخوذ من شعر الشريف الرضى رحمه الله تعالى

أمرابع الغزلان غيرك البلى * حتى غدوت مراتع الغزلان

﴿ومما﴾ يلتئم بهذا المعنى قولى أيضا وهو دار أصبحت مراتع أذواد بعد أن كانت مناجع رواد فلو تصورت الآمال التى مثلت بفنائها كما تصورت الآثار الماثلة من بنائها لرأيت رسومها مع رسوم القباب وعلمت كم غار بها من بحر ونضب من سحاب وهذا معنى حسن له من نفسه مثن وحامد ومن سامعه يمين وشاهد وهو من معانى المستخرجة ﴿ومن ذلك﴾ قولى أيضا وهو النقص موكل بكمال النعماء ولذلك كان الوخم مقترنا بالمرعى والماء وقلما ترى ثمرة الا ومعها زنبور ولا لذة الا والى جانبها شئ محذور ﴿وكذلك﴾ قولى أيضا وهو لا يظفر الرجل بمطالبه شفعا ولا تؤتيه من كل جهة نفعا بل يرى مرعى بلا ماء وماء بلا مرعى ولذلك كانت النحلة مع الشهدة والشوكة مع الوردة وبعض هذه المعانى مأخوذ من قول أبى تمام

أرض بها عشب زاك وليس بها * ماء وأخرى بها ماء ولا عشب

الا أن فى الكلام المنثور زيادة على ما تضمنه الشعر وكأنه ينظر اليه نظرا بعيدا ومن سبيل المتصدى لهذا الفن أن يأخذ المعنى من الشعر فيجعله مثل الاكسير فى صناعة الكيمياء ثم يخرج

قوله فى آخر الصحيفة قبل هذه أيام تعد الخ هكذا فى النسخة المطبوعة بالمطبعة الكبرى والصواب أعوام تعد بأيام الخ والمراد من قوله فى وصف الأيام الأزمان أياما كانت أو أعواما اه مصححه محمد زكى الدين

اللام مأخوذ من الملحة وهى البياض (عسل ماذى) أى أبيض والدرع ماذية أى بيضاء (زبت ركابى) لأنه كان يحمل على الأبل من الشام وهى الركاب وواحد الركاب راحلة (القطا كدرى) نسب إلى معظم القطا وهى كدر وكذلك (القمرى) منسوب إلى طير قمر (والدبسى) منسوب إلى طير دبس (مطر الخريف) وسمى لأنه يسم الأرض بالنبات نسب إلى الوسم (الحداد) الهالكى لأن أول من عمل الحديد الهالك بن عمرو بن أسد ابن خزيمة ولذلك قيل لبنى أسد القيون وذلك لأن الحداد يتهالك على الحديد إذا جلاه ومنه سميت الفاجرة هلوكا لتثنيها فى مشيها) (الغراب ابن دأية) لأنه يقع على دأية البعير الدبر فينقرها والدأية من ظهر البعير الموضع الذى يقع عليه ظلفة الرحل فتعقره

﴿باب أصول أسماء الناس المسمين بأسماء النبات﴾

(ثمامة) واحدة الثمام وهو شجر ضعيف له خوص أوشبيه بالخوص وربما حشى به خصاص البيوت قال عبيد بن الأبرص

 عيوا بأمرهم كما * عيت ببيضتها الحمامه جعلوا لها عودين من * نشم وآخر من ثمامه

منه ألوانا مختلفة من جوهر وذهب وفضة كما فعلت فى هذا الموضع فانى أخذت معنى هذا البيت من الشعر فاستخرجت منه ماليس منه وهذا أعلى الدرجات فى نثر المعانى الشعرية وقد بسطت القول فى هذا الموضع وكشفت عن دفائنه فى الكتاب الذى وسمته بالوشى المرقوم فى حل المنظوم وهو كتاب مفرد هذا الفن خاصة ومن هذا الضرب الذى هو الكيمياء فى توليد المعانى ماذكرته فى وصف الربيع فقلت فصل الربيع هو أحد ميزانى عامه والمستقيد لسامه من حامه وقد وصف بأنه ميعاد نطق الاطيار وميلاد أجنة الأزهار والذى تستوفى به حولها سلافة العقار فاذا سلت السحب فيه سيوفها كان ذلك للرضا لا للغضب واذا خلعت على الأرض غلالتها الدكناء لبست منها ديباجة منسوجة بالذهب وهذا المعنى مستولد من قول أبى تمام فى وصف السحاب

سلبته الجنوب والدين والدنـيا وصافى الحياة فى سلبه

الأن فى الذى ذكرته معنيين غريبين إذا أمعن الناظر نظره فهمهما ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى لين القول واعادته وما يجرى مجراه كقولى فى فصل من كتاب وهولم أعد عليه القول لأنه لايبلغ مدى ميدانه الا بتحريك سوطه وعنانه بل أخذ بأدب الله فى أذكار القرآن واتباعا لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فى تثويب الأذان وبعض هذا مأخوذ من شعر أبى تمام

لو رأينا التأكيد خطة عجز * ماشفعنا الأذان بالتثويب

﴿وكذلك﴾ قولى أيضا وهو وقد علم أن لين القول أنجع قبولا وهو من أدب كليم الله اذ بعثه إلى فرعون رسولا ألا ترى أن الحداء يبلغ من المطايا بلطفه مالايبلغه السوط على عنفه وبعض هذا المعنى مأخوذ من شعر أبى تمام

وخذهم بالرقى ان المهارى * يهيجها على السير الحداء

﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى ذم الدنيا وهو أنكاد الدنيا مشوبة بالاشياء التى جبلت النفوس على حبها وكل ماتستلذه الأبدان من مأكلها فانه يضرها من جهة طبها ولهذا بذم من منفعة الهليلاج ومضرة اللوزينج وأعجب من ذلك أنه لا ينتفع الانسان بشىء من لذاتها الاضره من جهة ثوابه وهو كالذى ينتفع باصطلاء النار وهى محرقة لأثوابه وقد ضرب لذلك مثل من الامثال وقيل إن كل ماينفع الكبد مضر بالطحال وهذا مأخوذ من الأمثال العربية والمولدة ﴿ومن ذلك﴾ ما ذكرته فى الزهد وهو الناس فى الدنيا أبناء الساعة الراهنة وكما أن النفوس ليست فيها بقاطنة فكذلك الأحوال ليست بقاطنة ولهذا كانت المآتم بها كالأعراس يتفرق ندى جمعها فهذه تنسى مامضى من لذة سرورها وهذه تنسى مامضى من ألم فجعها ولا شبيه لها على ذلك إلا الأحلام التى يتلاشى خيالها عاجلا وتجعل اليقظة حقها باطلا وما ينبغى حينئذ أن يفرح بها مقبلة ولا يؤسى عليها مدبرة وكل ماتراه العين منها ثم يذهب فكأنها لم تره وغاية مطلوب الانسان منها أن يمد له فى مدة عمره ويملى له فى امتداد كثره أما تعميره فيعترضه المشيب الذى هو عدم فى وجود وهو أخو الموت فى كل شىء الافى سكنى اللحود فالجوارح التى يدرك بها الشهوات ترى وكل منها قد تحول وأصبح كالطلل الدارس الذى ليس عنده من معول فلا الليلى بليلى ولا النوار بالنوار ولا الاسماع أسماع ولا الابصار أبصار وأما ماله فان أمسكه فهو عرضة لوارث يأكله أو لحادث يستأصله وان أنفقه كان عليه فى الحلال حسابا وفى الحرام عقابا فهذه زهرة الدنيا الناضرة وهذه عقباها الخاسرة وبعض هذا المعنى مأخوذ من شعر صالح بن عبد القدوس

والحمامة هنا القمرية (سمرة) واحدة السمر وهو شجر أم غيلان (طلحة) واحدة الطلح وهو شجر عظام من العضاه (سيابه) واحدة السياب وهو البلح (عراده) واحدة العراد وهو شجر (مرارة) واحدة المرار وهو نبت إذا أكلته الابل قلصت عنه مشافرها ومنه قيل بنو آكل المرار (شقرة) واحدة الشقر وهو شقائق النعمان قال الشاعر ﴿وعلى الخيل دماء كالشقر﴾ (علقمة) واحدة العلقم وهو الحنظل (حمزة) بقلة حدثنى زيد ابن اخزم قال حدثنا أبو داود عن شعبة عن جابر عن أبى نصر عن أنس بن مالك أنه قال كنانى رسول الله ﷺ ببقلة كنت أجتنيها وكان يكنى أبا حمزة وقد ذكرت هذا فى كتاب غريب الحديث بأكثر من هذا البيان (قتادة) واحدة القتاد وهو شوك وبه سمى الرجل (سلمة) واحدة السلم وهى شجرة وبها سمى الرجل والسلم من العضاه وسلمة إذا كسرت اللام فهو حجر واحد السلام (ارطاة) واحدة الارطى وهو شجر

﴿المسمون بأسماء الطير﴾

(هوذة) القطاة وبها سمى الرجل (القطامى) بفتح القاف وضمها الصقر وهو مأخوذ من القطم وهو الشهوان للحم وغيره يقال فحل قطم إذا كان يشتهى الضراب (اليعقوب) ذكر الحجل واسم

وإذا الجنازة والعروس تلاقيا * ألفيت جمعا كله يتفرق
ومن قول أبي العتاهية
إنما أنت طول عمرك ماعمر * ت في الساعة التي أنت فيها

﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته في فصل من كتاب يتضمن تعزية وهو كيف يظلم ذلك اللحد وبه من أعمال ساكنه أنوار أم كيف يجدب وبه من فيض يمينه سحاب مدرار أم كيف توحش أقطاره والملائكة داخلة عليه من تلك الاقطار أم كيف يخفيه طول العهد على زواره وطيب ترابه هاد للزوار وما أعلم ما أقوله في هذا الخطب الجليل الذي دق فيه الحزن الجليل وسمحت له النفوس بالفدية على حب الحياة وذلك من الفداء القليل وقد قيل انه لم يخلق الدمع الا انذارا بأن نوائب الزمان ستنوب وقد جعله الله ذخرا للقائها وانما يدخر السلاح للقاء الحروب والذي ذخرته منه لم يغن عني في هذه النائبة وأي جنة تقوم في وجه سهامها الصائبة لاجرم أني أصبحت بين يديها هدفا للرماء ولم يبق مني الا دماء الحشاشة ومن العجب بقاء الذماء وشيء من هذا الفصل مأخوذ من شعر ابن الرومي

لم يخلق الدمع لامرىء عبثا * الله أدرى بلوعة الحزن

﴿وكذلك﴾ ذكرت فصلا في كتاب آخر يتضمن تعزية وهو فيا ويح أيد أسلمته الى الثرى وما كان يسلمها الى الاعدام وألبسته ظلمة اللحود وطالما جلا عنها غيابة الظلم والاظلام وغادرته بوحدته مستوحشا وقد كان يؤنسها بنوافل الانعام ومثله لا يواري القبر منه الا صورة يدركها النفاد وتبلى كما يبلى غيرها من الاجساد ولكنه لا يستطيع مواراة الذكر الخالد الذي يذهب بشماتة الحساد ويتمثل في السماء بصورة الكواكب وفي الارض بصورة الاطواد وبعض هذا مأخوذ من قول بعض شعراء الحماسة

فان تدفنوا البكري لاتدفنوا اسمه * ولا تدفنوا معروفه في القبائل

﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته في وصف كلام بالفصاحة وهو فصل من كتاب فقلت وله البيان الذي يفض منه نسق الفريد ولا يخلق نضرة لباسه الجديد وهو فوق كلام المجيد ودون القرآن المجيد واذا اختصر واصفه قال انه يستميل سمع الطروب ويستحق وقار القلوب ويتمثل آيات بيضاء من غير ضم الى الجيوب ويرى في الارض غير لاغب إذا مس غيره فترة اللغوب ولا تزال الناس في عشق معانيه ضربا وأحدا والعاشقون ضروب ولما وقفت عليه قلت سبحان من أعطى سيدنا فلم يبخل وخصه بنبوة البيان الا أنه لم يرسل ولولا أن الوحي قد سد بابه لقيل هذا كتاب منزل ولقد خاره الله لأولي الفصاحة إذ لم يحيوا الى عصره ولم يبتلوا فيه بداء الحسد الذي يصليهم بتوقد جمره ولئن سلموا من ذلك فما سلمت أقوالهم من أقواله التي محتها محو المداد وقد كانت باقية بعدهم فلما أتى صارت كما صاروا إلى الالحاد وفي هذا الفصل شيء من المعاني الشعرية كقول البحتري

مستميل سمع الطروب المعنى * عن أغاني معبد وعقيد
وقول الشريف الرضي رحمه الله
عشقت ومالي يعلم الله حاجة * سوى نظري والعاشقون ضروب

وفيه أيضا شيء من معاني القرآن الكريم الا أنها جاءت ضمنا وتبعا وموضعها يأتي بعد الابيات الشعرية ﴿وكذلك﴾ ذكرت فصلا آخر من هذا الاسلوب وهو وان للكلمة طعما يعرف مذاقه من بين الكلام وخفة الارواح معلومة من بين ثقل الاجسام فلو لم نعرفه بطعمه

نحو يربوع ويعسوب لانه وان كان مزيدا في أوله فانه لا يضارع الفعل وهو غير مختلف في صرفه إذا كان معرفة (الهيثم) فرخ العقاب (سعدانة) الحمامة (عكرمة) الحمامة

﴿المسمون باسماء السباع﴾

(عنبس) الاسد وهو فنعل من العبوس وبه سمي الرجل (أوس) الذئب وبه سمي الرجل ويقال بل بالعطية سمي يقال أست الرجل أأوسه أسا إذا أعطيته قال الشاعر
فلا حسنا تك مشقصا
أوسا أويس من الهباله
(حيدرة) الاسد وبه سمي الرجل ومنه قول علي عليه السلام
* أنا الذي سمتني أمي حيدره * (فرافصة) بضم الفاء الاسد سمي بذلك لشدته (ذؤالة) الذئب وبه سمي الرجل (اثامة) الاسد وبه سمي الرجل (ثعلبة) انثى الثعالب (هيصم) الاسد (هرثمة) الاسد (الهرماس) الاسد (الضيغم) الاسد أخذ من الضغم وهو العض (الدلهمس) الاسد (الضرغامة) الاسد (نهشل) الذئب من النهش (كلثوم) الفيل

﴿المسمون باسماء الهوام﴾

(الحنش) الحية وبه سمي الرجل حنشا والحنش أيضا كل شيء يصاد من الطير والهوام يقال حنشت

عرفناه بوسمه والصباح لا يتمارى في أسفاره ولا يفتقر الى دليل على اشراق أنواره وقد علم أن العرق يعرف بغصنه وأن القول يعرف بلحنه ونفائس هذه العقود لا يبرزها الا أنفاسه فدررها لفظه وسلوكها قرطاسه ﴿ ومن ﴾ هذا الباب قولى أيضا وهو ألفاظ كخفق البنود أو زأر الأسود ومعان تدل بآرها فيها أنها هي السيوف وان قلوبا تمتها هي الغمود فيخالها المتأمل حومة طعان أو حلبة رهان و بعض هذا مأخوذ من شعر البحترى

يقظان ينتخب الكلام كأنه * جيش لديه يريد أن يلقى به

﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى فصل من كتاب الى بعض الاخوان من أهل الكتابة كان اعتدى عليه شخص يدعى الكتابة وليس من أهلها فقلت وقد نيط بسيدنا قلما الخط اللذان ينسب أحدهما الى المداد وينسب الآخر الى الصعاد فهو يديرهذا فى معركة المقال وهذا فى معركة الطراد ولربما صهل أحد قلميه من فوق صفحات الدروج كما تصهل الجياد من تحت أعواد السروج فله احتفال المواطن والمجالس واليه غناء أصحاب العمائم والقلانس لا كمن لا يجاوز همه طرفى ردائه واذا نودى لفضيلة قيل انما يسمع الحى بندائه وكم فى الناس من صور لا تجد لمعناها أثرا واذا رأيتها قلت أرى خالا ولا أرى مطرا وأى جمال عند من ليس له إلا جمال ثيابه وهل ينفع السيف الكهام أن يجعل من الذهب حلية قرابه وكل من هؤلاء ذنب يسعى بغير راس ولا لاههم إلا فى عيشة الطاعم الكاس واذا اعتبر حاله وجد من البهائم وان كان منسوبا الى الناس والسيادة ليست فى وشى الثياب ولا فى طيب الطعام والشراب وانما هى فى شيئين ماشيا مة قلم تفرق لها قلوب الغمود أو شهامة رمح تفرق لها قلوب الأسود وكأنى بقوم يسمعون هذا وكلهم يتعض امتعاض المغضب وتتابع نفسه تتابع المتعب و يعترض الشجى فى حلقه حتى يغص من غير أن يشرب ولم يزل بالحساد من سيد ناداء يورثهم أرقا و يوسعهم شرقا وكثيرا ما تعرق له جباههم وكذا الميت تندى جبينه عرقا وما أرى لهؤلاء دواء الا أن يطرحوا عن مناكبهم ثقل المساجلة والحسد انما يكون ممن يجرى مع صاحبه فى مضمار المماثلة وكنت أحب أن يقام على الكتابة محتسب حتى ينفاس منها خلق كثير وتستريح جياد كثيرة من ركوب حمير وفى مثل هذا السوق يظهر أهل الخلابة والنجش وما منهم الامن هو فى الحضيض الاسفل وقد أجلس نفسه قائمة العرش ونار الآلة العمرية تميز خالص النقود من زيفها ولا حيف فى هذا المقام على من أسرفت دعواه الكاذبة فى حتفها و بعض هذا الفصل مأخوذ من شعر عبد السلام بن رعبان عرف بديك الجن

تزهى به القلمان إلا أن ذا * لدن المجاس وأن ذا بكعوب
عودان يقضب ذا الطلى بلعابه * ويجوب ذا المهجات بالتركيب

و يكفيك أيها المتوشح لنثر الشعر أن تنظر الى هذا الفصل وتتأمل الموضع الذى أخذت معنى هذين البيتين ووضعته فيه فان فيه غناء ومقنعا ﴿ وأما ﴾ حل آيات القرآن العزيز فليس كنثر المعانى الشعرية لان ألفاظه ينبغى أن يحافظ عليها لمكان فصاحتها إلا أنه لا ينبغى أن يؤخذ لفظ الآية بجملته فان ذلك من باب التضمين وانما يؤخذ بعضه فاما أن يجعل أولا لكلام أو آخرا على حسب ما يقتضيه موضعه وكذلك تفعل بالأخبار النبوية على أنه قد يؤخذ معنى الآية والخبر فيكسى لفظا غير لفظه وليس لذلك من الحسن ما للقسم الأول للفائدة التى أشرنا اليها وقد سلكت فى ذلك طريقا اخترعتها وكنت أنا ابن عذرتها وعند تأمل ما أوردته منها فى هذا الكتاب يظهر للمتأمل صحة دعاوى ولئن كان من تقدمنى أتى بشىء من ذلك فانى ركبت فيه

مدراج شبثان لهن هميم
(جندب) الجرادة وبه سمى الرجل (الذر) جمع ذرة وهى أصغر النمل قال الله عز وجل فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره أى وزن ذرة وبه سمى الرجل ذرا وكنى أبا ذر (العلس) القراد وبه سمى المسيب ابن علس الشاعر (المازن) بيض النمل ومنه بنو مازن (الاراقم) بنو جشم وناس من تغلب اجتمعوا فقال قائل كأن أعينهم أعين الاراقم والاراقم الحيات واحدها أرقم (الفرعة) القملة وتصغيرها فريعة ومنه سمى حسان بن الفريعة

﴿ المسمون بالصفات وغيرها ﴾

(النجاشى) هو الناجش والنجش استثارة الشىء ومنه قيل للرجل الزائد فى ثمن السلعة ناجش ونجاش ومنه قيل للصياد ناجش وقال محمد بن اسحق النجاشى اسمه أصحمة وهو بالعربية عطية وانما النجاشى اسم الملك كقولك هرقل وقيصر ولست أدرى أبالعربية هو أم وفاق وقع بين العربية وغيرها (علاثة) مأخوذ من علث الطعام يعلثه و يعلثه اذا خلط به شعيرا أو غيره (مرثد) مأخوذ من رثدت المتاع اذا نضدت بعضه على بعض (الشوذب)

جواداً وركب جملا ونال من مورده نهلة واحدة ونلت منه نهلا وعللا ومن آتاه الله في القرآن بصيرة فانه يسبك ألفاظه ومعانيه في كلامه ويستغنى به عن غيره الا أنه ينبغي أن يكون فيه صواغا يخرج منه ضروب المصوغات أو صرافا يتجهبذ في نقوده المختلفة من الذهب المختلف الالوان ولا أقول من الفضة فانه ليس فيه من الفضة شيء وهو أعلى من ذلك أو يكون فيه تاجرا يديره على يده ويتصرف في أرباحه ويخرج من الامتعة المجلوبة من مناسجه كل غريبة عجيبة وكل هذا يفهمه من عرف فلزم وحكم بما علم

وما كل من قال القريض بشاعر * ولا كل من عانى الهوى بتيم

﴿واعلم﴾ أن المتصدى لحل معانى القرآن يحتاج الى كثرة الدرس فانه كلما ديم على درسه ظهر من معانيه ما لم يظهر من قبل وهذا شيء جربته وخبرته فاني كنت آخذ سورة من السور وأتلوها وكلما مر بي معنى أثبته في ورقة مفردة حتى أنتهى الى آخرها ثم آخذ في حل تلك المعاني التي أثبتها واحدا بعد واحد ولا أقنع بذلك حتى أعاود تلاوة تلك السورة وأفعل مثل ما فعلته أولا وكلما صقلتها التلاوة مرة بعد مرة ظهر في كل مرة من المعاني ما لم يظهر في المرة التي قبلها وسأورد في هذا الموضع سورة من السور ثم أردفها بآيات أخرى من سور متفرقة حتى يتبين لك أيها المتعلم مافعلته فتحتذو حذوه وقد بدأت بالسورة أولا وهي سورة يوسف عليه السلام لانها قصة مفردة برأسها وفيها معان كثيرة * فالاول ماذكرته في دعاء كتاب من الكتب وهو وصل كتاب الحضرة السامية أحسن الله أثرها وأعلا خطرها وقضى من العلياء وطرها وأظهر على يدها آيات المكارم وسورها وأسجد لها كواكب السيادة وشمسها وقمرها وهذا أول معنى في السورة وقد نقلته عن قصة المنام الى الدعاء ثم أبرزت هذا المعنى في صورة أخرى وهو أكرم النعم ما كان فيها ذكرى للعابدين وتقدمه اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين فهذه النعمة هي التي تأتي بتيسير العسير وتجلو ظلمة الخطب بالصباح المنير فانظر الى أثر رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ثم تصرفت في هذا المعنى فأخرجته في معرض آخر وهو فصل من جملة تقليد يكتب من ديوان الخلافة لبعض الوزراء فقلت وقد علمه أمير المؤمنين فأدنى مجلسه من سمائه وآنسه على وحدة الانفراد بحفل نعمائه ورفعه حتى ودت الشمس لو كانت من أترابه والقمر لو كان من ندمائه وذلك مقام لا تستطيع الجدود أن ترقى الى رتبته ولا الآمال أن تطوف حول كعبته ولا الشفاه أن تتشرف بتقبيل تربته فليزد إعجابا بما نالته مواطىء أقدامه ولينظر الى سجود الكواكب له في يقظته لا في منامه ﴿ومن ذلك﴾ ما ذكرته في ذم بخيل وهو لم أر كواهب فلان ملأت أملي بطمع وعودها وفرغت يدى من نيل جودها فلم أحظ إلا بلامع سرابها وكانت كدم القميص في كذابها ﴿ومن ذلك﴾ ما ذكرته في تزكية انسان مما رمي به وهو لم توم بذنب إلا نابت البراءة له مناب الشهود وجيء من أهلها بشهادة القميص المقدود ﴿ومن ذلك﴾ ما ذكرته في عذر الهوى وهو لم يهو حبيبا إلا كان لأهل التقى فيه أسوة ولا ليم من أجله إلا اعتذر عذرا مرأة العزيز الى النسوة ﴿ومن ذلك﴾ ما ذكرته في فصل من جواب كتاب الى بعض الاخوان وهو ان كان الكلام كما قيل ذكرا والجواب أنثى فجوابي هذا عروس تجلى في حلاها المحبرة وعقودها المشذرة وتزهى بما آتاها الله من الحسن الذي ليس بالمجلوب ولا ترضى بتقطيع الايدى دون تقطيع القلوب وها قد أرسلتها الى سيدنا حتى يعلم أن نتائج خاطرى على الفطرة وأنها

صمم (عكابة) من العكوب وهو الغبار (ذفافة) من قولك خفيف ذفيف والذفيف السريع ومنه يقال ذففت على الجريح اذا أسرعت قتله (نصاح) الخيط لانه ينصح به الثوب أي يخاط به (ناشرة) واحدة النواشر وهي العصب في باطن الذراع (ابن القرية) والقرية الحوصلة قال أبو زيد وهي الجرية أيضا (سلم) الدلو لها عروة واحدة (الحوفزان) بالزاى المعجمة فوعلان من حفزه يقال انما سمى بذلك لأن بسطام ابن قيس حفزه بالرمح حين خاف أن يفوته فسمي بتلك الحفزة الحوفزان قال الشاعر

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة
سقته نجيعا من دم الجوف أشكلا

(وكيع) من استوكع الشيء اذا اشتد يقال دابة وكيع وسقاء وكيع واستوكعت معدته اذا قويت (ناتل) من قولك استنتلت أي تقدمت (النضر) الذهب (مجرد) الخفيف السريع وقيل هو مأخوذ من المعجرد وهو العريان ومنه حماد عجرد (الحنبل) القصير ويقال للغرو أيضا حنبل

(قتيبة) تصغير قتب وجمعه أقتاب وهي الامعاء قال الاصمعي والكسائي واحدتها قتبة (عامر بن فهيرة) تصغير فهر والفهر مؤنثة يقال

معشوقة الصور فكل الناس فى هواها بنو عذرة وفى هذا الفصل معنى الآية والخبر النبوى والبيت من الشعر ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرت فى تقلب الايام وهو لقينا أياما ضاحكات وليتها أيام عابسات فكانت كسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى وصف كريم وهو ليس ممن يرقب عجف الزمان فيذر الحب فى سنبله ولكنه يستأنف الصبر فى آخره ويستهلك المال فى أوله فلا يبقى من يومه لغده ولا يتهم ربه فيما بيده ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى حب الرشوة وهو الرشوة تحل عقد القلوب وتهون فراق المحبوب ألا ترى أن رد البضاعة حكم على أخى يوسف بالاضاعة ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى الاستسلام لحكم الاقدار وهو لا تحترس من جنود الاقدار بالآراء المتعمقة وسواء عندها الباب الواحد والابواب المتفرقة ﴿ومن ذلك﴾ ما ذكرته فى تتابع الاساءة وهو لم يزل يرشقنى بقوارصه حتى تكاثر النبل واستحكم التبل ولم يكفه الالقاء فى غيابة الجب حتى قال ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى التوكل وهو اذا طلب أمرا أجمل فى المطلوب ووكله الى الذى بيده مفاتيح الغيوب وتأسى فى حاجته منه بالحاجة التى كانت فى نفس يعقوب ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى وصف الكيد وهو لم يأت أمرا إلا أخفى أسباب أواخيه وبدأ فيه بالأوعية قبل وعاء أخيه وهذه ثلاثة عشر معنى من سورة يوسف عليه السلام ﴿وأما﴾ الآيات التى هى من سور متفرقة فأولها ما كتبته فى صدر كتاب الى بعض الاخوان جوابا عن كتاب به وهو ورد كتابه عشية يوم كذا فعرض على عرض الجياد على سليمان وتساوينا فى الاشتغال منه ومنها بالاستحسان غير أن الجياد وان حسنت فانها لا تبلغ فى الحسن مبلغ الكتاب لكن قلت كما قال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب ولئن قضى الاشتغال هناك بمسح سوق وأعناق فانه لم يقض ههنا بمسح سطور ولا أوراق وانما اشتغلت عن عبادة بعبادة ولو شئت لقلت عن افادة بافادة وهذا مأخوذ من قصة سليمان عليه السلام فى سورة ص وهى قوله تعالى ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أواب إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد فقال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب ردوها على فطفق مسحا بالسوق والاعناق فانظر كيف أخذت هذه القصة وقابلت بينها وبين الكتاب ثم أنى تصرفت فيها بالموافقة بينهما تارة والمخالفة بينهما أخرى وهكذا ينبغى أن يفعل فيما هذا سبيله ﴿ومن ذلك﴾ ما كتبته عن الملك الأفضل على بن يوسف الى الديوان العزيز النبوى ببغداد فى فصل من كتاب وهو وقد علم أن المال الذى يختزن كالماء الذى يحتقن فكما أن هذا يأجن بتعطيل الأيدى عن امتياح مشاربه فكذلك يأجن هذا بتعطيل الايدى عن امتياح مواهبه وأى فرق بين وجوده وعدمه لولا أن تملك به القلوب وتقل به الخطوب ويركب به ظهر العزم الذى ليس بركوب ومن بسط الله يده فيه ثم قبضها بخله فانه يقف دون الرجال مغمورا ويقعد عن نيل المعالى ملوما محسورا واذا أدركته منية مضى وكأنه لم يكن شيئا مذكورا ومذ ناط الله بيد الخادم ما ناطه من أمر بلاده لم يدخر منها الامربط أشقره ومركز أسمره وما عداهما فانه مصروف الى قوة الاسلام فى سد ثغوره وتكثير جنوده وإيقاد حرب عدوه بعد خمودها واستباحة جمرها عند وقوده وما يفضل عن ذلك فانه للناس يشتركون فى وشله وغمره والمسلم أخو المسلم يساويه فى حقه من بيت المال وان خالفه فى مزية قدره ولا سبيل على الخادم وهو يفعل ما يفعله أن يدلس من هذا المال بتبعة المطلوب أو يلتحق بالقوم الذين يكنزونه فيجزى عليه بكى الجباه والظهور والجنوب ولم يأت به الله على فترة من مثله إلا ليمحو به سيآت

ووثب ومنه قيل للجماعة يغزون ضبير ومنه اضبارة الكتب وضبرت الكتب وقرأت بخط الاصمعى عن عيسى بن عمر أنه قال (شرحبيل) أعجمى وكذلك شراحيل وأحسبهما منسوبين الى ايل مثل جبرائيل وميكائيل وايل هو الله عزوجل (زهير) هو أزهر مصغر مرخم مثل سويد من أسود والازهر الابيض (الزبرقان) القمر ويقال إنه سمى الزبرقان بن بدر بالزبرقان لصفرة عمامته يقال زبرقت الشىء اذا صفرته واسمه حصين (الحارث) هو الكاسب للمال والجامع له ومنه قول عبد الله ابن عمرو أحرث لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا (كهمس) القصير (حفص) ذبيل من جلود (كلدة) قطعة من الارض غليظة ومنه الحرث بن كلدة (النكث) احد انكاث الاخبية والاكسية وهو ما نقض منها ليغزل ثانية ويعاد مع الجديد ومنه بشير بن النكث (الفزر) القطيع من الغنم (جواب) من قولك جبت الشىء أى خرقته قال الله عز وجل وثمود الذين جابوا الصخر بالواد (حراش) جمع حرش وهو الاثر ومنه ربعى بن حراش (الدرواس) الغليظ العنق من

الدين ويعيد به الاسلام الى وطنه بعد أن طال عهده بمفارقة الوطن ولا يكون حسنة من حسنات أمير المؤمنين ترقمها الدنيا فى ديوانه وتثقل بها فى الآخرة كفة ميزانه وفى هذا الفصل معنى آيتين احداهما فى سورة هل أتى والأخرى فى سورة براءة (ومن ذلك) ما كتبته عنه الى عمه الملك العادل أبى بكر بن أيوب من كتاب يتضمن استعطافه والتنصل اليه وهو من شيمة الأقدار أن تذهب ببصائر ذوى الألباب ويمثل لهم الخطأ فى مثال الصواب ولولا ذلك لما زل الحكيم واعوج المستقيم والمملوك يقبل اليد الكريمة المولوية الملكية العادلية لازال عرفها مأمولا واحسانها عند الله مقبولا وفعلها فى المكرمات مبتدعا اذا كان فعل الأيادى مفعولا ونستغيث الى عفوها الذى يكفى فيه لفظة الاعتذار ولا ينفد بمواظبة الآصار ولو عرف ذنبه باديا لقرع له سن الندامة وعاد على نفسه بالملامة ولما كان عجيبا أن يكون مليما وأن يكون مولانا كريما لكنه حمل اصرة الذنب وهو برىء من حملها وخاف أن تكون هذه كأخواتها التى سلفت من قبلها والأمور المتشابهة يقاس البعض منها على البعض والملسوع لا يستطيع أن يرى مجر حبل على الأرض ولم يجترم المملوك الآن جريمة سوى أن فر الى الاعتصام وأتى بيده الى أقوام لم يكونوا له بأقوام واذا ضاق على المرء أقربه كان الأبعد له من ذوى الأرحام وليس بأول من ذهب هذا المذهب ولا بأول من حمل نفسه على ركوب هذا المركب وان قال بعض الناس انه عجل فى اعتصامه وفراره وانه لو صبر لحمد مغبة اصطباره فهذا قول من لم يعرف حال المملوك فيقيم له عذرا ولا ابتلى بما ابتلى به من قوارض مولانا مرة بعد أخرى ولقد تكاثرت عليه هذه الأقوال المؤنبة حتى ملأت طرفه كحل السهاد وجنبه شوك القتاد وأصبح وهو يرى أنه زلق فى خطيئته زلقا وغص بندمه من أجلها شرقا وبدت له سوآته حتى طفق يخصف عليها ورقا ومع هذا فانه واثق أن حلم مولانا لا يؤتى من الزلل وأن حصاة الذنوب لا تخف بوزن ذلك الجبل وها هو قد جاء نازعا وللنازع العتبى وعاد مستشفعا ولا شفيع أكرم من القربى ثم مضيت على هذا النهج الى آخر الكتاب وفى الذى أوردته من هذا الفصل معنى آية من القرآن فى سورة الأعراف وهى قوله تعالى فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة (ومن ذلك) ما كتبته عن الملك القاهر عز الدين مسعود بن أرسلان بن مسعود صاحب الموصل الى الديوان العزيز ببغداد بعد وفاة والده يسأل فى التقليد وكان عمره اذ ذاك ست عشرة سنة فما جاء فى صدر الكتاب بعد الدعاء قولى وهو اذا توفى ولى من أولياء الدولة فمن السنة أن يعزى بفقده ويستخرج أذنها فى سليلة القائم من بعده حتى لا تخلو أرضها من رواسى الجبال ولا سماؤها من مطالع الكواكب التى تجلو ظلمة الليال وقد مضى والد العبد الى رحمة الله وهو متزود من الطاعة خير زاد غير خائف من احصاء الرقيب العتيد اذ جعلها له من العتاد وما عليه وقد ثقلت كفة ميزانه ما كان فى الكفة الاخرى من السجلات الكثيرة الاعداد ومضمون وصيته التى عهدتها أن نمشى فى الطاعة على أثره ونهتدى بالاوامر الشريفة فى مورد الامر ومصدره وقد جعلها العبد نجى فكره اذا قام واذا قعد وسبحة صلاته اذا ركع واذا سجد وهو يرى أنه لم يمض والده حتى أبقى للدولة من يثبت قدمه موضع قدمه وعند ذلك يقال ان غصن الشجرة كالشجرة فى ثبات أصله وقوة معجمه وهذا مقام لا تمتاز فيه الآباء عن الابناء وليست المزية لاكتهال السن انما هى لشبيبة الغناء وقد أوتى يحيى الحكم قبل أن يجرى القلم فى كتابه وشهد له بالتزكية قبل أن ينتصب فى محرابه وكذلك قد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة على فتاء عمره وشهد أنه خليق بما أسند اليه من أمره والعبد وان بسط

الناس والكلاب وغيرهم (زفر) وقثم بمعنى زافر وقاثم والزفر الحمل والزفر الحمل على الظهر ومنه قيل للاماء اللواتى يحملن القرب زوافر ويقال قثمت له أى أعطيته (وعمر) معدول عن عامر وعمر واحد عمور الانسان وهو ما بينها من اللحم وعمر الانسان وعمره واحد يقال أطال الله عمرك وعمرك ومنه يقال لعمرك انما هو الحلف ببقاء الرجل ولعمر الله قسم ببقائه عز وجل ودوامه (السام) عروق الذهب واحدها سامة وبها سمى سامة بن لؤى (الفرزدق) قطع العجين واحدها فرزدقة وهو لقب له لانه كان جهم الوجه (الجرير) حبل يكون فى عنق الدابة أو الناقة من ادم وبه سمى الرجل جريرا (الاخطل) من الخطل وهو استرخاء الاذن ومنه قيل لكلاب الصيد خطل (دعبل) الناقة الشارف (ذو الرمة) والرمة الحبل البالى (ابن حلزة) والحلزة القصير (ابن الاطنابة) والاطنابة المظلة وهى أيضا السير الذى على رأس وتر القوس (الطرماح) الطويل يقال طرمح البناء اذا أطاله (المصعب) الفحل من الابل وبه سمى الرجل مصعبا (مهلهل) من هلهلت الشيء اذا رققته ويقال انما سمى مهلهلا لانه أول من أرق الشعر يقال ثوب هلهال اذا كان رقيقا سخيفا أو خلقا باليا (قريش) من التقرش

الاستحقاق لسانه فان الادب يحكم بانقباضه و يريه أن التفويض إلى انعام الديوان العزيز أسرع
في نجح أغراضه ولا شك أن منتهى الآمال لا يبلغ أدنى تلك المواهب ولو جمعت في صعيد واحد ثم
سألت مطالبها لما نقصت خزائن العطايا من تلك المطالب وهذا الفصل من أول الكتاب وفيه معنى
آيتين من سورة مريم عليها السلام أما الأولى فقوله تعالى عند ذكر يحيى عليه السلام وآتيناه الحكم
صبيا وأما الثانية فقوله تعالى وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا وفي هذا الفصل أيضا معان ثلاثة من
الأخبار النبوية وليس هذا موضعها وانما جاءت ضمنا وتبعا (ومن ذلك) ماذكرته في وصف الغبار في
الحرب وهو وعقد العجاج شفقا فانعقد وأرانا كيف رفع السماء بغير عمد غير أنها سماء بنيت بسنابك
الجياد وزينت بنجوم الصعاد ففيها مايوعد من المنايا لا مايوعد من الارزاق ومنها تقذف شياطين
الحرب لا شياطين الاستراق وهذه المعاني مأخوذة من سورة الرعد وسورة الصافات وسورة الذاريات
(ومن ذلك) ماذكرته في وصف طعام وهو فصل من كتاب فقلت طعام لا يمل إذا شينت الأطعمة
بملالها وكأنما تولته يد الخالقة ولم تباشره الايدي بعملها فهو من بقايا المائدة التي نزلت من السماء وقد
طاب حتى لا يحتاج من بعده إلى استعمال الماء ومارآه ذو شبع الارآى تركه غبنا وود لو زيد الى بطنه
بطنا أو بعض هذا مأخوذ من سورة المائدة (ومن ذلك) ماذكرته في فصل من كتاب الى ديوان الخلافة
وهو وقد تكاثرت وسائل الخادم حتى لا يدري مايجعله لطلابه سفيرا ومامنها الا مايقال انه أول وليس
فيها مايجعل أخيرا غير أنه لا يذكر منها الا ماهو توأم ايمانه والذي لا ينظر الله من ابن آدم
الا الى مكانه وفي ذلك كاف عن الوسائل التليدة والطريفة وقول لا إله إلا الله لا يعدله شيء
من الحسنات المودعة في الصحيفة وقد تجدد الآن للخادم مطلب هو بالنسبة إلى مواهب الديوان
العزيز يسير ولو قامت مطالب الناس في صعيد واحد لأعطى كلا منها مرامه ولم يقل ذلك كثير
وكتابه هذا سائر الى تلك المواهب التي يضيق عنها صدر الأرض باتساعه وليس الذي يسأله
ممنعا فيحال على النظر الى الجبل في امتناعه وكما أن عبيد الديوان العزيز أطوار فكذلك مطالبهم
أطوار وقد جعل الله الأشياء متفاوتة في مراتبها وكل شيء عنده بمقدار وهذا الفصل من أحسن
مايكتب في استنجاز مطلوب وفيه معاني ثلاثة أخبار نبوية ومعنى آيتين من القرآن الكريم
وليس هذا موضع الأخبار وانما جاء ضمنا وتبعا فالآية الأولى في سورة الأعراف والآية
الثانية في سورة الرعد (ومن ذلك) ماذكرته في وصف كاتب وهو إذا دجا ليل قلمه وطلعت
فيه نجوم كلمه لم يقعد له شيطان بلاغة مقعدا الاوجد له شهابا مرصدا فاسرارها مصونة
عن كل خاطف مطوية عن كل قائف وهذا المعنى مأخوذ من سورة الجن (ومن ذلك)
ماذكرته في وصف كاتب أيضا فقلت له بنت فكر ما تمخضت بمعنى الا انتجته من غير ما تمهله
وأتت به قومها تحمله ولم يعرض على ملا من البلغاء الا ألقوا أقلامهم أيهم يستعيره لأيهم
يكفله وفي هذين السطرين آيتان من القرآن الكريم الاولى في سورة مريم وقصتها وقصة
ولدها عليهما السلام وهي قوله تعالى فأتت به قومها تحمله والثانية في سورة آل عمران في
قوله إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم (ومن ذلك) ماذكرته في فصل من كتاب يتضمن وصف
القلم فقلت وقد أوحى الله تعالى الى قلمه ما أوحاه الى النحل غير أنها تأوي الى المكان الوعر
وهو يأوي الى البيان السهل ومن شأنه أن يجتني من ثمرات ذات أرواح لا ذات أكمام
ويخرج من نفثاته شراب مختلف طعمه وفيه شفاء للافهام وأين ما تنبته كثافة الخشب مما
تنبته لطافة المعنى ولا تستوي نضارة هذا الثمر وهذا الثمر ولا طيب هذا الجنى وهذا المجنى وقد

وهو التكسب من التجارة يقال قرش يقرش ويقرش إذا كسب وجمع (دارم) من الدرمان وهو تقارب الخطو
وروى أن دارم بن مالك
كان يسمى بحرا فأتى أباه
قوم في حمالة فقال له يابحر
ائتني بخريطة وكان فيها
مال فجاء يحملها وهو يدرم
تحتها من ثقلها فقال قد
جاءكم يدرم فسمى دارما
بذلك (ازدشنوءة) من قولك
رجل فيه شنوءة أي تقزز
ويقال بل سموا بذلك لانهم
تشاءنوا وتباعدوا (النوفل)
العطية وهو من تنفلت إذا
بدأت العطية من غير أن
تجب عليك ومنه قيل
لصلاة التطوع نافلة وبها
سمي الرجل نوفلا (مضر)
سمي بذلك لبياضه ومنه قيل
مضيرة الطبيخ ويقال بل
المضيرة من اللبن الماضر
وهو الحامض لانها تطبخ
به (ربيعة) اسم بيضة
السلاح وبه سمي الرجل
(قارعة) من أسماء النساء
مأخوذ من قولك فرعت
القوم إذا طلتهم (عاتكة)
القوس اذا قدمت واحمرت
(ريطة) الملاءة وبها سميت
المرأة ريطة (الرباب) سحاب
وبه سميت المرأة (روبة
اللبن) خميرة تلقى فيه من
الحامض ليروب وروبة
الليل ساعة منه يقال
أهرق عنا من روبة
الليل ومنه قول الشاعر
فأما تميم تميم بن مر
فألفاهم القوم روبى نياما

أرخص

أرخص الله مايكثر وجوده فيذهب فى لهوات الأفواه وأغلى مايعز وجوده فيبقى خالدا على ألسنة الرواة وكل هذه الأوصاف لاتصح الا فى قلم سيدنا الذى إذا خلا بخاطره امتلأت بحديثه المحافل واذا حلا كتابه وجدت الكتب الحالية من قبله وهى عواطل فله حينئذ أن ينظر إلى غيره بعين الاحتقار ولو اصفه أن يسهب وهو قائم مقام الاختصار هذا الفصل غريب عجيب وقد جمع بين الاضداد فمناله بعيد وفهمه قريب وهو مأخوذ من سورة النحل ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى ذم بخيل وهوله شيمة فى الجود لايشام نائلها واذا هزها سائلها قال انها كلمة هو قائلها وهذا مأخوذ من سورة المؤمنين ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى صدر كتاب وهو وصل كتابه فوقف منه على اللفظ الرخيم والمعنى الذى هو فى كل واد يهيم وقال يأيها الملا انى ألقى الى كتاب كريم ثم أخذ فى اعلاء قدره وتنويه ذكره ولم يستفت الملأ فى الاذعان لأمره ولا أهدى فى قبالته سوى هدية لسانه وصدره لاجرم أنها تقبل ولاترد و يعتد بها ولاتعدقانها مال لاينفده الانفاق وجوهر تتحلى به الأخلاق لا الأعناق وهذا مأخوذ من قصة سليمان عليه السلام فى كتابه إلى بلقيس وهى مذكورة فى سورة النمل وفى هذا من شرف الصنعة أنه خولف بين معانيه ومعانى ماأتى به القرآن الكريم ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى صدر كتاب يتضمن ذكر معركة حرب بين المسلمين والكفار وهو اذا خطب القلم عن الرمح الذى هو نديده قام محتفلا وأسهب مترويا ومرتجلا حتى يأتى فى خطابته بالمعانى الاخائر وأصدق القول ماصدر عن شهادة الضرائر للضرائر وكتابنا هذا يصف معركة احمرت ضبابتها وضاقت بالأسود غابتها فالطعن بها محتضر والموت محتقر والنصر من كلا الفريقين مقتسر وكان الاسلام هنالك زجر السنيح وفوز القدح المنيح وليس الذى يرقب المعونة من الله الذى هو رب المسيح كمن يرقبها من المسيح ولقد نفذت الرماح فى أعداء الله تعالى حتى اعتدلت من جانبى الصدور والظهور وتركت الناجى منهم وهو لاينظر إلى الصليب الا نظر الخائف المذعور فليس لهم من بعدها جيش يجمع ولا لواء يرفع وقد كانت بلادهم من قبل مانعة وهى الآن لاتذب عنها ولا تمنع وهذه معركة قلت بها الرقاب المأسورة وكثرت النفوس المقتولة وقربت بها القرابين التى تأكلها النار لالانها مقبولة ومعنى الآية فى هذا الفصل مأخوذ من سورة آل عمران الا أنها تخالفه وذلك أن القربان كان يقبل فتنزل النار تأكله وأجساد هؤلاء الكفار قربان تأكله النار لكنها لاتأكله لانه مقبول وباقى الفصل يتضمن معنى حسنا رقيقا ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى فصل من كتاب يتضمن الشكوى من خلق بعض الاخوان وهو ولقد صبرت على أخلاقه العائثة وعاملته بالخليقة الرائثة وعالجته بضروب المعالجات فلم تنفع فيه رقى الراقية ولا نفث النافثة ولما أعيا على اصلاحه أخذت بمقالة الخضر لموسى فى المرة الثالثة وهذا مأخوذ من قصة موسى عليه السلام وقصة الخضر فى سورة الكهف ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى فصل من كتاب وهو تجمعوا فى نار الندم يعرضون عليها غدوا وعشيا وصار الأمر الذى كانوا يرجونه مخشيا وأضحوا كأهل النار الذين صاروا أعداء وكانوا شيعا وقال ضعفاؤهم للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا وهذا مأخوذ من سورة حم المؤمن ومن سورة سبأ ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى ذم غلام أبله كنت أقاسى من بلهه نكدا فكتبت يوما من الأيام إلى بعض اخوانى كتابا وعرضت فيه بذكره فقلت ولقد ملكه النسيان حتى كأنه يقظ فى صورة نائم وحتى حقق قول التناسخ فى نقل أرواح الأناسى الى البهائم فما أرسل فى حاجة الاذهبت عن قلبه يمنة و يسرة ولا طلب منه مااستحفظه الاقال أرأيت إذ أوينا

لايقوم بروبة أهله أى بما أسندوا اليه من حوائجهم غير مهموز ورؤبة بالهمزة قطعة يرأب بها الشيء أى يسد بها وانما سمى رؤبة بواحدة من هذه وروى نقلة الأخبار أن طيئا أول من طوى المناهل فسميت بذلك واسمه جلهمة وأن مرادا أول من تمرد فسمى بذلك واسمها يحابر ولست أدرى كيف هذان الحرفان ولأنا من هذا التأويل على يقين

﴿باب آخر من صفات الناس﴾

رجل معربد فى سكره وهو مأخوذ من العربد والعربد حية تنفخ ولا تؤذى (رجل وغد) وهو الدنىء من الرجال وهو من قولك وغدت القوم أغدهم إذا خدمتهم أمة لخناء من اللخن وهو النتن يقال لخن السقاء إذا تغيرت رائحته (أمة وكعاء) من الوكع فى الرجل وهو أن تميل ابهام الرجل على الأصابع حتى تزول فيرى شخص أصلها خارجا (رجل متيم) تيمه الحب أى عبده واستعبده ومنه تيم اللات كأنه عبد اللات (رجل جميل) قالوا أصله من الودك يقال اجتمل الرجل إذا أذاب الشحم وأكله والجميل الودك بعينه ووصف الرجل به يراد أن ماء السمن يجرى فى وجهه (والمصلوب

إلى الصخرة وهذا فصل يشتمل على عدة معان منها ما هو مأخوذ من القرآن الكريم من سورة الكهف ﴿ومن ذلك﴾ ما ذكرته في تقليد قاض وهو فصل منه فقلت والفضائل ما بقيت موجودة ولم تفقد وهي حية وان أودى أربابها ولا يموت من لم يولد ومن أكرم ما أوتيه منها فضيلة التقوى التي الكرم من شعارها والعاقبة والحسنى كلاهما من آثارها وما نقول الا أنه اتخذها حارسا يمنع الخصم من تسور محرابه ويؤمن قلبه من الفتنة الداعية الى استغفاره ومتابه وقد قرن الله له هذه الفضيلة بالعلم الذي أعلمه بعلامته ووسمه بوسامته وقذف في روعه ما لا يسأل معه عن السفينة وخرقها والغلام وقتله والجدار واقامته وعلى ما بلغه منه فانه فيه أحد المنهومين اللذين لا يشبعان واذا كان لغيره فيه نظر واحد ومسمع فله فيه نظران ومسمعان وفي هذا الفصل المختصر معاني عدة آيات وخبر من الأخبار النبوية أما الآية الأولى فقوله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم وأما الآية الثانية فقوله تعالى والعاقبة للتقوى وأما الثالثة فقوله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب وأما الآية الرابعة فقوله تعالى فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها وكذلك الى آخر القصة وهذا من أحسن ما يأتي في هذا الباب ﴿ومن ذلك﴾ ما ذكرته في جملة كتاب يتضمن عناية ببعض الفقراء فقلت بعد الابتداء بصدر الكتاب وقد علم منه أنه يعد لطالب فضله فضلا ويرى التبرع بمعروفه فرضا إذا رآه غيره مع المسألة نفلا وما ذاك الا لمزية خلق توجد بطيب التربة وشرف الرتبة وأوتي من كنوز الكرم ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة ولهذا خرج على على قومه من الأخلاق في زينته وفضل الخلق بطينة غير طينته ومن فضله أنه يسأل عن السائلين ويحتال في استنباط أمل الآملين ثم مضيت على هذا النهج حتى أنهيت الكتاب والغرض أن تعلم أيها المتعلم كيف تضع يدك في أخذ ما تأخذه من بعض الآية ثم تضيف اليه كلاما من عندك وتجعله مسجوعا كما قد فعلت أنا في هذا الموضع الا ترى أني أخذت بعض هذه الآية في قصة من سورة القصص وهي قوله تعالى ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين فهذه الآية أخذت بعضها وأضفت اليه كلاما من عندي حتى جاء كما تراه مسجوعا وكذلك فعلت بالآية الأخرى من هذه السورة أيضا وهي قوله فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم وهذا ينبغي لك اذا أردت أن تسلك هذه الطريق وقدرت على سلوكها وهي من محاسن الصناعة البلاغية وليس فوقها من الكلام ما هو أعلى درجة منها لانها ممزوجة بالقرآن لا على وجه التضمين بل على وجه الانتظام به والله يختص بها من يشاء من عباده وفيما ذكرته من نثر هذه الآيات كفاية للمتعلم (وأما) الأخبار النبوية فكالقرآن العزيز في حل معانيها ﴿فان قلت﴾ ان الأخبار النبوية لا يجري فيها الأمر مجرى القرآن اذ القرآن له حاصر وضابط وكل آياته تدخل في الاستعمال كما قال بعضهم لو ضاع مني عقال لوجدته في القرآن الكريم وأما الأخبار فليست كذلك لانها كثيرة لا تنحصر ولو انحصرت لكان منها ما يدخل في الاستعمال ومنها ما لا يدخل ولا بد من بيان يمكن الاحاطة به والوقوف عنده ﴿قلت﴾ في الجواب عن هذا انك أول ما تحفظه من الأخبار هو كتاب الشهاب فانه كتاب مختصر وجميع ما فيه يستعمل لانه يتضمن حكما وآدابا فاذا حفظته وتدربت باستعماله كما أريتك ههنا حصل عندك قوة على التصرف والمعرفة بما يدخل في الاستعمال وما لا يدخل وعند ذلك تتصفح كتاب صحيح البخاري ومسلم والموطأ والترمذي

وسنن

الودك يقال اصطلب الرجل اذا جمع العظام فطبخها ليخرج ودكها فيأتدم أيضا من الصليب وهو به ومنه قول الكميت ابن زيد

واحتل برك الشتاء منزله
وبات شيخ العيال يصطلب

وقال الهذلي

جريمة ناهض في رأس نيق
ترى لعظام ما جمعت صليبا

أي ودكا (المخنث) مأخوذ من الانخناث وهو التكسر والتثني ومنه سميت المرأة خنثاء ومنه الخنثى (امرأة مقلات) اذا لم يعش لها ولد مفعال من القلت وهو الهلاك مثل مهلاك وحكي عن بعض العرب أنه قال إن المسافر ومتاعه لعلى قلت الاما وقى الله (الضيف) مأخوذ من ضاف أي عدل ومال والاضافة الامالة (رجل مأفون) أي كأنه مستخرج العقل من قولك أفن فلان ما في الضرع اذا استخرجه (رجل مأبون) أي مقروف بخلة من السوء من قولك أبنت الرجل آبنه وآبنه بشر ومنه الحديث في وصف مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تؤبن فيه الحرم أي لا تذكر بسوء (والماجد) الشريف (والكريم) الصفوح (والسيد) الحليم (والاريب) العاقل والارب العقل (والسفيه) الجاهل والسفه الجهل (والحسيب) من الرجال ذو الحسب

وسنن أبي داود وسنن النسائي وغيرها من كتب الحديث وتأخذ ما تحتاج اليه وأهل مكة أخبر بشعابها والذي تأخذه ان أمكنك حفظه والدرس عليه فهو المراد لان ما لا تحفظه فلست منه على ثقة وان كان لك محفوظات كثيرة كالقرآن الكريم ودواوين كثيرة من الشعر وما ورد من الأمثال السائرة وغير ذلك مما أشرنا اليه فعليك بمداومة المطالعة للأخبار والاكثار من استعمالها في كلامك حتى ترقم على خاطرك فتكون اذا احتجت منها الى شيء وجدته وسهل عليك أن تأتي به ارتجالا فتأمل ما أوردته عليك واعمل به وكنت جردت من الأخبار النبوية كتابا يشتمل على ثلاثة آلاف خبر كلها تدخل في الاستعمال ومازلت أواظب مطالعته مدة تزيد على عشر سنين فكنت أنهي مطالعته في كل أسبوع مرة حتى دار على ناظري وخاطري ما يزيد على خمسمائة مرة وصار محفوظا لا يشذ عني منه شيء وهذا الذي أوردته ههنا في حل معاني الاخبار هو من هنالك وسأذكر ما دار بيني وبين بعض علماء الأدب في هذا الأسلوب الذي أنا بصدده ههنا وذاك أنه استوعره وأنكره وقال هذا لا يتهيأ الا في الشيء اليسير من الأخبار النبوية فقلت لا بل يتهيأ في الاكثر منها فقال قد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه اختصم اليه في جنين فقضى على من أسقطه بغرة عبد أو أمة فأين يستعمل هذا فأفكرت فيما ذكره ثم أنشأت هذا الفصل من الكلام وأودعته فيه قد كثر الجهل حتى لا يقال فلان عالم وفلان جاهل وضرب المثل بباقل وكم في هذه الصورة الممثلة من باقل ولو عرف كل انسان قدره لما مشى بدن الا تحت رأسه ولا انتصب رأس الا على بدنه ولكان صاحب العمامة بعمامته وصاحب الرسن أحق برسنه وكنت سمعت بكاتب من الكتاب كلمه الى غثاثة وقلمه بغاثة لا يستنسر وأي بطش لبغاثة واذا وجب الوضوء على غيره بالخارج من السبيلين وجب عليه من سبل ثلاثة هذا وهو يدعي أنه في الفصاحة أمة واحدة ومن قس أياد وسحبان وائل عنده واذا كشف عن خاطره وجد بليدا لا يخرج عن العمه والكمه وان رام أن يستنتجه في حين من الأحيان قضى عليه بغرة عبد أو أمة وكثيرا ما يتقدم ونقيصته هذه على الأفاضل من العلماء وقد صار الناس الى زمان يعلو فيه حضيض الأرض على هام السماء فلما أوردته عليه ظهرت أمارة الحسد على صفحات وجهه وفلتات لسانه مع اعجابه به واستغرابه اياه ثم قال وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحديث وهو لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا تمثال فهذا أين يستعمل من المكاتبات فترويت في قوله ترويا يسيرا ثم قلت هذا يستعمل في كتاب الى ديوان الخلافة وأمليت عليه الكتاب فجاء هذا الحديث في فصل منه وهو إذا أفاض الخادم في وصف ولائه نكصت همم الأولياء عن مقامه وعلموا أنه أخذ الأمر بزمامه فقد أصبح وليس بقلبه سوى الولاء والايمان فهذا يظهر أثره في طاعة السر وهذا في طاعة الاعلان وما عداهما فان دخوله الى قلبه من الأشياء المحظورة والملائكة لا تدخل بيتا فيه تمثال ولا صورة فليعول الديوان العزيز على سيف من سيوف الله يفري بلا ضارب ويسري بلا حامل ولا يسل الا بيد حق ولا يغمد الا في ظهر باطل وليعلم أنه كرشه وعيبته في تضمن الاسرار وأنه أحد سعديه اذا عدت مواقف الأنصار فلما رأى هذا الفصل بهت له وأعجب منه ثم اني لم أقنع بايراد ذلك الحديث حتى قرنت به حديثا آخر وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار كرشي وعيبتي * وحيث عرفتك أيها المتعلم ما تقتدي به في هذا الموضع فقد ذكرت لك أمثلة كثيرة تتدرب بها (فمن ذلك) ما ذكرته في دعاء كتاب من الكتب وهو أعاذ الله أيامه من الغير وبين بخطر مجده نقص كل خطر وجعل ذكره زادا لكل ركب وأنسا لكل سمر ومنحه من

(والحسب) العدد يقال حسبت الشيء حسبا وحسبانا وحسابا إذا عددته والمعدود حسب كما يقال نفضت نفضا والمنفوض نفض ومنه يقال ليكن عملك بحسب كذا أي على قدره وعدده بفتح السين فكأن الحسيب من الرجال الذي يعد لنفسه مآثر وأفعالا حسنة أو يعد آباء أشرافا

﴿ باب معرفة في السماء والنجوم والأزمان والرياح ﴾

السماء كل ما علاك فأظلك ومنه قيل لسقف البيت سماء وللسحاب سماء قال الله تعالى وأنزلنا من السماء ماء مباركا يريد من السحاب (والفلك) مدار النجوم الذي يضمها قال الله عز وجل وكل في فلك يسبحون سماه فلكا لاستدارته ومنه قيل فلكة المغزل وقيل فلك ثدي المرأة وللفلك قطبان قطب في الشمال وقطب في الجنوب متقابلان (ومجرة) النجوم سميت مجرة لانها كأثر المجر ويقال هي شرج السماء ويقال باب السماء (وبروج السماء) واحدها برج وأصل البروج الحصون والقصور قال الله تبارك وتعالى ولو كنتم في بروج مشيدة (وأسماؤها) الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت (ومنازل القمر ثمانية وعشرون منزلا) ينزل القمر كل ليلة بمنزل منها قال تعالى والقمر قدرناه منازل

فضله مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا المعنى مأخوذ من الحديث في وصف نعيم الجنة فنقلته إلى الدعاء ﴿ومن ذلك﴾ ما ذكرته في وصف الحلم وهو تركته حتى جال في الميدان وامتد في الاشطان ولم انتصر خوفا من قيام الملك وقعود الشيطان والحليم لايظهر أثر حلمه الا عند تلدده والكظيم هو أشد مايخاف من تبدده وهذا المعنى أخذته من قصة أبي بكر رضي الله عنه في خصامه فانه بغي عليه ثلاث مرات وهو ساكت ففي الثالثة انتصر فقال النبي صلى الله عليه وسلم كان الملك جالسا الى جانب أبي بكر يكذب خصمه بما يقول فلما انتصر قام الملك وقعد الشيطان ﴿ ومن ذلك ﴾ ماذكرته في النصرة على العدو في موطن القتال وهو أخذنا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في النصر الذي نرجوه ونبذنا في وجه العدو كفا من التراب وقلنا شاهت الوجوه فثبت الله ماتزلزل من أقدامنا وأقدم حيزوم فأغنى عن اقدامنا وهذان المعنيان أحدهما مأخوذ من حديث غزوة حنين وما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في أخذ قبضة من التراب وألقاها في وجوه الكفار وقوله شاهت الوجوه والمعنى الآخر مأخوذ من حديث غزوة بدر وذلك أن رجلا من المسلمين لاقى رجلا من الكفار وأراد أن يضربه فخر على الأرض ميتا قبل أن يصل اليه وسمع الرجل المسلم صوتا من فوقه وهو يقول أقدم حيزوم فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره فقال ذاك من مدد السماء الثالثة ﴿ ومن ذلك ﴾ ماذكرته في ضيق مجال الحرب وهو وضاق الضرب بين الفريقين حتى اتصلت مواقع البيض الذكور وتصافحت الفور بالفور والصدور بالصدور واستظل حينئذ بالسيوف لاشتباك مجاهلها وتبوئت مقاعد الجنة التي هي تحت ظلالها وهو مأخوذ من الحديث النبوي صلى الله عليه وسلم الجنة تحت ظلال السيوف ﴿ ومن ذلك ﴾ ماذكرته في جملة كتاب أذم فيه الزمان فقلت ولكنها الأيام تبدي لنا من جوهرها كل غريبة وتسوسنا سياسة العبد المجدع الذي كان رأسه زبيبة وليس المرء فيما يلقاه من أحداثها نعمى كانت أو بوسى الا أن يكل الامور الى وليها فيقول حاج آدم موسى وهذا مأخوذ من الخبر النبوي في قوله صلى الله عليه وسلم حاج آدم موسى فقال له موسى أنت أخرجت الناس بخطيئتك من الجنة وأشقيتهم فقال له آدم أنت الذي اصطفاك الله تعالى برسالته وكلامه أتلومني على أمر كتبه الله تعالى على قبل أن يخلقني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى ﴿ ومن ذلك ﴾ ماذكرته في وصف بعض الكتاب وهو فصل من كتاب كتبته اليه فقلت ولقد سردت عليه أحاديث البلاغة فاستغنى عن بسط ردائه وهدى الى جوامع كلمها فاقتدى الناس باهتدائه فاذا اشتبهت عنده مسالك طرقها لم يملكه سلطان الحيرة وان أغرب في أساليبها لم يقل فيه ماقيل في رواية أبي هريرة وهذا الفصل من أحسن ما يؤتى به في صناعة نثر المعاني وهو مأخوذ من حديث أبي هريرة قال قلت يارسول الله أسمع منك أشياء فلا أحفظها فقال ابسط رداءك فبسطته فحدث حديثا كثيرا فما نسيت شيئا حدثني به ﴿وأما﴾ رواية أبي هريرة فشك فيها قوم لكثرتها وقد اجتمع في هذا الفصل معنى الحديث النبوي وغيره ومثل هذا لايتفطن له عند الوقوف الا من تبحر في الوقوف على الاخبار النبوية ومن أجل ذلك جعلته ركنا من أركان الكتاب في الفصل التاسع ﴿ ومن ذلك ﴾ ماذكرته في ذم بعض البلاد الوخمة فقلت ومن صفاتها أنها مدرة مستوبلة الطينة مجموع لها بين حره كة ولأواء المدينة الا أنها لم يأمن حرمها في الخطفة ولا نقلت حماها إلى الجحفة في هذه الكلمات القصار آية من القرآن الكريم وخبران من الأخبار النبوية فالآية من سورة العنكبوت وهي قوله تعالى

(والأزمنة أربعة) الربيع وهو عند الناس الخريف تسميه العرب ربيعا لأن أول المطر يكون فيه وسماه الناس خريفا لان الثمار تخترف فيه ودخوله عند حلول الشمس برأس الميزان ونجومه من هذه المنازل الغفر والزباني والاكليل والقلب والشولة والنعائم والبلدة (ثم الشتاء) ودخوله عند حلول الشمس برأس الجدي ونجومه سعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الأخبية وفرغ الدلو المقدم وفرغ الدلو المؤخر والرشاء (ثم الصيف) ودخوله عند حلول الشمس برأس الحمل وهو عند الناس الربيع ونجومه السرطان والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع (ثم القيظ) وهو عند الناس الصيف ودخوله عند حلول الشمس برأس السرطان ونجومه النثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعواء والسماك الاعزل ومعنى النوء سقوط النجم منها في المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله في المشرق من ساعته وانما سمي نوأ لانه اذا سقط الغارب ناء الطالع ينوء نوأ وذلك النهوض هو النوء وكل ناهض بثقل فقد ناء

تعالى أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا و يتخطف الناس من حولهم وهذا موضع يختص بالأخبار لا بالآيات غير أن الآية جاءت ضمنا وتبعا وأما الخبران فالأول منهما قول النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ولأواء المدينة ضمنت له على الله الجنة وأما الثانى فقوله صلى الله عليه وسلم فى دعائه للمدينة اللهم حببها الينا كما حببت الينا مكة وانقل حماها الى الجحفة فانظر أيها المتأمل الى هذه الكلمات حتى تعلم أن عدتها مصوغة من الآية والخبرين سواء بسواء وهذا طريق لو ادعيت الانفراد بسلوكه لما اختلف على فى الاعتراف به اثنان ﴿ ومن ذلك ﴾ ما كتبته فى كتاب الى بعض الاخوان جوابا عن كتاب ورد منه وكان كتابه تأخر عنى زمانا طويلا فقلت ولما تأملته ضممته الى والتزمته ثم استلمته والتثمته وعلمت أن المعارف وان قدمت أيامها انساب وشيجة وسيت بالخلق النبوى فى العجوز التى كانت تأتى فى زمن خديجة وهذا مأخوذ من الخبر المنقول عن عائشة رضى الله عنها وهو أنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذبح الشاة فيعضيها أعضاء ويقسمها فى أصدقاء خديجة وكانت تأتيه عجوز فيكرمها و يبسط لها رداءه فسألته عن ذلك فقال هذه كانت تأتينا فى زمن خديجة وحسن العهد من الايمان ﴿ ومن ذلك ﴾ ماذكرته فى وصف كتاب وهو كل سطر منه روضة غير أنها ليل فى صباح وكل معنى منه دمية غير أن ليس على مصورها من جناح وهذا مأخوذ من الحديث فى تحريم الصور ﴿ ومن ذلك ﴾ ما ذكرته فى وصف كريم وهو فأغنى بجوده اغناء المطر وسما إلى المعالى سمو الشمس وسار فى منازلها مسير القمر وتبجح من ابكار فضائله ما اذا ادعاه غيره قيل للعاهر الحجر وهذا المعنى من قول النبي صلى الله عليه وسلم الولد للفراش وللعاهر الحجر ﴿ ومن ذلك ﴾ ماذكرته فى وصف الفصاحة فقلت افكار الخواطر لاتستولد على انفرادها وغايتها أن يتناكح فى استنتاج أولادها وأنا أنكح فكرى لفكرى نكاح الانساب ولا أخاف أن أضوى فأميل الى الاغتراب وهذا مأخوذ من قول النبي صلى الله عليه وسلم فى الأمر بنكاح البعيدة النسب فقال غربوا لاتضووا يريد بذلك أن الانسان إذا نكح المرأة القريبة اليه حصل بينهما حياء يمنع من قضاء الشهوة كما ينبغى فيجىء الولد ضاويا أى هزيلا وهذا معنى غريب لى استخرجته من الحديث النبوى ﴿ ومن ذلك ﴾ ما ذكرته فى فصل من كتاب إلى بعض الاخوان جوابا عن كتاب ورد منه يتضمن الشكوى من شخص جرت بينه و بينه مخاصمة فقلت وصل كتابه وهو كتاب من أكثر الشكوى وطلب العدوى ونزل من التظلم بالعدوة الدنيا وأنزل خصمه بالعدوة القصوى والقاضى لايحكم لأحد الخصمين حتى يحضر صاحبه وان فقئت عين أحدهما فربما فقئت عين الآخر وهشم حاجبه على أنه قد اعترف أن كليهما كان للحم أخيه آكلا وعليه فى حال محضره جاهلا وسباب المؤمن معدود من فسوقه واطراقه عن تورد هذا المقام أولى من طروقه ولولا تغليظ النكير لما جعل اللسان واليد سواء فيما جرحا ولما أخر الله المغفرة عن الخائضين فيها حتى يصطلحا فكن أنت ممن أطاع تقواه لأهواه واتبع من علم الحق فرآه أوسمعه فرواه واعلم أن تهاجر الأخوين فوق الثلاثة من منهيات الحرام وان الفائز بالأجر منهما هو البادىء بالسلام ودفع السيئة بالحسنة يجعل العدو وليا حميما وقد جعل الله المتخلق بهذا الخلق صابرا وجعل له حظا عظيما والشيطان انما يحوم على آثاره مواقع الشنآن ولا يحمد من أعمال بنيه شيئا إلا ما زيل بين الاخوان فى هذا الفصل معانى آيات وأخبار وهذا الموضع مختص بذكر الأخبار دون الآيات فأول المعانى المأخوذة من الاخبار قول النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتاك أحد الخصمين وقد فقئت عينه فلا تحكم له فربما

انقضاء السنة ثم يرجع الأمر الى النجم الأول فى استئناف السنة المقبلة فكانوا يقولون إذا سقط منها نجم وطلع آخر وكان عند ذلك مطر أو ريح أو حر أو برد نسبوه إلى الساقط إلى أن يسقط الذى بعده فان سقط ولم يكن معه مطر قيل قد خوى نجم كذا وأخوى (وسرار) الشهر وسرره آخر ليلة منه لاستسرار القمر وربما استسر ليلة وربما استسر ليلتين (والبراء) آخر ليلة فى الشهر سميت بذلك لتبرء القمر فيها من الشمس (والمحاق) ثلاث من آخر الشهر سميت بذلك لانمحاق القمر فيها أو الشهر (والنحيرة) آخر يوم من الشهر لأنه ينحر الذى يدخل (والهلال) أول ليلة والثانية والثالثة ثم هو قمر بعد ذلك إلى آخر الشهر (وليلة السواء) ليلة ثلاث عشرة (ثم ليلة البدر) لأربع عشرة وسمى بدرا لمبادرته الشمس بالطلوع كأنه يعجلها المغيب ويقال سمى بدرا لتمامه وامتلائه وكل شىء فهو بدر ومنه قيل لعشرة آلاف درهم بدرة لأنها تمام العدد ومنتهاه ومنه قيل عين بدرة أى عظيمة والعرب تسمى ليالى الشهر كل ثلاث منها باسم فتقول ثلاث غرر جمع غرة وغرة كل شىء أوله وثلاث نفل وثلاث

أنى خصمه وقد فقئت عيناه وأما المعنى الثاني فقوله صلى الله عليه وسلم سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وأما المعنى الثالث فقوله صلى الله عليه وسلم ان الأعمال تعرض على الله يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل امرئ لا يشرك بالله شيئا إلا امرأ كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول اتركوا هذين حتى يصطلحا وأما المعنى الرابع فقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل للمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث وأما المعنى الخامس فقول النبي ﷺ اذا التقى المتهاجران فأعرض هـذا وأعرض هذا فخيرهما الذي يبدأ بالسلام وأما المعنى السادس فقوله صلى الله عليه وسلم ان ابليس له عرش على البحر فيبث بنيه في آفاق الأرض فيأتي أحدهم فيقول فعلت كذا وفعلت كذا فيقول ما فعلت شيئا ويأتي أحدهم فيقول زيلت بينه وبين أخيه أو بينه وبين زوجته فيقول نعم الولد أنت فانظركم في هذه الأسطر اليسيرة من معنى خبر نبوي هذا سوى ما فيها من معاني الايات واذا عددت هذه الكلمات المذكورة في هذه الأسطر وجدتها جميعها منتظمة من الآية والخبر وهذا مما يدلك على الاكثار من المحفوظ واستحضاره عند الحاجة اليه على الفور ﴿ ومن ذلك ﴾ ما ذكرته في صدر كتاب وهو جواب عن كتاب يتضمن تهديدا وتخويفا فقلت ورد الكتاب مضمنا من الوعد والوعيد ما آنس نفس المملوك وأوحشها ونقع ضلوعه وأعطشها وأقام له من الظنون السيئة جنودا تقاتله وتأخذ عليه شعب الأفكار فلا تزاوله وكانت كلماته طوالا وأوراقه ثقالا وما أفلت سطر من سطوره إلا كان الآخر له عقالا ولما استكمل الوقوف عليه تقلبت أطوار الخوف والرجاء من أطواره وعرضت عليه الجنة والنار في قرطاسه كما عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في عرض جداره ولولا وثوقه بأناة مولانا لذهبت نفسه فرقا وابتغى في السماء سلما وفي الارض نفقا لكنه قد توسم في كرمه مخايل الصنع الوسيم وغره منه ما غره من ربه الكريم وعلم أن خلق حلمه يغلب خلق غضبه اذ هذا حادث وذاك قديم وفي هذا الفصل معنى خبر من الاخبار النبوية وهو أنه كان صلوات الله عليه يخطب فمال بيده الى الجدار وقال عرضت على الجنة والنار في عرض هذا الجدار فلم أر كاليوم في الخير والشر ﴿ ومن ذلك ﴾ ما ذكرته في صدر كتاب الى بعض الاخوان وهو الخادم يواصل بالدعاء الذي لا يزال لقلبه زميلا وللسانه رسيلا واذا رفع أدنته الملائكة قربا إذا تباعدت عن غيره ميلا ولا اعتداد بالدعاء إلا إذا صدر عن أكرم مصدر ووجد له فوق السماء مظهرا وان لم يكن هناك من مظهر ووصف باطنه بأنه الابيض الناصع الذي هو خير من ظاهر الاشعث الاغبر ولا يعامل الخادم أهل وده الا بهذه المعاملة ومن خلقه المجازفة في بذل المودة اذا أخـذ الناس نسبة المكايلة في هذا معنى خبرين أحدهما قول النبي صلى الله عليه وسلم انه إذا كذب الكاذب تباعد الملك عنه ميلا لنتن كذبه والآخر قوله صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر مدفوع بالابواب لو أقسم على الله لأبره ﴿ ومن هذا الباب ﴾ ما ذكرته في كتاب يتضمن خطبة مودة فابتدأت الكلام فيه بعد تصدره بالدعاء فقلت لولا العادة لرفع الخادم كتابه هذا أن يسطر في ورقة وليس ذلك إلا لارساله في خطبة مودة رأى صورتها في سرقة ولما تأملها قال ان يكن ذلك من عند الله يمضه وأبدى لها صفحة الرضا وان كانت كل مودة لم ترضه وخير المودات ما ليس لها ضرة تشاركها في وسامتها ولا تضاهيها في درجة كرامتها فتلك التي تزدهي ذا الهمة أبوة وجمالا ولم يغله مهرها ولو بذل فيه نفسا لا مالا وما يظنها الخـادم إلا هذه المودة التي خطبها وقد علمت أن تكون راغبة ولكن هو الذي أرغبها على أنه لم يترشح لها إلا من هو من أكفائها وليست الكفاءة ههنا إلا ما تبذله الضمائر من صفائها وقد أتاح

تسع لأن آخر يوم منها اليوم التاسع وثلاث عشر لأن أول يوم منها اليوم العاشر وثلاث بيض لأنها تبيض بطلوع القمر من أولها الى آخرها وثلاث درع وكان القياس درع سميت بذلك لاسوداد أوائلها إبياض سائرها ومنه قيل شاة درعاء اذا اسود رأسها وعنقها وابيض سائرها وثلاث ظلم لاظلامها وثلاث حنادس لسوادها وثلاث دآدى لأنها بقايا وثلاث محاق لانمحاق القمر أو الشهر (والشمس مشرقان ومغربان) وكذلك القمر قال الله عز وجل رب المشرقين ورب المغربين (فالمشرقان) مشرقا الصيف والشتاء والمغربان مغربا الصيف والشتاء فمشرق الشتاء مطلع الشمس في أقصر يوم من السنة (ومشرق) الصيف مطلع الشمس في أطول يوم من السنة (والمغربان) على نحو من ذلك (ومشارق) الأيام ومغاربها في جميع السنة بين هـذين المشرقين والمغربين قال الله عز وجل رب المشارق والمغارب (وسمى) النجم نجما بالطلوع يقال نجم السن اذا طلع ونجم النجم وسمى طارقا لانه يطلع ليلا وكل من أتاك ليلا فقد طرقك ومنه قول هند بنت عتبة

نحن بنات طارق
نمشي على النمارق

تريد أن أبانا نجم في شرفه وعلوه قال الله عز وجل وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب (وسمى)

الله لها كفؤا يكثر من ايناسها و يضعها من البر فى محلة ناسها و يجعل كل يوم من أيامها عرسا حتى تتصل مواسم أعراسها ثم مضيت على هذا النهج الى آخر الكتاب والمعنى المأخوذ فيه من الخبر النبوى فى موضعين الأول أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضى الله عنها ان جبريل عليه السلام عرض على صورتك فى سرقة والسرقة حريرة بيضاء وقال هذه زوجتك فى الدنيا والآخرة فقلت ان يكن ذلك من عند الله يمضه فأخذت أنا هذا المعنى ونقلته الى خطبة مودة ولا يأتى فى خطبة المودت شىء أحسن منه ولا ألطف ولا أشد مقصدا الخبر النبوى الثانى قول النبي صلى الله عليه وسلم إنما تنكح المرأة لاربع لحسبها أولدينها أولمالها أولجمالها فقلت أنا فتاتك التى تزدهى ذا الهمة أبوة وجمالا أى قد جمعت الحسب والجمال ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى سبب حب المال وهو بين المال علاقة وكيدة و بين القلوب وهى له بمنزلة المحب وهو لها بمنزلة المحبوب وليس ذلك الالأن الله قبض قبضة من جميع الأرض فخلق آدم من تلك القبضة و يوشك حينئذ أن صورة قلبه تكونت من معدن الذهب والفضة ولولا أن يكون منهما عنصر ابدانه لما جعلهما الأطباء دواءه من دائه فلا تستغرب اذن أن تكون على حبهما مطبوعا اذ كان منهما مصنوعا وهذا المعنى من قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض منهم الأحمر والأبيض والأسود و بين ذلك والحزن والسهل والخبيث والطيب غير أنى استنبطت أنا حب المال من هذا الحديث وهو معنى غريب لم أسبق اليه ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى وصف كلام وهو ليس السحر ما أودع فى جف طلعة بل ما أودع فى صوغ معنى أو نظم سجعة ولذلك لبيد فى شعره أسحر من لبيد فى سحره وكلا صنعها من الغريب العجيب غير أن ما يستنبط من القلب أعجب مما يدفن فى القليب وهذا المعنى مأخوذ من قصة لبيد بن الاعصم فى سحره النبي صلى الله عليه وسلم ومن عرف القصة وصورتها علم ماقد ذكرته فى نثر هذه الكلمات البديعة ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى وصف المنجنيق من جملة كتاب فقلت ونصب المنجنيق فجثم بين يدى السور مناصيا و بسط كفه اليه مؤاتيا ثم تولى عقوبته بعصاه التى تفتك بأحجاره واذا عصى عليها بلد أخذت فى تأديب أسواره فما كان الا أن استمرت عقوبتها عليه حتى صار قائمه حصيدا وعاصيه مستقيدا وقال ألم يكن نهى عن المدو التجريد فمالى لا أرى الامداو تجريدا وعند ذلك أذعن لفتح الابواب وتلا قوله تعالى لكل أجل كتاب وكذلك لم نأت صعبا الا استسهل ولا حثثنا مطيا إلا استعجل ولطالما وقف غيرنا على هذا البلد فشقه طول الانتظار ولم يحظ منه الا بمساءلة المنصب أحجار الديار فى هذا الفصل معنى خبر من الاخبار النبوية وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم فى النهى عن ضرب المحدود لامدولا تجريد أى لا يمد على الأرض ولا يجرد عنه ثوبه ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى صدر كتاب الى الديوان العزيز النبوى وهو خلد الله دولة الديوان العزيز النبوى ولا زالت أكنافها وادعة وعلياؤها جامعة وجدودها كالنجوم التى ترى فى كل حين طالعة وأيامها كالليالى ساكنة ولياليها كالايام ناصعة وأبوابها كأبواب الجنة التى يقال فيها ثامن وثامنة اذا قيل فى أبواب غيرها سابع وسابعه وهذا الدعاء قد استجابه الله قبل أن ترفع اليه يد أو ينطق به ضمير فاذا دعا به الخادم وجد صنع الله قد سبقه أولا وجاءه وفى الزمن الاخير فليس له حينئذ الا أن يدعو لما خوله الديوان العزيز بالدوام وأن يعيذه من النقص بعد التمام ثم يستهدى ما يؤهل له من الخدم التى يعتدها من لطائف الاحسان واذا ندب لتكليف أوامرها قال والحمد والشكر يسجدان ولا شك أن درجات

الفجر الكاذب شبه بذنب السرحان لانه مستدق صاعد فى غير اعتراض (والفجر الثانى) هو الفجر الصادق الذى يستطير و ينتشر وهو عمود الصبح (و يقال) للشمس ذكاء لانها تذكو كما تذكو النار وللصبح ابن ذكاء لانه من ضوئها (وقرن الشمس) أعلاها وأول مايبدو منها فى الطلوع (وحواجبها) نواحيها (واياة) الشمس ضوءها (والدارة) حول القمر يقال لها الهالة (والرياح أربع) الشمال وهى تأتى من ناحية الشام وذلك عن يمينك اذا استقبلت قبلة العراق وهى اذا كانت فى الصيف حارة بارح وجمعها بوارح (والجنوب) تقابلها (والصبا) تأتى من مطلع الشمس وهى القبول (والدبور) تقابلها وكل ريح جاءت بين مهبى ريحين فهى نكباء سميت بذلك لانها نكبت أى عدلت عن مهاب هذه الاربع (ودرارى النجوم) عظامها الواحد درى غير مهموز نسب الى الدر لبياضه (والجدى) الذى تعرف به القبلة وهو جدى بنات نعش الصغرى (و بنات) نعش

الاولياء تتفاوت فى الصفات والاسماء فمنها مايكون يبطن الأرض ومنها مايرى كالكوكب فى أفق السماء ولولا النهى عن تزكية المرء نفسه لادعى الخادم أن له أعلاها وجاء بالأولياء من بعده فقال والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها لكنه لا يمن بما يعتده عند الله من ذخره وسر الولاء فى هذا المقام أكرم من جهره وليس الذى يمن بصلاته وصيامه كالذى يمن بسر وقر فى صدره والله لاينظر الى الأعمال وانما ينظر الى القلوب وفرق بين المطيع بمحضر الشهادة وبين المطيع بظهر الغيوب ولواطلع الديوان العزيز على ضمير الخادم فى الطاعة لسره وعلم أن الاشعث الاغبر الذى لو أقسم على الله لابره فى هذا الفصل من الآيات والاخبار عدة مواضع وهذا الموضع مختص بالاخبار فلنذكرها دون الآيات أما الأول منها فقول النبى ﷺ انكم ترون أهل الدرجات العلى فى الجنة كما ترون الكواكب فى أفق السماء وأما الخبر الثانى فقوله ﷺ مافضلكم أبو بكر بصلاة ولاصيام ولكن فضلكم بسر وقر فى صدره وأما الخبر الثالث فقوله ﷺ رب اشعث أغبر ذى طمرين لو أقسم على الله لأبره وفيما أوردته من حل المعانى الشعرية وحل آيات القرآن والاخبار النبوية طريق واضح لمن يقوى على سلوكه والله الموفق للصواب

﴿ المقالة الأولى فى الصناعة اللفظية ﴾

وهى تنقسم قسمين ﴿ القسم الأول فى اللفظة المفردة ﴾ اعلم انه يحتاج صاحب هذه الصناعة فى تأليفه إلى ثلاثة أشياء الأول منها اختيار الالفاظ المفردة وحكم ذلك حكم اللآلىء المبددة فانها تتخير وتنتقى قبل النظم الثانى نظم كل كلمة مع أختها فى المشاكلة لها لئلا يجىء الكلام قلقا نافرا عن مواضعه وحكم ذلك حكم العقد المنظوم فى اقتران كل لؤلؤة منه بأختها المشاكلة لها الثالث الغرض المقصود من ذلك الكلام على اختلاف أنواعه وحكم ذلك حكم الموضع الذى يوضع فيه العقد المنظوم فتارة يجعل اكليلا على الرأس وتارة يجعل قلادة فى العنق وتارة يجعل شنفا فى الاذن ولكل موضع من هذه المواضع هيئة من الحسن تخصه فهذه ثلاثة أشياء لابد للخطيب والشاعر من العناية بها وهى الأصل المعتمد عليه فى تأليف الكلام من النظم والنثر فالاول والثانى من هذه الثلاثة المذكورة هما المراد بالفصاحة والثلاثة بجملتها هى المراد بالبلاغة وهذا الموضع يضل فى سلوك طريقه العلماء بصناعة صوغ الكلام من النظم والنثر فكيف الجهال الذين لم تنفحهم رائحة ومن الذى يؤتيه الله فطرة ناصعة يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار حتى ينظر الى أسرار مايستعمله من الالفاظ فيضعها فى مواضعها ومن عجيب ذلك أنك ترى لفظتين تدلان على معنى واحد وكلاهما حسن فى الاستعمال وهما على وزن واحد وعدة واحدة الا أنه لايحسن استعمال هذه فى كل موضع تستعمل فيه هذه بل يفرق بينهما فى مواضع السبك وهذا لايدركه الا من دق فهمه وجل نظره فمن ذلك قوله تعالى ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وقوله تعالى رب انى نذرت لك مافى بطنى محررا فاستعمل الجوف فى الأولى والبطن فى الثانية ولم يستعمل الجوف موضع البطن ولا البطن موضع الجوف واللفظتان سواء فى الدلالة وهما ثلاثيتان فى عدد واحد ووزنهما واحد أيضا فانظر إلى سبك الالفاظ كيف تفعل ومما يجرى هذا المجرى قوله تعالى ما كذب الفؤاد مارأى وقوله ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فالقلب والفؤاد سواء فى الدلالة وان كانا مختلفين فى الوزن ولم يستعمل فى القرآن أحدهما فى موضع الآخر وعلى هذا ورد قول الاعرج من أبيات الحماسة

أريها السهى وتريني القمر (والفكة) كواكب مستديرة خلف السماك الرامح والعامة تسميها قصعة المساكين وقدام الفكة السماك الرامح سمى رامحا بكوكب يقدمه يقال هو رمحه (والسماك الاعزل) حد مابين الكواكب اليمانية والشامية سمى أعزل كأنه لاسلاح معه كما كان للآخر (والنسر الواقع) ثلاثة أنجم كأنها أثافى وبازائه النسر الطائر وهو ثلاثة أنجم مصطفة وانما قيل للاول واقع لانهم يجعلون اثنين منه جناحيه ويقولون قد ضمهما اليه كانه طائر وقع وقيل للآخر طائر لانهم يجعلون اثنين منه جناحيه ويقولون قد بسطهما كانه طائر والعامة تسميها الميزان (والكف الخضيب) كف الثريا المبسوطة ولها كف أخرى يقال لها الجدماء وهى أسفل من الشرطين (والعيوق) فى طرف المجرة الايمن وعلى أثره ثلاثة كواكب بينة يقال لها الاعلام وهى توابع العيوق وأسفل العيوق نجم يقال له رجل العيوق (وسهيل) كوكب أحمر منفرد عن الكواكب ولقربه من الافق تراه أبدا كأنه يضطرب قال الشاعر

نحن بنو الموت إذا الموت نزل * لا عار بالموت اذا حم الاجل
* الموت أحلى عندنا من العسل *

﴿ وقال أبو الطيب المتنبي ﴾

إذا بي مشت خفت على كل سابح * رجال كأن الموت في فمها شهد

فهاتان لفظتان هما العسل والشهد وكلاهما حسن مستعمل لا يشك في حسنه واستعماله وقد وردت لفظة العسل في القرآن دون لفظة الشهد لانهـا أحسن منها ومع هذا فان لفظه الشهد وردت في بيت أبي الطيب فجاءت أحسن من لفظة العسل في بيت الأعرج وكثيرا مانجد أمثال ذلك في أقوال الشعراء المفلقين وغيرهم ومن بلغاء الكتاب ومصقعي الخطباء وتحته دقائق ورموز إذا علمت وقيس عليها أشباهها ونظائرها كان صاحب الكلام في النظم والنثر قد انتهى الى الغاية القصوى في اختيار الألفاظ ووضعها في مواضعها اللائقة بها واعلم أن تفاوت التفاضل يقع في تركيب الألفاظ أكثر مما يقع في مفرداتها لان التركيب أعسر وأشق ألا ترى ألفاظ القرآن الكريم من حيث انفرادها قد استعملتها العرب ومن بعدهم ومع ذلك فانه يفوق جميع كلامهم ويعلو عليه وليس ذلك الا لفضيلة التركيب وهل تشك أيها المتأمل لكتابنا هذا إذا فكرت في قوله تعالى وقيل ياأرض ابلعي ماءك وياسماء أقلعي وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين انك لم تجد ماوجدته لهذه الالفاظ من المزية الظاهرة الا لأمر يرجع الى تركيبها وأنه لم يعرض لها هذا الحسن الا من حيث لاقت الأولى بالثانية والثالثة بالرابعة وكذلك إلى آخرها فان ارتبت في ذلك فتأمل هل ترى لفظة منها لو أخذت من مكانها وأفردت من بين أخواتها كانت لابسة من الحسن مالبسته في موضعها من الآية ومما يشهد لذلك ويؤيده أنك ترى اللفظة تروقك في كلام ثم تراها في كلام آخر فتكرهها فهذا ينكره من لم يذق طعم الفصاحة ولاعرف أسرار الالفاظ في تركيبها وانفرادها وسأضرب لك مثالا يشهد بصحة ماذكرته وهو أنه قد جاءت لفظة واحدة في آية من القرآن و بيت من الشعر فجاءت في القرآن جزلة متينة وفي الشعر ركيكة ضعيفة فأثر التركيب فيها هذين الوصفين الضدين أما الآية فهي قوله تعالى فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث انذلكم كان يؤذى النبي فيستحيي منكم والله لايستحيي من الحق وأما بيت الشعر فهو قول أبي الطيب المتنبي

تلذله المروأة وهي تؤذى * ومن يعشق يلذله الغرام

وهذا البيت من أبيات المعاني الشريفة الا أن لفظة تؤذى قد جاءت فيه وفي الآية من القرآن فحطت من قدر البيت لضعف تركيبها وحسن موقعها في تركيب الآية فأنصف أيها المتأمل لما ذكرناه واعرضه على طبعك السليم حتى تعلم صحته وهذا موضع غامض يحتاج الى فضل فكرة وامعان نظر وما تعرض للتنبيه عليه أحد قبلي وهذه اللفظة التي هي تؤذى إذا جاءت في الكلام فينبغي أن تكون مندرجة مع ما يأتي بعدها متعلقة به كقوله تعالى ان ذلكم كان يؤذى النبي وقد جاءت في قول المتنبي منقطعة ألا ترى أنه قال تلذله المروأة وهي تؤذى ثم قال ومن يعشق يلذله الغرام فجاء بكلام مستأنف وقد جاءت هذه اللفظة بعينها في الحديث النبوي وأضيف اليها كاف الخطاب فأزال ما بها من الضعف والركة وذلك انه اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم فجاءه جبريل عليه السلام ورقاه فقال بسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك فانظر الى السر في استعمال اللفظة الواحدة فانه لما زيد على هذه اللفظة حرف واحد أصلحها

أراقب لوحا من سهيل كأنه * اذا مابدا من آخر الليل يطرف وهو من الكواكب اليمانية ومطلعه عن يسار مستقبل قبلة العراق وهو يرى في جميع أرض العرب ولا يرى في شيء من بلاد أرمينية وبين رؤية سهيل بالحجاز وبين رؤيته بالعراق بضع عشرة ليلة (وقلب) العقرب يطلع على أهل الربذة قبل النسر بثلاث والنسر يطلع على أهل الكوفة قبل قلب العقرب بسبع وفي مجرى قدمي سهيل من خلفهما كواكب بيض كبار لا ترى بالعراق تسميها أهل الحجاز الاعيار (والشعريان) احداهما العبور وهي في الجوزاء والاخرى الغميصاء ومع كل واحدة منهما كوكب يقال له المرزم فهما مرزما الشعريين (والسعود) عشرة أربعة منها ينزل بها القمر وقد ذكرناها والستة سعد ناشرة وسعد الملك وسعد البهام وسعد الهمام وسعد البارع وسعد مطر وكل سعد منها كوكبان بين كل كوكبين في رأي العين قدر ذراع وهي متناسقة فهذه الكواكب ومنازل القمر مشاهير الكواكب التي تذكرها العرب في أشعارها (وأما الخنس) التي ذكرها الله تعالى فيقال هي زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد وانما سماها خنسا لانها تسير في البروج والمنازل كسير الشمس والقمر ثم تخنس أي ترجع بينا ترى

وحسنها ومن ههنا تزاد الهاء فى بعض المواضع كقوله تعالى فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه انى ظننت أنى ملاق حسابيه ثم قال ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه فان الاصل فى هذه الألفاظ كتابى وحسابى ومالى وسلطانى فلما أضيفت الهاء اليها وتسمى هاء السكت أضافت اليها حسنا زائدا على حسنها وكستها لطافة ولباقة وكذلك ورد فى القرآن الكريم ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فلفظة لى أيضا مثل لفظة يؤذى وقد جاءت فى الآية مندرجة متعلقة بما بعدها واذا جاءت منقطعة لاتجىء لائقة كقول أبى الطيب أيضا

تمسى الامانى صرعي دون مبلغه * فما يقول لشىء ليت ذلك لى

وربما وقع بعض الجهال فى هذا الموضع فأدخل فيه ما ليس منه كقول أبى الطيب

ما أجدر الايام والليالى * بان تقول ماله ومالى

فان لفظة لى ههنا قد وردت بعد ما وقبلها ماله ثم قال ومالى فجاء الكلام على نسق واحد ولو جاءت لفظة لى ههنا كما جاءت فى البيت الأول لكانت منقطعة عن النظر والشبيه فكان يعلوها الضعف والركة وبين ورودها ههنا وورودها فى البيت الأول فرق يحكم فيه الذوق السليم وههنا من هذا النوع لفظة أخرى قد وردت فى آية من القرآن الكريم وفى بيت من شعر الفرزدق فجاءت فى القرآن حسنة وفى البيت الشعر غير حسنة وتلك اللفظة هى لفظة القمل أما الآية فقوله تعالى فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات وأما البيت الشعر فقول الفرزدق

من عزه احتجرت كليب عنده * زربا كأنهم لديه القمل

وانما حسنت هذه اللفظة فى الآية دون هذا البيت من الشعر لأنها جاءت فى الآية مندرجة فى ضمن كلام ولم ينقطع الكلام عندها وجاءت فى الشعر قافية أى آخرا انقطع الكلام عندها واذا نظرنا إلى حكمة أسرار الفصاحة فى القرآن الكريم غصنا منه فى بحر عميق لاقرار له فمن ذلك هذه الآية المشار اليها فانها قد تضمنت خمسة ألفاظ هي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وأحسن هذه الالفاظ الخمسة هى الطوفان والجراد والدم فلما وردت هذه الألفاظ الخمسة بجملتها قدم منها لفظة الطوفان والجراد وأخرت لفظة الدم آخرا وجعلت لفظة القمل والضفادع فى الوسط ليطرق السمع أولا الحسن من الالفاظ الخمسة وينتهى اليه آخرا ثم ان لفظة الدم أحسن من لفظتى الطوفان والجراد وأخف فى الاستعمال ومن أجل ذلك جىء بها آخرا ومراعاة مثل هذه الاسرار والدقائق فى استعمال الالفاظ ليس من القدرة البشرية ﴿ وقد ذكر ﴾ من تقدمنى من علماء البيان للالفاظ المفردة خصائص وهيآت تتصف بها واختلفوا فى ذلك واستحسن أحدهم شيئا خولف فيه وكذلك استقبح الآخر شيئا خولف فيه ولو حققوا النظر ووقفوا على السر فى اتصاف بعض الالفاظ بالحسن وبعضها بالقبح لما كان بينهم خلاف فى شىء منها وقد أشرت الى ذلك فى الفصل الثامن من مقدمة كتابى هذا الذى يشتمل على ذكر الفصاحة وفى الوقوف عليه والاحاطة به غنى عن غيره لكن لابد أن نذكرها ههنا تفصيلا لما أجملناه هناك لانا ذكرنا فى ذلك الفصل أن الالفاظ داخلة فى حيز الاصوات لانها مركبة من مخارج الحروف فما استلذه السمع منها فهو الحسن وما كرهه ونبا عنه فهو القبيح واذا ثبت ذلك فلا حاجة الى ما ذكر من تلك الخصائص والهيآت التى أوردها علماء البيان فى كتبهم لانه اذا كان اللفظ لذيذا فى السمع كان حسنا واذا كان حسنا

مضى هزيع من الليل وعنك وهدء من الليل وذلك من أوله الى ثلثه وجوز الليل وسطه وجهمة الليل أول مآخيره (والبلجة) آخره وهى مع السحر (والسدفة) مع الفجر (والسحرة) السحر الاعلى (والتنوير) عند الصلاة والخيط الأبيض بياض النهار والخيط الاسود سواد الليل (والهاجرة) من الزوال الى قرب العصر وما بعد ذلك الاصيل والعصر والقصر الى تطفيل الشمس (ثم الطفل) والجنوح اذا أجنحت الشمس للغيب وهما (شفقان الاحمر والابيض فالاحمر من لدن غروب الشمس الي وقت صلاة العشاء ثم يغيب ويبقى الابيض إلى نصف الليل (والصبوح) شرب الغداة (والغبوق) شرب العشى (والقيل) شرب نصف النهار (والجاشرية) حين يطلع الفجر قال أبو زيد سميت جاشرية لانها تشرب سحرا إذا جشر الصبح وهو عند طلوع الفجر (والحقب) السنون واحدها حقبة والحقب الدهر وجمعه احقاب (والقرن) يقال هو ثمانون سنة ويوم الجمعة يوم العروبة (وأيام العجوز) عند العرب خمسة صن وصنبر وأخوهما وبر ومطفىء الجمر ومكفى الظعن

دخلت تلك الخصائص والهيآت فى ضمن حسنه (وقد رأيت) جماعة من الجهال إذا قيل لأحدهم ان هذه اللفظة حسنة وهذه قبيحة أنكر ذلك وقال كل الألفاظ حسن والواضع لم يضع إلا حسنا ومن يبلغ جهله الى أن لا يفرق بين لفظة الغصن ولفظة العسلوج وبين لفظة المدامة ولفظة الاسفنط وبين لفظة السيف ولفظة الخنشليل وبين لفظة الأسد ولفظة الفدوكس فلا ينبغى أن يخاطب بخطاب ولا يجاوب بجواب بل يترك وشأنه كما قيل اتركوا الجاهل بجهله ولو ألقى الجعر فى رحله وما مثاله فى هذا المقام إلا كمن يسوى بين صورة زنجية سوداء مظلمة السواد شوهاء الخلق ذات عين محمرة وشفة غليظة كأنها كلوة وشعر قطط كأنه زبيبة وبين صورة رومية بيضاء مشربة بحمرة ذات خد أسيل وطرف كحيل ومبسم كأنما نظم من أقاح وطرة كأنها ليل على صباح فاذا كان بانسان من سقم النظر أن يسوى بين هذه الصورة وهذه فلا يبعد أن يكون به من سقم الفكر أن يسوى بين هذه الألفاظ وهذه ولا فرق بين النظر والسمع فى هذا المقام فان هذا حاسة وهذا حاسة وقياس حاسة على حاسة مناسب فان عاند معاند فى هذا وقال أغراض الناس مختلفة فيما يختارونه من هذه الأشياء وقد يعشق الانسان صورة الزنجية التى ذممتها ويفضلها على صورة الرومية التى وصفتها قلت فى الجواب نحن لا نحكم على الشاذ النادر الخارج عن الاعتدال بل نحكم على الكثير الغالب وكذلك إذا رأينا شخصا يحب أكل الفحم مثلا أو أكل الجص والتراب ويختار ذلك على ملاذ الأطعمة فهل نستجيد هذه الشهوة أو نحكم عليه بأنه مريض قد فسدت معدته وهو محتاج الى علاج ومداواة ومن له أدنى بصيرة يعلم أن للالفاظ فى الاذن نغمة لذيذة كنغمة أوتار وصوتا منكرا كصوت حمار وأن لها فى الفم أيضا حلاوة كحلاوة العسل ومرارة كمرارة الحنظل وهى على ذلك تجرى مجرى النغمات والطعوم ولا يسبق وهمك أيها المتأمل الى قول القائل الذى غلب عليه غلظ الطبع وفجاجة الذهن بأن العرب كانت تستعمل من الالفاظ كذا وكذا فهذا دليل على أنه حسن بل ينبغى أن تعلم أن الذى نستحسنه نحن فى زماننا هذا هو الذى كان عند العرب مستحسنا والذى نستقبحه هو الذى كان عندهم مستقبحا والاستعمال ليس بدليل على الحسن فانا نحن نستعمل الآن من الكلام ما ليس بحسن وانما نستعمله لضرورة فليس استعمال الحسن بممكن فى كل الأحوال وهذا طريق يضل فيه غير العارف بمسالكه ومن لم يعرف صناعة النظم والنثر وما يجده صاحبها من الكلفة فى صوغ الألفاظ واختيارها فانه معذور فى أن يقول ما قال

لا يعرف الشوق إلا من يكابده * ولا الصبابة إلا من يعانيها

ومع هذا فان قول القائل بان العرب كانت تستعمل من الألفاظ كذا وكذا وهذا دليل على أنه حسن قول فاسد لا يصدر إلا عن جاهل فان استحسان الألفاظ واستقباحها لا يؤخذ بالتقليد من العرب لأنه شىء لا للتقليد فيه مجال وانما هو شىء له خصائص وهيآت وعلامات إذا وجدت علم حسنه من قبحه وقد تقدم الكلام على ذلك فى باب الفصاحة والبلاغة وأما الذى نقلد العرب فيه من الألفاظ فانما هو الاستشهاد بأشعارها على ما ينقل من لغتها والاخذ بأقوالها فى الاوضاع النحوية فى رفع الفاعل ونصب المفعول وجر المضاف اليه وجزم الشرط وأشباه ذلك وما عداه فلا وحسن الالفاظ وقبحها ليس اضافيا الى زيد دون عمرو أو الى عمرو دون زيد لانه وصف ذوى لا يتغير بالاضافة ألا ترى أن لفظة المزنة مثلا حسنة عند الناس كافة من العرب وغيرهم وهلم جرا لا يختلف أحد فى حسنها وكذلك لفظة البعاق فانها قبيحة عند الناس

(ويوم النحر) يوم الأضحى (ويوم القر) بعده لأن الناس يستقرون فيه بمنى (ويوم النفر) اليوم بعده لأن الناس ينفرون فيه متعجلين (والأيام المعلومات) عشر ذى الحجة (والأيام المعدودات) أيام التشريق سميت بذلك لأن لحوم الأضاحى تشرق فيها ويقال سميت بذلك لقولهم أشرق ثبير كيما نغير وقال ابن الأعرابى سميت بذلك لأن الهدى لا ينحر حتى تشرق الشمس (والتأويب) سير النهار كله (والإسآد) سير الليل كله (وربيعية) القوم ميرتهم فى أول الشتاء والدفيئة ميرتهم فى قبل الصيف (وصائفتهم) فى الصيف (المطر) الوسمى مطر الربيع * الأول عند اقبال الشتاء ثم يليه الربيع ثم يليه الصيف ثم الحميم الذى يأتى فى شدة الحر (والثرى) الندى تقول العرب شهر ثرى وشهر ندى وشهر مرعى ويقال ثريت السويق إذا بللته ويقال للعرق ثرى والعرب تسمى النبت ندى لانه بالمطر يكون وتسمى الشحم ندى لأنه بالنبت يكون قال ابن أحمر

كافة من العرب وغيرهم فاذا استعملتها العرب لا يكون استعمالهم اياها مخرجا لها عن القبح ولا يلتفت اذن الى استعمالهم إياها بل يعاب مستعملها و يغلظ له النكير حيث استعملها ﴿ وقد ذكر ﴾ ابن سنان الخفاجي مايتعلق باللفظة الواحدة من الأوصاف وقسمها إلى عدة أقسام كتباعد مخارج الحروف وأن تكون الكلمة جارية على العرف العربي غير شاذة وأن تكون مصغرة في موضع يعبر به عن شيء لطيف أو خفي أوما جرى مجراه وأن لا تكون مبتذلة بين العامة وغير ذلك من الأوصاف وفي الذي ذكره مالا حاجة اليه اما تباعد المخارج فان معظم اللغة العربية دائر عليه لان الواضع قسمها في وضعه ثلاثة أقسام ثلاثيا و رباعيا وخماسيا والثلاثي من الالفاظ هو الأكثر ولا يوجد فيه مايكره استعماله الا الشاذ النادر وأما الرباعي فانه وسط بين الثلاثي والخماسي في الكثرة عددا واستعمالا وأما الخماسي فانه الأقل ولا يوجد فيه مايستعمل الا الشاذ النادر وعلى هذا التقدير فان أكثر اللغة مستعمل على غير مكروه ولا تقتضي حكمة هذه اللغة الشريفة التي هي سيدة اللغات الا ذلك ولهذا أسقط الواضع حروفا كثيرة في تأليف بعضها مع بعض استثقالا واستكراها فلم يؤلف بين حروف الحلق كالحاء والخاء والعين وكذلك لم يؤلف بين الجيم والقاف ولا بين اللام والراء ولا بين الزاء والسين وكل هذا دليل على عنايته بتأليف المتباعد المخارج دون المتقارب ومن العجب أنه كان يخل بمثل هذا الاصل الكلي في تحسين اللغة وقد اعتنى بأمور أخرى جزئية كمماثلته بين حركات الفعل في الوجود و بين حركات المصدر في النطق كالغليان والضربان والنقدان والنزوان وغير ذلك مما جرى مجراه فان حروفه جميعها متحركات وليس فيها حرف ساكن وهي مماثلة لحركات الفعل في الوجود ومن نظر في حكمة وضع هذه اللغة إلى هذه الدقائق التي هي كالأطراف والحواشي فكيف كان يخل بالأصل المعول عليه في تأليف الحروف بعضها الى بعض على أنه لو أراد الناظم أو الناثر أن يعتبر مخارج الحروف عند استعمال الالفاظ وهل هي متباعدة أومتقاربة لطال الخطب في ذلك وعسر ولما كان الشاعر ينظم قصيدا ولا الكاتب ينشيء كتابا الافي مدة طويلة تمضي عليها أيام وليال ذوات عدد كثير ونحن نرى الأمر بخلاف ذلك فان حاسة السمع هي الحاكمة في هذا المقام بحسن مايحسن من الالفاظ وقبح مايقبح وسأضرب لك في هذا مثالا فأقول إذا سئلت عن لفظة من الالفاظ وقيل لك ماتقول في هذه اللفظة أحسنة هي أم قبيحة فاني لا أراك عند ذلك إلا تفتي بحسنها أو قبحها على الفور ولو كنت لا تفتي بذلك حتى تقول للسائل اصبر إلى أن اعتبر مخارج حروفها ثم أفتيك بعد ذلك بما فيها من حسن أو قبح لصح لابن سنان ماذهب اليه من جعل مخارج الحروف المتباعدة شرطا في اختيار الالفاظ وانما شذ عنه الاصل في ذلك وهو أن الحسن من الالفاظ يكون متباعد المخارج فحسن الالفاظ اذن ليس معلوما من تباعد المخارج وانما علم قبل العلم بتباعدها وكل هذا راجع الى حاسة السمع فاذا استحسنت لفظا أو استقبحته وجد ماتستحسنه متباعد المخارج وماتستقبحه متقارب المخارج واستحسانها واستقباحها انما هو قبل اعتبار المخارج لا بعده على أن هذه قاعدة قد شذ عنها شواذ كثيرة لانه قد يجيء في المتقارب المخارج ماهو حسن رائق ألا ترى أن الجيم والشين والياء مخارج متقاربة وهي من وسط اللسان بينه و بين الحنك وتسمى ثلاثتها الشجرية واذا تركب منها شيء من الالفاظ جاء حسنا رائقا فان قيل جيش كانت لفظة محمودة أو قدمت الشين على الجيم فقيل شجي كانت أيضا لفظة محمودة ومما هو أقرب مخرجا من ذلك الباء والميم والفاء وثلاثتها من الشفة وتسمى الشفهية فاذا نظم منها شيء من الالفاظ

وأضعف المطر الطل وأشده الوابل ومنه يكون السيل قال الشاعر

* ان ديموا جاد وان جادوا وبل *

يريد أنه يزيد عليهم في كل حال وقال الله تعالى فان لم يصبها وابل فطل يريد ان أكلها كثير اشتد المطر أوقل النبات (الخلا) هو الرطب (والحشيش) هو اليابس ولا يقال لرطب (والشجر) ما كان على ساق (والنجم) مالم يكن على ساق قال الله عز وجل والنجم والشجر يسجدان (والنور) من النبت الابيض (والزهر) الاصفر يكون أبيض قبل ثم يصفر هذا قول ابن الاعرابي (والاب) المرعى (والورس) يقال له الغمرة ومنه قيل غمرت المرأة وجهها (والظيان) ياسمين البر (والخزامي) خيري البر (والعرار) بهار البر (والرنف) بهراج البر (والملظ) رمان البر (والايهقان) الجرجير و يقال هو نبت يشبهه (والاقحوان) البابونج ويقال هو القراص (والذرق) الحندقوق (والحوك) الباذروج (والحرض) الاشنان وهو الحمض (والحمض) ماملح من النبت (والخلة) ماحلا تقول العرب الخلة خبز الابل والحمض فاكهتها (والفيجن) السداب (والعنصل) بصل البر

الالفاظ كان جميلا حسنا كقولنا فم فهذه اللفظة من حرفين هما الفاء والميم وكقولنا ذقته بفمي وهذه اللفظة مؤلفة من الثلاثة بجملتها وكلاهما حسن لاعيب فيه (وقد ورد) من المتباعد المخارج شيء قبيح أيضا ولو كان التباعد سببا للحسن لما كان سببا للقبح اذهما ضدان لايجتمعان (فمن ذلك) أنه يقال ملع إذا عدا فالميم من الشفة والعين من حروف الحلق واللام من وسط اللسان وكل ذلك متباعد ومع هذا فان هذه اللفظة مكروهة الاستعمال ينبو عنها الذوق السليم ولا يستعملها من عنده معرفة بفن الفصاحة (وههنا نكتة غريبة) وهو أنا إذا عكسنا حروف هذه اللفظة صارت علم وعند ذلك تكون حسنة لامزيد على حسنها وما ندري كيف صار القبح حسنا لأنه لم يتغير من مخارجها شيء وذاك أن اللام لم تزل وسطا والميم والعين يكتنفانها من جانبيها ولو كان مخارج الحروف معتبرا في الحسن والقبح لما تغيرت هذه اللفظة في ملع وعلم (فان قيل) ان اخراج الحروف من الحلق الى الشفة أيسر من ادخالها من الشفة الى الحلق فان ذلك انحدار وهذا صعود والانحدار أسهل (فالجواب) عن ذلك أني أقول لو استمر لك هذا لصح ماذهبت اليه لكنا نرى من الألفاظ ما إذا عكسنا حروفه من الشفة الى الحلق أو من وسط اللسان أو من آخره الى الحلق لا يتغير كقولنا غلب فان الغين من حروف الحلق واللام من وسط اللسان والباء من الشفة وإذا عكسنا ذلك صار بلغ وكلاهما حسن مليح وكذلك تقول حلم من الحلم وهو الاناة واذا عكسنا هذه الكلمة صارت ملح على وزن فعل بفتح الفاء وضم العين وكلاهما أيضا حسن مليح وكذلك تقول عقر ورقع وعرف وفرع وحلف وفلح وقلم وملق وكلم وملك ولو شئت لأوردت من ذلك شيئا كثيرا تضيق عنه هذه الأوراق ولو كان ماذكرته مطردا لكنا إذا عكسنا هذه الألفاظ صار حسنها قبحا وليس الأمر كذلك وأما ما ذكره ابن سنان من جريان اللفظة على العرف العربي فليس ذلك مما يوجب لها حسنا ولا قبحا وإنما يقدح في معرفة مستعملها بما ينقله من الألفاظ فكيف يعد ذلك من جملة الأوصاف الحسنة وأما تصغير اللفظة فيما يعبر به عن شيء لطيف أو خفي أو ما جرى مجراه فهذا مما لا حاجة إلى ذكره فان المعنى يسوق اليه وليست معاني التصغير من الأشياء الغامضة التي يفتقر الى التنبيه عليها فانها مدونة في كتب النحو وما من كتاب نحو الا والتصغير باب من أبوابه ومع هذا فان صاحب هذه الصناعة مخير في ذلك إن شاء أن يورده بلفظ التصغير وان شاء بمعناه كقول بعضهم

لو كان يخفى على الرحمن خافية * من خلقه خفيت عنه بنو لبد

فهل كان يمكن هذا الشاعر أن يصغر من هؤلاء القوم ويحقر من شأنهم بألفاظ التصغير ويجيء هكذا كما جاء بيته هذا فالوصية به إذن ملغاة لاحاجة اليها (وأما الأوصاف الباقية التي ذكرت فهي التي ينبغي أن ينبه عليها) فمنها أن لاتكون الكلمة وحشية وقد خفي الوحشي على جماعة من المنتمين إلى صناعة النظم والنثر وظنوه المستقبح من الألفاظ وليس كذلك بل الوحشي ينقسم قسمين أحدهما غريب حسن والآخر غريب قبيح وذلك أنه منسوب الى اسم الوحش الذي يسكن القفار وليس بأنيس وكذلك الالفاظ التي لم تكن مأنوسة الاستعمال وليس من شرط الوحشي أن يكون مستقبحا بل أن يكون نافرا لا يألف الانس فتارة يكون حسنا وتارة يكون قبيحا وعلى هذا فان أحد قسمي الوحشي وهو الغريب الحسن يختلف باختلاف النسب والاضافات وأما القسم الآخر من الوحشي الذي هو قبيح فان الناس في استقباحه سواء ولا يختلف فيه عربي باد ولا قروي متحضر وأحسن الألفاظ ما كان مألوفا متداولا لأنه لم يكن مألوفا متداولا إلا لمكان حسنه وقد تقدم الكلام على ذلك في باب الفصاحة

(والفرفخ) البقلة الحمقاء وهي الرجلة ومنه يقول الناس فلان أحمق من رجلة والعوام يقولون من رجله (والقضب) الرطبة وهي أيضا الفصافص وأصلها بالفارسية أسبست (والعظلم) الوسيمة (والعندم) دم الاخوين ويقال هو الايدع ويقال هو البقم (والجادي والريهقان) الزعفران (واليرناء) الحناء مقصور مهموز وهو الرقون والرقان (والفسل) الخطمي (والفنا) مقصور عنب الثعلب ويقال هو نبت يشبهه (والحفاء) مقصور مهموز البردي (والشقر) شقائق النعمان واحده شقرة (واللصف) شيء ينبت في أصول الكبر كأنه خيار (والجزاب) جزر البر (والقسط) جزر البحر (والرند) شجر طيب من شجر البادية وربما سموا العود رندا (والوقل) شجر المقل واحدته وقلة وهو الدوم (والخشل) المقل نفسه واحدته خشلة (والصفصاف) الخلاف (والشوع) شجر البان (والتوت) هو الفرصاد (والبطم) الحبة الخضراء (والمقر) الصبر (والشرى) الحنظل وهو الخطبان (والهبيد) حبه (والصرب) الصمغ الاحمر (والعنقز) المرزنجوش (والحبلة) الكرم وكذلك الجفنة (والزرجون) الكرم قال الاصمعي وهو الخمر وهو بالفارسية زركون أي لون الذهب (والفرسك)

فان أرباب الخطابة والشعر نظروا إلى الألفاظ ونقبوا عنها ثم عدلوا إلى الاحسن منها فاستعملوه وتركوا ماسواه وهو أيضا يتفاوت فى درجات حسنه فالالفاظ إذن تنقسم ثلاثة أقسام قسمان حسنان وقسم قبيح فالقسمان الحسنان أحدهما ماتداول استعماله الأول والآخر من الزمن القديم الى زماننا هذا ولا يطلق عليه أنه وحشى والآخر ماتداول استعماله الأول دون الآخر ويختلف فى استعماله بالنسبة إلى الزمن وأهله وهذا هو الذى لايعاب استعماله عند العرب لأنه لم يكن عندهم وحشيا وهو عندنا وحشى وقد تضمن القرآن الكريم منه كلمات معدودة وهى التى يطلق عليها غريب القرآن وكذلك تضمن الحديث النبوى منه شيئا وهو الذى يطلق عليه غريب الحديث (وحضر عندى فى بعض الأيام رجل متفلسف) فجرى ذكر القرآن الكريم فأخذت فى وصفه وذكر مااشتملت عليه ألفاظه ومعانيه من الفصاحة والبلاغة فقال ذلك الرجل وأى فصاحة هناك وهو يقول تلك إذا قسمة ضيزى فهل فى لفظة ضيزى من الحسن مايوصف فقلت له اعلم أن لاستعمال الألفاظ أسرارا لم تقف عليها أنت ولا أئمتك مثل ابن سينا والفارابى ولا من أضلهم مثل ارسطاليس وافلاطون وهذه اللفظة التى أنكرتها فى القرآن وهى لفظة ضيزى فانها فى موضعها لا يسد غيرها مسدها ألا ترى أن السورة كلها التى هى سورة النجم مسجوعة على حرف الياء فقال تعالى والنجم إذا هوى ماضل صاحبكم وما غوى وكذلك الى آخر السورة فلما ذكر الاصنام وقسمة الأولاد وما كان يزعمه الكفار قال ألكم الذكر وله الانثى تلك إذا قسمة ضيزى فجاءت اللفظة على الحرف المسجوع الذى جاءت السورة جميعها عليه وغيرها لايسد مسدها فى مكانها وإذا نزلنا معك أيها المعاند على ما تريد قلنا ان غير هذه اللفظة أحسن منها ولكنها فى هذا الموضع لاترد ملائمة لاخواتها ولا مناسبة لأنها تكون خارجة عن حرف السورة وسأبين ذلك فأقول إذا جئنا بلفظة فى معنى هذه اللفظة قلنا قسمة جائرة أو ظالمة ولاشك أن جائرة أو ظالمة أحسن من ضيزى الا انا إذا نظمنا الكلام فقلنا ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ظالمة لم يكن النظم كالنظم الأول وصار الكلام كالشىء المعوز الذى يحتاج الى تمام وهذا لايخفى على من له ذوق ومعرفة بنظم الكلام فلما سمع ذلك الرجل ما أوردته عليه ربا لسانه فى فمه انخاما ولم يكن عنده فى ذلك شىء سوى العناد الذى مستنده تقليد بعض الزنادقة الذين يكفرون تشهيا ويقولون مايقولونه جهلا وإذا حوققوا عليه ظهر عجزهم وقصورهم * وحيث انتهى القول إلى ههنا فانى أرجع إلي ما كنت بصدد ذكره فأقول وأما القبيح من الالفاظ الذى يعاب استعماله فلا يسمى وحشيا فقط بل يسمى الوحشى الغليظ وسيأتى ذكره وإذا نظرنا الى كتاب الله تعالى الذى هو أفصح الكلام وجدناه سهلا سلسا وماتضمنه من الكلمات الغريبة يسير جدا هذا وقد أنزل فى زمن العرب العرباء وألفاظه كلها من أسهل الالفاظ وأقربها استعمالا وكفى به قدوة فى هذا الباب قال النبي صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله فى التوراة ولا فى الانجيل مثل أم القرآن وهى السبع المثانى يريد بذلك فاتحة الكتاب وإذا نظرنا إلى مااشتملت عليه من الالفاظ وجدناها سهلة قريبة المأخذ يفهمها كل أحد حتى صبيان المكاتب وعوام السوقة وان لم يفهموا ماتحتها من أسرار الفصاحة والبلاغة فان أحسن الكلام ماعرف الخاصة فضله وفهم العامة معناه وهكذا فلتكن الالفاظ المستعملة فى سهولة فهمها وقرب متناولها والمقتدى بألفاظ القرآن يكتفى بها عن غيرها من جميع الالفاظ المنثورة والمنظومة وأما ما ورد من اللفظ الوحشى فى الاخبار النبوية فمن جملة ذلك حديث طهفة بن أبى زهير النهدى وذلك أنه لما قدمت وفود العرب على النبي

السدر البرى (والعبرى) مانبت على شطوط الانهار وعظم

﴿ أسماء القطنية ﴾

(البلس) العدس والجلبان الخلر وهو شىء يشبه الماش (والفول) الباقلا (والجلجلان) السمسم (والتقدة) الكزبرة والكرويا (والدخن) الجاورس (والسات) ضرب من الشعير رقيق القشر صغير الحب (والاحريضة) حب العصفر وهو القرطم (النخل) *الكرنافة* أصل السعفة التى تيبس وجمعها كرانيف (والكربة) التى تيبس فتصير مثل الكف (والجريد والعسب) السعف واحده عسيب (والكثر والجذب) الجمار وهو قلب النخلة قلبها وقلبها والجميع قلبة وصغار النخل الاشاء (والودى) الفسيل واحدها ودية وأول حمل النخل (الطلع) فاذا انشق فهو الضحك وهو الاغريض ثم البلح ثم السياب ثم الجدال إذا استدار واخضر قبل ان يشتد ثم البسر إذا عظم ثم الزهو إذا أحمر يقال أزهى يزهى فاذا بدت فيه نقط من الارطاب

فهو موكت فان كان ذلك من قبل الذنب فهى مذنبة وهو التذنوب فاذا لانت فهى ثعدة فاذا بلغ الارطاب نصفها فهى مجزعة

فاذا بلغ ثلثيها فهي حلقانة فاذا عمها الارطاب فهي منسبته (والخلب) الليف واحدها (٦٣) خلبة وأهل الحجاز يسمون

صلى الله عليه وسلم قام طهفة بن أبي زهير فقال أتيناك يارسول الله من غوري تهامة على أكوار الميس ترتمي بنا العيس نستحلب الصبير ونستخلب الخبير ونستعضد البرير ونستخيل الرهام ونستجيل الجهام في أرض غائلة النطاء غليظة الوطاء قد نشف المدهن ويبس الجعثن وسقط الاملوج ومات العسلوج وهلك الهدى وفاد الودي برئنا اليك يارسول الله من الوثن والعنن وما يحدث الزمن لنا دعوة السلام وشريعة الاسلام ماطمى البحر وقام تعار ولنا نعم همل اغفال ما تبض ببلال ووقير كثير الرسل قليل الرسل أصابتنا سنية حمراء مؤزلة ليس لها علل ولا نهل فقال رسول الله ﷺ اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وفرقها وابعث راعيها في الدثر بيانع الثمر وافجر له الثمد وبارك له في المال والولد من أقام الصلاة كان مسلما ومن آتى الزكاة كان محسنا ومن شهد أن لا إله إلا الله كان مخلصا لكم يابني نهد ودائع الشرك ووضائع الملك لا تلطط في الزكاة ولا تلحد في الحياة ولا تتثاقل عن الصلاة (وكتب) معه كتابا إلى بني نهد من محمد رسول الله إلى بني نهد السلام على من آمن بالله ورسوله لكم يابني نهد في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ولا يؤكل أكلكم مالم تضمروا الاماق وتأكلوا الرباق من أقر بما في هذا الكتاب فله من رسول الله الوفاء بالعهد والذمة ومن أبي فعليه الربوة وفصاحة رسول الله ﷺ لا تقتضي استعمال هذه الألفاظ ولا تكاد توجد في كلامه الا جوابا لمن يخاطبه بمثلها كهذا الحديث وما جرى مجراه على أنه قد كان في زمنه متداولا بين العرب ولكنه ﷺ لم يستعمله إلا يسيرا لأنه أعلم بالفصيح والأفصح وهذا الكلام هو الذي نعده نحن في زماننا وحشيا لعدم الاستعمال فلا تظن أن الوحشي من الألفاظ مايكرهه سمعك ويثقل عليك النطق به وإنما هو الغريب الذي يقل استعماله فتارة يخف على سمعك ولا تجد به كراهة وتارة يثقل على سمعك وتجد منه الكراهة وذلك في اللفظ عيبان أحدهما أنه غريب الاستعمال والآخر أنه ثقيل على السمع كريه على الذوق وإذا كان اللفظ بهذه الصفة فلا مزية على فظاظته وغلاظته وهو الذي يسمى الوحشي الغليظ ويسمى أيضا المتوعر وليس وراءه في القبح درجة أخرى ولا يستعمله إلا أجهل الناس ممن لم يخطر بباله من معرفة هذا الفن أصلا (فان قيل) فما هذا النوع من الألفاظ (قلت) قد ثبت لك أنه ما كرهه سمعك وثقل على لسانك النطق به وسأضرب لك في ذلك مثالا فمنه ما ورد لتأبط شرا في كتاب الحماسة

يظل بموماة ويمسي بغيرها * جحيشا ويعروري ظهور المسالك

فان لفظة جحيش من الألفاظ المنكرة القبيحة ويالله العجب أليس أنها بمعنى فريد وفريد لفظة حسنة رائقة ولو وضعت في هذا البيت موضع جحيش لما اختل شيء من وزنه فتأبط شرا ملوم من وجهين في هذا الموضع أحدهما أنه استعمل القبيح والآخر أنه كانت له مندوحة عن استعماله فلم يعدل عنها ومما هو أقبح منها ماورد لأبي تمام قوله

قد قلت لما اطلخم الأمر وانبعثت * عشواء تالية غبسا دهاريسا

فلفظة اطلخم من الألفاظ المنكرة التي جمعت الوصفين القبيحين في أنها غريبة وأنها غليظة في السمع كريهة على الذوق وكذلك لفظة دهاريس أيضا وعلى هذا ورد قوله من أبيات يصف فرسا من جملتها

نعم متاع الدنيا حباك به * أروع لا جيدر ولا جبس

فلفظة جيدر غليظة وأغلظ منها قول أبي الطيب المتنبي

الدبس الصقر (والعفار والابار) تلقيح النخل (والجباب والجباب والجداد والجداد والجرام والجرام والقطاع والقطاع) كله الصرام وهو فحال النخل ولا يقال فحل (والعذق) النخلة نفسها (والعذق) الكباسة وعودها عرجون واهان (والشمراخ والعثكال) ما عليه البسر موضع التمر الذي يجمع فيه إذا صرم (المربد) ويسمى الجرين أيضا وجماع النخل الصور والحائش

﴿باب ذكور ماشهر منه الأناث﴾

(اليعاقيب) ذكور الحجل واحدها يعقوب (والسلك) الذكر من فراخها والأنثى سلكة (والحزب) ذكر الحبارى (وسارق حر) ذكر القماري (والفياد) ذكر البوم ويقال هو الصدى (واليعسوب) ذكر النحل وهو أميرها (والحنظب والعنظب) ذكر الجراد وفي كتاب سيبويه (العنظباء) فأما الحنظب بفتح الظاء فذكر الخنافس وهو أيضا الخنفس (والحرباء) ذكر أم حبين (والعضرفوط) ذكر العظاء (والضبعان) ذكر الضباع (والافعوان) ذكر الافاعي (والعقربان) ذكر العقارب (والثعلبان) ذكر الثعالب قال الشاعر

جفخت وهم لايجفخون بهابهم * شيم على الحسب الاغر دلائل

فان لفظة جفخ مرة الطعم واذا مرت على السمع اقشعر منهاوأبو الطيب فى استعمالها كاستعمال تأبط شراً لفظة حجيش فان تأبط شرا كانت له مندوحة عن استعمال تلك اللفظة كما أشرنا اليه فيما تقدم وكذلك أبو الطيب فى استعمال هذه اللفظة التى هى جفخت فان معناها فخرت والجفخ الفخر يقال جفخ فلان إذا فخر ولو استعمل عوضا عن جفخت فخرت لاستقام وزن البيت وحظى فى استعماله بالأحسن وما أعلم كيف يذهب هذا وأمثاله على مثل هؤلاء الفحول من الشعراء وهذا الذى ذكرته ومايجرى مجراه من الألفاظ هو الوحشى اللفظ الغليظ الذى ليس له مايدانيه فى قبحه وكراهته وهذه الأمثلة دليل على ماأوردناه والعرب اذن لاتلام على استعمال الغريب الحسن من الألفاظ وانما تلام على الغريب القبيح وأما الحضرى فانه يلام على استعمال القسمين معا وهو فى أحدهما أشد ملامة من الآخر على أن هذا الموضع يحتاج إلى قيد آخر وذلك شىء استخرجته أنا دون غيرى فانى وجدت الغريب الحسن يسوغ استعماله فى الشعر ولا يسوغ فى الخطب والمكاتبات وهذا ينكره من يسمعه حتى ينتهى إلى ماأوردته من الأمثلة ولربما أنكره بعد ذلك اما عنادا واما جهلا لعدم الذوق السليم عنده (فمن ذلك) قول الفرزدق

ولولا حياء زدت رأسك شجة * إذا سبرت ظلت جوانبها تغلى

شرنبثة شمطاء من يرتمى بها * يشبه ولو بين الخماسى والطفل

فقوله شرنبثة من الألفاظ الغريبة التى يسوغ استعمالها فى الشعر وهى ههنا غير مستكرهة الأنهالو وردت فى كلام منثور من كتاب أو خطبة لعيبت على مستعملها وكذلك وردت لفظة مشمخر فان بشرا قد استعملها فى أبياته التى يصف فيها لقاءه الأسد فقال

وأطلقت المهند عن يمينى * فقدله من الاضلاع عشرا

فخر مضرجا بدم كأنى * هدمت به بناء مشمخرا

وعلى هذا ورد قول البحترى فى قصيدته التى يصف فيها ايوان كسرى فقال

مشمخر تعلو له شرفات * رفعت فى رءوس رضوى وقدس

فان لفظة مشمخر لايحسن استعمالها فى الخطب والمكاتبات ولا بأس بها ههنا فى الشعر وقد وردت فى خطب الشيخ الخطيب بن نباتة كقوله فى خطبة يذكر فيها أهوال يوم القيامة فقال اقمطر وبالها واشمخر نكالها فما طابت ولا ساغت ومن هذا الأسلوب لفظة الكنهور فى وصف السحاب كقول أبى الطيب

ياليت باكية شجانى دمعها * نظرت اليك كما نظرت فتعذرا

وترى الفضيلة لاترد فضيلة * الشمس تشرق والسحاب كنهورا

فلفظة الكنهور لاتعاب نظما وتعاب نثرا وكذلك يجرى الأمر فى لفظة العرمس وهى اسم الناقة الشديدة فان هذه اللفظة يسوغ استعمالها فى الشعر ولايعاب مستعملها كقول أبى الطيب أيضا

ومهمه جبته على قدمى * تعجز عنه العرامس الذلل

فانه جمع هذه اللفظة ولا بأس بها ولو استعملت فى الكلام المنثور لما طابت ولاساغت وقد جاءت موحدة فى شعر أبى تمام كقوله

هى العرمس الوجناء وابن ملمة * وجاش على مايحدث الدهر خافض

وكذلك ورد قوله أيضا * ياموضع الشدنية الوجناء * فان الشدنية لاتعاب شعرا وتعاب لو وردت فى كتاب أوخطبة وهكذا يجرى الحكم فى أمثال هذه الألفاظ المشار اليها وعلى هذا

فاعلم

الحاء ويقال سلحفية (والعلجوم) ذكر الضفادع (والشيهم) ذكر القنافذ قال الشاعر وهو الأعشى

لئن جد أسباب العداوة بيننا لترتحلن منى على ظهر شيهم

(والخزز) الذكر من الأرانب وجمعه خزان (والحيقطان) ذكر الدراج (والظليم) ذكر النعام (والقطو والضيون) ذكر السنانير

﴿باب اناث ماشهر منه الذكور﴾

الأنثى من الذئاب (سلقة وذئبة) والأنثى من الثعالب ثرملة وثعلبة (والأنثى) من الوعول (أروية) وثلاث أراوى إلى العشرة فاذا كثرت فهى الاروى والأنثى من القرود (قشة) والأنثى من الأرانب (عكرشة) والأنثى من العقبان (لقوة) والأنثى من الأسود (لبؤة) بضم الباء وبالهمزة والأنثى من العصافير (عصفورة) والأنثى من النمور (نمرة) ومن الضفادع (ضفدعة) ومن القنافذ (قنفذة) ويقال برزون وبرزونة

﴿باب ما يعرف جمعه ويشكل واحده﴾

(الذراريح) واحدها ذرحرح وذراح وذروح (والمصارين) واحدها مصران بضم الميم وواحد مصران مصير (وأفواه الأزقة والأنهار) واحدها فوهة (وأفواه

فاعلم أن كل ما يسوغ استعماله في الكلام المنثور من الألفاظ يسوغ استعماله في الكلام المنظوم وليس كل ما يسوغ استعماله في الكلام المنظوم يسوغ استعماله في الكلام المنثور وذلك شيء استنبطته واطلعت عليه لكثرة ممارستي لهذا الفن ولأن الذوق الذي عندي دلني عليه فمن شاء فليقلدني فيه والا فليدمن النظر حتى يطلع على ما اطلعت عليه والاذهان في مثل هذا المقام تتفاوت (وقد رأيت) جماعة من مدعي هذه الصناعة يعتقدون أن الكلام الفصيح هو الذي يعز فهمه ويبعد متناوله واذا رأوا كلاما وحشيا غامض الالفاظ يعجبون به ويصفونه بالفصاحة وهو بالضد من ذلك لأن الفصاحة هي الظهور والبيان لا الغموض والخفاء وسأبين لك ما تعتمد عليه في هذا الموضع (فأقول) الالفاظ تنقسم في الاستعمال الى جزلة ورقيقة ولكل منهما موضع يحسن استعماله فيه فالجزل منها يستعمل في وصف مواقف الحروب وفي قوارع التهديد والتخويف وأشباه ذلك وأما الرقيق منها فانه يستعمل في وصف الاسواق وذكر أيام البعاد وفي استجلاب المودات وملاينات الاستعطاف وأشباه ذلك ولست أعني بالجزل من الالفاظ أن يكون وحشيا متوعرا عليه عنجهية البداوة بل أعني بالجزل أن يكون متينا على عذوبته في الفم ولذاذته في السمع وكذلك لست أعني بالرقيق أن يكون ركيكا سفسفا وانما هو اللطيف الرقيق الحاشية الناعم الملمس كقول أبي تمام

ناعمات الاطراف لو أنها تلـ * ـبس أغنت عن الملاء الرقاق

وسأضرب لك مثالا للجزل من الالفاظ والرقيق فأقول انظر الى قوارع القرآن عند ذكر الحساب والعذاب والميزان والصراط وعند ذكر الموت ومفارقة الدنيا وما جرى هذا المجرى فانك لا ترى شيئا من ذلك وحشي الالفاظ ولا متوعرا ثم انظر الى ذكر الرحمة والرأفة والمغفرة والملاطفات في خطاب الانبياء وخطاب المنيبين والتائبين من العباد وما جرى هذا المجرى فانك لا ترى شيئا من ذلك ضعيف الالفاظ ولا سفسفا (فمثال الاول) وهو الجزل من الالفاظ قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين فتأمل هذه الآيات المضمنة ذكر الحشر على تفاصيل أحواله وذكر النار والجنة وانظر هل فيها لفظة الا وهي سهلة مستعذبة على ما بها من الجزالة وكذلك ورد قوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون (وأما مثال الثاني) وهو الرقيق من الالفاظ فقوله تعالى في مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى الى آخر السورة وكذلك قوله تعالى في ترغيب المسئلة واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان وهكذا ترى سبيل القرآن الكريم في كلا هذين الحالين من الجزالة والرقة وكذلك كلام العرب الاول في الزمن القديم مما ورد عنهما نثرا ويكفي من ذلك كلام قبيصة

الطيب) واحدها فوه (والغرانيق) طير الماء واحدها غرنوق وغرنوق وهو الرجل الشاب التام الناعم (وفرادى) جمع فرد (آونة) جمع أوان على تقدير زمان وأزمنة (الاولى) في معنى الذين واحدها الذي وأولو النهى واحدها ذو وهي وذو وسواء (فلان من علية الرجال) واحدهم على مثل صبي وصبية (الشمائل) وحدها شمال قال الشاعر وهو عبد يغوث ابن وقاص الحارثي

ألم تعلما أن الملامة نفعها * قليل وما لومي أخي من شماليا

(بلغ أشده) واحدها أشد ويقال شد وأشد مثل قد وأقد ويقال لا واحد لها (سواسية) واحدها سواء على غير قياس (الزبانية) واحدهم زبنية مأخوذ من الزبن وهو الدفع كأنهم يدفعون أهل النار اليها قال قتادة هم الشرط عند العرب قال الكيساني من قال ألالك فواحده ذاك ومن قال أولئك فواحده ذلك (الكمأة) واحدها كمء

﴿ باب ما يعرف واحده ويشكل جمعه ﴾

(الدخان) جمعه دواخن وكذلك (العثان) جمعه عواثن ولا يعرف لهما نظير والعثان الغبار (امرأة نفساء) وجمعها نفاس وناقة (عشراء) وجمعها عشار وجمع (رؤيا) رؤى (والدنيا) دنى مثل الكبرى والصغرى تقول الكبر

ابن نعيم لما قدم على امرىء القيس فى أشياخ بنى أسد يسألونه العفو عن دم أبيه فقال انك فى المحل والقدر من المعرفة يتصرف الدهر ماتحدثه أيامه وتنتقل أحواله بحيث لاتحتاج الى تذكير من واعظ ولا تبصير من مجرب ولك من سودد منصبك وشرف اعراقك وكرم أصلك فى العرب محتد يحتمل ماحمل عليه من اقالة العثرة ورجوع عن الهفوة ولا تتجاوز الهمم الى غاية الارجعت اليك فوجدت عندك من فضيلة الرأى وبصيرة الفهم وكرم الصفح مايطول رغباتها ويستغرق طلباتها وقدكان الذى كان من الخطب الجليل الذى عمت رزيته نزارا واليمن ولم تخصص بذلك كندة دوننا للشرف البارع كان الجر ولو كان يفدى هالك بالانفس الباقية بعده لما بخلت كرائمنا بها على مثله ولكنه مضى به سبيل لايرجع أخراه على أولاه ولايلحق أقصاه أدناه فأحمد الحالات فى ذلك أن تعرف الواجب عليك فى احدى خلال ثلاث اما ان اخترت من بنى أسد أشرفها بيتا وأعلاها فى بناء المكرمات صوتا فقدناه اليك بنسعه تذهب مع شفرات حسامك بباقى قصرته فنقول رجل امتحن بهالك عزيز فلم يستل سخيمته الا بمكنته من الانتقام أوفداء بما يروح على بنى أسد من نعمها فهى ألوف تجاوز الخمسة فكان ذلك فداء رجعت به القضب الى أجفانها لم ترددها بسليط الاحن على البزاء واما ان وادعتنا الى أن تضع الحوامل فتسدل الازر وتعقد الخمر فوق الرايات قال فبكى ساعة ثم رفع رأسه فقال لقد علمت العرب أنه لا كفؤ لحجر فى دم وانى لن أعتاض جملا ولا ناقة فأكتسب به سبة الابد وفت العضد وأما النظرة فقد أوجبتها الاجنة فى بطون أمهاتها ولن أكون لعطبها سببا وستعرفون طلائع كندة من بعد ذلك تحمل فى القلوب حنقا وفوق الاسنة علقا

اذا جالت الحرب فى مأزق * تصافح فيه المنايا النفوسا

أتقيمون أم تنصرفون قالوا بلى ينصرف بأسوا الاختيار وابلى الاجترار بمكروه وأذية وحرب وبلية ثم نهضوا عنه وقبيصة يتمثل

لعلك أن تستوخم الوردان عدت * كتائبنا فى مأزق الحرب تمطر

فقال امرؤ القيس لا والله ولكن أستعذبه فرويدا ينفرج لك دجاها من فرسان كندة وكتائب حمير ولقد كان ذكر غير هذا بى أولى اذ كنت نازلا بربعى (١) ولكنك قلت فأوجبت فقال امرؤ القيس هو ذاك * فلتنظر الى هذا الكلام من الرجلين قبيصة وامرىء القيس حتى يدع المتعمقون تعمقهم فى استعمال الوحشى من الالفاظ فان هذا الكلام قد كان فى الزمن القديم قبل الاسلام بما شاء الله وكذلك كلام كل فصيح من العرب مشهور وماعداه فليس بشىء وهذا المشار اليه ههنا هو من جزل كلامهم وعلى ماتراه من السلاسة والعذوبة واذا تصفحت أشعارهم أيضا وجدت الوحشى من الالفاظ قليلا بالنسبة الى المسلسل فى الفم والسمع ألا ترى الى هذه الابيات الواردة للسموأل بن عاديا وهى

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه * فكل رداء يرتديه جميل
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها * فليس الى حسن الثناء سبيل
تعيرنا أنا قليل عديدنا * فقلت لها ان الكرام قليل
وما ضرنا أنا قليل وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل
يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول
وما مات منا سيد حتف أنفه * ولا طل منا حيث كان قتيل

(١) قوله ولكنك قلت الخ كذا فى النسخ والظاهر ان يقول فقال قبيصة ولكنك الخ اه من هامش المطبوعة

والصغر وكذلك (الجلى) وهو الامر العظيم جمعها جلل (الكروان) جمعه كروان (المرآة) جمعها مرائى (اللائمة) الدرع جمعها لؤم على مثال فعل على غير قياس كأنه جمع لؤمة (والحدأة) الطائر جمعها حدأ وحدآن (البلصوص) طائر وجمعه البلنصى على غير قياس (الحظ) جمعه حظوظ وأحظ على القياس وأحظ وأحاظ على غير قياس (طست) والجمع طساس بالسين لان أصلها السين فأبدلوا من احدى السينين تاء استثقالا لاجتماعهما فى آخر الكلمة فاذا جمعت فرقت بينهما الالف فزدت السين ومثلها ست أصلها سدس وذلك انك تقول فى تصغيرها سديسة وتقول طسيس وطسيسة إذا أنثت (وتقول) فى جمع الايام سبت وسبوت وأسبت وأحد وآحاد والاثنان لايثنى ولايجمع لانه مثنى فان أحببت أن تجمعه كأنه لفظ مبنى للواحد قلت اثانين وثلاثاء وثلاثاوات وأربعاء وأربعاوات وخميس وأخمساء وأخمسة وجمعة وجمعات وجمع (وتقول) فى جمع الشهور هو المحرم والمحرمات وصفر وأصفار وشهر ربيع وشهورر بيع وكذلك شهر رمضان وشهور رمضان ورجب وأرجاب فان أفردت قلت أربعاء وأربعة ورمضانات وجماديات وشعبانات وشوال وشوالات وشواويل

علونا الى خير الظهور وحطنا * لوقت الى خير البطون نزول
فنحن كماء المزن ما فى نصابنا * كهام ولافينا يعد بخيل
اذا سيد منا خلا قام سيد * قؤول لما قال الكرام فعول
وأيامنا مشهورة فى عدونا * لها غرر مشهورة وحجول
وأسيافنا فى كل غرب ومشرق * بها من قراع الدارعين فلول
معودة الا يسل نصالها * فتغمد حتى يستباح قتيل

فاذا نظرنا الى ما تضمنته من الجزالة خلناها زبرا من الحديد وهى مع ذلك سهلة مستعذبة غير فظة ولا غليظة وكذلك قد ورد للعرب فى جانب الرقة من الاشعار ما يكاد يذوب لرقته كقول عروة ابن أذينة

ان التى زعمت فؤادك ملها * خلقت هواك كما خلقت هوى لها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها * بلباقة فأدقها وأجلها
حجبت تحيتها فقلت لصاحبى * ما كان أكثرها لنا وأقلها
واذا وجدت لها وساوس سلوة * شفع الضمير الى الفؤاد فسلها

(وكذلك ورد قول الآخر)

أقول لصاحبى والعيس تهوى * بنا بين المنيفة فالضمار
تمتع من شميم عرار نجد * فما بعد العشية من عرار
ألا ياحبذا نفحات نجد * وريا روضة غب القطار
وأهلك اذ يحل الحى نجدا * وأنت على زمانك غير زار
شهور ينقضين وما شعرنا * بأنصاف لهن ولاسرار
فاما ليلهن فخير ليل * وأطيب ما يكون من النهار

ومما ترقص الاسماع له ويرن على صفحات القلوب قول يزيد بن الطثرية فى محبوبته من جرم

بنفسى من لو مر برد بنانه * على كبدى كانت شفاء أنامله
ومن هابنى فى كل شىء وهبته * فلا هو يعطينى ولا أنا سائله

واذا كان هذا قول ساكن فى الفلاة لا يرى الا الشيحة أو قيصومة ولا يأكل الا ضبا أو يربوعا فما بال قوم سكنوا الحضر ووجدوا رقة العيش يتعاطون وحشى الالفاظ وشظف العبارات ولا يخلد الى ذلك الا إما جاهل بأسرار الفصاحة واما عاجز عن سلوك طريقها فان كل أحد ممن شدا شيأ من علم الأدب يمكنه أن يأتى بالوحشى من الكلام وذلك أنه يلتقطه من كتب اللغة أو يتلقفه من أربابها وأما الفصيح المتصف بصفة الملاحة فانه لا يقدر عليه ولو قدر عليه لما علم أين يضع يده فى تأليفه وسبكه فان مارى فى ذلك ممار فلينظر الى أشعار علماء الأدب ممن كان مشارا اليه حتى يعلم صحة ما ذكرته هذا ابن دريد قد قيل انه أشعر علماء الأدب واذا نظرت الى شعره وجدته بالنسبة الى شعر الشعراء المجيدين منحطا مع أن أولئك الشعراء لم يعرفوا من علم الأدب عشر معشار ما علمه هذا العباس بن الاحنف قد كان من أوائل الشعراء المجيدين وشعره كمر نسيم على عذبات أغصان وكلؤلؤات طل على طرر ريحان وليس فيه لفظة واحدة غريبة يحتاج الى استخراجها من كتب اللغة فمن ذلك قوله

وانى ليرضينى قليل نوالكم * وان كان لاأرضى لكم بقليل
بحرمة ما قد كان بينى وبينكم * من الود الا عدتم بجميل

وهكذا ورد قوله فى فوز التى كان يشبب بها فى شعره

وذوات القعدة وذوات الحجة (وربيع) الكلأ يجمع أربعة وربيع الجدول أربعاء (والسماء) اذا كان مطرا جمع سميا واذا كان السماء نفسها جمع سموات

﴿ معرفة فى الخيل وما يستحب فى خلقها ﴾

يستحب فى الاذن الدقة والانتصاب (ويكره) فيها الخذا وهو استرخاؤها قال الشاعر

يخرجن من مستطير النقع دامية
كأن آذانها أطراف أقلام

(ويستحب) فى الناصية السبوغ (ويكره) فيها السفا وهو خفة الناصية وقصرها قال عبيد

مضبر خلقها تضبيرا
ينشق عن وجهها السبيب

وهو شعر الناصية (وقال سلامة بن جندل) ليس بأقنى ولا أسفى ولا سفل يعطى دواء قفى السكن مربوب

(والسفاء) فى البغال والحمير محمود (قال الشاعر)

جاءت به معتجرا ببرده
سفواء تردى بنسيج وحده

قال ابن كيسان سفواء ههنا السريعة يعنى بغلة (ويكره) أيضا من النواصى الغماء وهى المفرطة فى كثرة الشعر (والمحمود) منها المعتدلة وهى الجثلة (ويستحب) فى الخد الاسالة والملاسة والرقة وذلك من علامات العتق والكرم (ويستحب) فى الجبهة السعة ولذلك قال امرؤ القيس

يافوز يامنيــة عبــاس * قلبي يفـدى قلبك القاسى
أسأت إذ أحسنت ظنى بكم * والحزم سوء الظن بالناس
يقلقـنى شوقى فآتيكمو * والقلب مملوء من الياس

وهل أعذب من هذه الابيات وأعلق بالخاطر وأسرى فى السمع ولمثلها تخف رواجح الأوزان وعلى مثلها تسهر الاجفان وعن مثلها تتأخر السوابق عند الرهان ولم أجرها بلسانى يوما من الايام الاذكرت قول أبى الطيب المتنبى

اذا شاء أن يلهو بلحية أحمق * أراه غبارى ثم قال له الحق

ومن الذى يستطيع أن يسلك هذه الطريق التى هى سهلة وعرة قريبة بعيدة وهذا أبو العتاهية كان فى عزة الدولة العباسية وشعراء العرب إذ ذاك موجودون كثيرا وكانت مدائحه فى المهدى بن المنصور واذا تأملت شعره وجدته كالماء الجارى رقة ألفاظ ولطافة سبك وليس بركيك ولا واه وكذلك أبو نواس وبهذا قدم على شعراء عصره وناهيك بعصره وما جمعه من فحول الشعراء ويكفى منهم مسلم بن الوليد الذى كان فارس الشعر وله الأساوب الغريب العجيب غير أنه كان يتعنجه فى أكثر ألفاظه ويحكى أن أبا نواس جلس يوما الى بعض التجار ببغداد هو وجماعة من الشعراء فاستسقى ماء فلما شرب قال * عذب الماء وطابا * ثم قال أجيزوه فأخذ أولئك الشعراء يترددون فى اجازته واذاهم بأبى العتاهية فقال ماشأنكم مجتمعين فقالوا هو كيت وكيت وقد قال أبو نواس * عذب الماء وطابا فقال أبو العتاهية * حبذا الماء شرابا * فعجبوا لقوله على الفور من غير تلبث وكل شعر أبى العتاهية كذلك سهل الالفاظ وسأورد منه ههنا شيئا يستدل به على سلاسة طبعه وترويق خاطره (فمن ذلك) قصيدته التى يمدح فيها المهدى ويشبب فيها بجارية عتبة

ألا ما لسيدتى مالها * تدل فأحمــل أدلالهــا
ألا ان جارية للاما * م قد سكن الحسن سربالها
لقد أتعب الله قلبى بها * وأتعب فى اللوم عذالها
كأن بعينىّ فى حيثما * سلكت من الارض تمثالها

فلما وصل الى المديح قال من جملته

أتته الخلافة منقادة * اليه تجرر أذيالها فلم تك تصلح الاله * ولم يك يصلح الالها ولو رامها أحد غيره * لزلزلت الارض زلزالها ولو لم تطعه (١) نيات القلوب * لما قبل الله أعمالها ويحكى أن بشارا كان شاهدا عندا نشاد أبى العتاهية هذه الابيات فلما سمع المديح قال انظروا الى أمير المؤمنين هل طار عن أعواده يريد هل زال عن سريره طربا بهذا المديح ولعمرى ان الامر كما قال بشار وخير القول ما أسكر السامع حتى ينقله عن حالته سواء كان فى مديح أو غيره وقد أشرت الى ذلك فيما يأتى من هذا الكتاب عند ذكر الاستعارة فليؤخذ من هناك (واعلم) أن هذه الابيات المشار اليها ههنا من رقيق الشعر غزلا ومديحا وقد أذعن لمديحها الشعراء من أهل ذلك العصر ومع هذا فانك تراها من السلاسة واللطافة على أقصى الغايات وهذا هو الكلام الذى يسمى السهل الممتنع فتراه يطمعك ثم اذا حاولت مماثلته راغ عنك كما يروغ الثعلب وهكذا ينبغى أن يكون من خاض فى كتابة أو شعر فان خير الكلام ما دخل الأذن بغير اذن (وأما) البداوة والعنجهية فى الالفاظ فتلك أمة قد خلت ومع أنها قد دخلت وكانت فى زمن العرب العاربة فانها قد عيبت على مستعملها فى ذلك الوقت فكيف الآن

(١) قوله نيات بتخفيف الياء محافظة على الوزن اه

لها جبهة كسراة المجن طويل طامح الطرف الى مفزعة الكلب حديد الطرف والمنكب والعرقوب والقلب وهم يصفونها بالقلب والشوس والخوص وليس ذلك عيبا فيها ولا هو خلقة انما تفعله لعزة (قالت الخنساء)

ولما ان رأيت الخيــل قبلا
تبارى بالخدود شبا العوالى

(ويستحب) فى المنخر السعة لانه اذا ضاق شق عليه النفس فكتم الربو فى جوفه فيقال له عند ذلك قد كبا الفرس وهو فرس كاب وربما شق منخره قال امرؤ القيس لها منخر كوجار الضبا

ع فمنه تريح اذا تنبهر (وقال آخر)

* لها منخر مثل جيب القميص * (ويستحب) فى الافواه الهرت قال الشاعر

هريت قصير عذار اللجا
م أسيل طويل عذار الرسن

لم يرد بقوله قصير عذار اللجام انه قصير الخد وكيف يريد ذلك وهو يقول أسيل طويل عذار الرسن ولكنه أراد انه هريت وان مشق شدقيه من الجانبين مستطيل فقد قصر عذار لجامه ثم قال طويل عذار الرسن لأن الرسن لايدخل

وقد غلب على الناس رقة الحضر (و بعد هذا) فاعلم أن الالفاظ تجرى من السمع مجرى الأشخاص من البصر فالالفاظ الجزلة تتخيل فى السمع كأشخاص عليها مهابة ووقار والالفاظ الرقيقة تتخيل كأشخاص ذى دماثة ولين أخلاق ولطافة مزج ولهذا ترى ألفاظ أبى تمام كأنها رجال قد ركبوا خيولهم واستلأموا سلاحهم وتأهبوا للطراد وترى ألفاظ البحترى كأنها نساء حسان عليهن غلائل مصبغات وقد تحلين بأصناف الحلى واذا أنعمت نظرك فيما ذكرته ههنا وجدتنى قد دللتك على الطريق وضربت لك أمثالا مناسبة (واعلم) أنه يجب على الناظم والناثر أن يجتنبا ما يضيق به مجال الكلام فى بعض الحروف كالثاء والذال والخاء والشين والصاد والطاء والظاء والغين فان فى الحروف الباقية مندوحة عن استعمال مالا يحسن من هذه الاحرف المشار اليها والناظم فى ذلك أشد ملامة لأنه يتعرض لان ينظم قصيدة ذات أبيات متعددة فيأتى فى أكثرها بالبشع الكريه الذى يمجه السمع لعدم استعماله كما فعل أبو تمام فى قصيدته الثائية التي مطلعها قف بالطلول الدارسات علاثا * وكما فعل أبو الطيب المتنبي فى قصيدته الشينية التى مطلعها * مبيتى من دمشق على فراش * وكما فعل ابن هانىء المغربى فى قصيدته الخائية التى مطلعها * سرى وجناح الليل أقتم أفتخ * والناظم لا يعاب إذا لم ينظم هذه الاحرف فى شعره بل يعاب إذا نظمها وجاءت كريهة مستبشعة وأما الناثر فانه أقرب حالا من الناظم لأن غاية ما يأتى به سجعتان أو ثلاث أو أربع على حرف من هذه الاحرف وما يعدم فى ذلك ما يروق إذا كان بهذه العدة اليسيرة فان كلفت أيها الشاعر أن تنظم شيئا على هذه الحروف فقل هذه الحروف هى مقاتل الفصاحة وعذرى واضح فى تركها فان واضع اللغة لم يضع عليها ألفاظا تعذب فى الفم ولا تلذ فى السمع والذى هو بهذه الصفة منها فانما هو قليل جدا ولا يصاغ منه الا مقاطيع أبيات من الشعر وأما القصائد المقصدة فلا تصاغ منه وان صيغت جاء أكثرها بشعا كريها على أن هذه الحروف متفاوتة فى كراهة الاستعمال وأشدها كراهية أربعة أحرف وهى الخاء والصاد والظاء والغين وأما الثاء والذال والشين والطاء فان الأمر فيهن أقرب حالا وهذا موضع ينبغى لصاحب الصناعة أن ينعم نظره فيه وفيما أشرنا اليه كفاية للتعلم فليعرفه وليقف عنده (ومن أوصاف الكلمة) أن لا تكون مبتذلة بين العامة وذلك ينقسم قسمين (الأول) ما كان من الالفاظ دالا على معنى وضع له فى أصل اللغة فغيرته العامة وجعلته دالا على معنى آخر وهو ضربان الأول ما يكره ذكره كقول أبى الطيب

أذاق الغوانى حسنه ما أذقننى * وعف فجازاهن عنى بالصرم

فان لفظة الصرم فى وضع اللغة هو القطع يقال صرمه إذا قطعه فغيرتها العامة وجعلتها دالة على المحل المخصوص من الحيوان دون غيره فأبدلوا السين صادا ومن أجل ذلك استكره استعمال هذه اللفظة وماجرى مجراها لكن المكروه منها ما يستعمل على صيغة الاسمية كما جاءت فى هذا البيت وأما إذا استعملت على صيغة الفعل كقولنا صرمه وصرمته وتصرمه فانها لا تكون كريهة لأن استعمال العامة لا يدخل فى ذلك وهذا الضرب المشار اليه لا يعاب البدوى على استعماله كما يعاب المحتضر لان البدوى لم تتغير الالفاظ فى زمنه ولا تصرفت العامة فيها كما تصرفت فى زمن المحتضرة من الشعراء فمن أجل ذلك عيب استعمال لفظة الصرم وما جرى مجراها على الشاعر المحتضر ولم يعب على الشاعر المبتدى ألا ترى الى قول أبى صخر الهذلى

قد كان صرم فى الممات لنا * فعجلت قبل الموت بالصرم

فان هذا لا يعاب على صخر كما عيب على المتنبي قوله فى البيت المقدم ذكره وقد صنف الشيخ

فى فيه شىء منه كما يدخل فاس اللجام فعذار رسنه طويل لطول خده وقال (٦٩) أبو دواد * وهى شوهاء كالجوالق فوها مستجاف يضل فيه الشكيم

الشكيم فاس اللجام وقال طفيل الغنوى

كان على أعطافه ثوب مائح * وان يلق كلب بين لحييه يذهب

(ويستحب) فى العنق الطول واللين (ويكره) فيها القصر والجسأة قال الشاعر

ملاعبة العنان بغصن بان * الى كتفين كالقتب الشميم

وقد فرق سلمان بن ربيعة بين العتاق والهجن بالاعناق فدعا بطست من ماء فوضعت بالأرض ثم قدمت الخيل اليها واحدا واحدا فما ثنى سنبكه ثم شرب هجنه وما شرب ولم يثن سنبكه جعله عتيقا وذلك لأن فى أعناق الهجن قصرا لا تنال الماء على تلك الحالة حتى تثنى سنابكها (ويستحب) ارتفاع الكتفين والحارك والكاهل قال الضبى

وكاهل أفرغ فيه مع الـ * أفراغ اشراف وتقبيب

والمفرغ المشرف (ويستحب) من الفرس أن يشتد مركب عنقه فى كاهله لأنه يتساند اليه إذا حضر ويشتد حقواه لأنهما معلق وركيه ورجليه فى صلبه (ويستحب) عرض الصدر قال أبو النجم * منتفخ الجوف عريض كلكله *

أبو منصور بن أحمد البغدادى المعروف بابن الجواليقى كتابا فى هذا الفن ووسمه باصلاح ماتغلط فيه العامة فمنه ماهذا سبيله وهو الذى أنكر استعماله لكراهته ولأنه مما لم ينقل عن العرب فهذان عيبان وأما الضرب الثانى وهو أنه وضع فى أصل اللغة لمعنى فجعلته العامة دالا على غيره لا أنه ليس بمستقبح ولا مستكره وذلك كتسميتهم الانسان ظريفا إذا كان دمث الاخلاق حسن الصورة أو اللباس أو ماهذا سبيله والظرف فى أصل اللغة مختص بالنطق فقط (وقد قيل فى صفات خلق الانسان ماأذكره ههنا) وهو الصباحة فى الوجه الوضاءة فى البشرة الجمال فى الانف الحلاوة فى العينين الملاحة فى الفم الظرف فى اللسان الرشاقة فى القد اللباقة فى الشمائل كمال الحسن فى الشعر فالظرف إنما يتعلق بالنطق خاصة فغيرته العامة عن بابه وممن غلط فى هذا الموضع أبو نواس حيث قال

اختصم الجود والجمال * فيك فصارا إلى جدال
فقال هذا يمينه لى * للعرف والبذل والنوال
وقال هذاك وجهه لى * للظرف والحسن والكمال
فافترقا فيك عن تراض * كلاهما صادق المقال

وكذلك غلط أبو تمام فقال

لك هضبة الحلم التى لو وازنت * أجأ اذن ثقلت وكان خفيفا
وحلاوة الشيم التى لو مازجت * خلق الزمان الفدم عاد ظريفا

فأبوا نواس غلط ههنا فى أنه وصف الوجه بالظرف وهو من صفات النطق وأبو تمام غلط فى أنه وصف الخلق بالظرف وهو من صفات النطق أيضا الا أن هذا غلط لا يوجب فى هذه اللفظة قبحا لكنه جهل بمعرفة أصلها فى وضع اللغة (القسم الثانى) مما ابتذلته العامة وهو الذى لم تغيره عن وصفه وإنما أنكر استعماله لأنه مبتذل بينهم لا لانه مستقبح ولا لانه مخالف لما وضع له وفى هذا القسم نظر عندى لانه ان كان عبارة عما يكثر تداوله بين العامة فان من الكثير المتداول بينهم ألفاظا فصيحة كالسماء والأرض والنار والماء والحجر والطين وأشباه ذلك وقد نطق بها القرآن الكريم فى مواضع كثيرة منه وجاءت فى كلام الفصحاء نظما ونثرا والذى ترجح فى نظرى أن المراد بالمبتذل من هذا القسم إنما هو الالفاظ السخيفة الضعيفة سواء تداولتها العامة أو الخاصة (فما) جاء منه قول أبى الطيب المتنبى

وملمومة سيفية ربعية * يصيح الحصا فيها صياح اللقالق

فان لفظة اللقالق مبتذلة بين العامة جدا وكذلك قوله

ومن الناس من تجوز اليهم * شعراء كأنها الخاز باز

وهذا البيت من مضحكات الاشعار وهو من جملة البرسام الذى ذكره فى شعره حيث قال

ان بعضا من القريض هراء * ليس شيئا و بعضه أحكام
فيه ما يجلب البراعة والفهـــم وفيه ما يجلب البرسام

ومثل هذه الالفاظ إذ وردت فى الكلام وضعت من قدره ولو كان معنى شريفا وهذا القسم من الالفاظ المبتذلة لا يكاد يخلو منه شعر شاعر لكن منهم المقل ومنهم المكثر حتى ان العاربة قد استعملت هذا الا أنه فى أشعارها أقل فمن ذلك قول النابغة الذبيانى فى قصيدته التى أولها من آل مية رائح أو مغتدى

أو دمية فى مرمر مرفوعة * بنيت بآجر يشاد بقرمد

والكلكل الصدر فأما الجؤجؤ والزور وهما شىء واحد فيستحب فيهما الضيق قال عبد الله بن سليمة الغامدى

متقارب الثفنات ضيق زوره
رحب اللبان شديد طى ضريس

قال يراد أنه طوى كما طويت البئر بالحجارة والضرس جودة الطى فوصفه كما ترى بضيق الزور وسعة اللبان وفرق بينهما و يقال ان الفرس إذا دق جؤجؤه وتقارب من قفاه كان أجود بجريه و يوصف أيضا بارتفاع اللبان ويحمد ذلك فيه (ويكره الدنن) وهو تطامن الصدر ودنوه من الأرض وهذا أسوأ العيوب (و يستحب) عظم جبينه وجوفه وانطواء كشحه ولذلك قال الجعدى

خيط على زفرة فتم ولم
يرجع الى دقة ولا هضم

يقول كأنه زافر أبدا من عظم جوفه فكأنه زفر فخيط على ذلك (والهضم) انضمام أعالى الضلوع يقال فرس أهضم وهو عيب قال الاصمعى ولم يسبق الحلبة فرس أهضم قط وإنما الفرس بعنقه و بطنه (و يستحب) اشراف القطاة وهى مقعد الردف (و يكره) تطامنها ولذلك قال امرؤ القيس * كأن مكان الردف منه على رال * والرأل فرخ النعامة وهو مشرف ذلك الموضع (و يستحب) فى الخيل أن ترفع أذنابها فى العدو و يقال ذلك من شدة الصلب قال النمر بن تولب

فلفظة آجر مبتذلة جدا وان شئت أن تعلم شيئا من سر الفصاحة التى تضمنها القرآن فانظر الى هذا الموضع فانه لما جيء فيه بذكر الآجر لم يذكر بلفظه ولا بلفظ القرمد أيضا ولا بلفظ الطوب الذى هو لغة أهل مصر فان هذه الاسماء مبتذلة لكن ذكر فى القرآن على وجه آخر وهو قوله تعالى وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى فأوقد لى ياهامان على الطين فاجعل لى صرحا فعبر عن الآجر بالوقود على الطين (ومن هذا القسم المبتذل) قول الفرزدق فى قصيدته التى أولها عرفت باعشاش وما كدت تعرف

وأصبح مبيض الضريب كأنه * على سروات البيت قطن مندف

فقوله مندف من الالفاظ العامية (ومن هذا القسم) قول البحترى

وجوه حسادك مسودة * أم صبغت بعدى بالزاج

فلفظة الزاج من أشد ألفاظ العامة ابتذالا وقد استعمل أبو نواس هذا النوع فى شعره كثيراً كقوله

يامن جفانى وملا * نسيت أهلا وسهلا

ومات مرحب لما * رأيت مالى قلا انى أظنك فيما * فعلت تحكى القرلا

(وكقوله)

وأمر الجلدة صيرته * فى الناس زاغا وشقراقا

مازلت أجرى كلكى فوقه * حتى دعا من تحته قاقا

(وكقوله)

وملحة بالعذل تحسب أننى * بالجهل أترك صحبة الشطار

وقد استعمل لفظة الشاطر والشاطرة والشطار والشطارة كثيرا وهى من الالفاظ التى ابتذلها العامة حتى سئمت من ابتذالها وهذه الامثلة تمنع الواقف عليها من استعمال أشباهها وأمثالها (ومن أوصاف الكلمة) أن لا تكون مشتركة بين معنيين أحدهما يكره ذكره واذا وردت وهى غير مقصود بها ذلك المعنى قبحت وذلك اذا كانت مهملة بغير قرينة تميز معناها عن القبيح فأما اذا جاءت ومعها قرينة فانها لا تكون معيبة كقوله تعالى فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون ألا ترى أن لفظة التعزير مشتركة تطلق على التعظيم والاكرام وعلى الضرب الذى هو دون الحد وذلك نوع من الهوان وهما معنيان ضدان خبيث وردت فى هذه الآية جاء معها قرائن من قبلها ومن بعدها خصصت معناها بالحسن وميزته عن القبيح ولو وردت مهملة بغير قرينة وأريد بها المعنى الحسن لسبق الى الوهم ما اشتملت عليه من المعنى القبيح مثال ذلك لو قال قائل لقيت فلانا فعزرته لسبق الى الفهم أنه ضربه وأهانه ولو قال لقيت فلانا فأكرمته وعزرته لزال ذلك اللبس (واعلم) أنه قد جاء من الكلام ما معه قرينة فأوجبت قبحه ولو لم تجىء معه لما استقبح كقول الشريف الرضى

أعزز على بان أراك وقد خلا * عن جانبيك مقاعد العواد

وقد ذكر ابن سنان الخفاجى هذا البيت فى كتابه فقال ان ايراد هذه اللفظة فى هذا الموضع صحيح الا أنه موافق لما يكره ذكره فى مثل هذا الشعر لاسيما وقد أضافه الى من يحتمل اضافته اليه وهم العواد ولو انفرد لكان الامر فيه سهلا فأما الاضافة الى من ذكره ففيها قبح لاخفاء به هذا حكاية كلامه وهو مرضى واقع فى موقعه ولنذكر نحن ما عندنا فى ذلك فنقول قد جاءت هذه اللفظة المعيبة فى الشعر فى القرآن الكريم فجاءت حسنة مرضية وهى قوله تعالى واذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال وكذلك قوله تعالى وانا لمسنا السماء

لها ذنب مثل ذيل العروس

تسد به فرجها من دبر

لم يرد بالفرج ههنا الرحم وانما أراد ما بين رجليها تسده بذنبها (وقالوا فى صفة الفرس) ذيال يراد انه طويل طويل الذنب فان كان الفرس قصيرا وذنبه طويلا قالوا ذائل والانثى ذائلة أو ذيال الذنب فيذكرون الذنب (ويستحب) قصر العسيب قال أبو محمد بن قتيبة قال لى اعرابى اختره طويل الذنب قصير الذنب يريد طول الشعر وقصير العسيب (ويستحب) فى الفرس شنج النسا والنسا عرق مستبطن الفخذين حتى يصير الى الحافر فاذا هزلت الدابة ماجت فخذاه نخفى واذا سمنت انفلقت فخذاه فجرى بينهما واستبان كأنه حية واذا قصر كان أشد لرجله قال الشاعر

بشنج موترا لانساء

واذا كان فيه توتير فهو أسرع لقبض رجليه وبسطها غير انه لا يسمح بالمشى ومن الحيوان ضروب توصف بشنج النسا وهى لا تسمح بالمشى منها الظبى قال أبو دواد

وقصرى شنج الانسا

نباح من الشعب (ومنها) الذئب وهو أزل واذا طرد فكأنه يتوجى (ومنها) الغراب وهو يحجل كأنه مقيد قال الطرماح

فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا ألا ترى أنها في هاتين الآيتين غير مضافة الى من تقبح إضافته اليه كما جاءت في الشعر ولو قال الشاعر بدلا من مقاعد العواد مقاعد الزيارة أو ماجرى مجراه لذهب ذلك القبح وزالت تلك الهجنة ولهذا جاءت هذه اللفظة في الآيتين على ماتراه من الحسن وجاءت على ماتراه من القبح في قول الشريف الرضي وعلى هذا ورد قول تأبط شرا

أقول للحيان وقد صفرت لهم * وطابي ويومي ضيق الجحر معور

فانه أضاف الجحر إلى اليوم فأزال عنه هجنة الاشتباه لان الجحر يطلق على كل ثقب كثقب الحية واليربوع وعلى المحل المخصوص من الحيوان فاذا ورد مهملا بغير قرينة تخصصه سبق الى الوهم مايقبح ذكره لاشتهاره به دون غيره ومن ههنا ورد قول النبي ﷺ المؤمن لا يلسع من جحر مرتين وحيث قال يلسع زال اللبس لان اللسع لا يكون الا للحية وغيرها من ذوات السموم وأما ماورد مهملا بغير قرينة فقول أبي تمام

أعطيت لي دية القتيل وليس لي * عقل ولا حق عليك قديم

فقوله ليس لي عقل يظن أنه من عقل الشيء إذا علمه ولو قال ليس لي عليك عقل لزال اللبس فيجب إذا على صاحب هذه الصناعة أن يراعي في كلامه مثل هذا الموضع وهو من جملة الالفاظ المشتركة التي يحتاج في ايرادها الى قرينة تخصصها ضرورة (ومن أوصاف الكلمة) أن تكون مؤلفة من أقل الاوزان تركيبا وهذا مما ذكره ابن سنان في كتابه ثم مثله بقول أبي الطيب المتنبي

ان الكرام بلا كرام منهم * مثل القلوب بلا سويداواتها

وقال ان لفظة سويداواتها طويلة فلهذا قبحت وليس الأمر كاذكره فان قبح هذه اللفظة لم يكن بسبب طولها وانما هو لانها في نفسها قبيحة وقد كانت وهي مفردة حسنة فلما جمعت قبحت لا بسبب الطول والدليل على ذلك أنه قد ورد في القرآن الكريم ألفاظ طوال وهي مع ذلك حسنة كقوله تعالى فسيكفيكهم الله فان هذه اللفظة تسعة أحرف وكقوله تعالى ليستخلفنهم في الأرض فان هذه اللفظة عشرة أحرف وكلتاهما حسنة رائقة ولو كان الطول مما يوجب قبحا لقبحت هاتان اللفظتان وليس كذلك ألا ترى أنه لو أسقط من لفظة سويداواتها الهاء والألف اللتين هما عوض عن الاضافة لبقي منها ثمانية أحرف ومع هذا فانها قبيحة ولفظة ليستخلفنهم عشرة أحرف وهي أطول منها بحرفين ومع هذا فانها حسنة رائقة والاصل في هذا الباب ماأذكره وهو أن الاصول من الالفاظ لا تحسن الا في الثلاثي وفي بعض الرباعي كقولنا عذب وعسجد فان هاتين اللفظتين احداهما ثلاثية والاخرى رباعية وأما الخماسي من الأصول فانه قبيح ولا يكاد يوجد منه شيء حسن كقولنا جحمرش وصهصلق وما جرى مجراهما وكان ينبغي على ماذكره ابن سنان أن تكون هاتان اللفظتان حسنتين واللفظتان الواردتان في القرآن قبيحتين لان تلك تسعة أحرف وعشرة وهاتان خمسة وخمسة ونرى الامر بالضد مما ذكره وهذا لا يعتبر فيه طول ولا قصر وانما يعتبر نظم تأليف الحروف بعضها مع بعض وقد تقدم الكلام على ذلك ولهذا لا يوجد في القرآن من الخماسي الاصول شيء الا ما كان من اسم نبي عرب اسمه ولم يكن في الاصل عربيا نحو ابراهيم واسمعيل (ومما يدخل في هذا الباب) أن تجتنب الالفاظ المؤلفة من حروف يثقل النطق بها سواء كانت طويلة أو قصيرة ومثال ذلك قول امرىء القيس في قصيدته اللامية التي هي من جملة القصائد السبع الطوال

يستحب في الهماليج (ويستحب) في الكفل الاملاس والاستواء (ويكره) فيها الفرق وهو اشراف احدى الوركين على الاخرى ولذلك قالت الشعراء

لها كفل كصفاة المسيل

لها كفل مثل متن الطراف

والطراف القبة من أدم قال الشاعر

وأحمر كالديباج أما سماؤه فريا * وأما أرضه فمحول

سماؤه أعاليه وأرضه قوائمه (ويستحب) قصر ساقيه ولذلك قال أبو دواد

لها ساقا ظليم خاضب فوجىء بالرعب

(وقال آخر)

* لها متن عير وساقا ظليم *

(ويستحب) مع ذلك أن يكون مافوق الساقين من فخذيه طويلا فيوصف حينئذ بطول القوائم قال الشاعر

شرحب سلهب كأن رماحا حملته وفي السراة دموج

(ويستحب) أن يكون في رجليه انحناء وتوتير وهو التجنيب فان كان في اليدين والصلب فهو التجنيب بالحاء غير معجمة

غدائره مستشزرات الى العلا * تضل (١) المداري في مثني ومرسل

فلفظة مستشزرات مما يقبح استعمالها لانها تثقل على اللسان ويشق النطق بها وان لم تكن طويلة لانا لو قلنا مستنكرات أو مستنفرات على وزن مستشزرات لما كان في هاتين اللفظتين من ثقل ولا كراهة ولربما اعترض بعض الجهال في هذا الموضع وقال ان كراهة هذه اللفظة انما هو لطولها وليس الأمر كذلك فانا لو حذفنا منها الألف والتاء وقلنا مستشزر لكان ذلك ثقيلا أيضا وسببه أن الشين قبلها تاء وبعدها زاي فثقل النطق بها ولا فلو جعلنا عوضا من الزاي راء ومن الراء فاء فقلنا مستشرف لزال ذلك الثقل ولقد رآني بعض الناس وأنا أعيب على امرىء القيس هذه اللفظة المشار اليها فأكبر ذلك لوقوفه مع شهرة التقليد في أن امرأ القيس أشعر الشعراء فعجبت من ارتباطه بمثل هذه الشبهة الضعيفة وقلت له لا يمنع احسان امرىء القيس من استقباح ماله من القبيح ومثال هذا كمثال غزال المسك فانه يخرج منه المسك والبعر ولا يمنع طيب ما يخرج من مسكه من خبث ما يخرج من بعره ولا تكون لذاذة ذلك الطيب حامية للخبث من الاستكراه فأسكت الرجل عند ذلك (وحضر) عندي في بعض الأيام رجل من اليهود وكنت اذ ذاك بالديار المصرية وكان لليهود في هذا الرجل اعتقاد لمكان علمه في دينهم وغيره وكان لعمري كذلك فجرى ذكر اللغات وأن اللغة العربية هي سيدة اللغات وأنها أشرفهن مكانا وأحسنهن وضعا فقال ذلك الرجل كيف لا تكون كذلك وقد جاءت آخرا فنفت القبيح من اللغات قبلها وأخذت الحسن ثم ان واضعها تصرف في جميع اللغات السالفة فاختصر ما اختصر وخفف ما خفف فمن ذلك اسم الجمل فانه عندنا في اللسان العبراني كوميل مما لا على وزن فوعيل فجاء واضع اللغة العربية وحذف منها الثقيل المستبشع وقال جمل فصار خفيفا حسنا وكذلك فعل في كذا وكذا وذكر أشياء كثيرة ولقد صدق في الذي ذكره وهو كلام عالم به (ومن أوصاف الكلمة) أن تكون مبنية من حركات خفيفة ليخف النطق بها وهذا الوصف يترتب على ما قبله من تأليف الكلمة ولهذا اذ توالى حركتان خفيفتان في كلمة واحدة لم تستثقل وبخلاف ذلك الحركات الثقيلة فانه اذا توالى منها حركتان في كلمة واحدة استثقلت ومن أجل ذلك استثقلت الضمة على الواو والكسرة على الياء لان الضمة من جنس الواو والكسرة من جنس الياء فتكون عند ذلك كأنها حركتان ثقيلتان ولنمثل لك مثالا لتهتدي به في هذا الموضع وهو أنا نقول اذا أتينا بلفظة مؤلفة من ثلاثة أحرف وهي ج ز ع فاذا جعلنا الجيم مفتوحة أو مكسورة فقلنا الجزع كان ذلك أحسن من أن لو جعلنا الجيم مضمومة فقلنا الجزع وكذلك اذا والينا حركة الفتح فقلنا الجزع كان ذلك أحسن من موالاة حركة الضم عند قولنا الجزع ومن المعلوم أن هذه اللفظة لم يكن اختلاف حركاتها مغيرا مخارج حروفها حتى ينسب ذلك الى اختلاف تأليف المخارج بل وجدناها تارة تكتسي حسنا وتارة يسلب ذلك الحسن عنها فعلمنا أن ذلك حادث عن اختلاف تأليف حركاتها (واعلم) أنه قد توالت حركة الضم في بعض الألفاظ ولم يحدث فيها كراهة ولا ثقلا كقوله تعالى ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر وكقوله تعالى ان المجرمين في ضلال وسعر وكقوله تعالى وكل شيء فعلوه في الزبر فحركة الضم في هذه الألفاظ متوالية وليس بها من ثقل ولا كراهة وكذلك ورد قول أبي تمام

(١) جمع مدرى ومدراة ومدرية شيء يعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط وأطول منه يسرح به الشعر المتلبد ويستعمل من لم يكن له مشط هذا والرواية المشهورة تضل العقاص جمع عقيصة وهي الخصلة المجموعة من الشعر اه

(ويستحب) في العرقوب التحديد والتأنيف وهو الذي حد طرفه (ويكره) منها الأدرم والاقمع وقد بينا هذا في باب العيوب (ويستحب) أن تكون الأرساغ غلاظا يابسة قال الجعدي

كأن تماثيل أرساغه * رقاب وعول على مشرب

(ويستحب) أن تكون ثننه تامة سودا لينة (ويكره) المعر فيها قال امرؤ القيس

لها ثنن كخوافي العقاب * سود يفين إذا تزبئر

تزبئر تنتفش (ويفين) أي يكثرن يقال قد وفى شعره اذا كثر وقال بعضهم

يفئن يرجعن الى مواضعهن أي هي لينة (ويستحب) قصر الرسغ اذا لم يكن معه انتصاب واقبال على الحافر فاذا كان منتصبا مقبلا على الحافر فهو أقفد والقفد عيب قال أبو عبيدة والقفد لا يكون الا في الرجل (ويستحب) أن تكون الحوافر صلابا غير نقدة والنقد ان تراها تقشر وتكون سودا أو خضرا لا يبيض منها شيء لان البياض

نفس يحتثه نفس * ودموع ليس تحتبس ومغان للكرى دثر * عطل من عهده درس
شهرت ما كنت أكتمه * ناطقات بالهوى خرس

فانظر كيف جاءت هذه الألفاظ الأربعة مضمومات كلها وهى مع ذلك حسنة لا ثقل بها ولا ينبو السمع عنها وهذا لا ينقض ما أشرنا اليه لأن الغالب أن يكون توالى حركة الضم مستثقلا فاذا شذ عن ذلك شيء يسير لا ينقض الأصل المقيس عليه (القسم الثانى فى الألفاظ المركبة) قد قدمنا القول فى شرح أحوال اللفظة المفردة وما يختص بها وأما إذا صارت مركبة فان لتركيبها حكما آخر وذلك أنه يحدث عنه من فوائد التأليفات والامتزاجات ما يخيل للسامع أن هذه الألفاظ ليست تلك التى كانت مفردة ومثال ذلك كمن أخذ لآلىء ليست من ذوات القيم الغالية فألفها وأحسن الوضع فى تأليفها فخيل للناظر بحسن تأليفه واتقان صنعته أنها ليست تلك التى كانت منثورة مبددة وفى عكس ذلك من يأخذ لآلىء من ذوات القيم الغالية فيفسد تأليفها فانه يضع من حسنها وكذلك يجرى حكم الألفاظ العالية مع فساد التأليف وهذا موضع شريف ينبغى الالتفات اليه والعناية به (واعلم) أن صناعة تأليف الألفاظ تنقسم الى ثمانية أنواع هي السجع ويختص بالكلام المنثور والتصريع ويختص بالكلام المنظوم وهو داخل فى باب السجع لأنه فى الكلام المنظوم كالسجع فى الكلام المنثور والتجنيس وهو يعم القسمين جميعا والترصيع وهو يعم القسمين أيضا جميعا ولزوم ما لا يلزم وهو يعم القسمين أيضا والموازنة وتختص بالكلام المنثور واختلاف صيغ الألفاظ وهو يعم القسمين جميعا وتكرير الحروف وهو يعم القسمين جميعا (النوع الأول المسجع) وحده أن يقال تواطؤ الفواصل فى الكلام المنثور على حرف واحد وقد ذمه بعض أصحابنا من أرباب هذه الصناعة ولا أرى لذلك وجها سوى عجزهم أن يأتوا به والا فلو كان مذموما لما ورد فى القرآن الكريم فانه قد أتى منه بالكثير حتى أنه ليؤتى بالسورة جميعا مسجوعة كسورة الرحمن وسورة القمر وغيرهما وبالجملة فلم تخل منه سورة من السور فمن ذلك قوله تعالى ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا وكقوله تعالى فى سورة طه طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى وكذلك قوله تعالى فى سورة ق بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم فى أمر مريج أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج وكقوله تعالى والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا وأمثال ذلك كثيرة وقد ورد على هذا الاسلوب من كلام النبي صلى الله عليه وسلم شيء كثير أيضا (فمن ذلك) ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استحيوا من الله حق الحياء قلنا انا لنستحيى من الله يا رسول الله قال ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وتذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا (ومن ذلك) ما رواه عبد الله بن سلام فقال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت فى الناس لانظر اليه فلما تبينت وجهه علمت أنه ليس بوجه كذاب فكان أول شيء تكلم به أن قال أيها الناس افشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام (فان قيل) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لبعضهم منكرا عليه وقد كلمه بكلام مسجوع أسجعا

كسجع

والوأب المقعب والمصطر الضيق والفرشاح المنبطح

﴿عيوب الخيل﴾

الخذا فى الاذن استرخاء أصول الاذنين على الخدين (والسعف) بياض يعلو الناصية (والقنا) إحديداب فى الانف وذلك يكون فى الهجن (والسفا) خفة الناصية وهو مذموم فى الخيل ومحمود فى البغال (والغمم) ان تغطى الناصية عينيه (والاقراب) ابيضاض الاشفار مع الزرق والقصر فى العنق (والجسأة) يبس المعطف (والكتف) انفراج يكون فى غراضيف أعالى كتفى الفرس مما يلى الكاهل (والدنن) طمأنينة فى أصل العنق يقال فرس ادنن فاذا اطمأنت من وسطها فذلك الهنع يقال عنق هنعاء (والزور) فى الصدر دخول احدى الفهدتين وخروج الاخرى (والهضم) استقامة الضلوع ودخول أعاليها يقال فرس أهضم (والاخطاف) لحوق ما خلف الحزم من بطنه يقال فرس مخطف والصقل من الخيل الطويل الصقلة وهي الطفطفة يقال فلما طالت صقلة فرس الاقصر جنباه وذلك عنب (والشجل)

كسجع الـكهان ولولا أن السجع مكروه لما أنـكره النبي صلى الله عليه وسلم (فالجواب) عن ذلك أنا نقول لو كره النبي صلى الله عليه وسلم السجع مطلقا لقال أسجعا ثم سكت وكان المعنى يدل على انكار هذا الفعل لم كان فلما قال أسجعا كسجع الـكهان صار المعنى معلقا على أمر وهوا نـكار الفعل لم كان على هذا الوجه فعلم أنه إنما ذم من السجع ما كان مثل سجع الـكهان لاغير وأنه لم يذم السجع على الاطلاق وقد ورد فى القرآن الـكريم وهو صلى الله عليه وسلم قد نطق به فى كثير من كلامه حتى أنه غير الـكلمة عن وجهها اتباعا لها بأخواتها من أجل السجع فقال لابن ابنته عليهما السلام أعيذه من الهامة والسامة وكل عين لامة وانما أراد ملمة لأن الاصل فيها من ألم فهو ملم وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم ارجعن مأزورات غير مأجورات وانما أراد موزورات من الوزر فقال مأزورات لمـكان مأجورات طلبا للتوازن والسجع وهذا مما يدلك على فضيلة السجع على أن هذا الحديث النبوى الذى يتضمن انكار سجع الـكهان عندى فيه نظر فان الوهم يسبق الى انكاره يقال فما سجع الكهان الذى يتعلق الانكار به ونهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم والجواب عن ذلك أن النهى لم يكن عن السجع نفسه وانما النهى عن حكم الـكاهن الوارد باللفظ المسجوع ألا ترى أنه لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجنين بغرة عبد أو أمة قال الرجل أأدى من لاشرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل ومثل ذلك بطل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسجعا كسجع الـكهان أى أتتبع سجعا كسجع الـكهان وكذلك كان الـكهنة كلهم فانهم كانوا اذا سئلوا عن أمر جاؤا بالـكلام مسجوعا كما فعل الـكاهن فى قصة هند بنت عتبة فانه قال لما امتحن قبل السؤال عن قصتها ثمرة فى كمرة فقيل له تريد أبين من هذا فقال حبة بر فى احليل مهر والحـكاية مشهورة فلهذا اختصرناها هنا وكذلك قول سطيح فانه قال عبد المسيح جاء الى سطيح وهو موف على الضريح لرؤيا الموبذان وارتجاس الايوان وأتم الـكلام الى آخره مسجوعا والحكاية مشهورة أيضا فلهذا اختصرناها فالسجع اذاً ليس بمنهى عنه وانما المنهى عنه هو الحـكم المتبوع فى قول الـكاهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسجعا كسجع الكهان أى أحكما كحكم الكهان به ذلك والا فالسجع الذى أتى الرجل لا بأس به لانه قال أأدى من لاشرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل ومثل ذلك بطل وهذا كلام حسن من حيث السجع وليس بمنكر لنفسه وانما المنكر هو الحـكم الذى تضمنه فى امتناع الـكاهن أن يدى الجنين بغرة عبد أو أمة (واعلم) أن الاصل فى السجع انما هو الاعتدال فى مقاطع الـكلام والاعتدال مطلوب فى جميع الاشياء والنفس تميل اليه بالطبع ومع هذا فليس الوقوف فى السجع عند الاعتدال فقط ولا عند تواطؤ الفواصل على حرف واحد اذ لو كان ذلك هو المراد من السجع لـكان كل أديب من الادباء سجاعا وما من أحد منهم ولو شدا شيئا يسيرا من الادب الا ويمكنه أن يؤلف ألفاظا مسجوعة ويأتى بها فى كلامه بل ينبغى أن تـكون الالفاظ المسجوعة حلوة حادة طنانة رنانة لاغثة ولا باردة وأعنى بقولى غثة باردة ان صاحبها يصرف نظره الى السجع نفسه من غير نظر الى مفردات الالفاظ المسجوعة وما يشترط لها من الحسن ولا الى تركيبها وما يشترط له من الحسن وهو فى الذى يأتى به من الالفاظ المسجوعة كمن ينقش أثوابا من الكرفس أو ينظم عقدا من الخزف الملون وهذا مقام تزل عنه الاقدام ولا يستطيعه الا الواحد من أرباب هذا الفن بعد الواحد ومن أجل ذلك كان أربابه قليلا فاذا صفى الـكلام المسجوع من الغثاثة والبرد فان وراء ذلك مطلوبا آخر وهو ان يـكون اللفظ فيه تابعا للمعنى لا ان يكون المعنى فيه تابعا للفظ فانه يجىء عند ذلك كظاهر مموه على باطن مشوه ويكون مثله

خروج الخاصرة ورقة فى الصفاق يقال فرس أثجل (والقعس) أن يطمئن الصلب من الصهرة وترتفع فان اطمأنت القطاة والصلب فذلك البزخ (والفرق) اشراف إحدى الوركين على الأخرى يقال أقعس وأبزخ وأفرق والعصل التواء عسيب الذنب حتى يبرز بعض باطنه الذى لاشعر عليه (والكشف) أكثر من ذلك (والعزل) أن يعزل ذنبه فى إحدى الجانبين وذلك عادة لاخلقة (والصبغ) بياض الذنب (والشعل) أن يبيض عرضه وذلك شيب (والفحج) تباعد ما بين الـكعبين والصكك (اصطـكاك) الكعبين (والحلل) رخاوتها (واليدد) بعد ما بين اليدين (والقفد) انتصاب الرسغ واقباله على الحافر ولا يكون القفد إلا فى الرجل (والصدف) تدانى الفخذين وتباعد الحافرين فى التواء من الرسغين (والتوجيه) نحو من ذلك إلا أنه أقل منه (والفدع) التواء الرسغ من عرضه الوحشى والقسط أن تـكون رجلاه منتصبتين غير منحنيتين وذلك عيب يقـال فرس أقسط فاذا كان فيهما انحناء وتوتير فـذلك محمود فى الخيـل وهو التجنيب قال الاصمعى التجنيب بالجيم فى الرجلين والتجنيب بالحاء فى الصلب واليدين (والقمع) فى العرقوب أن يعظم رأسه ولا يحدوذلك عيب (ومن العراقيب) أدرم وهو الذى عظمت ابرته أى طرفه فاذا حدت ابرته فهو محمود

كغمد من ذهب على نصل من خشب وكذلك يجرى الحكم فى الأنواع الباقية الآتى ذكرها من التجنيس والترصيع وغيرهما وسأبين لك فى هذا مثالا تتبعه فأقول اذا صورت فى نفسك معنى من المعانى ثم أردت أن تصوغه بلفظ مسجوع ولم يؤاتك ذلك الا بزيادة فى ذلك اللفظ أو نقصان منه ولا يكون محتاجا الى الزيادة ولا إلى النقصان وإنما تفعل ذلك لان المعنى الذى قصدته يحتاج إلى لفظ يدل عليه واذا دللت عليه بذلك اللفظ لا يكون مسجوعا الا أن تضيف إليه شيئا آخر أو تنقص منه فاذا فعلت ذلك فانه هو الذى يذم من السجع و يستقبح لما فيه من التكلف والتعسف وأما إذا كان محمولا على الطبع غير متكلف فانه يجيء فى غاية الحسن وهو أعلى درجات الكلام واذا تهيأ للكاتب أن يأتى به فى كتابته كلها على هذه الشريطة فانه يكون قد ملك رقاب الكلم يستعبد كرائمها ويستولد عقائمها وفى مثل ذلك فليتنافس وعن مقامه فليتقاعس ولصاحبه أولى بقول أبى الطيب المتنبي

أنت الوحيد إذا ركبت طريقة * ومن الرديف وقد ركبت غضنفرا

(فان قيل) فاذا كان السجع أعلى درجات الكلام على ماذهبت اليه فكان ينبغى أن يأتى القرآن كله مسجوعا وليس الأمر كذلك بل منه المسجوع ومنه غير المسجوع (قلت فى الجواب) إن أكثر القرآن مسجوع حتى ان السورة لتأتى جميعها مسجوعة وما منع أن يأتى القرآن كله مسجوعا الا أنه سلك مسلك الايجاز والاختصار والسجع لا يؤاتى فى كل موضع من الكلام على حد الايجاز والاختصار فترك استعماله فى جميع القرآن لهذا السبب وههنا وجه آخر هو أقوى من الأول ولذلك ثبت أن المسجوع من الكلام أفضل من غير المسجوع وانما تضمن القرآن غير المسجوع لأن ورود غير المسجوع معجزا أبلغ فى باب الاعجاز من ورود المسجوع ومن أجل ذلك تضمن القرآن القسمين جميعا (واعلم) أن للسجع سرا هو خلاصته المطلوبة فان عرى الكلام المسجوع منه فلا يعتد به أصلا وهذا شيء لم ينبه عليه أحد غيرى وسأبينه ههنا وأقول فيه قولا هو أبين مما تقدم وأمثل لك مثالا اذا حذوته أمنت الطاعن والعائب وقيل فى كلامك ليبلغ الشاهد الغائب والذى أقوله فى ذلك هو أن تكون كل واحدة من السجعتين المزدوجتين مشتملة على معنى غير المعنى الذى اشتملت عليه أختها فان كان المعنى فيهما سواء فذلك هو التطويل بعينه لان التطويل انما هو الدلالة على المعنى بألفاظ يمكن الدلالة عليه بدونها واذا وردت سجعتان يدلان على معنى واحد كانت احداهما كافية فى الدلالة عليه وجل كلام الناس المسجوع جار عليه واذا تأملت كتابة المفلقين ممن تقدم كالصابى وابن العميد وابن عباد وفلان وفلان فانك ترى أكثر المسجوع منه كذلك والاقل منه على ما أشرت اليه ولقد تصفحت المقامات الحريرية والخطب النباتية على غرام الناس بهما وأكبابهم عليهما فوجدت الاكثر من السجع فيهما على الاسلوب الذى أنكرته فالكلام المسجوع اذا يحتاج الى أربع شرائط الاولى اختيار مفردات الالفاظ على الوجه الذى أشرت اليه فيما تقدم الثانية اختيار التركيب على الوجه الذى أشرت اليه أيضا فيما تقدم الثالثة أن يكون اللفظ فى الكلام المسجوع تابعا للمعنى لا المعنى تابعا اللفظ الرابعة أن تكون كل واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالة على معنى غير المعنى الذى دلت عليه أختها فهذه أربع شرائط لابد منها * وسأورد ههنا من كلامى أمثلة يحتذى حذوها فانى لما سلكت هذه الطريق وأتيت بكلامى مسجوعا توخيت أن تكون كل سجعة منه مختصة بمعنى غير المعنى الذى تضمنته أختها ولم أخل بذلك فى مكاتباتى كلها واذا تأملتها علمت صحة ماقد ذكرته (فمن ذلك) ما كتبته فى صدر كتاب عن بعض الملوك الى دار الخلافة

وهو المؤلف (والنقد) فى الحافر أن تراه كالمتقشر (والحافر) المصطر هو الضيق وذلك معيب (والاروح) الواسع وهو محمود (والشرج) متحرك الراء يقال فرس أشرج وهو الذى له بيضة واحدة

﴿ العيوب الحادثة فى الخيل ﴾

الانتشار انتفاخ من العصب للاتعاب والعصبة التى تنتشر هى العجاية وتحرك الشظاة كانتشار العصب غير أن الفرس لانتشار العصب أشد احتمالا منه لتحرك الشظاة والشظاة عظم لاصق بالذراع فاذا تحرك قيل شظى الفرس (والدخس) ورم يكون فى أطرة حافره (والزوائد) أطراف عصب تفرق عند العجاية وتنقطع عندها وتلصق بها (والعرن) جسوء فى رسغ رجليه وموضع ثنتها لشيء يصيبه من الشقاق أو المشقة (والشقاق) يصيبه فى أرساغه وربما ارتفع الى أوظفته وهو تشقق يصيبها (والجرذ) كل ماحدث فى عرقوبه من تزيد أو انتفاخ عصب ويكون فى عرض الكعب من ظاهر أو باطن (والسرطان) داء يأخذ فى الرسغ فييبس عروق الرسغ حتى يقلب حافره (والارتهاش) أن يصك بعرض حافره عرض عجايته من وهو

وهو الخادم واقف موقف راج هائب لازم بكتابه هذا وقار حاضر عن شخص غائب موجه وجهه الى ذلك الجناب الذى تقسم فيه أرزاق العباد ويتأدب به الزمان تأدب ذوى الاستعباد وتستمد الملوك من خدمته شرف الجدود كما تستغنى بنسبها اليه عن شرف الاجداد ولو ملك الخادم نفسه لقصرها على خدمة قصره وأخطاها من النظر اليه ببرد العيش الذى عمرها محسوب من عمره وهذا القول يقوله وكل ما جد فيه حاسد وبتأمليه راكع ساجد والديوان العزيز محسود الاقتراب وهو موطن الرغبات الذى الاغتراب اليه ليس بالاغتراب وما ينافس فى القرب من أبوابه الكريمة الاذوو الهمم الكريمة وقد ودت الكواكب بأسرها أن تكون له منادمة فضلا عن ندمانى جذيمة (ومن ذلك) ما كتبته من كتاب يتضمن العناية ببعض الناس وهو الكريم من أوجب لسائله حقا وجعل كواذب آماله صدقا وكان خرق العطايا منه خلقا ولم يربين ذمه وبين رحمه فرقا وكل ذلك موجود فى كرم مولانا أجراه الله من فضله على وتيرة وجعل هممه على تمام كل نقص قديرة وأوطأه من كل مجد سريرا كما بوأه من كل قلب سريرة ولازالت يده بالمكارم جديرة ومن الأيام مجيرة ولضرائرها من البحار والسحاب معيرة ولابرحت تستولد عقائم المعانى وتستجد أبنيتها حتى تشهد الناس منها فى كل يوم عقيقة أو وكيرة ومن صفات كرمه أنه يسبك الاموال مآثر ويتخذها عند السؤال ذخائر فهى تفنى لديهم بالانفاق وذكرها على مرور الايام باق ومن أربح منه صفقة وقد باع صامتا بناطق وما هو معرض لحوادث السرقات بما لا تصل اليه يد سارق ومثله من عرف الدنيا فرغب عن اقتنائها وجد فى ابتناء المحامد بهدم بنائها وعلم أن مالها ليس عند الضنين به الا أحجارا وأن غناه منها لايزيده الا افتقارا فهو لماله عبد يخدمه ولا يستخدمه وأم ترضعه بسعيها ولا تفطمه (ومنه) ما كتبته فى جواب كتاب يتضمن اباق غلام وهو أول كتاب ورد من المكتوب عنه الى المكتوب اليه فقلت وأما الاشارة الكريمة فى أمر الغلام الآبق عن الخدمة فقد يفر المهر من عليقه ويطير الفراش الى حريقه وغير بعيد أن ينبو به مضجعه أو يكبو به مطمعه فيرجع وقد حمد من رجوعه ما ذمه من ذهابه وعلم أن الغنيمة كل الغنيمة فى ايابه فما كل شجرة تحلو لذائقها ولا كل دار ترحب بطارقها ومن أبق عن مولاه مغاضبا وجانب محل احسانه الذى لم يكن له مجانبا فانه يجد من مفارقة الاحسان ما يجده من مفارقة معاهد الاوطان وهل أضل سعيا ممن دفع فى صدر العافية وغدا يسأل عن الاسقام وألقى الثروة من يده ومضى فى طلب الاعدام ومع هذا فان الخادم يشكره على ذنب الاباق الذى أقدم على اجتراحه وليس ذلك الا لانه صار سببا لافتتاح باب المكاتبة الذى لم يطمع فى افتتاحه ولاجزاء له عنده الا لسعى فى اعادته الى الخدمة التى تقلب فى انشائها وهى أبر به من أمه التى تقلب فى أحشائها ومن فضلها أنها تلقاه من حملها بوسيلة الشافع ومن كرمها بالوجه الضاحك والفضل الواسع (فانظر) أيها المتأمل الى هذه الاسجاع جميعها وأعطها حق النظر حتى تعلم أن كل واحدة منها تختص بمعنى ليس فى أختها التى تليها وكذلك فليكن السجع والافلا * وسأورد ههنا من كلام الصابى ما ستراه (فمن ذلك) تحميد فى كتاب فقال الحمد لله الذى لا تدركه الاعين بألحاظها ولا تحده الالسن بألفاظها ولا تخلقه العصور بمرورها ولا تهرمه الدهور بكرورها ثم انتهى الى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فقال لم ير للكفر أثرا الاطمسه ومحاه ولارسما الا أزاله وعفاه ولافرق بين مرور العصور وكرور الدهور وكذلك لافرق بين محو الاثر وعفاء الرسم ﴿ومن كلامه﴾ أيضا فى كتاب وهو وقد علمت ان الدولة العباسية لم تزل على سالف الايام

له صلابة العظم الصحيح (والنملة) شق فى الحافر من ظاهره

﴿خلق الخيل﴾

(قونس الناصية) مافوق الناصية من منبتها بين الاذنين (والقذال) جماع مؤخر الرأس وهو معقد العذار خلف الناصية (والفائق) موصل العنق فى الرأس فاذا طال الفائق طال العنق (والعصفور) عظم ناتىء فى كل جبين (وقلت) الصدغ الوقب الذى امام الصدغ (والنواهق) عظمان شاخصان فى وجهه أسفل من عينيه (والمرسن) موضع الرسن من الانف (والجحافل) ما تناول به العلف وفى الجحفلة فيد وهو الشعر الذى عليها (والمعرفة) اللحم الذى ينبت عليه العرف (والعرف) الشعر الذى على العنق والقصرة أصل العنق (والعلباوان) عصبتان بينهما العرف (واللبان) ماجرى عليه اللبب (والبلدة) ثغرة النحر وكل شيء من الظهر فيه فقار فذلك الصلب (والحارك) فروع الكتفين وهو أيضا الكاهل (والمنسج) أسفل من ذلك (والكاثبة) مقدم المنسج وفى الظهر (صرد)

وهو بياض يكون من أثر الدبر (والصهوة) مقعد الفارس (والقطاة) مقعد الردف (والمعدان) فى أعاليهما موقع

ومعاقب الاعوام تعتل طورا وتصح أطوارا وتلتاث مرة وتستقل مرارا من حيث أصلها راسخ لايتزعزع وبنيانها ثابت لا يتضعضع وهذه الاسجاع كلها متساوية المعانى فان الاعتلال والالتياث والطور والمرة والرسوخ والثبات كل ذلك سواء وكذلك ورد له فى جملة كتاب كتبه عن عزالدولة بن بويه جوابا عن كتاب وصله من الامير عبدالكريم ابن المطيع لله فقال وصلنى كتابه مفتتحا من الاعتزاء الى امارة المؤمنين والتقلد لامور المسلمين بما أعراقه الزكية مجوزة لاستمراره وأرومته العلية مسوغة لاستقراره له ولكل نجيب أخذ بحظه من نسبه وضارب بسهم فى منصبه اذ كان ذلك جاريا على الاصول المعهودة فيه والاسباب العاقدة له من اجماع المؤمنين كافة فان تعذر اجتماعهم مع انبساطهم فى الارض وانتشارهم فى الطول والعرض فلابد من اتفاق أشراف كل قطر وأفاضله وأعيان كل صقع وأماثله وهذا الكلام كله متماثل المعانى فى أسجاعه فان امارة المؤمنين والتقلد لامور المسلمين سواء فى المعنى وكذلك الاعراق والارومة والتجويز والتسويغ والاشراف والافاضل والاعيان والاماثل والقطر والصقع كل ذلك سواء (وعلى هذا) جاء كلامه فى كتاب آخر فقال يسافر رأيه وهو دان لم ينزح ويسير تدبيره وهو ثاو لم يبرح وكلا هذين سواء أيضا وما أحسن هذا المعنى لو قال يسافر رأيه وهو دان لم يبرح ويثخن الجراح فى عدوه وسيفه فى الغمد لم يجرح فانه لو قال مثل هذا سلم من هجنة التكرار وأمثال ذلك فى كلام الصابى كثير * وعلى منواله نسج الصاحب بن عباد (فمن ذلك) ماذكره فى وصف مهزومين فقال طاروا واقين بظهورهم صدورهم وبأصلابهم نحورهم وكلا المعنيين سواء (وكذلك) قوله فى هذا الكتاب يصف ضيق مجال الحرب مكان ضنك على الفارس والراجل ضيق على الرامح والنابل (ومن كلامه) فى كتاب وهو لا تتوجه همته الى أعظم مرقوب الاطماع ودان ولا تمتد عزيمته الى أنجم مطلوب الاكان واستكان وكل هذا الذى ذكره شيء واحد (وله من كتاب) وهو وصل كتابه جامعا من الفوائد أشدها للشكر استحقاقا وأتمها للحمد استغراقا وتعرفت من احسان الله فيما وفره من سلامته وهنئاه من كرامته أنفس موهوب ومطلوب وأحمد مرقوب ومخطوب وهذا كله متماثل المعانى متشابه الالفاظ وفيما أوردته ههنا مقنع فأنعم نظرك أيها الواقف على هذا الكتاب فيما بينته لك ووضعت يدك عليه حتى تعلم كيف تأتى بالمعانى فى الالفاظ المسجوعة والله الموفق للصواب (فان قيل) انك اشترطت أن تكون كل واحدة من الفقرتين فى الكلام المسجوع دالة على معنى غير المعنى الذى دلت عليه أختها وانما اشترطت هذه الشريطة فرارا من أن يكون المعنيان شيئا واحدا ونرى قد ورد فى القرآن الكريم لفظتان بمعنى واحد فى آخر احدى الفقرتين المسجوعتين كقوله تعالى واذكر فى الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكل رسول نبى (قلت فى الجواب) ليس هذا كالذى اشترطته أنا فى اختصاص كل فقرة بمعنى غير المعنى الذى اختصت به أختها وانما هذا هو ايراد لفظتين فى آخر احدى الفقرتين بمعنى واحد وهذا لابأس به لمكان طلب السجع ألا ترى أن أكثر هذه السورة التى هى سورة مريم عليها السلام مسجوعة على حرف الياء وهذا يجوز لصاحب السجع أن يأتى به وهو بخلاف ماذكرته أنا ألا ترى أن النبى صلى الله عليه وسلم قد غير اللفظة عن وضعها طلبا للسجع فقال مأزورات وانما هى موزورات وقال العين اللامة وانما هى الملمة إلا أنه ليس فى ذلك زيادة معنى بل يفهم من لفظة مأزورات أنها قائمة مقام موزورات وكذلك يفهم من لفظة لامة أنها بمعنى ملمة فالسجع قد أجيز معه تغيير وضع اللفظة وأجيز معه

أن

والحارقتان سواء وهما رؤس الفخذين فى الوركين (والجاعرتان) منه موضع الرقمتين من است الحمار (والعكوة) أصل الذنب وعظم الذنب وجلده العسيب (وشعره) هلبه (والعجان) بين أصل الخصية وفقحته ومن الانثى بين ظبيتها وضرتها (والفهدتان) فى الزور لحمتان ناتئتان مثل الفهرين (ومحزمه) ماجرى عليه الحزام (والمركل) حيث تقع عقباء الفارس (وحصير) الجنب ماظهر من أعالى ضلوع الجنب والموقف والشاكلة (والقرب) والايطل والحقو كل ذلك قريب بعضه من بعض وهو الخاصرة وما يليها (والحالبان) عرقان مكتنفان السرة (والمنقب) قدام السرة حيث ينقب البيطار (والقنب) وعاء جردانه (والثغروران) مثل الحلمتين قد اكتنفا القنب من خارج (والصفن) جلدة البيضتين (والقرف) الذى تراه مرتفعا عن الغرمول قطعا كأنه سحاء الحلق البياض الذى فى وسط الغرمول (والضرة) لحم الضرع ولها أربعة أطباء وجلدة الضرع هى خيف (والاحليل) ثقب يخرج منه الشخب ومن الذكر ماؤه وبوله (والخوران مجرى الروث

أن يورد لفظتان بمعنى واحد في آخر احدى الفقرتين ومع هذا فلم يجز في استعماله ان يورد فقرتان بمعنى واحد لانه تطويل محض لا فائدة فيه و بين الذي ذكرته أنت و بين الذي ذكرته أنا فرق ظاهر (والذي قدمته) من الامثلة المسجوعة للصابي والصاحب بن عباد ربما كانت يسيرة أتهم فيها بالتعصب و يقال انى التقطتها التقاطا من جملة رسائلها وقد خرجت من عهدة هذه التهمة وذاك أني وجدت للصابي تقليداً بنقابة الاشراف العلويين ببغداد وكنت أنشأت تقليدا بنقابة الاشراف العلويين بالموصل وقد أوردت التقليدين ههنا ليتأملهما الناظر في كتابي هذا و يحكم بينهما ان كان عارفا أو يسأل عنهما العارف ان كان مقلدا وقد أوردت تقليد الصابي أولا لانه المقدم زمانا وفضلا وهو هذا ما عهد أمير المؤمنين الى محمد بن الحسين بن موسى العلوي الموسوي حين وصلته به الانساب وتأكدت له الاسباب وظهرت دلائل عقله ولبابته ووضحت مخايل فضله ونجابته ومهد له بهاء الدولة وضياء الملة أبو نصر بن عضد الدولة وتاج الملة مولى أمير المؤمنين ما مكن له عند أمير المؤمنين من المحل المكين ووصفه به من الحلم الرزين وأشاد به فيه من رفع المنزلة وتقديم المرتبة والتأهيل لولاية الاعمال والحمل للاعباء الثقال وحيث رغبه فيه سابقة الحسين أبيه في الخدمة والنصيحة والمواقف المحمودة والمقامات المشهودة التي طابت بها أخباره وحسنت فيهما آثاره وكان محمد متخلقا بخلائقه وذاهبا في طرائقه علما وديانة وورعا وصيانة وعفة وأمانة وشهامة وصرامة بالحظ الجزيل من الفضل الجميل والادب الجزل والتوجه في الاهل والايفاء بالمناقب على لداته وأترابه والابرار على قرائبه وأضرابه فقلده ما كان داخلا في أعمال أبيه من نقابة نقباء الطالبين أجمعين بمدينة السلام وسائر الاعمال والامصار شرقا وغربا وبعدا وقربا واختصه ذلك جذبا بضبعه وانافة بقدره وقضاء لحق رحمه وترفيها لابيه واسعافا له بايثاره فيه أمر المؤمنين واستخلافه عليه من النظر في المظالم وتسيير الحجيج في المواسم والله يعقب أمير المؤمنين فيما أمر ودبر حسن العاقبة فيما قضى وأمضى وما توفيق أمير المؤمنين الا بالله عليه يتوكل واليه ينيب وأمره بتقوى الله التي هي شعار المؤمنين وسناء الصالحين وعصمة عباد الله أجمعين وأن يعتقدها سرا وجهرا و يعتمدها قولا وفعلا و يأخذ بها و يعطي و يسير بها و ينوي و يأتي و يذر و يورد و يصدر فانها السبب المتين والمعقل الحصين والزاد النافع يوم الحساب والمسلك المفضي الى دار الثواب وقد حض الله أولياءه عليها وهداهم في محكم كتابه اليها فقال عز من قائل يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وأمره بتلاوة كتاب الله مواظبا وتصفحه مداوما ملازما والرجوع الى أحكامه فيما أحل وحرم ونقض وأبرم وأثاب وعاقب وباعد وقارب فقد صحح الله برهانه وحجته وأوضح منهاجه ومحجته وجعله نجما في الظلمات طالعا ونورا في المشكلات ساطعا فمن أخذ به نجا وسلم ومن عدل عنه هوى وندم قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وأمره بتنزيه نفسه عما تدعو اليه الشبهات وتطلع اليه التبعات وأن يضبطها ضبط الحليم ويكفها كف الحكيم ويجعل عقله سلطانا عليها وتمييزه آمرا ناهيا لها ولا يجعل لها عذرا الى صبوة ولا هفوة ولا يطلق منها عنانا عند ثوره ولا فوره فانها أمارة بالسوء منصبة الى الغي فمن رفضها نجا ومن اتبعها هوى فالحازم متهم عند تحرك وطره وأربه واهتياج غيظه ولا يدع أن يغضها بالشكيم و يعركها عرك الاديم و يقودها الى مصالحها بالخزائم و يفتقدها من مقارفة المآثم

والظبية) الرحم وفي رؤس المرفقين أبرة وهي شظية لاصقة بالذراع ليست منها (والداغصة) العظم المدور الذي على رأس الركبة وهما اثنان (والشظا) عظم لاصق بالركبة فاذا شخص قيل شظي الفرس وفي باطن الركبتين (مأبضان) وهما مثنى الوظيفين من باطن الركبتين وفي الوظيفين قيدان وهما حرفا وظيفي اليدين (وفيهما اسجعان) وهما عظمان شاخصان في الوظيفين من باطنها (والعجايتان) عصبتان تكونان في باطن اليدين (وأسفل) منهما هناة كأنها الاظفار تسمى السعدانات وفي الوظيفتين ثنتان وهو الشعر الذي يكون على مؤخر الرسغ فان لم يكن ثم شعر فهو أمرد وأمرط وأمعر وفي الوظيف (حوشب) وهو موصل الوظيف في الرسغ (وأم القردان) بين الثنة والحافر والعامة تسميها السكرجة (والسنبك) طرف مقدم الحافر (والاشعر ما أحاط بالحافر من الشعر واطار الحافر ما أحاط بالاشعر (والحاميتان) عن يمين السنبك وشماله ويقال لجوف الحافر صحن (والنسور) في باطنه كأنها النوى والحصا (والية الحافر) مؤخره (والكاذتان) ما نتأ من اللحم في أعالي الفخذين (والجاعرتان) مضرب الفرس بذنبه على فخذيه (والفائلان) عرقان مستبطنا

الفخذين (والنسيان) عرقان قد (استبطنا الساق (والحماة) لحم الساق وفي العرقوب ابرتان وهما حد كل عرقوب من ظاهر وفي

والمحارم كما يعز بتذليلها وتأديبها ويحصل برياضها وتقويمها والمفرط تطمح به إذا طمحت ويجمح معها اذا جمحت ولا يلبث أن توردة حيث لا يصدر وتلجئه الى أن يعتذر وتقيمه مقام النادم الواجم وتتنكب به سبيل الراشد السالم وأحق من تحلى بالمحاسن وتصدى لاكتساب المحامد من ضرب بمثل سهمه في نسب أمير المؤمنين الشريف ومنصبه المنيف واجتمع معه في ذؤابة العترة الطاهرة واستظل بأوراق الدوحة الفاخرة فذلك الذى تتضاعف به المآثر ان آثرها والمثالب ان أسف اليها ولاسيما من كان مندوبا بالسياسة ومرشحا للتقليد على أهله إذ ليس يفي بالصلاح لمن ولى عليه ولا يفي باصلاح ما بين جنبيه ومن أعظم الهجنة عليه أن يأمر ولا يأتمر ويزجر ولا يزدجر قال الله تعالى ذكره أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون وأمره أن يتصفح أحوال من ولى عليهم ومن استقراء مذاهبهم والبحث عن بواطنهم ودخائلهم وأن يعرف لمن تقدمت قدمه منهم وتظاهر فضله فيهم منزلته ويوفيه حقه وزينته وينتهي في اكرام جماعتهم الى الحدود التي توجبها أنسابهم وأقدارهم وتقتضيها مواقعهم وأخطارهم فان ذلك يلزمه لشيئين أحدهما يخصه وهو النسب الذى بينه وبينهم والآخر يعمه والمسلمين جميعا وهو قول الله جل ذكره قل لاأسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى فالمودة لهم الاعظام لأكابرهم والاشتمال على أصاغرهم واجب متضاعف الوجوب عليه متأكد اللزوم له ومن كان منهم في دون تلك الطبقة من أحداث لم يحتنكوا عليه وجذعان لم يقرحوا ومجرين الى مايزرى بأنسابهم ويغض من احسابهم عذلهم وأنبهم ونهاهم وعظهم فان نزعوا وأقلعوا فذاك المراد بهم والمقصد فيهم وان أصروا وتتابعوا أنالهم من العقوبة بقدر مايكف ويردع فان نفع والاتجاوزه الى مايلذع ويوجع من غير تطرق لاعراضهم ولا امتهان لاحسابهم فان الغرض منهم الصيانة لا الاهانة والادالة لا الاذالة واذا وجبت عليهم الحقوق أو تعلقت بهم دواعى الخصوم قادهم الى الاغفاء بما يصح منها ويجب والخروج الى سنن الحق فيما يشتبه ويلتبس ومتى لزمتهم الحدود أقامها عليهم بحسب ماأمره الله تعالى فيها بعد أن تثبت الجرائم وتصبح وتبين وتتضح وتتجرد عن الشك وتتجلى من الظن والتهمة فان الذى يستحب في حدود الله عزوجل أن تدرأ مع نقصان اليقين والصحة وأن تمضي عليهم مع قيام الدليل والبينة قال الله عزوجل ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون وأمره بحياطة أهل النسب الاطهر والشرف الانخر عن أن يدعيه الادعياء أو يدخل فيه الدخلاء ومن انتمى اليه كاذبا أو انتحله باطلا ولم يوجد له بيت في الشجرة ولا مصداق عند النسابين المهرة أوقع به كذبه وفسقه وشهره شهرة ينكشف بها غشه ولبسه وينزع بها غيره ممن تسول له ذلك نفسه وأن يحصن الفروج عن مناكحة من ليس كفؤا لها في شرفها وفخرها حتى لا يطمع في المرأة الحسيبة النسيبة الا من كان مثلا لها مساويا ونظيرا موازيا فقد قال الله تعالى إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وأمره بمراعاة متبتلي أهله ومتهجديهم وصلحائهم ومجاوريهم وأراملهم وأصاغرهم حتى تستد الخلة من أحوالهم وتدر المواد عليهم وتتعادل أقساطهم فيما يصل اليهم من وجوه أموالهم وأن يزوج الايامى ويربى اليتامى ويلزمهم المكاتب فيتلقنوا القرآن ويعرفوا فرائض الاسلام والايمان ويتأدبوا بالآداب اللائقة بذوى الاحساب فان شرف الاعراق محتاج الى شرف الاخلاق ولا حمد لمن شرفه حسبه وسخف أدبه إذ كان لم يكتسب الفخر الحاصل بفضل سعي ولا طلب ولا اجتهاد بل

وظيفي رجليه ظنبوبان قال أبو عبيدة وليس للفرس طحال (والسيساء) من الفرس الحارك ومن الحمار الظهر (والابجل) من الفرس والبعير هو الاكحل من الانسان (والابلق) من الخيل هو الابقع من الشاء والكلاب والطير (الذيال) الفرس الطويل الذنب فان كان طويل الذنب قصيرا قيل فرس ذائل قال النابغة

* يسموا الى أوصال ذيال رفن * أراد رفل فحول اللام نونا (فرس حرون) يمنع القياد وفرس قؤود ينقاد (المشياط) من الخيل السريع السمن (والملواح) الذى لا يسمن (والوقع) الحفي من الخيل (والرجيل) الذى لا يحفى (والصلود) من الخيل الذى لا يعرق (والهضب) الكثير العرق قال طرفة

* وهضبات اذا ابتل العذر * (مسنفات) في الخيل بكسر النون متقدمات (ومسنفات) في الابل بفتح النون مشدودات بالسنف والسنف جمع سناف (وهو حبل يشد به ويقال للفرس عتيق وجواد وكريم ويقال للبرذون والبغل والحمار فاره قال الاصمعي كان عدي بن زيد يخطأ في قوله في وصف

بضع

بصنع الله تعالى له ومزيد المنة عليه وبحسب ذلك لزوم ما يلزمه من شكره سبحانه على هذه العطية والاعتداد بما فيها من المزية واعمال النفس في حيازة الفضائل والمناقب والترفع عن الرذائل والمثالب وأمره باجمال النيابة عن شيخه الحسين بن موسى فيما أمره أمير المؤمنين باستخلافه عليه من النظر والأخذ للمظلوم من الظالم وأن يجلس للترافعين اليه جلوسا عاما ويتأمل كلامهم تأملا تاما فما كان منها متعلقا بالحاكم رده اليه ليحمل الخصوم عليه وما كان من طريقة الغشم والظلم والتغلب والغصب قبض عنه اليد المبطلة وثبت فيه اليد المستحقة وتحرى في قضاياه أن تكون موافقة للعدل ومجانبة للخذل فان عادة الحكام وصاحب المظالم واحدة وهي اقامة الحق ونصرته وابانته واثارته وانما يختلف سبيلاهما في النظر اذا كان الحاكم يعمل بما ثبت عنده وظهر وصاحب المظالم يفحص عما غمض واستتر وليس له مع ذلك أن يرد للحاكم حكومة ولا يحل له قضية ولا يتعقب ما ينفذه ويمضيه ولا يتتبع ما يحكم به ويقضيه والله يهديه ويوفقه ويسدده ويرشده وأمره أن يسير حجيج بيت الله عز وجل الى مقصدهم ويحميهم في بدأتهم وعودتهم ويرتبهم في مسيرهم ومسلكهم ويرعاهم في ليلهم ونهارهم حتى لا تنالهم شدة ولا تصل اليهم مضرة وأن يريحهم في المنازل ويوردهم المناهل ويناوب بينهم في النهل والعلل ويمكنهم من الارتواء والاكتفاء مجتهدا في الصيانة لهم ومعذرا في الذب عنهم ومتلوما على متأخرهم ومتخلفهم ومنهضا لضعيفهم ومهيضهم فانهم حجاج بيت الله الحرام وزوار قبر رسوله عليه الصلاة والسلام قد هجروا الأهل والأوطان وفارقوا الجيرة والاخوان وتجشموا المغارم الثقال وتعسفوا السهولة والجبال يلبون دعاء الله ويطيعون أمره ويؤدون فرضه ويرجون ثوابه وحقيق على المسلم أن يحرسهم متبرعا ويحوطهم متطوعا فكيف من تولى ذلك وضمنه وتقلده واعتقبه قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وأمره أن يراعي أمور المساجد بمدينة السلام وأطرافها وأقطارها وأكنافها وأن يجبي أموال وقفها ويستقصي جميع حقوقها وأن يلم شعثها ويسد خللها بما يتحصل من هذه الوجوه قبله لا يزيل رسما جرى ولا ينقض عادة كانت لها وأن يكتب اسم أمير المؤمنين على ما يعمره منها ويذكر اسمه بعده بأن عمارتها جرت على يده وصلاح أداه قول أمير المؤمنين في ذلك تنويها باسمه واشادة لذكره وأن يولي ذلك من قبله من حسنت أمانته وظهرت عفته وصيانته فقد قال الله جل من قائل انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين وأمره أن يستخلف على ما يرى استخلافه عليه من هذه الاعمال في الامصار الدانية والنائية والبلاد القريبة والبعيدة من يثق به من صلحاء الرجال ذوي الوفاء والاستقلال وأن يعهد اليهم مثل ما عهد اليه ويعتمد عليهم مثل ما اعتمد عليه ويستقصي في ذلك آثارهم ويتعرف أخبارهم فمن وجده محمودا قربه ومن وجده مذموما صرفه ولم يمهله واعتاض من ترجى الامانة عنده وتكون الثقة معهودة منه وأن يختار لكتابته وحجابته والتصرف فيما قرب منه وبعد عنه من يزينه ولا يشينه وينصح له ولا يغشه يجمله ولا يهجنه من الطبقة المعروفة باللطف المتصونة عن العطف ويجعل لهم من الارزاق الكافية والاجرة الوافية ما يعمدهم عن

الفرس فأرها متتبا بها وقال لم يكن له علم بالخيل ﴿ شيات الخيل ﴾ إذا ابيض أعلى رأسه فهو أصقع واذا ابيض قفاه فهو أقنف واذا ابيض رأسه كله فهو أغشى وأرخم فان شابت ناصيته فهو أسعف فان ابيضت كلها فهو أصبغ فان كان باذنيه نقش بياض فهو أزرأ والغرة ما فوق الدرهم والقرحة قدر الدرهم فما دون فان سالت غرته ودقت ولم تجاوز العينين فهي العصفور فان دقت وسالت وجللت الخيشوم ولم تبلغ الجحفلة فهي شمراخ فان ملأت الجبهة ولم تبلغ العينين فهي الشادخة فان أخذت جميع وجهه غير انه ينظر في سواد فهي المبرقعة فان رجعت غرته في أحد شقي وجهه إلى أحد الخدين فهو لطيم فان فشت حتى تأخذ العينين فتبيض أشفارها فهو مغرب فان كانت احدى عينيه زرقاء والاخرى كحلاء فهو أخيف فان كانت بجحفلته العليا بياض فهو أرثم وان كان بالسفلى بياض فهو ألمظ فان كان أبيض الرأس والعنق فهو أدرع وان كان أبيض الظهر فهو أرحل وان كان أبيض العجز فهو آزر فان كان أبيض الجنب أو الجنبين فهو أخصف فان كان أبيض البطن فهو أنبط (والتحجيل) بياض يبلغ نصف الوظيف والمحجل أن تكون قوائمه الأربع بيضا يبلغ البياض منها ثلث الوظيف أو نصفه أو ثلثيه بعد ان يتجاوز الارساغ ولا يبلغ الركبتين والعرقوبين فيقال محجل القوائم فان أصاب البياض من التحجيل حقويه ومغابنه ومرجع مرفقيه من تجبيب بياض يديه

ورجليه فهو أبلق وان بلغ البياض من التحجيل ركبة اليد وعرقوب الرجل فهو فرس مجبب والجبة موصل الوظيف فى الذراع
فان تجاوز البياض الى العضدين (٨٢) والفخذين فهو أبلق مسرول فان كان البياض بيديه دون رجليه فهو أعصم فان
كان باحدى يديه دون الاخرى قيل أعصم اليمنى أو اليسرى فان كان البياض فى يديه إلى مرفقيه دون الرجلين فهو أقفز فان كان البياض برجليه دون اليد فهو محجل ان تجاوز الارساغ وان كان باحدى يديه وتجاوز الرسغ فهو محجل الرجل اليمنى أو اليسرى وان كان كذلك متجاوز الارساغ فى ثلاث قوائم دون رجل أو يد فهو محجل ثلاث مطلق يد أو رجل ولا يكون التحجيل واقعا بيد أو يدين الا أن يكون معها أو معهما رجل أو رجلان فان قصر البياض عن الوظيف واستدار بارساغ رجليه دون يديه فذلك التخديم يقال فرس مخدم وأخدم فان كان برجل واحدة فهو أرجل فان لم يستدر البياض وكان فى مآخير ارساغ رجليه أو يديه فهو منعل يد كذا أو رجل كذا أو اليدين أو الرجلين فان كان بياض التحجيل فى يد ورجل من خلاف فذلك الشكال وهو يكره وقوم يجعلون الشكال البياض فى ثلاث قوائم واذا كان محجل يد ورجل من شق قالوا هو ممسك الايامن
مطلق الاياسر أو ممسك الاياسر مطلق الايامن وان أصاب الاوظفة بياض ولم يعدها إلى أسفل ولا فوق فذلك
التوقيف يقال فرس موقف فان ابيضت أطراف الثنن فهو أكسع فان ابيضت الثنن كلها ولم يتصل ببياض التحجيل فى يد

المكاسب الذميمة والمآكل الوخيمة فليس تجب عليهم الجمة الامع اعطاء الحاجة قال الله تعالى وأن ليس للانسان الاماسعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وأمره أن يكتب لمن تقوم بينته عنده وتنكشف له حجته الى أصحاب المعارف بالشد على يده واتصال حقه اليه وحسم الطمع الكاذب فيه وقبض اليد الظالمة عنه اذهم مندوبون للتصرف بين أمره ونهيه والوقوف عند رسمه وحده هذا عهد أمير المؤمنين اليك وحجته لك وعليك قد أبان منه سبيلك وأوضح دليلك وهداك لرشدك وجعلك على بينة من أمرك فاعمل به ولا تخالفه وانته اليه ولا تجاوزه وان عرض لك عارض يعجزك الوفاء به ويشتبه عليك الخروج منه أنهيته إلى أمير المؤمنين مبادرا وكنت الى ما يأمرك به صائرا ان شاء الله تعالى ﴿ وأما التقليد الذى أنشأته أنا ﴾ فقد أوردته بعد هذا التقليد وهو أما بعد فان كل كلام لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم وكل كتاب لا يرقم باسمه فليس بمعلم وعلى هذا فان حمده يتنزل من الكلام منزلة الأعضاء من الأجسام واسمه يتنزل من الكتاب منزلة الرقوم من الثياب وقد جمعنا فى كتابنا هذا بين التسمية والتحميد وجعلنا احداهما مفتاحا للتيمن والآخر سببا للمزيد ثم ردفناهما بالصلاة على سيدنا محمد الذى أيده الله بالقرآن المجيد وجعل شهادته قبل كل شهيد وعلى آله وصحبه الذين هدوا الى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد ومما يقترن بهذه الصلاة فى ثوابها ويجىء على أعقابها النظر فى أمر الاسرة النبوية التى وصل ودها بوده وجعلها احدى الثقلين المخلفين من بعده وقد تقادم الآن زمانها وتشعبت أغصانها ونسى مالها فى الرقاب من عهدة الامانة ولم توضع فيما وضع الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من المكانة وأولى الناس بها من أضمر ولاءها حقا وأوجب أن يرد معها الحوض حين يقال لوارده سحقا وكان بمن تحت يده منها بارا رفيقا حتى لا يسأله برا ولا رفقا ونحن نرجو أن يفوز بفضيلة هذه الحسنة وأن يسبق اليها سبق المتقرب فى الجمعة ببدنة ومن أهم أمورها أن يختار لها زعيم يرأف بها رأفة الوالد بولده ويقوم بأمرها قيام الرأس بجسده حتى تأتلف أصولها كلها فى مغرسها ولا يحكم عليها من ليس من أنفسها وقد اخترنا لها من وقفنا فى اختياره وأخذنا فيه ببيان الرأى وحزمه لا بشبهة الهوى واغتراره ولو لم يكن من القوم الذين ولوها لكان استحقاقه لها بينا والتعويل عليه متعينا فكيف وقدمه فيها قديمة الميلاد ووراثته اياها عن سيادة الجدود وسودد الاجداد وهو أنت أيها السيد الأجل الشريف الحسيب النسيب فلان بن فلان الحسينى ولو شئنا لأسندنا هذه النسبة كابرا عن كابر ونضدناها آخرا بعد أول عن أول قبل آخر حتى وصلنا هذا الفرع بشجرته الطيبة وهذا القطر بسحابته الصيبة وشرف الانساب أصدقه ما كان الدهر به شهيدا وأجده ما كان قديما وأخلقه ما كان جديدا وما تولى الروح الأمين مدحه قرآنا أكرم مما تولى الشعراء مدحه قصيدا ولا فضل للمعتزى الى هذا النسب حتى تلحق النبوة بالابوة ويضيف درجة الفضيلة إلى محتد النبوة وحينئذ يقال ما أقرب الشبه على قدم عهده وهذا ماء الورد بعد ذهاب ورده وأنت ذلك الرجل الذى تردد الشرف فى مناسبه تردد القمر فى منازله وزها المجد بمناقبه زهو الروض فى خمائله فلا آلى حسبك تغنيك عن سؤال من وما وتملأ بودك وحمدك قلبا وفما والحسب ما حفظت أواخره أوائله وأوضحت الليالى والايام دلائله وأقرت به الاعداء فما وردت فضائله وهذه هى المآثر التى

اذا

كان ذلك(١) أو رجل أو أكثر فهو أصبغ (والشعل) بياض في عرض الذنب فان ابيض كله أو اطرافه فهو أصبغ ﴿ألوان الخيل﴾ فرق ما بين الكميت والاشقر بالعرف والذنب فان كانا أحمرين فهو أشقر وان كانا أسودين (٨٣) فهو كميت والورد بينهما والأنثى وردة والجمع وراد والكميت للذكر والأنثى سواء والأخضر في كلام العجم الديزج وهو من الحمير الادغم والورد الاغبس وهو في كلام العجم السمند (والصنابى) هو الكميت أو الأشقر يخالط شقرته شعرة بيضاء ينسب إلى الصناب وهو الخردل بالزبيب (والبهيم) هو المصمت الذى لا شية به ولا وضح أى لون كان (ومما يقال) له بهيم ولا شية به الأبرش والأنمر والاشيم والمدنر والابقع والابلق (فالأبرش) الأرقط (والانمر) ان تكون به بقعة بيضاء أو بقعة أخرى أى لون كان (والاشيم) أن تكون به شامة أو شام في جسده (والمدنر) الذى به نكت فوق البرش (والابقع) الذى تكون في جسده بقع تخالف سائر لونه

﴿الدوائر في الخيل وما يكره من شياتها﴾

الدوائر ثماني عشرة دائرة يكره منها الهقعة وهى التى تكون في عرض زوره ويقال ان ابقى الخيل المهقوع (ودائرة القالع) وهى التى تكون تحت اللبد (ودائرة الناخس) وهى التى تكون تحت الجاعرتين إلى الفائلين (ودائرة اللطاة) في وسط الجبهة وليست تكره اذا كانت واحدة فان كان

اذا نظمت غارت الشعراء عليها من الشعر واذا نثرت وجدت في محكم الذكر وأنت صاحبها وابن صاحبها ومن لم يرثها عن أباعدها بل عن أقاربها ولو جانبت رياستها مصانعا ومشيت بها الضراء متواضعا لدل عليك وصفها وعرف منك عرفها وقد قلدناك أمر هذه الأسرة الطاهرة التى هى أسرتك وأمرناك عليها وامرتها امرتك فتولها تولى من خفض لها جناحه وأفاض عليها سماحه وأنضى فيها غدوه ورواحه حتى يقال انك الراعى الذى تناول ثلثه فأراح حسيرها وجبر كسيرها وارتاد لها خصبا وأوردها رفها لا غبا وأذكى في كلاءتها عينا وقلبا ومن حقها عليك أن تنظر إلى ذات شمالها وذات يمينها وتتصفح أحوالها في أمر دنياها ودينها فأول ذلك أن تعلمها كتاب الله تعالى الذى في تعليمه نهج الصواب وفي تلاوته مضاعفة حسنات الثواب وقد مثل قارئه بالبيت العامر وتاركه بالبيت الخراب وهو كتاب امتاز عن الكتب بنجوم التنزيل وتولى الله حفظه من التحريف والتبديل وافتتحه بالسبع المثانى التى لم ينزل مثلها في التوراة ولا في الانجيل وهو الموصوف بأنه النور المستضاء به في غيابة الظلماء والحبل الممدود من الأرض إلى السماء والبحر الذى لا يستخرج لؤلؤه ومرجانه الا الراسخون من العلماء وكذلك تأخذ هذه الأسرة بتعليم الفضائل التى تتفاوت بها القيم وسسها برياضة الآداب وتهذيب الشيم ولا تتركها فوضى لا يتسم أحدها بسمة القدر المنيف ولا يرجع إلى حسب تليد ولا إلى سعى طريف وتكون غاية ماعنده من الفضيلة أن يقال فلان الشريف ومن حفظ رسول الله ﷺ فيها أن توفى فضل مكانها وتخالف بين شأن غيرها من المسلمين وبين شأنها فلا تبتذل بمجالس الولاة في انتزاع ظلامة ولا في اقامة حد يسلب معه رداء الكرامة وأنت تتولى ذلك منها فما وجب عليها من حق تأخذها باقتضائه وأمض فيها حكم الله الذى أمر بامضائه وليكن ذلك على وجه الرفق الذى يسلس له القياد ويتوطأ له المهاد وان أمكنك افتداء شىء من هذه الظلامات التى تتوجه عليها ففاد وقد أتم الله فضلها بمنع كرائمها الا من كفؤ لادناءة في عنصره ولا غضاضة في مخبره وهو الذى ان فاته شرف النبوة في مغرسه فلم يفته شرف النباهة في معشره واذا تباينت الأقدار فلا فرق بين المناكح المخطوبة وبين الاسلاب المسلوبة فاحفظ لأسرتك حرمة هذه المنزلة واجعلها في كتاب الوصايا التى وصيت بها مكان البسملة وكما أمرناك بالنظر في صون أقدارها فكذلك نأمرك بالنظر في حفظ مادة درهمها وديناره وقد علمت أن لها أوقافا وقفها قوم حظوا بأجرها واسمها وستحظى أنت بالعدل في قسمها فأجر على كل منها رزقه وأعط كل ذى حق حقه وفي الناس طائفة أدعياء يرومون الحاق الرأس بالذنب والنبع بالغرب ويلحقون أبا لغير ابن وابنا لغير أب كل ذلك رغبة في سحت يأكلونه لا في نسب يوصلونه فنقب عن حال هؤلاء تنقيبا واجعل النسيب نسيبا والغريب غريبا حتى تخلص السلالة من طراقها وتبقى الشجرة قائمة على أعراقها ومن علمت كذبه فازجره بأليم الازدجار وأعلمه بأنه قد تبوأ مقعده من النار وأشهره في الناس حتى ينتهى وينتهى غيره بذلك الاشتهار وههنا وصية هى أهم من هذه الوصية أمرا وأعظم أجرا وأجدر بأن تكون هى الأولى وتكون هذه الأخرى وهى الأخذ على ألسنة السفهاء من الخوض فيما شجر بين آل النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه واظهار العصبية التى تزحزح الحق عن نصابه وترجعه على أعقابه وليس مستندها لامقالات ذوى الجهل وربما نشأ

---

(١) قوله كان ذلك هكذا بالنسخة المطبوعة والصواب حذفه اه مصححه

هناك دائرتان قالوا فرس نطيح وذلك مكروه وماسوى هذه من الدوائر غير مكروه (ويكره) فى الأشيم أن تكون به شامة بيضاء أوغير بيضاء فى مؤخره أوشقه الأيمن (٨٤) (ويكره) الشكال وقد اختلف فيه وروى عن النبي ﷺ وعلى آله أنه كان يكرهه (ويكره) الرجل الا أن يكون به وضح غيره قال الشاعر

أسيل نبيل ليس فيه معابة
كميت كلون الصرف أرجل أقرح

﴿السوابق من الخيل﴾

أولها السابق ثم المصلى وذلك لأن رأسه عند صلا السابق ثم الثالث والرابع كذلك إلى التاسع والعاشر السكيت ويقال أيضا السكيت مشدد فما جاء بعد ذلك لم يعتد به والفسكل الذى يجىء فى الحلبة آخر الخيل

﴿معرفة فى خلق الانسان﴾

من عيوب الخلق (الفقم) وهو أن تتقدم الثنايا السفلى اذا ضم الرجل فاه فلا تقع عليها العليا (والضزز) لصوق الحنك الأعلى بالحنك الأسفل فاذا تكلم تكاد أضراسه العلا تمس السفل (والضجم) ميل يكون فى الفم وفيما يليه من الوجه (والفأفأة) ان يتردد المتكلم فى الفاء فاذا تردد فى التاء فهو تمتام فاذا دخل بعض كلامه فى بعض قيل بلسانه لفف والالثغ الذى يرجع لسانه فى المنطق إلى الياء والغين (والشطور) فى البصر هو ان تراه كأنه ينظر اليك والى آخر يقال شطر بصره يشطر شطورا والعرض (والاطراق) استرخاء الجفون (والغرب) ورم يكون فى المآقى يقال غربت عينه تغرب غربا (والخفش) صغر العين وضعف

منها فتنة والفتنة أشد من القتل فوكل بهؤلاء غربا قاطعا ونهيا قامعا وكن فى ذلك شارها لما كان الله فأولئك السادات هم النجوم الذين بأيهم كان الاقتداء كان به الاهتداء وقصارى المحسن فى هذا الزمان أن يتعلق منها سببا ويأخذ عنهم دينا أو أدبا ولا يبلغ مد أحدهم ولو نصيفه ولو أنفق مثل أحد ذهبا ونحن نعلم أنك واقف على سنن اقتصادك وأن هذه الوصية هى محض اعتقادك والمنصف فى هذا المقام من رمقه بنظر جلى ووفى أبا بكر وعمر رضى الله عنهما حقهما وان كان من نسل على فكل قد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بفضله وهؤلاء من صحابته وهذا من أهله ونعوذ بالله من الأهواء الزائغة والأقوال التى ليست بسائغة ولا حجة إلا بالحق ولله الحجة البالغة وقد جعلنا لك فى مالنا عطاء دارا تستعين به على لوازم النفقات وتخرج نافلته فى وقاية عرضك التى هى محسوبة من الصدقات فان من سادقوما يفتقر إلى تحمل أثقالهم والافاضة من حاله على أحوالهم وهذا بر يكون منا أصله ومنك فرعه وثواب يكون ذلك قصده ولنا شرعه وصاحب الاحسان من سن سبيل الاحسان ولم نرض أن أريناك مكانه حتى أمددناك فيه بالامكان فأعط مالنا وتعلم من سنة افضالنا ولدولتنا بذلك ثوب جمال كلما لبس زاد جدة وعمر ذكر كلما مضت عليه مدد الأيام طال مدة ولا ملك فى الدنيا لمن لم يجعل ملكه حديثا حسنا ويشتر المحامد فيجعله لها ثمنا ومن عرف قدر الثناء جد فى تحصيله ولو أنفق الكثير فى قليله فكم من دولة أعدمت منه فدرست آثار معالمها ولو كانت منه مثرية لما ذهبت مع بقاء مكارمها واذ ذكرنا هذا فلنختمه بما يكون قلادة لصاحب هذا التقليد وهو أن تجرد العناية بوجاهته حتى يلبس تقدما بذلك التجريد وتحوى ذلك أن يعلم الناس ماله فى الدولة من منزلة الكرامة ويعرفوا أنه فيها ابن جلا غير محتاج إلى وضع العمامة ونحن نأمر نوابنا وولاتنا وأصحابنا أن يوفوه حق أبوته الشريفة وفضيلته التى ردفتها فأضحت وهى لها رديفة وأن يعطوه ماشاء من اعلاء شأنه ويمضوا فعل يده وقول لسانه ان شاء الله تعالى (وقد وجدت للصابى) أيضا تقليد أنشأه لفخر الدولة أبى الحسن بن ركن الدولة أبى على بن بويه عن الخليفة الطائع رحمه الله وهو مثبت ههنا على صورته وكان عرض على تقليد كتب للملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب من الخليفة المستضىء بالله رحمه الله فى سنة احدى وسبعين وخمسمائة فوجدت فيه كلاما نازلا بالمرة وسألنى بعض الاخوان بمدينة دمشق أن أعارضه فعارضته بتقليد فى معناه وهو مثبت ههنا أيضا وكلا التقليدين باسم ملك كبير وفيهما يظهر ما يظهر من فصاحة وبلاغة (فأما التقليد) الذى أنشأه الصابى فهو هذا ما عهد عبد الله عبد الكريم الطائع لله أمير المؤمنين إلى فخر الدولة أبى الحسن بن ركن الدولة أبى على مولى أمير المؤمنين حين عرف غناه وبلاه واستصح دينه ويقينه ورعى قديمه وحديثه واستنجب عوده ونجاره وأثنى عز الدولة أبو منصور بن معز الدولة أبى الحسين مولى أمير المؤمنين عليه وأشار بالمزيد فى الصنيعة اليه وأعلم أمير المؤمنين اقتداءه به فى كل مذهب ذهب فيه من الخدمة وغرض رمى اليه من النصيحة دخولا فى زمرة الأولياء المنصورة وخروجا عن جماعة الأعداء المدحورة وتصرفا على موجبات البيعة التى هى بعز الدولة أبى منصور منوطة وعلى سائر ما يتلوه ويتبعه مأخوذة مشروطة فقلده الصلات وأعمال الحرب والمعاون والأحداث والخراج والأعشار والضياع والجهبذة والصدقات والجوالى وسائر وجوه الجنايات

والعرض والعطاء والنفقة فى الاولياء والمظالم وأسواق الدقيق والعيار فى دور الضرب والطرز والحسبة بكور همذان واستراباذ والدينور وتوريز والامعارين واعمال اذربيجان وأران والسجانين وموقان واثقا منه باستقبال استدامتها والاستزادة بالشكر منها والتجنب بغمطها وجحودها والتنكيب لايحاشها وتنفيرها والتعمد لما يمكن له الحظوة والزلفى وحرس عليه الاثر والقربى بما يظهره و يضمره من الوفاء الصحيح والولاء الصريح والغيب الامين والصدر السليم والمقاطعــة لكل من قطع العصمة وفارق الجملة والمواصلة لكل من حمى البيضة وأخلص النية والكون تحت ظل أمير المؤمنين ودمتــه ومع عز الدولة أبى منصور وفى حوزته والله جل اسمه يعرف لامير المؤمنين حسن العقبى فيما أبرم ونقض وسداد الرأى فيمن رفع وخفض و يجعل عزائمه مقرونة بالسلامة محجوبة عن موارد النــدامة وحسب أمير المؤمنين الله ونعم الوكيل أمره بتقوى الله التى هى العصمة المتينــة والجنــة الحصينة والطود الارفع والمعاذ الامنع والجانب الاعز والملجأ الاحرز وأن يستشعرها سرا وجهرا و يستعملها قولا وفعلا و يتخذها ذخرا دافعا لنوائب القــدر وكهفا حاميا من حوادث الغير فانها أوجب الوسائل وأقرب الذرائع وأعودها على العبــد بمصالحه وأدعاها الى كل مناجحه وأولاها بالاستمرار على هدايته والنجاة من غوايته والسلامة فى دنياه حين توبق موبقاتها وتردى مردياتها وفى آخرته حــين تروع رائعاتها وتخيف مخيفاتها وأن يتأدب بأدب الله فى التواضع والاخبات والسكينة وصدق اللهجة إذا نطق وغض الطرف إذا رمق وكظم الغيظ إذا أحفظ وضبط اللسان إذا أغضب وكف اليد عن المآثم وصون النفس عن المحارم وأن يذكر الموت الذى هو نازل به والموقف الذى هو صائر اليه و يعلم أنه مسئول عما اكتسب مجزى عما ازدمل واحتقب و يتزود من هــذا الممر لذلك المقر و يستكثر من أعمال البر لتنفعه ومن مساعى الخير لتنقذه و يأتمر بالصالحات قبل أن يأمر بها و يزدجر عن السيآت قبل أن يزجر منها و يبتدىء باصلاح نفسه قبل اصلاح رعيته فلا يبعثهم على ما يأتى ضده ولا ينهاهم عما يقترف مثله و يجعــل ربه رقيبا عليه فى خلواته ومروأته مانعة له من شهواته فان أحق من غلب سلطان الشهوة وأولى من ضرع لغذاء الحميــة من ملك أزمــة الامور واقتــدر على سياســة الجمهور وكان مطاعا فيما يرى متبعا فيما يشاء يلى على الناس ولا يلون عليه و يقتص منهم ولا يقتصون منه فاذا اطلع الله منه على نقاء جيبه وطهارة ذيله وصحة سريرته واستقامة سيرته أعانه على حفظ ما استحفظه وأنهضه بثقل ما حمله وجعل له مخلصا من الشبهة ومخرجا من الحيرة فقد قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقال عز من قائل يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون وقال واتقوا الله وكونوا مع الصادقين الى آى كثيرة حضنا بها على أكرم الخلق وأسلم الطرق فالسعيد من نصبها ازاء نظره والشقى من نبذها وراء ظهره وأشقى منهما من بعث عليهــا وهو صادف عنها وأهاب اليها وهو بعيــد منها وله ولأمثاله يقول الله تعالى ذكره أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون وأمره أن يتخذ كتاب الله اماما متبعا وطريقا متوقعا ويكثر من تلاواته إذا خلا بذكره وملأ بتأميله أرجاء صدره فيذهب معه فيما أباح وحظر ويقتــدى به إذا نهى وأمر ويستبين ببيانه إذا

البصر (والدوش) ضيق العين وضعف البصر (والذلف) فى الانف قصره وصغر أرنبته (والخنس) تأخر الانف فى الوجه وقصره (والفطس) عرض الانف وتطامن قصبته (والطرامة) الخضرة فى الاسنان (والقلح) الصفرة فيها (والوقص) قصر العنق (والهنع) تطامنها (والاص) المجتمع المنكبين يكاد ان يمسان أذنيه (والاص) أيضا المتقارب الاضراس (والاحدل) المائل الشق (واللطع) فى الشفاه بياض يصيبها وأكثر ما يعترى ذلك السودان و يعتريهم أيضا (البجرة) وهى خروج السرة (والفدع) فى الكف زيغ فى الرسغ بينها و بين الساعد وفى القدم كذلك زيغ بينها و بين عظم الساق (والكوع) أن تعوج الكف من قبل الكوع (والفلج) الاعوجاج فى اليد فان كان فى الرجلين فهو فحج (والقعس) فى الظهر دخوله وخروج الصدر (والحدب) دخول الصدر وخروج الظهر (والأدر) عظم الخصيتين يقال آدر بين الأدرة (والشرج) أن تعظم واحدة وتصغر الاخرى (والمشق) أن تصطك أليتا الرجل حتى تنسحجا فاذا عظمتا فلم تلتقيا قيل رجل أفرج وهذا يكون فى الحبشة (والمذح) أن تصطك فخذاه (والصكك) أن تصطك ركبتاه قال أبو عمرو والصكك فى الرجلين (والبدد) فى الناس تباعد ما بين الفخذين وفى ذوات الاربع فى اليدين (والافحج) الذى تتدانى صدور قدميه وتتباعد عقباه وتتفحج ساقاه (والاروح) الذى تتدانى عقباه وتتباعد صدور قدميه (والوكع) ميل ابهام الرجل على الاصابع حتى تزول

فيرى شخص أصلها خارجا ومنه قيل أمة وكماء (والحنف) ان تقبل كل واحدة من الابهامين على صاحبتها قال ابن الاعرابى الاحنف
الذى يمشى على ظهر قدميه (والاقفد) الذى يمشى على صدورها (والاعلم) المشقوق الشفة العليا (والافلح) المشقوق الشفة

استغلقت دونه المعضلات و يستضيء بمصابيحه إذا عظمت عليه المشكلات فانه عروة الاسلام الوثقى ومحجته الوسطى ودليله المقنع وبرهانه المرشد والكاشف لظلم الخطوب والشافى من مرض القلوب والهادى لمن ضل والمتلافى لمن زل فمن نحا به فقد فاز وسلم ومن لها عنه فقد خاب وندم قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وأمره أن يحافظ على الصلوات ويدخل فيها فى حقائق الاوقات قائما على حدودها متبعا لرسومها جامعا فيها بين نيته ولفظه متوقعا المطامح سهوه ولحظه منقطعا اليها عن كل قاطع لها مشغولا بها عن كل شاغل عنها متثبتا فى ركوعها وسجودها مستوفيا عدد مفروضها ومسنونها موفرا عليها ذهنه صارفا اليها همه عالما بأنه واقف بين يدى خالقه ورازقه ومحييه ومميته ومعاقبه ومثيبه لا تستتر دونه خائنة الاعين وما تخفى الصدور فاذا قضاها على هذه السبيل منذ تكبيرة الاحرام الى خاتمة التسليم أتبعها بدعاء يرتفع بارتفاعها ويستمع باستماعها لا يتعدى فيه مسائل الابرار ورغائب الاخيار من استصفاح واستغفار واستقالة واسترحام واستدعاء لمصالح الدين والدنيا وعوائد الآخرة والاولى فقد قال الله تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وقال تعالى وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وأمره بالسعى فى أيام الجمع الى المساجد الجامعة وفى الاعياد الى المصليات الضاحية بعد التقدم فى فرشها وكسوتها وجمع القوام والمؤذنين والمكبرين فيها واستسعاء الناس اليها وحضهم عليها آخذين الاهبة متنظفين فى البزة مؤدين لفريضة الطهارة وبالغين فى ذلك أقصى الاستقصاء معتقدين خشية الله وخيفته مدرعين تقواه ومراقبته مكثرين من دعائه عز وجل وسؤله مصلين على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله بقلوب على اليقين موقوفة وهمم الى الدين مصروفة وألسن بالتقديس والتسبيح فصيحة وآمال فى المغفرة والرحمة فسيحة فان هذه المصليات والمتعبدات بيوت الله الذى فضلها ومناسكه التى شرفها وفيها يتلى القرآن الكريم وتعوذ العائذون وتعبد المتعبدون وتهجد المتهجدون وحقيق على المسلمين أجمعين من وال ومولى عليه أن يصونها ويعمرها ويواصلها ولا يهجرها وأن يقيم الدعوة على منابرها لامير المؤمنين ثم لنفسه على الرسم الجارى فيها قال الله تعالى فى هذه الصلاة يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع وقال فى عمارة المساجد انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين وأمره أن يراعى أحوال من يليه من طبقات جند أمير المؤمنين ومواليه ويطلق لهم الارزاق فى أوقات الوجوب والاستحقاق وان يحسن فى معاملتهم ويجمل فى استخدامهم ويتصرف فى سياستهم بين رفق من غير ضعف وخشونة فى غير عنف مثيبا لمحسنهم ما زاد بالاثابة فى حسن الاثر وسلم معها من دواعى الاشر ومتغمدا لمسيئهم ما كان التغمد له نافعا وفيه ناجعا فان تكررت زلاته وتتابعت عثراته تناولته من عقوبته ما يكون له مصلحا ولغيره واعظا وأن يختص أكابرهم وأماثلهم وأهل الرأى والخطر منهم بالمشاورة فى الملم والاطلاع على بعض المهم مستخلصا مخايل صدورهم بالبسط والادناء ومستشحذا بصائرهم بالاكرام والاجتباء فان فى مشاورة هذه

السفلى يكون ذلك خلقة (والاجلع) بالجيم معجمة الرجل إذا لم تنضم شفتاه على أسنانه وفى النساء اضهياء التى لا تحيض والتى لا ينبت ثدياها (والمتكاء) التى لا تحبس بولها وهو من الرجال الامثن ويقال المرأة التى لا تستتر نفسها إذا خلت مع زوجها جليع (والمفضاة) التى صار مسلكاها شيئا واحدا وهى الشريم أيضا (والمأسوكة) التى أخطأت خافضتها فاصابت غير موضع الخفض ومثلها من الرجال الكمور والقرن كالعفلة اختصم الى شريح فى جارية بها قرن فقال اقعدوها فان أصاب الارض فهو عيب وان لم يصب الارض فليس بعيب ويقال حملت المرأة الغلام سهوا أى على حيض (والعلل) تقول العرب الدواء هو الأزم يعنون الحمية وأصل الأزم ضم الاسنان كأنه يعض وقال ابن مسعود أصل كل داء البردة يعنى التخمة ومس الحمى رسها ورسيسها وذلك حين تجد لها قرة أو تكسيرا (والورد) يوم الحمى
(والغب) ان تأخذه يوما وتدعه يوما (والربع) أن تدعه يومين وتأخذه اليوم الثالث (والموم) البرسام (والعذرة) وجع
الحلق وأكثر ما يعترى الصبيان فيعلق عنهم (والاعلاق) والدغرة شيء واحد وهو أن ترفع اللهاة ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم

الطبقة استدلالا على مواقع الصواب وتحرزا عن غلط الاستبداد وأخذا بمجامع الحزامة وأمنا من مفارقة الاستقامة وقد حض الله عز وجل على الشورى حيث قال لرسوله عليه الصلاة والسلام وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين وأمره بأن يصمد بما يتصل بنواحيه من ثغور المسلمين ورباط المرابطين ويقسم لها قسما وافرا من عنايته ويصرف اليها طرفا بل شطرا من رعايته ويختار لها أهل الجلد والشدة وذوى البأس والنجدة ممن عجمته الخطوب وعركته الحروب واكتسب دربة بخدع المتنازلين وتجربة بمكايد المتقارعين وأن يستظهر بكشف عددهم واعتبار عددهم وانتخاب خيلهم واستجادة أسلحتهم غير مجمر بعثا اذا بعثه ولامستكرهه إذا وجهه بل يناوب بين رجاله مناوبة تريحهم ولا تمدهم وترفههم ولا تؤدهم فان فى ذلك من فائدة الاجمام والعدل فى الاستخدام زينا فليسو بين رجال النوب فيما عاد عليهم بعز الظفر والنصر وبعد الصيت والذكر واحراز النفع والاجر مايحق أن يكون الولاة به عاملين وللناس عليه حاملين وأن يكرر فى أسماعهم ويثبت فى قلوبهم مواعيد الله تعالى لمن صبر ورابط وسامح بالنفس من حيث لا يقدمون على تورط عزه ولا يحجمون عن انتهاز فرصه ولاينكصون عن تورد معركة ولايلقون بأيديهم الى التهلكة فقد أخذ الله ذلك على خلقه والمرء أمين على دينه وأن يربح العملة فيما يحتاج اليه من راتب نفقات هذه الثغور وحادثها وبناء حصونها ومعاقلها واستطراق طرقها ومسالكها وافاضة الاقوات والعلوفة فيها للمترتبين بها والمترددين اليها والحاملين لها وأن يبذل أمانه لمن طلبه ويعرضه على من لم يطلبه ويفى بالعهد إذا عاهد وبالعقد اذا عاقد غير مخفر ذمة ولاجارح أمانة فقد أمر الله تعالى بالوفاء فقال عز وجل يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ونهى عن النكث فقال عز من قائل فمن نكث فانما ينكث على نفسه وأمره أن يعرض من فى حبوس عمله على جرائمهم فمن كان اقراره واجبا أقره ومن كان اطلاقه سائغا أطلقه وأن ينظر فى الشرطة والاحداث نظر عدل وانصاف ويختار لها من يخاف الله ويتقيه ولايحابى ولايراقب فيه ويتقدم اليهم بقمع الجهال وردع الضلال وتتبع الاشرار وطلب الزعار مستدلين على أماكنهم متوغلين الى مكامنهم متولجين عليهم فى مظانهم متوثقين ممن يجدونه منهم منفذين أحكام الله تعالى فيهم بحسب الذى يتبين من أمرهم ويصح من فعلهم فى كبيرة ارتكبوها وعظيمة احتقبوها ومهجة ان أغاظوها واستهلكوها وحرمة ان استباحوها وانتهكوها فمن استحق حدا من حدود الله المعلومة أقاموه عليه غير مخففين منه وأحلوه به غير مقصرين عنه بعد أن لا يكون عليهم فى الذى يأتونه حجة ولا يعترضهم فى وجوبه شبهة فان الواجب فى الحدود أن تقام بالبينات وأن تدرأ بالشبهات فأولى ما توخاه رعاة الرعايا فيها أن لا يقدموا عليها مع نقصان ولا يتوقفوا عنها مع قيام الدليل ومن وجب عليه القتل احتاط بما يحتاط به على مثله من الحبس الحصين والتوثق الشديد وكتب الى أمير المؤمنين بخبره وشرح جنايته وثبوتها باقرار يكون منه أو بشهادة تقع عليه ولينتظر من جوابه مايكون عمله بحسبه فان أمير المؤمنين لا يطلق سفك دم مسلم أو معاهد الا ما أحاط به علما وأتقنه فهما وكان ما يمضيه فيه عن بصيرة لا يخالجها شك ولا يشوبها ريب ومن ألم بصغيرة من الصغائر ويسيرة من الجرائر من حيث لم يعرف له

وعلى آله عن ذلك وأمر بالقسط البحرى (قال جرير) غمز بن مرة يافرزدق كينها * غمز الطبيب نغانغ المعذور قال الاصمعى الشغاف داء يسيل من الصدر يقال انه اذا التقى هو والطحال مات صاحبه (قال (٨٧) النابغة وقد حال هم دون ذلك داخل * ولوج الشغاف تبتغيه الاصابع يعنى أصابع الاطباء تلتمسه تنظر هل نزل أولم ينزل (والكباد) وجع الكبد قال النبي صلى الله عليه وسلم الكباد من العب والعب شدة جرع الماء كما تجرع الدواب (والصفار) والصفر هما اجتماع الماء فى البطن يعالج بقطع النائط وهو عرق فى الصلب (قال العجاج) * قضب الطبيب نائط المصفور * وقد يعالج بالكى واللدود وغير ذلك قال ابن احمر وكان شفى بطنه

شربت الشكاعى والتددت ألدة * وأقبلت أفواه العروق المكاويا

(والذرب) فساد المعدة يقال ذربت معدته تذرب ذربا قال النبي صلى الله عليه وسلم فى ألبان الابل وأبوالها شفاء للذرب (والعلوص) اللوى (والرثية) وجع المفاصل (والهلس) والهلاس السل (والسنق) كالتخمة (والعائر) الرمد (واللبن) الذى يشتكى عنقه من الوساد أوغيره (غثيثة) الجرح مدته (والصديد) الرقيق المختلط بالدم قبل أن تغلظ المدة (والعقابيل) بقايا المرض (والداء) الذى لا يبرأ منه يقال له ناجس ونجيس (١) (الشجاج) أول الشجاج (الحارصة) وهى التى تقشر الجلد قليلا (ثم الباضعة) وهى التى تشق اللحم شقا خفيفا

(١) جمع شجة وهى جراحة الرأس اه مصححه

(والمتلاحمة) وهي التي أخذت في اللحم ثم (السمحاق) (١) وهي التي بينها وبين العظم قشرة رقيقة (ثم الموضحة) وهي التي توضح عن العظم أي تبدي وضحه (ثم الهاشمة) وهي التي تهشم العظم (ثم المنقلة) وهي التي تخرج منها العظام (ثم الآمة) وهي التي تبلغ أم الدماغ

مثلها ولم يتقدم له أختها وعظه وزجره ونهاه وحذره واستتابه وأقاله مالم يكن عليه خصم في ذلك يطالب بقصاص منه وجزاء له فاذا عاد تناوله من التقويم والتهذيب والتعزير والتأديب بما يرى أن قد كفى فيما اجترم ووفى بما قدم فقد قال الله تعالى ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون وأمره أن يعطل في أعماله من الحانات والمواخير ويطهرها من القبائح والمناكير ويمنع من يجمع أهل الخنا فيها ويؤلف شملهم بها فانه شمل بصالحه التشتيت وجمع يحفظه التفريق ومازالت هذه المواطن الذميمة والمطارح الدنية داعية من يأوي اليها ويعكف عليها الى ترك الصلوات واهمال المفترضات وركوب المنكرات واقتراف المحظورات وهي بيوت الشيطان التي في عمارتها لله معصية وفي أخرابها للخير مجلبة والله تعالى يقول لنا معشر المؤمنين كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ويقول عز من قائل لغيرنا من المذمومين فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا وأمره أن يولي الحماية في هذه الاعمال أهل الكفاية والعناية من الرجال وأن يضم اليهم كل من خف إركابه وأسرع عند الصريخ مرتبا لهم في المسالح وسادا بهم ثغر المسالك وأن يوصيهم بالتيقظ ويأخذهم بالتحفظ ويزيح عللهم في علوفة خيلهم والمقرر من أزوادهم وميرهم حتى لا تنتقل لهم عن البلاد وطاءة ولا يدعوهم الى تحنقهم وثلمهم حاجة وأن يحوطوا السابلة بادئة وعائدة ويبذرقوا القوافل صادرة وواردة ويحرسوا الطريق ليلا ونهارا ويتفصوها رواحا وغدوا وينصبوا لاهل العبث الارصاد ويتكنوا لهم بكل واد ويتفرقوا عليهم حيث يكون التفرق مضيقا لفضائهم ومؤديا الى انفضاضهم ويجتمعوا حيث يكون الاجتماع مطفئا لجمرتهم وصادعا لرؤيتهم ولا يخلوا هذه السبل من حماة لها وسيارة فيها يترددون في جوادها ويتعسفون في عواديها حتى تكون الدماء محقونة والاموال مصونة والفتن محسومة والغارات مأمونة ومن حصل في أيديهم من لص خاتل وصعلوك خارب ومخيف لسبيل ومنتهك لحريم امتثل في أمره أمر أمير المؤمنين الموافق لقول الله عز وجل إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم وأمره بوضع الرصد على من يجتاز في أعماله من اباق العبيد والاحتياط عليهم وعلى مايكون معهم والبحث عن الاماكن التي فارقوها والطرق التي استطرقوها ومواليهم الذين أنفقوا منهم ونشزوا عنهم وأن يردوهم عليهم قهرا ويعيدوهم اليهم صغرا وأن ينشدوا الضالة ما أمكن أن تنشد ويحفظوها على ربها بما جاز أن تحفظ ويتجنبوا الامتطاء لظهورها والانتفاع بأوبارها وألبان ما يجز ويحلب وأن يعرفوا اللقطة ويتبعوا أثرها ويشيعوا خبرها فاذا حضر صاحبها وعلم أنه مستوجبها سلمت اليه ولم يعترض فيها عليه والله عز وجل يقول إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها ويقول رسوله صلى الله عليه وسلم ضالة المؤمن حرق النار وأمره أن يوصي عماله بالشد على يد الحكام وتنفيذ مايصدر عنهم من الاحكام وأن يحضروا مجالسهم حضور الموقرين لها الذابين عنها المقيمين لرسوم الهيبة وحدود الطاعة فيها ومن خرج عن ذلك من ذوي عقل ضعيف وحلم سخيف نالوه بما يردعه وأحلوا به ما يزعه ومتى

﴿فروق في خلق الانسان﴾

ظاهر جلد الانسان من رأسه وسائر جسده البشرة (وباطنه) الادمة والعرب تقول فلان مؤدم مبشر أي قد جمع لين الادمة وخشونة البشرة (وشخص) الانسان اذا كان قاعدا أو نائما جثة فاذا كان قائما فهو قامة وقد اختلفوا في الجانب الوحشي والانسي (قال الاصمعي) الوحشي الذي يركب منه الراكب ويحتلب منه الحالب وانما قالوا فجال على وحشية وانصاع جانبه الوحشي لانه لا يؤتى في الركوب والحلب والمعالجة الامنه فانما خوفه منه والانسي الآخر وقال أبو زيد الانسي الأيسر وهو الجانب الذي يركب منه الراكب والوحشي الايمن قال أبو عبيدة الوحشي الأيسر من الناس والدواب والايمن الانسي ويقال الانسي قال الاصمعي كل اثنين من الانسان مثل الساعدين والزندين وناحيتي القدم فما أقبل على الانسان منهما فهو انسي

(١) هذه الاربع ليس فيها قصاص ولا أرش مقدر وتجب فيها حكومة ومثلها في ذلك الدامية وهي التي تدمي الجلد اما الموضحة ففيها خمس من الابل والهاشمة فيها عشر والمنقلة فيها خمس عشرة والآمة فيها ثلث الدية وبقيت الدامغة وهي التي تبلغ الدماغ ففيها أيضا ثلث الدية فالشجاج عشر بعد الدامية والدامغة المزيدتين على المؤلف ام

تقاعس

وما أدبر عنه فهو وحشى (والموفرة) الشعرة إلى شحمة الاذن فاذا ألمت بالمنكب فهى لمة (والانزع) الذى انحسر الشعر عن جانبى جبهته فاذا ازداد قليلا فهو أجلح فاذا بلغ النصف أو نحوه فهو أجلى ثم أجله (والافرع) التام الشعر الذى لم يذهب منه شىء كان

تقاعس متقاعس عن حضور مع خصم يستدعيه بأمر يوجبه الحكم اليه أو التوى ملتو بحق يحصل عليه ودين يستقر فى ذمته قادوه إلى ذلك بأذمة الصغار وحزائم الاضطرار وأن يحبسوا و يطلقوا بأقوالهم و يثبتوا الأيدى فى الأملاك والفروج و ينزعوا بقضاياهم فانهم أمناء الله فى فصل ما يقضون و بث ما يبثون وعن كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم يوردون و يصدرون وقد قال الله عز وجل ياداود انا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب وأن يتوخى بمثل هذه المعاملة عمال الخراج فى استيفاء حقوق ما استعملوا عليه واستنظاف بقاياهم فيه والرياضة لمن تسوء طاعته من معامليهم واحضارهم طائعين أو كارهين بين أيديهم فمن آداب الله تعالى للعبد الذى يحق عليه أن يتخذها و يجعلها للرضا عنه سببا قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب وأمره أن يجلس للرعية جلوسا عاما و ينظر فى مظالمها نظرا تاما يساوى فى الحق بين خاصها وعامها و يوازى فى المجالس بين عزيزها وذليلها و ينصف المظلوم من ظالمه والمغصوب من غاصبه بعد الفحص والتأمل والبحث والتبيين حتى لا يحكم الا بعدل ولا ينطق الا بفصل ولا يثبت يداً الا فيما وجب تثبيتها فيه ولا يقبضها الا عما وجب قبضها عنه وأن يسهل الاذن لجماعتهم و يرفع الحجاب بينه و بينهم و يوليهم من حصانة الكنف ولين المنعطف والاشتمال والعناية والصون والرعاية ما تتعادل به أقسامهم وتتوازى منه أقساطهم ولا يصل الركين منهم الى استضامة ما تأخر عنه ولا ذو السلطان الى هضيمه من حل دونه وأن يدعوهم إلى أحسن العادات والخلائق و يحضهم على أحمد المذاهب والطرائق و يحمل عنهم كله و يمد عليهم ظله ولا يسومهم عسفا ولا يلحق بهم حيفا ولا يكلفهم شططا ولا يجشمهم مضلعا ولا يثلم لهم معيشة ولا يداخلهم فى جريمة ولا يأخذ بريا بسقيم ولا حاضراً بعديم فان الله عز وجل ينهى أن تزر وازرة وزر أخرى و يرفع عن هذه الرعية ما عسى أن يكون سن عليها من سنة ظالمة وسلك بها من محجة جائرة و يستقرى آثار الولاة قبله عليها فيما رجوه من خير أو شر اليها فيقر من ذلك ما طاب وحسن و يزيل ما خبث وقبح فان من غرس الخير يحظى بمعسول ثمره ومن زرع الشر يصلى بممرور زريعه والله تعالى يقول والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون وأمره بأن يصون مال الخراج وأثمان الغلات ووجوه الجبايات موفراً و يزيل ذلك مثمرا بما يستعمله من الانصاف لأهلها واجرائهم على صحيح الرسوم فيها فانه مال الله الذى به قوة عباده وحماية بلاده ودرور حلبه واتصال مدده وبه يحاط الحريم ويدفع العظيم و يحمى الذمار ويذاد الاشرار وأن يجعل افتتاحه اياه بحسب ادراك أصنافه وعند حضور مواقيته وأحيانه غير متسلف شيئا قبلها ولا مؤخرا لها عنها وأن يخص أهل الطاعة والسلامة بالترقية لهم وأهل الاستصعاب والامتناع بالتشديد عليهم لئلا يقع ارهاق لمذعن أو اهمال لطامع وعلى المتولى لذلك أن يضع كلا من الأمرين موضعه و يوقعه موقعه متجنبا احلال الغلظة من لا يستحقها واعطاء الفسحة من ليس أهلها والله تعالى يقول وأن ليس للانسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه

رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرع واذا سال الشعر من الرأس حتى يغطى الجبهة والوجه فذلك الغمم يقال رجل أغم القفا وذلك مما يذم به قال الشاعر وهو هدبة ابن الخشرم

فلا تنكحى ان فرق الدهر بيننا * أغم القفا والوجه ليس بأنزعا

و يقال رجل ملهوز اذا بدا الشيب فى رأسه ثم هو أشمط اذا اختلط السواد والبياض ثم هو أشيب (والقرن) فى الحاجبين ان يطولا حتى يلتقى طرفاهما (والبلج) ان ينقطعا حتى يكون ما بينهما نقيا من الشعر والعرب تستحبه وتكره القرن (والزجج) طول الحاجبين ودقتهما وسبوغهما إلى مؤخر العينين (والمقلة) شحمة العين التى تجمع السواد والبياض والسواد الاعظم هو الحدقة (والاصغر) هو الناظر وفيه انسان العين وانما الناظر كالمرآة إذا استقبلتها رأيت شخصك فيها والذى تراه فى الناظر هو شخصك (والمأق) والمؤق واحد وهو طرفهما الذى يلى الانف (واللحاظ) مؤخرها الذى يلى الصدغ قال أبو عبيدة وذنابة العين مؤخرها (والخوص) صغر العين وغؤورها فان كان فى مؤخرها ضيق فهو (حوص) و به سمى الاحوص (والنجل) سعتها وعظم مقلتها (والخزر) أن يكون الانسان كأنه ينظر بمؤخرها (والشوس) ان ينظر باحدى عينيه و يميل وجهه فى

شق العين التى ينظر بها (والشمم) فى الأنف ارتفاع القصبة واستواء أعلاها واشراف فى الأرنبة (والقنا) طول الأنف ودقة أرنبته وحدب فى وسطه (وعذبة) اللسان (٩٠) طرفه (وعكدته) أصله (والصردان) العرقان اللذان يستبطنانه (والشدق) سعة الشدقين

الجزاء الأوفى وأمره أن يتخير عماله على الخراج والاعشار والضياع والجهبذة والصدقات والجوالى من أهل الظلف والنزاهة والضبط والصيانة والجزالة والشهامة وأن يستظهر مع ذلك عليهم بوصية تعيها أسماعهم وعهود يقلدها أعناقهم بأن لا يضيعوا حقا ولا يأكلوا سحتا ولا يستعملوا ظلما ولا يقارفوا غشما وأن يقيموا العمارات ويحتاطوا ويتحرزوا من اتواء حق لازم أو تعطيل رسم عادل مؤدين فى جميع ذلك الامانة مجتنبين للخيانة وأن يأخذوا جهابذتهم باستيفاء وزن المال على تمامه واستجادة نقده على عياره واستعمال الصحة فى قبض ما يقبضون واطلاق ما يطلقون وأن يوعزوا الى سعاة الصدقات فى أخذ الفرائض من سائمة مواشى المسلمين دون عاملتها وكذلك الواجب فيها وأن لا يجمعوا فيها متفرقا ولا يفرقوا مجتمعا ولا يدخلوا فيها خارجا عنها ولا يضيفوا اليها ما ليس منها من فحل ابل وأكولة راع أو عقيلة مال فاذا اجتبوها على حقها واستوفوها على رسمها أخرجوها فى سبيلها وقسموها على أهلها الذين ذكرهم الله عز وجل فى كتابه العزيز إلا المؤلفة قلوبهم الذين ذكرهم الله عز وجل فى كتابه الكريم وسقط سهمهم فان الله تعالى يقول انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم والى جباة أهل الذمة أن يأخذوا منهم الجزية فى المحرم من كل سنة بحسب منازلهم فى الأحوال وذات أيديهم فى الأموال وعلى الطبقات المطبقة فيها والحدود المعهودة لها وأن لا يأخذها من النساء ولا ممن لم يبلغ الحلم من الرجال ولا من ذى سن عالية ولا لذى علة بادية ولا فقير معدم ولا مترهب متبتل وأن يراعى جماعة هؤلاء العمال مراعاة يسرها ويظهرها ويلاحظهم ملاحظة يخفيها ويبديها لئلا يزولوا عن الحق الواجب أو يعدلوا عن السنن اللاحب فقد قال الله تعالى وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا وأمره بأن يندب لعرض الرجال واعطائهم وحفظ جراياتهم وأوقات اطماعهم من يعرفه بالثقة فى متصرفه والأمانة فيما يجرى على يده والبعد عن الاسفاف الى الدنية والاتباع للدناءة وأن يبعثه على ضبط الرجال وشيات الخيل وتجديد العرض بعد الاستحقاق وايقاع الاحتياط فى الاتفاق فمن صح عرضه ولم يبق فى نفسه شىء منهم من شك يعرض له أو ريبة يتوهمها أطلق أموالهم موفورة وحصلها فى أيديهم غير مثلومة وأن يرد على بيت المال أرزاق من سقط بالوفاة والاخلال ناسبا ذلك إلى جهته موردا له على حقيقته وأن يطالب الرجال باحضار الخيل المختارة والآلات المستكملة على ما توجبه مبالغ أرزاقهم وحسب منازلهم ومراتبهم فان أخر أحدهم شيئا من ذلك قاصصه به من رزقه وأغرمه مثل قيمته فان المقصر فيه خائن لأمير المؤمنين ومخالف لرب العالمين اذ يقول سبحانه وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وأمره أن يعتمد فى أسواق الرقيق ودور الضرب والطرز والحسبة على من تجتمع فيه آلات هذه الولايات من ثقة ودراية وعلم وكتابة ومعرفة ورواية وتجربة وحنكة وحصانة ومسكة فانها أحوال تضارع الحكم وتناسبه وتدانيه وتقاربه وأن يتقدم الى ولاة أسواق الرقيق بالتحفظ فيمن يطلقون بيعه ويمضون أمره والتحرز من وقوع تخون فيه أو اهمال له اذا كان ذلك عائدا بتحصين الفروج وتطهير الانساب وأن يبعدوا عنه أهل الريبة ويقربوا أهل العفة

(والجيد) طول العنق (والتلع) أشرافه (والهنع) تطامنه (والصعر) ميله (والغلب) غلظه (والبتع) شدته (والاخدعان) عرقان فى موضع المحجمتين ربما وقعت الشرطة على أحدهما فنزف صاحبه (والودجان) العرقان اللذان يقطعهما الذابح (والوريدان) عرقان تزعم العرب أنهما من الوتين (والصليفان) ناحيتا العنق عن يمين وشمال والسالفتان ناحيتا مقدم العنق عن يمين وشمال من لدن معلق القرط (والزج) طرف المرفق (والباطن) من المرفق يقال له المأبض وهو باطن الركبة أيضا (والاسلة) مستدق الذراع (والعظمة) وسط الذراع الغليظ منها (والرسغ) منتهى الكف عند المفصل (والنواشر) عروق ظاهر الذراع (والرواهش) عروق باطن الذراع (والاشاجع) عروق ظاهر الكف وهي مغرز الأصابع (والرواجب) بطون السلاميات وظهورها (والبراجم) رؤس السلاميات من ظهر الكف اذا قبض القابض كفه نشزت وارتفعت (والزندان) ما انحسر عنه اللحم من الذراع فرأس الزند الذى يلى الخنصر هو الكرسوع ورأس الزند الذى يلى الابهام هو الكوع (والالية) اللحمة التى فى أصل الابهام (والضرة) اللحمة

التى تقابلها (والنحر)موضع القلادة(واللبة)موضع المنحر (والثغرة)الهزمة بين الترقوتين(والبرك)وسط الصدر(والكلكل) معظم الصدر والاعفاج من الناس ومن الحافر كله ومن السباع كلها واليها يصير الطعام بعد المعدة واحدها عفج

العفة ولا يمضوا بيعا على شبهة ولا عقدا على تهمة والى ولاة العيار بتخليص عين الدرهم والدينار ليكونا مضروبين على البراءة من الغش والنزاهة من المش وبحسب الامام المقدر بمدينة السلام وحراسة السكك من ان تتداولها الايدى المزغلة وتتناقلها الجهات المنبية واثبات اسم أمير المؤمنين على مايضرب ذهبا وفضة واجراء ذلك على الرسم والسنة والى ولاة الطرز أن يجروا الاستعمال فى جميع المناسج على أتم النيقة وأسلم الطريقة وأحكم الصنعة وأفضل الصحة وأن يكتبوا اسم أمير المؤمنين على طرر الكسا والفرش والاعلام والبنود والى ولاة الحسبة بتصفح أحوال العوام فى حرفهم ومتاجرهم ومجتمع أسواقهم ومعاملاتهم وأن يعايروا الموازين والمكاييل و يفرزوها على التعديل والتكميل ومن أطلعوا منه على حيلة أو تلبيس أو غيلة أو تدليس أو بخس مايوفيه واستفضال فيما يستوفيه نالوه بغليظ العقوبة وعظمها وخصوه بوجيعها وألمها واقفين فى ذلك عند الحد الذى يرونه لذنبه مجازيا وفى تأديبه كافيا فقد قال الله تعالى ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أووزنوهم يخسرون هذا عهد أمير المؤمنين اليك وحجته عليك وقد وقفك على سواء السبيل وأرشدك الى واضح الدليل وأوسعك تعليما وتحكيما وأقنعك تعليما وتفهيما ولم يألك جهدا فيما عصمك وعصم على يدك ولم يدخرك ممكنا فيما أصلح بك وأصلحك ولا ترك لك عذراً فى غلط تغلطه ولا طريقا الى تورط تتورطه بالقائك فى الاوامر والزواجر الى حيث يلزم الأئمة أن يندبوا الناس اليه ويحثوهم عليه مقيما لك على منجيات المسالك صارفا لك عن مرديات المهالك مريدا فيك مايسلمك فى دينك ودنياك و يعود بالحظ عليك فى آخرتك وأولاك فان اعتدلت وعدلت فقد فزت وغنمت وان تحانفت واعوججت فقد فسدت وندمت والاولى بك عند أمير المؤمنين من مغرسك الزاكى ومنبتك النامى وعودك الانجب وعنصرك الاطيب أن تكون لظنه محققا ولمخيلته فيك مصدقا وأن تستزيده بالأثر الجميل قربا وثوابا يوم الدين وزلفى عند أمير المؤمنين وثناء حسنا من المسلمين فخذ ما نبذ اليك أمير المؤمنين من معاذيره وأمسك بيدك على ما أعطى من مواثيقه واجعل عهده مثالا تحتذيه واماما تقتفيه واستعن بالله يعنك واستهده يهدك وأخلص اليه فى طاعته يخلص لك الحظ فى معونتك ومهما أشكل عليك من خطب أو أعضل عليك من صعب أو بهرك من باهر أو بهظك من باهظ فاكتب إلى أمير المؤمنين منهيا وكن الى مايرد عليك ان شاء الله تعالى والسلام عليك ورحمة الله و بركاته ﴿ وأما التقليد ﴾ الذى أنشأته أنا فهو هذا أما بعد فان أمير المؤمنين يبدأ بحمد الله الذى يكون لكل خطبة قيادا ولكل أمر مهادا و يستزيده من نعمه التى جعلت التقوى له زادا وحملته عبء الخلافة فلم يضعف عنه طوقا ولم يأل فيه اجتهادا وصغرت لديه أمر الدنيا فما تسورت له محرابا ولا عرضت عليه جيادا وحققت فيه قول الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا ثم يصلى على من أنزلت الملائكة لنصره امدادا وأسرى به الى السماء حتى ارتقى سبعاً شداداً وتجلى له ربه فلم يزغ منه بصرا ولا أكذب فؤاد إثم من بعده على أسرته الطاهرة التى زكت أوراقا وأعوادا وورثت النور المتين تلادا ووصفت بأنها أحد الثقلين هداية وارشادا وخصوصا عمه العباس المدعوله بأن يحفظ نفسا وأولادا وأن تبقى كلمة الخلافة فيهم خالدة لا تخاف دركا ولا تخشى

(والمصارين) لذوات الخف والظلف مثلها وهى التى تؤدى اليها الكرش مادبغته (والقوانص) للطير مثلها وهى التى تؤدى اليها الحوصلة (والحوصلة) بمنزلة المعدة (والسرة) فى البطن ما بقى بعد القطع (والسرور) ما تقطعه القابلة (والاهيف) من البطون الضامر (والأنجل) المسترخى (والاحاليل) مخرج البول (والحوق) حرف الكمرة وهو اطارها (والوترة) العرق الذى فى باطن الكمرة (والعصعص) عجب الذنب يقال هو أول ما يخلق وآخر ما يبلى (وعير) القدم الشاخص فى وجهها وأخمصها ما دخل من باطنها فلم يصب الارض فان لم يكن فيها خمص فهى رحاء يقال رجل أرح (والثنة) ما بين السرة والعانة وهى مراق البطن بالتشديد

﴿ فروق فى الاسنان ﴾

قال ابو زيد للانسان أربع ثنايا وأربع رباعيات الواحدة رباعية مخففة وأربعة أنياب وأربعة ضواحك واثنتا عشرة رحا ثلاث فى كل شق وأربعة نواجذ وهى اقصاها وقال الاصمعى مثل ذلك كله إلا أنه جعل الارحاء ثمانيا أربعا من فوق وأربعا من أسفل والناجذ ضرس الحلم يقال رجل منجذ اذا احكم الأمور

وذلك مأخوذ من الناجذ (والنواجذ) للانسان والفرس وهى الانياب من الخف والسوالغ من الظلف قال أبو زيد لكل ذى ظلف وخف ثنيتان من أسفل فقط وللحافل والسباع كلها أربع ثنايا وللحافر بعد الثنايا أربع رباعيات وأربعة قوارح وأربعة أنياب وثمانية أضراس قالوا وكل ذى حافر يقرح وكل ذى خف يبزل وكل ذى ظلف يصلغ ويسلغ (والفرس) وكل ذى حافر أول سنة حولى والجميع حوالى ثم جذع وجذاع ثم ثنى وثنيان ثم رباع بالكسر وجمعه ربعان ثم قارح وقرح والانثى جذعة وجذعات وثنية وثنيات ورباعية مخففة ورباعيات وقارح وقوارح ويقال اجذع المهر وأثنى وأربع وقرح هذا وحده بغير ألف (والبعير) أول سنة حوار ثم ابن مخاض فى الثانية لأن أمه فيها من المخاض وهى الحوامل فنسب اليها وواحدة المخاض خلفة من غير لفظها ثم ابن لبون فى الثالثة لان أمه فيها ذات لبن ثم حق فى الرابعة يقال سمى بذلك لاستحقاقه ان يحمل عليه ثم جذع فى السنة الخامسة ثم يلقى ثنيته فى السادسة فهو ثنى ثم يلقى رباعيته فى السابعة فهو رباع ثم يلقى السن التى بعد الرباعية فهو سديس وسدس وذلك فى الثامنة ثم يفطر نابه فى التاسعة فهو بازل فاذا أتى عليه عام بعد البزول فهو مخلف وليس له اسم بعد الاخلاف ولكن يقال مخلف عام ومخلف عامين فما زاد (ثم لايزل) كذلك حتى يكون عودا إذا هرم

نفاذا وإذا استوفى القلم مداده من هذه الحمدلة وأسند القول فيها عن فصاحته المرسلة فانه يأخذ فى انشاء هذا التقليد الذى جعله حليفا لقرطاسه واستدام سجوده على صفحته حتى لم يكد يرفع من رأسه وليس ذلك الا لافاضته فى وصف المناقب التى كثرت فحسن لها مقام الاكثار واشتبه التطويل فيها بالاختصار وهى التى لايفتقر واصفها الى القول المعاد ولا يستوعر سلوك أطوادها ومن العجب وجود السهل فى سلوك الاطواد وتلك مناقبك أيها الملك الناصر الأجل السيد الكبير العالم العادل المجاهد المرابط صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب والديوان العزيز يتلوها عليك تحدثا بشكرك ويباهى بك أولياءه تنويها بذكرك ويقول أنت الذى تستكفى فتكون للدولة سهمها الصائب وشهابها الثاقب وكنزها الذى تذهب الكنوز وليس بذاهب وماضرها وقد حضرت فى نصرتها إذا كان غيرك هو الغائب فاشكر إذا مساعيك التى أهلتك لما أهلتك وفضلتك على الأولياء بما فضلتك ولئن شوركت فى الولاء بعقيدة الاضمار فلم تشارك فى عزمك الذى انتصر للدولة فكان له بسطة الانتصار وفرق بين من أمد بقلبه وبين من امد بيده فى درجات الامداد وماجعل الله القاعدين كالذين قالوا لو أمرتنا لضربنا أكبادها إلى برك الغماد وقد كفاك من المساعى أنك كفيت الخلافة أمر منازعيها وطمست على الدعوة الكاذبة التى كانت تدعيها ولقد مضى عليها زمن ومحراب حقها محفوف من الباطل بمحرابين ورأت ما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم من السوارين اللذين أولهما كذابين فبمصر منهما واحد تاه بمجرى أنهارها من تحته ودعا الناس إلى عبادة طاغوته وجبته ولعب بالدين حتى لم يدر يوم جمعته من يوم أحده ولا يوم سبته وأعانه على ذلك قوم رمى الله بصائرهم بالعمى والصمم واتخذوه صنما بينهم ولم تكن الضلالة هناك الا بعجل أو صنم فقمت أنت فى وجه باطله حتى قعد وجعلت فى جيده حبلا من مسد وقلت ليده تبت فأصبح وهو لا يسعى بقدم ولا يبطش بيد وكذلك فعلت بالآخر الذى نجمت باليمن ناجمته وسامت فيه سائمته فوضع بنية موضع الكعبة اليمانية وقال هذا ذو الخلصة الثانية فأى مقاميك يعترف الاسلام بسبقه أم أيها يقوم بأداء حقه وههنا فليصبح القلم للسيف من الحساد وليقصر مكانته عن مكانته وقد كان له من الانداد ولم يحط بهذه المزية إلا لانه أصبح لك صاحبا ونحر بك حتى طال فخرا عما عز جانبا وقضى بولايتك فكان بها قاضيا لما كان حده قاضبا وقد قلدك أمير المؤمنين البلاد المصرية واليمنية غورا ونجدا وما اشتملت عليه رعية وجندا وما انتهت اليه أطرافها برا وبحرا ومايستنقذ من مجاوريها مسالمة وقهرا وأضاف اليها بلاد الشام وما تحتوى عليه من المدن الممدنة والمراكز المحصنة مستثنيا منها ما هو بيد نور الدين اسمعيل بن نور الدين محمود رحمه الله وهو حلب وأعمالها فقد مضى أبوه عن آثار فى الاسلام ترفع ذكره فى الذاكرين وتخلفه فى عقبه فى الغابرين وولده هذا قد هذبته الفطرة فى القول والعمل وليست هذه الربوة الا من ذلك الجبل فليكن له منك جار يدنو منه ودادا كما دنا أرضا ويصبح وهو له كالبنيان يشد بعضه بعضا والذى قدمناه من الثناء عليك ربما تجاوز بك درجة الاقتصاد والفتك عن فضيلة الازدياد فاياك أن تنظر سعيك بالاعجاب وتقول هذه بلاد أنا فتحتها بعد أن أضرب عنها كثير من الاضراب ولكن اعلم أن الارض لله ولرسوله ثم لخليفته من بعده ولا منة للعبد باسلامه بل المنة لله

قال أبو زيد المؤنث في جميع هذه الاسنان بالهاء الا السديس والسدس والبازل فان ذلك بغير هاء (قال الكسائي)الناقة مخلف أيضا بغير هاء (قال أبو زيد)الناقة لاتكون مخلفا ولكن اذا أتى عليها حول بعدالبزول فهي بزول الى أن تنيب فتدعى عندذلك نابا (وولدالضأن) أول سنة حمل ثم يكون جذعا في الثانية ثم ثنيا ثم رباعيا ثم سديساً ثم صالغا في السادسة وليس له بعد ذلك اسم (وولد المعز) أول سنة جدي ثم تنقله في الاسنان مثل تنقل الجمل (وولد البقرة)أول سنة تبيع ثم تنقله في الاسنان مثل تنقل ولد الضأن(وولدالمعز) كذلك (وولدالظبية) أول سنة طلاوخشف ثم هوفي السنة الثانية جذع ثم هوفي الثالثة ثني ثم لايزال ثنيا حتى يموت قال الشاعر يصف ابلا أخذت في دية

جاءت كسن الظبي لم أرمثلها * سناء قتيل أوحلوبة جائع

أي هي ثنيان(وولدالضب) حسل ولا يسقط له سن ولذلك يقال في المثل لاآتيك سن الحسل أي لاآتيك أبدا (ويقال) أفرت الابل افرارللاثناء إذاذهبت رواضعها وطلع غيرها (قال) أبو عبيدة أحفر المهر للاثناء والارباع والقروح (وقال)أبوزيد الكلابي إذا سقطت رواضع الصبي قيل ثغرفهو مثغور فاذا نبتت أسنانه قيل أثغر واثغر (ويقال) فم مقنع اذا كانت أسنانه معطوفة إلى داخل فان كانت منصبة إلى قدام قيل أدفق وهو في الابل عيب

لله بهداية عبده وكم سلف من قبلك من لورام مارمته لدناشاسعه وأجاب مانعه لكن ذخره الله لك لتحظى في الآخره بمفازه وفي الدنيا برقم طرازه فألق بيدك عند هذا القول القاء التسليم وقل لاعلم لنا الا ماعلمتنا انك أنت العليم الحكيم وقد قرن تقليدك هذا بخلعة تكون لك في الاسم شعارا وفي الوسم فخارا وتناسب محل قلبك و بصرك وخير ملابس الاولياء ماناسب قلوبا وأبصارا ومن جملتها طوق يوضع في عنقك موضع العهد والميثاق ويشير اليك بأن الأنعام قد أطاف بك اطافة الاطواق بالاعناق ثم انك خوطبت بالملك وذلك خطاب يقضي لصدرك بالانشراح ولأملك بالانفساح وتؤمر معه بمديدك الى العليا لا بضمها إلى الجناح وهذه الثلاثة المشار اليها هي التي تكمل بها أقسام السيادة وهي التي لامزيد عليها في الاحسان فيقال انها الحسنى وزيادة فاذا صارت اليك فانصب لها يوما يكون في الأيام كريم الانساب واجعله لها عيدا وقل هذا عيد الخلعة والتقليد والخطاب هذا ولك عند أمير المؤمنين مكانة تجعلك لديه حاضرا وأنت ناء عن الحضور وتضن أن تكون مشتركة بينك و بين غيرك والضنة من شيم الغيور وهذه المكانة قد عرفتك نفسها وما كنت تعرفها وما نقول الا أنها لك صاحبة وأنت يوسفها فاحرسها عليك حراسة تقضي بتقديمها واعمل لها فان الأعمال بخواتيمها واعلم أنك قد تقلدت أمرا تعين به نهى الحلوم ولا ينفك صاحبه عن عهدة الملوم وكثيرا مايرى حسناته يوم القيامة وهي مقتسمة بأيدي الخصوم ولاينجو من ذلك إلا من أخذ أهبة الحذار وأشفق من شهادة الاسماع والأبصار وعلم أن الولاية ميزان احدى كفتيه في الجنة والاخرى في النار قال النبي صلى الله عليه وسلم ياأباذر اني أحب لك ماأحب لنفسي لاتأمرن على اثنين ولاتولين مال يتيم فانظر الى هذا القول النبوي نظر من لم يخدع بحديث الحرص والآمال ومثل الدنيا وقد سيقت اليك بحذافيرها أليس مصيرها الى زوال والسعيد إذا جاءته قضى بها أرب الأرواح لاأرب الجسوم واتخذ منها وهي السم دواء وقد تتخذ الادوية من السموم وما الاغتباط بما يختلف على تلاشيه المساء والصباح وهو كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح والله يعصم أمير المؤمنين وولاة أمره من تباعتها التي لابستهم ولابسوها وأحصاها الله عليهم ونسوها ولك أنت من هذا الدعاء حظ على قدر محلك من العناية التي جذبت بضبعك ومحلك من الولاية التي بسطت من درعك فخذ هذا الامر الذي تقلدته أخذ من لم يتعقبه بالنسيان وكن في رعايته ممن إذا نامت عيناه كان قلبه يقظان وملاك ذلك كله في اسباغ العدل الذي جعله الله ثالث الحديث والكتاب وأغنى بثوابه وحده عن أعمال النواب وقدر يوما منه بعبادة ستين عاما في الحساب ولم يأمر به آمر الا زيد قوة في أمره وتحصن به من عدوه ومن دهره ثم يجاء به يوم القيامة وفي يديه كتابا أمان و يجلس على منبر من نور عن يمين الرحمن ومع هذا فان مركبه صعب لا يستوي على ظهره الا من أمسك عنان نفسه قبل امساك عنانه وغلبت لمة ملكه على لمة شيطانه ومن أوكد فروضه أن يمحي السنن السيئة التي طالت مدد أيامها ويئس الرعايا من رفع ظلاماتها فلم يجعلوا امدا لانحسار ظلامها وتلك السنن هي المكوس التي أنشأتها الهمم الحقيرة ولا غنى للايدي الغنية إذا كانت ذات نفوس فقيرة وكلما زيدت الاموال الحاصلة منها قدرا زادها الله محقا وقد استمرت عليها العوائد حتى ألحقها الظالمون بالحقوق الواجبة فسموها حقا

ريشة أربع قوادم وأربع مناكب وأربع أباهر وأربع كلى وجناح الطائر يده

﴿فروق في الاطفال﴾

(ولد) كل سبع جرو (وولد) كل ذى ريش فرخ (وولد) كل وحشية طفل هذا جملة هذا الباب (ثم ولد) الفرس مهر وفلو (وولد) الحمار جحش وعفو وتولب وكذلك البغل الصغير (وولد) البقرة عجل وعجول والانثى عجلة (وولد) الضائنة حين تضعه أمه ذكرا كان أو أنثى سخلة وجمعه سخال وبهمة وبهم فاذا بلغ أربعة أشهر وفصل عن أمه فهو حمل وخروف والانثى خروفة ورخل (وولد) الماعزة حين تضعه أمه ذكرا كان أو أنثى سخلة وبهمة فاذا بلغ أربعة أشهر وفصل عن أمه فهو جفر والانثى جفرة وعريض وعتود اذا رعى وقوى وجمعه عرضان وعدان وأعتدة وهو فى كل ذلك جدى والانثى عناق (وولد) الناقة فى أول النتاج ربع والانثى ربعة والجميع رباع وفى آخر النتاج هبع والانثى هبعة ولا يجمع

ولولا أن صاحبها أعظم الناس جرما لما أغلظ فى عقابه ومثلت توبة المرأة الغامدية بمتابه وهل أشقى ممن يكون السواد الاعظم له خصما ويصبح وهو مطالب بهم بما يعلم وبما لم يحط به علما وأنت مأمور بأن تأتى هذه الظلامات فتنجى على أبطالها وتلحق أسماءها فى المحو بأفعالها حتى لا يبقى لها فى العيان صور منظورة ولا فى الالسنة أحاديث مذكورة فاذا فعلت ذلك كنت قد أزلت عن الماضى سنة سوء سنّها بداه وعن الآتى متابعة ظلم وجده نهجا مسلوكا فجرى على مداه فبادر إلى ما أمرت به مبادرة من لم يضق به ذرعا ونظر إلى الحياة الدنيا بعينه فرآها فى الآخرة متاعا واحمد الله تعالى على أن قيض للامام هدى يقف بك على هداك ويأخذ بحجزتك عن خطوات الشيطان الذى هو أعدى عداك وهذه البلاد المنوطة بطرفك تشتمل عن أطراف متباعدة وتفتقر فى سياستها إلى أيد متساعدة ولهذا يكثر بها قضاة الأحكام وأولو تدبيرات السيوف والاقلام وكل من هؤلاء ينبغى أن يقف على باب الاختيار ويسلط عليه شاهدا عدل من أمانة الدرهم والدينار فما أضل الناس شىء كحب المال الذى فورقت من أجله الأديان وهجرت بسببه الأولاد والاخوان وكثيرا ما ترى الرجل الصائم النائم وهو عابد له عبادة الأوثان فاذا استعنت بأحد منهم على شىء من أمرك فاضرب عليه بالارصاد ولا ترض بما عرفته من مبدأ حاله فان الأحوال تنتقل كتنقل الاجساد واياك أن تخدع بصلاح الظاهر كما خدع عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالربيع بن زياد وكذلك أؤمر هؤلاء على اختلاف طبقاتهم بأن يأمروا بالمعروف مواظبين وينهوا عن المنكر محاسبين ويعلموا أن ذلك من دأب حزب الله الذين جعلهم الله الغالبين وليبدؤا أولا بأنفسهم فيعدلوا بها عن هواها ويأمروها بما يأمرون به سواها ولا يكونوا ممن هدى الى طريق البر وهو عنه حائد وانتصب لطلب المرضى وهو محتاج الى طبيب وعائد فما تنزل بركات السماء الاعلى من خاف مقام ربه وألزم التقوى أعمال يده ولسانه وقلبه واذا صلحت الولاة صلحت الرعية بصلاحهم وهم لهم بمنزلة المصابيح ولا يستضىء كل قوم الا بمصباحهم ومما يؤمرون به أن يكونوا لمن تحت أيديهم اخوانا فى الاصطحاب وجيرانا فى الاقتراب وأعوانا فى توزع الحمل الذى يثقل على الرقاب فالمسلم أخو المسلم وان كان عليه أميرا وأولى الناس باستعمال الرفق من كان فضل الله عليه كثيرا وليست الولاية لمن يستجد بها كثرة اللفيف ويتولاها بالوطء العنيف ولكنها لمن يمال على جوانبه ويؤكل من أطايبه ولمن اذا غضب لم ير للغضب عنده أثروا اذا ألحف فى سؤاله لم يلق الالحاف بخلق الضجر واذا حضر الخصوم بين يديه عدل بينهم فى قسمة القول والنظر فذلك الذى يكون فى أصحاب اليمين والذى يدعى بالحفيظ العليم والقوى الامين ومن سعادة المرء أن تكون ولاته متأدبين بآدابه وجارين على نهج صوابه واذا تطايرت الكتب يوم القيامة كانوا حسنات مثبتة فى كتابه وبعد هذه الوصية فان ههنا حسنة هى للحسنات كالأم الولود ولطالما أغنت عن صاحبها اغناء الجنود وتيقظت لنصره والعيون رقود وهى التى تسبغ لها الآلاء ولا يتخطاها البلاء ولامير المؤمنين بها عناية تبعثها الرحمة الموضوعة فى قلبه والرغبة فى المغفرة لما تقدم وتأخر من ذنبه وتلك هى الصدقة التى فضل الله بها بعض عباده لمزية افضالها وجعلها سببا الى التعويض عنها بعشر أمثالها وهو يأمرك أن تتفقد أحوال الفقراء الذين قدرت عليهم مادة الأرزاق وألبسهم التعفف

هبع هباعا وهو فى ذلك كله حوار (وولد) الاسد شبل (وولد) الاروية الغفر (وولد) الضبع الفرعل فان كان من الذئب فهو (سمع وولد) الدب الديسم (وولد) الظبية خشف وطلا (وولد) الخنزير خنوص (وولد) الارنب خرنق (وولد)

ثوب

الثعلب هجرس (وولد) الفيل دغفل (وولد) اليربوع والفارة درص (وولد) الضب حسل (وولد) الكلب والذئبة والهرة والجرذ درص أيضا (والرئال) فراخ النعام واحدها رال (وحفانها) صغارها سميت بذلك لخفيف الطيران (والفراخ) يقال لها الجوازل (والنهار) فرخ القطاة (ويقال) الليل فرخ الكروان (وقالوا) الذكر من أولاد الضأن اذا هو كبر كبش والأنثى نعجة (والذكر) من أولاد المعز اذا كبر تيس والأنثى عنزة

﴿ فروق في السفاد ﴾

أدلى الفرس ليضرب وودى ليبول (وكل) ذكر يمذى (وكل) أنثى تقذى يقال أمنى الرجل ومنى وأمنى أجود والاسم المنى مشدد قال الله عز وجل من منى يمنى (والمذى) والودى مخففان فالمنى مايخرج عن الجماع من الماء الدافق والمذى مايخرج من الذكر عن الملاعبة والتقبيل (والودى) مايخرج بعد البول ويقال مذى وأمذى ومذى أكثر وودى ولا يقال أودى (ويقال) للشاة إذا أرادت الفحل حنت فهي حانية واستحرمت. أيضا (والاستحرام) لكل ذات ظلف (ويقال) للبقرة استقرعت (وللكلبة) صرفت واستجعلت (وكذلك) كل ذات مخلب (ويقال) لكل ذات حافر استودقت وودقت وللناقة استضبعت وضبعت (ويقال) جفر الفحل عن الابل وعدل اذا ترك الضراب (وربض) الكبش عن الغنم ولا يقال جفر (قال) الأصمعي وأبو زيد يقال للسباع كلها سفد يسفد سفادا وكذلك التيس والثور وكل طائر

ثوب الغنى وهم في ضيق من الاملاق فأولئك أولياء الله الذين مستهم الضراء فصبروا وكثرت الدنيا في يد غيرهم فما نظروا اليها اذ نظروا وينبغي أن يهيء لهم من أمرهم مرفقا ويضرب بينهم وبين الفقر موبقا وما أطلنا لك القول في هذه الوصية الا اعلاما بأنها من المهم الذي يستقبل ولا يستدبر ويستكثر منه ولا يستكثر وهذا يعد من جهاد النفس في بذل المال ويتلوه جهاد العدو الكافر في مواقف القتال وأمير المؤمنين يعرفك من ثوابه ماتحمل السيف في ملازمته أخاو تسخوله بنفسك ان كان أحد بنفسه سخا ومن صفاته انه العمل المحبوب بفضل الكرامة الذي ينمى أجره بعد صاحبه الى يوم القيامة وبه تمتحن طاعة الخالق على المخلوق وكل الأعمال عاطلة لاخلوق لها وهو المختص دونها برتبة الخلوق ولولا فضله لما كان محسوبا بشطر الايمان ولما جعل الله الجنة له ثمنا وليست لغيره من الاثمان وقد علمت أن العدو هو جارك الأدنى والذي يبلغك وتبلغه عينا وأذنا ولا تكون للاسلام نعم الجار حتى تكون له بئس الجار ولا عذر لك في ترك جهاده بنفسك ومالك اذا قامت لغيرك الأعذار وأمير المؤمنين لا يرضى منك بان تلقاه مكافحا أو تطرق أرضه مماسيا أو مصابحا بل يريد أن تقصد البلاد التي في يده قصد المستنقذ لا قصد المغير وأن تحكم فيها بحكم الله الذي قضاه على لسان سعد في بني قريظة والنضير وعلى الخصوص البيت المقدس فانه تلاد الاسلام القديم وأخو البيت الحرام في شرف التعظيم والذي توجهت اليه الوجوه من قبل بالسجود والتسليم وقد أصبح وهو يشكو طول المدة في أسر رقبته وأصبحت كلمة التوحيد وهي تشكو طول الوحشة في غربتها عنه وغربته فانهض اليه نهضة توغل في قرحه وتبذل صعب قياده بسمحه وان كان له عام حديبية فاتبعه بعام فتحه وهذه الاستزادة انما تكون بعد سداد مافي اليد من ثغر كان مهملا فحميت موارده أو مستهدما فرفعت قواعده ومن أهمها ماكان حاضر البحر فانه عورة مكشوفة وخطة مخوفة والعدو قريب منه على بعده وكثيرا ما يأتيه فجأة حتى يسبق برقه رعده فينبغي أن يرتب بهذه الثغور رابطة تكثر شجاعتها وتقل أقرانها ويكون قتالها لان تكون كلمة الله هي العليا لالان يرى مكانها وحينئذ يصبح كل منها وله من الرجال أسوار ويعلم أهله أن بناء السيف أمنع من بناء الأحجار ومع هذا لابد لها من أصطول يكثر عدده ويقوى مدده فانه العدة التي تستعين بها على كشف الغماء والاستكثار من سبايا العبيد والاماء وجيشه أخو الجيش السليماني فذاك يسير على متن الريح وهذا على متن الماء ومن صفات خيله أنها جمعت بين العوم والمطار وتساوت أقدار خلقها على اختلاف مدة الأعمار فاذا أشرعت قيل جبال متلفعة بقطع من الغيوم واذا نظر الى أشكالها قيل انها أهلة غير أنها تهتدي في مسيرها بالنجوم ومثل هذه الخيل ينبغي أن يغالي في جيادها ويستكثر من قيادها وليؤمر عليها أمير يلقى البحر بمثله من سعة صدره ويسلك طرقه سلوك من لم تقتله بجهلها ولكن قتلها بخبره وكذلك فليكن ممن أفنت الأيام تجاربه وزحمتها مناكبه وممن يذل الصعب اذا هو ساسه وان لان جانبه وهذا هو الرجل يرأس على القوم فلا يجد هزة بالرياسة وان كان في الساقة في الساقة أو كان في الحراسة في الحراسة ولقد أفلحت عصابة اعتصبت من ورائه وأيقنت بالنصر من رايته كما أيقنت بالنصر من رايه واعلم أنه قد أخل من الجهاد بركن يقدح في عمله وهو تمامه الذي يأتي في آخره كما أن صدق النية تأتي في أوله وذلك هو قسم الغنائم فان

الأيدي قد تداولته بالاجحاف وخلطت جهادها فيه بغلوها فلم ترجع بالكفاف والله قد جعل الظلم في تعدي حدوده المحدودة وجعل الاستئثار بالمغنم من أشراط الساعة الموعودة ونحن نعوذ به أن يكون زماننا هذا زمانه وبأسه شر باس ولم يستخلفنا على حفظ أو كان دينه ثم نهمله اهمال مضيع ولا اهمال ناس والذي نأمرك به أن تجري هذا الأمر المنصوص من حكمه وتبرىء ذمتك مما يكون غيرك الفائز بفوائده وأنت المطالب بأثمه وفي أرزاق المجاهدين بالديار المصرية والشامية مايغنيهم عن هذه الاكلة التي تكون غداً أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما فتصفح ماسطرنا لك في هذه الأساطير التي هي عزائم مبرمات بل آيات محكمات وتحبب الى الله والى أمير المؤمنين باقتفاء كلماتها وابن لك منها مجدا يبقى في عقبك اذا أصيبت البيوت في أعقابها وهذا التقليد ينطق عليك بأنه لم يأل في الوصايا التي أوصاها وأنه لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ثم انه قد ختم بدعوات دعا بها أمير المؤمنين عند ختامه وسأل فيها خيرة الله التي تتنزل من كل أمر بمنزلة نظامه ثم قال اللهم اني أشهدك على من قلدته شهادة تكون عليه رقيبة وله حسيبة فاني لم آمره الا بأوامر الحق التي فيها موعظة وذكرى وهي لمن تبعها هدى ورحمة وبشرى واذا أخذ بها بلج بحجته يوم يسأل عن الحجيج ولم يختلج دون رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحوض في جملة من يختلج وقيل لاحرج عليك ولا اثم اذ نجوت من ورطات الاسم والحرج والسلام ﴿وهذا الذي ذكرته﴾ من كلامي وكلام الصابي في هذه التقاليد الأربعة لم أقصد به الوضع من الرجل وانما ذكرت ما ذكرته لبيان موضع السجع الذي يثبت على المحك ولا شك أن هذا الوصف المشار اليه في فقر الاسجاع لم يكن مقصوداً في الزمن القديم اما لمكان عسره أو لانه لم يتنبه له وكيف أضع من الصابي وعلم الكتابة قد رفعه وهو امام هذا الفن والواحد فيه ولقد اعتبرت مكاتباته فوجدته قد أجاد في السلطانيات كل الاجادة وأحسن كل الاحسان ولو لم يكن له سوى كتابه الذي كتبه عن عز الدولة بختيار بن بويه الى سبكتكين عند خروجه عليه ومجاهرته اياه بالعصيان لاستحق به فضيلة التقدم كيف وله من السلطانيات ما أتى فيه بكل عجيبة لكنه في الاخوانيات مقصر وكذلك في كتب التعازي (وعندي فيه رأي) لم يره أحد غيري ولي فيه قول لم يقله أحد سواي وذلك ان عقل الرجل في كتابته زائد على فصاحته وبلاغته وسأبين ذلك فأقول لينظر الناظر في هذين التقليدين اللذين أوردتهما له فانه يرى وصايا وشروطا واستدراكات وأوامر ما بين أصل وفرع وكل وجزء وقليل وكثير ولا نرى ذلك في كلام غيره من الكتاب الا أنه عبر عن تلك الوصايا والاوامر والشروط والاستدراكات بعبارة في بعضها ما فيه من الضعف والركة وقد قيل ان زيادة العلم على المنطق هجنة وزيادة المنطق على العلم خدعة ومع هذا فاني أقر للرجل بالتقدم وأشهد له بالفضل (واذا فرغت) مما أردت تحقيقه في هذا الموضع فاني أرجع الى ما كنت بصدد ذكره من الكلام على السجع وقد تقدم من ذلك ما تقدم وبقي ما أنا ذاكره ههنا وهو أن السجع قد ينقسم الى ثلاثة أقسام (الأول) أن يكون الفصلان متساويين لا يزيد أحدهما على الآخر كقوله تعالى وأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وقوله تعالى والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا ألا ترى كيف جاءت هذه الفصول متساوية الأجزاء حتى كأنها أفرغت في قالب واحد

وأمثال

(ويقال) أيضا قرع الثور وكام الفرس وطرق وباك الحمار يبوك بوكا وقمط الطائر وقفط (وقال) أبو زيد القفط لذوات الظلف ويقال في السباع وفي الظلف (٩٦) (وفي) الحافر نزا ينزو نزوا ونزاء (والعيس) ماء الفحل ويقال انه اليرون وهو سم والزأجل ماء الظليم (وروبة) الفرس طرقه في جمامه

﴿ فروق في الحمل ﴾

كل ذات حافر نتوج وعقوق والناقة خلفة والجمع مخاض (وكل) سبعة ملمع وذلك إذا استقلت ضروعها للحمل واسودت حلماتها وذوات الحافر أيضا كذلك وكل مقرب من الحوامل فهو مجح (قال) أبو زيد أصل الاجحاح للسباع فاستعير في الانسان وأصل الحبل للنساء

﴿ فرق في الولادة ﴾

ان خرجت يد الجنين من الرحم قبل فهو الوجيه (وان) خرج شيء من خلقه قبل يديه فهو اليتن (وان) ألقت الناقة ولدها لغير تمام فقد خدجت (وان) ألقته لتمام العدة وهو ناقص الخلقة فقد أخدجت بالألف فهي مخدج والولد مخدج وأول ولد الرجل بكره والذكر والأنثى فيه سواء (وعجزة) أبويه آخر ولدهما والذكر والأنثى فيه سواء (ويقال) أصاف الرجل إذا ولد له على الكبر وولده صيفيون (وأربع) إذا ولد له في الشبيبة وولده ربعيون (والبكر) التي ولدت واحداً (والثني) التي ولدت اثنين (وإذا وضعت) الأنثى واحدا فهي مفرد وموحد وان وضعت اثنين فهي متئم

وأمثال ذلك في القرآن الكريم كثيرة وهو أشرف السجع منزلة للاعتدال الذي فيه (القسم الثاني) أن يكون الفصل الثاني أطول من الاول لا طولا يخرج به عن الاعتدال خروجا كثيرا فانه يقبح عند ذلك ويستكره ويعد عيبا فمما جاء من ذلك قوله تعالى بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا ألا ترى أن الفصل الأول ثمان لفظات والفصل الثاني والثالث تسع تسع (ومن ذلك) قوله تعالى في سورة مريم وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا وأمثال هذا في القرآن كثيرة ويستثنى من هذا القسم ما كان من السجع على ثلاثة فقر فان الفقرتين الاوليين يحسبان في عدة واحدة ثم يأتي الثالثة فينبغي أن تكون طويلة طولا يزيد عليهما فاذا كانت الاولى والثانية أربع لفظات أربع لفظات تكون الثالثة عشر لفظات أو احدى عشر مثال ذلك ما ذكرته في وصف صديق فقلت الصديق من لم يعتض عنك بخالف ولم يعاملك معاملة حالف واذا بلغته أذنه وشاية أقام عليها حد سارق أو قاذف فالاولى والثانية ههنا أربع لفظات أربع لفظات لان الاولى لم يعتض عنك بخالف والثانية ولم يعاملك معاملة حالف وجاءت الثالثة عشر لفظات وهكذا ينبغي أن يستعمل ما كان من هذا القبيل وان الاولى والثانية عن هذه العدة فتزاد الثالثة بالحساب وكذلك اذا نقصت الاولى والثانية عن هذه العدة فافهم ذلك وقس عليه الا أنه لا ينبغي أن تجعله قياسا مطردا في السجعات الثلاث أين وقعت من الكلام بل تعلم أن الجواز يعم الجانبين من التساوي في السجعات الثلاث ومن زيادة السجعة الثالثة ألا ترى أنه قد ورد ثلاث سجعات متساويات في القرآن الكريم كقوله تعالى وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود فهذه السجعات كلها من لفظتين لفظتين ولو جعلت الثالثة منها خمس لفظات أو ستا لما كان ذلك معيبا (القسم الثالث) أن يكون الفصل الآخر أقصر من الأول وهو عندي عيب فاحش وسبب ذلك أن السجع يكون قد استوفى أمده من الفصل الأول بحكم طوله ثم يجيء الفصل الثاني قصيرا عن الاول فيكون كالشيء المبتور فيبقى الانسان عند سماعه كمن يريد الانتهاء الى غاية فيعثر دونها (واذا انتهينا الى ههنا) وبينا أقسام السجع ولبه وقشوره فسنقول فيه قولا كليا وهو أن السجع على اختلاف أقسامه ضربان (أحدهما) يسمى السجع القصير وهو أن تكون كل واحدة من السجعتين مؤلفة من ألفاظ قليلة وكلما قلت الالفاظ كان أحسن لقرب الفواصل المسجوعة من سمع السامع وهذا الضرب أوعر السجع مذهبا وأبعده متناولا ولا يكاد استعماله يقع الا نادرا (والضرب الآخر) يسمى السجع الطويل وهو ضد الأول لانه أسهل متناولا وانما كان القصير من السجع أوعر مسلكا من الطويل لان المعنى اذا صيغ بألفاظ قصيرة عز مواتاة السجع فيه لقصر تلك الالفاظ وضيق المجال في استجلابه وأما الطويل فان الالفاظ تطول فيه ويستجلب له السجع من حيث وليس كما يقال وكان ذلك سهلا وكل واحد من هذين الضربين تتفاوت درجاته في عدة ألفاظ (أما السجع القصير) فأحسنه ما كان مؤلفا من لفظتين لفظتين كقوله تعالى والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا وقوله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ومنه ما يكون مؤلفا

﴿ فرق في الاصوات ﴾ أزمل كل شيء صوته (والجرس) صوت حركة الانسان (والركز) الصوت الخفي (وكذلك) الهمس (والخرير) صوت الماء (والغرغرة) صوت القدر وكذلك الهزة (والوسواس) صوت الحلي (والشخير) من الفم (والنخير) من المنخرين (والكرير) من الصدر وقال الاعشى

نفسي فداؤك يوم النزال
اذا كان دعوى الرجال الكريرا

وهو صوت المختنق وقال أبو زيد الكرير الحشرجة عند الموت ويقال (هجهجت) بالسبع إذا صحت به وزجرته ولا يقال ذلك لغير السبع (وشايعت) بالابل (ونعقت) بالغنم (وأشليت) الكلب دعوته (ودجدجت) بالدجاجة (وسأسأت) بالحمار (وجأجأت) بالابل دعوتها للشرب (وهأهأت) بها للعلف (ويقال) الفرس يصهل ويحمحم اذا طلب العلف (والخضيعة) والوقيب صوت بطنه (قال) أبو زيد وأبو عبيدة هو تقلقل الجردان في القنب (والبغل) يسحج (والحمار) يسحل وينهق (والجمل) يرغو ويهدر (والناقة) تئط وتحن (والثور) يخور ويجأر (واليعار) للمعز (والثؤاج) للضأن (والتيس) ينب ويهب اذا أراد السفاد (والاسد) يزئر وينهت ويئم (والزجرة) صوت صدره (والذئب) يعوي ويتضور اذا جاع (والثعلب) يضبح (والكلب) ينبح ويهر (والسنور) تهر وتموء وتأمو (والافعى) تفح بفيها وتكش بجلدها قال الشاعر

كشيش أفعى أجمعت بعض * فهي تحك بعضها ببعض

من ثلاثة ألفاظ وأربعة وخمسة وكذلك الى العشرة ومازاد على ذلك فهو من السجع الطويل فمما جاء منه قوله تعالى والنجم إذا هوى ماضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى وقوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر (وأما السجع الطويل) فان درجاته تتفاوت أيضا فى الطول فمنه مايقرب من السجع القصير وهو أن يكون تأليفه من احدى عشرة إلى اثنتى عشرة لفظة وأكثره خمس عشرة لفظة كقوله تعالى ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عنى انه لفرح فخور فالاولى احدى عشرة لفظة والثانية ثلاث عشرة لفظة وكذلك قوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم (ومن السجع الطويل) مايكون تأليفه من العشرين لفظة فماحولها كقوله تعالى اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور * ومن السجع الطويل أيضا مايزيد على هذه العدة المذكورة وهو غير مضبوط (واعلم) أن التصريع فى الشعر بمنزلة السجع فى الفصلين من الكلام المنثور وفائدته فى الشعر أنه قبل كمال البيت الأول من القصيدة تعلم قافيتها وشبه البيت المصرع بباب له مصراعان متشاكلان وقد فعل ذلك القدماء والمحدثون وفيه دلالة على سعة القدرة فى أفانين الكلام فأما اذا كثر التصريع فى القصيدة فلست أراه مختارا الا ان هذه الاصناف من التصريع والترصيع والتجنيس وغيرها انما يحسن منها فى الكلام ماقل وجرى مجرى الغرة من الوجه أو كان كالطراز من الثوب فأما اذا تواترت وكثرت فانها لاتكون مرضية لما فيها من أمارات الكلفة وهو عندى ينقسم إلى سبع مراتب وذلك شىء لم يذكره على هذا الوجه أحد غيرى (فالمرتبة الأولى) وهى أعلى التصريع درجة أن يكون كل مصراع من البيت مستقلا بنفسه فى فهم معناه غير محتاج إلى صاحبه الذى يليه ويسمى التصريع الكامل وذلك كقول امرىء القيس

أفاطم مهلا بعد هذا التدلل * وان كنت قد أزمعت هجرا فأجملى

فان كل مصراع من هذا البيت مفهوم المعنى بنفسه غير محتاج إلى ما يليه وعليه ورد قول المتنبي

اذا كان مدح فالنسيب المقدم * أكل فصيح قال شعرا متيم

(المرتبة الثانية) أن يكون المصراع الاول مستقلا بنفسه غير محتاج الى الذى يليه فاذا جاء الذى يليه كان مرتبطا به كقول امرىء القيس

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فالمصراع الأول غير محتاج الى الثانى فى فهم معناه لكن لما جاء الثانى صار مرتبطا به وكذلك ورد قول أبى تمام

ألم يأن أن تروى الظماء الحوائم * وأن ينظم الشمل المبدد ناظم

وعليه ورد قول المتنبي

الرأى قبل شجاعة الشجعان * هو أول وهى المحل الثانى

(المرتبة الثالثة) أن يكون الشاعر مخيرا فى وضع كل مصراع موضع صاحبه ويسمى التصريع الموجه وذلك كقول ابن الحجاج البغدادى

(والحية) تنضنض ويقال النضنضة تحريك لسانها (وابن آوى) يعوى (والغراب) ينغق بالغين المعجمة وينعب (والديك) يزقو ويسقع (والدجاجة) تنق وتنقض اذا أرادت البيض (والنسر) يصفر (والحمام) يهدر ويهدل (والمكاء) يزقو ويغرد (والقرد) يضحك (والنعام) يعار عرارا يقال ذلك فى الظليم والانثى تزمر زمارا (والخنزير) يقبع (والظبي) ينزب نزيبا (والارنب) تضغب (والعقرب) تنق وتصئى ويقال صأى الفرخ والخنزير والفأرة واليربوع يصئى صئيا (والضفادع) تنق وتنقض وكذلك الفراريج (والجن تعزف)

﴿معرفة فى الطعام والشراب﴾

طعام العرس (الوليمة) وطعام البناء (الوكيرة) وطعام الولادة (الخرس) وما تطعمه النفساء نفسها (خرسة) وطعام الختان (اعذار) وطعام القادم من سفره (نقيعة) وكل طعام صنع لدعوة (مأدبة) ومأدبة جميعا ويقال فلان يدعو النقرى إذا خص وفلان يدعو الجفلى (والاجفلى) اذا عم قال طرفة

نحن فى المشتاة ندعوا الجفلى * لاترى الآدب فينا ينتقر

ويقال للداخل على القوم وهم يطعمون ولم يدع (الوارش) وللداخل على القوم وهم يشربون ولم يدع (الواغل) واسم ذلك الشراب الوغل (والضيفن) الذى يجىء مع الضيف ولم يدع (والارشم) هو الذى يتشمم الطعام ويحرص عليه قال البعيث * فجاءت بيتن للضيافة أرشما * من (والبشم) فى الطعام (والبغر) فى الماء وعير رجل من قريش فقيل مات أبوك بشما * وماتت أمك بغرا *

من شروط الصبوح فى المهرجان * خفة الشرب مع خلو المكان

فان هذا البيت يجعل مصراعه الأول ثانيا ومصراعه الثانى أولا وهذه المرتبة كالثانية فى الجودة (المرتبة الرابعة) أن يكون المصراع الأول غير مستقل بنفسه ولا يفهم معناه إلا بالثانى ويسمى التصريع الناقص وليس بمرضي ولا حسن فمما ورد منه قول المتنبي

مغانى الشعب طيبا فى المغانى * بمنزلة الربيع من الزمان

فان المصراع الأول لا يستقل بنفسه فى فهم معناه دون أن يذكر المصراع الثانى (المرتبة الخامسة) أن يكون التصريع فى البيت بلفظة واحدة وسطا وقافية ويسمى التصريع المكرر وهو ينقسم قسمين أحدهما أقرب حالا من الآخر فالأول أن يكون بلفظة حقيقية لا مجاز فيها وهو أنزل الدرجتين كقول عبيد بن الأبرص

فكل ذى غيبة يؤب * وغائب الموت لا يؤب

القسم الآخر أن يكون التصريع بلفظة مجازية يختلف المعنى فيها كقول أبى تمام

فتى كان شربا للعفاة ومرتعا * فأصبح للهندية البيض مرتعا

(المرتبة السادسة) أن يذكر المصراع الأول ويكون معلقا على صفة يأتى ذكرها فى أول المصراع الثانى ويسمى التصريع المعلق فمما ورد منه قول امرىء القيس

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى * بصبح وما الاصباح منك بأمثل

فان المصراع الأول معلق على قوله بصبح وهذا معيب جدا وعليه ورد قول المتنبى

قد علم البين منا البين أجفانا * تدمي وألف فى ذا القلب أحزانا

فان المصراع الأول معلق على قوله تدمى (المرتبة السابعة) أن يكون التصريع فى البيت مخالفا لقافيته ويسمى التصريع المشطور وهو أنزل درجات التصريع وأقبحها فمن ذلك قول أبى نواس أقلنى قد ندمت على الذنوب * وبالاقرار عذت عن الجحود

فصرع بحرف الباء فى وسط البيت ثم قفاه بحرف الدال وهذا لا يكاد يستعمل الا قليلا نادرا (النوع الثانى فى التجنيس) اعلم أن التجنيس غرة شادخة فى وجه الكلام وقد تصرف العلماء من أرباب هذه الصناعة فيه فغربوا وشرقوا ولاسيما المحدثين منهم وصنف الناس فيه كتبا كثيرة وجعلوه أبوابا متعددة واختلفوا فى ذلك وأدخلوا بعض تلك الأبواب فى بعض فمنهم عبد الله بن المعتز وأبو على الحاتمى والقاضى أبو الحسين الجرجانى وقدامة بن جعفر الكاتب وغيرهم وانما سمى هذا النوع من الكلام مجانسا لان حروف ألفاظه يكون تركيبها من جنس واحد (وحقيقته) أن يكون اللفظ واحدا والمعنى مختلفا وعلى هذا فانه هو اللفظ المشترك وما عداه فليس من التجنيس الحقيقى فى شىء الا أنه قد خرج من ذلك ما يسمى تجنيسا وتلك تسمية بالمشابهة لا لأنها دالة على حقيقة المسمى بعينه وعلى هذا فانى نظرت فى التجنيس وما شابه به فأجرى مجراه فوجدته ينقسم الى سبعة أقسام واحد منها يدل على حقيقة التجنيس لان لفظه واحد لا يختلف وستة أقسام مشبهة (فأما القسم الاول) فهو أن تتساوى حروف ألفاظه فى تركيبها ووزنها كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة وليس فى القرآن الكريم سوى هذه الآية فاعرفها ويروى فى الاخبار النبوية أن الصحابة نازعوا جرير بن عبد الله البجلى زمامه فقال رسول الله ﷺ خلوا بين جرير والجرير أى دعوا زمامه ومما جاء منه فى الشعر قول أبى تمام

صل اللحم واصل تغير وهو نىء (وخم واخم) تغير وهو شواء وطبيخ (وسنخ) الدهن ونمس (والنقاة) ما يلقى من الطعام وهو مثل نقايته والنقاوة خياره (والجود) الجوع والجواد العطش (قرمت) الى اللحم (وعمت) الى اللبن ويدى (٩٩) من اللحم (غمرة) وزهمة (والزهم) الشحم ومن الزبد واللبن (وضرة) قال الشاعر

سيغنى أبا الهندى عن وطب سالم * أباريق لم يعلق بها وضر الزبد

(ومن السمك سهكة)

﴿ الاشربة ﴾

الماء (الفرات) العذب (والاجاج) الملح يقال ماء ملح ولا يقال مالح قال الله عز وجل هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج (والشريب) الماء الذى فيه عذوبة وهو يشرب على ما فيه (والشروب) دونه فى العذوبة وليس يشرب الا عند الضرورة والماء (النمير) النامى فى الجسد وان كان غير عذب (والقهوة) الخمر سميت بذلك لأنها تقهى أى تذهب بشهوة الطعام قال الكسائى قد أقهى الرجل اذا قل طعمه (والشمول) لانها تشتمل على عقل صاحبها (والعقار) لانها عاقرت الدن أى لازمته ويقال أخذ من عقر الحوض وهو مقام الشاربة (والخندريس) لقدمها ومنه حنطة خندريس قال الاصمعى أحسبه بالرومية وكذلك (الاسفنط والنبيذ) لانه نبذ أى ترك حتى أدرك (والبتع) نبيذ العسل وحده وهو يتخذ بمصر (والجعة) نبيذ الشعير والمزر (والسكركة) من الذرة وهو شراب الحبشة (والطلاء) الخمر ومنهم من يجعله ما طبخ بالنار حتى ذهب ثلثاه وبقى ثلثه شبه

بطلاء الابل وهو القطران فى ثخنه وسواده والعلماء بلغة العرب يجعلون الطلاء الخمر بعينها ويحتجون بقول عبيد هى الخمر تكنى الطلاء * كما الذئب يكنى أباجعده (والمقدى) شراب كانت الخلفاء من بنى أمية تشربه

فأصبحت غرر الايام مشرقة * بالنصر تضحك عن أيامك الغرر

فالغرر الأولى استعارة من غرر الوجه والغرر الثانية مأخوذة من غرة الشيء أكرمه فاللفظ اذا واحد والمعنى مختلف وكذلك قوله

من القوم جعد أبيض الوجه والندى * وليس بنان يجتدى منه بالجعد

فالجعد السيد والبنان الجعد ضد البسيط فأحدهما يوصف به السخى والآخر يوصف به البخيل وكذلك قوله

بكل فتى ضرب يعرض للقنا * محي محلى حليه الطعن والضرب

فالضرب الرجل الخفيف والضرب بالسيف فى الحرب وكذلك قوله

عداك حر الثغور المستضامة عن * برد الثغور وعن سلسالها الحصب

فالثغور جمع ثغر وهو واحد الأسنان وهو أيضا البلد الذى على تخوم العدو ثم قال فى هذه القصيدة

كم أحرزت قضب الهندى مصلتة * تهتز من قضب تهتز فى كثب

بيض اذا انتضيت من حجبها رجعت * أحق بالبيض أبدانا من الحجب

فالقضب السيوف والقضب القدود على حكم الاستعارة وكذلك البيض السيوف والبيض النساء وهذا من النادر الذى لا يتعلق به أحد وكذلك قوله

اذا الخيل جابت قسطل الحرب صدعوا * صدور العوالى فى صدور الكتائب

فلفظ الصدور فى هذا البيت واحد والمعنى مختلف وكذلك قوله

حامى وحام العيس بين وديقة * مسجورة وتنوفة صيهود

حتى أغادر كل يوم بالفلا * للطير عيدا من بنات العيد

فالعيد فحل من فحول الابل والعيد اليوم المعروف من الأيام وقد أكثر أبو تمام من التجنيس فى شعره فمنه ما أغرب فيه فاحسن كالذى ذكرته ومنه ما أتى به كريها مستثقلا كقوله

ويوم أرشق والهيجاء قد رشقت * من المنية رشقا وابلا قصفا

وكقوله يامضغنا خالدا لك الثكل ان * خالد حقدا عليك فى خلده

وكقوله وأهل موقان اذ ماقوا فلا وزر * انجاهم منك فى الهيجا ولا سند

وكقوله مهلا بني مالك لاتحالن الى * حى الأراقم دؤلول الله الرقم

ثم قال فيها ان الرديفية اللأى اذا عسلت * تشم بو الصغار الأنف ذا الشمم

وكقوله قرت بقران عين الدين واشتترت * بالاشترين عيون الشرك فاصطلما

وله من هذا الغث البارد المتكلف شيء كثير لاحاجة الى استقصائه بل قد أوردنا منه قليلا يستدل به على امثاله ومن الحسن فى هذا الباب قول أبى نواس

عباس عباس اذا احتدم الوغى * والفضل فضل والربيع ربيع

وكذلك قوله فقل لأبى العباس ان كنت مذنبا * فأنت أحق الناس بالأخذ بالفضل

فلا تجحدونى ود عشرين حجة * ولا تفسدوا ما كان منكم من الفضل

وعلى هذا النهج ورد قول البحترى

اذا العين راحت وهى عين على الهوى * فليس بسر ما تسر الأضالع

فالعين الجاسوس والعين معروفة وكذلك ورد قول بعضهم

بالشام (والمزاء) شراب يقال انه انما سمى بذلك لقولهم هذا الشراب أمز من ذا أى أفضل ولهذا الشراب مز على هذا أى فضل منه وقيل للخمرة مزة ومزة لايريدون الحموضة لأن الحموضة عيب فيها ويقال للحامضة (خمطة) ويقال قيل لها مزة للذعها اللسان ويقال الخمطة التى أخذت شيئا من الريح قال الهذلى

عقاركما النيء ليست بخمطة
ولاخلة يكوى الشروب شهابها

(والكسيس) السكر قال الشاعر

وان تسق من أعناب وج فاننا
لنا العين تجرى من كسيس ومن خمر

(والمصفق) الممزوج (وكذلك) المشعشع (والمعرق) والنياطل مكاييل الخمر واحدها ناطل (والقمحان) شبيه بالذريرة يعلو الخمر ويقال هو الزبد

﴿ باب معرفة اللبن ﴾

اللبن (الصريف) الحار منه حين يحلب فاذا سكنت رغوته فهو الصريح (والمحض) الخالص الذى لم يخالطه الماء حلوا كان أو حامضا فاذا أخذ شيئا من التغير فهو (حامط) فاذا حذا اللسان فهو (قارص) فاذا خثر وترى فهو (رائب) فاذا اشتدت حموضته فهو حازر (والمذيق) المخلوط بالماء ومنه يقال فلان يمزق الود اذا لم يخلصه (والدواية) ماركب اللبن كأنه جلد

وترى سوابق دمعها فتوا كفت * ساق تجاوب فوق ساق ساقا

فالساق ساق الشجرة والساق القمري من الطيور وعلى هذا الاسلوب جاء قول بعض المتأخرين وهو الشاعر المعروف بالمعري في قصيدة قصد بها التجنيس في كثير من أبياتها فمن ذلك ما أورده في مطلعها لو زارنا طيف ذات الخال أحيانا * ونحن في حفر الاجداث أحيانا

(ثم قال في أبياتها)

تقول أنت امرؤ جاف مغالطة * فقلت لاهومت أجفان أجفانا

(وكذا قال في آخرها)

لم يبق غيرك انسانا يلاذ به * فلا برحت لعين الدهر انسانا

ورأيت الغانمي قد ذكر في كتابه بابا وسماه رد الاعجاز على الصدور خارجا عن باب التجنيس وهو ضرب منه وقسم من جملة أقسامه كالذي نحن بصدد ذكره ههنا فما أورده الغانمي من الامثلة في ذلك قول بعضهم

ونشرى بجميل الصنـ * ـع ذكرا طيب النشر
ونفرى بسيوف الهنـ * ـد من أسرف في النفر
ويجرى في شرى الحمد * على شاكلة البحر

(وكذلك قول بعضهم في الشيب)

يا بياضا أذرى دموعي حتى * عاد منها سواد عيني بياضا

(وكذلك قول البحتري)

وأغر في الزمن البهيم محجل * قد رحت منه على أغر محجل
كالهيكل المبنى الا أنه * في الحسن جاء كصورة في هيكل

وليس الأخذ على المعاني في ذلك مناقشة على الاسماء وانما المناقشة على أن ينصب نفسه لايراد علم البيان وتفصيل أبوابه ويكون أحد الابواب الذي ذكرناها داخلا في الآخر فيذهب عليه ذلك ويخفى عنه وهو أشهر من فلق الصباح وربما جهل بعض الناس فادخل في التجنيس ما ليس منه نظرا الى مساواة اللفظ دون اختلاف المعنى فمن ذلك قول أبي تمام

أظن الدمع في خدى سيبقى * رسوما من بكائي في الرسوم

وهذا ليس من التجنيس في شيء اذ حد التجنيس هو اتفاق اللفظ واختلاف المعنى وهذا البيت المشار اليه هو اتفاق اللفظ والمعنى معا وهذا مما ينبغي أن ينبه عليه ليعرف ومن علماء البيان من جعل له اسما سماه به وهو الترديد أي أن اللفظة الواحدة رددت فيه وحيث نبهت عليه ههنا فلا احتياج أن أعقد له بابا أفرده بالذكر فيه (وأما الاقسام الستة) المشبهة بالتجنيس (فالقسم الاول) منها أن تكون الحروف متساوية في تركيبها مختلفة في وزنها فما جاء من ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم كما حسنت خلقي حسن خلقي ألا ترى أن هاتين اللفظتين متساويتان في التركيب مختلفتان في الوزن لان تركيب الخلق والخلق من ثلاثة أحرف وهي الخاء واللام والقاف الا أنهما قد اختلفا في الوزن اذ وزن الخلق فعل بفتح الفاء ووزن الخلق فعل بضم الفاء ومن هذا القسم قول بعضهم لا تنال غرر المعالي الا بركوب الغرر واهتبال الغرر

(وقال البحتري)

وفر الخائن المغرور يرجو * أمانا أي ساعة ما أمان

«الطعام» السلفة ما يتعجله الرجل من الطعام قبل الغذاء وهو اللهنة ويقال فلان يأكل الوجبة إذا أكل في اليوم مرة واحدة (والتمطق) بالشفتين ضم احداهما مع الأخرى مع صوت يكون بينهما (١٠١) (والتلمظ) تحريك الشفتين بعد الاكل كأنه يتتبع بذلك شيئا من الطعام بين أسنانه وتعرف العرب من أطبخة أهل الحضر وصنيعهم (المضيرة) سميت بذلك لانها طبخت باللبن الماضر وهو الحامض وتعرف (الهريسة) سميت بذلك لانها تهرس أي تدق وتعرف (العصيدة) لانها تعصد أي تلوى ومنه قيل للاوى عنقه عاصد وكذلك (اللفيتة) سميت بذلك لانها تلفت أي تلوى والعرب تسمى الفالوذ (سرطراطا) سميت بذلك للاستراط وهو الابتلاع ومنه يقال في المثل لا تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتعقى يقال أعقى الشيء اذا اشتدت مرارته

«فرقة في قوائم الحيوان»

قال أبو زيد في فرسن البعير (السلامى) وهي عظام الفرسن ثم قصبها ثم الرسغ ثم الوظيف ثم فوق الوظيف من يد البعير الذراع ثم فوق الذراع العضد ثم فوق العضد الكتف هذا في كل يد وفي رجله بعد الفرسن الرسغ ثم الوظيف ثم الساق ثم فوق الساق الفخذ ثم الورك ويقال لموضع الفرسن من الفرس والبغل والحمار الحافر ثم الرسغ ثم الوظيف ثم الذراع ثم العضد ثم الكتف هذا في كل يد وفي كل رجل الحافر ثم الرسغ ثم الوظيف ثم الساق ثم الفخذ ثم الورك وفي الغنم والبقر في اليد الظلف ثم

الرسغ ثم الكراع ثم الذراع ثم العضد ثم الكتف وفي الرجل الظلف ثم الرسغ ثم الكراع ثم الساق ثم الفخذ ثم الورك قال أبو زيد السباع لها مخالب وهي (١٠٢) أظافيرها يقال ظفر وأظفار وأظفور وأظافير (والبراثن) منها بمنزلة الاصابع

يهاب الالتفات وقد تهيا * للحظة طرفه طرف السنان

(وكذلك ورد قول الآخر)

قد ذبت بين حشاشة ودماء * ما بين حرهوى وحر هواء

(القسم الثاني) من المشبه بالتجنيس وهو أن تكون الالفاظ متساوية في الوزن مختلفة في التركيب بحرف واحد لاغير وان زاد على ذلك خرج من باب التجنيس فمما جاء منه قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فان هاتين اللفظتين على وزن واحد الا أن تركيبهما مختلف في حرف واحد وكذلك قوله تعالى وهم ينهون عنه وينأون عنه وكذلك قوله تعالى ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون وعلى نحو من هذا ورد قول النبي صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير وقال بعضهم لاتنال المكارم الا بالمكاره وقال أبو تمام

يمدون من أيد عواص عواصم * تصول بأسياف قواض قواضم

(وقال البحتري)

من كل ساجي الطرف أغيد أجيد * ومهفهف الكشحين أحوى أحور

(وكذلك قوله)

شواجر أرماح تقطع بينهم * شواجن أرحام ملوم قطوعها

(القسم الثالث) من المشبه بالتجنيس وهو أن تكون الالفاظ مختلفة في الوزن والتركيب بحرف واحد كقوله تعالى والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق وقوله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وكذلك ورد قوله صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم الناس من لسانه ويده (ودخل ثعلب) صاحب كتاب الفصيح على أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ومجلسه غاص فجلس الى جانبه ثم أقبل عليه وقال أخاف أن أكون ضيقت عليك على أنه لا يضيق مجلس بمتحابين ولاتسع الدنيا بأسرها متباغضين فقال له أحمد الصديق لايحاسب والعدو لايحتسب له وهذا كلام حسن من كلا الرجلين والتجنيس في كلام أحمد رحمه الله في قوله يحاسب ويحتسب له (وقد جاء لي شيء من ذلك) عليه خفة الطبع لا ثقل التطبع (فمنه ماذكرته) في فصل من كتاب الى ديوان الخلافة يتضمن ذكر الجهاد فقلت وخيل الله قد اشتاقت أن يقال لها اركبي وسيوفه قد تطلعت أن يقال لها اضربي ومواطن الجهاد قد بعد عهدها باستسقاء شآبيب النحور وأنيات ربيع الذباب والنسور وماذاك الا لان العدو اذا طاب تقمص ثوب اذلاله وتنصل من صحة نصاله واعتصم بمعاقله التي لافرق بينها وبين عقاله (ومن ذلك) ماذكرته في وصف كريم فقلت وقد جعل الله حرمه ملتقى الجفان وملتقى الاجفان فهو حمى لمن جنى عليه زمانه وجار لمن بعد عنه جيرانه (ومن ذلك) ماذكرته في فصل من كتاب الى ديوان الخلافة وهو ولقد استبان الخادم من بركة طاعته مايعمى عنه غيره فما يراه ووجد من أثره في صلاح دنياه مااستدل به على صلاح أخراه فهو المركب المنجي والعمل المرجو لا المرجى والمعنى المراد بهداية الصراط المستقيم وتأويل قوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم (ومن ذلك) ماذكرته في أثناء كتاب الى بعض الاخوان وذلك وصف بعض المنعمين فقلت نحن من حسن شيمه وفواضل احسانه بين هند وهنيدة ومن

من يد الانسان ورجله واحدها برثن ولكل سبع كفان في يديه لانه يكف بهما على ما أخذ والصقر له كفان في رجليه لانه يكف على الشيء بهما ومخالبه وظفره واحد

(فرق في الضروع)

(الضرع) لكل ذات ظلف (والخلف) لكل ذات خف (والطبي) للسباع وذوات الحافر وجمعه أطباء وقد يجعل أيضا لذوات الخف والخلف لذوات الظلف والثدي للمرأة

(فرق في الرحم والذكر)

(الحياء) لكل ذات ظلف وخف ممدود (والظبية) لكل ذات حافر (والثفر) لكل ذات مخالب (والرحم) للمرأة (والغرمول) قضيب كل ذي حافر (وغلافه) القنب (والمقلم) قضيب البعير وغلافه الثيل فأما التيس فله القضيب

(فرق في الارواث)

نجو السبع وجعره وروث الدابة وكل ذي حافر وبعر الشاة وخثي الثور وجعه

اخثاء وزرق الطائر وزرقه وخرؤه وثلط البعير الرقيق منه والبعر اليابس وصوم النعامة وونيم الذباب قال الشاعر لقد ونيم الذباب عليه حتى * كأن ونيمه نقط المداد (والحصر) احتباس البطن الحدث (والاسر) احتباس البول

بمن نقيبته وأمانة غيبه بين أم معبد وأبي عبيدة (ومن ذلك) ماذكرته فى مطلع كتاب الى بعض الاخوان فقلت الكتب وان عدها قوم عرضا من الاعراض وتقالوها حتى قالوا هى سواد فى بياض فان لها عند الاخوان وجها وسيما ومحلا كريما وهى حمائم القلوب اذا فارق حميم حميما ومن أحسنها كتاب سيدنا ثم مضيت على هذا النهج الى آخر الكتاب (ومن هذا القسم)

قول أبى تمام — أيام تدمي عينه تلك الدما * فيها وتقمر لبة الاقمار

وكذلك قوله — بيض فهن إذا رمقن سوافر * صور وهن إذا رمقن صوار

وكذلك قوله — بدر أطالت فيك بادرة النوى * ولعا وشمس أولعت بشماس

وكذلك قوله — كادوا النبوة والهدى فتقطعت * أعناقهم فى ذلك المضمار

جهلوا فلم يستكثروا من طاعة * معروفة بعمارة الاعمار

وكذلك قوله — إن الرماح إذا غرسن بمشهد * فجنى العوالى فى ذراه معالى

وكذلك قوله — إذا أحسن الاقوام أن يتطاولوا * بلا نعمة أحسنت أن تتطولا

وكذلك قوله — أى ربع يكذب الدهر عنه * وهو ملقى على طريق الليالى

بين حال جنت عليه وحول * فهو نضو الاحوال والاحوال

شد ما استنزلتك عن دمعك الاظعان حتى استهل صوب العزالى

أى حسن فى الذاهبين تولى * وجمال على ظهور الجمال

ودلال مخيم فى ذرى الخيم وحجل معصم فى الحجال

فالبيت الثانى والخامس هما المقصودان بالتمثيل ههنا والابيات الباقية جاءت تبعا ومما جاء من ذلك قول على بن جبلة

وكم لك من يوم رفعت بناءه * بذات جفون أو بذات جفان

(وكذلك قول محمد بن وهيب الحميرى)

قسمت صروف الدهر بأسا ونائلا * فمالك موتور وسيفك واتر

وهذا من المليح النادر ومن هذا القسم قول البحترى

جدير بأن تنشق عن ضوء وجهه * ضبابة نقع تحتها الموت ناقع

وكذلك قوله — نسيم الروض فى ريح شمال * وصوب المزن فى راح شمول

(وذم أعرابى رجلا) فقال كان إذا سأل ألحف وإذا سئل سوف يحسد على الفضل ويزهد فى الافضال (القسم الرابع) من المشبه بالتجنيس ويسمى المعكوس وذلك ضربان أحدهما عكس الالفاظ والآخر عكس الحروف (فالاول) كقول بعضهم عادات السادات سادات العادات وكقول الآخر شيم الاحرار أحرار الشيم ومن هذا النوع ما ورد شعرا قول الاضبط ابن قريع من شعراء الجاهلية

قد يجمع المال غير آكله * ويأكل المال غير من جمعه

ويقطع الثوب غير لابسه * ويلبس الثوب غير من قطعه

وكذلك ورد قول أبى الطيب المتنبى

فلا مجد فى الدنيا لمن قل ماله * ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده

وكذلك قول الشريف الرضى من أبيات يذم فيها الزمان

(معرفة فى الوحوش) (الآرام) الظباء البيض الخوالص البياض (والادم) ظباء طوال الاعناق والقوائم بيض البطون سمر الظهور وهى أسرع الظباء عدوا وهى تسكن الجبال (والعفر) ظباء يعلو بياضها حمرة قصار الاعناق وهى أضعف الظباء عدوا وهى تسكن القفاف وصلابة الارض (ونعاج) الرمل هى البقر واحدتها نعجة ولا يقال لغير البقر من الوحش نعاج (والشاة) الثور من الوحش قال الاعشى

وكان انطلاق الشاة من حيث خيما خيم أقام

(حجرة السباع ومواضع الطير)

يقال لجحر الضبع (وجار) ولجحر الثعلب والارنب (مكا) مقصور ومكو (والنافقاء) والراهطاء والداماء (والقاصعاء) حجرة اليربوع إذا أخذ عليه منها واحد خرج من آخر (وعرين) الاسد (وعريسته) واحد وأفحوص القطاة مجثمها لانها تفحصه (وأدحى) النعامة كذلك لأنها تدحوه وتقديره أفعول (وعش) الطائر وقرموصه ووكره واحد (والوكنة) موقعه

(فرق فى أسماء الجماعات)

يقال لجماعة الظباء والبقر (أجل) وجمعه آجال وربرب (والصوار) جماعة البقر خاصة (والجماعة) الحمير عانة (والجماعة) النعام خيط (والجماعة) القطا والظباء والنساء سرب (والجماعة) الجراد رجل يقال مر بنا رجل من جراد (والجماعة) النحل دبر وثول وخشرم ولا واحد لشيء من هذا (والذود) من الابل ما بين الثلاثة الى العشرة (وفوق) ذلك الصرمة الى الاربعين (وفوق) ذلك

اسف بمن يطير الى المعالى * وطار بمن يسف الى الدنايا

(وكذلك قول الآخر)

ان الليالى للانام مناهل * تطوى وتنشر بينها الاعمار

فقصارهن من الهموم طويلة * وطوالهن من السرور قصار

وأحسن من هذا كله وألطفه قول ابن الزقاق الاندلسى

غير تنايد الزمان * فقد شبت والتحى فاستحال الضحى دجا * واستحال الدجا ضحى

وهذا الضرب من التجنيس له حلاوة وعليه رونق وقد سماه قدامة بن جعفر الكاتب التبديل وذلك اسم مناسب لمسماه لأن مؤلف الكلام يأتى بما كان مقدما فى جزء كلامه الاول مؤخرا فى الثانى وبما كان مؤخرا فى الاول مقدما فى الثانى ومثله قدامة بقول بعضهم اشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكرك (ومن هذا القسم) قوله تعالى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحي وكذلك ورد قول النبى صلى الله عليه وسلم جار الدار أحق بدار الجار (وكتب على بن أبى طالب) رضى الله عنه الى عبد الله ابن عباس رضى الله عنه كتابا فقال أما بعد فان الانسان يسره درك مالم يكن ليفوته ويسوءه فوت مالم يكن ليدركه فلا تكن بما نلت من دنياك فرحا ولا بما فاتك منها ترحا ولا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ويؤخر التوبة بطول أمل وكأن قد والسلام (وروى عن أبى تمام) أنه لما قصد عبد الله بن طاهر بن الحسين بخراسان وامتدحه بقصيدته المشهورة التى مطلعها * أهن عوادى يوسف وصواحبه * أنكر عليه أبو سعيد الضرير وأبو العميثل هذا الابتداء وقالا لم لا يقول ما يفهم فقال لم لا يفهمان ما يقال فاستحسن منه هذا الجواب على الفور وهو من التجنيس المشار اليه (وقد جاء لى شىء منه) كقولى فى فصل من كتاب يتضمن فتحا وهو فكم كان فى افتراع عذرة الحصن من افتراع عذرة حصان وكم حيز به من سنان لحظ استرقه لحظ سنان (وكذلك) قولى فى صدر كتاب الى ديوان الخلافة وهو الخادم يبلغ خدمته الى ذلك الجناب التى تمطره الشفاه قبلا وتوسعه العفاة املا وترى الخول به ملوكا والملوك خولا وطاعته هى محك الاعمال التى أشير اليها بقوله تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا (وكذلك) ورد قولى أيضا وهو فصل من تقليد وزير فقلت وقد صدق الله لهجة المثنى عليك أن يقول انك الرجل الذى تضرب به الامثال والمهذب الذى لا يقال معه أى الرجال وإذا وازرت مملكة فقد حظيت منك بشد أزرها وسد ثغرها وأصبحت وأنت صدر لقلبها وقلب لصدرها فهى مزدانة منك بالفضل المتين معانة بالقوى الامين (وأما الضرب الثانى) من هذا القسم وهو عكس الحروف فهو كقول بعضهم

أهديت شيئا يقل لولا * أحدوثة الفال والتبرك

كرسى تفاءلت فيه لما * رأيت مقلوبه يسرك

(وكذلك قول الآخر)

كيف السرور باقبال وآخره * إذا تأملته مقلوب إقبال

وأجود من هذا كله قول الآخر

جاذبتها والريح تجذب عقربا * من فوق خد مثل قلب العقرب

وطفقت ألثم ثغرها فتمنعت * وتحجبت عنى بقلب العقرب

الهجمة الى مازادت وقال أبو عبيدة (والعكرة) ما بين الخمسين الى المائة وقال الاصمعى ما بين الخمسين الى السبعين (وهنيدة) المائة لا تدخل فيها ألف ولام ولا تصرف قال جرير اعطوا هنيدة يحدوها ثمانية * ما فى عطائهم من ولا سرف

والسرف الخطأ ههنا (ويقال) للضأن الكثيرة ثلة (وللمعزى) الكثيرة عيلة فاذا اجتمعت الضأن والمعزى فكثرتا قيل لهما ثلة (والثلة) الصوف يقال كساء جيد الثلة ولا يقال للشعر ولا للوبر ثلة فاذا اجتمع الصوف والوبر والشعر قيل عند فلان ثلة كثيرة قال أبو زيد الفزر من الضأن ما بين العشر الى الاربعين (والصبة) من المعز مثل ذلك (والثلة) بضم الثاء القطعة من الناس قال الله عز وجل ثلة من الاولين وقليل من الآخرين ويقال لجماعة الخيل رعيل (والقطعة) منها رعلة (والجماعة) الناس فئام (وقالوا) النفر والرهط ما دون العشرة (والعصبة) من العشرة إلى الاربعين (والقبيل) الجماعة يكونون من الثلاثة فصاعدا من قوم شتى وجمعه قبل (والقبيلة) بنو أب واحد قال ابن الكلبى الشعب أكبر من القبيلة ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ وقال غيره الشعب ثم القبيلة ثم الفصيلة أسرة الرجل رهطه الادنون وفصيلته وعترته كذلك (والعشيرة) تكون للقبيلة ولمن دونهم ولمن قرب اليه من أهل بيته (والركب) أصحاب الابل وهم العشرة ونحو ذلك (والاركوب) أكثر منهم (والركاب) الابل

إذا

وإذا قلب لفظ عقرب صار برقعا وهذا الضرب نادر الاستعمال لأنه قل ما يقع كلمة تقلب حروفها فيجيء معناها صوابا (القسم الخامس) من المشبه بالتجنيس ويسمى المجنب وذلك أن يجمع مؤلف الكلام بين كلمتين احداهما كالتبع للأخرى والجنيبة لها كقول بعضهم

أبا العباس لا تحسب بأني * لشيء من حلى الاشعار عاري

فلي طبع كسلسال معين * زلال من ذرا الأحجار جاري

وهذا القسم عندي فيه نظر لأنه بلزوم ما لا يلزم أولى منه بالتجنيس ألا ترى أن التجنيس هو اتفاق اللفظ واختلاف المعنى وههنا لم يتفق الاجزء من اللفظ وهو أقله وأما اللزوم في الكلام المنثور فهو تساوي الحروف التي قبل الفواصل المسجوعة وهذا هو كذلك لأن العين والراء تساويا في البيت الأول في قوله الاشعار وعار والجيم والراء في البيت الثاني في قوله الأحجار وجار (القسم السادس) من المشبه بالتجنيس وهو ما يساوي وزنه تركيبه غير أن حروفه تتقدم وتتأخر وذلك كقول أبي تمام

بيض الصفائح لا سود الصحائف في * متونهن جلاء الشك والريب

فالصفائح والصحائف مما تقدمت حروفه وتأخرت وقد ورد في الكلام المنثور كقوله ﷺ في فضيلة تلاوة القرآن الكريم يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرأ فقوله ﷺ اقرأ وارق من التجنيس المشار اليه في هذا القسم (النوع الثالث في الترصيع) وهو مأخوذ من ترصيع العقد وذلك أن يكون في أحد جانبي العقد من اللآلي مثل ما في الجانب الآخر وكذلك نجعل هذا في الألفاظ المنثورة من الاسجاع وهو أن تكون كل لفظة من ألفاظ الفصل الأول مساوية لكل لفظة من ألفاظ الفصل الثاني في الوزن والقافية وهذا لا يوجد في كتاب الله تعالى لما هو عليه من زيادة التكلف فأما قول من ذهب إلى أن في كتاب الله منه شيئا ومثله بقوله تعالى ان الأبرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم فليس الامر كما وقع له فان لفظة لفي قد وردت في الفقرتين معا وهذا يخالف شرط الترصيع الذي شرطناه لكنه قريب منه وأما الشعر فاني كنت أقول انه لا يتزن على هذه الشريطة ولم أجده في أشعار العرب لما فيه من تعمق الصنعة وتعسف الكلفة واذا جيء به في الشعر لم يكن عليه محض الطلاوة التي تكون إذا جيء به في الكلام المنثور ثم اني عثرت عليه في شعر المحدثين ولكنه قليل جدا فمن ذلك قول بعضهم

فمكارم أوليتها متبرعا * وجرائم ألغيتها متورعا

فمكارم بازاء جرائم وأوليتها بازاء ألغيتها ومتبرعا بازاء متورعا وقد أجاز بعضهم أن يكون أحد ألفاظ الفصل الاول مخالفا لما يقابله من الفصل الثاني وهذا ليس بشيء لمخالفته حقيقة الترصيع (فمما جاء من هذا النوع) منثورا قول الحريري في مقاماته فهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ويقرع الاسماع بزواجر وعظه فانه جعل ألفاظ الفصل الأول مساوية لألفاظ الفصل الثاني وزنا وقافية فجعل يطبع بازاء يقرع والاسجاع بازاء الاسماع وجواهر بازاء زواجر ولفظه بازاء وعظه (ومما جاءني في هذا النوع) ما ذكرته في جواب كتاب إلى بعض الاخوان وهو قد أعدت الجواب ولم أستعر له نظما ملفقا ولا جلبت اليه حسنا منمقا بل أخرجته على رسله وغنيت بصقال حسنه عن صقله فجاء كما تراه غير ممشوط ولا مخطوط فهو

﴿معرفة في الشاء﴾ (الجدود) من الضأن القليلة (الدر) وهي المصور من المعزى (شاة) لبون في غنم لبن ولبن اذا كان بها لبن غزيرة كانت أو بكيئة (وشاة) لبنة اذا كانت كثيرة اللبن (نعجة) رغوث (وعنز) (١٠٥) ربى (وأعنز) رباب (وهي) التي وضعت حديثا (والجداء) من الشاء التي خف ضرعها فان يبس أحد خلفيها فهي شطور فأما الشطور من الابل فالتي يبس خلفان من أخلافها لأن لها أربعة أخلاف (فان) يبس منها ثلاثة فهي ثلوث (يقال) جززت النعجة والكبش وحلقت العنز والتيس ولا يقال جززتها وهذه حلاقة المعزى (العقيقة) صوف الجذع (والجنيبة) صوف الثني قال أبو زيد في (شيات) الضأن (الرقطاء) التي فيها سواد وبياض (والنمراء) مثلها فان اسود رأسها فهي (رأساء) فان ابيض رأسها من بين جسدها فهي (رخماء) فان اسودت احدى العينين وابيضت الأخرى فهي (خوصاء) فان اسودت العنق فهي (درعاء) فان ابيضت خاصرتاها فهي (خصفاء) فان ابيضت شاكلتها فهي (شكلاء) فان ابيضت رجلاها مع الخاصرتين فهي خرجاء فان ابيضت احدى رجليها فهي (رجلاء) فان ابيضت أوظفتها فهي (حجلاء وجذماء) فان ابيض وسطها فهي (جوزاء) فان اسود ظهرها فهي (رحلاء) فان اسود طرف ذنبها فهي (صبغاء) فان اسودت أطراف أذنيها فهي مطرفة وهذا إذا كانت هذه المواضع مخالفة لسائر الجسد من سواد أو بياض ومن المعزى

(الذراء) وهي الرقشاء الأذنين وسائرها أسود (والنبطاء) البيضاء الجنب (والغشواء) التي غشي وجهها كله بياض (والوشحاء) المتوشحة ببياض (والعصماء) (١٠٦) البيضاء اليدين ولذلك قيل للوعول عصم (والعقصاء) التي التوى قرناها على أذنيها من خلفها (والقبلاء) التي أقبل قرناها على وجهها (والنصباء) المنتصبة القرنين (والشرقاء) التي انشقت أذناها طولا (والخذماء) التي انشقت أذنها عرضا (والقصواء) المقطوعة طرف الاذن (قال) أبو زيد خصيت الفحل خصاء إذا نزعت أنثييه فاذا رضضتها فقد وجأته وهو الوجاء ومنه قيل في الحديث الصوم وجاء فاذا شددتها حتى تندرا فقد عصبته عصبا

﴿معرفة في الآلات﴾

المحلات القربة والفاس والقداحة والدلو والشفرة والقدر (وانما قيل) لها محلات لأن الذي تكون معه يحل حيث شاء والا فلابد له ان ينزل مع الناس (والفاس) هي التي لها رأس واحد (والحدأة) التي لها رأسان وجمعها حدأ (والصاقور) فاس عظيمة لها رأس تكسر بها الحجارة وهي المعول (والكرزين) فاس عظيمة يقطع بها الشجر (والعلاة) السندان ومنه الحديث أن آدم صلى الله عليه وسلم هبط معه بالعلاة (والعتلة) وهي البيرم (والحمت) زقاق السمن واحدها حميت وكذلك الانحاء واحدها نحى (والوطاب) زقاق اللبن واحدها وطب (والذوارع) زقاق الخمر ولم أسمع لها بواحد (والاسقية) للماء واسم الزق يجمع ذلك كله والحمت

يرفل في أثواب بذاته وقد حوى الجمال بجملته والحسن ما وشته فطرة التصوير لا ما حشته فكرة التزوير والترصيع في قولي وشته فطرة التصوير وحشته فكرة التزوير وكذلك ورد قولي في فصل من الكلام يتضمن تثقيف الأولاد فقلت من قوّم أود أولاده ضرّم كمد حساده فهذه الألفاظ متكافئة في ترصيعها فقوم بازاء ضرم وأود بازاء كمد وأولاده بازاء حساده وكذلك قول بعضهم في الأمثال المولدة التي لم ترد عن العرب وهو من أطاع غضبه أضاع أدبه فأطاع بازاء أضاع وغضبه بازاء أدبه * وقد ورد هذا الضرب كثيرا في الخطب التي أنشأها الشيخ الخطيب عبد الرحيم بن نباتة رحمه الله (فمن ذلك) قوله في أول خطبة الحمد لله عاقد أزمة الأمور بعزائم أمره وحاصد أئمة الغرور بقواصم مكره وموفق عبيده لمغانم ذكره ومحقق مواعيده بلوازم شكره فالألفاظ التي جاءت في الفصلين الأولين متساوية وزنا وقافية والتي جاءت في الفصلين الآخرين فيها تخالف في الوزن فان مواعيد تخالف وزن عبيد ولا تخالف قافيتها التي هي الدال (ومن ذلك) قوله أيضا في جملة خطبة أولئك الذين أفلوا فنجمتم ورحلوا فأقمتم وأبادهم الموت كما علمتم وأنتم الطامعون في البقاء بعدهم كما زعمتم كلا والله ما أشخصوا لتقروا ولا نغصوا لتسروا ولابد أن تمروا حيث مروا فلا تثقوا بخدع الدنيا ولا تغتروا وهذا الكلام فيه أيضا ما في الذي قبله من صحة الوزن والقافية وصحة القافية دون الوزن (وكذلك) قوله أيضا في خطبة أخرى أيها الناس أسيموا القلوب في رياض الحكم وأديموا النحيب على ابيضاض اللمم وأطيلوا الاعتبار بانتقاص النعم وأجيلوا الافكار في انقراض الأمم ﴿وأما ما ورد في الشعر﴾ على مخالفة بعض الألفاظ بعضا فكقول ذي الرمة كحلاء في برج صفراء في عج * كأنها فضة قد مسها ذهب

وصدر هذا البيت مرصع وعجزه خال من الترصيع وعذر الشاعر في ذلك واضح لأنه مقيد بالوقوف مع الوزن والقافية ألا ترى أن ذا الرمة بنى قصيدته على حرف الباء ولو رصع هذا البيت الترصيع الحقيقي لكان يلزمه أن يأتي بألفاظه على حرفين حرفين أحدهما الباء أو كان يقسم البيت نصفين ويماثل بين ألفاظ هذا النصف وهذا النصف وذلك مما يعسر وقوعه في الشعر وأرباب هذه الصناعة قد قسموا الترصيع إلى هذين القسمين المذكورين وهذه القسمة لا أراها صوابا لأن حقيقة الترصيع موجودة في القسم الأول دون الثاني ومما جاء من هذا القسم الثاني قول الخنساء

حامي الحقيقة محمود الخليقة * مهدي الطريقة نفاع وضرار

﴿وكذلك قول الآخر﴾

سود ذوائبها بيض ترائبها * محض ضرائبها صيغت من الكرم

(النوع الرابع في لزوم ما لا يلزم) وهو من أشق هذه الصناعة مذهبا وأبعدها مسلكا وذلك لأن مؤلفه يلتزم ما لا يلزمه فان اللازم في هذا الموضع وما جرى مجراه انما هو السجع الذي هو تساوي أجزاء الفواصل من الكلام المنثور في قوافيها وهذا فيه زيادة على ذلك وهو أن تكون الحروف التي قبل الفاصلة حرفا واحدا وهو في الشعر أن تتساوى الحروف التي قبل روي الابيات الشعرية وقد جمع أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان في ذلك كتابا وسماه كتاب اللزوم فأتى فيه بالجيد الذي يحمد والرديء الذي يذم وسأذكر في كتابي هذا في هذا الموضع

الموضع أمثلة من المنثور والمنظوم يهتدى بها (فمن ذلك) ماذكرته فى جملة كتاب فى فصل يتضمن ذم جبان فقلت إذا نزل به خطب ملكه الفرق واذا ضل فى أمر لم يؤمن الا إذا أدركه الغرق (ومن ذلك) ماذكرته فى مبدأ كتاب الى بعض الاخوان فقلت الخادم يهدى من دعائه وثنائه ما يسلك أحدهما سماء والآخر أرضا ويصون أحدهما نفسا والآخر عرضا وأعجب مافيهما أنهما توأمان غير أن هذا مستنتج من ضمير القلب وهذا من نطق اللسان فاللزوم ههنا فى الراء والضاد (وكذلك) وردقولى فى جملة كتاب الى ديوان الخلافة فقلت وقد علم من شيم الديوان العزيز أنه يسر بامتداد الايدى الى بابه واذا أغب أحدها فى المسئلة نهاه عن اغبابه حتى لايخلو حرمه الكريم من المطاف ولايده الكريمة من الاسعاف فاللزوم ههنا فى لفظتى بابه واغبابه (ومن ذلك) ما كتبته فى جملة كتاب الى ديوان الخلافة أيضا وهو ومهما شد به عضد الخادم من الانعام فانه قوة لليد التى خولته ولايقوى تصمد السحب الابكثرة غيثها الذى أنزلته وغير خاف أن عبيد الدولة لها كالعمد من طرافها ومركز الدائرة من أطرافها ولا يؤيد السيف الا بقائمه ولاينهض الجناح الا بقوادمه فاللزوم فى هذا الموضع فى الراء والفاء فى قولى طراف وأطراف (ومن ذلك) ما كتبته فى صدر كتاب الى الملك الافضل على بن يوسف أهنيه بملك مصر فى سنة خمس وتسعين وخمسمائة فقلت المملوك يهنى مولانا بنعمة الله المؤذنة باستخلاصه واحتبائه وتمكينه حتى يبلغ أشده واستخرج كنز آبائه ولو أنصف لهنى الارض منه بوابلها والامة بكافلها وخصوصا أرض مصر التى خصت بشرف سكناه وغدت بين بحرين من فيض البحر وفيض يمناه وكل هذه الفصول المذكورة من هذه المكتوبات التى أنشأتها لا كلفة على كلمات اللزوم فيها (وقرأت فى كتاب الاغانى لابى الفرج) أن لقيط بن زرارة تزوج بنت قيس بن خالد بن ذى الجدين فحظيت عنده وحظى عندها ثم قتل فآمت بعده وتزوجت زوجا غيره فكانت كثيرا ماتذكر لقيطا فلامها على ذلك فقالت انه خرج فى يوم دجن وقد تطيب وشرب فطرد البقر فصرع منها ثم أتانى وبه نضح دم فضمنى ضمة وشمنى شمة فليتنى مت ثمة فلم أر منظرا كان أحسن من لقيط فقولها ضمنى ضمة وشمنى شمة فليتنى مت ثمة من الكلام الحلو فى باب اللزوم ولا كلفة عليه وهكذا فليكن فان الكلفة وحشة تذهب برونق الصنعة وماينبغى لمؤلف الكلام أن يستعمل هذا النوع حتى يجىء به متكلفا ومثاله فى هذا المقام كمن أخذ موضوعا رديئا فأجاد فيه صنعته فانه يكون عند ذلك قد راعى الفرع وأهمل الاصل فأضاع جودة الصنعة فى رداءة الموضوع وقد سلك ذلك أبو العلاء المعرى أحمد بن عبد الله بن سليمان فمما جاء من ذلك قوله فى حرف التاء مع الخاء

بنت عن الدنيا ولابنت لى * فيها ولاعرس ولاأخت
وقد تحملت من الوزر ما * تعجز أن تحمله البخت
ان مدحونى ساءنى مدحهم * وخلت أنى فى الثرى سخت

(وله من ذلك الجيد كقوله)

لاتطلبن بآلة لك حاجة * قلم البليغ بغير جد مغزل
سكن السماكان السماء كلاهما * هذا له رمح وهذا أعزل

وهذا بين الاسترسال وبين الكلفة وأما ماتكلف له تكلفا ظاهرا وان أجاد فقوله

أيضا تكون للعسل (قال) أبو زيد يقال لمسك السخلة مادامت ترضع (الشكوة) فاذا فطم فمسكه (البدرة) فاذا أجذع فمسكه (السقاء) وهو نصاب السكين والمدية (وجزأة) الاشفى والمخصف (الكر) الحبل يصعد به على (١٠٧) النخل ولايكون كرا الا كذلك (والمسد) يكون من ليف وخوص وجلود وسمى مسدا بالمسد وهو الفتل والضفر (والمطمر) الخيط الذى يقدر به البناء وهو الامام أيضا (والمقوس) الحبل الذى يمد بين يدى الخيل فى الحلبة وهو المقبض أيضا ومنه قيل أخذت فلانا على المقبض (والخيط) الذى يرفع به الميزان هو العذبة (والحديدة) المعترضة التى فيها اللسان هى المنجم (ويقال) لما يكتنف اللسان منها الغياران (والسعدانات) العقد التى فى أسفل الميزان (والحلقة) التى يجمع فيها الخيوط فى طرف الحديدة هى الكظامة (والخشبتان) اللتان تعترضان على الدلو كالصليب هما العرقوتان (والسيور) التى بين آذان الدلو والعراقى هى الوذم (والعناج) فى الدلو الثقيلة حبل أو بطان يشد تحتها ثم يشد الى العراقى فيكون عونا للوذم (فان كانت) الدلو خفيفة شد خيط فى احدى آذانها الى العرقوة (والكرب) ان يشد الحبل على العراقى ثم يثنى ثم يثلث قال الحطيئة

قوم إذا عقدوا عقدا لجارهم * شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

(والدرك) حبل يوثق به طرف الحبل الكبير ليكون هو الذى يلى الماء فلا يعفن الحبل (وفرغ) الدلو مخرج الماء من بين العرقوتين (وفى البكرة المحور)

وهو العمود الذى فى وسط البكرة وربما كان من حديد (والخطاف) هو الذى تجرى فيه البكرة اذا كان من حديد فان كان من خشب فهو القعو (والقب) الذى فى وسط البكرة وله اسنان من خشب (والسنة) حديدة الفدان وهى السكة (والنير) هو الخشبة التى تكون على عنق الثور (والمقوم) الخشبة التى يمسكها الحراث (والمنسعة) الريش المجموع الذى ينسع به الخبز أى يغرز به (والمسياع) المالج (والسياع) الطين بالتبن (والمنقاف) المصقلة التى تخرج من البحر (وفى الحياض) العقر مؤخر الحوض (والازاء) مصب الماء فيه (والصنبور) مثقبه (وعضد) الحوض من ازائه الى مؤخره (والمدلج) ما بين الحوض الى البئر (والمنحاة) ما بين البئر الى منتهى السانية (والزرنوقان) منارتان تبنيان على رأس البئر من حجارة وهما قرنان فان كانتا من خشب فهما دعامتان (والنعامة) الخشبة المعترضة على الزرنوقين (والقتب) جميع اداة السانية

تنازع فى الدنيا سواك وماله * ولا لك شىء فى الحقيقة فيها
ولكنها ملك لرب مقدر * يعير جنوب الارض مرتد فيها
ولم تحظ من ذاك النزاع بطائل * من الامر الا أن تعد سفيها
فيا نفس لا تعظم عليك خطوبها * فتفقوها مثل مختلفيها
تداعوا الى النزر القليل فجالدوا * عليه وخلوها لمغتر فيها
وما أم صل أو حليلة ضيغم * باظلم من دنياك فاعتر فيها
تلاقى الوفود القادميها بفرحة * وتبكى على آثارها منصر فيها
وماهى الاشوكة ليس عندها * وجدك ارطاب لمختر فيها
كما نبذت للطير والوحش رازم * فألقت شرورا بين مختطفيها
يبات عن الانصاف من ضيم لم يجد * سبيلا الى غايات منتصفيها
فأطبقوا لما عنها وكفوا ومقالة * وقل لغوى الناس فالك افيها

ومن ذلك

أرى الدنيا وماوصفت ببر * إذا أغنت فقيرا أرهقته
اذا خشيت لشر عجلته * وان رجيت لخير عوقته
حبالات كالحبالة ذات مكر * ونفس المرء صيدا أعلقته
فلا يخدع بحيلتها أريب * وان هى سورته ونطقته
أذاقته شهيا من جناها * وصدت فاه عما ذوقته

وقد ورد للعرب شىء من ذلك الا أنه قليل فمما جاء منه قول بعضهم فى أبيات الحماسة

ان التى زعمت فؤادك ملها * خلقت هواك كما خلقت هوى لها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها * بلباقة فأدقها وأجلها
حجبت تحيتها فقلت لصاحبى * ما كان أكثرها لنا وأقلها
واذا وجدت لها وساوس سلوة * شفع الضمير الى الفؤاد فسلها

وهذا من اللطافة على مايشهد لنفسه (ومما يجرى هذا المجرى) قول حجر بن حية العبسى من شعراء الحماسة أيضا

ولا أدوم قدرى بعد ما نضجت * بخلا فتمنع مافيها أثافيها
حتى تقسم شتى بين ماوسعت * ولا يؤنب تحت الليل عافيها

ومما ورد من ذلك أيضا قول طرفة بن العبد البكرى

ألم تر أن المال يكسب أهله * فضوحا اذا لم يعط منه نواسبه
أرى كل مال لامحالة ذاهبا * وأفضله ماورث الحمد كاسبه

(وكذلك قول الفرزدق)

وغير لون راحلتى ولونى * تردى الهواجر واعتمامى
أقول لها اذا ضجرت وغصت * بوركة الوراك مع الزمام
علام تلفتين وأنت تحتى * وخير الناس كلهم امامى

(وكذلك قوله أيضا)

منع الحياة من الرجال ونفعها * حدق تقلبها النساء مراض

﴿معرفة فى الثياب واللباس﴾

(الربطة) كل ملاءة لم تكن لفقين (والحلة) لا تكون الا ثوبين (والنقبة) قطعة من الثوب قدر السراويل تجعل لها حجزة مخيطة من غير نيفق ويشد كما يشد السراويل فان لم تكن لها حجزة ولا ساقان فهى النطاق فان كان لها حجزة وساقان ونيفق فهى السراويل وكان (والقرقل) القميص لا كمى له (وطرة) الثوب وصنفته وكفته واحد وهو الجانب الذى ليس فيه هدب وحواشى الثوب جوانبه كلها

وكأن أفئدة الرجال إذا ارأوا * حدق النساء لنبلها أغراض

واذا شئت أن تعلم مقادير الكلام وكان لك ذوق صحيح فانظر الى هذا العربي في كلامه السهل الذي كأنه ماء جار وانظر الى ما أوردته لابي العلاء المعري فان أثر الكلفة عليه باد ظاهر (وممن) قصد من العرب قصيده كله على اللزوم كثير عزة وهي القصيدة التي أولها

خليلي هذا ربع عزة فاعقلا * قلوصيكما ثم احللا حيث حلت

وهذه القصيدة تزيد على عشرين بيتا وهي مع ذلك سهلة لينة تكاد تترقرق من لينها وسهولتها وليس عليها من أثر الكلافة شيء ولولا خوف الاطالة لأوردتها بجملتها وقد ذكر بعضهم من هذا النوع ما ورد في أبيات الحماسة وهو

وفيشة ليست كهذي الفيش * قد ملئت من ترف وطيش
إذا بدت قلت أمير الجيش * من ذاقها يعرف طعم العيش

وهذا ليس من باب اللزوم لان اللزوم هو أن يلتزم الناظم والناثر مالا يلزمه كقولنا شرق وفرق مثلا فانه لو قيل بدلا من ذلك شرق وحنق لجاز ذلك وفي هذه الابيات لا يقع الامر كذلك لانه لو قيل طيش وعرش لما جاز وهذا يقال له الردف في الشعر وهو الياء والواو قبل حرف الروي واذا جيء بذلك في الشعر وفي الكلام المنثور لا يقال انه التزام ما يلزم لان الملتزم ما لا يلزم له مندوحة في العدول إلى غيره وههنا لا مندوحة (ومن لطيف ذلك) ما يروى لامرأة من البصرة مجنت بأبي نواس فقالت

ان حرى حزنبل حزابيه * إذا قعدت فوقه نبا بيه * كالارنب الجاثم فوق الرابية

(وكذلك ورد قول أبي تمام وهو)

خدم العلا فخدمنه وهي التي * لا تخدم الاقوام ما لم تخدم
فاذا ارتقى في قلة من سودد * قالت له الاخرى بلغت تقدم

(وعلى هذا الاسلوب قوله أيضا)

ولو جربتني لو جدت خرقا * يصافي الاكرمين ولا يصادي
جديرا أن يكر الطرف شزرا * الى بعض الموارد وهو صادي

(وله من أبيات تتضمن مرثية)

لقد فجعت عتابة وزهيرة * وثعلبة أخرى الليالي ووائله
ومبتدر المعروف تسري هباته * اليهم ولا تسري اليهم غوائله
طواه الردى طي الرداء وغيبت * فضائله عن قومه وفواضله
طوى شيما كانت تروح وتغتدي * وسائل من أعيت عليه وسائله
فيا عارضا للعرف أقلع مزنه * ويا واديا للجود جفت مسايله
ألم ترني أنزفت عيني على أبي * محمد النجم المشرق آفله
وأخلصتها فيه كما لو أتيته * طريد الليالي أخلصتني نوافله

وهذا من أحسن ما يجيء في هذا الباب وليس بمتكلف كشعر أبي العلاء فان حسن هذا مطبوع وحسن ذاك مصنوع وكذلك أقول في غير اللزوم من الانواع المذكورة أولا فان

(وزمام النعل) ماجرى فيه شسعها بين الابهام والسبابة (وقبالها) مثله بين الاصبع الوسطى والتي تليها (والوصوصة) تضييق النقاب فان أنزلته الى المحجز فهي النقاب وهو طرف الانف (اللفام) وهو على الفم اللثام ويقال حسر عن رأسه وسفر عن وجهه وكشف رجليه (والاضطباع) أن تجمع طرفي ازارك على منكبك الايسر وتخرج أحد الطرفين من تحت يدك اليمنى وتبرز منكبك الايمن (واشتمال) الصماء أن تجلل نفسك بثوبك ولا ترفع شيئا من جوانبه (والسدل) أن تسدل ثوبك ولا تجمعه تحت يديك (وبرد مفوف) أي فيه نقش وأصله من الفوف في الظفر وهو البياض في أظفار الاحداث

﴿ معرفة في السلاح ﴾

يقال رجل تراس اذا كان معه ترس فاذا لم يكن معه ترس فهو أكشف (ورجل) سائف وسياف اذا كان معه سيف فاذا لم يكن معه سيف فهو أميل (وقيل) المسيف الذي عليه السيف فاذا ضرب به فهو سائف (وعصوت) بالعصا فانا أصوبها إذا ضربت بها والاصل في السيف مأخوذ من العصا ففرق بينهما (ورجل) رامح اذا كان معه رمح فان لم يكن معه رمح فهو أجم (ورجل) دارع اذا كان عليه درع فان لم تكن عليه درع فهو حاسر (ورجل) نبال ونابل اذا كان معه نبل فان كان يعملها فهو نابل وتقول استنبلني فأنبلته أي أعطيته نبلا فان كان مع الرجل سيف ونبل فهو قارن (ورجل سالح) أي معه سلاح فان كان كامل الاداة فهو مؤد

ومدجج وشاك فى السلاح فاذالم يكن معه سلاح فهو أعزل فاذا كان عليه مغفر فهو مقنع فاذا لبس فوق درعه ثوبا فهو كافر وقد كفر فوق درعه وتقول (١١٠) هذا رجل متقوس قوسه ومتنبل نبله اذا كان معه قوس ونبل (السيف) ذباب السيف حد طرفه (وحداه) من جانبيه ظبتاه (والعير) هو الناشز فى وسطه (وغراره) ما بين ظبته و بين العير من وجهى السيف جميعا (والسيلان) من السيف (والسكين) الحديدة التي تدخل فى النصاب ويقال للذى لا سيف معه أميل والذى لارمح معه أجم والذى لاترس معه أكشف (الرمح) الجبة مادخل فيه الزج من السنان (والثعلب) مادخل من الزج فى السنان وما تحت الثعلب الى مقدار ذراعين يدعى عامل الرمح وماتحت ذلك الى النصف عالية الرمح وماتحت ذلك الى الزج يدعى سافلة الرمح (القوس) سية القوس ماعطف من طرفيها (والعجس والمعجس) مقبض الرامي والكظر الفرض الذى فيه الوتر (والنعل) العقبة التى يلبسها ظهر السية (والخلل) السيور التى تلبس ظهور السيتين (والغفارة) الرقعة التى تكون على الحز الذى يجرى عليه الوتر (والعتل) القسى الفارسية (والاطنابة) السير الذى على رأس الوتر (السهم) الفوق من السهم موضع الوتر (وحرفا) الفسوق الشرخان (والعقبة) التى يجمع الفوق هى الاطرة (والرعظ) مدخل النصل فى السهم (والرصاف) العقب الذى فوق الرعظ (وريش) السهم يقال له القذذ واحدته قذة (والاقذ) الجهال

الالفاظ إذا صدرت فيها عن سهولة خاطر وسلاسة طبع وكانت غير مستجلبة ولا متكلفة جاءت غير محتاجة إلى التأنق ولاشك أن صورة الخلقة غير صورة التخالق ﴿ فان قيل ﴾ ما الفرق بين المتكلف من هـذه الانواع وغير المتكلف ﴿ قلت فى الجواب ﴾ أما المتكلف فهو الذى يأتى بالفكرة والروية وذلك أن ينضى الخاطر فى طلبه ويبعث على تتبعه واقتصاص أثره وغير المتكلف يأتى مستريحا من ذلك كله وهو أن يكون الشاعر فى نظم قصيدته أو الخطيب أو الكاتب فى انشاء خطبته أو كتابته فبيناهو كذلك اذ سنح له نوع من هذه الانواع بالاتفاق لا بالسعى والطلب ألا ترى الى قول أبى نواس فى مثل هـذا الموضع

اترك الاطلال لاتعبأ بها * انها من كل بؤس دانيه
وانعت الراح على تحريمها * انما دنياك دار فانيه
من عقار من رآها قال لى * صيدت الشمس لنا فى آنيه

(وعلى هـذه السهولة واللطافة ورد قوله أيضا)

كم من غلام ذى تحاسين * أفسده ناطف ياسين

وهذا ياسين كان يبيع الناطف ببغداد (وحكى ابراهيم البندنيجى) قال رأيت شيخا ضعيفا يبيع ناطفا فقلت له ياشيخ أمازلت فى هذه الصناعة قال مذكنت ولكن الحال كانت واسعة والسلعة نافقة وكنت ممن يشار الى حتى قال أبو نواس فى وأنشد هذا البيت فانظر أيها المتأمل ما أحلى لفظ أبى نواس فى لزومه وماأعراه عن الكلفة وكذلك فلتكن الالفاظ فى اللزوم وغيره (واعلم) أنه اذا صغرت الكلمة الاخيرة من الشعر أو من فواصل الكلام المنثور فان ذلك ملحق باللزوم ويكون التصغير عوضا عن تساوى الحروف التى قبل روى الابيات الشعرية والحروف التى قبل الفاصلة من النثر فمن ذلك قول بعضهم

عز على ليلى بذى سدير * سوء مبيتى ليلة الغميرى
مقبضا نفسى فى طميرى * تنتهز الرعدة فى ظهيرى
يهفو الى الزور من صديرى * ظمآن فى ريح وفى مطيرى
وازرقر ليس بالغريرى * من لد ماظهر الي سحيرى
حتى بدت لى جبهة القمير * لأربع خلون من شهير

وهذا من محاسن الصنعة فى هذا الباب فاعرفه وأحسن منه ماورد عن أبى نواس وعن عنان جارية النطاف وله معها حكايات كثيرة غير هـذه فقال أبو نواس

أما ترى لصب * يكفيه منك قطيره

فقالت عنان اياى تعنى بهـذا * عليك فاجلد عميره

فقال أبو نواس أخاف ان رمت هـذا * على يدى منك غيره

فالبيتان الاول والثانى من هذا الباب والثالث جاء تبعا وقد ورد فى القرآن الكريم شىء من اللزوم الا أنه يسير جدا (فمن ذلك) قوله تعالى اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق وقوله تعالى والطور وكتاب مسطور وكذلك ورد قوله تعالى فى هذه السورة فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون وربما وقع بعض

القدح الذى لاريش عليه (والمريش) ذوالريش (والنكس) من السهام الذى انكسر فجعل أسفله أعلاه ﴿ النصال ﴾ فى النصل قرنته وهى طرفه وهى ظبته (والعير) هو الناشز فى وسطه (والغراران) (١١١) الشفرتان منه (والكليتان)

الجهال فى هذا الموضع فأدخل فيه ماليس منه كقوله تعالى ان المتقين فى جنات ونعيم فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم وهذا لايدخل فى باب اللزوم لان الاصل فيه نعم وجحم والياء هى من حروف المد واللين فلا يعتد بها ههنا ﴿ ومن هذا الباب ﴾ قوله تعالى وأصحاب اليمين ماأصحاب اليمين فى سدر مخضود وطلح منضود وكذلك ورد قوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما تعملون بصير وان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير (وعلى هذا الاسلوب) جاء قوله تعالى فى قصة ابراهيم عليه السلام يا أبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا وعلى نحو هذا جاء قوله تعالى قال قرينه ربنا ماأطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد قال لا تختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد ولا تجد أمثال ذلك فى القرآن الا قليلا ﴿النوع الخامس فى الموازنة ﴾ وهى أن تكون ألفاظ الفواصل من الكلام المنثور متساوية فى الوزن وأن يكون صدر البيت الشعرى وعجزه متساوى الالفاظ وزنا وللكلام بذلك طلاوة ورونق وسببه الاعتدال لانه مطلوب فى جميع الاشياء واذا كانت مقاطع الكلام معتدلة وقعت من النفس موقع الاستحسان وهذا لامراء فيه لوضوحه وهذا النوع من الكلام هو أخو السجع فى المعادلة دون المماثلة لان فى السجع اعتدالا وزيادة على الاعتدال وهى تماثل أجزاء الفواصل لورودها على حرف واحد وأما الموازنة ففيها الاعتدال الموجود فى السجع ولا تماثل فى فواصلها فيقال إذا كل سجع موازنة وليس كل موازنة سجعا وعلى هذا فالسجع أخص من الموازنة (فما جاء منها) قوله تعالى وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم فالمستبين والمستقيم على وزن واحد وكذلك قوله تعالى فى سورة مريم عليها السلام واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا وكذلك قوله تعالى فى سورة طه من أعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا وكذلك ورد قوله تعالى فى سورة حم عسق والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا ان الذين يمارون فى الساعة لفى ضلال بعيد الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم وان الظالمين لهم عذاب أليم ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير وهذه الآيات جميعها على وزن واحد فان شديد وقريب وبعيد وعزيز ونصيب وأليم وكبير كل ذلك على وزن فعيل وان اختلف حروف المقاطع التى هى فواصلها وأمثال هذا فى القرآن كثير بل معظم آياته جارية على هذا النهج حتى انه لا تخلو

ما عن يمين النصل وشماله

﴿ أسماء الصناع ﴾

كل صانع عند العرب فهو اسكاف قال الشاعر * وشعبتا ميس براها اسكاف * أى نجار (والناصح) الخياط (النصاح) الخيط (والهاجرى) البناء (والهالكى) الحداد (الهبرقى) الصائغ (والجنثى) الزراد (والسفسير) السمسار (والعصاب) الغزال قال رؤبة * طى القسامى برود العصاب * والقسامى الذى يطوى الثياب أول طيها حتى تنكسر على طيه (والماسخى) القواس

﴿ اختلاف الاسماء فى الشىء الواحد لاختلاف الجهات ﴾

(الفتل) الشزر الى فوق (واليسر) الى أسفل (والطعن) الشزر عن يمينك وشمالك (واليسر) حذاء وجهك (والطعنة) السلكى المستوية (والمخلوجة) ذات اليمين وذات الشمال (طحنت) بالرحى شزرا إذا أدرت يدك من يمينك (وبتا) إذا ابتدأت الادارة من يسارك فادرت

كذلك قال الشاعر ونطحن بالرحى شزرا وبتا * ولو نعطى المغازل ما عيينا (والثبان) الوعاء يحمل فيه الشىء بين يديك يقال قد تثبنت فان حملته على ظهرك فهو (الحال) يقال قد تحولت كذا فان جعلته

منه سورة من السور ولقد تصفحته فوجدته لايكاد يخرج منه شيء عن السجع والموازنة وأما ما جاء من هذا النوع شعرا فقول ربيعة بن ذؤابة

ان يقتلوك فقد ثللت عروشهم * بعتيبة بن الحرث بن شهاب
بأشدهم بأسا على أصحابه * وأعزهم فقدا على الاصحاب

فالبيت الثانى هو المختص بالموازنة فان بأسا وفقدا على وزن واحد ﴿ النوع السادس فى اختلاف صيغ الالفاظ واتفاقها ﴾ وهو من هذه الصناعة بمنزلة علية ومكانة شريفة وجل الالفاظ اللفظية منوطة به ولقد لقيت جماعة من مدعى فن الفصاحة وفاوضتهم وفاوضونى وسألتهم وسألونى فما وجدت أحدا منهم تيقن معرفة هذا الموضع كما ينبغى وقد استخرجت فيه أشياء لم أسبق اليها وسيأتى ذكرها ههنا (أما اختلاف صيغ الالفاظ) فانها اذا نقلت من هيئة الى هيئة كنقلها مثلا من وزن من الاوزان الى وزن آخر وان كانت اللفظة واحدة أو كنقلها من صيغة الاسم الى صيغة الفعل أو من صيغة الفعل الى صيغة الاسم أو كنقلها من الماضى الى المستقبل أو من المستقبل الى الماضى أو من الواحد الى التثنية أو الى الجمع أو الى النسب أو الى غير ذلك انتقل قبحها صار حسنا وحسنها صار قبيحا (فمن ذلك) لفظة خود فانها عبارة عن المرأة الناعمة واذا انقلت الى صيغة الفعل قيل خود على وزن فعل بتشديد العين ومعناها أسرع يقال خود البعير اذا أسرع فهى على صيغة الاسم حسنة رائقة وقد وردت فى النظم والنثر كثيرا وإذا جاءت على صيغة الفعل لم تكن حسنة كقول أبى تمام

والى بنى عبد الكريم تواهقت * رتك النعام رأى الظلام فخودا

وهذا يقاس عليه أشباهه وانظاره الا أن هذه اللفظة التي هي خود قد نقلت عن الحقيقة الى المجاز فخف عنها ذلك القبح قليلا كقول بعض شعراء الحماسة

أقول لنفسى حين خود رألها * رويدك لما تشفقى حين مشفق
رويدك حتى تنظرى عم تنجلى * غيابة هذا العارض المتألق

والرأل النعام والمراد به ههنا أن نفسه فرت وفزعت وشبه ذلك باسراع النعام فى فراره وفزعه ولما أورده على حكم المجاز خف بعض القبح الذى على لفظة خود وهذا يدرك بالذوق الصحيح ولا خفاء بما بين هذه اللفظة فى ايرادها ههنا وايرادها فى بيت أبى تمام فانها وردت فى بيت أبى تمام قبيحة سمجة ووردت ههنا بين بين (ومن هذا النوع) لفظة ودع وهى فعل ماض ثلاثى لا ثقل بها على اللسان ومع ذلك فلا تستعمل على صيغتها الماضية الا جاءت غير مستحسنة ولكنها تستعمل مستقبلة وعلى صيغة الامر فتجىء حسنة أما الامر فكقوله تعالى فدعهم يخوضوا ويلعبوا ولم تأت فى القرآن الكريم الا على هذه الصيغة وأما كونها مستقبلة فكقول النبى صلى الله عليه وسلم وقد واصل فى شهر رمضان فواصل معه قوم لو مد لنا الشهر لواصلنا وصالا لايدع له المتعمقون تعمقهم وقال أبو الطيب المتنبى

يشققكم بفتاها كل سلهبة * والضرب يأخذ منكم فوق مايدع

وأما الماضى من هذه اللفظة فلم يستعمل الاشاذا ولاحسن له كقول أبى العتاهية

أثروا فلم يدخلوا قبورهم * شيئا من الثروة التى جمعوا

فى حضنك فهو (خبنة) يقال منه خبنت أخبن خبنا (والسانح)ما جرى من ناحية اليمين (والبارح)ما جرى عن اليسار (والناطح) ماتلقاك (والقعيد) (١١٢) مااستدبرك ﴿ معرفة فى الطير ﴾ العرب تجعل الهديل مرة فرخا تزعم الاعراب انه كان على عهد نوح فصاده جارح من جوارح الطير قالوا فليس من حمامة الا وهى تبكى عليه قال الكميت فى هذا المعنى

وما من تهتفين به لنصر * بأقرب جابة لك من هديل

ومرة يجعلونه الطائر نفسه قال جران العود

كأن الهديل الظالع الرجل وسطها * من البغى شريب بغزة مترف

ويروى يغرد مترف ومره يجعلونه الصوت قال ذوالرمة

أرى ناقتى عند المحصب شاقها * رواح اليمانى والهديل المرجع

(والقارية) والقوارى جمعها وهى طير خضر تتيمن بها الاعراب وسمعت العامة تقول القوارير ولاأدرى أتريد هذا الطائر أم لا (السبد) طائر لين الريش لايثبت عليه الماء تشبه الشعراء الخيل به إذا عرقت (والتنوط) طائر يدلى خيوطا من شجرة ويفرخ فيها (والتبشر) قالوا هى الصفارية (والشرشور) هو البرقش وأبو براقش طائر يتلون ألوانا قال الشاعر كأبى براقش كل لون لونه يتخيل *(والاخيل) هو الشقراق والعرب تتشاءم به (والوطواط) الخطاف وجمعه وطاوط (والحاتم) الغراب سمى بذلك لانه عندهم يحتم بالفراق (والواق) بكسر القاف الصرد وكان

وكان ماقدموا لأنفسهم * أعظم نفعا من الذى ودعوا

وهذا غير حسن فى الاستعمال ولا عليه من الطلاوة شىء وهذه لفظة واحدة لم يتغير من حالها شىء سوى أنها نقلت من الماضى الى المستقبل لاغير وكذلك لفظة وذر فانها لاتستعمل ماضية وتستعمل على صيغة الأمر كقوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا وتستعمل مستقبلة أيضا كقوله تعالى سأصليه سقر وما أدراك ماسقر لاتبقى ولا تذر فهى لم ترد فى القرآن الاعلى هاتين الصيغتين وكذلك فى فصيح الكلام غير القرآن وأما إذا جاءت على صيغة الماضى فانها لاتستعمل وهى أقبح من لفظة ودع لأن لفظة ودع قد استعملت ماضية وهذه لم تستعمل وههنا فلينعم الخائضون فى هذا الفن نظرهم ويعلموا أن فى الزوايا خبايا وإذا أنعموا الفكر فى أسرار الالفاظ عند الاستعمال وأغرقوا فى الاعتبار والكشف وجدوا غرائب وعجائب (ومن هذا النوع) لفظة الاخدع فانها وردت فى بيتين من الشعر وهى فى أحدهما حسنة رائقة وفى الآخر ثقيلة مستكرهة كقول ابن الصمة عبد الله من شعراء الحماسة

تلفت نحو الحى حتى وجدتنى * وجعت من الاصغاء ليتا وأخدعا

﴿ وكقول أبى تمام ﴾

يادهر قوّم من أخدعيك فقد * أضججت هذا الانام من خرقك

ألا ترى أنه وجد لهذه اللفظة فى بيت أبى تمام من الثقل على السمع والكراهة فى النفس أضعاف ماوجدلها فى بيت ابن الصمة عبدالله من الروح والخفة والايناس والبهجة وليس سبب ذلك الا أنها جاءت موحدة فى أحدهما مثناة فى الآخر وكانت حسنة فى حالة الافراد مستكرهة فى حالة التثنية والا فاللفظة واحدة وإنما اختلاف صيغتها فعل بها ماترى (ومن هذا النوع) ألفاظ يعدل عن استعمالها من غير دليل يقوم على العدول عنها ولا يستفتى فى ذلك الا الذوق السليم وهذا موضع عجيب لايعلم كنه سره (فمن ذلك) لفظة اللب الذى هو العقل لا لفظة اللب الذى تحت القشر فانها لاتحسن فى الاستعمال الا مجموعة وكذلك وردت فى القرآن الكريم فى مواضع كثيرة وهى مجموعة ولم ترد مفردة كقوله تعالى وليتذكر أولو الالباب وان فى ذلك لذكرى لأولى الالباب وأشباه ذلك وهذه اللفظة ثلاثية خفيفة على النطق ومخارجها بعيدة وليست بمستثقلة ولا مكروهة وقد تستعمل مفردة بشرط أن تكون مضافة أو مضافا إليها أما كونها مضافا اليها فكقولنا لايعلم ذلك الا ذو لب وان فى ذلك لعبرة لذى لب وعليه ورد قول جرير ان العيون التى فى طرفها حور * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لاحراك به * وهن أضعف خلق الله أركانا

وأما كونها مضافة فكقول النبى صلى الله عليه وسلم فى ذكر النساء مارأيت ناقصات عقل ودين أذهب للب الحازم من احداكن يامعشر النساء فان كانت هذه اللفظة عارية عن الجمع أو الاضافة فانها لاتأتى حسنة ولا تجد لها دليلا على ذلك إلا مجرد الذوق الصحيح واذا تأملت القرآن الكريم ودققت النظر فى رموزه وأسراره وجدت مثل هذه اللفظة قد روعى فيها الجمع دون الافراد كلفظة كوب فانها وردت فى القرآن مجموعة ولم ترد مفردة وهى وان لم تكن مستقبحة فى حال افرادها فان الجمع فيها أحسن لكن قد ترد مفردة مع ألفاظ أخر تندرج معهن فيكسوها

ويروى قطعت (والبوه) طائر مثل البومة يشبه به الرجل الاحمق وهو البوهة أيضا (والدخل) ابن تمرة (والفياد) هو ذكر البوم (والسقطان) من الطائر جناحاه (والعفرية) عرف الديك وعرف الخرب وهو ذكر الحبارى (والبرايل) ما ارتفع من ريش الطائر واستدار فى عنقه (والقيض) قشر البيضة الاعلى وهو الخرساء (والغرقىء) القشرة الرقيقة التى تحت القيض (والمح) صفرة البيض ويقال ان الفرخ يخلق من البياض ويغتذى المح (والمكاء) طائر يسقط فى الرياض ويمكو أى يصفر قال الشاعر

إذا غرد المكاء فى غير روضة فويل لاهل الشاء والحمرات

وقطن الطائر زمكاه ويقال أصفت الدجاجة والحمامة إذا انقطع بيضها ويقال قطعت الطير إذا انحدرت من بلاد البرد إلى بلاد الحر

﴿معرفة فى الهوام والذباب وصغار الطير﴾

(الغوغا) صغار الجراد ومنه قيل لعامة الناس غوغا (والهمج) البعوض ولذلك قيل للجهلة والصغار همج (والقمعة) ذباب أزرق عظيم (والنعرة) ذباب يدخل فى أنف الحمار فيركب

رأسه ويمضى فيقال عند ذلك حمار نمر (واليراع) ذباب يطير بالليل كأنه نار واحدته يراعة (واليعسوب) فحل النحل (والجدجد) صرار الليل وهو قفار وفيه شبه من الجرادة (والسرفة) دابة تبنى لنفسها بيتا حسنا والمثل

ذلك حسنا ليس لها وذلك كقولى فى جملة أبيات أصف بها الخمر وما يجرى معها من آلاتها

ثلاثة تعطى الفرح * كأس وكوب وقدح ماذبح الذوق بها * الا وللهم ذبح

فلما وردت لفظة الكوب مع الكأس والقدح على هذا الاسلوب حسنها وكأنه جلاها فى غير لباسها الذى كان لها إذ جاءت بمفردها (وكذلك وردت) لفظة رجا بالقصر والرجا الجانب فانها لم تستعمل موحدة وإنما استعملت مجموعة كقوله تعالي والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فلما وردت هذه اللفظة مجموعة ألبسها الجمع ثوبا من الحسن لم يكن لها فى حال كونها موحدة وقد تستعمل موحدة بشرط الاضافة كقولنا رجا البئر ولربما أخطأ بعض الناس فى هذا الموضع وقاس عليه ماليس بمقيس وذلك أنه وقف على ماذكرته ههنا واقف فقال وكذلك قد وردت لفظة الصوف فى القرآن الكريم ولم ترد الا مجموعة كقوله تعالى وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين وهذا بخلاف ماوردت عليه فى شعر أبى تمام

كانوا برود زمانهم فتصدعوا * فكأنما لبس الزمان الصوفا

وهذا ليس كالذى أشرت اليه فان لفظة الصوف لفظة حسنة مفردة ومجموعة وإنما أزرى بها فى قول أبى تمام انها جاءت مجازية فى نسبتها الى الزمان وعلى هذا النهج وردت لفظة خبر واخبار فان هذه اللفظة مجموعة أحسن منها مفردة ولم ترد في القرآن الا مجموعة (وفى صدد ذلك) ماورد استعماله من الالفاظ مفردا ولم يرد مجموعا كلفظة الأرض فانها لم ترد فى القرآن الا مفردة فاذا ذكرت السماء مجموعة جىء بها مفردة معها فى كل موضع من القرآن ولما أريد أن يؤتى بها مجموعة قيل ومن الأرض مثلهن فى قوله تعالى الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن (ومما ورد) من الالفاظ مفردا فكان أحسن مما يرد مجموعا لفظة البقعة قال الله تعالى فى قصة موسى عليه السلام فلما أتاها نودى من شاطىء الواد الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى إنى أنا الله والا حسن استعمالها مفردة لا مجموعة وان استعملت مجموعة فالأولى أن تكون مضافة كقولنا بقاع الأرض أوماجرى مجراها (وكذلك) لفظة طيف فى ذكر طيف الخيال فانها لم تستعمل الا مفردة وقد استعملها الشعراء قديما وحديثا فلم يأتوا بها الا مفردة لان جمعها جمع قبيح فاذا قيل طيوف كان من أقبح الالفاظ وأشدها كراهة على السمع ويالله العجب من هذه اللفظة ومن أختها عدة ووزنا وهى لفظة ضيف فانها تستعمل مفردة ومجموعه وكلاهما فى الاستعمال حسن رائق وهذا مما لايعلم السر فيه والذوق السليم هو الحاكم فى الفرق بين هاتين اللفظتين وماجرى مجراهما (وأما جمع المصادر) فانه لايجىء حسنا والافراد فيه هو الحسن ومما جاء فى المصادر مجموعا قول عنترة

فان يبرأ فلم أنفث عليه * وان يفقد فحق له الفقود

قوله الفقود جمع مصدر من قولنا فقد يفقد فقدا واستعمال مثل هذه اللفظة غير سائغ ولا لذيذ وان كان جائزا ونحن فى استعمال ما نستعمله من الالفاظ واقفون مع الحسن لامع الجواز وهذا كله يرجع إلى حاكم الذوق السليم فان صاحب هذه الصناعة يصرف الالفاظ بضروب التصريف فما عذب فى فمه منها استعمله وما لفظه فمه تركه ألا ترى أنه يقال الامة بالضم

يضرب بها فيقال أصنع من سرفة (والعث) دويبة تأكل الاديم (والليث) ضرب من العناكب قصير الارجل كثير العيون يصيد الذباب وثبا (وأم حبين) ضرب من العظاء منتنة الريح وقد يقال لها حبينة قال مدينى لاعرابى ماتأكلون وما تدعون فقال نأكل كل مادب ودرج الا أم حبين قال المدينى لتهنىء أم حبين العافية (والحرباء) أكبر من العظاة شىء يستقبل الشمس ويدور معها كيف دارت ويتلون ألوانا بحر الشمس (والوحرة) دويبة حمراء تلصق بالأرض ومنه قيل وحر صدر فلان على شبهوا لذوق الحقد بالصدر بلزوقها بالأرض (والوزغ) سام ابرص ولايثنى ولا يجمع وأنشد أبو زيد والله لو كنت لهذا خالصا

لكنت عبدا آكل الابارصا

فجمعه على لفظ الثانى (والقرنبى) دويبة مثل الخنفساء أعظم منها شيئا تقول العرب القرنبى فى عين أمها حسنة والعامة تقول الخنفساء (والنبر) دويبة تدب على البعير فيتورم قال الشاعر يصف ابلا وارمات كأنها من سمن واستيفار * دبت عليها ذربات الانبار عبارة أراد جمع نبر (والحلكاء) دويبة تغوص فى الرمل كما يغوص طائر الماء فى الماء (والاساريع) دواب تكون في الرمل يشبه بها أصابع

عبارة عن الجمع الكثير من الناس و يقال الامة بالكسر وهي النعمة فان الامة بالضم لفظة حسنة و بالكسر ليست بحسنة واستعمالها قبيح (ورأيت صاحب كتاب الفصيح) قد ذكرها فيما اختاره من الألفاظ الفصيحة و ياليت شعري ما الذي رآه من فصاحتها حتى اختارها وكذلك قد اختار ألفاظا أخر ليست بفصيحة ولا لوم عليه لأن صدور مثل ذلك الكتاب عنه كثير وأسرار الفصاحة لا تؤخذ من علماء العربية و إنما تؤخذ منهم مسئلة نحوية أو تصريفية أو نقل كلمة لغوية وما جرى هذا المجرى وأما أسرار الفصاحة فلها قوم مخصوصون بها و إذا شذ عن صاحب كتاب الفصيح ألفاظ معدودة ليست بفصيحة في جملة كثيرة ذكرها من الفصيح فان هذا منه كثير (ومما يذكر في هذا الباب) أنه يقال سهم صائب فاذا جمع الجمع الحسن الذي يعذب في الفم قيل سهام صوائب وصائبات وصيب فاذا جمع الجمع الذي يقبح قيل سهام صيب على وزن كتب قال أبو نواس

ما أحل الله ما صنعت * عينه تلك العشية بي
قتلت إنسانها كبدي * بسهام للردى صيب

فقوله سهام صيب من اللفظ الذي ينبو عنه السمع ويحيد عنه اللسان ومثله ورد قول عريف القوافي من أبيات الحماسة ذهب الرقاد فما يحس رقاد * مما شجاك ونامت العواد

لما أتاني من عيينة أنه * أمست عليه بظاهر أقياد

فقوله أقياد في جمع قيد مما لا يحسن استعماله بل الحسن أن يقال في جمعه قيود وكذلك قول مرة بن محكان التميمي من أبيات الحماسة وذلك من جملة الأبيات المشهورة التي أولها

يا ربة البيت قومي غير صاغرة * ضمي اليك رجال القوم والقربا

فقال فيها ماذا ترين أتدنيهم لأرحلنا * في جانب البيت أم تبنى لهم قببا

فانه جمع قبة على قبب وذلك من المستبشع الكريه والأحسن المستعمل هو قباب لا قبب وكذلك يجري الأمر في غير هذا (ومن المجموع) ما يختلف استعماله و إن كان متفقا في لفظة واحدة كالعين الناظرة وعين الناس وهو النبيه فيهم فان العين الناظرة تجمع على عيون وعين الناس تجمع على أعيان وهذا يرجع فيه إلى الاستحسان لا إلى جائز الوضع اللغوي وقد شذ هذا الموضع عن أبي الطيب المتنبي في قوله

والقوم في أعيانهم خزر * والخيل في أعيانها قبل

فجمع العين الناظرة على أعيان وكان الذوق يأبى ذلك ولا تجد له على اللسان حلاوة وان كان جائزا ولولا خوف الاطالة لأوردت من هذا النوع وأمثاله أشياء كثيرة وكشفت عن رموز وأسرار تخفى على كثير من متعاطي هذا الفن لكن في الذي أشرت اليه منبه لأهل الفطانة والذكاء أن يحملوه على أشباهه وأنظاره (وأعجب من ذلك كله) أنك ترى وزنا واحدا من الألفاظ فتارة تجد مفرده حسنا وتارة تجد جمعه حسنا وتارة تجدهما جميعا حسنين فالأول نحو حبرور وهو فرخ الحبارى فان هذه اللفظة يحسن مفردها لا مجموعها لأن جمعها على حبارير وكذلك طنبور وطنابير وعرقوب وعراقيب وأما الثاني فنحو بهلول وبهاليل وهموم ولهاميم وهذا ضد الأول وأما الثالث فنحو جمهور وجماهير وعرجون وعراجين فانظر الى الوزن الواحد كيف يختلف في أحواله مفردا ومجموعا وهذا من أعجب ما يجيء في هذا الباب وهكذا قد جاءت ألفاظ على وزن واحد ثلاثية مسكنة الوسط وجميعها حسن في الاستعمال واذا أردنا

النساء واحدها أسروع و يقال هي شحمة الأرض أيضا (والجدرنق) العنكبوت الناسجة (والدلدل) عظيم القنافذ وهو الشيهم (والزبابة) فأرة صماء تضرب بها العرب المثل يقولون أسرق من زبابة ويشبهون بها الجاهل قال ابن حلزة

وهم زباب حائر * لا تسمع الآذان رعدا

(والرق) عظيم السلاحف (والنمس) دابة تقتل الثعبان (ونزك الضب) ذكره وله نزكان وكذلك الحرذون وأنشد الاصمعي في وصف ضب

سبحل له نزكان كانا فضيلة * على كل حاف في البلاد وناعل

(والكشية) شحم بطنه يقول قائل العرب

وأنت لو ذقت الكشى بالاكباد * لما تركت الضب يعدو بالواد

(ومكنه) بيضه قال أبو الهند

ومكن الضباب طعام العريب * ولا تشتهيه نفوس العجم

(وحسوله) ولده ويقال إنه يأكلها ولذلك يقال في المثل أعق من ضب (وحارشها) صائدها وأنشدنا

إذا ما كان حبك حب ضب * فما يرجو بحبك من تحب

(والظربان) دابة كالهرة منتنة الرائحة تزعم الاعراب أنه يفسو في ثوب أحدهم إذا صاده فلا تذهب رائحته حتى يبلى الثوب ويقولون في القوم يتقاطعون فسا بينهم ظربان ويسمونه مفرق النعم لأنه إذا فسا بينها وهي مجتمعة تفرقت (والخزز) ذكر اليرابيع وهو أيضا ذكر الأرانب ويقال للبرغوث طامر بن طامر (والصؤابة) القملة وجمعها صؤاب (والحرقوص) كالبرغوث

وبما نبت له جناحان فطار وفى الحية والعقرب يقال نهشته الحية ونشطته ولدغته العقرب ولبسته قال أبو زيد نكزته الحية والنكز بأنفها ونشطته والنشط بأنيابها (١١٦) (وزباني العقرب) قرناها (وشواتها) ما تشول من ذنبها وبذلك سميت النجوم تشبيها بها

أن تثقل وسطها حسن منها شيء دون شيء (فمن ذلك) لفظة الثلث والربع الى العشر فان الجميع على وزن واحد وإذا ثقلنا أوساطها فقلنا ثلث وربع وخمس وكذلك الى عشر فان الحسن من ذلك جميعه ثلاثة وهي الثلث والخمس والسدس والباقي وهو الربع والسبع والثمن والتسع والعشر ليس كالأول فى حسنه هذا والجميع على وزن واحد وصيغة واحدة والجميع حسن فى الاستعمال قبل أن يثقل وسطه ولما ثقل صار بعضه حسنا وبعضه غير حسن وكذلك تجد الأمر فى أسماء الفاعلين كالثلاثي منها نحو فعل بفتح الفاء والعين وفعل بفتح الفاء وكسر العين وفعل بفتح الفاء وضم العين فان هذه الأوزان الثلاثة لها أسماء فاعلين أما فعل بفتح الفاء والعين فليس له إلا اسم واحد أيضا وهو فاعل لاغير ولا يقع فيه اختلاف وكذلك فعل بفتح الفاء وضم العين فليس له إلا اسم واحد أيضا وهو فعيل ولا يقع فيه اختلاف إلا ما شذ لكن فعل بفتح الفاء وكسر العين يقع فى اسم فاعله الاختلاف استحسانا واستقباحا لأن له ثلاثة أوزان نحو فاعل وفعل وفعلان تقول منه حمد فهو حامد وحمد وحمدان وقد جاء على وزنه فرح تقول منه فرح زيد فهو فرح وهو الأحسن ولا يحسن أن يقال فارح ولا فرحان وإن كان جائزا لكن فرحان أحسن من فارح وقد وردت هذه اللفظة فى القرآن الكريم فلا تستعمل إلا على فرح لاغير كقوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون وكقوله تعالى ان الله لا يحب الفرحين وقد جاءت هذه اللفظة فى شعر بعض شعراء الحماسة فى باب المراثي

فما أنا من حزن وإن جل جازع * ولا بسرور بعد موتك فارح

وهذا غير حسن وان جاز استعماله وعلى نحوه منه يقال غضب وهو غضبان ولا يقال غاضب وان كان جائزا وقد تقدم القول أنا فى تأليف الكلام بصدد استعمال الحسن والأحسن لا بصدد استعمال الجائز وغير الجائز (ومما يجرى هذا المجرى) قولنا فعل وافتعل فان لفظة فعل لها موضع تستعمل فيه ألا ترى أنك تقول قعدت إلى فلان أحدثه ولا تقول اقتعدت اليه وكذلك تقول اقتعدت غارب الجمل ولا تقول قعدت على غارب الجمل وان جاز ذلك لكن الأول أحسن وهذا لا يحكم فيه غير الذوق السليم فانه لا يمكن أن يقام عليه دليل (وأما فعل وافعوعل) فانا نقول أعشب المكان فاذا كثر عشبه قلنا اعشوشب فلفظة افعوعل للتكثير على أني استقريت هذه اللفظة فى كثير من الألفاظ فوجدتها عذبة طيبة على تكرار حروفها كقولنا اخشوشن المكان واغرورقت العين واحلولى الطعم وأشباهها (وأما فعلة) نحو همزة ولمزة وجثمة ونومة ولكنة ولحنة وأشباه ذلك فالغالب على هذه اللفظة أن تكون حسنة وهذا أخذته بالاستقراء وفى اللغة مواضع كثيرة هكذا لا يمكن استقصاؤها فانظر الى ما يفعله اختلاف الصيغة بالألفاظ وعليك أن تتفقد أمثال هذه المواضع لتعلم كيف تضع يدك فى استعمالها فكثيرا ما يقع لفحول الشعراء والخطباء فى مثلها ومؤلف الكلام من كاتب وشاعر إذا مرت به ألفاظ عرضها على ذوقه الصحيح فما يجد الحسن منها موحدا وحده وما يجد الحسن منها مجموعا جمعه وكذلك يجرى الحكم فيما سوى ذلك من الألفاظ ﴿النوع السابع فى المعاظلة اللفظية﴾ والمعاظلة معاظلتان لفظية ومعنوية (أما المعنوية) فسيأتى ذكرها فى باب التقديم والتأخير من المقالة الثانية فليؤخذ من هناك (وأما المعاظلة اللفظية) وهى المخصوصة بالذكر ههنا

(وحمة العقرب) بالتخفيف سمها والتى تلسع بها ابرتها (والحارية) الافعى إذا صغرت من الكبر (والصل) التى لا تنفع معها الرقية (والثعبان) أعظمها (والحفاث) حية تنفخ ولا تؤذى قال الشاعر

أيغايشون وقد رأوا حفاثهم * قد عضه فقضى عليه الاشجع

والعرب تسمى الحية الخفيف الجسم النضناض شيطانا وتسمى الحية شيطانا ويقال منه قول الله عز وجل طلعها كأنه رؤس الشياطين

﴿معرفة فى جواهر الأرض﴾

(القطر) النحاس ومنه قول الله عز وجل وأسلنا له عين القطر (والآنك) الاسرف ومنه الحديث من استمع الى قينة صب فى أذنيه الآنك يوم القيامة (والنضر) الذهب وهو العقيان أيضا (واللجين) الفضة (والصرفان) الرصاص ومنه قول الزبا

ما للجمال مشيها وئيدا * أجندلا يحملن أم حديدا
أم صرفانا باردا شديدا

﴿الأسماء المتقاربة فى اللفظ والمعنى﴾ (النضخ) أكثر من النضح ولا يقال من النضخ فعلت (والحزم) من الأرض أرفع من الحزن (والقبض) بجميع الكف (والقبص) بأطراف الأصابع وقرأ الحسن فقبصت في

قبصة من أثر الرسول (والخضم) بالفم كله (والقضم) باطراف الاسنان قال أبو ذر رحمه الله يخضمون ونقضم والموعد الله (والخصر)
الذى يجد البرد (والخرص) الذى يجد البرد والجوع (والرجز) العذاب (والرجس) النتن (والحفة) الخشبة التى يلف عليها

فى باب صناعة الالفاظ وحقيقتها مأخوذة من قولهم تعاظلت الجرادتان إذا ركبت احداهما الاخرى فسمى الكلام المتراكب فى ألفاظه أو فى معانيه المعاظلة مأخوذا من ذلك وهو اسم لائق بمسماه ووصف عمر بن الخطاب رضى الله عنه زهير بن أبى سلمى فقال كان لا يعاظل بين الكلام (وقد اختلف علماء البيان فى حقيقة المعاظلة) فقال قدامة بن جعفر الكاتب التعاظل فى الكلام هو أن يدخل بعض الكلام فيما ليس من جنسه ولا أعرف ذلك الا فاحش الاستعارة كقول أوس بن حجر

وذات هدم عار نواشرها ❊ تصمت بالماء تولبا جدعا

فسمى الظبى تولبا والتولب ولد الحمار هذا ما ذكره قدامة بن جعفر وهو خطأ اذ لو كان ماذهب اليه صوابا لكانت حقيقة المعاظلة دخول الكلام فيما ليس من جنسه وليست حقيقتها هذه بل حقيقتها ما تقدم وهو التراكب من قولهم تعاظلت الجرادتان اذا ركبت احداهما الاخرى وهذا المثال الذى مثل به قدامة لاتركب فى ألفاظه ولا فى معانيه (وأما) غير قدامة فانه خالفه فيما ذهب اليه الا أنه لم يقسم المعاظلة الى لفظية ومعنوية ولكنه ضرب لها مثالا كقول الفرزدق

وما مثله فى الناس الا مملكا ❊ أبو أمه حى أبوه يقاربه

وهذا من القسم المعنوى لا من القسم اللفظى ألا ترى الى تراكيب معانيه بتقديم ما كان يجب تأخيره وتأخير ما كان يجب تقديمه لأن الاصل فى معناه وما مثله فى الناس حى يقاربه الا مملكا أبو أمه أبوه وسيجىء شرح ذلك مستوفى فى بابه من المقالة الثانية ان شاء الله تعالى واذا حققت القول فى بيان المعاظلة والكشف عن حقيقتها فانى أتبع ذلك بتقسيم القسم اللفظى منها الذى أنا بصدد ذكره ههنا (فأقول) انى تأملته بالاستقراء من الاشعار قديمها ومحدثها ومن النظر فى حقيقتها نفسها فوجدتها تنقسم الى خمسة أقسام (الاول منها) يختص بأدوات الكلام نحو من والى وعن وعلى وأشباهها فان منها ما يسهل النطق به إذا ورد مع أخواته ومنها ما لا يسهل بل يرد ثقيلا على اللسان ولكل موضع يخصه من السبك (فمما جاء منه) قول أبى تمام

الى خالد راحت بنا أرحبية ❊ مرافقها من عن كراكرها نكب

فقوله من عن كراكرها من الكلام المتعاظل الذى يثقل النطق به على أنه قد وردت هاتان اللفظتان وهما من وعن فى موضع آخر فلم يثقل النطق بهما كقول القائل من عن يمين الطريق والسبب فى ذلك أنهما وردتا فى بيت أبى تمام مضافتين الى لفظة الكراكر فثقلت منهما وجعلتهما مكروهتين كما ترى والا فقد وردتا فى شعر قطرى بن الفجاءة فكانتا خفيفتين كقوله

ولقد أرانى للرماح دريئة ❊ من عن يمينى مرة وأمامى

والاصل فى ذلك راجع الى السبك فاذا سبكت هاتان اللفظتان أو ما يجرى مجراهما مع ألفاظ تسهل منهما لم يكن بهما من ثقل كما جاءتا فى بيت قطرى واذا سبكتا مع ألفاظ تثقل منهما جاءتا كما جاءتا فى بيت أبى تمام (ومن هذا القسم) قول أبى تمام أيضا

كأنه لاجتماع الروح فيه له ❊ فى كل جارحة من جسمه روح

فقوله فى بعد قوله فيه له مما لا يحسن وروده وكذلك ورد قول أبى الطيب المتنبى

الحائك الثوب (والحف) هو المنسج (والهلاس) فى البدن (والسلاس) فى العقل (والنار الخامدة) التى قد سكن لهبها ولم يطفأ جمرها (والهامدة) التى طفئت وذهبت البتة (والكابية) التى غطاها الرماد (والذفر) شدة ريح الشىء الطيب والشىء الخبيث (والدفر) النتن خاصة ومنه قيل للدنيا أم دفر وقيل للامة يادفار (والماء) الشروب الملح الذى لا يشرب الا عند الضرورة (والشريب) الذى فيه شىء من عذوبة وهو يشرب على مافيه (والربع) الدار بعينها حيث كانت (والمربع) المنزل فى الربيع خاصة (والشكد) العطا ابتداء فان كان جزاء فهو شكم (والغلط) فى الكلام فان كان فى الحساب فهو غلت (المايح) الذى يدخل البئر فيملأ الدلو (والماتح) الذى ينزعها (رجل صنع) اذا كان بعمله حاذقا (وامرأة صناع) ولا يقال للرجل صناع

﴿ نوادر ﴾

(التقريظ) مدح الرجل حيا (والتأبين) مدحه ميتا (غضبت) لفلان اذا كان حيا (وغضبت) به اذا كان ميتا (عقلت) المقتول أعطيت ديته (وعقلت) من فلان اذا لزمته دية فأعطيتها عنه قال الاصمعى كلمت أبا يوسف القاضى فى هذا عند الرشيد فلم

يفرق بين عقلته وعقلت عنه حتى فهمته (ودوم) الطائر فى الهوى إذا حلق واستدار فى طيرانه (ودوى) السبع فى الارض اذا ذهب (والبسلة) أجر الراقى (والحلوان) (١١٨) أجر الكاهن (والخسأ) الوتر وهو الفرد (والزكاء) الشفع وهو الزوج (وعبد) قن وأمة قن وكذلك الاثنان والجميع وهو الذى ملك هو وأبواه (وعبد مملكة) الذى سبى ولم يملك أبواه (استوبلت) المدينة اذا لم توافقك فى بدنك وان أحببتها (واجتويتها) اذا كرهتها وان كانت موافقة لك فى بدنك (كل شىء) من قبل الزوج مثل الاخ والاب فهم الاحماء واحدهم حما مثل قفا وحموه مثل أبوه وحمء مهموز ساكن الميم وحم محذوف اللام مثل أب وحماة المرأة أم زوجها لالغة فيها غير هذه وكل شىء من قبل المرأة فهم (الاختان) والصهر يجمع هذا كله وهى عجيزة المرأة وعجزها ولايقال عجيزته قال يونس اذا غلب الشاعر قيل مغلب واذا غلب قيل غالب (وقد زنى) الرجل وعهر هذا يكون بالامة والحرة ويقال فى الاماء خاصة قد ساعاها ولاتكون المساعاة الا فى الاماء خاصة (والخباء) من صوف ووبر ولا يكون من الشعر (والطراف) من الادم (الجمع) المجتمعون (والجماع) المتفرقون قال أبو قيس بن الاسلت * من بين جمع غير جماع * الاصمعى (فوارة) الورك بفتح الفاء وفوارة القدر وهو ما يفور من حرها بضم الفاء (الغيلم) المرأة الحسناء بالغين معجمة (والعيلم) بالعين غير معجمة العين الكثيرة الماء (يقال) بات يفعل كذا اذا

وتسعدنى فى غمرة بعد غمرة * سبوح لها منها عليها شواهد

فقوله لها منها عليها من الثقيل الثقيل الثقيل وكذلك قوله

تبيت وفودهم تسرى اليه * وجدواه التى سألوا اغتفار

فخلفهم برد البيض عنهم * وهامهم له معهم معار

وقوله وهامهم له معهم مما يثقل النطق به ويتعثر اللسان فيه لكنه أقرب حالا من الاول ومن الحسن فى هذا الموضع قول أبى تمام

دار أجل الهوى عن أن ألم بها * فى الركب الاوعينى من منائحها

فقوله عن أن فى هذا البيت من الخفيف الحسن الذى لابأس به (القسم الثانى من المعاظلة اللفظية) تختص بتكرير الحروف وليس ذلك مما يتعلق بتكرير الالفاظ ولا بتكرير المعانى مما يأتى ذكره فى باب التكرير فى المقالة الثانية وانما هو تكرير حرف واحد أوحرفين فى كل لفظة من ألفاظ الكلام المنثور أو المنظوم فيثقل حينئذ النطق به (فمن ذلك) قول بعضهم

وقبر حرب بمكان قفر * وليس قرب قبر حرب قبر

فهذه القافات والراآت كأنها فى تتابعها سلسلة ولاخفاء بما فى ذلك من الثقل وكذا ورد قول الحريرى فى مقاماته وازور من كان له زائرا * وعاف عافى العرف عرفانه

فقوله وعاف عافى العرف عرفانه من التكرير المشار اليه وكذلك ورد قوله أيضا فى رسالتيه اللتين صاغهما على حرفى السين والشين فانه أتى فى احداهما بالسين فى كل لفظة من ألفاظها وأتى فى الأخرى بالشين فى كل لفظة من ألفاظها فجاءتا كأنهما رقى العقارب أو خذروفة العزائم وماأعلم كيف خفى مافيهما من القبيح على مثل الحريرى مع معرفته بالجيد والردىء من الكلام (ويحكى) عن بعض الوعاظ أنه قال فى جملة كلام أورده جنى جنات وجنات الحبيب فصاح رجل من الحاضرين فى المجلس ومادوتغاشى فقال له رجل كان الى جانبه ماالذى سمعت حتى حدث بك هذا فقال سمعت جيما فى جيم فى جيم فصحت وهذا من أقبح عيوب الالفاظ (ومما جاء منه) قول أبى الطيب المتنبى فى قصيدته التى مطلعها * أتراها لكثرة العشاق

كيف ترثى التى ترى كل جفن * راءها غير جفنها غير راقى

وهذا وأمثاله انما يعرض لقائله فى نوبة الصرع التى تنوب فى بعض الايام (ومن هذا القسم) قول الشاعر المعروف بكشاجم فى قصيدته التى مطلعها * دا و خمارى بكاس خمر

والزهر والقطر فى رباها * مابين نظم وبين نثر

حدائق كف كل ريح * حل بها خيط كل قطر

وهذا البيت يحتاج الناطق به الى بركار يضعه فى شدقه حتى يديره له وعلى هذا الاسلوب ورد قول بعضهم وهو البيت المشهور الذى يتذاكره الناس

ملت مطال مولود مفدى * مليح مانع منى مرادى

وهذه الميمات كأنها عقد متصلة بعضها ببعض (وكان بعض أهل الأدب) من أهل مصرنا هذا يستعمل هذا القسم فى ألفاظه كثيرا فى كلامه نثرا ونظما وذلك لعدم معرفته بسلوك الطريق (وأنا أذكر نبذة من ذلك) كقوله فى وصف رجل سخى أنت المديح كبدا تريح والمليح أن

يجهم المليح بالتكليح عند سائل تلوح بل يفوق إذ يروق مرأى لوح يامغبوق كاس الحمد
يامصبوح ضاق عن نداك اللوح و ببابك المفتوح تستريح وتريح ذا التبريح وترفه الطليح
فانظر إلى حرف الحاء كيف قد لزمه فى كل لفظة من هذه الالفاظ فجاء كما تراه من الثقل والغثاثة
(واعلم) أن العرب الذين هم الأصل فى هذه اللغة قد عدلوا عن تكرير الحروف فى كثير من
كلامهم وذلك أنه إذا تكرر الحرف عندهم أدغموه استحسانا فقالوا فى جعل لك جعلك
وفى تضربوننى تضربونى وكذلك قالوا استعد فلان للامر إذا تأهب له والاصل فيه استعدد
واستتب الامر إذا تهيأ والأصل فيه استتبب وأشباه ذلك كثير فى كلامهم حتى أنهم لشدة
كراهتهم لتكرير الحروف أبدلوا أحد الحرفين المكررين حرفا آخر غيره فقالوا أمليت الكتاب
والاصل فيه أمللت فأبدلوا اللام ياء طلبا للخفة وفرارا من الثقل وإذا كان قد فعلوا ذلك فى اللفظة
الواحدة فما ظنك بالالفاظ الكثيرة التي يتبع بعضها بعضا (القسم الثالث من المعاظلة) أن ترد
ألفاظ على صيغة الفعل يتبع بعضها بعضا فمنها ما يختلف بين ماض ومستقبل ومنها ما لا يختلف
فالاول كقول القاضى الارجانى فى أبيات يصف فيها الشمعة وفيها معنى هو له مبتدع ولم يسمع من
غيره وذلك أنه قال عن لسان الشمع أنه ألف العسل وهو أخوه الذى ربى معه فى بيت واحد وان النار
فرقت بينه وبينه وانه نذر أن يقتل نفسه بالنار أيضا من ألم الفراق الا أنه أساء العبارة فقال

بالنار فرقت الحوادث بيننا * وبها نذرت أعود أقتل روحى

فقوله نذرت أعود من المعاظلة المشار اليها وأما ما يرد على نهج واحد من الصيغة الفعلية فكقول أبى
الطيب المتنبى

أقل أنل أقطع احمل عل سل أعد * زد هش بش تفضل أدن سر صل

فهذه ألفاظ جاءت على صيغة واحدة وهى صيغة الامر كأنه قال افعل افعل هكذا الى آخر البيت وهذا
تكرير للصيغة وان لم يكن تكريرا للحروف إلا أنه أخوه ولا أقول ابن عمه وهذه ألفاظ متراكبة
متداخلة ولو عطفها بالواو لكانت أقرب حالا كما قال عبد السلام بن رغبان

فسد الناس فاطلب الرزق بالسيـ * ـف والا فمت شديد الهزال
احل وامرر وضر وانفع ولن واخـ * ـشن وأبرر ثم انتدب للمعالى

ألا ترى أنه لما عطف ههنا بالواو لم تتراكب الالفاظ كتراكبها فى بيت أبى الطيب المتقدم ذكره
﴿ فان قيل ﴾ انك جعلت ما كان واردا على صيغة واحدة على سبيل التكرار معاظلة وقد ورد ذلك
فى القرآن الكريم كقوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ولو كان معاظلة لما ورد فى القرآن الكريم مثله
﴿ فالجواب عن ذلك ﴾ أنى أقول هذه الآية ليست كالذى أنكرته فان هذا الموضع
ينظر فيه الى الكثير والقليل فاذا كثر كان تعاظلا لتراكبه وثقله على النطق وقد عرفتك أن
ما يفصل بين صيغه بواو العطف يكون أقل ثقلا مما لا يفصل والذى أنكرته من ذلك هو أن تأتى
ألفاظ مكررة على صيغة واحدة كأنها عقد متصلة فحينئذ يثقل النطق بها و يكره موقعها من
السمع كبيت أبى الطيب المتنبى وأما هذه الآية المشار اليها فانها خارجة عن هذا الحكم ألا ترى
أنها لما وردت ألفاظها على صيغة واحدة فرق بينها بواو العطف ثم مع التفريق بينها بواو العطف

فعله ليلا (وظل) يفعل كذا إذا فعله نهارا (ولا يقال) راكب الا لراكب البعير خاصة ويقال فارس وحمار و بغال (ويقال) النقب فى
يدى البعير والخفا فى رجليه (ألح) الجمل (وخلأت) الناقة (وحرن) الفرس (والخلاء) فى الناقة مثل الحران فى الفرس
(وركض) البعير برجله
ولا يقال رمح وخبط بيديه
(وزينت) الناقة إذا هى
ضربت بثفنات رجليها
عند الحلب والزبن
بالثفنات (ورمح) الفرس
والحمار والبغل (ويقال)
برك البعير (وربضت)
الشاة (وجثم الطائر) وهذه
مبارك الابل ومرابض
الغنم (ويقال) أنخت
البعير فبرك ولا يقال فناخ
(وهو حباب) الابل وزبد
الغنم (والحباب) كالزبد
يعلو ألبان الابل ولا زبد
لالبانها (جلد) فلان
جزوره أى نزع عنه جلده
(وسلخ) شاته ولا يقال
سلخ جزوره (ناقة) تاجرة
للنافقة وأخرى كاسدة
(عطن) الابل والغنم
ومعاطنها مباركها عند الماء
ولا تكون الاعطان
والمعاطن الا عند الماء
(وثاية) الغنم والابل مأواها
حول البيوت (ومراح)
الابل (ومراح) الغنم
سرحت الابل والماشية
بالغداة وراحت بالعشى
(ونفشت) بالليل (وهملت)
إذا ارسلتها ترعى ليلا
ونهارا بلا راع (ويقال)
أرحتها وأنفشتها وأهملتها
وأسمتها مثل أهملتها فى
المعنى وسرحتها هذه وحدها بغير ألف (ابل مدفأة) كثيرة الاوبار والشحوم (وابل مدفئة) أى كثيرة من نام وسطها دفىء
من أنفاسها و إذا كان الفحل كريما من الابل قالوا الخيل قال الراعى * أماتهن وطرقهن فحيلا * وإذا كان من النخل كريما قالوا

لم يرد التكرير فيها الا بين ثنتين وهما خذوهم واحصروهم وأما الصيغة الاولى فانها أضيف اليها كلام آخر فقيل اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ولم يقل اقتلوا المشركين وخذوهم ثم لما جاءت الصيغة الرابعة أضيف اليها كلام آخر أيضا فقيل واقعدوا لهم كل مرصد لاجرم أن الآية جاءت غير ثقيلة على النطق مع تواردصيغة الامر فيها أربع مرار وهذه رموز ينبغى أن يتنبه لها فى استعمال الالفاظ إذا جاءت هكذا ﴿ القسم الرابع من المعاظلة ﴾ وهو الذى يتضمن مضافات كثيرة كقولهم سرج فرس غلام زيد وان زيد على ذلك قيل لبد سرج فرس غلام زيد وهذا أشد قبحا وأثقل على اللسان وعليه ورد قول ابن بابك الشاعر فى مفتتح قصيدة له

حمامة جرعا حومة الجندل اسجعى * فأنت بمرأى من سعاد ومسمعى

﴿ القسم الخامس من المعاظلة ﴾ أن ترد صفات متعددة على نحو واحد كقول أبى تمام فى قصيدته التى مطلعها * ما لكثيب الحمى الى عقده فقال يصف جملا

سأخرق الخرق بابن خرقاء كالـهيق إذا مااستحم من نجده
مقابل فى الجديد صاب القرى * لوحك من مجبه الى كتده
تامكه نهده مداخله * ملمومه محزئله أجده

فالبيت الثالث من المعاظلة التى قلع الاسنان دون إيرادها وكذلك قال من هذه القصيدة يصف رمحا

ومن تهفو ذوائبتاه على * أسمر متن يوم الوغى جسده
مارنه لدنه مثقفه * عراصه فى الاكف مطرده

وهذا كالاول فى قبحه وثقله فقاتله الله ماأمتن شعره وماأسخفه فى بعض الاحوال وعلى هذا جاءه من هذه القصيدة أيضا يصف الممدوح

اليك عن سيل عارض خضل الشؤبوب يأتى الحمام من نضده
مسفه ثره مسحسحه * وابله مستهله جرده

ولو لم يكن لابى تمام من القبيح الشنيع الاهذه الابيات لحطت من قدره وعلى هذا ورد قول أبى الطيب المتنبى

دان بعيد محب مبغض تهج * أغر حلو ممر لين شرس
ند أبى غر واف أخى ثقة * جعدسرى نه ندب رضى ندس

وهذا كأنه سلسلة بلاشك وقليلا مايوجد فى أشعار الشعراء ولم أجده كثيرا الا فى شعر الفرزدق وتلك معاظلة معنوية وسيأتى بيانها فى بابها وهذه معاظلة لفظية وهى توجد فى شعر أبى الطيب كثيرا ﴿ النوع الثامن فى المنافرة بين الالفاظ فى السبك ﴾ وهذا النوع لم يحقق أحد من علماء البيان القول فيه وغاية مايقال انه ينبغى أن لاتكون الالفاظ نافرة عن مواضعها ثم يكتفى بهذا القول من غير بيان ولا تفصيل حتى انه قد خالط هذا النوع بالمعاظلة وكل منها نوع مفرد برأسه له حقيقة تخصه الا انهما قد اشتبها على علماء البيان فكيف على جاهل لايعلم (وقد بينت) هذا النوع وفصلته عن المعاظلة وضربت له أمثلة يستدل بها على أخواتها وما يجرى مجراها وجملة الامر أن مدار سبك الالفاظ على هذا النوع والذى قبله دون غيرها من تلك الانواع المذكورة لان هذين النوعين أصلا سبك الالفاظ وماعداها فرع عليهما وإذا لم يكن الناثر او الناظم عارفا بهما فان مقاتله تبدو كثيرا (وحقيقة هذا النوع) الذى هو المنافرة أن

للقتب خاصة (الحلس) كساء يكون تحت البرذعة (والحلس) والبرذعة للبعير (والقرطاط) والقرطان لذوات الحافر (والخشاش) من خشب (والبرة) من صفر (والخزامة) من شعر يقال (خششت) البعير (وخزمته) وأبريته هذه وحدها بألف (وسرج) فارأى واق وسرج معقر وعقر (وقتب) عقر أيضا غير واق قال

ألد إذا لقيت قوما بخطة
ألح على أكتافهم قتب عقر

ولا يقال عقور الا للحيوان

﴿ تسمية المتضادين باسم واحد ﴾

(الجون) الاسود وهو الابيض قال الشاعر

* يبادر الجونة ان تغيبا *

يعنى الشمس (والصريم) الصبح (والصريم) الليل (السدفة) الظلمة (والسدفة) الضوء وبعضهم يجعل السدفة اختلاط الظلمة والضوء كوقت مابين طلوع الفجر الى الاسفار (الجلل) الشيء الصغير (والجلل) الشيء الكبير (والنبل) الكبار والصغار قال الشاعر

أفرح أن أرزأ الكرام وان * أورث ذودا شصائصا نبلا النبل ههنا الصغار والشصائص يذكر

التى لا ألبان لها هذا قول أبى عبيدة فى النبل وقال بعضهم هى نبلا جمع نبلة هذا قول أبى زيد وهى العطية (والناهل) العطشان

يذكر لفظ أو ألفاظ يكون غيرها مما هو فى معناها أولى بالذكر وعلى هذا فان الفرق بينه وبين المعاظلة أن المعاظلة هى التراكيب والتداخل اما فى الألفاظ أو فى المعانى على ما أشرت اليه وهذا النوع لاتراكب فيه وانما هو ايراد ألفاظ غير لائقة بموضعها الذى ترد فيه (وهو ينقسم قسمين) أحدهما يوجد فى اللفظة الواحدة والآخر فى الالفاظ المتعددة فاما الذى يوجد فى اللفظة الواحدة فانه اذا ورد فى الكلام أمكن تبديله بغيره مما هو فى معناه سواء كان ذلك الكلام نثرا أو نظما وأما الذى يوجد فى الالفاظ المتعددة فانه لايمكن تبديله بغيره فى الشعر بل يمكن ذلك فى النثر خاصة لانه يعسر فى الشعر من أجل الوزن فمما جاء من القسم الاول قول أبى الطيب المتنبي

فلا يبرم الامر الذى هو حالل * ولا يحلل الامر الذى هو يبرم

فلفظة حالل نافرة عن موضعها وكانت له مندوحة عنها لانه لو استعمل عوضا عنها لفظة ناقض فقال

فلا يبرم الامر الذى هو ناقض * ولا ينقض الامر الذى هو يبرم

لجاءت اللفظة قارة فى مكانها غير قلقة ولا نافرة (و بلغنى) عن أبى العلاء بن سليمان المعرى أنه كان يتعصب لابى الطيب حتى انه كان يسميه الشاعر ويسمى غيره من الشعراء باسمه وكان يقول ليس فى شعره لفظة يمكن أن يقوم عنها ماهو فى معناها فيجىء حسنا مثلها فياليت شعرى أما وقف على هذا البيت المشار اليه لكن الهوى كما يقال أعمى وكان أبو العلاء أعمى العين خلقة وأعماها عصبية فاجتمع له العمى من جهتين وهذه اللفظة التى هى حالل ومايجرى مجراها قبيحة الاستعمال وهى فك الادغام فى الفعل الثلاثى ونقله الى اسم الفاعل وعلى هذا فلايحسن أن يقال بل الثوب فهو بالل ولاسل السيف فهو سالل ولا أن يقال هم بالامر فهو هامم ولا خط الكتاب فهو خاطط ولاحن الى كذا فهو حانن وهذا لو عرض على من لاذوق له لأدركه وفهمه فكيف من له ذوق صحيح كأبى الطيب لكن لابد لكل جواد من كبوة وأنشد بعض الادباء بيتا لدعبل وهو

شفيعك فاشكر فى الحوائج انه * يصونك عن مكروهها وهو يخلق

فقلت له عجز هذا البيت حسن وأما صدره فقبيح لأنه سبكه قلقا نافرا وتلك الفاء التى فى قوله شفيعك فاشكر كأنها ركبة البعير وهى فى زيادتها كزيادة الكرش فقال لهذه الفاء فى كتاب الله أشباه كقوله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر فقلت له بين هذه الفاء وتلك الفاء فرق ظاهر يدرك بالعلم أولا وبالذوق ثانيا أما العلم فان الفاء فى وربك فكبر وثيابك فطهر فهى الفاء العاطفة فانها واردة بعد قم فأنذر وهى مثل قولك امش فاسرع وقل فأبلغ وليست الفاء التى فى شفيعك فاشكر كهذه الفاء لان تلك زائدة لاموضع لها ولو جاءت فى السورة كما جاءت فى قول دعبل وحاش لله من ذلك لا يبتدىء الكلام فقيل ربك فكبر وثيابك فطهر لكنها لما جاءت بعد قم فأنذر حسن ذكرها فيما يأتى بعدها من وربك فكبر وثيابك فطهر وأما الذوق فانه ينبو عن الفاء الواردة فى قول دعبل ويستثقلها ولا يوجد ذلك فى الفاء الواردة فى السورة فلما سمع ما ذكرته أذعن بالتسليم ومثل هذه الدقائق التى ترد فى الكلام نظما كان أو نثرا لايتفطن لها الا الراسخ فى علم الفصاحة والبلاغة (ومن هذا القسم) وصل همزة القطع وهو محسوب من جائزات الشعر التى لاتجوز فى الكلام المنثور وكذلك قطع همزة الوصل لكن وصل همزة القطع أقبح لانه أثقل على اللسان (فمما ورد من ذلك) قول أبى تمام

قرانى اللها والود حتى كأنما * أفاد الغنى من نائلى وفوائدى

(والناهل) الريان قال النابغة ينهل منه الأسل الناهل أى تروى منه الرماح العطاش (والماثل) القائم (والماثل) اللاطىء بالأرض قال الشاعر

فمنها مستبين وماثل* أى دارس (والصارخ) المستغيث والمغيث (والهاجد) لمصلى بالليل وهو النائم أيضا (والرهوة) الارتفاع والانحدار (والتلعة) مجرى الماء ينزل من أعلى الوادى وهى ما انهبط من الارض (والظن) اليقين والشك (والخشيب) السيف الذى لم يحكم عمله وهو الصقيل أيضا (الاهماد) السرعة فى السير (والاهماد) الاقامة (الخناذيذ) الخصيان من الخيل وهى الفحولة قال بشر

وخنذيذ ترى الغرمول منه * كطى الزق علقه التجار

(الاقراء) الحيض وهى الاطهار (والمفرع) فى الجبل المصعد وهو المنحدر (ووراء) تكون قداما وتكون خلفا قال الله عز وجل وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا (وكذلك) دون وفوق يكون بمعنى دون قال الله عز وجل ان الله لايستحيى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها أى فما دونها هذا قول أبى عبيدة وقال الفرا فما فوقها يعنى الذباب والعنكبوت (والحى) خلوف غيب ومتغيبون (وأسررت) الشيء أخفيته وأعلنته (ورتوت) الشيء شددته

فأصبح يلقاني الزمان من آجله * باعظام مولود ورأفة والد

فقوله من أجله وصل لهمزة القطع وعليه ورد قول أبي الطيب المتنبي

توسطه المفاوز كل يوم * طلاب الطالبين لا الانتظار

فقوله لاالانتظار كلام نافر عن موضعه (ومن هذا القسم) أن يفرق بين الموصوف والصفة بضمير من تقدم ذكره كقول البحتري

حلفت لها بالله يوم التفرق * وبالوجد من قلبي بها المتعلق

تقديره من قلبي المتعلق بها فلما فصل بين الموصوف الذي هو قلبي والصفة التي هي المتعلق بالضمير الذي هو بها قبح ذلك ولو كان قال من قلب بها متعلق لزال ذلك القبح وذهبت تلك الهجنة (ومن هذا القسم ايضا) أن تزاد الالف واللام في اسم الفاعل ويقام الضمير فيه مقام المفعول كقول أبي تمام

فلو عاينتهم والزائريهم * لما ميزت البعيد من الحميم

فقوله الزائري اسم فاعل وقوله هم الذي هو الضمير في موضع المفعول تقديره الزائرين أرضهم أو دارهم أو الزائرين اياهم فاستعمال هذا مع الالف واللام قبيح جدا واذا حذفت زال ذلك القبح وقد استعملها الشعراء المتقدمون كثيرا (ومما جاء من القسم الثاني) الذي يوجد في الألفاظ المتعددة قول أبي الطيب أيضا

لاخلق أكرم منك الا عارف * بك راء نفسك لم يقل لك هاتها

فان عجز هذا البيت نافر عن مواضعه وأمثال هذا في الاشعار كثير

﴿المقالة الثانية في الصناعة المعنوية﴾

وهي تنقسم قسمين الاول منها في الكلام على المعاني مجملا والثاني في الكلام عليها مفصلا وقبل الكلام على ذلك لابد من توطئة تكون شاملة لما نحن بصدد ذكره ههنا فأقول اعلم أن المعاني الخطابية قد حصرت أصولها وأول من تكلم في ذلك حكماء اليونان غير أن ذلك الحصر كلي لاجزئي ومحال أن تحصر جزئيات المعاني وما يتفرع عليها من التفريعات التي لانهاية لها لاجزم أن ذلك الحصر لايستفيد بمعرفته صاحب هذا العلم ولايفتقر اليه فان البدوي البادي راعي الابل ماكان يمر شيء من ذلك بفهمه ولا يخطر بباله ومع هذا فانه كان يأتي بالسحر الحلال ان قال شعرا أو تكلم نثرا ﴿فان قيل﴾ ان ذلك البدوي كان له ذلك طبعا وخليقة والله فطره عليه كما فطر ضروب نوع الآدمي على فطر مختلفة هي لهم في أصل الخلقة فانه فطر الترك على الاحسان في الرمي والاصابة فيه من غير تعليم وكذلك فطر أهل الصين على الاحسان في صنعة اليد فيما يباشرونه من مصوغ أو خشب أو فخار أو غير ذلك وكذلك فطر أهل المغرب على الشجاعة وهذا لانزاع فيه فانه مشاهد ﴿فالجواب عن ذلك﴾ أني أقول ان سلمت اليك أن الشعر والخطابة كانا للعرب بالطبع والفطرة فماذا تقول فيمن جاء بعدهم من شاعر وخطيب تحضروا وسكنوا البلاد ولم يروا البادية ولاخلقوا بها وقد أجادوا في تأليف النظم والشعر وجاؤا بمعان كثيرة ماجاءت في شعر العرب ولانطقوا بها ﴿فان قلت﴾ ان هؤلاء وقفوا على ماذكره علماء اليونان وتعلموا منه ﴿قلت لك في الجواب﴾ هذا شيء لم يكن ولا علم أبو نواس شيئا منه ولا مسلم بن الوليد ولا أبو تمام ولا البحتري ولا أبو الطيب المتنبي ولاغيرهم وكذلك جرى الحكم في أهل الكتابة كعبد الحميد وابن العميد والصابي وغيرهم فان ادعيت أن هؤلاء تعلموا ذلك من كتب علماء اليونان قلت لك في الجواب هذا باطل بي أنا فاني لم أعلم شيئا مما

وأرخيته (وأخفيت) الشيء أظهرته وكتمته (شعبت) الشيء جمعته وفرقته ومنه سميت المنية شعوب لأنها تفرق (طلعت) على القوم أقبلت حتى يروني وطلعت عنهم غبت حتى لايروني (بعت) الشيء بعته واشتريته (وشريت) الشيء اشتريته وبعته

﴿كتاب في اقامة الهجاء﴾

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (قال أبو محمد) الكتاب يزيدون في كتاب الحرف ماليس في وزنه ليفصلوا بالزيادة بينه وبين المشبه له وينقصون من الحرف ماهو في وزنه استخفافا واستغناء بما أبقى عما ألقى إذا كان في الكلام دليل على مايحذفون والعرب كذلك يفعلون يحذفون من اللفظة والكلمة نحو قولهم لم يك وهم يريدون لم يكن ولم أبل وهم يريدون لم أبال ويختزلون من الكلام مالايتم الكلام على الحقيقة الابه استخفافا وايجازا اذا عرف المخاطب مايعنون كما قال ذو الرمة ووصف حميرا

فلما لبسن الليل أوحين نصبت * له من خذا آذانها وهو جانح

خبرت عن الاصمعي انه قال أراد أوحين أقبل الليل نصبت آذانها وكانت مسترخية والليل مائل على النهار فحذف وقال النمر بن تولب

فان المنية من يخشها * فسوف تصادفه أينما

ذكره

ذكره حكماء اليونان ولا عرفته ومع هذا فانظر الى كلامى فقد أوردت لك نبذة منه فى هذا الكتاب واذا وقفت على رسائلى ومكاتباتى وهى عدة مجلدات وعرفت أنى لم أتعرض لشىء مما ذكره حكماء اليونان فى حصر المعانى علمت حينئذ أن صاحب هذا العلم من النظم والنثر بنجوة من ذلك كله وأنه لا يحتاج اليه أبداً وفى كتابى هذا ما يغنيك وهو كاف (ولقد فاوضنى بعض المتفلسفين فى هذا) وانساق الكلام إلى شىء ذكره لابى على بن سينا فى الخطابة والشعر وذكر ضربا من ضروب الشعر اليونانى يسمى اللاغوذيا وقام فأحضر كتاب الشفاء لأبى على ووقفنى على ما ذكره فلما وقفت عليه استجهلته فانه طول فيه وعرض كأنه يخاطب بعض اليونان وكل الذى ذكره لغو لا يستفيد به صاحب الكلام العربى شيئا ثم مع هذا جميعه فان معول القوم فيما يذكر من الكلام الخطابى أنه يورد على مقدمتين ونتيجة وهذا مما لم يخطر لأبى على بن سينا ببال فيما صاغه من شعر أو كلام مسجوع فان له شيئا من ذلك فى كلامه وعند افاضته فى صوغ ما صاغه لم تخطر المقدمتان والنتيجة له ببال ولو أنه أفكر أولا فى المقدمتين والنتيجة ثم أتى بنظم أو نثر بعد ذلك لما أتى بشىء ينتفع به ولطال الخطب عليه بل أقول شيئا آخر وهو أن اليونان أنفسهم لما نظموا ما نظموه من أشعارهم لم ينظموه فى وقت نظمه وعندهم فكرة فى مقدمتين ولا نتيجة وانما هذه أوضاع توضع ويطول بها مصنفات كتبهم فى الخطابة والشعر وهى كما يقال تعاقع ليس لها طائل كأنها شعر الأبيوردى * وحيث أوردت هذه المقدمة قبل الخوض فى تقسيم المعانى فانى راجع إلى شرح ما أجملته فأقول ﴿ أما القسم الأول ﴾ فان المعانى فيه على ضربين أحدهما يبتدعه مؤلف الكلام من غير أن يقتدى فيه بمن سبقه وهذا الضرب ربما يعثر عليه عند الحوادث المتجددة ويتنبه له عند الأمور الطارئة ولنشر فى هذا الموضع إلى نبذة لتكون مثالا للمتوشح لهذه الصناعة (فمن ذلك) ما ورد فى شعر أبى تمام فى وصف مصلبين

بكروا وأسروا فى متون ضوامر * قيدت لهم من مربط النجار
لا يبرحون ومن رآهم خالهم * أبدا على سفر من الأسفار

وهذا المعنى مما يعثر عليه عند الحوادث المتجددة والخاطر فى مثل هذا المقام ينساق إلى المعنى المخترع من غير كبير كلفة لشاهد الحال الحاضرة (وكذلك) قال فى هذه القصيدة فى صفة من أحرق بالنار

ما زال سر الكفر بين ضلوعه * حتى اصطلى سر الزناد الوارى
نارا يساور جسمه من حرها * لهب كما عصفرت شق إزار
طارت لها شعل يهدم لفحها * أركانه هدما بغير غبار
فصلن منه كل مجمع مفصل * وفعلن فاقرة بكل فقار
مشبوبة رفعت لأعظم مشرك * ما كان يرفع ضوءها للسارى
صلى لها حيا وكان وقودها * ميتا ويدخلها مع الفجار

وهذا مما يعين على استخراج المعانى فيه شاهد الحال (وقد ذيل البحترى) على ما ذكره أبو تمام فى وصف المصلبين فقال

كم عزيز أباده فغدا ير * كب عودا مركبا فى عود
أسلمته الى الرقاد رجال * لم يكونوا عن وترهم برقود
تحسد الطير فيه ضبع البوادى * وهو فى غير حالة المحسود

أراد أينما ذهب أو أينما كان فحذف ومثل هذا كثير فى القرآن والشعر وربما لم يمكن الكتاب أن يفصلوا بين المتشابهين بزيادة ولا نقصان فتركوهما على حالهما واكتفوا بما يدل من متقدم الكلام ومتأخره مخبرا عنهما نحو قولك للرجل لن يغزو وللاثنين لن يغزوا وللجميع لن يغزوا فلا يفصل بين الواحد والاثنين والجميع وانما يزيدون فى الكتاب فرقا بين المشتبهين حروف المد واللين وهى الواو والألف والياء لا يتعدونها الى غيرها ويبدلونها من الهمزة ألا ترى أنهم قد أجمعوا على ذلك فى كتاب المصحف واجتمعوا عليه فى أبى جاد وأما ما ينقصون للاستخفاف فحروف المد واللين وغيرها وسترى ذلك فى موضعه ان شاء الله

﴿ باب ألف الوصل فى الأسماء ﴾

تكتب بسم الله اذا افتتحت بها كتابا أو ابتدأت بها كلاما بغير ألف لانها كثرت فى هذه الحال على الألسنة فى كل كتاب يكتب وعند الفزع والجزع والخبر يرد والطعام يؤكل فحذفت الألف استخفافا فاذا توسطت كلاما أثبت فيها ألفا نحو ابدأ باسم الله واختم باسم الله قال الله عز وجل اقرأ باسم ربك وسبح اسم ربك وكذلك كتبت فى المصحف فى الحالين مبتدأة ومتوسطة (وابن) إذا

غاب عن صحبه فلاهو هو * جود لديهم وليس بالمفقود
وكان امتداد كفيه فوق الجذع فى محفل الردى المشهود
طائر مد مستريحاً جناحيه * ه استراحات متعب مكدود
أخطب الناس راكبا فاذا أرجل * خاطبت منه عين البليد

وهذه أبيات حسنة قد استوعبت أقسام هذا المعنى المقصود الا أن فيها معنى مأخوذا من شعر مسلم بن الوليد الأنصارى وهو قوله

نصبته حيث ترتاب الرياح به * وتحسد الطير فيه أضبع البيد

لكن البحترى زاد فى ذلك زيادة حسنة وهى قوله وهو فى غير حالة المحسود (ومن هذا الضرب) ماجاء فى شعر أبى الطيب المتنبى فى وصفه الحمى وهو قوله

وزائرتى كأن بها حياء * فليس تزور الا فى الظلام
بذلت لها المطارف والحشايا * فعافتها وباتت فى عظامى
كأن الصبح يطردها فتجرى * مدامعها بأربعة سجام
أراقب وقتها من غير شوق * مراقبة المشوق المستهام

وقد شرح أبو الطيب بهذه الأبيات حاله مع الحمى (ومن بديع ماأتى به فى هذا الموضع) أن سيف الدولة بن حمدان كان مخيما بأرض ديار بكر على مدينة ميافارقين فعصفت الريح بخيمته فتطير الناس لذلك وقالوا فيه أقوالا فمدحه أبو الطيب بقصيدة يعتذر فيها عن سقوط الخيمة أولها أينفع فى الخيمة العذل * فمنه ماأحسن فيه كل الاحسان وهو قوله

تضيق بشخصك أرجاؤها * ويركض فى الواحد الجحفل
وتقصر ماكنت فى جوفها * وتركز فيها القنا الذبل
وكيف تقوم على راحة * كأن البحار لها أنمل
فليت وقارك فرقته * وحملت أرضك ماتحمل
فصار الأنام به سادة * وسدتهموا بالذى يفضل
رأت لون نورك فى لونها * كلون الغزالة لا يغسل
وأن لها شرفا باذخا * وأن الخيام بها تخجل
فلا تنكرن لها صرعة * فمن فرح النفس مايقتل
ولو بلغ الناس مابلغت * لخانتهمو حولك الأرجل
ولما أمرت بتطنيبها * أشيع بأنك لا ترحل
فما اعتمد الله تقويضها * ولكن أشار بما تفعل
وعرف أنك من همه * وأنك فى نصره ترفل
فما العاندون وما أثلوا * وما الحاسدون وما قولوا
همو يطلبون فمن أدركوا * وهم يكذبون فمن يقبل
وهم يتمنون مايشتهون * ومن دونه جدك المقبل

هذه الأبيات قد اشتملت على معان بديعة وكفى المتنبى فضلا أن يأتى بمثلها وهذا مقام يظهر فى مثله براعة الناظم والناثر (وقرأت فى كتاب الروضة) لأبى العباس المبرد وهو كتاب جمعه واختار فيه أشعار شعراء بدأ فيه بأبى نواس ثم بمن كان فى زمانه وانسحب على ذيله فقال فيما أورده من

بمحمد بن عبد الله فان أضفته الى غير ذلك أثبت الألف نحو هذا زيدا بنك وابن أخيك وابن عمك وكذلك إذا كان خبرا كقولك أظن محمدا ابن عبدالله وكان زيد ابن عمرو وان زيدا ابن عمرو وفى المصحف قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله كتبا بالألف لأنه خبر (وان أنت) ثنيت الابن ألحقت فيه الالف صفة كان أو خبرا فقلت قال عبدالله وزيد ابنا محمد كذا وكذا وأظن عبدالله وزيدا ابنى محمد وان أنت ذكرت ابن بغير اسم فقلت جاءنا ابن عبدالله كتبته بالألف (وان) نسبته إلى غير أبيه فقلت هذا محمد ابن أخى عبدالله ألحقت فيه الالف وان نسبته إلى لقب قد غلب على اسم أبيه أو صناعة مشهورة قد عرف بها كقولك زيد بن القاضى ومحمد بن الأمير لم تلحق الألف لان ذلك يقوم مقام اسم الأب (واذا) أنت لم تلحق فى ابن ألفا لم تنون لاسم قبله (وان) ألحقت فيه ألفا نونت الاسم (وتكتب) هذه هند ابنة فلان بالألف وبالهاء

فاذا أسقطت الألف كتبت هذه هند بنت فلان بالتاء (وقال غيره) إذا أدخلت فيه الألف أثبت التاء وهو أفصح شعره

شعره وله معنى لم يسبق اليه باجماع وهو قوله

تدار علينا الراح فى عسجدية * حبتها بأنواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفى جنباتها * مها ثورتها بالعشى الفوارس
فللراح مازرت عليه جيوبها * وللماء مادارت عليه القلانس

وقد أكثر العلماء من وصف هذا المعنى وقولهم فيه انه معنى مبتدع (ويحكى عن الجاحظ) أنه قال مازال الشعراء يتناقلون المعنى قديما وحديثا الا هذا المعنى فان أبا نواس انفرد بابداعه وما أعلم أنا ما أقول لها ولا بى سوى أن أقول قد تجاوز بهم حد الاكثار ومن الامثال السائرة بدون هذا يباع الحمار وفصاحة هذا الشعر عندى هى الموصوفة لا هذا المعنى فانه لا كبير كلفة فيه لان أبا نواس رأى كأسا من الذهب ذات تصاوير فحكاها فى شعره والذى عندى فى هذا انه من المعانى المشاهدة فان هذه الخمر لم تحمل الاماء يسيرا وكانت تستغرق صور هذا الكاس الى مكان جيوبها وكان الماء فيها قليلا بقدر القلانس التى على رؤسها وهذا حكاية حال مشاهدة بالبصر وكذلك ورد قوله فى الخمر أيضا

ياشقيق النفس من حكم * نمت عن ليلى ولم تنم
فاسقنى الخمر التى اختمرت * بخمار الشيب فى الرحم

وهذا معنى مخترع لم يسبق اليه وهو دقيق يكاد لدقته أن يلتحق بالمعانى التى تستخرج من غير شاهد حال متصور (وبلغنى) أنه اختلف فى هذا المعنى بحضرة الرشيد هرون رحمه الله فقيل انه يريد بخمار الشيب فى الرحم ان الخمر تكون فى جوانبها ذات زبد أبيض على وجهها فقال الاصمعى ان أبا نواس ألطف خاطرا من هذا وأسد غرضا فاسألوه فأحضر وسئل فقال ان الكرم أول ما يجرى فيه الماء يخرج شبيها بالقطنة وهى أصل العنقود فقال الاصمعى ألم أقل لكم ان الرجل ألطف خاطرا وأسد غرضا وقد جاء لابن حمديس الصقلى فى الهلال لآخر الشهر ما لم يأت به غيره وهو من الحسن واللطافة فى الغاية القصوى وذلك قوله

كأنما أدهم الظلماء حين نجا * من أشهب الصبح ألقى نعل حافره

وهذا حكاية حال مشاهدة بالبصر الا أنه أبدع فى التشبيه وأمثال هذا كثيرة فى أقوال المجيدين من الشعراء (وجملة الامر فى ذلك) أن الشاعر أو الكاتب ينظر الى الحال الحاضرة ثم يستنبط لها ما يناسبها من المعانى كما فعل النابغة فى مدح النعمان وقد أتاه وفد من الوفود فمات رجل منهم قبل أن يوفدهم فلما وفدهم جعل عطاء ذلك الميت على قبره حتى جاء أهله وأخذوه فقال النابغة فى ذلك

حبا شقيق فوق أحجار قبره * وما كان يحبى قبله قبر وافد

وهذا بيت من جملة أبيات فانظر كيف فعل النابغة فى هذا المعنى (وكذلك) ورد قول أخت جساس زوجة كليب فانه لما قتل جساس كليبا اجتمع النساء الى هاونديه فتحدث بعضهن الى بعض وقلن هذه ليست ناكلة وانما هى شامتة فان أخاها هو القاتل فنم ذلك اليها فقالت

ياابنة الاقوام ان شئت فلا * تعجلى باللوم حتى تسألى
فاذا أنت تبينت الذى * يوجب اللوم فلومى واعذلى
ان أختا لامرىء لمت على * شفق منها عليه فافعلى
جل عندى فعل جساس فوا * حسرتا عم انجلت أو تنجلى

اذا أدخلت عليها لام الجر حذفتها فقلت هذا للقوم وللغلام وللناس فان أدخلت عليها باء الصفة لم تحذفها فكتبت بالقوم وبالغلام وبالناس فان جاءت ألف ولام من نفس الحرف ليستا للتعريف نحو الالف واللام اللتين فى التقاء والتفات والتباس ثم أدخلت عليها لام الصفة أو باء الصفة أثبت الالف نحو قولك لالتقائنا ولالتفاتنا ولالتباس الامر على وبالتباسه لانهما من نفس الحرف وليستا زائدتين فان أدخلت الالف واللام الزائدتين للمعرفة على الالف واللام اللتين من نفس الحرف ولم تصل الحرف بباء الصفة ولا لام الصفة لم تحذف شيئا فكتبت الالتقاء والالتفات والالتباس فان وصلتها بباء الصفة لم تحذف فكتبت بالالتقاء وبالالتفات وبالالتباس فان وصلت بلام الصفة حذفت فكتبت للالتقاء وللالتفات وللالتباس

﴿باب ما تغيره ألف الوصل﴾

تقول ايت فلانا ايذن لى على الامير ايبق ياغلام ايجل من ربك ايأس من كذا وفى الجمع ايتوه ايذنوا كل ذلك تثبت فيه الياء فاذا وصلت ذلك بفاء أو واو

فعل جساس على وجدى به * قاطع ظهرى ومدن أجلى
لو بعين فقئت عين سوى * أختها فانفقأت لم أحفل
ياقتيلا قوض الدهر به * سقف بيتى جميعا من عل
هدم البيت الذى استحدثته * وانثنى فى هدم بيتى الاول
يشتفى المدرك بالثار وفى * دركى ثارى ثكل مثكلى
انـنى قاتلة مقتولة * ولعل الله أن يرتاح لى

وهذه الابيات لو نطق بها الفحول المعدودون من الشعراء لاستعظمت فكيف امرأة وهى حزينة فى شرح تلك الحال المشار اليها (واعلم) أنه قد يستخرج من المعنى الذى ليس بمبتدع معنى مبتدع فمن ذلك قول الشاعر المعروف بابن السراج فى الفهد

تنافس الليل فيه والنهار معا * فقمصاه بجلباب من المقل

وليس هذا من المعانى الغريبة ولكنه تشبيه حسن واقع فى موقعه وقد جاء بعده شاعر من أهل الموصل يقال له ابن مسهر فاستخرج من هذا البيت معنى غريبا فقال

ونقطته حباء كى يسالمها * على المنايا نعاج الرمل بالحدق

وهذا معنى غريب لم أسمع بمثله فى مقصده الذى قصد من أجله وقليلا مايقع فى هذا الكلام المنظوم والمنثور وهو موضع ينبغى أن توضع اليد عليه و يتنبه له وكذلك فلتكن سياقة ماجرى هذا المجرى (وقد جاءنى شىء من ذلك) فى الكلام المنثور (فمن ذلك) ماذكرته فى وصف نساء حسان وهو أقبلت ربائب الكناس فى مخضر للباس فقيل انما يخترن الخضرة من الالوان ليصح تشبيههن بالاغصان وهذا معنى غريب وربما يكون قد سبقت اليه الا أنه لم يبلغنى بل ابتدعته ابتداعا (ومن ذلك) ماذكرته فى فصل من كتاب يتضمن منازلة بلد فذكرت القتال بالمنجنيق وهو فنزلنا بمرأى منه ومسمع واستدرنا به استدارة الخاتم بالاصبع ونصبت المنجنيقات فأنشأت سحبا صعبة القياد مختصة بالربادون الوهاد فلم تزل تقذف السور بوبل من جلمودها وتفجؤه برعودها قبل بروقها وبروق السحب قبل رعودها حتى غادرت الحزن منه سهلا والعامر بلقعا مخلى وفى هذا معنيان غريبان أحدهما أن هذه السحب تخص الربا دون الوهاد والآخر أن رعودها قبل بروقها وكل ذلك يتفطن له بالمشاهدة (ومن ذلك) ماذكرته فى فصل من كتاب فقلت إذا تخلق المرء بخلق البأس والندى لم يخف عرضه دنسا كما أن الماء اذا بلغ قلتين لم يحمل نجسا وهذا المعنى مبتدع لى وهو مستخرج من الحديث النبوى فى قوله صلى الله عليه وسلم اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا (ومن ذلك) ماذكرته فى وصف مفازة فقلت مفازة لاتوطأ بأجفان ساهر ولا تقتل باقتحام خابر ولولا مسير الهلال من فوقها لما عرفت تمثال حافر (ومن ذلك) ماذكرته فى كتاب أصف فيه نزول العدو على حصار بلد من بلاد المكتوب عنه وكان ذلك فى زمن الشتاء فسقط على العدو ثلج كثير صار به محصورا فقلت وقد عاجله قتال البروق قبل البوارق وأحاط به الثلج فصار خنادق تحول بينه و بين الخنادق والشتاء قد لقى عسكره من البرد بعسكره والسماء قد قابلته بأغبر وجهها لا بأخضره والارض كأنها قرصة النقى وعسى أن تكون أرض محشره والمعنى المخترع من هذا الكلام قولى والارض كأنها قرصة النقى وعسى أن تكون أرض محشره وهو مستخرج من الحديث النبوى فى قوله صلى الله عليه وسلم انكم تحشرون على أرض بيضاء كقرصة

فأذن له عليك فأبق ياغلام وكذلك ان اتصلت بواو تقول وأتونى وأذنوا وأبقوا وتقول فأوجل من ربك فاوسن فى ليلتك من الوسن وكذلك اذا اتصلت بواو تقول واوجل من ربك واوسن وتقول فى فعل من الميسر يسر فلان وتقول فايسر وايسر (فان) اتصل هذا بثم أو بغيرها من سائر الكلام لم تحذف الياء وكتبت ايت فلانا ثم ائته ايذن لى على الامير ثم ائذن قال الله عز وجل ومنهم من يقول ائذن لى وقال ثم ائتوا صفا ويا صالح ائتنا (والفرق) بين الواو والفاء و بين ثم ان الفاء والواو يتصلان بالحرف فكأنهما منه ولا يجوز أن يفرد واحد منهما كما تفرد ثم لان ثم مفردة من الحرف (وتكتب) ماكان مضموما نحو أؤمر فلانا بكذا بالواو فان وصلتها بواو أو فاء قلت فأمر فلانا بالشخوص وأمر فلانا بالقدوم فأسقطت الواو فان وصلتها بثم لم تسقط الواو وكتبت أؤمر فلانا ثم أؤمره بالواو وكذلك اللهم أوجرنى فى مصيبتى بالواو (فان) وصلت بفاء أو واو أسقطت الواو ولا تسقطها مع ثم وفى المصحف فليؤد الذى اؤتمن أمانته كتب على قطع اؤتمن من الذى وكذلك القياس أن

كقرصة النقي يريد الخبزة البيضاء ولما كان الثلج على الارض مما ثلا لذلك ومشابها له استنبطت أنا له هذا المعنى المخترع فجاء كما تراه وهو من المعانى التى يدل عليها شاهد الحال وأحسن (من هذا كله) ما كتبته فى فصل من كتاب الى ديوان الخلافة ببغداد فقلت ودولته هى الضاحكة وان كان نسبها الى العباس وهى خير دولة أخرجت للزمن كما أن رعاياها خير أمة أخرجت للناس ولم يجعل شعارها من لون الشباب الا تفاؤلا بأنها لا تهرم وأنها لا تزال محبوبة من أبكار السعادة بالحب الذى لا يسلى والوصل الذى لا يصرم وهذا معنى استنبطه الخادم للدولة وشعارها وهو مما لم تخط به الاقلام فى خطها ولا أجالته الخواطر فى أفكارها وغرابة هذا المعنى ظاهرة ولم يأت بها أحد قبلى (و بلغنى) من المعانى المخترعة أن عبدالملك بن مروان بنى بابا من أبواب المسجد الاقصى بالبيت المقدس و بنى الحجاج بابا الى جانبه فجاءت صاعقة فأحرقت الباب الذى بناه عبدالملك فتطير لذلك وشق عليه فبلغ ذلك الحجاج فكتب اليه كتابا بلغنى كذا وكذا فليهن أمير المؤمنين أن الله تقبل منه ومامثلى ومثله الا كابنى آدم اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر فلما وقف عبد الملك على كتابه سرى عنه وهذا معنى غريب استخرجه الحجاج من القرآن الكريم وهو من المعانى المناسبة لما ذكرت فيه و يكفى الحجاج من فطانة الفكرة أن يكون عنده استعداد لاستخراج مثل ذلك (وأما المعانى) التى تستخرج من غير شاهد حال متصورة فانها أصعب مثالا مما يستخرج بشاهد الحال ولامر ما كان لابكارها سر لايهجم على مكامنه الا جنان الشهم ولا يفوز بمحاسنه الا من دق فهمه حتى جل عن دقة الفهم وللهجوم على عذارى المعانى المحمية بحجب البواتر أيسر من الهجوم على عذارى المعانى المحمية بحجب الخواطر وماذلك مما يلقيه اليك الاستاذ وليس يقوم به الا الفذ ولا أقول الافذاذ وأين الذى ينشىء فيحسن فيها الانشاء و يبرز فيها صورا يركبها كيف يشاء ومن نظر الى هذا الموضع حق النظر وأخذ فيه بالعين دون الأثر علم أنه مقام يزلق بمعارف الافهام فكيف بمواقف الاقدام وليست المعانى فيه الا كالارواح ولا الالفاظ الا كالاجسام فمن شاء أن يخلق خلقا من الكلام فليأت به على صورة الاناسى لا على صورة الانعام فان من القول الغانية التى هى أحسن من الغانية ومنه البهيمة التى لا تشبه الا بالسانية (فماجاء فى هذا الباب) قول أبى نواس

شرابك فى السراب إذا عطشنا * وخبزك عند منقطع التراب
وما روحتنا لتذب عنا * ولكن خفت مرزية الذباب

فالبيت الثانى من هذين البيتين هو المشار اليه بانه معنى مبتدع ويحكى عن الرشيد هرون رحمه الله أنه قال لم يهج باد ولا حاضر بمثل هذا الهجاء (ومن هذا الباب) قول مسلم بن الوليد

تنال بالرفق ما تعيا الرجال به * كالموت مستعجلا يأتى على مهل

(ومن هذا الباب)قول على بن جبلة

تكفل ساكن الدنيا حميد * فقد أضحت له الدنيا عيالا
كأن أباه آدم كان أوصى * اليه أن يعولهمو فعالا

وهذا معنى دندن حوله الشعراء وفاز على بن جبلة بالافصاح عنه وقد قيل إن أبا تمام أكثر الشعراء المتأخرين ابتداعا للمعانى وقد عدت معانيه المبتدعة فوجدت مايزيد على عشرين معنى وأهل هذه الصناعة يكبرون ذلك وماهذا من مثل أبى تمام بكبير فانى أنا عددت معانى المبتدعة

يكتب كل حرف على الانفراد ولا ينظر الى ما قبله مما يزيله عن حاله إذا أدرجت فتغيره إذا اتصل به ولو كتب على الاتصال لكتب باسقاط الواو (فان) وصلت أوتمن بواو أو فاء حذفت الواو فكتبت وأتمن فلان على بيت المال وأتجر عليه بكذا وكذا وأتمر به وكذلك الفاء (فان) اتصل ذلك بثم أثبت الواو فكتبت أوتمن ثم اؤتمن وتقول ايجل ولا توجل تقلب الواو فى الاولى ياء للكسرة قبلها وكذلك يوجل ويوحر ويوسن ويوهل (فان)اتصلت بواو أوفاء كتبت بالواو ونحو قولك اى والله فأوجل واوحل واوسن واوهل (فان)اتصلت بثم أو بغيرها من الكلام كتبت بالياء تقول قد قلت لكم ايجلوا وقلت لكم ايهلوا وقلت لكم ايسنوا ثم ايسنوا ثم ايجلوا ثم ايهلوا وانما تفعل هذا لانك تكتب الحرف على الانفراد ولا تغيره لتغير ما قبله إذا وصلته به وأما الواو والفاء فكأنهما من نفس الحرف لانهما لا ينفردان كما تنفرد ثم

﴿باب دخول ألف الاستفهام على ألف الوصل﴾

إذا دخلت ألف الاستفهام على ألف الوصل ثبتت ألف الاستفهام وسقطت ألف الوصل فى اللفظ والكتاب قال الله تعالى سواء عليهم أستغفرت لهم ومثله أصطفى البنات على البنين . وتقول

التى وردت فى مكاتباتى فوجدتها أكثر من هذه العدة وهى مما لا أنازع فيه ولا أدافع عنه فاما ماورد لابى تمام فمن ذلك قوله

يا أيها الملك النائى برؤيته * وجوده لمراعى جوده كثب
ليس الحجاب بمقص عنك لى أملا * ان السماء ترجى حين تحتجب

وكذلك قوله رأينا الجود فيك وماعرضنا * لسجل منه بعد ولا ذنوب
ولكن دارة القمر استتمت * فدلتنا على مطر قريب

وكذلك قوله فى الهجاء

وأنت تدير قطب رحاعليا * ولم ير للرحا العلياء قطبا
ترى قطر بكل صراع قرن * إذا ما كنت أسفل منه جنبا

وكذلك قوله وإذا أراد الله نشر فضيلة * طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يعرف طيب عرف العود

وكذلك قوله لاتنكروا ضربى له من دونه * مثلا شرودا فى الندى والباس
فالله قد ضرب الاقل لنوره * مثلا من المشكاة والنبراس

وكذلك قوله لا تنكرى عطل الكريم من الغنى * فالسيل حرب للمكان العالى

وكذلك قوله فى الشيب

شعلة فى المفارق استودعتنى * فى صميم الفؤاد ثكلا صميما
يستثير الهموم ما اكتن منها * صعدا وهى تستثير الهموما

فالبيت الثانى من المعانى المخترعة وقد تفقه فيه فجعله مسئلة من مسائل الدور وهذا من اغراب أبى تمام المعروف وهذا القدر كاف من جملة معانيه فانا لم نستقصها ههنا ومن هذا الباب قول ابن الرومى

كل امرىء مدح امرأ لنواله * وأطال فيه فقد أساء هجاه
لو لم يقدر ثم بعد المستقى * عند الورود لما أطال رشاه

وكذلك قوله عدوك من صديقك مستفاد * فلا تستكثرن من الصحاب
فان الداء أكثر ما تراه * يكون من الطعام أوالشراب

وكذلك قوله لما تؤذن الدنيا به من صروفها * يكون بكاء الطفل ساعة يولد
والا فما يبكيه منها وانه * لأوسع مما كان فيه وأرغد
اذا أبصر الدنيا استهل كأنه * بما هو لاق من أذاها يهدد

وكذلك قوله رددت على مدحى بعد مطل * وقد دنست ملبسه الجديدا
وقلت امدح به من شئت غيرى * ومن ذا يقبل المدح الرديدا
وهل للحى فى أكفان ميت * لبوس بعدما امتلئت صديدا

وقدورد لابى الطيب المتنبى من ذلك كقوله

أجزنى اذا أنشدت مدحا فانما * بشعرى أتاك المادحون مرددا
ودع كل صوت بعد صوتى فاننى * أنا الصائح المحكى والآخر الصدى

فالبيت الاول قد توارد على معناه الشعراء قديما وحديثا لكن البيت الثانى فى التمثيل الذى مثله ليس لاحد الا له وكذلك قوله

﴿باب دخول ألف الاستفهام على الالف واللام التى تدخل للعرفة﴾ إذا أدخلت ألف الاستفهام على الالف واللام اللتين للتعريف ثبتت ألف الاستفهام وحدثت بعدها مدة نحو قول الله عز وجل آلله خير أم مايشركون آلآن وقد عصيت قبل وتقول آلرجل قال ذاك تكتبه بالالف ولا تبدل من المدة شيئا

﴿باب دخول ألف الاستفهام على ألف القطع﴾

إذا دخلت ألف الاستفهام على ألف القطع وكانت ألف القطع مفتوحة نحو قول الله تعالى أأنت قلت أأنذرتهم أم لم تنذرهم فان شئت أثبت الهمزتين معا فى اللفظ وان شئت همزت الاولى ومددت الثانية وأما فى الكتاب فان بعض الكتاب يثبتهما معا ليدل على الاستفهام ألا ترى انك لو كتبت أنت قلت للناس أنذرتهم لم يكن بين الاستفهام والخبر فرق وبعضهم يقتصر على واحدة استثقالا لاجتماع ألفين فاذا كانت ألف القطع مضمونة ودخلت عليها ألف الاستفهام نحو قولك أؤكرمك أؤعطيك أؤنبئكم بخير من ذلكم قلبت ألف القطع فى الكتاب واوا وعلى ذلك كتاب المصحف وان شئت كتبت ذلك بألفين على مذهب التحقيق

بهجر سيوفك أغمادها * تمنى الطلى أن يكون الغمودا
الى الهام تصدر عن مثله * يرى صدرا عن ورودورودا

وكذلك قوله فى بدر بن عمار يهنيه ببرئه من مرض

قصدت من شرقها ومغربها * حتى اشتكتك الركاب والسبل
لم تبق الا قليل عافية * قد وفدت تجتديكها العلل

وقد وقفت على ماشاء الله من أشعار الفحول من الشعراء قديما وحديثا فلم أجد لاحد منهم فى ذكر المرض مايعد معنى مخترعا لا بل لم أجد من أقوالهم شيئا مرضيا ماعدا المتنبي فانه ذكر المرض فى عدة مواضع من شعره فأجاد وهذا البيت الثانى من هذين البيتين معنى مخترع له وقد أحسن فيه كل الاحسان (ومما ابتدعه) باجماع قوله فى مدح عضد الدولة فى قصيدته النونية التي مطلعها * مغانى الشعب طيبا فى المغانى * فقال عند ذكره

فعاشا عيشة القمرين يحيا * بضوئهما ولا يتحاسدان
ولا ملكا سوى ملك الاعادى * ولا ورثا سوى من يقتلان
وكان ابنا عدو كاثراه * له ياءى حروف أنيسيان

أى جعل الله ابنى عدو كاثراه يعنى ابنى عضد الدولة كياءى حروف تصغير انسان فان ذلك زيادة وهو نقص فى المقدار الا أن سبك هذا البيت قد شوهه وأذهب طلاوة المعنى المندرج تحته (ومن معانيه) المبتدعة قوله

فان تفق الانام وأنت منهم * فان المسك بعض دم الغزال

وأحسن من ذلك قوله

صدمتهم بخميس أنت غرته * وسمهريته فى وجهه غمم
فكان أثبت مافيهم جسومهم * يسقطن حولك والارواح تنهزم

وهذا من أعاجيب أبى الطيب التى برز فيها على الشعراء (ومن الاحسان) فى هذا الباب قول بعضهم وقد أشق الحجاب الصعب مأذيه * دونى وآبى ولو جافيه ان طرقا

كالطيف يأبى دخول الجفن منفتحا * وليس يدخله الا إذا انطبقا

ورأيت ابن حمدون البغدادى صاحب كتاب التذكرة قد أورد هاتين البيتين فى كتابه وقال قد أغرب هذا الشاعر ولكنه خلط وجرى على عادة الشعراء لأن الطيف لايدخل الجفن وإنما يتخيل إلى النفس وهذا كلام من لم يطعم من شجرة الفصاحة والبلاغة وليس مثله عندى الا كما يحكى عن ملك الروم إذ أنشد عنده بيت المتنبي الذى هو

كأن العيس كانت فوق جفنى * مناخاة فلما ثرن سالا

فسأل عن المعنى ففسر له فقال ماسمعت بأكذب من هذا الشاعر أرأيت من أناخ الجمل على عينه لا يهلكه (ومن محاسن هذا القسم) قول بعضهم

تخيره الله من آدم * فمازال منحدرا يرتقى

﴿ وكذلك قول الآخر ﴾

بأبى غزال غازلته مقلتى * بين الغوير و بين شطى بارق
عاطيته والليل يسحب ذيله * صهباء كالمسك الفتيق لنا شق
وضممته ضم الكمى لسيفه * وذؤابتاه حمائل فى عاتقى

جئت أكرمتنى قلبت ألف القطع ياء وعلى ذلك كتاب المصحف وان شئت كتبت ذلك بألفين على مذهب التحقيق وهو أعجب الى ومن كان من لغته أن يحدث بين الألفين مدة مثل قول ذى الرمة

أيا ظبية الوعساء بين جلاجل * وبين النقا آأنت أم أم سالم

ويروى جلاجل فلا بد من اثبات ألفين لانها ثلاث ألفات فى الحقيقة فتحذف واحدة استثقالا لاجتماع ثلاث ألفات ولا يجوز أن تحذف اثنتين فتخل بالحرف

﴿ باب ألف الفصل ﴾

ألف الفصل تزاد بعد واو الجمع مخافة التباسها بواو النسق فى مثل وردوا وكفروا ألا ترى أنهم لو لم يدخلوا الألف بعد الواو ثم اتصلت بكلام بعدها ظن القارىء أنها كفر وورد وفعل فميزت الواو لما قبلها بألف الفصل ولما فعلوا ذلك فى الأفعال التى تنقطع واوها من الحرف قبلها نحو ساروا وجاؤا فعلوا ذلك فى الافعال التى تتصل واوها بالحرف قبلها نحو كانوا وبانوا ليكون حكم هذه الواو فى كل موضع حكما واحدا وتزاد ألف الفصل أيضا بعد الواو فى مثل يغزوا ويدعوا وليست واو جميع ورأى بعض كتاب زماننا هذا

حتى إذا مالت بهسنة الكرى * زحزحته شيئا وكان معا تقى
أبعدته عن أضلع تشتاقه * كى لاينام على وساد خافق

وهذا من الحسن والملاحة بالمكان الاقصى ولقد خفت معانيه على القلوب حتى كادت ترقص رقصا والبيت الاخير منه هوالموصوف بالابداع وبه وبأمثاله أقرت الابصار بفضل الاسماع (ومن هذا الضرب) قول بعض المصريين يهجو انسانا يقال له ابن طليل احترقت داره

انظر إلى الأيام كيف تسوقنا * طوعا إلى الاقرار بالأقدار
ما أوقد ابن طليل قط بداره * ناراً وكان هلاكها بالنار

وكذلك ورد قول ابن قلاقس من شعراء مصر

زد رفعة ان قيل أنغـ * ـض وانخفض ان قيل أثرى
كالغصن يدنو ما اكتسى * ثمرا وينأى ما تعرى

وهذا من المعانى الدقيقة (ومن هذا الاسلوب) قول الشاعر المعروف بالحافظ فى تشبيه البهار وهو

عيون تبر كأنما سرقت * سواد أحداقها من الغسق
فان دجا ليلها بظلمته * ضمن من خوفها على السرق

وهذا تشبيه بديع لم يسمع بمثله وهو من اللطافة على مالا خفاء به (ومن هذا القسم) قول بعض المتأخرين من أهل زماننا

لا تضع من عظيم قدر وان كنـ * ـت مشارا اليه بالتعظيم
فالشريف العظيم ينقص قدرا * بالتعدى على الشريف العظيم
ولع الخمر بالعقول رمى الخمـ * ـر بتنجيسها وبالتحريم

(ومن غريب ماسمعته فى هذا الباب) قول بعض الشعراء المغاربة يرثى قتيلا

غدرت به زرق الاسنة بعد ما * قد كن طوع يمينه وشماله
فليحذر البدر المنير نجومه * إذ بان غدر مثالها بمثاله

وكذلك جاء قول بعض المغاربة فى الخمر وكاساتها

ثقلت زجاجات أتتنا فرغا * حتى إذا ملئت بصرف الراح
خفت فكادت أن تطير بماحوت * وكذا الجسوم تخف بالارواح

وهذا معنى مبتدع أشهد أنه يفعل بالعقول فعل الخمر سكرا ويروق كما رقت لطفا ويفوح كما فاحت نشرا وكذلك ورد قول ابن حمديس الصقلى

ياسالبا قمر السماء جماله * ألبستنى للحزن ثوب سمائه
أضرمت قلبى فارتمى بشرارة * وقعت بخدك فانطفت من مائه

وهذا المعنى دقيق جدا (وقد سمعت فى الحال) ماشاء الله أن أسمع فلم أجد مثل هذا وقد جاءنى فى الكلام المنثور من هذا الضرب شيء وسأذكر ههنا منه نبذة (فمن ذلك) ماذكرته فى وصف صورة مليحة فقلت ألبس من الحسن أنضر لباس وخلق من طينة غير طينة الناس وكما زاد حسنا فكذلك ازداد طيبا واتفقت فيه الاهواء حتى صار الى كل قلب حبيبا فلو صافح الورد اتعطرت أوراقه أو مر على النيلوفر ليلا لتفتحت أحداقه (والمعنى) الغريب ههنا أن الشمس اذا طلعت على النيلوفر تفتح أوراقه واذا غربت عنه انضم ثم انى سمعت هذا فى شعر الفرس لبعض شعرائهم فحصل عندى منه تعجب (ومن ذلك) ماذكرته فى ذم الشيب فقلت الشيب

وذلك لأن العلة التى أدخلت لها هذه الألف فى الجميع لا تلزم فى هذا الموضع ألا ترى أنك اذا كتبت الفعل الذى تتصل واو به مثل أنا أرجو وأنا أدعو لم تشبه واوه واو النسق لا تصالها بالفعل واذا كتبت الفعل الذى تنفصل واوه منه مثل أنا أذر والتراب وأسر والثوب أى أنزعه لم تشبه واوه واو النسق الا بأن تزيل الحروف عن معناه لأن الواو من نفس الفعل لاتفارقه الا فى حال جزمه والواو فى كفروا ووردوا واو جميع والفعل مكتف بنفسه يمكن أن يجعل للواحد وتتوهم الواو ناسقة لشيء عليه وقد ذهبوا مذهبا غير ان متقدمى الكتاب لم يزالوا على ما أنبأتك من الحاق ألف الفصل بهذا الواوات كلها ليكن الحكم فى كل موضع واحدا

باب الألفين يجتمعان فيقتصر على احداهما والثلاث يجتمعن فيقتصر على اثنتين

تكتب يابراهيم ويا سحق ويايوب ويابانا بألف واحدة وتحذف واحدة لأن فيما بقى دليلا على ماذهب وتكتب آدم وآخر وآيب وآمر بألف واحدة وتحذف واحدة لأن فيما بقى دليلا على ماذهب وكذلك الفعل نحو آمن وآزر فلان فلانا وتكتب ماآبا

اعدام للايسار وظلام للانوار وهو الموت الأول الذى يصلى نارا من الهم أشد وقودا من النار ولئن قال قوم انه جلالة فانهم دقوا به وماجلوا وأفتوا فى وصفه بغير علم فضلوا وأضلوا وما أراه الاحراثا للعمر ولم تدخل آلة الحرث دار قوم الا ذلوا ومن عجيب شأنه أنه المملوك الذى يشفق من بعده والحالق الذى يكره نزع برده ولما فقد الشباب كان عنه عوضا ولا عوض عنه فى فقده (والمعنى) المخترع ههنا فى قولى وما أراه الاحراثا للعمر ولم تدخل آلة الحرث دار قوم الاذلوا وهو مستنبط من الحديث النبوى وذاك أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى آلة حرث فقال مادخلت هذه دار قوم الاذلوا فأخذت أنا هذا ونقلته الى الشيب فجاء كما تراه فى أعلى درجات الحسن وذلك لما بينه و بين الشيب من المناسبة الشبيهة لأن الشيب يفعل فى البدن مايفعله المحرات فى الأرض وإذا نزل بالانسان أحدث عنده ذلا (ومن هذا الباب) ماذكرته فى فصل من كتاب الى بعض الناس أعبث به فقلت واذا كتبت مثالبه فى كتاب اجتمع عليه بنات وردان وحرم على أن أبدأ فيه بالبسملة لأنها من القرآن وهذا معنى لطيف فى غاية اللطافة وهو مخترع لى (وكذلك) كتبت الى بعض الناس كتابا من هذا الجنس أهزل معه فقلت فى فصل منه ماأذكره وهو ينبغى له أن يشكرنى على وسمه بهجائى دون امتداحى فانى لم أسمه الا لتتحرم به الأضحية فى يوم الأضاحى ولاشك أن سيدنا معدود فى جملة الأنعام غير أنه من ذوات القرون والقرن عدوه عند الخصام وهذا معنى ابتدعته ابتداعا ولم أسمعه لأحد من قبلى (ومن ذلك) ماذكرته فى جملة كتاب يتضمن هزيمة الكفار وذلك فصل منه فقلت وكانت الوقعة يوم الأحد منتصف شهر كذا وكذا وهذا هو اليوم الذى تخيره الكفار من أيام الأسبوع ونصبوه موسما لشرع كفرهم المشروع فحصل ارتيابهم به اذ تضمن للاسلام مزيدا وقالوا هذا يوم قد أسلم فلا نجعله لنا عيدا وقد أفصح لهم لسانه لو كانوا يعلمون بأن الدين عند الله هو الاسلام وأن أولياءهم المسلمون وهذا معنى انفردت بابتداعه ولم يأت به أحد ممن تقدمنى (ومن ذلك) ماذكرته فى فصل من كتاب الى ديوان الخلافة ببغداد وهو فى وصف القلم فقلت وقلم الديوان العزيز هو الذى يخفض و يرفع و يعطى و يمنع وهو المطاع لجدع أنفه وسواد لباسه وقدور د الأمر بطاعة الحبشى الاجدع ومن أحسن صفاته أن شعاره من شعار مولاه فهو يخلع على عبيده من الكرامة مايخلع فى هذه الأوصاف معان حسنة لطيفة ومنها معنى غريب لم أسبق اليه وهو قولى انه المطاع لجدع أنفه وسواد لباسه وقدور د الأمر بطاعة الحبشى الاجدع فان هذا مما ابتكرته وهو مستخرج من الحديث النبوى فى ذكر الطاعة والجماعة فقال صلى الله عليه وسلم أطع ولو عبدا حبشيا مجدعا ماأقام عليك كتاب الله فاستخرجت أنا للقلم معنى من ذلك وهو أن القلم يجدع ويقمص لباس السواد فصار حبشيا أجدع وهذا كما فعل أبو تمام حبيب بن أوس الطائى فى قصيدته السينية فانه استخرج المعنى المخترع من القرآن الكريم وأنا استخرجت المعنى من الخبر النبوى كما أريتك وهذا المعنى المشار اليه فى وصف القلم أوردته بعبارة أخرى على وجه آخر ونبهت عليه فى كتاب الوشى المرقوم فى حل المنظوم وهذا كتاب ألفته فى صناعة حل الشعر وغيره (و بعد هذا) فسأقول لك فى هذا الموضع قولا لم يقله أحد غيرى وهو أن المعانى المبتدعة شبيهة بمسائل الحساب المجهول من الجبر والمقابلة فكما أنك اذا وردت عليك مسئلة من المجهولات تأخذها وتقلبها ظهرا لبطن وتنظر الى أوائلها وأواخرها وتعتبر أطرافها وأوساطها وعند ذلك تخرج بك الفكرة الى معلوم فكذلك اذا ورد عليك معنى من المعانى ينبغى لك أن تنظر فيه كنظرك فى المجهولات الحسابية الا أن هذا لايقع فى كل معنى فان

فاذا جمعت كتبت براآت ومساآت وبداآتك وبداآت حوائجك بألفين لأنها فى الجمع ثلاث ألفات فلو حذفوا اثنتين أخلوا بالحرف وتقدير الحرف من الفعل فعالات وواحده فعالة وتقول للاثنين قرأا وملأ فقلبته بألفين ليفرق بالألف الثانية بين فعل الواحد وفعل الاثنين وكان الكتاب يكتبون ذلك فيما تقدم بألف واحدة والألفان أجود مخافة الالتباس فاذا نصبت الحرف الممدود نحو قبضت عطاء وابست كساء وشربت ماء وجزيتك جزاء فالقياس أن تكتبه بألفين لأن فيه ثلاث ألفات الأولى والهمزة والثانية وهى التى تبدل من التنوين فى الوقف فتحذف واحدة وتثبت اثنتين والكتاب يكتبونه بألف واحدة و يدعون القياس على مذهب حمزة فى الوقف عليها فاذا كان الحرف مهموزا مثل قولك أخطأت خطأ كثيرا ولو يجدون ملجأ كتبته بألف واحدة لأنه فى الأصل بألفين فتحذف واحدة وتبقى واحدة على القياس وتكتب هأنتم وهأنت وهأنا بألف واحدة وتحذف واحدة

واسرائيل استثقالا لها كما تترك صرفها وكذلك سليمن وهرون وسائر الأسماء المستعملة فأما مالا يستعمل من الاعجمية ولا يسمى به كثيرا نحو قارون وطالوت وجالوت وهاروت وماروت فلا تحذف الألف فى شيء من ذلك الا داود فانه لا تحذف ألفه وان كان مستعملا لأن الألف لو حذفت وقد حذفت منها احدى الواوين لاختل الحرف وما كان على فاعل مثل صالح وخالد ومالك فان حذف الالف منه حسن واثباتها حسن واذا جاء بها أسماء ليس يكثر استعمالها نحو جابر وحاتم وحامد وسالم فلا يجوز حذف الألف فى شيء منها وكل اسم منها يستعمل كثيرا ويجوز ادخال الألف واللام فيه نحو الحرث فانه تكتبه مع اثبات الالف واللام بغير ألف فاذا حذفت الالف واللام أثبت الالف فكتب حارث قال ذلك وقال بعض أصحاب الاعراب انهم كتبوا بالالف عند حذف الالف واللام لئلا يشبه حرب فيلتبس به ثم أدخلوا الالف واللام فحذفوا الالف حين أمنوا اللبس لانهم لا يقولون الحرب وهو اسم رجل وأما ما كان مثل عثمان ومروان وسفيان فاثبات

أكثر المعانى قد طرق وسبق اليه والابداع انما يقع فى معنى غريب لم يطرق ولا يكون ذلك إلا فى أمر غريب لم يأت مثله وحينئذ اذا كتب فيه كتاب أو نظم فيه شعر فان الكاتب والشاعر يعثران على مظنة الابداع فيه وقد لا بست ذلك فى مواضع كثيرة وسأورد ههنا ما يحتذى وحذوه لمن استطاع اليه سبيلا (ومن ذلك) ما كتبته عن نفسى الى بعض ملوك الشام وأهديت اليه رطبا وهو خلد الله دولة مولانا وعمرها مجدا وجنانا وخولها السعادة عطاء حسابا وأنشأ الليالى لخدمتها عربا أترابا وأبقى شبيبتها بقاء لا يستحدث معه خضابا ولا جعل لها فى محاسن الدول السابقة أشباها ولا أضرابا وألقى البأس بين أعدائها وحسادها حتى يبعث لهم فى الأرض غرابا اذا أراد العبيد أن يهدوا لمواليهم قصرت بهم يد وجدهم وعلموا أن كل ما عندهم من عندهم لكن فى الأشياء المستطرفة ما يهدى وان كان قدره خفيفا ولولا اختلاف البلاد فيما يوجد بها لما كان شيء من الأشياء طريفا وقد أهدى المملوك من الرطب ما يتجلى فى صفة الوارس ويزهى بحسنه حتى كأنه لم يدنس بيد لامس وما سمى رطبا الا لاشتقاقه من الرطب الذى هو ضد اليابس وقد أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ثناء جما وفضل شجرته على الشجر بأن سماها أما ولئن عدم عرفا لذيذا فانه لم يعدم منظرا لذيذا ولا طعما وله أوصاف أخرى هى لفضله بمنزلة الشهود فمنها أنه أول غذاء يفطر عليه الصائم وأول غذاء يدخل بطن المولود وأحسن من ذلك أنه معدود من الحلوا وان كان من ذوات الفراس ولا فرق بينهما سوى أنه من خلق الله وتلك من خلق الناس واذا أنصف واصفه قال ما من ثمرة إلا وهى عنه قاصرة ولو تفاخرت البلاد بمحاسن ثمارها لقامت أرض العراق به فاخرة وها قد سار الى باب مولانا وهو مجنى المناقب سار الى مجنى الكرم ومالك الفاكهة وفد على مالك الشيم ولما استقلت به الطريق أنشأ الحسد لغيره من الفواكه أربا ومامنها الا من قال يا ليتنى كنت رطبا ولئن كان من الثمرات التى تختلف فى الصور والأسماء ويفضل بعضها على بعض ويسقى بشرب واحد من الماء فكذلك تلك الشيم العريقة تتحد فى عنصرها وهى مختلفة الوتيرة ومن أفضلها سيمة السماح التى تقبل القليل من عبيدها وتسمح لهم بالعطايا الكثيرة وقد ضرب لها المملوك مثالا فقال هى كجنة بربوة بل ضرب لها ما ضرب للمثل النبوى وهى نخلة بكبوة ولا يختم كتابه بأحسن من هذا القول الذى طاب سمعا وزكا أصلا وفرعا وتصرف فى أساليب البلاغة فجاء به وترا وشفعا والسلام (وهذا كتاب غريب) فى معناه وقد اشتمل على معان كثيرة فمن جملتها أن الرطب مشتق من الرطب الذى هو ضد اليابس ومن جملتها أن النبى صلى الله عليه وسلم سمى النخلة أما فقال أكرموا عمتكم النخلة ومن جملتها أنه كان صلى الله عليه وسلم يفطر على رطبات فان لم يجد فتمرات ومن جملتها أنه كان يلوك التمرة ويحنك بها المولود عند ميلاده ولما ولد عبد الله بن الزبير جاءت أمه أسماء بنت أبى بكر رضى الله تعالى عنه ووضعته فى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلاك تمرة ووضعها فى فيه ومن جملتها أنه والحلواء شيء واحد الا أنه من خلق الله وتلك من خلق الناس ومن جملتها أن العباس رضى الله عنه قال يارسول الله ان قريشا تذاكرت أحسابها فضربوا لك مثلا بنخلة بكبوة وكل هذه المعانى حسنة واردة فى موضعها ومن كتب فى معنى من المعانى فليكتب به هكذا والا فليدع (ومن ذلك) رقعة كتبتها الى بعض حجاب السلطان فى حاجة عرضت لى وأرسلت معها هدية من ثياب ودراهم وهى

مامن صديق وان صحت صداقته * يوما بأنجح فى الحاجات من طبق
إذا تلثم بالمنديل منطلقا * لم يخش نبوة بواب ولا غلق

الالف حسن والحذف حسن اذا كثر ومن ذلك مالم تحذف ألفه وهو مستعمل مثل عمران وكتبوا الرحمن بغير ألف حين أثبتوا الألف واللام واذا حذفت الالف واللام فاحب إلى ان يعيدوا الالف فيكتبوا رحمان الدنيا والآخرة وأما شيطان ودهقان فاثبات الالف فيهما حسن وكان القياس ان يكتبوها اذا دخلت الألف واللام فيهما بغير ألف الا ان الكتاب مجتمعون على ترك القياس والسلم عليكم وعبد السلم بغير ألف

باب حذف الألف من الاسماء في الجميع

الخاسرون والشاكرون والصادقون والكافرون والظالمون والفاسقون وما أشبه ذلك مما يكثر استعماله ان حذفت منه الألف فحسن وان أثبت الالف فيه فحسن وأما ما كان من بنات الواو والياء فليس يجوز فيه الااثبات الالف نحو هم القاضون والرامون والساعون وذلك انهم حذفوا الياء لالتقاء الساكنين لما استثقلوا ضمة في الياء بعد كسرة فسكنوا ثم حذفوا الياء فكرهوا ان يحذفوا الالف أيضا فيجمعوا الحرف وكذلك المضاعف نحو العادين والرادين ليس يجوز فيه الإثبات الالف للادغام وذهاب احدى الدالين في الكتاب وحذفوا الالف من

الهدية مشتقة من الهدى غير أنها ترف الى القلب لا إلى الندى وصهارتها أنفع من الصهارة وكلما ترددت كانت بكرا فهي لا تنفك عن البكارة ومن خصائصها أنها تمسك بمعروف أمن من السراح واذا رامت فتح باب لا تفتقر في علاجه إلى مفتاح وقد قيل انها الحسناء المتأنقة في عمارة بيتها التي توصف بأن القنديل يضيء بزيتها وقد أرسلتها الى المولى وهي تتهادى في اعجابها وتدل بكثرة دراهمها وثيابها وتقول أنا الكريمة في قومها الشريفة في أنسابها وأحسن مافيها أنها جاءت سرا لم تعلم بها اليد اليمنى من اليسرى فخذها يامولاى واكشف نقابها وأمط عنها جلبابها وقد كانت منك حرة وهي الآن في حيز الملكة ومن السنة في مثلها أن تؤخذ بالناصية ويدعى بالبركة والسائر بها فلان وهو في الجهل بها حامل أسفار وناقل لها من دار إلى دار ولربما نطق لسان حالها الذى هو أفصح من نطق اللسان وأذكرت بحاجة مرسلها وحاشى فطانة الكريم من النسيان وليس المطلوب الافضيلة من الجاه تسفر بين السائل والمسؤل وتنقل البعيد الى درجة القريب والممنوع إلى درجة المبذول فاذا فعل المولى ذلك كان له منة السفارة ومنة الانعام وان سمع بأن سعيا واحدا فاز بشكرين اثنين ففي مثل هذا المقام ومن الناس من يقول ليس على جانب السلطان ثقل في صنعه وهل ههنا الا كلمات تقال والكلام ماعون لارخصة في منعه ولم يدر أن ملاطفة الخطاب ضرب من الاحتيال وأن ثقل الخطوات فيه أثقل من نقل الجبال وأن صاحب الحاجة يحظى بحلاوة النجاح والحاجب يلقى مرارة السؤال وهذا يقوله الخادم ايجابا لاحسان المولى الذى هو احسان شامل ولا يعامله الاعالم بفضله ولا يجهله الا جاهل والله تعالى يجعل الحاجات مغدوقة ببابه حتى لا تنفك في الدنيا من امداد شكره وفي الآخرة من امداد ثوابه والسلام فتأمل أيها الناظر في كتابي هذا الى مااشتملت عليه هذه الرقعة من المعاني حتى تعلم كيف تصنع يدك فيما تكتبه (ومن ذلك) رقعة أخرى كتبتها في هذا المعنى المتقدم ذكره وأرسلت معها هدية من المسك وهي الهدية رسول يخاطب عن مرسله بغير لسان ويدخل على القلوب من غير استئذان وقد قيل أخت السحر في ملاطفة قصدها غير أنها لا تحتاج إلى نفثها ولا إلى عقدها وما من قلب الا وصورتها تجلى عليه في سرقة ولولا شرف مكانها لما حلت للنبي صلى الله عليه وسلم مع تحريم الصدقة ولها صفات غير هذه كريمة الاخطار حسنة لدى الأسماع والابصار ومن أحسنها أنها تستجد ودا وتجعل قربا مكان بعدا وتقول لنار الاحنة يانار كوني بردا ولهذا قيل تهادوا تحابوا ولاشك أنها وصلة بين المودات فاذا تواصل الناس تقاربوا وقد أرسل الخادم منها شيئا اذا كتمه ذاع واذا خزنه ضاع وقد شبه به الجليس الصالح بعدد أسباب الانتفاع ومما زاد مزية على مزيته أنه وشيم المولى توأمان غير أن شيمته تنتمي إلى كرم محتدها وهو ينتمي الى سرر الغزلان فاذا ورد على مجالسه قيل هذا عطر ورد على جونة عطار وعرف له حق المشاركة فان أدنى الشرك في الشيم جوار وقد نطق الخبر النبوى بانه أحد الثلاثة التي لا ترد على من أهداها وإذا نظر إلى محصول بقائها وفائدتها وجد أطولها عمراً وأجداها وهذا يحكم على المولى بقبول مااسترسل الخادم في ارساله واذا سأل غيره في قبول هديته كفاه نص الخبر مؤنة سؤاله والسلام وهذه الرقعة أحسن من التي قبلها (فما اشتملت عليه من المعاني) قولى ومامن قلب الا وصورتها تجلى عليه في سرقة ولولا شرف مكانها لما حلت للنبي صلى الله عليه وسلم مع تحريم الصدقة وهذان المعنيان مستخرجان من خبرين نبويين أحدهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال جاءني جبريل عليه السلام ومعه سرقة من حرير يعني حريرة بيضاء وفيها صورة

عائشة رضى الله تعالى عنها وقال هذه زوجتك فى الدنيا والآخرة والخبر الآخر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال حرمت على الصدقة وأحلت لى الهدية (ومما اشتملت عليه أيضا) قولى وقد أرسل الخادم متماشيا اذا كتمه ذاع واذا خزنه ضاع وهذه مغالطة حسنة لأن المسك اذا كتم ذاعت رائحته واذا خزن ضاع أى فاح ويقال ضاع الشىء اذا ذهب فالمغالطة ههنا فى الجمع بين الضدين (وكذلك) قولى وقد شبه به الجليس الصالح وهذا مستخرج من الخبر النبوى أيضا وذلك أنه قال صلى الله عليه وسلم مثل الجليس الصالح مثل حامل المسك اما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه واما أن تجد منه عرفا طيبا ومثل جليس السوء مثل نافخ الكير إما أن يحرق ثوبك واما أن تجد منه رائحة كريهة (ومما اشتملت عليه) من المعانى أيضا قولى انه أحد الثلاثة التى لا ترد على من أهداها وهذا مستخرج من الخبر النبوى أيضا وهو قوله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا ترد الطيب والريحان والدهن (ومن ذلك) رقعة كلفنى بعض أصدقائى املاءها عليه وهى رقعة من عاشق إلى معشوق وهى

واذا قيل من تحب تخطا * ك لسانى وأنت فى القلب ذاكا

يامن لا أسميه ولا أكنيه وأذكر غيره وهو الذى أعنيه لا تكن ممن أوتى ملكا فلم ينظر فى زواله وعرف مكانه من القلوب لجار فى ادلاله ولا تغتر بقول من رأى الحسن للاساءة ماحيا واعلم أن اللاحى يقول كفى بالتذلل لاحيا وكثيرا مايزول العشق بجنايات الصدود والزيادة فى الحد نقصان فى المحدود وقد قيل ان الحسن عليه زكاة كزكاة المال وليست زكاته عند علماء المحبة الاعبارة عن الوصال وهذه صدقة تقسم على أربابها ولا ينتظر أن يحول الحول فى ايجابها فهى مستمرة على تجدد الايام والمستحقون لها قسم واحد ولا يقال انهم ثمانية أقسام وهؤلاء هم المخصوصون بفك الرقاب ورقبة العشق أشد أسرا من رقبة تتحرر بالكتاب فأخرج يامولاى من هذا الحق الواجب والافتات لطالب منى ومطالب ولا تقل هذا غريم أكثر عدا الليالى فى مطله واعده والمواعيد زاد لمثله فهذه سلعة قد عاملتنى بها مرة ساخرا ومرة ساحرا ومن الاقوال السائرة أن الغر تجعله التجربة ماهرا ولعمرى ان ممارسة الحب تجدد لصاحبه علما وتبصره وان كان كما يقال أعمى وقد كذب القائل

عرضن للذى تحب بحب * ثم دعه يروضه ابليس

فان كانت الرياضة كما قيل لابليس فما أراه صنعا فى الذى صنع وأراك استعصيت عليه استعصاء القادح وأنت جذع ولا شك أنك تهدم مايشيده من البناء أو أنك مستثنى فى جملة من دخل فى حكم الاستثناء وأنا الآن له عائب وعليه عاتب فأين نفثاته التى هى أخدع من الحبائل وأين قوله لآتينهم عن الأيمان والشمائل وأين جنوده المسترقة مافى السما التى تجرى من بنى آدم مجرى الدما وكل هذا قد بطل عندى خبره كما بطل عندى أثره فان أدركته النخوة بأنى أستهزىء بتصديق أفعاله فليحاول معقول حاجتى هذه حتى أعلم أنه قادر على حل عقاله والا فليخفف رأسه وليبح وسواسه وان كان له عرش على البحر فليقوض من عرشه وليعلم أن السحر ليس فى عقده ونفثه ولكنه فى الاصفر ونقشه وهاأنا قد بعثت منه مايجعل العزم محلولا والود مبذولا وما أقول الا أنى بعثت معشوقا الى معشوق وكلاهما محله القلب بل القلب من حبهما مخلوق وماأكرمه وهو وسيلة إلى مثله وحسنه من حسنه وان لم يكن شكله من شكله وماوصفه واصف الا كان ماراه منه فوق مارواه ومن أغرب أوصافه وأحسنها انه لم ير ذو وجهين وجيها سواه لاجرم أنه اذا أسفر فى أمر تلطف فى فتح أبوابه وتناول وعره فبدله بسهله وبعده فبدله باقترابه ولو بعثت

حذفها وحذف الالف من الصالحات أحسن من اثباتها لانه لا ألف فى المسلمات الا التى تحذف وفى الصالحات ألف غير المحذوفة والدهاقين والدكاكين والدنانير والتماثيل والمحاريب والمصابيح اثبات الالف فيها كلها أجود وأحسن وكل جماعة ليس بينها وبين واحدها الا ألف فلا يجوز حذف الالف لئلا يشبه الجميع الواحد نحو مساكين لا يجوز أن تحذف الالف فيظن انه مسكين وكذلك مساجد ودراهم اذا كانت فى موضع لا يقع فيه الواحد كتبت بغير ألف فان كانت فى موضع يجوز ان يتوهم فيه الواحد أثبت الالف (والملائكة) اثبات الالف فيها احسن وحذفها حسن وهى مكتوبة فى المصحف بغير ألف وثلاثة وثلاثون بغير ألف وثمانية بغير ألف وثمانون أثبت بعضهم الألف لما حذف الياء وحذفها بعضهم وثمانى عشرة بألف وغير ألف ان جعلت فيها الياء حذفت الألف وان حذفت الياء منها أثبت الألف قال الاعشى

ولقد شربت ثمانيا وثمانيا وثمان عشرة واثنتين وأربعا وثمان اذا كتبتها مفردة غير مضافة أثبت فيها الالف وحذفت

غيره لخفت أن لا يكون فى سفارته صادقا أو أنه كان بمضى سفيرا ويعود عاشقا فليس على الحسن أمانة وفى مثله تعذر الخيانة ولا لوم على العقول إذا نسيت هناك عزيمة رشدها ورأت ما لا يحتمله كاهل جهدها ومن الذى يقوى درعه على تلك السهام أو يروم النجاة منها وقد حيل بينه وبين المرام وهذا الذى منعنى أن أرسل الآكيسا وكتابا فأحدهما يكون فى السفارة والآخر على السر حجابا والسلام ان شاء الله تعالى (وفى هذه الرقعة) من المعانى الغريبة ما أذكره فالاول ماذكرته فى قسم الصدقات وفك الرقاب والثانى ماذكرته فى وصف الدينار وهو أنه وجيه ذو وجهين وقال النبى صلى الله عليه وسلم ذو الوجهين لا يكون وجيها وهذا معنى لم يسبقنى أحد اليه وقد وصف الحريرى الدينار فى مقامة من مقاماته ولم يظفر بهذا المعنى ولا جاء من الاوصاف التى ذكرها بمثله والثالث أنى بعثت معشوقا الى معشوق (ومن ذلك ما كتبته) وكان توفيت زوجة بعض الملوك وتوفى معها ولدها وهو طفل صغير وكان بينهما يومان وتلك المرأة بنت ملك من الملوك أيضا فكتب اليه من الاطراف المجاورة يعزونه وحضر عندى بعض الأدباء ممن يحب أن يكون كاتبا وعرض على نسخة ماكتب به ذلك الملك فى التعزية بزوجته وولدها فوجدتها كتبا باردة غثة لا تعرب عن الحادثة بل بينها وبينها بعد المشرقين ومن شرط الكتابة أن يكون الكتاب مضمنا فض المعنى المقصود والتعازى مختلفة الانحاء فتعازى النساء غير تعازى الرجال وهى من مستصعبات فن الكتابة والشعر وتعازى الرجال أيضا تختلف فلا يعزى بالميت على فراشه كما يعزى بالميت قتيلا ولا يعزى بالقتيل كما يعزى بالغريق وهكذا يجرى الحكم فى المعانى جميعها وهذا شىء لا يتنبه له الا الراسخون فى هذا الفن من أرباب النثر والنظم وسألنى ذلك الرجل عن هذه التعزية المشار اليها فى المرأة وولدها الصغير وقال أحب أن أعلم كيف تكون فأمليت عليه ثلاثة كتب كل كتاب يتضمن معنى لا يتضمنه الكتاب الآخر (فما جاء منها) كتاب أناذا كره ههنا وهو أشجى التعازى ماأتبع فيه المفقود بمفقود ولاسيما إذا جمع بين سعد الاخبية وسعد السعود وكل منهما يعظم حزنا كما يعظم مكانا وهذا يحسر عن الوجوه خمرا وهذا يلقى عن الرؤس تيجانا ولم يوفهما حقهما من بكى ولا من ندب ولا من شعر ولا من كتب وليت فدى أحدهما بصاحبه فعاش درهما المفدى بالذهب

ولو كان خطبا واحدا خف كلمه * ولكنه خطب أعيد على خطب

وقد أصدر الخادم كتابه هذا ومن حقه أن يخرج فى ثوب من الحداد وأن يتعثر فى أذيال كلمه والكتاب عنوان الفؤاد وغاية ما يقول أحسن الله عزاء المجلس السامى الملك الاجل السيد على ان هذا الدعاء قد شهدت الحال بلحنه وكيف يملك قلبه عزاء وقد أوثقه الهم فى سجنه وصار له ولدا دون ولده وخدنا دون خدنه لكن يدعى له بامتداد البقاء وأن تعامله الحوادث بعد هذه معاملة الابقاء ثم تتبع ذلك بطلب الجنة لمن نقلته المنايا عن أرائك الخدور وجعلته فى بطون القبور ولمن فاجأت الايام غصنه فقصفته ولم يعش حتى عرف الدنيا ولا عرفته فواها لهما وقد نزلا بمنزل عديم الايناس وان كان مأهولا بأكثر الناس فهو القريب دارا البعيد مزارا الذى حجب من اليأس بأمنع حجاب وذهب عن الوجوه المنعمة لذل التراب فمن كان مسعدا للمجلس فليأخذ بوله الجذع لا بعزيمة الاصطبار وليقل هذا حادث بأن فيه تحامل الاقدار وجرت همومه مجرى الخواطر من القلوب والرقاد من الابصار فالاسوة الا فيه معدودة من الاحسان والسلوة الاعنه داخلة فى حيز الامكان والخادم أول من لقى المجلس فيه بالاسعاد وقام بما يجب من قضاء حق الوداد وفعل ما يفعله القريب الحاضر وان كان على شقة من

تقول أدع بم شئت وسل عما شئت وخذ بم شئت وكن فيم شئت إذا أردت سل عن أى شىء شئت نقصت الالف وان أردت سل عن الذى أحببت وخذه بالذى أحببت أتممت الالف فقلت أدع بما بدا لك وسل عما أحببت وخذه بما أردت كل هذا تتم فيه الالف إلا شئت خاصة فان العرب تنقص الالف منها خاصة فتقول أدع بما شئت فى المعنيين جميعا واعلم ان الحرف يتصل بما اتصالا لا يتصل بغيرها تقول إذا استفهمت فيم ضربت فتنقص الالف فاذا كانت فى غير الاستفهام أتممت فتقول جئت فيما سألتك وتقول كل ما كان منك حسن وان كل ما تأتيه جميل لانه يجوز ان يقال فيه كل الذى كان منك حسن فتقطعها لانها فى موضع اسم فاذا لم تكن موضع اسم وصلتها فتقول كلما جئتك بررتنى وكلما سألتك أخبرتنى وتكتب انما فعلت كذا وانما كلمت أخاك وانما أنا أخوك فتصل فاذا كانت فى موضع اسم قطعت فكتبت ان ماعندك أحب الى ان ما جئت به قبيح وقد كتبت فى المصحف وهى اسم مقطوعة وموصولة كتبوا أنما توعدون لآت مقطوعة وكتبوا

البعاد وقد أرسل من ينوب عنه في التعزية وان لم يكف فيها المناب وكما رخص العذر فى قصر الصلاة فكذلك رخص فى الاقتصار على الرسول والكتاب وقد ودلو حضر بنفسه فاستسقى لذلك الضريح سحابا وعقر عنده ركابا وسأل الله له مغفرة وثوابا والسلام (فى هذا الكتاب معنى غريب) وهو قولى سعد الاخبية كناية عن المرأة وسعد السعود كناية عن ولدها لأن سعد الأخبية اسم منزلة من منازل القمر والأخبية جمع خباء ومن شأن المرأة أن تحتجب فى الاخبية فهى سعدها وهذا من المعانى الغريبة فى مثل هذا المقصد وقد اتفق سعد الاخبية وسعد السعود معا وهذا أيضا غريب (ومن ذلك) أنى كتبت كتابا عن الملك الافضل على بن يوسف الى أخيه الملك الظاهر غازى بن يوسف صاحب حلب فى أمر شخص كان أبوه صاحب مدينة تكريت وهذه تكريت كان يتولاها قديما الامير أيوب جد الملك الافضل والملك الظاهر وأولدها ولده صلاح الدين يوسف أباهما وعلى عقب ولادته انتقل والده عن تكريت هو وعشيرته لامر طرأ لهم وجاء الى الموصل ثم الى الشام وهناك سعدوا وكانت السعادة على يد صلاح الدين يوسف فلما أردت أن أكتب هذا الكتاب علمت أنه مظنة المعانى المبتدعة لان الامر المكتوب فيه غريب لم يقع مثله فحينئذ كتبت هذا الكتاب وهو رفع الله شأن مولانا الملك الظاهر ولازال الدهر فاخرا بمآثر سلطانه ناظما مناقبه فى جيده ومحامده فى لسانه ناسخا بمساعى دولته ما تقدم من مساعى آل بويه وآل حمدانه كتاب الخادم هذا وارد من يد الامير شمس الدين ابن صاحب تكريت وهى أول أرض مس جلد الوالد ترابها ورقمت بها السعادة على جبينه كتابها ومنها ظهر نور البيت الايوبى مشرقا وأشام إذ خرج معرقا وكفاه بذلك وسيلة يكتنفها الاحسان والارعاء ويكفى صاحبها أن يقول لاأستقى حتى يصدر الرعاء وقد قرنها بوسيلة قصد الخدمة التى توجب لقاصدها ذماما وتقول له سلاما إذا قال سلاما ثم ثلث هاتين الوسيلتين بكتاب الخادم أخذا بالسنة النبوية فى الدعاء وعدده وتفاؤلا بتثليث النجوم فيما يقصده المرء من سعادة مقصده ولاقدح فى كرم الكريم إذا استكثر طالبه من الاسباب فان الله على كرمه قد استكثر اليه من أعمال الثواب وكتاب الخادم على انفراده كاف لحامله ومكثر من حقوق وسائله وقد صدر مخاطبا عن نحوى ضميره فانما تحق السفارة إذا قصد بكل طالب سعى سفيره وهو مع ذلك خفيفة صفحته وجيزة لمحته وإذا وجد لدى مولانا معولا فليس عليه أن يرد مطولا إذ التعويل على تحجج مصدره لاعلى كثرة أسطره (فانظر) أيها المتأمل الى هذا الكتاب وأعطه حقه من التأمل حتى ترى مااشتمل عليه من المعانى وانظر كيف ذكرت الاول ثم الثانى ثم الثالث أما المعنى الاول فانه يختص بذكر سعادة البيت الايوبى ومنشئها وأنها ولدت بتكريت وهذا الرجل ينبغى أن يرعى بسببها إذ كان أبوه صاحبها وأما المعنى الثانى فانه قصد الخدمة الظاهرية وهذا وسيلة ثانية توجب له ذماما وأما المعنى الثالث فانه حرمة الكتاب الصادر على يده ثم انى مثلت ذلك بالدعاء النبوى وبتثليث النجوم فان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا دعا دعا ثلاثا وانما مثلت ذلك بالدعاء لامرين أحدهما أنه موضع سؤال وضراعة والآخر أن الكتاب وسيلة ثالثة والدعاء ثلاث مرار وأما تثليث النجوم فان التثليث سعد والتربيع نحس وأحسن المعانى الثلاثة التى تضمنها هذا الكتاب هو الاول والثالث وأما الثانى فانه متداول فتأمل ما أشرت اليه وإذا شئت أن تكتب كتابا فافعل كما فعلت فى هذا الكتاب ان كان الامر الذى تكتب فيه غريب الوقوع (واعلم) أنه قد يقع المعنى المبتدع فى غير أمر غريب الوقوع وذلك يكون قليلا بالنسبة الى الوقايع الغريبة التى هى

أنما صنعوا كيد ساحر موصولة وكلاهما بمعنى الاسم وأحب إلى ان تفرق بين الاسم والصلة بان تقطع الاسم وتصل الصلة ومع ما اذا كانت بمعنى الاسم فهى مقطوعة (واذا كانت ما) صلة فهى موصولة وتكتب أينما كنت فافعل كذا وأينما تكونوا يدرككم الموت ونحن نأتيك أينما تكون موصولة لانها فى هذا الموضع صلة وصلت بها أين ولانه قد يحدث باتصالها معنى لم يكن فى أين قبل ألاترى أنك تقول أين تكون نكون فترفع فاذا أدخلت ما على أين قلت أينما تكن نكن فتجزم واذا كانت ما فى موضع اسم مع أين فصلت فقلت أين ما كنت تعدنا أين ما كنت تقول وتكتب أيما الرجلين لقيت فأكرم وأيما الاجلين قضيت فلاعدوان على متصلة لانها صلة ألاترى انك تقول أى الرجلين لقيت فأكرم وأى الاجلين قضيت فلاعدوان على وتكتب أى ما عندك أفضل أى ما تراه أوفق فتقطع لانها فى موضع اسم (وأما حيثما) فتكتب موصولة وكتبها بعضهم مفصولة وذلك خطأ لان حيث إذا انفردت فهى بمعنى مكان وترفع الفعل إذا وليها تقول حيث يكون عبد الله أكون فاذا زيد فيها ما تغيرت وصارت بمعنى أين وجزمت الفعل تقول حيثما تكن أكن فدخول ما عليها يغير

مظنة المعاني المبتدعة (ومن هذا الباب) ما أردته في جملة رسالة طردية في وصف قسي البندق وحاملها وهو فاذا تناولوها في أيديهم قيل أهلة طالعة من أكف أقمار واذا مثل غناؤها وغناؤهم قيل منايا مسوقة بأيدي أقدار وتلك قسي وضعت للعب لا للنضال ولردى الاطيار لا لردى الرجال وإذا نعتها ناعت قال انها جمعت بين وصفي اللين والصلابة وصنعت من نوعين غريبين فحازت معنى الغرابة فهي مركبة من حيوان ونبات مؤلفة منهما على بعد الشتات فهذا من سكان البحر وسواحله وهذا من سكان البر ومجاهله ومن صفاتها أنها لا تتمكن من البطش الاحين تشد ولا تنطلق في شأنها الاحين تعطف وترد ولها ثار أحكم تصويرها وصحح تدويرها فهي في لونها صندلية الاهاب وكأنما صيغت لقوتها من حجر لا من تراب فاذا قذفتها إلى الاطيار قيل ويصعد من الأرض من جبال فيها من برد ولا يرى حينئذ الاقتيل ولكن بالمثقل الذي لايجب في مثله قود فهي كافلة من تلك الاطيار بقبض نفوسها منزلة لها من جو السماء على أم روسها (هذا الفصل) يشتمل على معان غريبة منها قولي انها لا تتمكن من البطش الاحين تشد ولا تنطلق في شأنها الاحين تعطف وترد ومنها قولي ويصعد من الأرض من جبال فيها من برد وكل هذا من المعاني التي تبتدع بالنظر إلى المقصد المكتوب فيه فان الكاتب إذا أفكر فيما لديه وتأمله وكان قادرا على استخراج المعنى والمناسبة بينه وبين مقصده جاء هكذا كما تراه إلا أن القادر على ذلك من أقدره الله عليه فما كل خاطر بحكيم ولا كل من أوحي اليه بكليم وفي الأقلام هاشم لمن ناواه ومنها هشيم (وسأنبه في هذا الموضع) على طريق يسلك إلى شيء من المعاني المخترعة وهو ما استخرجته وانفردت باستخراجه دون غيري فان المعاني المخترعة لم يتكلم فيها أحد بالاشارة إلى طريق يسلك فيها لأن ذلك مما لا يمكن ومن ههنا أضرب علماء البيان عنه ولم يتكلموا فيه كما تكلموا في غيره وكيف تتقيد المعاني المخترعة بقيد أو يفتح اليها طريق تسلك وهي تأتي من فيض الهي بغير تعليم ولهذا اختص بها بعض الناثرين والناظمين دون بعض والذي يختص بها يكون فذا واحدا يوجد في الزمن المتطاول ولما مارست أنا هذا الفن أعني فن الكتابة وقلبته ظهرا لبطن وفتشت عن دفائنه وخباياه وأكثرت من تحصيل مواده والأسباب الموصلة إلى الغاية منه سنح لي في شيء من المعاني المخترعة طريق سلكته وهو يستخرج من كتاب الله تعالى وأحاديث نبيه صلوات الله عليه وسلامه وقد تقدم لي منه أمثلة في هذا الكتاب وذلك أنه ترد الآية من كتاب الله أو الحديث النبوي والمراد بهما معنى من المعاني فآخذ أنا ذلك وأنقله إلى معنى آخر فيصير مخترعا لي وسأورد ههنا منه نبذة يسيرة يعلم منها كيف فعلت حتى يسلك اليها في الطريق الذي سلكته (فمن ذلك) قصة أصحاب الكهف والرقيم فاني أخذت ذلك ونقلته إلى الاحسان والشكر ألا ترى أن الاحسان يستعار له كهف وكنف وظل وأشباه ذلك والشكر كلمات تقال في التنويه بذكر المحسن واحسانه والرقيم هو الكتاب المكتوب فهو والشكر متماثلان والذي أتيت به قد أوردته وهو فصل من كتاب إلى بعض المنعمين الخادم يشكر احسان المولى الذي ظل عنده مقيما وغدا بمطالبه زعيما وأصبح بتواليه اليه مغرما كما أصبح له غريما ولما تمثل في الاشتمال عليه كهفا صار شكره رقيما فانظر كيف فعلت في هذا الموضع لتعلم أني قد فتحت لك فيه طريقا تسلكه (وأما الحديث النبوي) فاني أخذت قصة قتلى بدر كأبي جهل وعتبة وشيبة وغيرهم ونقلتها الى القلم وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم وقف على القليب الذي ألقاهم فيه وناداهم بأسمائهم فقال ياعتبة ياشيبة ياأباجهل يافلان يافلان والحديث مشهور فلا حاجة إلى استقصائه والذي

معناها فكأنها وما حرف واحد وعلى ان مامعها لاتكون أبدا في موضع اسم كما كانت مع أين وغيرها في موضع اسم فيجوز فيها ما جاز في غيرها من الفعل (ونعما) ان شئت وصلت وان شئت فصلت وأحب إلى أن تصل للادغام ولانها موصولة في المصحف وبئسما كذلك لأنها وان لم تكن مدغمة فهي مشتبهة بها وحجة من قطع نعم ما وبئس ما ان مامعها في معنى الاسم (وتكتب) فيم أنت فتصل وتحذف الألف فاذا كان الكلام خبرا قطعت فقلت تكلم في ما أحببت لأن ما في موضع الاسم وعما تكتب موصولة للادغام كانت مافيها صلة أو اسما

﴿باب من إذا اتصلت﴾

تكتب عمن سألت وممن طلبت فتصل الادغام وهي ههنا بمعنى الاستفهام تريد عن أي الناس سألت ومن أيهم طلبت وتكتب سل عمن أحببت واطلب ممن أحببت فتصل أيضا وهي في موضع اسم للادغام وتكتب فيمن رغبت فتصل للاستفهام وتكتب كن راغبا في من رغبت اليه مقطوعة لأنها اسم وتكتب عما إذا كانت صلة أو غير صلة موصولة للادغام نحو قول الله عز وجل عما قليل ليصبحن نادمين فهي ههنا صلة لأنه أراد عن قليل (وتقول) سله عما صار اليه فهي ههنا في موضع اسم فأما مع من

أتيت به فى وصف القلم هو أنى قلت ولقد مرح القلم فى يدى وحق له أن يمرح وأبدع فيما أتى به وكل اناء بالذى فيه ينضح ومن شأنه أن يستقل على أعواد المنبر فلا ينتهى من خطبتها إلى فصلها ويقف على جانب القليب إلا أنه لا ينادى من المعانى أبا جهلها فالدواة قليب والقلم يقف عليه والمعانى التى ينشئها من باب العلم لا من باب الجهل فتأمل هذه الكلمات التى ذكرتها فانها لطيفة جدا وهى مخترعة لى وهذا القدر كاف فى طريق التعليم فليحتذ حذوه ان أمكن والله الموفق للصواب (وأما الضرب الآخر) من المعانى وهو الذى يحتذى فيه على مثال سابق ومنهج مطروق فذلك جل ما يستعمله أرباب هذه الصناعة ولذلك قال عنترة

* هل غادر الشعراء من متردم * إلا أنه لا ينبغى أن يرسخ هذا القول فى الأذهان لئلا يؤيس من الترقى إلى درجة الاختراع بل يعول على القول المطمع فى ذلك وهو قول أبى تمام

لازلت من شكرى فى حلة * لابسها ذو سلب فاخر

يقول من تقرع أسماعه * كم ترك الأول للآخر

وعلى الحقيقة فان فى زوايا الافكار خبايا وفى أبكار الخواطر سبايا لكن قد تقاصرت الهمم ونكصت العزائم وصار قصارى الآخر أن يتبع الأول وليته تبعه ولم يقصر عنه تقصيرا فاحشا (ووقفت على كتاب) يقال له مقدمة ابن أفلح البغدادى قد قصرها على تفصيل أقسام علم الفصاحة والبلاغة وللعراقيين بها عناية وهم واصفون لها ومكبون عليها ولما تأملها وجدتها قشورا لا لب تحتها لأن غاية ما عند الرجل أن يقول وأما الفصاحة فانها كقول النابغة مثلا أو كقول الاعشى أو غيرهما ثم يذكر بيتا من الشعر أو أبياتا وما بهذا تعرف حقيقة الفصاحة حتى إذا وردت فى كلام عرفنا أنه فصيح بما عرفنا من حقيقتها الموجودة فيه وكذلك يقول فى غير الفصاحة (ومن أعجب) ما وجدته فى كتابه أنه قال أما المعانى المبتدعة فليس للعرب منها شىء وانما اختص بها المحدثون ثم ذكر للمحدثين معانى وقال هذا المعنى لفلان وهو غريب وهذا القول لفلان وهو غريب وتلك الاقوال التى خص قائلها بأنهم ابتدعوها قد سبقوا اليها فاما أن يكون غير عارف بالمعنى الغريب واما أنه لم يقف على أقوال الناظمين والناثرين ولا تبحر فيها حتى عرف ما قاله المتقدم مما قاله المتأخر وأما قوله انه ليس للعرب معنى مبتدع وانما هو للمحدثين فياليت شعرى من السابق إلى المعانى من تقدم زمانه أم من تأخر زمانه (وأنا أوردهنا) ما يستدل به على بطلان ما ذكره وذلك أنه قد وردمن المعانى أن صور المنازل تمثلت فى القلوب فاذا عفت آثارها لم تعف صورها من القلوب وأول من أتى بذلك العرب فقال الحرث بن خالد من أبيات الحماسة

انى وان نحروا غداة منى * عند الجمار يؤدها العقل

لو بدلت أعلى مساكنها * سفلا وأصبح سفلها يعلو

لعرفت معناها بما ضمنت * منى الضلوع لأهلها قبل

ثم جاء المحدثون من بعده فانسحبوا على ذيله وحذوا حذوه فقال أبو تمام

وقفت وأحشائى منازل للاسى * به وهو قفر قد تعفت منازله

﴿ وقال البحترى ﴾

عفت الرسوم وما عفت أحشاؤه * من عهد شوق ما تحول فتذهب

وقال المتنبى

لك يا منازل فى القلوب منازل * أقفرت أنت وهن منك اواهل

وهذا المعنى قد تداوله الشعراء حتى أنه ما من شاعر الا ويأتى به فى شعره (وكذلك) ورد لبعضهم

ومما فانهما موصولتان أبدا

﴿ باب لا إذا اتصلت ﴾

تكتب أردت ألا تفعل ذلك وأحببت ألا تقول ذاك ولا تظهران فى الكتاب ما كانت عاملة فى الفعل فاذا لم تكن عاملة فى الفعل أظهرت نحو قولك علمت أن لا تقول ذلك وتيقنت أن لا تذهب ومنه قول الله تعالى لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون على شىء لأن فيه ضميرا كأنك أردت علمت انك لا تقول ذلك ولئلا يعلم أهل الكتاب انهم لا يقدرون على شىء وتكتب أيضا علمت أن لا خير عنده وظننت أن لا بأس عليه فتظهران لأنه بمعنى علمت أنه لا خير عنده وظننت أنه لا بأس عليه (وتكتب) ألا تفعل كذا يكن كذا فلا تظهر أن (وتكتب) كى لا مقطوعة لأنك تقول أتيتك كى تفعل وكى لا تفعل كما تقول حتى تفعل وحتى لا تفعل (وتكتب) كيما موصولة لأنك تقول جئتك كى تكرمنا وكيما تكرمنا ولكيما تكرمنا فيكون المعنى واحدا وهى ههنا صلة (وتكتب) هلا فعلت فتصل وتكتب

من شعراء الحماسة
أناخ اللوم وسط بنى رماح * مطيته وأقسم لايريم
كذلك كل ذى سفر اذا ما * تناهى عند غايته يقيم

وهذان البيتان من أبيات المعانى المبتدعة وعلى أثرهما مشى الشعراء (وكذلك) ورد لبعضهم فى شعر الحماسة

تركت ضأنى تود الذئب راعيها * وأنها لا ترانى آخر الابد
الذئب يطرقها فى الدهر واحدة * وكل يوم ترانى مدية بيدى

وكذلك ورد قول الآخر

قوم إذا ماجنا جانيهمو أمنوا * للوم أحسابهم أن يقتلوا قودا

وكم للعرب من هذه المعانى التى سبقوا اليها (ومن أدل الدليل) على فساد ماذهب اليه من أن المحدثين هم المختصون بابتداع المعانى أن أول من بكى على الديار فى شعره رجل يقال له ابن حرام وكان هو المبتدى لهذا المعنى أولا وقد ذكره امرؤ القيس فى شعره فقال

عوجا على الطلل المحيل لعلنا * نبكى الديار كما بكى ابن حرام

وقد أجمع نقلة الاشعار أن لامرىء القيس فى صفات الفرس أشياء كثيرة لم يسبق اليها ولا قيلت من قبله ويكفى من هذا كله ما قدمت القول فيه وهو أن العرب السابقون بالشعر وزمانهم هو الاول فكيف يقال ان المتأخرين هم السابقون الى المعانى وفى هذه الامثلة التى أوردتها كفاية فى نقض ماذكره ولو قال ان المحدثين أكثر ابتداعا للمعانى وألطف مأخذا وأدق نظرا لكان قوله صوابا لان المحدثين عظم الملك الاسلامى فى زمانهم ورأوا مالم يره المتقدمون وقد قيل ان اللها تفتح اللها وهو كذلك فان نفاق السوق جلاب (وقد رأيت جماعة) من متخلفى هذه الصناعة يجعلون همهم مقصورا على الالفاظ التى لاحاصل وراءها ولا كبير معنى تحتها واذا أتى أحدهم بلفظ مسجوع على أى وجه كان من الغثاثة والبرد يعتقد أنه قد أتى بأمر عظيم ولا يشك فى أنه صار كاتبا مفلقا واذا نظر الى كتاب زماننا وجدوا كذلك فقاتل الله القلم الذى يمشى فى أيدى الجهال الاغمار ولايعلم أنه كجواد يمشى تحت حمار ولو أنه لا يتطاول اليه الا أهله لبان الفاضل من الناقص على أنه كالرمح الذى إذا اعتقله حامله بين الصفين بان به المقدم من الناكص وقد أصبح اليوم فى يد قوم هم أحوج من صبيان المكاتب الى التعليم وقد قيل ان الجهل بالجهل داء لاينتهى اليه سقم السقيم وهؤلاء لاذنب لهم لانهم لولم يستخدموا فى الدول ويستكتبوا والا ماظهرت جهالتهم وفى أمثال العوام لاتعر الاحمق شيئا فيظنه له وكذلك يجرى الامر مع هؤلاء فانهم استكتبوا فى الدول فظنوا أن الكتابة قد صارت لهم بأمر حق واجب (ومن أعجب الأشياء) أنى لا أرى الا طامعا فى هذا الفن مدعيا له على خلوه عن تحصيل آلاته وأسبابه ولا أرى أحدا يطمع فى فن من الفنون غيره ولا يدعيه هذا وهو بحر لاساحل له يحتاج صاحبه الى تحصيل علوم كثيرة حتى ينتهى اليه ويحتوى عليه فسبحان الله هل يدعى بعض هؤلاء أنه فقيه أو طبيب أو حاسب أو غير ذلك من غير أن يحصل آلات ذلك ويتقن معرفتها فاذا كان العلم الواحد من هذه العلوم الذى يمكن تحصيله فى سنة أو سنتين من الزمان لايدعيه أحد من هؤلاء فكيف يجيء الى فن الكتابة وهو مالا تحصل معرفته الا فى سنين كثيرة فيدعيه وهو جاهل به (ومما رأيته من المدعين) لهذا الفن الذين حصلوا منه على القشور وقصروا معرفتهم على الالفاظ المسجوعة الغثة التى لاحاصل وراءها أنهم إذا أنكرت هذه الحال عليهم وقيل لهم ان الكلام المسجوع ليس عبارة عن تواطىء الفقر على حرف واحد فقط

معها حرف واحد مثل لم تكون بمعنى فاذا دخلت عليها ماتغيرت ألا ترى أنك تقول (١٣٩) قاربت ذلك الموضع ولما وتسكت ولا يجوز ان تقول قاربته ولم الا أن تقول افعل وكذلك لو ولولا وحيث وحيثما وانما قطعت بل لا لانها لاتغير المعنى وانما هى لا التى تدخل للاباء نحو بل تفعل و بل لاتفعل مثل كى تفعل وكى لا تفعل (وتكتب) لئلا مهموزة وغير مهموزة بالياء وكان القياس ان تكتب بالالف ألا ترى انك تقول تكتب لان إذا كانت اللام مكسورة بالالف (وكذلك) يجب ان تكتب إذا زيدت عليها لا ولم يحدث فى الكلام شىء غير معنى الاباء الا ان الناس اتبعوا المصحف (وكذلك) لئن فعلت كذا لافعلن كذا كتبت بالياء اتباعا للمصحف وكان القياس ان تكتب بالالف لأنها ان زيدت عليها اللام

﴿ باب حروف توصل بما واذ وغير ذلك ﴾

تقول عم تسال وفيم جئت ولم تكلمت وحتام وعلام تحذف الالف فى الاستفهام واذا كان الكلام خبرا أثبت الالف فقلت سل عما أردت وتكلم فيما أحببت (ويومئذ وحينئذ وليلتئذ) يوصل ذلك كله وتكتب (ويلمه) موصولة ان لم تهمز كما قال الهذلى

إذ لو كان عبارة عن هذا وحده لامكن أكثر الناس أن يأتوا به من غير كلفة وانما هو أمر وراء هذا وله شروط متعددة فاذا سمعوا ذلك أنكروه لخلوهم عن معرفته ثم لو عرفوه وأتوا به على الوجه الحسن من اختيار الالفاظ المسجوعة لاحتاجوا الى شرط آخر قد نبهت عليه فى باب السجع واذا أنكر عليهم الاقتصار على الالفاظ المسجوعة وهدوا الى طريق المعانى يقولون لنا أسوة بالعرب الذين هم أرباب الفصاحة فانهم انما اعتنوا بالالفاظ ولم يعتنوا بالمعانى اعتناءهم بها فلم يكفهم جهلهم فيما ارتكبوه حتى ادعوا الاسوة بالعرب فيه فصارت جهالتهم جهالتين (ولنذكر ههنا) فى الرد عليهم ماإذا تأمله الناظر فى كتابنا عرف منه ما يؤنقه ويذهب به الاستحسان كل مذهب (فنقول) اعلم أن العرب كما كانت تعتنى بالالفاظ فتصلحها وتهذبها فان المعانى أقوى عندها وأكرم عليها وأشرف قدرا فى نفوسها فأول ذلك عنايتها بألفاظها لأنها لما كانت عنوان معانيها وطريقها الى اظهار أغراضها أصلحوها وزينوها وبالغوا فى تحسينها ليكون ذلك أوقع لها فى النفس وأذهب بها فى الدلالة على القصد ألا ترى أن الكلام إذا كان مسجوعا لذ لسامعه فحفظه واذا لم يكن مسجوعا لم يأنس به أنسه فى حالة السجع فاذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظهم وحسنوها ورققوا حواشيها وصقلوا أطرافها فلا تظن أن العناية إذ ذاك انما هى بألفاظ فقط بل هى خدمة منهم للمعانى ونظير ذلك ابراز صورة الحسناء فى الحلل الموشية والاثواب المحبرة فانا قد نجد من المعانى الفاخرة مايشوه من حسنه بذاذة لفظه وسوء العبارة عنه ﴿فان قيل﴾ انا نرى من ألفاظ العرب ماقد حسنوه وزخرفوه ولسنا نرى تحته مع ذلك معنى شريفا فمما جاء منه قول بعضهم

ولما قضينا من منى كل حاجة * ومسح بالاركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا * وسالت باعناق المطى الاباطح

ألا ترى الى حسن هذا اللفظ وصقالته وتدبيج أجزائه ومعناه مع ذلك ليس مدانيا له ولا مقاربا فانه انما هو لما فرغنا من الحج ركبنا الطريق راجعين وتحدثنا على ظهور الابل ولهذا نظائر كثيرة شريفة الالفاظ خسيسة المعانى (فالجواب عن ذلك) أنا نقول هذا الموضع قد سبق الى التشبث به من لم ينعم النظر فيه ولا رأى ما رآه القوم وانما ذلك لجفاء طبع الناظر وعدم معرفته وهو أن فى قول هذا الشاعر كل حاجة مما تستفيد منه أهل النسيب والرقة والأهواء والمقة مالا يستفيده غيرهم ولا يشاركهم فيه من ليس منهم ألا ترى أن حوائج منى أشياء كثيرة فمنهم التلاقى ومنها التشاكى ومنها التخلى للاجتماع الى غير ذلك مما هو تال له ومعقود الكون به فكأن الشاعر صانع عن هذا الموضع الذى أومأ له وعقد غرضه عليه بقوله فى آخر البيت ومسح بالأركان من هو ماسح أى انما كانت حوائجنا التى قضيناها وآرابنا التى بلغناها من هذا النحو الذى هو مسح الأركان وما هو لاحق به وجار فى القربة من الله مجراه أى لم نتعد هذا القدر المذكور الى ما يحتمله أول البيت من التعريض الجارى مجرى التصريح وأما البيت الثانى فان فيه أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وفى هذا ما نذكره لتعجب به وبين عجب منه ووضع من معناه وذلك أنه لو قال أخذنا فى أحاديثنا أونحو ذلك لكان فيه مايكبره أهل النسيب فانه قد شاع عنهم واتسع فى محاوراتهم علو قدر الحديث بين الالفين والجذل بجمع شمل المتواصلين ألا ترى الى قول بعضهم

وحدثتنى ياسعد عنها فزدتنى * جنونا فزدنى من حديثك ياسعد

وقول الآخر

وحديثها السحر الحلال لوانه * لم يجن قتل المسلم المتحرز

﴿باب الواوين يجتمعان فى حرف واحد والثلاث يجتمعن﴾

تكتب طاوس وناوس وداود بواو واحدة وتحذف واحدة استخفافا وتكتب جاؤا وباؤا بغضب وشاؤا بواو واحدة استخفافا إذا كان ما بقى دليلا على ماذهب (وكذلك) فاؤا الى الكهف وساؤا فلانا فى مكانه وهل يستون ويلون ألسنتهم هذا كله يكتب بواو واحدة وذلك أقيس اذا انضمت الواو الاولى وقد كتب ذلك كله بواوين أيضا فاذا (انفتحت) الواو الأولى لم يجز إلا ان يكتب بواوين نحو احتووا على المكان واستووا واكتووا ولووا رؤسهم وآووا ونصروا هذا كله ماض (فاذا اجتمعت ثلاث واوات حذفت واحدة واقتصرت على اثنتين نحو قول الله تعالى لووا رؤسهم (وكذلك) ان كان ما قبل الواو مضموما نحو أنتم تسوون زيدا وتنؤون بالايدى وأنتم مغزوون ومدعوون تكتب هذا كله بواوين وتسقط واحدة

﴿باب الالف واللام للتعريف يدخلان على لام من نفس الكلمة﴾ كل اسم كان أوله لاما ثم أدخلت ... فاذا

فاذا كان قدر الحديث عندهم على ماترى فكيف به اذا قيده بقوله أخذنا بأطراف الاحاديث فان فى ذلك وحيا خفيفا ورمزا حلوا ألا ترى أنه قد يريد بأطرافها ما يتعاطاه المحبون ويتفاوضه ذوو الصبابة من التعريض والتلويح والايماء دون التصريح وذلك أحلى وأطيب وأغزل وأنسب من أن يكون كشفا ومصارحة وجهرا وإن كان الامر كذلك فمعنى هذين البيتين أعلى عندهم وأشد تقدما فى نفوسهم من لفظها وان عذب ولذ مستمعه ثم فى قول الشاعر

* وسالت بأعناق المطى الاباطح * من لطافة المعنى وحسنه ما لا خفاء به وسأنبه على ذلك فأقول ان هؤلاء القوم لما تحدثوا وهم سائرون على المطايا شغلتهم لذة الحديث عن امساك الازمة فاسترخت عن أيديهم وكذلك شأن من يشره وتغلبه الشهوة فى أمر من الامور ولما كان الامر كذلك وارتخت الازمة عن الايدى أسرعت المطايا فى المسير فشبهت أعناقها بمرور السيل على وجه الارض فى سرعته وهذا موضع كريم حسن لا مزيد على حسنه والذى لا يتم نظره فيه لا يعلم ما اشتمل عليه من المعنى فالعرب انما تحسن ألفاظها وتزخرفها عناية منها بالمعانى التى تحتها فالالفاظ إذا خدم المعانى والمخدوم لاشك أشرف من الخادم فاعرف ذلك وقس عليه ﴿النوع الاول فى الاستعارة﴾ ولنقدم قبل الكلام فى هذا الموضع قولا جامعا فنقول اعلم أن للفصاحة والبلاغة أوصافا خاصة وأوصافا عامة فالخاصة كالتجنيس فيما يرجع الى اللفظ وكالمطابقة فيما يرجع الى المعنى واما العامة فكالسجع فيما يرجع الى اللفظ وكالاستعارة فيما يرجع الى المعنى وهذا الموضع الذى نحن بصدد ذكره وهو الاستعارة كثير الاشكال غامض الخفاء وسأورد فى كتابى هذا ما استخرجته ولم أسمع فيه قولا لغيرى وكنت قدمت القول فى الفصل السابع من مقدمة الكتاب فيما يختص باثبات المجاز والرد على من ذهب الى أن الكلام كله حقيقة لا مجاز فيه وأقمت الدليل على ذلك ولا حاجة الى اعادته ههنا بل الذى اذكره ههنا هو ما يختص بالاستعارة التى هى جزء من المجاز ولم سميت بهذا الاسم وكشفت عن حقيقتها وميزتها عن التشبيه المضمر الاداة والكلام فى هذا يحتاج الى اعادة ذكر المجاز وادخاله فيه ليتقرر ويتبين والذى انكشف لى بالنظر الصحيح أن المجاز ينقسم قسمين توسع فى الكلام وتشبيه والتشبيه ضربان تشبيه تام وتشبيه محذوف فالتشبيه التام أن يذكر المشبه والمشبه به والتشبيه المحذوف أن يذكر المشبه دون المشبه به ويسمى استعارة وهذا الاسم وضع للفرق بينه وبين التشبيه التام والا فكلاهما يجوز أن يطلق عليه اسم التشبيه ويجوز ان يطلق عليه اسم الاستعارة لاشتراكهما فى المعنى وأما التوسع فانه يذكر للتصرف فى اللغة لا لفائدة أخرى وان شئت قلت ان المجاز ينقسم الى توسع فى الكلام وتشبيه واستعارة ولا يخرج عن أحد هذه الاقسام الثلاثة فأيها وجد كان مجازا ﴿فان قيل﴾ ان التوسع شامل لهذه الاقسام الثلاثة لان الخروج من الحقيقة الى المجاز اتساع فى الاستعمال ﴿قلت فى الجواب﴾ ان التوسع فى التشبيه والاستعارة جاء ضمنا وتبعا وان لم يكن هو السبب الموجب لاستعمالها واما القسم الآخر الذى هو لا تشبيه ولا استعارة فان السبب فى استعماله هو طلب التوسع لا غير وبيان ذلك أنه قد ثبت أن المجاز فرع عن الحقيقة وأن الحقيقة هى الاصل وانما يعدل عن الاصل الى الفرع لسبب اقتضاه وذلك السبب الذى يعدل فيه عن الحقيقة الى المجاز اما أن يكون لمشاركة بين المنقول والمنقول اليه فى وصف من الاوصاف واما أن يكون لغير مشاركة فان كان لمشاركة فاما أن يذكر المنقول والمنقول اليه معا واما أن يذكر المنقول اليه دون المنقول فان ذكر المنقول والمنقول اليه معا كان ذلك تشبيها والتشبيه تشبيهان تشبيه

ما يستعمل فاذا ثنيت الذى كتبت اللذان واللذين بلامين وتكتب فى الجمع الذين بلام واحدة وانما كتبته بلامين لتفرق بين التثنيه والجمع فاما التان والأتى والاتى فكله يكتب بلام واحدة وقد اختلفوا فى الليلة والليل فكتبه بعضهم بلام واحدة اتباعا للمصحف وكتبه بعضهم بلامين وكل شىء من هذا اذا أدخلت عليه لام الاضافة كتبته بلامين وتحذف واحدة استثقالا لاجتماع ثلاث لامات

﴿باب هاء التأنيث﴾

هاء التأنيث تكتب هاء أبدا الا ان تضاف الى مكنى فتصير تاء نحو شجرتك وناقتك ورحمتك وقد كتبوها تاء فى مواضع من القرآن وهاء فى مواضع فاما من كتبها تاء فعلى الادراج وأما من كتبها هاء فعلى الوقف وأجمع الكتاب على أن كتبوا السلام عليكم ورحمت الله بالتاء وأعجب الى ان تكتبه كله بالهاء على الوقوف عليه الا ما اجتمعوا عليه فى رحمت الله خاصة فى أول الكتاب وآخره . وهيهات يوقف عليها بالهاء والتاء والاجتماع فى كتابتها على التاء ﴿باب ما يزيد فى الكتاب

مظهر الاداة كقولنا زيد كالاسد وتشبيه مضمر الاداة كقولنا زيد أسد وهذا التشبيه المضمر الاداة قد خلطه قوم بالاستعارة ولم يفرقوا بينهما وذلك خطأ محض * وسأوضح وجه الخطأ فيه وأحقق القول في الفرق بينهما تحقيقا جليا (فأقول) أما التشبيه المظهر الاداة فلا حاجة بنا الى ذكره ههنا لانه معلوم لاخلاف فيه لكن نذكر التشبيه المضمر الاداة الذي وقع فيه الخلاف فنقول اذا ذكر المنقول والمنقول اليه على أنه تشبيه مضمر الاداة قيل فيه زيد أسد أي كالاسد فأداة التشبيه فيه مضمرة واذا أظهرت حسن ظهورها ولم تقدح في الكلام الذي أظهرت فيه ولا تزيل عنه فصاحة ولا بلاغة وهذا بخلاف ما اذا ذكر المنقول اليه دون المنقول فانه لا يحسن فيه ظهور أداة التشبيه ومتى أظهرت أزالت عن ذلك الكلام ما كان متصفا به من جنس فصاحة و بلاغة وهذا هو الاستعارة ولنضرب لك مثالا نوضحه فنقول قد ورد هذا البيت لبعض الشعراء وهو

فرعاء ان نهضت لحاجتها * عجل القضيب وأبطأ الدعص

وهذا قد ذكر فيه المنقول اليه دون المنقول لان تقديره عجل قد كالقضيب وأبطأ ردف كالدعص و بين ايراده على هذا التقدير و بين ايراده على هيئته في البيت بون بعيد في الحسن والملاحة والفرق اذا بين التشبيه المضمر الاداة يحسن اظهاره أداة التشبيه فيه والاستعارة لا يحسن ذلك فيها وعلى هذا فان الاستعارة لا تكون الا بحيث يطوى ذكر المستعار له الذي هو المنقول اليه ويكتفى بذكر المستعار الذي هو المنقول ﴿فان قيل﴾ لا نسلم أن الفرق بين التشبيه و بين الاستعارة ما ذهبت اليه بل الفرق بينهما أن التشبيه انما يكون بأداته كالكاف وكأن وما جرى مجراهما فما لم يظهر فيه أداة التشبيه لا يكون تشبيها وانما يكون استعارة فاذا قلنا زيد أسد كان ذلك استعارة و إذا قلنا زيد كالاسد كان ذلك تشبيها ﴿قلت في الجواب﴾ عن ذلك إذا لم نجعل قولنا زيد أسد تشبيها مضمر الاداة استحال المعنى لان زيداً ليس أسدا وانما هو كالاسد في شجاعته فأداة التشبيه تقدر ههنا ضرورة كي لا يستحيل المعنى (فان قيل) وكذلك أيضا إذا لم تقدر أداة التشبيه في الاستعارة استحال المعنى لانا اذا قلنا عجل القضيب وأبطأ الدعص فما لم تقدر فيه أداة التشبيه وإلا استحال المعنى ﴿قلت في الجواب﴾ عن ذلك تقدير أداة التشبيه لابد منه في الموضعين لكن يحسن اظهارها في التشبيه دون الاستعارة وجملة الامر أنا نرى أداة التشبيه يحسن اظهارها في موضع دون موضع فعلمنا أن الموضع الذي يحسن اظهارها فيه غير الموضع الذي لا يحسن اظهارها فيه فسمينا الموضع الذي يحسن اظهارها فيه تشبيها مضمر الاداة والذي لا يحسن اظهارها فيه استعارة وانما فعلنا ذلك لان تسمية ما يحسن اظهار أداة التشبيه فيه بالتشبيه أليق وتسمية ما لا يحسن اظهار أداة التشبيه فيه بالاستعارة أليق فاذا قلنا زيد أسد حسن اظهار أداة التشبيه فيه بأن نقول زيد كالاسد واذا قلنا كما قال الشاعر

فرعاء ان نهضت لحاجتها * عجل القضيب وأبطأ الدعص

لا يحسن اظهار أداة التشبيه فيه على ما تقدم من ذكر ذلك أولا ﴿فان قيل﴾ اذا أجزت اضمار أداة التشبيه وقدرت اظهارها في قولك زيد أسد أي كالاسد فنحن نضمر أيضا المستعار له ونقدر اظهاره فانه لما قال الشاعر عجل القضيب وأبطأ الدعص أضمر المستعار له وهو القد والردف و إذا أظهر قيل عجل قد كالقضيب وأبطأ ردف كالدعص ولا فرق بين الاضمارين فكما يسعك اضمار أداة التشبيه في قولك زيد أسد فكذلك يسعنا نحن اضمار المستعار له في قول الشاعر ﴿فالجواب عن ذلك﴾ أني أقول نحن في هذا المقام واقفون مع الاستحسان لا مع الجواز

تدخل في عمرو في حال رفعه وجره (١٤٢) الواو فرقا بينه و بين عمر فاذا صرت الى حال النصب لم تلحق به واوا لان عمرا ينصرف وعمر لا ينصرف فكان في دخول الالف في عمرو وامتناعها من دخولها في حال النصب فرق فلم يأتوا بفرق ثان فاذا أضفته الى مكني لم تلحق فيه واوا في شيء من حالاته فتقول هذا عمرك وعمرنا لان المضمر مع ما قبله كالشيء الواحد وهو كالزيادة في الحرف فكرهوا أن يجمعوا فيه زيادتين فاذا قلت لعمر الله لم تلحق فيه واوا فاذا أردت عمرا من عمور الاسنان لم تلحق فيه واوا لانه لا يقع لبس بينه و بين غيره فيحتاج الى فرق وأولئك زيد فيها واو ليفرق بينها و بين اليك وأولى أيضا بواو ومائة زاد فيها ألفا ليفصلوا بينها و بين منه (ألا ترى) انك تقول أخذت مائة وأخذت منه فلو لم تكن الالف لا لتبس على القارىء ونكتب يا أخي مصغرا بواو مزيدة لتفرق بينها و بين يا أخي غير مصغر وزادوا ألف الفصل بعد الواو لتفرق بين واو الجمع وواو النسق وقد بينا ذلك فيما تقدم من الكتاب

﴿باب من الهجاء﴾

تكتب الصلوة والزكوة والحيوة بالواو اتباعا للمصحف ولا تكتب شيئا من نظائرها الا بالالف مثل قطاة وقناة وفلاة ولو

ولو تأملت ما أوردته فى أول كلامى بالعين الصحيحة لما أوردت على هذا الاعتراض ههنا فانى قلت التشبيه المضمر الاداة يحسن اظهار أداة التشبيه فيه والاستعارة لا يحسن اظهار أداة التشبيه فيها ولو قلت يجوز أو لا يجوز لورد على هذا الاعتراض الذى ذكرته وقد علم وتحقق أن من الواجب فى حكم الفصاحة والبلاغة أن لا يظهر المستعار له واذا أظهر ذهب ما على الكلام من الحسن والرونق (ألا ترى) أنا اذا أوردنا هذا البيت الذى هو

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

وجد عليه من الحسن والرونق ما لا خفاء به وهو من باب الاستعارة فاذا أظهرنا المستعار له صرنا الى كلام غث وذاك أنا نقول فأمطرت دمعا كاللؤلؤ من عين كالنرجس وسقت خدا كالورد وعضت على أنامل مخضوبة كالعناب بأسنان كالبرد وفرق بين هذين الكلامين للمتأمل واسع وهكذا يجرى الحكم فى البيت المتقدم ذكره الذى هو

فرعاء إن نهضت لحاجتها * عجل القضيب وأبطأ الدعص

فان هذا البيت لا خفاء بما عليه من الحسن واذا ظهر فيه المستعار له زال ذلك الحسن عنه لا بل تبدل بضده وليس كذلك التشبيه المضمر الاداة فانا اذا أظهرنا أداة التشبيه وأضمرناها كان ذلك سواء اذ لا فرق بين قولنا زيد أسد و بين قولنا زيد كالاسد وهذا لا يخفى على جاهل بعلم الفصاحة والبلاغة فضلا عن عالم والمعول عليه فى تأليف الكلام من المنثور والمنظوم انما هو حسنه وطلاوته فاذا ذهب ذلك عنه فليس بشئ ونحن فى الذى نورده فى هذا الكتاب واقفون مع الحسن لا مع الجواز ثم لو تنزلنا معك أيها المعترض عن درجة الحسن الى درجة الجواز لما استقام لك ما ذكرته وذلك أن اضمار أداة التشبيه ظاهر فى قولنا زيد أسد أى كالاسد وهو مضمر واحد وأما قول الشاعر فرعاء ان نهضت لحاجتها فانه لا يضمر فيه أداة التشبيه الا بعد أن يظهر المستعار له وحينئذ يكون فيه اضماران احدهما المستعار له والآخر أداة التشبيه واضمار واحد أيسر من اضمارين أحدهما معلق على الآخر واذا كان الامر كذلك فالفرق بين الاستعارة والتشبيه هو ما قدمت القول فيه من أن الاستعارة لا تكون الا بحيث يطوى ذكر المستعار له فتأمل ما أشرت اليه وتدبره حتى تعلم أنى ذكرت ما لم يذكره أحد غيرى على هذا الوجه (وانما سمى هذا القسم) من الكلام استعارة لان الاصل فى الاستعارة المجازية مأخوذ من العارية الحقيقية التى هى ضرب من المعاملة وهى أن يستعير بعض الناس من بعض شيئا من الاشياء ولا يقع ذلك الا من شخصين بينهما سبب معرفة ما يقتضى استعارة أحدهما من الآخر شيئا واذا لم يكن بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه فلا يستعير أحدهما من الآخر شيئا اذ لا يعرفه حتى يستعير منه وهذا الحكم جار فى استعارة الالفاظ بعضها من بعض فالمشاركة بين اللفظين فى نقل المعنى من أحدهما الى الآخر كالمعرفة بين الشخصين فى نقل الشئ المستعار من أحدهما الى الآخر (واعلم) أنه قد ورد من الكلام ما يجوز حمله على الاستعارة وعلى التشبيه المضمر الاداة معا باختلاف القرينة وذلك أن يرد الكلام محمولا على ضمير من تقدم ذكره فينتقل عن ذلك الى غيره ويرتجل ارتجالا (فمما جاء منه) قول البحترى

اذا سفرت أضاءت شمس دجن * ومالت فى التعطف غصن بان

فلما قال أضاءت شمس دجن بنصب الشمس كان ذلك محمولا على الضمير فى قوله أضاءت كأنه قال أضاءت هى وهذا تشبيه لأن المشبه مذكور وهو الضمير فى أضاءت الذى نابت عنه التاء

وقال بعض أصحاب الاعراب انهم كتبوا هذا بالواو على لغات الاعراب وكانوا يميلون فى اللفظ بها الى الواو شيئا وقيل بل كتبت على الاصل وأصل الالف فيها واوا فقلبت ألفا لما انفتحت وانفتح ماقبلها ألا ترى انك اذا جمعت قلت صلوات وزكوات وحيوات ولولا اعتياد الناس لذلك فى هذه الاحرف الثلاثة وما فى مخالفة جماعتهم لكان أحب الاشياء الى أن يكتب هذا كله بالالف فاذا أضفت شيئا من هذه الحروف الى مكنى كتبتها كلها بالالف صلاتى وصلاتك وزكاتى وزكاتك وحياتى وحياتك (وتكتب) فى صدر الكتاب سلام عليك وفى آخره السلام عليك لان الشئ اذا بدئ بذكره كان نكرة فاذا أعدته صار معرفة وكذا كل شئ نكرة حتى يعرف بما عرف (تقول) مر بنا رجل ثم تقول رأيت الرجل قد رجع أو تقول رأيته قد رجع فكذلك لما صرت الى آخر الكتاب وقد جرى فى أوله ذكر السلام عرفته انه ذلك السلام المتقدم (وتكتب) أيها الرجل وأيها الامير بألف وقد كتبت فى المصحف بالف وغير ألف على مذهب القراء واختلافهم فى الوقوف عليها وتكتب اذا بالالف ولا تكتبه بالنون لان الوقوف عليها بالالف وهى تشبه النون الخفيفة فى مثل قوله

ويجوز حمله على الاستعارة بأن يقال أضاءت شمس دجن برفع الشمس ولا يعود الضمير حينئذ الى من تقدم ذكره وانما يكون الكلام مرتجلا ويكون البيت

اذا سفرت أضاءت شمس دجن * ومال من التعطف غصن بان

وهذا الموضع فيه دقة غموض وحرف التشبيه يحسن في الاول دون الثاني (وأما القسم) الذي يكون العدول فيه عن الحقيقة الى المجاز لغير مشاركة بين المنقول والمنقول اليه فذلك لا يكون الا لطلب التوسع في الكلام وهو سبب صالح اذ التوسع في الكلام مطلوب (وهو ضربان) أحدهما يرد على وجه الاضافة واستعماله قبيح لبعد ما بين المضاف والمضاف اليه وذلك لانه يلتحق بالتشبيه المضمر الاداة واذا ورد التشبيه ولا مناسبة بين المشبه والمشبه به كان ذلك قبيحا ولا يستعمل هذا الضرب من التوسع الا جاهل بأسرار الفصاحة والبلاغة أو ساه غافل يذهب به خاطره الى استعمال ما لا يجوز ولا يحسن كقول أبي نواس

بح صوت المال مما * منك يشكو ويصيح

فقوله بح صوت المال من الكلام النازل بالمرة ومراده من ذلك أن المال ينظم من اهانتك اياه بالتمزيق فالمعنى حسن والتعبير عنه قبيح وما أحسن ما قال مسلم بن الوليد في هذا المعنى

تظلم المال والاعداء من يده * لا زال للمال والاعداء ظلاما

وكذلك ورد قول أبي نواس أيضا

ما لرجل المال أمست * تشتكي منك الكلالا

فاضافة الرجل الى المال أقبح من اضافة الصوت ومن هذا الضرب قول أبي تمام

وكم أحرزت منكم على قبح قدها * صروف النوى من مرهف حسن القد

فاضافة القد الى النوى من التشبيه البعيد البعيد وانما أوقعه فيه المماثلة بين القد والقد وهذا دأب الرجل في تتبع المماثلة تارة والتجنيس أخرى حتى انه ليخرج الى بناء يعاب به أقبح عيب وأفحشه وكذلك ورد قوله

بلوناك أما كعب عرضك في العلا * فعال وأما خد مالك أسفل

فقوله كعب عرضك وخد مالك مما يستقبح ويستنكر ومراده من ذلك أن عرضك مصون ومالك مبتذل الا أنه عبر عنه أقبح تعبير وأبو تمام يقع في مثل ذلك كثيرا (وأما الضرب الآخر من التوسع) فانه يرد على غير وجه الاضافة وهو حسن لا عيب فيه وقد ورد في القرآن الكريم كقوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فنسبة القول الى السماء والأرض من باب التوسع لانهما جماد والنطق انما هو للانسان لا للجماد ولا مشاركة ههنا بين المنقول والمنقول اليه وكذلك قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين وعليه ورد قول النبي صلى الله عليه وسلم فانه نظر الى أحد يوما فقال هذا جبل يحبنا ونحبه فاضافة المحبة الى الجبل من باب التوسع اذ لا مشاركة بينه وبين الجبل الذي هو جماد (وعلى هذا) ورد مخاطبة الطلول ومساءلة الاحجار كقول أبي تمام

أميدان لهوي من أتاح لك البلى * فأصبحت ميدان الصبا والجنائب

وكقول أبي الطيب المتنبي

اثلث فانا أيها الطلل * نبكي وترزم تحتنا الابل

فأبو تمام سائل ربوعا عافية وأحجارا دارسة * ولا وجه لها ههنا إلا مساءلة الاهل كالذي في قوله تعالى واسئل القرية أي أهل القرية وكل هذا توسع في العبارة إذ لا مشاركة بين رسوم الديار وبين فهم السؤال والجواب وكذلك قال أبو الطيب المتنبي في أمره الطلل بأن يكون ثالثا

تعالى لنسفعا بالناصية وليكونا (١٤٤) من الصاغرين اذا أنت وقفت وقفت بالف واذا وصلت وصلت (وقال الفرا) ينبغي لمن نصب باذن الفعل المستقبل أن يكتبها بالنون فاذا توسطت الكلام وكانت لغوا كتبت بالالف (وأحب) أن تكتبها بالالف في كل حال لان الوقوف عليها بالالف في كل حال (وتكتب فرأيكما) وفرأيكم فان نصبت رأيك فعلى مذهب الاغرا أي فر رأيك وان رفعت لم ترفع على مذهب الاستفهام ولكن على الخبر وكتبت موفقا ان أردت الرأي وموفقين ان أردت الرجلين وان كتبت الى حاضر فنصبت رأيك لم يجز أن تكتب فرأي الامير لانه بمنزلة الغائب لا يجوز أن تغري به

﴿ باب ما يكتب بالياء والالف من الافعال ﴾

اذا كان الفعل على ثلاثة أحرف ولم تدر من ذوات الياء هو أو من ذوات الواو رددته الى نفسك فما كانت اللام فيه ياء كتبته بالياء نحو قولك قضى ورمى وسعى لانك تقول قضيت ورميت وسعيت وما كان لام فعلت منه واوا كتبته بالالف نحو دعا وغزا وسلا لانك تقول دعوت وغزوت وسلوت وكل ما لحقته الزيادة من الفعل لم تنظر الى أصله وكتبته بالياء فتكتب أغزى فلان فلانا بالياء

لهما

لها أي الركب والابل وهذا واضح لا نزاع فيه فاذ قد تبين وتحقق ما أشرت اليه من هذا الموضع فالمجاز لا يخرج عن هذه الأقسام الثلاثة اما توسع أو تشبيه أو استعارة واذا حققنا النظر فى الاستعارة والتشبيه وجدناهما أمرا قياسيا فى حمل فرع على أصل لمناسبة بينهما وان كانا يفترقان بحدهما وحقيقتهما (فأما حد الاستعارة) فقيل انه نقل المعنى من لفظ إلى لفظ بسبب مشاركة بينهما وهذا الحد فاسد لان التشبيه يشارك الاستعارة فيه ألا ترى أنا إذا قلنا زيد أسد أي كأنه أسد وهذا نقل المعنى من لفظ إلى لفظ بسبب مشاركة بينهما لانا نقلنا حقيقة الأسد إلى زيد فصار مجازاً وانما نقلناه لمشاركة بين زيد و بين الأسد فى وصف الشجاعة والذى عندى من ذلك أن يقال حد الاستعارة نقل المعنى من لفظ إلى لفظ لمشاركة بينهما مع طى ذكر المنقول اليه لانه إذا احترز فيه هذا الاحتراز اختص بالاستعارة وكان حداً لها دون التشبيه وطريقة أنك تريد تشبيه الشىء بالشىء مظهراً ومضمراً وتجىء إلى المشبه فتعيره اسم المشبه به وتجريه عليه مثال ذلك أن تقول رأيت أسداً وهذا كالبيت الشعر المتقدم ذكره وهو

فرعاء ان نهضت لحاجتها * عجل القضيب وأبطأ الدعص

فان هذا الشاعر أراد تشبيه القد بالقضيب والردف بالدعص الذى هو كثيب الرمل فترك ذكر التشبيه مظهراً ومضمراً وجاء إلى المشبه وهو القد فأعاره المشبه به وهو القضيب والدعص وأجراه عليه إلا أن هذا الموضع لابد له من قرينة تفهم من فحوى اللفظ لانه إذا قال القائل رأيت أسداً وهو يريد رجلا شجاعا فان هذا القول لا يفهم منه ما أراد وانما يفهم منه أنه أراد الحيوان المعروف بالأسد لكن إذا اقترن بقوله هذا قرينة تدل على أنه أراد رجلا شجاعا اختص الكلام بما أراد ألا ترى إلى قول الشاعر عجل القضيب وأبطأ الدعص فانه دل عليه من نفس البيت لان قوله فرعاء ان نهضت دليل على أن المراد هو القد والردف لان القضيب والدعص لا يكونان لامرأة فرعاء تنهض لحاجتها وكذلك كل ما يجىء على هذا الاسلوب لان المستعار له وهو المنقول اليه مطوى الذكر (وكنت تصفحت) كتاب الخصائص لابى الفتح عثمان بن جنى فوجدته قد ذكر فى المجاز شيئا يتطرق اليه النظر وذلك أنه قال لا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز الا لمعان ثلاثة وهى الاتساع والتشبيه والتوكيد فان عدمت الثلاثة كانت الحقيقة البتة (فمن ذلك) قوله تعالى فأدخلناه فى رحمتنا فهذا مجاز وفيه الثلاثة المذكورة أما الاتساع فهو أنه زاد فى أسماء الجهات والمحال اسما وهو الرحمة وأما التشبيه فانه شبه الرحمة وان لم يصح دخولها بما يصح دخوله وأما التوكيد فهو أنه أخبر عما لا يدرك بالحاسة بما يدرك بالحاسة تعاليا بالمخبر عنه وتفخيما له إذا صير بمنزلة ما يشاهد و يعاين هذا مجموع قول أبى الفتح رحمه الله من غير زيادة ولا نقص (والنظر يتطرق اليه من ثلاثة أوجه الاول) أنه جعل وجود هذه المعانى الثلاثة سببا لوجود المجاز بل وجود واحد منها سبب لوجوده ألا ترى أنه إذا وجد التشبيه وحده كان ذلك مجازاً واذا وجد الاتساع وحده كان ذلك مجازاً ثم ان كان وجود هذه المعانى الثلاثة سببا لوجود المجاز كان عدم واحد منها سببا لعدمه ألا ترى أنا إذا قلنا لا يوجد الانسان الا بأن يكون حيوانا ناطقا فالحيوانية والنطق سبب لوجود الانسان واذا عدم واحد منهما بطل أن يكون انسانا وكذلك كل صفات تكون متقدمة لوجود الشىء فان وجودها يوجب وجوده وعدم واحد منها يوجب عدمه ﴿وأما الوجه الثانى﴾ فانه ذكر التوكيد والتشبيه وكلاهما شىء واحد على الوجه الذى ذكره لانه لما شبهت الرحمة وهى معنى لا يدرك بالبصر بمكان يدخل وهو صورة تدرك بالبصر دخل تحته التوكيد الذى هو أخبار عما لا يدرك

وهو من غزوت وأدنى فلان فلانا وهو من دنوت وألهى فلان فلانا وهو من لهوت فتكتب ذلك كله بالياء لانه يصير إلى الياء ألا ترى انك تقول أغزيت وأدنيت وألهيت وكذلك يكتب يغزى ويلهى ويدنى ويدعى وكل ما كان من الياء والواو فتثنيته بالياء لانك تقول يغزيان ويدعيان ويدنيان

﴿باب ما يكتب بالألف والياء من الأسماء﴾

كل اسم مقصور على ثلاثة أحرف فان كان من بنات الياء كتبته بالياء وان كان من بنات الواو فاكتبه بالألف ويدلك على ذلك تثنية الاسم والرجوع إلى الفعل الذى أخذ منه الاسم فتكتب قفا وعصا ورجا البئر بالألف لانك تقول فى تثنيته قفوان وعصوان ورجوان وترد إلى الفعل فتقول قد قفوت الرجل إذا تبعته وعصوته إذا ضربته بالعصا ولم يمكنك فى رجا أن ترده إلى فعل فدلتك عليه التثنية قال الشاعر

فلا يرمى بى الرجوان أنى أقل القوم من يغنى مكانى

وتكتب الهدى والهوى هوى النفس والمدى الغاية بالياء لانك تقول فى تثنيته هديان وهويان ومديان فان أشكل عليك من هذا الباب حرف ولم تعلم أصله ولا تثنيته فرأيت الامالة فيه أحسن فاكتبه بالياء وان لم تحسن فيه الامالة فاكتبه بالألف حتى تعلم

بالحاسة بما قد يدرك بالحاسة على أن التوكيد ههنا على وجه ما أورده فى تمثيله لا أعلم ما الذى أراد به لانه لا يؤتى به فى اللغة العربية الا لمعنيين أحدهما أنه يرد أبدا فيما استقرى بألفاظ محصورة نحو نفسه وعينه وكله وما أضيف لها مما استقرى وهو مذكور فى كتب النحاة وقد كفيت مؤنته الآخر أنه يرد على وجه التكرير نحو قام زيد قام زيد كرر اللفظ فى ذلك تحقيقا للمعنى المقصود أى توكيدا والذى ذكره أبو الفتح رحمه الله تعالى لا يدل على أن المراد به أحد هذين المعنيين المشار اليهما ولاشك أنه أراد به المبالغة والمغالاة فى ابراز المعنى الموهوم إلى الصورة المشاهدة فعبر عن ذلك بالتوكيد ولا مشاحة له فى تعبيره واذا أراد به ذلك فهو والتشبيه سواء على ما ذكره ولا حاجة إلى ذكر التوكيد مع ذكر التشبيه ﴿وأما الوجه الثالث﴾ فانه قال أما الاتساع فهو أنه زاد فى أسماء الجهات والمحال كذا وكذا وهذا القول مضطرب شديد الاضطراب لانه ينبغى على قياسه أن يكون جناح الذل فى قوله تعالى واخفض لهما جناح الذل زيادة فى أسماء الطيور وذلك أنه زاد فى أسماء الطيور اسما هو الذل وهكذا يجرى الحكم فى الاقوال الشعرية كقول أبى تمام لبست سواه أقواما فكانوا * كما أغنى التيمم بالصعيد

فزاد فى أسماء اللباس اسما هو الآدمى وهذا مما يضحك منه نعوذ بالله من الخطل والاتساع فى المجال لا يقال فيه كذا وانما يقال هو أن تجرى صفة من الصفات على موصوف ليس أهلا لان تجرى عليه لبعد ما بينه وبينها كقول أبى الطيب المتنبى

أثلث فانا أيها الطلل * نبكى وترزم تحتنا الابل

فانه أجرى الكلام على ذلك وانما يستعمل طلبا للاتساع فى أساليب الكلام لا للمناسبة بين الصفة والموصوف إذ لو كان لمناسبة لما كان ذلك اتساعا وانما كان ضربا من القياس فى حمل الشىء على ما يناسبه ويشاكله وحينئذ يكون ذلك تشبيها أو استعارة على ما أشرت اليه من قبل (وكنت اطلعت) فى كتاب من مصنفات أبى حامد الغزالى رحمه الله ألفه فى أصول الفقه ووجدته قد ذكر الحقيقة والمجاز وقسم المجاز إلى أربعة عشر قسما وتلك الاربعة عشر ترجع إلى الثلاثة التى أشرت اليها وهى التوسع والتشبيه والاستعارة ولا تخرج عنها والتقسيم لا يصح فى شىء من الأشياء إلا إذا اختص كل قسم من الأقسام بصفة لا يختص بها غيره والا كان التقسيم لغوا لا فائدة فيه * وسأورد ما ذكره وأبين فساده (فالقسم الأول) من الأقسام التى ذكرها هو ما جعل للشىء بسبب المشاركة فى خاصة كقولهم للشجاع أسد وللبليد حمار وهذا القسم داخل فى الاستعارة ان ذكر المنقول وحده مثل أن يقول القائل رأيت أسدا ومراده رجلا شجاعا أو رأيت حمارا ومراده رجلا بليدا أو داخل فى التشبيه المضمر الاداة ان ذكر المنقول والمنقول اليه معا كقول القائل زيد أسد أى كالأسد وحمار أى كالحمار (القسم الثانى) تسمية الشىء باسم ما يؤول اليه كقوله تعالى انى أرانى أعصر خمرا وانما كان يعصر عنبا. وهذا القسم داخل فى القسم الأول لصفة المشابهة بين المنقول والمنقول اليه وهو من باب الاستعارة لا بل أوغل فى المشابهة من ذلك لان الخمر من العنب وليس الأسد من الرجل ولا الرجل من الأسد (القسم الثالث) تسمية الشىء باسم فرعه كقول الشاعر

وما العيش الا نومة وتشوق * وتمر على رأس النخيل وماء

فسمى الرطب تمرا وهذا القسم والقسم الذى قبله سواء لان هناك سمى العنب خمرا وههنا سمى الرطب تمرا فالعنب أصل والخمر فرع وكذلك الرطب أصل والتمر فرع وكلا هذين القسمين

وإذا ورد عليك حرف قد ثنى بالياء والواو وعملت على الأكثر الاعم نحو رحى لأن من العرب من يقول رحوت الرحا ومنهم من يقول رحيت وان تكتبها بالياء أحب إلى لانها اللغة العالية قال مهلهل

كانا غدوة وبنى أبينا * بجنب عنيزة رحيا مدير

وكذلك الرضا من العرب من يثنيه رضيان ومنهم من يثنيه رضوان وان تكتبه بالألف أحب الى لان الواو فيه أكثر وهو من الرضوان وكل مقصور جاوز ثلاثة أحرف فاكتبه بالياء لانك انما تثنيه بالياء نحو معلى ومثنى ومغزى وملهى ومدعى ومشترى وكذلك أعمى وأظمى وأعشى وهو أدنى منك وأعلى عينا وكذلك مقلى وهو من قلوت البسر ومعافى ومنادى لاتبال أكان أصله الواو أو الياء وتكتبه بالياء على التثنية الا ما كان فى آخره ياآن فانه يكتب بالألف لكراهتهم اجتماع ياءين فى آخر الاسم نحو العليا والدنيا والقصيا ونحو معيا ومحيا وعام حيا ورؤيا وسقيا خلا يحيى الذى هو اسم فان الكتاب اجتمعوا على أن كتبوه بالياء ولم يلزموا فيه القياس وأحسبهم اتبعوا فيه المصحف وكذلك إذا كان مثل هذا على يفعل فلان نحو يعيا بالأمر ويحيا سنين كتبت بالألف كراهة لاجتماع ياءين فى آخره وكذلك تكتب شأى فلان فلانا

داخل فى القسم الأول وهب أن الغزالى لم يحقق أمر المجاز وانقسامه الى تلك الاقسام الثلاثة التى أشرت اليها ألم ينظر الى هذين القسمين اللذين هما العنب والخمر والرطب والتمر ويعلم أنهما شىء واحد لافرق بينهما (القسم الرابع) تسمية الشىء باسم أصله كقولهم للآدمى مضغة وهذا ضد القسم الذى قبله لان ذاك جعل الاصل فيه فرعا وهذا جعل الفرع فيه أصلا وهو داخل فى القسم الاول أيضا (القسم الخامس) تسمية الشىء بدواعيه كتسميتهم الاعتقاد قولا نحو قولهم هذا يقول بقول الشافعي رحمه الله أى يعتقد اعتقاده وهذا القسم داخل فى القسم الأول لأن بين القول و بين الاعتقاد مناسبة كالمناسبة بين السبب والمسبب والباطن والظاهر (القسم السادس) تسمية الشىء باسم مكانه كقولهم للمطر سماء لانه ينزل منها وهذا القسم داخل فى الاول لصفة المناسبة بين المنقول والمنقول اليه وهو النزول من عال وكل ماعلاك فأظلك فهو سماء على أن الاغلب على ظنى ان هذا القسم من الاسماء المشتركة وتسمية المطر بالسماء حقيقة فيه وليس من المجاز فى شىء (القسم السابع) تسمية الشىء باسم مجاوره كقولهم للمزادة راوية وانما الراوية الجمل الذى يحملها وهذا القسم من باب التوسع لامن باب التشبيه ولا من باب الاستعارة لان على قياسه ينبغى أن يسمى الجمل زاملة لانه يحملها (القسم الثامن) تسمية الشىء باسم جزئه كقولك لمن تبغضه أبعد الله وجهه عنى وانما تريد سائر جثته وهذا القسم داخل فى القسم الاول وهو شبيه بتسمية الشىء باسم فرعه (القسم التاسع) تسمية الشىء باسم ضده كقولهم للاسود والأبيض جون وهذا القسم ليس من المجاز فى شىء البتة وانما هو حقيقة فى هذين المسميين معا لأنه من الاسماء المشتركة كقولهم شمت السيف اذا سللته وشمته اذا أغمدته فدل الشيم على الضدين معا بالوضع الحقيقى وفى اللغة من هذا شىء كثير فكيف يجعل هذا القسم من المجاز ولاشك أن الغزالى نظر الى أن الضدين لايجتمعان فى محل واحد فقاس الاسم على الذات وظن أن الذاتين لايجتمعان فى اسم واحد كما أنهما لايجتمعان فى محل واحد (فان قيل) لانسلم أن اللفظ المشترك حقيقة بالوضع فى المعنيين معا لأن ذلك يخل بفائدة الوضع الذى هو البيان وانما هو حقيقة فى أحد معنييه مجاز فى الآخر (فالجواب عن ذلك) أن هذا الموضع تقدم الكلام عليه فى الفصل الثانى من مقدمة الكتاب وهو الفصل الذى يشتمل على آلات علم البيان وأدواته فليؤخذ من هناك فانى قد أشبعت القول فيه اشباعا لامزيد عليه (القسم العاشر) تسمية الشىء بفعله كتسمية الخمر مسكر وهذا القسم داخل فى القسم الاول وأى مشاركة أقرب من هذه المشاركة فان الاسكار صفة لازمة للخمر وليست الشجاعة صفة لازمة لزيد لأنه يمكن أن يكون زيد ولاشجاعة ولايمكن أن يكون خمر ولا اسكار ألاترى أنها لم تسم خمرا الا لاسكارها فانها تخمر العقل أى تستره (القسم الحادى عشر) تسمية الشىء بكله كقولك فى جواب ما فعل زيد القيام والقيام جنس يتناول جميع أنواعه وهذا القسم لاينبغى أن يوصل باقسام المجاز لان القيام لزيد حقيقة (فان قيل) ان القيام يشمل جميع أنواع القيام من الماضى والحاضر والمستقبل (قلت) وهذا من أقرب أقسام المجاز مناسبة لأنه اقامة للمصدر مقام الفعل الماضى والمصدر أصل الفعل وعلى هذا فان هذا داخل فى القسم الأول (القسم الثانى عشر) الزيادة فى الكلام لغير فائدة كقوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم فما ههنا زائدة لامعنى لها أى فبرحمة من الله لنت لهم وهذا القول لاأراه صوابا وفيه نظر من وجهين أحدهما أن هذا القسم ليس من المجاز لان المجاز هو دلالة اللفظ على غير ما وضع له فى أصل اللغة وهذا غير

ترجع الى المؤنث فما كان فى المؤنث بالياء كتبته بالياء نحو العمى والظمى لانك تقول عمياء وظمياء وما كان من المؤنث بالواو وكتبته بالالف نحو العشاء فى العين والعشا وهو كثرة شعر الوجه والقناء تقول عشواء وقنواء وعشواء وكذلك كل جمع ليس بينه و بين واحده فى الهجاء الا الهاء من المقصور نحو الحصى والنوى والقطا فما كان جمعه بالواو كتبته بالألف نحو قطا لانه يجمع قطوات وما كان جمعه بالياء كتبته بالياء نحو حصى ونوى لانه يجمع أيضا حصيات ونويات وكل هذه اذا أنت أضفتها الى مكنى كتبت ما كان منها بالواو بالالف وما كان منها بالياء بالالف فتكتب صغراهم وكبراهم وحصاك ونواك وأشباه ذلك واحداها وكذلك الافعال اذا أوقعتها على مكنى كتبت ما كان منها بالياء بالألف نحو قضاه حقه ورماهم عن قوس ودلاهما بغرور وقد خالف الكتاب فى هذا المصحف

﴿باب الحروف التى تأتى للمعانى﴾

تكتب عسى بالياء لانك تقول عسيت أن أفعل كذا قال الله عز وجل فهل عسيتم ان توليتم قرئت بفتح السين وكسرها وتكتب بلى ومتى وأنى بالياء لان الامالة فيها

موجود فى الآية وانما هى دالة على الوضع اللغوى المنطوق به فى أصل اللغة الوجه الآخر أنى لو سلمت أن ذلك من المجاز لانكرت أن لفظة ما زائدة لامعنى لها ولكنها وردت تفخيما لامر النعمة التى لان بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم وهى محض الفصاحة ولو عرى الكلام منها لما كانت له تلك الفخامة وقد ورد مثلها فى كلام العرب كالذى يحكى عن الزباء وذلك أن الوضاح الذى هو جذيمة الابرش تزوجها والحكاية فى ذلك مشهورة فلما دخل عليها كشفت له عن فرجها وقد ضفرت الشعر من فوقه ضفيرتين وقالت اذات عروس ترى أما انه ليس ذلك من عوز المواس ولا من قلة الاواس ولكنه شيمة ما أناس فمعنى الكلام ولكنه شيمة اناس وانما جاءت لفظة ما ههنا تفخيما لشأن صاحب تلك الشيمة وتعظيما لأمره ولو أسقطت لما كان للكلام ههنا هذه الفخامة والجزالة ولايعرف ذلك الا أهله من علماء الفصاحة والبلاغة وأما الغزالى رحمه الله تعالى فانه معذور عندى فى أن لايعرف ذلك لانه ليس فنه ومن ذهب الى أن فى القرآن لفظا زائدا لامعنى له فاما أن يكون جاهلا بهذا القول واما أن يكون متسمحا فى دينه واعتقاده وقول النحاة انما فى هذه الآية زائدة فانما يعنون به أنها لاتمنع ماقبلها عن العمل كما يسمونها فى موضع آخر كافة أى أنها تكف الحرف العامل عن عمله كقولك انما زيد قائم فما قد كفت ان عن العمل فى زيد وفى الآية لم تمنع عن العمل ألا ترى أنها لم تمنع الباء عن العمل فى خفض الرحمة (القسم الثالث عشر) تسمية الشيء بحكمه كقوله تعالى وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان أراد النبي أن يستنكحها فسمى النكاح هبة وهذا القسم داخل فى القسم الأول لان النكاح هو تمكين الزوج من الوطء على عوض على هيئة مخصوصة والهبة تمكينه من الشيء الموهوب على غير عوض فشاركت الهبة النكاح فى نفس التمكين من الوطء وان اختلفا فى الصورة (القسم الرابع عشر) النقصان الذى لايبطل به المعنى كحذف الموصوف واقامة الصفة مقامه قال الله تعالى ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا أى شخصا بريئا وكحذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه قال الله تعالى واسئل القرية أى أهل القرية وهذا القسم داخل فى القسم الاول أما حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه فلأن الصفة لازمة الموصوف وأما حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه فلانه دل بالمسكون على الساكن وتلك مقارنة قريبة فهذه أقسام المجاز التى ذكرها الغزالى رحمه الله تعالى وقد بينت فساد التقسيم فيها وأنها ترجع الى ثلاثة أقسام هى التوسع والتشبيه والاستعارة (وحيث انتهى بى الكلام إلى ههنا) وفرغت مما أردت تحقيقه وبينت ماأردت بيانه فانى أتبع ذلك بضرب الامثلة للاستعارة التى يستفيد بها المتعلم مالايستفيده بذكر الحد والحقيقة (فما جاء من ذلك فى القرآن الكريم) قوله تعالى فى أول سورة ابراهيم صلوات الله عليه الر كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور فالظلمات والنور استعارة للكفر والايمان أو للضلال والهدى والمستعار له مطوى الذكر كأنه قال لتخرج الناس من الكفر الذى هو كالظلمة الى الايمان الذى هو كالنور وكذلك ورد قوله تعالى فى هذه السورة أيضا وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال والقراءة برفع لتزول منه الجبال ليست من باب الاستعارة ولكنها فى نصب تزول واللام لام كى والجبال ههنا استعارة طوى فيها ذكر المستعار له وهو أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وماجاء به من الآيات والمعجزات أى أنهم مكروا مكرهم لكى تزول منه هذه الآيات والمعجزات التى هى فى ثباتها

واستقرارها

أحسن وأفصح من التفخيم فاما على والى ولدى فان القياس كان ان يكتبن بالالف لان الامالة لاتحسن فيهن وانما كتبن بالياء لانك تقول عليك واليك ولديك وأما كلا وكلتا فقد اختلف فيهما والذى استحب ان يكتبا اذا وليا حرفا رافعا بالالف فتكتب أتانى كلا الرجلين وأتانى كلتا المرأتين واذا وليا حرفا ناصبا أو خافضا كتبا بالياء فتكتب رأيت كلى الرجلين ومررت بكلتى المرأتين وانما فرقت بينهما فى الكتاب فى هاتين الحالتين لأن العرب فرقت بينهما فى اللفظ مع المكنى فقالوا رأيت الرجلين كليهما بالياء ومررت بهما كليهما ورأيت المرأتين كلتيهما ومررت بهما كلتيهما فلفظوا بهما بالياء مع الناصب والخافض وقالوا جاءنى الرجلان كلاهما والمرأتان كلتاهما فلفظوا بهما مع الرافع بالالف

﴿باب ما نقص منه الياء لاجتماع الساكنين﴾

تكتب هذا قاض وغاز ورام ومهتد ومفتر ومشتر وكل ما أشبه هذا فى حال الرفع والخفض بلا ياء استثقالا لمجيء الضمة بعد الكسرة والياء ومجيء كسرة بعد كسرة وياء لان أكثر العرب اذا وقفوا وقفوا بغير ياء فاذا صرت الى النصب أتمته فقلت رأيت قاضيا وراميا ومهتديا ومشتريا فأما مالاينصرف مثل جوار وليال

واستقرارها كالجبال وعلى هذا ورد قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون فاستعار الأودية للفنون والأغراض من المعانى الشعرية التي يقصدونها وإنما خص الأودية بالاستعارة ولم يستعر الطرق والمسالك أو ماجرى مجراها لأن معانى الشعر تستخرج بالفكرة والروية والفكرة والروية فيهما خفاء وغموض فكان استعارة الأودية لها أشبه وأليق والاستعارة فى القرآن قليلة لكن التشبيه المضمر الاداة كثير وكذلك هى فى فصيح الكلام من الرسائل والخطب والاشعار لأن طى المستعار له لا يتيسر فى كل كلام وأما التشبيه المضمر الاداة فكثير سهل لمكان اظهار المشبه والمشبه به معا (ومما ورد من الاستعارة فى الأخبار النبوية) قول النبي ﷺ لا تستضيئوا بنار المشركين فاستعار النار للرأى والمشورة أى لا تهتدوا برأى المشركين ولا تأخذوا بمشورتهم وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه دخل يوما مصلاه فرأى أناسا كأنهم يكثرون فقال أما انكم لو أكثرتم من ذكر هاذم اللذات لشغلكم عما أرى وهاذم اللذات أراد به الموت وهو مطوى الذكر (وبلغنى عن العرب) أنهم يقولون عند رؤية الهلال لا مرحبا باللجين مقرب أجل ومحل وهذا من باب الاستعارة فى طى ذكر المستعار له (وكذلك بلغنى عن الحجاج بن يوسف) أنه خطب خطبة عند قدومه العراق فى أول ولايته اياه والخطبة مشهورة من جملتها أنه قال إن أمير المؤمنين نثل كنانته وعجمها عوداً عوداً فرأى أصلبها نجارا وأقومها عوداً وأنفذها نصلا فقوله نثل كنانته وعجمها عودا عودا يريد أنه عرض رجاله واختبرهم واحدا واحدا حد اختباره فرأى أشدهم وأمضاهم وهذا من الاستعارة الحسنة الفائقة (وقد جاءنى من الاستعارة فى رسائلى) ما أذكر شيئا منه ولو مثالا واحدا وذلك أنه سألنى بعض الاصدقاء أن أصف له غلامين تركيين كان يهواهما وكان أحدهما يلبس قباء أحمر والآخر قباء أسود فقلت إذا تشعبت أسباب الهوى كانت لسره أظهر وأضحت أمراضه خطرا كلها ولا يقال فى أحدها هذا أخطر وقد هو يت بدر ين على غصنين ولا طاقة للقلب بهوى واحد فكيف إذا حمل هوى اثنين ومما شجانى أنهما يتلونان فى أصباغ الثياب كما يتلونان فى فنون التجرم والعتاب وقد استجدا الآن زيا لامزيد على حسنهما فى حسنه فهذا يخرج فى ثوب من حمرة خده وهذا فى ثوب من سواد جفنته وما أدرى من دلهما على هذا العجيب غير أنه ليس على فتنة المحب أهدى من حبيب وهذا الفصل بجملته مما تواصفه الناس وأغروا بحفظه (وأما ماورد من ذلك شعرا) فكقول مسكين الدارمى من شعراء الحماسة

لحافى لحاف الضيف والبرد برده ... ولم يلهنى عنه غزال مقنع
أحدثه ان الحديث من القرى ... وتعلم نفسى أنه سوف يهجع

فالغزال المقنع هنا استعارة للمرأة الحسناء (وكذا ورد) قول رجل من بنى يسار فى كتاب الحماسة أيضا

أقول لنفسى حين حق زوالها ... رويدك لما تشتقى حين مشفق
رويدك حتى تنظرى عم تنجلى ... غمامة هذا العارض المتألق

فالعارض المتألق استعارة للحرب أو الذى أطل بمكروهه كالبارق المتألق (ويحكى) ان امرأة وقفت لعبد الملك بن مروان وهو سائر إلى قتال مصعب بن الزبير فقالت يا أمير المؤمنين فقال رويدك حتى تنظرى عم تنجلى وأنشد البيت (ومن هذا الباب) قول عبد السلام بن رعبان المعروف بديك الجن

وسوار فانك تكتبه فى حال الرفع والخفض بلا ياء تقول هؤلاء جوار ومضت ثلاث (١٤٩) ليال فاذا شرت إلى النصب قلت رأيت جوارى وسرت ليالى فلا تصرفه لأنه تم فى حال النصب فصار جمعا ثالثه ألف وبعد الالف حرفان ونقص فى حال الرفع والخفض فصرفته وكل هذا إذا أضفته إلى ظاهر أو مكنى أثبت فيه الياء لأن التنوين يذهب مع الاضافة فترد الياء فاذا ألحقت فى هذا ألفا ولاما للتعريف أثبت الياء فى الكتاب نحو قولك هذا القاضى وهذا المعتدى ومن الجوارى وقد يجوز حذفها وليس بمستعمل إلا فى كتاب المصحف فان كانت الياء مثقلة لم تحذف نحو بخاتى وأمانى وأوارى وتكتب ثمان خلون فان أضفت الثمان إلى الليالى كتبت بالياء فتقول ثمانى ليال خلون فتلحق الياء مع الاضافة وليس سبيل ثمان سبيل جوار وسوار فى الامتناع من الانصراف لان ثمانيا بمنزلة رجل يمان منسوب إلى اليمن خففت ياء النسب فيه وألحقت الالف بدلا منها قال الاعشى

ولقد شربت ثمانيا وثمانيا ... وثمان عشرة واثنتين وأربعا

فصرف ثمانيا إذا كانت على ما أخبرتك به وشبيه به فى النسب وإن لم يكن مثله برذون رباع فاذا نصبت قلت ركبت برذونا رباعيا فأتممته قال الشاعر

لما نظرت إلى عن حدق المها * و بسمت عن متفتح النوار
وعقدت بين قضيب بان أهيف * وكثيب رمل عقدة الزنار
عفرت خدى فى الثرى لك طائعا * وعزمت فيك على دخول النار

وهذه الأبيات لاتجدلها فى الحسن شريكا ولان يسمى قائلها شحرور أولى من أن يسمى ديكا وكذلك ورد قوله

لا ومكان الصليب فى النحر منـــك ومجرى الزنار فى الخصر
والخال فى الخد إذ أشبهه * وردة مسك على ثرى تبر
وحاجب مذ خطه قلم الحســـن بحبر البهاء لا الحبر
واقحوان بفيك منتظم * على شبيه من رائق الخمر

فالبيت الرابع هو المخصوص بالاستعارة والمستعار له هو الثغر والريق (ومما ورد لأبى تمام) فى هذا المعنى قوله

لما غدا مظلم الاحشاء من أشر * أسكنت جانحتيه كوكبا يقد

فالكوكب استعارة للرمح وكذلك ورد قوله فى الاعتذار

أسرى طريد الحياء من التى * زعموا وليس لرهبة بطريد
وغدا تبين ما براءة ساحتى * لو قد نفضت تهائمى ونجودى

والتهائم والنجود ها استعارة مما استعاره من باطن أمره وظاهره وكذلك ورد قوله

كم أحرزت قضب الهندى مصلتة * تهتز من قضب تهتز فى كثب

فالقضب والكثب استعارة للقدود والارداف وكذلك ورد فى هذه القصيدة أيضا عند ذكر ملك الروم وانهزامه لما فتحت مدينة عمورية فقال

ان يعد من حرها عدو الظليم فقد * أوسعت جاحمها من كثرة الحطب

فالحطب استعارة للقتلى وقبل هذا البيت ما يدل عليه لانه قال

أحذى قرابينه صرف الردى ومضى * يحتث أنجى مطاياه من الهرب
موكلا بيفاع الأرض يشرفها * من خفة الخوف لا من خفة الطرب

ان يعد من حرها عدو الظليم البيت وأحسن من هذا كله قوله

تطل الطلول الدمع فى كل منزل * وتمثل بالصبر الديار المواثل
دوارس لم يجف الربيع ربوعها * ولا مر فى اغفالها وهو غافل
يعفين من زاد العفاة إذا انتحى * على الحى ضرب الأزمة المتحامل

فقوله زاد العفاة استعارة طوى فيها ذكر المستعار له وهو أهل الديار كأنه قال يعفين من قوم هم زاد العفاة (وله فى الغزل) من الاستعارة ما بلغ به غاية اللطافة والرقة وذلك فى قصيدته التى مطلعها * ان عهدا لو تعلمان ذميما * فقال

قد مررنا بالدار وهى خلاء * فبكينا طولها والرسوما
وسألنا ربوعها فانصرفنا * بسقام وما سألنا حكيما
كنت أرعى النجوم حتى إذا ما * فارقونى أمسيت أرعى النجوما

والبيت الثالث هو المخصوص بالاستعارة وعلى هذا المنهاج ورد قول البحترى

وأغر فى الزمن البهيم محجل * قد رحت منه على أغر محجل

والاغر المحجل الاول هو الممدوح والاغر المحجل الثانى هو الفرس الذى أعطاه اياه وكذلك ورد قوله

وصاعقة فى كفه تنكفى بها * على أرؤس الاعداء خمس سحائب

الواو والياء والألف لاجتماع الساكنين فاذا ثنيت قلت قولا و بيعا وكذلك فى الجميع قولوا و بيعوا وخافوا تظهر ما ذهب فى الواحد لتحرك الحرف الآخر وتقول للمرأة قولى و بيعى وخافى فلا تسقط حرف المد لتحرك الحرف الذى يليه فاذا أمرت بالمهموز من الافعال مثل أمر يأمر وأكل يأكل وسأل يسأل وجاء يجىء فالمستعمل فى أمر يأمر أن تقول مر فلانا بكذا فاذا اتصل بواو أو فاء قبله قلت وأمر فلانا فأمره قال الله سبحانه وأمر قومك يأخذوا بأحسنها وقال تعالى وأمر أهلك بالصلاة ويجوز أو مر فلانا بلا واو ولا فاء قبله وليس بمستعمل والمستعمل فى كل الحذف فى كل حال اتصل بواو أو فاء أو لم يتصل لم نسمع غير ذلك والمستعمل فى مثل أجره الله يأجره الاتمام فى الانفراد والاتصال تقول اللهم أوجرنى فى مصيبتى فأما سأل يسأل فان شئت ابتدأت فقلت أسأل فلانا عن كذا و إن شئت قلت سل فلانا وهو أحب الى لأنها كذلك كتبت فى المصحف اذا لم تتصل بواو قبلها ولا فاء قبلها وان اتصلت بواو أو فاء فان شئت ألحقت فيها ألفا فى أولها وهمزت

وهذا من النمط العالي الذي شغلت براعة معناه وحسن سبكه عن النظر الى استعارته والمراد بالسحائب الخمس الأصابع وكذلك ورد في أبيات الحماسة

دك طود الكفر دكا * صاعق من وقع سيفك
أرسلته خمس سحب * نشأت من بحر كفك

وكذلك ورد قوله في أبيات يصف فيها السيف

حملت حمائله القديمة بقلة * من عهد عاد غضة لم تذبل

وهذا من الحسن على ما يشهد لنفسه كأنه قال حملت حمائله سيفا أخضر الحديد كالبقلة (وعلى هذا الاسلوب) ورد قول أبي الطيب المتنبي

في الخد ان عزم الخليط رحيلا * مطر تزيد به الخدود محولا

وكذلك ورد قوله * يمد يديه في المفاضة ضيغم * وأحسن من هذا قوله في قصيدته التي مطلعها * عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم

وأصبحت بقرى هنزيط جائلة * ترعى الظبي في خصيب نبته اللمم
فما تركن بها خلدا له بصر * تحت التراب ولا بازا له قدم
ولا هزبرا له من درعه لبد * ولا مهاة لها من شبهها حشم

وهذا من المليح النادر فالخلد استعارة لمن اختفى تحت التراب خائفا والباز استعارة لمن طار هاربا والهزبر والمهاة استعارتان للرجال المقاتلة والنساء من السبايا ومن هذا الباب قوله

كل جريح ترجى سلامته * إلا جريحا دهته عيناها
تبل خدي كلما ابتسمت * من مطر برقه ثناياها

والبيت الثاني من الابيات الحسان التي تتواصف وقد حسن الاستعارة التي فيه أنه جاء ذكر المطر مع البرق (وبلغني عن أبي الفتح بن جني) رحمه الله أنه شرح ذلك في كتابه الموسوم بالفسر الذي ألفه في شرح شعر أبي الطيب فقال انها كانت تبزق في وجهه فظن أن أبا الطيب أراد أنها كانت تبسم فيخرج الريق من فمها ويقع على وجهه فشبهه بالمطر وما كنت أظن أن أحدا من الناس يذهب وهمه وخاطره حيث ذهب وهم هذا الرجل وخاطره واذا كان هذا قول امام من أئمة العربية تشد اليه الرحال فما يقال في غيره لكن فن الفصاحة والبلاغة غير فن النحو والاعراب وكذلك ورد قول الشريف الرضي

إذا أنت أفنيت العرانين والذرى * رمتك الليالي من يد الخامل الغمر
وهبك اتقيت السهم من حيث يتقى * فمن ليد ترميك من حيث لا تدري

فالعرانين والذرى هما عظماء الناس وأشرافهم كأنه قال إذا أفنيت عظماء الناس رميت من يد الخامل (واذ قد بينت) أن الاستعارة لا تكون الا بحيث يطوى ذكر المستعار له فانها لا تجيء الا ملائمة مناسبة ولا يوجد فيها مباينة ولا تباعد لانها لا تذكر مطوية الا لبيان المناسبة بين المستعار منه والمستعار له ولو طويت ولم يكن هناك مناسبة بين المستعار منه والمستعار له لعسر فهمها ولم يبن المراد منها (ورأيت أبا محمد عبد الله بن سنان الخفاجي) رحمه الله تعالى قد خلط الاستعارة بالتشبيه المضمر الأداة ولم يفرق بينهما أو تأسى في ذلك بغيره من علماء البيان كأبي هلال العسكري والغانمي وأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي على أن أبا القاسم بن بشر الآمدي كان أثبت القوم قدما في فن الفصاحة والبلاغة وكتابه المسمى بالموازنة بين شعر

فقلت فاسأل الله وان شئت حذفت فاذا أمرت من جاء يجيء قلت جيء الينا وكذلك أن اتصل وان ثنيت قلت جيأ أو جيؤا مثل جيعا وجيعوا واذا أمرت من مثل وعيت الحديث ووقيتك بنفسي ووشيت الثوب زدت هاء في اللفظ اذا وقفت وهاء في الكتاب فتكتب عه كلامي قه زيدا بنفسك شه ثوبك لانه لا تكون كلمة على حرف واحد فان وصلت ذلك بفاء أو واو فان شئت أقررت الهاء وان شئت حذفتها والحذف أحب الى تقول قم فق زيدا واذهب فل عملك واذهب فش ثوبك فان وصلت ذلك بثم ألحقت الهاء لأن ثم حرف منفصل قائم بنفسه لا يتصل بما بعده اتصال الواو والفاء وتقول رد واردد وشد واشدد فاذا ثنيت قلت ردا وشدا ولا تقول ارددا وكذلك الجميع الا في النساء فانك تقول أرددن

﴿ باب الهمز ﴾

اذا سكنت الهمزة وقبلها فتحة كتبت ألفا نحو قرأت وملأت ورأس وبأس وان انكسر ما قبلها كتبت ياء نحو برئت وشئت وان انضم ما قبلها كتبت واوا نحو جرؤت ووضؤت وجؤنة ولؤم فاذا كانت آخرا قبلها فتحة كتبت في الرفع والنصب والخفض ألفا فتقول مررت بالملأ وأقررت بالخطأ ورأيت الملأ وعرفت الخطأ وهذا الملأ وهو يقرأ ويبرأ منك

الطائيين يشهد له بذلك وما أعلم كيف خفى عليه الفرق بين الاستعارة والتشبيه المضمر الاداة (ومما أورده ابن سنان) فى كتابه الموسوم بسر الفصاحة قول امرىء القيس فى صفة الليل

فقلت له لما تمطى بصلبه * وأردف اعجازا وناء بكلكل

وهذا البيت من التشبيه المضمر الاداة لأن المستعار له مذكور وهو الليل وعلى الخطا فى خلطه بالاستعارة فان ابن سنان أخطأ فى الرد على الآمدى ولم يوفق للصواب وأنا أتكلم على ما ذكره ولا أضايقه فى الاستعارة والتشبيه بل أنزل معه على ما رآه من أنه استعارة ثم أبين فساد ما ذهب اليه وذلك أن الآمدى قال فى كتاب الموازنة ان امرأ القيس وصف أحوال الليل الطويل فذكر امتداد وسطه وتثاقل صدره وترادف اعجازه فلما جعل له وسطا ممتدا وصدرا ثقيلا واعجازا رادفة لوسطه استعار له اسم الصلب وجعله متمطيا من أجل امتداده واسم الكلكل وجعله نائبا لتثاقله واسم العجز من أجل نهوضه فقال ابن سنان الخفاجى معترضا عليه ان هذا الذى ذكره الآمدى ليس بمرضى غاية الرضا وان بيت امرىء القيس ليس من الاستعارة الجيدة ولا الرديئة بل هو وسط فان الآمدى قد أفصح بأن امرأ القيس لما جعل الليل وسطا ممتدا استعار له اسم الصلب وجعله متمطيا من أجل امتداده وحيث جعل له آخرا وأولا استعار له عجزا وكلكلا وهذا كله انما يحسن بعضه مع بعض فذكر الصلب انما يحسن من أجل العجز والوسط والتمطى من أجل الصلب والكلكل لمجموع ذلك وهذه استعارة مبنية على استعارة أخرى هذا حكاية كلامه فى الاعتراض على الآمدى (وفيه نظر من وجهين الأول) أنه قال هذا بيت من الاستعارة الوسطى التى ليست بجيدة ولا رديئة ثم جعلها استعارة مبنية على استعارة أخرى وعنده أن الاستعارة المبنية على الاستعارة من أبعد الاستعارات وذلك أنه قسم الاستعارة الى قسمين قريب مختار و بعيد مطرح فالقريب المختار ما كان بينه و بين ما استعير له تناسب قوى وشبه واضح والبعيد المطرح إما أن يكون لبعده مما استعير له فى الأصل أو لأنه استعارة مبنية على استعارة أخرى فيضعف لذلك هذا ما ذكره ابن سنان الخفاجى فى تقسيم الاستعارة واذا كانت الاستعارة المبنية على استعارة أخرى عنده بعيدة مطرحة فكيف جعلها وسطا هذا تناقض فى القول (الوجه الثانى) أنه لم يأخذ على الآمدى فى موضع الأخذ لأنه لم يختر إلا ما حسن اختياره وذلك أن حد الاستعارة على ما رآه الآمدى وابن سنان هو نقل المعنى من لفظ إلى لفظ بسبب مشاركة بينهما وان كان المذهب الصحيح فى حد الاستعارة غير ذلك على ما تقدم الكلام عليه ولكنى فى هذا الموضع أنزل معهما على ما رأياه حتى يتوجه الكلام على الحكم بينهما فى بيت امرىء القيس واذ حددنا الاستعارة بهذا الحد فبه يفرق على رأى ابن سنان بين الاستعارة المرضية والاستعارة المطرحة فاذا وجدنا استعارة فى كلام ما عرضناها على هذا الحد فما وجدنا فيه مناسبة بين المنقول عنه والمنقول اليه حكمنا له بالجودة وما لم نجد فيه تلك المناسبة حكمنا عليه بالرداءة و بيت امرىء القيس من الاستعارات المرضية لأنه لو لم يكن لليل صدر أعنى أولا ولم يكن له وسط وآخر لما حسنت هذه الاستعارة ولما كان الأمر كذلك استعار لوسطه صلبا وجعله متمطيا واستعار لصدره المتثاقل أعنى أوله كلكلا وجعله نائبا واستعار لآخره عجزا وجعله ردفا لوسطه وكل ذلك من الاستعارة المناسبة وأما قول ابن سنان الخفاجى أن الاستعارة المبنية على استعارة أخرى بعيدة مطرحة فان فى هذا القول نظرا وذلك أنه قد ثبت لنا أصل نقيس عليه فى الفرق بين الاستعارة

فان أضفت الحرف الى ظاهر فهو على حاله وان أضفته الى مضمر فهو فى النصب على حاله تقول رأيت ملاءهم وعرفت خطأهم وان أقرأه وتجعلها فى الرفع واوا تقول هو يقرؤه و يملؤه وهل أتاك نبؤهم وملؤهم هذا المذهب المتقدم وكان بعض كتاب زماننا يدع الحرف على حاله بالألف فيكتب هو يقرأه وهو يملأ وهذا ملأهم وهو يشنأك والله يكلأك فلان لا يرزأوك شيئا يدل على الهمزة والاعراب فيها بضمة يوقعها فوق الألف وانما اختار الألف لأن الوقوف على الحرف اذا انفرد وأبدل من الهمزة على الألف كذلك يكتب منفردا فيتركه على حاله اذا أضيف و يجعلها فى الخفض ياء فيقول مررت بملئهم وسمعت بعض نبئهم وكان المختار فى الرفع أن يترك الحرف على حاله مكتوبا بالالف و يختار فى الخفض مثل ذلك و يوقع تحت الالف كسرة يدل بها على الهمزة والاعراب فان انضم ما قبل الهمزة جعلتها واوا على كل حال فتكتب لم يوضؤ الرجل وان يوضؤ الرجل ومررت بأكمؤك ورأيت أكمؤك وان انكسر ما قبلها جعلتها ياء على كل حال فتكتب هو يقرئك السلام وهذا قارئنا وهو يريد أن يستقرئك واذا كانت الهمزة مضمومة أو مكسورة و بعدها ياء أو واو كتبت بياء واحدة وواو واحدة وحذفت

المرضية

المرضية والمطرحة كما أريناك ولا يمنع ذلك من أن تجيء استعارة مبنية على استعارة أخرى وتوجد فيها المناسبة المطلوبة فى الاستعارة المرضية فانه قد ورد فى القرآن الكريم ماهو من هذا الجنس وهو قوله تعالى وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف فهذه ثلاث استعارات ينبنى بعضها على بعض فالأولى استعارة القرية للأهل والثانية استعارة الذوق للباس والثالثة استعارة اللباس للجوع والخوف وهذه الاستعارات الثلاث من التناسب على مالا خفاء به فكيف يذم ابن سنان الخفاجى الاستعارة المبنية على استعارة أخرى وما أقول ان ذلك شذ عنه الا لأنه لم ينظر الى الأصل المقيس عليه وهو التناسب بين المنقول عنه والمنقول اليه بل نظر الى التقسيم الذى هو قسمه فى القرب أو البعد ورأى أن الاستعارة المبنية على استعارة أخرى تكون بعيدة فحكم عليها بالاطراح واذا كان الأصل إنما هو التناسب فلا فرق بين أن يوجد فى استعارة واحدة أو فى استعارة مبنية على استعارة ولهذا أشباه ونظائر فى غير الاستعارة ألا ترى أن المنطقى يقول فى المقدمة والنتيجة كل انسان حيوان وكل حيوان نام فكل انسان نام وكذلك يقول المهندس فى بعض الاشكال الهندسية إذا كان خط اب مثل خط ج وخط ج مثل خط جد فخط اب مثل خط جد وهكذا أقول أنا فى الاستعارة إذا كانت الاستعارة الأولى مناسبة ثم بنى عليها استعارة ثانية وكانت أيضا مناسبة فالجميع متناسب وهذا أمر برهانى لا يتصور انكاره وهذا الكلام الذى أوردته ههنا هو اعتراض على ماذكره ابن سنان الخفاجى فى الاستعارة فلا تظن أنى موافقه فى الاصل وإنما وافقته قصداً لتبيين وجه الخطأ فى كلامه وكيف يسوغ لى موافقته وقد ثبت عندى بالدليل أن الاستعارة لا تكون الا بحيث يطوى ذكر المستعار له وفيما قدمته من الكلام كفاية (النوع الثانى فى التشبيه) وجدت علماء البيان قد فرقوا بين التشبيه والتمثيل وجعلوا لهذا بابا مفردا ولهذا بابا مفردا وهما شىء واحد لافرق بينهما فى أصل الوضع يقال شبهت هذا الشىء بهذا الشىء كما يقال مثلته به وما أعلم كيف خفى ذلك على أولئك العلماء مع ظهوره ووضوحه وكنت قدمت القول فى باب الاستعارة على الفرق بين التشبيه و بينها ولا حاجة الى اعادته ههنا مرة ثانية (والتشبيه ينقسم قسمين) مظهرا ومضمرا وفى المضمر اشكال فى تقدير أداة التشبيه فيه فى بعض المواضع (وهو ينقسم أقساما خمسة فالاول) يقع موقع المبتدا والخبر مفردين (والثانى) يقع موقع المبتدا المفرد وخبره جملة مركبة من مضاف ومضاف اليه (والثالث) يقع موقع المبتدا والخبر جملتين (والرابع) يرد على وجه الفعل والفاعل (والخامس) يرد على وجه المثل المضروب وهذان القسمان الاخيران هما أشكل الاقسام الخمسة فى تقدير أداة التشبيه (أما الاول) فكقولنا زيد أسد فهذا مبتدأ وخبره وإذا قدرت أداة التشبيه فيه كان ذلك ببديهة النظر على الفور فقيل زيد كالاسد (وأما القسم الثانى والثالث) فانهما متوسطان فى تقدير أداة التشبيه فيهما فالثانى كقول النبى صلى الله عليه وسلم الكمأة جدرى الارض وهذا يتنوع نوعين فاذا كان المضاف اليه معرفة كهذا الخبر النبوى لايحتاج فى تقدير أداة التشبيه الى تقديم المضاف اليه بل ان شئنا قدمناه وان شئنا أخرناه فقلنا الكمأة للأرض كالجدرى أو الكمأة كالجدرى للارض واذا كان المضاف اليه نكرة فلابد من تقديمه عند تقدير أداة التشبيه فمن ذلك قول البحترى

غمام سماح لا يغب له حيا * ومسعر حرب لا يضيع له وتر

الهمزة فتكتب اقرؤا وقد قرؤا القرآن وهم يهزؤن بشاوهم يملؤن وهم يستهزؤن وهؤلاء مقرؤن ومخطؤن هذا الذى عليه المصحف ومتقدمو الكتاب وقد كتبه بعض الكتاب بياء قبل الواو مستهزيون ومقريون وذلك حسن (وكذلك) إذا كان بعد الهمزة ياء الجميع أوياء المؤنث اقتصروا على ياء واحدة نحو قولك للمرأة أنت تستهزين وتتكئن ونحو قولك مررت بقوم متكئين ومخطئين لااختلاف فيه ومما اختلفوا فيه مؤنة وشؤن جمع شأن ورؤس ورجل سؤل و بؤس كتبه بعضهم بواوين و بعضهم بواو واحدة وكل حسن فأما الموؤدة فانها تكتب فى المصحف بواو واحدة واستحب للكاتب ان يكتبها بواوين لأنها ثلاث احداهن همزة مضمومة تبدل منها واو فان حذفت اثنتين أجحفت بالحرف وكذلك اختلفوا فى مثل لئيم ورئيس و بئيس وزئير فكتبه بعضهم بياء واحدة اتباعا للمصحف وكتبه بعضهم بياءين وهو أحب الى وما جاء على أفعل والعين همزة نحو أفؤس وأرؤس جمع فأس ورأس وأسؤق جمع ساق وأثوب جمع ثوب فأحب الى أن تكون ذلك كله بواو واحدة وحذفها جائز

﴿ باب الهمزة فى الفعل إذا كانت عينا وانفتح ماقبلها ﴾

فاذا قدرنا أداة التشبيه ههنا قلنا سماح كالغمام ولا يقدر الا هكذا والمبتدأ فى هذا البيت محذوف وهوالاشارة إلى الممدوح كأنه قال هو غمام سماح (ومن هذا النوع) ما يشكل تقدير أداة التشبيه فيه على غير العارف بهذا الفن كقول أبى تمام

أى مرعى عين ووادى نسيب * لحبته الأيام فى ملحوب

ومراد أبي تمام أن يصف هذا المكان بأنه كان حسنا ثم زال عنه حسنه فقال بأن العين كانت تلتذ بالنظر اليه كالتذاذ السائمة بالمرعى فانه كان يشبب به فى الاشعار لحسنه وطيبه واذا قدرنا أداة التشبيه ههنا قلنا كأنه كان للعين مرعى وللنسيب منزلا ومألفا واذا جاء شىء من الا بيات الشعرية على هذا الاسلوب أوما يجرى مجراه فانه يحتاج الى عارف بوضع أداة التشبيه فيه (وأما الثالث) فكقول النبي صلى الله عليه وسلم وهل يكب الناس على مناخرهم فى نار جهنم الا حصائد ألسنتهم كأنه قال كلام الألسنة كحصائد المناجل وهذا القسم لايكون المشبه به مذكورا فيه بل تذكر صفته ألا ترى أن المنجل لم يذكر ههنا وإنما ذكرت صفته وهى الحصد وكل مايجىء من هذا القسم فانه لايرد الا كذلك (وأما القسم الرابع والخامس) اللذان هما أشكل الأقسام المذكورة فى تقدير أداة التشبيه فيهما فانهما لايتفطن لهما أنهما تشبيه (فمما جاء من القسم الرابع) قوله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم وتقدير أداة التشبيه فى هذا الموضع أن يمالهم فى أيمانهم كالمتبوىء دارا أى أنهم قد اتخذوا الايمان مسكنا يسكنونه يصف بذلك تمكنهم منه (وعلى هذا)ورد قول أبى تمام

نطقت مقلة الفتى الملهوف * فتشكت بفيض دمع ذروف

واذا أردنا أن نقدر أداة التشبيه ههنا قلنا دمع العين كنطق اللسان أوقلنا العين الباكية كأنما تنطق بما فى الضمير (وأما ماجاء من القسم الخامس)فكقول الفرزدق يهجو جريرا

ماضر تغلب وائل أهجوتها * أم بلت حيث تناطح البحران

فشبه هجاء جرير تغلب وائل ببوله فى مجمع البحرين فكما أن البول فى مجمع البحرين لا يؤثر شيئا فكذلك هجاؤك هؤلاء القوم لايؤثر شيئا وهذا البيت من الا يات الذى أقر له الناس بالحسن وكذلك ورد قوله أيضا

قوارص تأتينى وتحتقرونها * وقد يملأ القطر الاناء فيفعم

فانه شبه القوارص التى تأتيه محتقرة بالقطر الذى يملأ الاناء على صغر مقداره يشير بذلك الى أن الكثرة تجعل الصغير من الأمر كبيرا وهذا الموضع يشكل على كثير من علماء البيان ويخلطونه بالاستعارة كقول البحترى فى التعزية بولد

تعز فان السيف يمضى وان وهت * حمائله عنه وخلاه قائمه

وهذا ليس من التشبيه وإنما هو استعارة لأن المستعار له مطوى الذكر وهوالمعزى كأنه قال تعز فانك كالسيف الذى يمضى وان وهت حمائله وخلاه قائمه (فان قيل) انك قدمت القول فى باب الاستعارة بأن التشبيه المضمر الاداة يحسن تقدير أداة التشبيه فيه والاستعارة لايحسن تقدير أداة التشبيه فيها وجعلت ذلك هو الفرق بين التشبيه المضمر الاداة و بين الاستعارة وقررت ذلك تقريرا طويلا عريضا ثم نراك قد نقضته ههنا بقولك ان من التشبيه المضمر الاداة ما يشكل تقدير أداة التشبيه فيه وأنه يحتاج فى تقديرها الى نظر كهذين البيتين المذكورين للفرزدق وما يجرى مجراهما (فالجواب) عن ذلك أنى أقول هذا الذى ذكرته لاينقض على شيئا

وهى اذا كانت كذلك كتبت اذا انضمت واوا واذا انكسرت ياء واذا انفتحت ألفا نحو سأل وزار الاسد وسئم وبئس ولؤم وبؤس اذا اشتدت حاجته فاذا قلت من ذلك يفعل حذفت فكتبت يسئل ويزأر ويسئم ويبئس وييأس ويلؤم ويبئس وقد أبدل منها بعضهم والحذف أجود وبالحذف كتبت فى المصحف الافى حرف واحد يسألون عن أنبائكم وانما كتبت كذلك على قراءة من قرأها يسألون بمعنى يتسألون وكذلك تكتب مسئلة وأصحاب المشئمة بالحذف وكذلك يكتب مشؤم ومسؤل ومسؤم بواو واحدة لسكون ماقبلها واجتماع واوين

﴿ باب الهمزة تكون آخر الكلمة وماقبلها ساكن ﴾

اذا كانت الهمزة كذلك حذفت فى الرفع والخفض نحو قول الله عز وجل يوم ينظر المرء ماقدمت يداه ولكم فيها دفء وملء الارض ذهبا (وكذلك)ان كانت فى موضع نصب غير منون نحو قوله عزوجل يخرج الخبء فاذا كانت فى موضع نصب منون ألحقتها ألفا نحو أخرجت خبئا وأخذت دفأ ورأت برأ وقرأت جزأ فان أضفتها الى المضمر فهى فى الرفع واو وفى الجر ياء وفى النصب ألف تقول خبؤك ودفؤهم ومررت بمرئك وخبئك وشربت ملأها وأخذت دفأها (وكذلك) اذا ألحقتها هاء مما

مماقدمت القول فيه فى باب الاستعارة لانى قلت ان التشبيه المضمر الاداة يحسن تقدير الاداة فيه أى لا يتغير بتقديرها فيه عن صفته التى اتصف بها من فصاحة و بلاغة وليس كذلك الاستعارة فانها إذا قدرت أداة التشبيه فيها تغيرت عن صفتها التى اتصفت بها من فصاحة و بلاغة وأما الذى وردههنا من بيتى الفرزدق ومايجرى مجراهما من التشبيه المضمر الاداة فان أداة التشبيه لا تتقدر فيه وهو على حالته من النظم حتى تتبين هل تغيرت صفته التى اتصف بها من فصاحة و بلاغة ام لا وانما تتقدر أداة التشبيه فيه على وجه آخر وهذا لا ينقض ماأشرت اليه فى باب الاستعارة (وإذا ثبتت هذه الاقسام الاربعة فأقول) ان التشبيه المضمر أبلغ من التشبيه المظهر وأوجز أما كونه أبلغ فلجعل المشبه مشبها به من غير واسطة أداة فيكون هو اياه فانك إذا قلت زيد أسد كنت قد جعلته أسدا من غير اظهار أداة التشبيه وأما كونه أوجز فلحذف أداة التشبيه منه وعلى هذا فان القسمين من المظهر والمضمر كليهما فى فضيلة البيان سواء فان الغرض المقصود من قولنا زيد أسد أن يتبين حال زيد فى اتصافه بشهامة النفس وقوة البطش وجراءة الاقدام وغير ذلك مما يجرى مجراه الا أنا لم نجد شيئا ندل به عليه سوى أن جعلناه شبيها بالاسد حيث كانت هذه الصفات مختصة به فصار ماقصدناه من هذا القول أكشف وأبين من أن لو قلنا زيد شهم شجاع قوى البطش جرىء الجنان وأشباه ذلك لما قد عرف وعهد من اجتماع هذه الصفات فى المشبه به أعني الاسد وأما زيد الذى هو المشبه فليس معروفا بها وان كانت موجودة فيه وكلا هذين القسمين أيضا يختص بفضيلة الايجاز وان كان المضمر أوجز من المظهر لان قولنا زيد أسد أو كالاسد يسد مسد قولنا زيد من حاله كيت وكيت وهو من الشجاعة والشدة على كذا وكذا مما يطول ذكره فالتشبيه إذاً يجمع صفات ثلاثة هى المبالغة والبيان والايجاز كما أريتك الا أنه من بين أنواع علم البيان مستوعر المذهب وهو مقتل من مقاتل البلاغة وسبب ذلك ان حمل الشىء على الشىء بالمماثلة اماصورة واما معنى يعز صوابه وتعسر الاجادة فيه وقلما أكثر منه أحد إلا عثر كما فعل ابن المعتز من أدباء العراق وابن وكيع من أدباء مصر فانهما أكثرا من ذلك لاسيما فى وصف الرياض والأشجار والازهار والثمار لاجرم أنهما أتيا بالغث البارد الذى لايثبت على محك الصواب فعليك أن تتوقى ما أشرت اليه (وأما فائدة التشبيه من الكلام) فهى أنك إذا مثلت الشىء بالشىء فانما تقصد به اثبات الخيال فى النفس بصورة المشبه به أو بمعناه وذلك أوكد فى طرفى الترغيب فيه أو التنفير عنه ألا ترى أنك إذا شبهت صورة بصورة هى أحسن منها كان ذلك مثبتا فى النفس خيالا حسنا يدعو الى الترغيب فيها وكذلك إذا شبهتها بصورة شىء أقبح منها كان ذلك مثبتا فى النفس خيالا قبيحا يدعو الى التنفير عنها وهذا لانزاع فيه ولنضرب له مثالا يوضحه فنقول قد ورد عن ابن الرومى فى مدح العسل وذمه بيت من الشعر وهو

تقول هذا مجاج النحل تمدحه * وان تعب قلت ذاقىء الزنابير

ألا ترى كيف مدح وذم الشىء الواحد بتصريف التشبيه المجازى المضمر الاداة الذى خيل به الى السامع خيالا يحسن الشىء عنده تارة و يقبحه أخرى ولولا التوصل بطريق التشبيه على هذا الوجه لما أمكنه ذلك وهذا المثال كاف فيما أردناه (واعلم أن محاسن التشبيه) أن يجىء مصدريا كقولنا أقدم اقدام الاسد وفاض فيض البحر وهو أحسن ما استعمل فى باب التشبيه كقول أبى نواس فى وصف الخمر

قبل هاء التأنيث ياء أو واوا وألف حذفت نحو الهيئة والسوءة والفيئة وتكتب مثل جاى وشاى بياء وتجعل الياء تدل على الهمزة إذ كانت مكسورة فأما الياء الثانية فمحذوفة كما حذفت من قاض ورام كذلك تكتب مراى جمع مرآة ومسائى جمع مساءة بياء واحدة وتكتب مىء ومرىء إذا أردت مفعلا من أنأى فلان أى أبعدنى وأرأت الشاة إذا استبان حملها بياء واحدة

﴿ باب ﴾

الهمزة تكون عينا واللام ياء أو واو نحو رأيت ونأيت ووأيت وشأوت القوم أى سبقتهم وبأوت عليهم إذا تعظمت عليهم تكتب فعل من ذلك كله بألف وياء بعدها نحو رأى ونأى وشأى وبأى ووأى وانما كتبت بنات الواو منه بالياء لانك كرهت الجمع بين ألفين وتكتب يفعل منه ينأى ويشأى ويبأى بياء بعد ألف وكان بعضهم ويكتبه بغير ألف ينىء ويشىء كما كتب يسئل ويسئم بلا ألف ولا أحب ذلك لان هذا معتل موضع اللام من الفعل فلا يجمع عليه مع الاعتلال الحذف فأما

يرى فكلهم يحذف الهمزة منها فيكتبها أيضا بالحذف

وإذا مامزجوها * وثبت وثب الجراد * وإذا ما شربوها * أخذت أخذ الرقاد

وقيل ان من شرط بلاغة التشبيه أن يشبه الشيء بما هو أكبر منه وأعظم ومن ههنا غلط بعض الكتاب من أهل مصر فى ذكر حصن من حصون الجبال مشبها له فقال هامة عليها من الغمامة عمامة وأنملة خضبها الاصيل فكان الهلال منها قلامة وهذا الكاتب حفظ شيئا وغابت عنه أشياء فانه أخطأ فى قوله أنملة وأى مقدار للانملة بالنسبة الى تشبيه حصن على رأس جبل وأصاب فى المناسبة بين ذكر الانملة والقلامة وتشبيهها بالهلال ﴿ فان قيل ﴾ ان هذا الكاتب تأسى فيما ذكره بكلام الله تعالى حيث قال الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح فمثل نوره بطاقة فيها ذبالة وقال الله تعالى والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم فمثل الهلال بأصل عذق النخلة (فالجواب) عن ذلك أنى أقول أما تمثيل نور الله تعالى بمشكاة فيها مصباح فان هذا مثال ضربه للنبي صلى الله عليه وسلم ويدل عليه أنه قال توقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية وإذا نظرت الى هذا الموضع وجدته تشبيها لطيفا عجيبا وذلك أن قلب النبي صلى الله عليه وسلم وما ألقى فيه من النور وما هو عليه من الصفة الشفافة كالزجاجة التى كأنها كوكب لصفائها واضاءتها وأما الشجرة المباركة التى لاشرقية ولاغربية فانها عبارة عن ذات النبي صلى الله عليه وسلم لانه من أرض الحجاز التى لاتميل الى الشرق ولا الى الغرب وأما زيت هذه الزجاجة فانه مضيء من غير أن تمسه نار والمراد بذلك أن فطرته فطرة صافية من الاكدار منيرة من قبل مصافحة الانوار فهذا هو المراد بالتشبيه الذى ورد فى هذه الآية (وأما الآية الأخرى) فانه شبه الهلال فيها بالعرجون القديم وذلك فى هيئة نحوله واستدارته لافى مقداره فان مقدار الهلال عظيم ولا نسبة للعرجون اليه لكنه فى مرأى النظر كالعرجون هيئة لا مقدارا وأما هذا الكاتب فان تشبيهه ليس على هذا النسق لانه شبه صورة الحصن بأنملة فى المقدار لافى الهيئة والشكل وهذا غير حسن ولامناسب وانما ألقاه فيه انه قصد الهلال والقلامة مع ذكر الانملة فأخطأ من جهة وأصاب من جهة لكن خطؤه غطى على صوابه (والقول السديد) فى بلاغة التشبيه هو ما أذكره وهو أن اطلاق من أطلق قوله فى أن من شرط بلاغة التشبيه أن يشبه الاصغر بالاكبر غير سديد فان هذا قول غير حاصل للغرض المقصود لان التشبيه يأتى تارة فى معرض المدح وتارة فى معرض الذم وتارة فى غير معرض مدح ولاذم وانما يأتى قصداً للابانة والايضاح ولا يكون تشبيه أصغر بأكبر كما ذهب اليه من ذهب بل القول الجامع فى ذلك أن يقال ان التشبيه لايعمد اليه إلا لضرب من المبالغة فاما أن يكون مدحا أوذما أو بيانا وإيضاحا ولايخرج عن هذه المعانى الثلاثة وإذا كان الامر كذلك فلابد فيه من تقدير لفظة أفعل فان لم تقدر فيه لفظة أفعل فليس بتشبيه بليغ ألا ترى أنا نقول فى التشبيه المضمر الاداة زيد أسد فقد شبهنا زيدا بأسد الذى هو أشجع منه فان لم يكن المشبه به فى هذا المقام أشجع من زيد الذى هو المشبه والا كان التشبيه ناقصا إذ لا مبالغة فيه (وأما التشبيه المظهر الاداة) فكقوله تعالى وله الجوار المنشآت فى البحر كالاعلام وهذا تشبيه كبير بما هو أكبر منه لان خلق السفن البحرية كبير وخلق الجبال أكبر منه وكذلك إذا شبه شيء حسن بشيء حسن فانه إذا لم يشبه بما هو أحسن منه فليس بوارد على طريق البلاغة وان شبه قبيح بقبيح وهكذا ينبغي أن يكون المشبه به أقبح وإن قصد البيان والايضاح فينبغي أن يكون المشبه به أبين وأوضح فتقدير لفظة

جمع ألفين وكذلك رآه

﴿ باب ما كانت الهمزة فيه لاما وقبلها ياء أو واو ونحو جئت شئت وسؤت فلانا ونؤت ﴾

تكتب ذلك إذا أردت تفعلون تسوؤن وتبوؤن بواوين لانها ثلاث فتحذف واحدة وكذلك أنتم مسوؤن فاذا أردت تفعلون من أساء قلت تسيؤن بياء وواو واحدة لانهما واوان فتحذف واحدة ولو كان الحذف من غير المعتل مثل يفعلون من أخطأ لكتبت يخطؤن و يقرؤن وحذفت الياء كما أخبرتك ولا تحذف الياء من تسيؤن لانك قد حذفت واوا فلو حذفت الياء أيضا لاجحفت بالحرف فاذا قلت للمرأة أنت تسيئين وتجيئين حذفت ياء واحدة واقتصرت على اثنتين وكذلك تبوءين وتسوءين فلانا بياء واحدة تحذف واحدة

﴿ باب التاريخ والعدد ﴾

المؤنث فيما بين الثلاث الى العشر بغير هاء تقول ثلاث ليال الى عشر ليال والمذكر بالهاء تقول ثلاثة أيام الى عشرة أيام وتقول احدى عشرة ليلة واثنتا عشرة ليلة الى تسع عشرة ليلة فتلحق الهاء فى العدد الثانى وتحذفها من الاول وفى المذكر أحد عشر يوما واثنا عشر يوما وثلاثة عشر يوما الى

أفعل

تسعة عشر يوما فتلحق الهاء فى العدد الأول وتحذفها من الثانى فرقا بين المذكر والمؤنث

أفعل لا بد منه فيما يقصد به بلاغة التشبيه والا كان التشبيه ناقصا فاعلم ذلك وقس عليه
﴿ واعلم ﴾ أنه لا يخلو تشبيه الشيئين أحدهما بالآخر من أربعة أقسام أما تشبيه معنى بمعنى
كالذى تقدم ذكره من قولنا زيد كالأسد واما تشبيه صورة بصورة كقوله تعالى وعندهم
قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون واما تشبيه معنى بصورة كقوله تعالى والذين
كفروا أعمالهم كسراب بقيعة وهذا القسم أبلغ الأقسام الأربعة لتمثيله المعانى الموهومة
بالصور المشاهدة واما تشبيه صورة بمعنى كقول أبى تمام

وفتكت بالمال الجزيل وبالعدا * فتك الصبابة بالمحب المغرم

فشبه فتكه بالمال وبالعدا وذلك صورة مرئية بفتك الصبابة وهو فتك معنوى وهذا القسم
ألطف الاقسام الأربعة لأنه نقل صورة إلى غير صورة وكل واحد من هذه الأقسام الأربعة
المشار اليها لا يخلو التشبيه فيه من أربعة أقسام أيضا إما تشبيه مفرد بمفرد واما تشبيه مركب
بمركب واما تشبيه مفرد بمركب واما تشبيه مركب بمفرد والمراد بقولنا مفرد ومركب أن المفرد
يكون تشبيه شىء واحد بشىء واحد والمركب تشبيه شيئين اثنين بشيئين اثنين وكذلك المفرد
بالمركب والمركب بالمفرد فان أحدهما يكون تشبيه شىء واحد بشيئين والآخر يكون تشبيه
شيئين بشىء واحد ولست أعنى بقولى تشبيه شيئين بشيئين أنه لا يكون إلا كذلك بل أردت
تشبيه شيئين بشيئين فما فوقهما كقول بعضهم فى الخمر

وكأنها وكأن حامل كأسها * اذ قام يجلوها على الندماء
شمس الضحى رقصت فنقط وجهها * بدر الدجى بكواكب الجوزاء

فشبه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء فانه شبه الساقى بالبدر وشبه الخمر بالشمس وشبه الحبب الذى
فوقها بالكواكب (واذا بينت) أن التشبيه ينقسم إلى تلك الأقسام الأربعة فانى أقول إن
التشبيه المضمر الاداة قد قدمت القول فى أنه ينقسم إلى خمسة أقسام فالقسم الأول لا يرد الا فى
تشبيه مفرد بمفرد والقسم الثانى لا يرد إلا فى تشبيه مفرد بمركب والقسم الثالث لا يرد إلا فى
تشبيه مركب بمركب والقسم الرابع والخامس لا يردان إلا فى تشبيه مركب بمركب ألا ترى أنا إذا
قلنا فى القسم الأول زيد أسد كان ذلك تشبيه مفرد بمفرد وإذا قلنا فى القسم الثانى ما مثلناه به من
الخبر النبوى وهو الكمأة جدرى الارض كان ذلك تشبيه مفرد بمركب وكذلك بيت البحترى
وبيت أبى تمام المشار اليهما فيما تقدم واذا قلنا فى القسم الثالث ما أشرنا اليه من الخبر النبوى
أيضا الذى هو وهل يكب الناس على مناخرهم فى نار جهنم الا حصائد ألسنتهم كان ذلك تشبيه
مركب بمركب واذا قلنا فى القسم الرابع والخامس ما مثلنا به من بيتى الفرزدق والبحترى كان
ذلك تشبيه مركب بمركب واذا كان الامر كذلك وجاءك شىء من التشبيه المضمر الاداة وهو من
القسم الاول فاعلم أنه تشبيه مفرد بمفرد واذا جاءك شىء من القسم الثانى فاعلم أنه تشبيه مفرد
بمركب واذا جاءك شىء من القسم الثالث فاعلم أنه تشبيه مركب بمركب وكذلك إذا جاءك شىء من
القسم الرابع والقسم الخامس فانهما من باب تشبيه المركب بالمركب ولنرجع إلى ذكر ما أشرنا
اليه أولا فى تقسيم التشبيه إلى الاربعة الاقسام الاخرى التى هى تشبيه مفرد بمفرد وتشبيه
مركب بمركب وتشبيه مفرد بمركب وتشبيه مركب بمفرد (فالقسم الاول منها) كقوله تعالى فى
المضمر الاداة وجعلنا الليل لباسا فشبه الليل باللباس وذلك أنه يستر الناس بعضهم عن بعض لمن
أراد هربا من عدو أو ثباتا لعدو أو اخفاء ما لا يحب الاطلاع عليه من أمره وهذا من التشبيهات
التى لم يأت بها الا القرآن الكريم فان تشبيه الليل باللباس مما اختص به دون غيره من الكلام

واعلم أن ما جاوز العشرة
من العدد إلى تسعة عشرة
اسمان جعلا اسما واحدا
فهما منصوبان أبدا فى حال
الرفع والنصب والخفض
فى المذكر والمؤنث الا
اثنى عشر واثنتى عشرة
فان نصب أول العددين
وخفضه بالياء ورفعه
بالألف والثانى منصوب
على كل حال. واحدى فى
التأنيث ساكنة فى الوجوه.
ويقال عشرة وعشرة
للمؤنث والمذكر عشر لا
غير وكله منصوب فاذا
أرادوا التاريخ قالوا للعشر
وما دونها خلون وبقين
فقالوا لتسع ليال بقين
وثمانى ليال خلون لأنهم
بينوه بجمع وقالوا لما فوق
العشرة خلت وبقيت لانهم
بينوه بواحد فقالوا لاحدى
عشرة ليلة خلت وثلاث
عشرة ليلة بقيت وانما
أرخت بالليالى دون الايام
لان الليلة أول الشهر فلو
أرخت باليوم دون الليلة
لذهبت من الشهر ليلة وقولهم
هذه مائة درهم وألف
درهم وثلاثة آلاف درهم
ومائة ألف درهم هذا كله
نكرة مضاف فتكتب قد
بعث اليك بثلاثة آلاف
درهم صحاح ومائة ألف
درهم مكسرة فاذا أردت
أن تعرف ذلك قلت مائة
الدرهم وألف الرجل وكذلك ما دون العشرة تقول عشرة الدراهم وثلاثة الاثواب لان المضاف انما يعرف بما

المنثور والمنظوم وكذلك قوله تعالى هن لباس لكم وأنتم لباس لهن فشبه المرأة باللباس للرجل وشبه الرجل باللباس للمرأة (ومن محاسن التشبيهات) قوله تعالى نساؤكم حرث لكم وهذا يكاد ينقله تناسبه عن درجة المجاز إلى الحقيقة والحرث هو الأرض التي تحرث للزرع وكذلك الرحم يزدرع فيه الولد ازدراعا كما يزدرع البذر في الارض (ومن هذا الأسلوب) قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فشبه تبرأ الليل من النهار بانسلاخ الجلد عن الجسم المسلوخ وذلك أنه لما كانت هوادي الصبح عند طلوعه ملتحمة بأعجاز الليل أجرى عليهما اسم السلخ وكان ذلك أولى من أن لو قيل يخرج لأن السلخ أدل على الالتحام من الاخراج وهذا تشبيه في غاية المناسبة (وكذلك) ورد قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا فشبه انتشار الشيب باشتعال النار ولما كان الشيب يأخذ في الرأس ويسعى فيه شيئا فشيئا حتى يحيله إلى غير لونه الأول بمنزلة النار التي تشتعل في الجسم وتسري فيه حتى تحيله إلى غير حاله الأولى وأحسن من هذا أن يقال إنه شبه انتشار الشيب باشتعال النار في سرعة التهابه وتعذر تلافيه وفي عظم الألم في القلب به وانه لم يبق بعده الا الخمود فهذه أوصاف أربعة جامعة بين المشبه والمشبه به وذلك في الغاية القصوى من التناسب والتلاؤم (وقد ورد في الأمثال) الليل جنة الهارب وهذا تشبيه حسن وكل ذلك من التشبيه المضمر الاداة ومما ورد منه شعرا قول أبي الطيب المتنبي

واذا اهتز للندى كان بحرا * واذا اهتز للوغى كان نصلا
واذا الأرض أظلمت كان شمسا * واذا الأرض أمحلت كان وبلا

فحرف التشبيه ههنا مضمر وتقديره كان كأنه بحر وكان كأنه نصل وكذلك يقال في البيت الثاني كان كأنه شمس وكان كأنه وبل وهذا تشبيه صورة بصورة وهو حسن في معناه وكذلك ورد قول أبي نواس وهو في تشبيه الحبب

فاذا ما اعترضته العين من حيث استدارا * خلته في جنبات الكأس واوات صغارا

وهذا تشبيه صورة بصورة أيضا وقد أبرز هذا المعنى في لباس آخر فقال

واذا علاها الماء ألبسها * حببا شبيه جلاجل الحجل
حتى إذا سكنت جوامحها * كتبت بمثل أكارع النمل

ومن هذا قول البحتري

تبسم وقطوب في ندى ووغى * كالرعد والبرق تحت العارض البرد

وهذا من أحسن التشبيه وأقربه إلا أن فيه اخلالا من جهة الصنعة وهي ترتيب التفسير فان الأولى ان كان قدم تفسير التبسم على تفسير القطوب بأن كان قال كالبرق والرعد فانظر أيها المتسمي إلى الفن كيف ذهب على البحتري مثل هذا الموضع على قربه مع تقدمه في صناعة الشعر وليس في ذلك كبير أمر سوى ان كان قدم الآخر لا غير وانما يعذر الشاعر في مثل هذا المقام اذا حكم عليه الوزن والقافية واضطر إلى ترك ما يجب عليه وأما اذا كانت الحال كالتي ذكرها البحتري فحينئذ لا عذر له وسيأتي لذلك باب مفرد في موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وهو باب ترتيب التفسير وكذلك ورد قول البحتري

في معرك ضنك تخال به القنا * بين الضلوع إذا انحنين ضلوعا

ومن تشبيه المفرد بالمفرد قول أبي الطيب المتنبي

خرجن من النقع في عارض * ومن عرق الركض في وابل
فلما نشفن لقين السياط * بمثل صفا البلد الماحل

عشرون الدرهم لأن العشرين ليست مضافة إلى الدرهم فيكون تعريفك للدرهم تعريفك للعشرين وقد يقول بعضهم الثلاثة عشر الدرهم والعشرون الدرهم لما أدخلوا الألف واللام على الأول أدخلوهما على الآخر وذلك رديء والجيد أن تقول مافعلت العشرون درهما والثماني عشرة جارية وكذلك ما بين أحد عشر إلى تسعة عشر والى تسعة وتسعين تدخل في الأول الألف واللام فأما في العشرة وما دونها والمائة وما فوقها فادخال الالف واللام في الاول خطأ في القياس على أن أبا زيد قال من العرب من يقول المائة الدرهم والالف الدرهم والخمسي المائة درهم والخمسة العشر الدرهم وهو رديء في القياس وليس بلغة قوم فصحاء وتقول على ما رسمت لك مافعلت ثلاثة الاثواب وأربعة الأردية وعشرة الدراهم ولا يجوز العشرة أثواب والأربعة درهم ويجوز أن تقول مافعلت تلك التسعة الدراهم والعشر النسوة اذا ذهبت الاضافة وجعلت الدراهم والنسوة وصفا للتسعة والعشر فاذا جاوزت العشرة قلت مافعلت الثلاثة عشر ثوبا والاحد عشر رجلا ومافعلت التسع عشرة

وقد حوى هذان البيتان قرب التشبيه مع براعة النظم وجزالة اللفظ

(وأما القسم الثانى) وهو تشبيه المركب بالمركب فمما جاء منه مضمر الاداة ما يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث يرويه معاذ بن جبل رضى الله عنه وهو حديث طويل يشتمل على فضائل أعمال متعددة ولا حاجة إلى إيراده ههنا على نصه بل نذكر الغرض منه وهو أنه قال له رسول الله ﷺ أمسك عليك هذا وأشار إلى لسانه فقال معاذ أونحن مؤاخذون بما نتكلم فقال ثكلتك أمك يامعاذ وهل يكب الناس على مناخرهم فى نار جهنم إلا حصائد ألسنتهم فقوله حصائد ألسنتهم من تشبيه المركب بالمركب فانه شبه الالسنة وما تمضى فيه من الاحاديث التى يؤاخذ بها بالمناجل التى تحصد النبات من الارض وهذا تشبيه بليغ عجيب لم يسمع إلا من النبى ﷺ (ومما ورد منه) شعرا قول أبى تمام

معشر أصبحوا حصون المعالى * ودروع الاحساب والاعراض

فقوله حصون المعالى من التشبيه المركب وذلك أنه شبههم فى منعهم المعالى أن ينالها أحد سواهم بالحصون فى منعها من بها وحمايته وكذلك قوله دروع الاحساب (وأما المظهر الاداة) فمما جاء منه قوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والانعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أونهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس فشبهت حال الدنيا فى سرعة زوالها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الأرض فى جفافه وذهابه حطاما بعدما التف وتكاثف وزين الأرض وذاك تشبيه صورة بصورة وهو من أبدع ما يجىء فى بابه (ومن ذلك أيضا) قوله تعالى فى وصف حال المنافقين مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لايبصرون تقديره ان مثل هؤلاء المنافقين كمثل رجل أوقد نارا فى ليلة مظلمة بمفازة فاستضاء بها ما حوله فاتقى ما يخاف وأمن فبينا هو كذلك إذ طفئت ناره فبقى مظلما خائفا وكذلك المنافق إذا أظهر كلمة الايمان استنار بها واعتز بعزها وأمن على نفسه وماله وولده فاذا مات عاد إلى الخوف وبقى فى العذاب والنقمة (ومما ورد منه فى الأخبار النبوية) قول النبى صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الاترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن الذى لايقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب ولا طعم لها ومثل المنافق الذى لايقرأ القرآن كمثل الحنظلة لا ريح لها وطعمها مر وهذا من باب تشبيه المركب بالمركب ألا ترى أن النبى ﷺ شبه المؤمن القارىء وهو متصف بصفتين هما الايمان والقراءة بالأترجة وهى ذات وصفين هما الطعم والريح وكذلك يجرى الحكم فى المؤمن غير القارىء وفى المنافق القارىء والمنافق غير القارىء (وقد جاء لى شىء من ذلك) أوردته فى فصل من كتاب أصف فيه البر والمسير فقلت ولم أزل أصل الزميل بالزميل وألف الضحى بالاصيل والأرض كالبحر فى سعة صدره والمطايا كالجوارى راكدة على ظهره فمكان الركب منها كمكانهم من الاكوار ومسيرهم فيها على كرة لاتستقر بها حركة الادوار (وأما ما ورد من ذلك شعرا) فكقول البحترى

خلق منهمو تردد فيهم * وليته عصابة عن عصابه

كالحسام الجراز يبقى على الدهـ ـر ويفنى فى كل حين قرابه

وكذلك ورد قول ابن الرومى

ادرك ثقاتك أنهم وقعوا * فى نرجس معه ابنة العنب

الخمس والثلاثون امرأة فاذا بلغت مائة رجعت إلى الاضافة فقلت ما فعلت مائة الدرهم ومائتا الدرهم وخمسمائة الدرهم إلى الألف فاذا بلغت الالف قلت ما فعل ألف الدرهم وثلاثة آلاف الدرهم ولا يجوز أن تقول مافعلت المائة الدرهم والألف الدرهم على أن تجعل الدرهم وصفا للمائة والالف كما فعلت ذلك فى قولك مافعلت التسعة الدراهم لأن الدرهم لا يكون مائة كما تكون الدراهم تسعة واذا أردت أن تعرف عددا تكثر ألفاظه نحو ثلثمائة ألف درهم وخمسمائة ألف درهم ألحقت الالف واللام فى آخر لفظ منها فقلت ما فعلت ثلاثمائة ألف الدرهم وخمسمائة ألف الدرهم هذا مذهب البصريين لايجيزون غيره والبغداديون يجيزون ما فعلت الثلاث المائة الألف الدرهم

﴿باب ما يجرى عليه العدد فى تذكيره وتأنيثه﴾

العدد يجرى فى تذكيره وتأنيثه على اللفظ لا على المعنى تقول لفلان ثلاث بطات ذكور وثلاث حمامات ذكور ورأيت ثلاث حيات ذكورا وكتبت لفلان ثلاث سجلات فتؤنث على اللفظ والواحد سجل مذكر ومررت على ثلاث حمامات فتؤنث والواحد حمام.

فهمو بحال لو بصرت بها * سبحت من عجب ومن عجب
ريحانهم ذهب على درر * وشرابهم درر على ذهب

وهذا تشبيه صنيع إلا أن تشبيه البحترى أصنع وذلك أن هذا التشبيه صدر عن صورة مشاهدة وذاك انما استنبطه استنباطا من خاطره و إذا شئت أن تفرق بين صناعة التشبيه فانظر إلى ما أشرت اليه ههنا فان كان أحد الشبيهين عن صورة مشاهدة والآخر عن صورة غير مشاهدة فاعلم أن الذى هو عن صورة غير مشاهدة أصنع ولعمرى أن التشبيهين كليهما لابد فيهما من صورة تحكي لكن أحدهما شوهدت الصورة فيه فحكيت والآخر استنبطت له صورة لم تشاهد فى تلك الحال وانما الفكر استنبطها ألا ترى أن ابن الرومى نظر الى النرجس والى الخمر فشبه وأما البحترى فانه مدح قوما بأن خلاق السماح باق فيهم ينتقل عن الأول إلى الآخر ثم استنبط لذلك تشبيها فأداه فكره إلى السيف وقربه التى تفنى فى كل حين وهو باق لا يفنى بفنائها ومن أجل ذلك كان البحترى أصنع فى تشبيهه (وسأورد ههنا فى كلامى نبذة يسيرة فمن ذلك) ما كتبته من جملة كتاب إلى ديوان الخلافة أذكر فيه نزول العدو الكافر على ثغر عكا فى سنة خمس وثمانين وخمسمائة فقلت وأحاط بها العدو إحاطة الشفاه بالثغور ونزل عليها نزول الظلماء على النور وهذا من التشبيهات المناسبة ثم لما جئت إلى ذكر قتال المسلمين إياه وازالته عن جانب الثغر قلت وقد اصطدم من الاسلام والكفر ابناشمام والتقى من عجاجتهما ظلام وعند ذلك أخذ العدو فى التحيز إلى جانب وكان كحاجب على عين فصار كعين فى حاجب واذ تزعزع البناء فقد هوى واذا قبض من طرف البساط فقد انطوى وهذا التشبيه فى مناسبته كالأول بل أحسن (ومن ذلك) ما ذكرته فى فصل من كتاب إلى بعض الاخوان فقلت وما شبهت كتابه فى وروده وانقباضه الا بنظر الحبيب فى اقباله واعراضه وكلا الأمرين كالسهم فى ألم موقعه وألم نزعه والمشوق من استوت صبابته فى حالتى وصله وقطعه وما أزال على وجل من ارسال كتبه واحامها واشتباه لمسها بالمامها (ومما جاء من هذا القسم) فى الشعر قول بكر بن النطاح

تراهم ينظرون إلى المعالى * كما نظرت إلى الشيب الملاح
يحدون العيون إلى شذرا * كأنى فى عيونهم السماح

وهذا بديع فى حسنه بليغ فى تشبيهه (وعلى هذا النهج) ورد قول أبى تمام

خلط الشجاعة بالحياء فأصبحا * كالحسن شيب لمغرم بدلال

وهذا من غريب ما يأتى فى هذا الباب وقد تغالت شيعة أبى تمام فى وصف هذا البيت وهو لعمرى كذلك ومن هذا القسم أيضا قوله

كم نعمة لله كانت عنده * فكأنها فى غربة واسار
كسيت سبائب لومه فتضاءلت * كتضاؤل الحسناء فى الاطمار

(وكذلك قوله)

صدفت عنه ولم تصدف مواهبه * عنى وعاوده ظنى فلم يخب
كالغيث ان جئته وافاك ريقه * وإن ترحلت عنه لج فى الطلب

وعلى هذا الاسلوب ورد قول على بن جبلة

اذا ما تردى لأمة الحرب أرعدت * حشا الارض واستدمى الرماح السوارع
واسفر تحت النقع حتى كأنه * صباح مشى فى ظلمة الليل طالع

وقد أحسن على بن جبلة فى تشبيهه هذا كل الاحسان وكثله فى الحسن قوله أيضا فى تشبيهه

لفظان مؤنثان موضوعان للجميع لا واحد لشىء منها من لفظه وهما يقعان على الذكور وعلى الاناث وعليهما جميعا وتقول له ثلاثة ذكور من الابل لما فرقت بين ثلاثة و بين الابل ذكرت وتقول سار فلان خمس عشرة من بين يوم وليلة العدد يقع على الليالى والعلم محيط بأن الايام قد دخلت معها قال الجعدى يصف بقرة

فطافت ثلاثا بين يوم وليلة * وكان النكير ان تضيف وتجارا

يريد ثلاثة أيام وثلاث ليال ولا يغلب المؤنث على المذكر إلا فى الليالى خاصة وتقول سرنا عشرا فيعلم أن مع كل ليلة يوما

﴿ باب التثنية ﴾

اذا ثنيت مقصورا على ثلاثة أحرف فان كان بالواو ثنيته بالواو نحو قفا قفوان وان كان بالياء نحو مدى مديان وان كان المقصور على أربعة أحرف ثنيته بالياء على كل حال نحو مدرى مدريان ومقلى مقليان وهو من قلوت فأما قولهم مذروان فانهم تركوا الواو لانهم لا يفردون الواحد منه مذرا انما هو لفظ جاء مثنى لا يفرد واحده واذا ثنيت ممدودا غير مؤنث تركت الهمزة على

الحبب فوق الخمر ترى فوقها نمشا للمزاج * تبــاذير لايتصلن اتصــالا
كوجه العروس إذا خططت * على كل ناحية منــه خالا

ومن هذا القسم قول مسلم بن الوليد

تلقى المنيــة فى أمثــال عدتها * كالسيل يقذف جلموداً بجلمود

وعلى هــذا الاسلوب ورد قول العبــاس بن الاحنف

لاجزى الله دمــع عينى خــيرا * وجزى الله كل خير لســانى
نم دمعى فليس يكتم شيئــا * ووجدت اللســان ذا كتمان
كنت مثل الكتاب أخفاه طى * فاسـتدلوا عليه بالعنوان

وهذا من اللطيف البديع (ويروى أن أبا نواس) لما دخل مصر مادحا للخصيب جلس يوما فى رهط من الادباء وتذكروا منازه بغداد فأنشـد مرتجلا

ذكر الكرخ نازح الاوطـان * فصبــا صبوة ولات أوان

ثم أتم ذلك قصيدا مدح به الخصيب فلما عاد إلى بغداد دخل عليه العباس بن الاحنف وقال أنشدنى شيئا من شعرك بمصر فأنشده ذكر الكرخ نازح الاوطان فلما استتم الابيات قال له لقد ظلمك من ناواك وتخلف عنك من جاراك وحرام على أحد يتفوه بقول الشعر بعدك فقال له أبو نواس وأنت أيضا يا أبا الفضل تقول هذا ألست القائل لاجزى الله دمع عينى خيراً وأنشد الابيات ثم قال ومن الذى يحسن أن يقول مثل هذا (ومن تشبيه المركب بالمركب) قول البحترى

جدة يذود البخل عن أطرافها * كالبحر يمنـع ملحه عن مائه

وهــذا من محاسن التشبيهات وكذلك ورد قوله

وتراه فى ظـلم الوغى فتخاله * قمرا يكر على الرجال بكوكب

وفى هذا البيت تشبيه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء فانه شبه العجاج بالظلمة والممدوح بالقمر والسنان بالكوكب وهذا من الحسن النادر وكذلك ورد قوله

يمشون فى زغف كأن متونها * فى كل معركة متون نهــاء
بيض تسيل على الكماة نصولها * سيل السراب بقفرة بيداء
فاذا الاسنة خالطتهــا خلتهــا * فيها خيال كــواكب فى ماء

فالبيتان الاخيران هما اللذان تضمنا تشبيه المركب بالمركب وانما جئنا بالبيت الأول سياقة إلى معناهما وهو من التشبيه الذى أحسن فيه البحترى وأغرب (ومن هذا الباب) ماورد لبعض الشعراء فى وصف الخمر فقال

كانت سراج أناس يهتدون بها * فى سالف الدهر قبل النار والنور
تهتز فى الكأس من ضعف ومن هرم * كأنها قبس فى كــف مقرور

وقــد يندر للناظم أو الناثر شىء من كلامه يبلغ الغاية التى لا أمد فوقها وهذان البيتان من هذا القبيل (ومن أغرب ماسمعته فى هذا الباب) قول الحسين بن مطير يرثى معن بن زائدة

فتى عيش فى معروفه بعد موته * كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

(القسم الثالث) فى تشبيه المفرد بالمركب (فمما ورد) منه قوله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية وكذلك قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف (ومن ذلك) ماذكرته فى فصل من كتاب يتضمن استنجادا

حالها فتقول كسا آن وردآن فاما قولهم عقله بثنايين بياء غير مهموزة فان هذا أيضا لفظ جاء مثنى لا يفرد واحده فيقال ثناء فتركوا الياء فى وسط الكلمة على الاصل على حسب مافعلوا فى مذروين ولو قيل ثناء فأفرد لقيل فى التثنية ثنائين وأصل الهمزة فى ثناء لو قيل مفردا ياء لانه فعال من ثنيت واذا ثنيت ممدودا مؤنثا قلبت الهمزة واوا فقلت حمراوان وثلاثاوان وأربعاوان وعشراوان واذا جمعت مقصورا بالواو والنون حذفت الالف فيبقى ماقبل الواو والياء مفتوحا نحو قولك مصطفون ومثنون ومعلون ومعطون وكذلك النصب مصطفين ومعطين

﴿باب تثنية المبهم وجمعه﴾

يقولون فى تثنية ذا ذان وفى تثنية تا وذه أو ذى تان وفى تثنية الذى والتى اللذان واللتان فتحذف الياء واذا ثنيت ذات قلت فى الرفع ذواتا قال الله عز وجل ذواتا أفنان وفى النصب والخفض ذواتى قال الله جل ثناؤه ذواتى أكل خمط وفى الجمع ذوات ومن قال ذلك قال فى الجمع ألاك ومن ذلك قال فى الجمع أولئك أولو واحدها ذو وهى وذوو سواء والالى فى معنى الذين واحدها الذى

﴿باب مايستعمل كثيرا من النسب فى الكتب واللفظ﴾

كل مقصور على ثلاثة أحرف نسبت اليه فانك تقلب ألفه واوا نحو قفا وعصا وندا تقول قفوى وعصوى

فقلت وهو اذا استصرخ اصرخ بعزم كالشهاب فى رجمه وهم كالقوس الممتلىء بنزع سهمه ويرى أن صريخه لم يجب وأنه إذا لم يجبه بالسيف فكأنه لم يجب فهو مغرى جواده وحسامه ومسمع العدو صرير رمحه قبل قعقعة لجامه (وكذلك) أيضا ماكتبته فى كتاب إلى بعض الاخوان أذم الفراق فقلت والفراق شيء لا كالاشياء وصاحبه ميت لا كالاموات وحى لا كالاحياء وما أراه الا كنار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة وما يجعل صاحبها فى ضحضاح منها الا تواتر الكتب التى تقيه بعض الوقاء وتقوم له وان لم يسق مقام الاسقاء (وأما ماورد منه فى الشعر) فكقول أبى نواس

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو فى ثياب صديق

وكذلك قول أبى تمام يصف قيدا له

خذها مثقفة القوافى ربها * لسوابغ النعمان غير كنود

كالدر والمرجان ألف نظمه * بالشذر فى عنق الفتاة الرود

وكذلك ورد قول البحترى وهو من جملة قصيدته المشهورة التى وصف فيها الفرس والسيف وأولها * أهلا بذلكم الخيال المقبل * فقال فيها من أبيات تضمنت وصف السيف بيتا أجاد فى تشبيهه

وكأنما سود النمال وحمرها * دبت بأيد فى قواه وأرجل

فشبه فرند السيف بدبيب النمل سودها وحمرها وذلك من التشبيه الحسن (وأما ماورد منه مضمر الاداة) فكقول النبي صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن العزل فقال هو الوأد الخفى وهذا تشبيه بليغ والوأد هو ما كانت العرب تفعله فى دفن البنات أحياء فجعل العزل فى الجماع كالوأد الا أنه خفى وذاك أنهم كانوا يفعلون بالبنات ذلك هربا منهن وهكذا من يعزل فى الجماع فانما يفعل ذلك هربا من الولد (وكذلك) قال النبي صلى الله عليه وسلم هو الوأدة الصغرى وهذا من الحسن إلى غاية تغض لها العيون طرفها ولا ينتهى الوصف اليها فيكون ترك وصفها كوصفها (ومما جاءنى من ذلك) فصل من جملة كتاب ضمنته وصف القلم فقلت جدع أنفه فصار فى الكيد قصيرا وأرهف صدره فصار فى المضاء عضبا شهيرا وقص لباس السواد وهو شعار الخطباء فنطق بفصل الخطاب ونكس رأسه وهى صورة الاذلال فاختال فى مشيه من الاعجاب وأوحى اليه بنجوى الخواطر وهو الاصم فافضى بما سمعه إلى الكتاب وهذه الاوصاف غريبة جدا ومن أغربها ذكر قصير عند جدع الانف (وأما القسم الرابع) وهو تشبيه المركب بالمفرد فانه قليل الاستعمال بالنسبة الى الاقسام الثلاثة وليس ذلك الا لعدم النظير بين المشبه والمشبه به وعلى كثرة ماحفظته من الاشعار لم أجد ما أمثل به هذا القسم الا مثالا واحدا وهو قول أبى تمام فى وصف الربيع

ياصاحبي تقصيا نظريكما * تريا وجوه الأرض كيف تصور

تريا نهارا مشمسا قد شابه * زهر الربا فكأنما هو مقمر

فشبه النهار المشمس مع الزهر الابيض بضوء القمر وهو تشبيه حسن واقع فى موقعه مع مافيه من لطف الصنعة (ولربما اعترض فى هذا الموضع معترض) وقال انك أوردت هذا القسم من التشبيه وذكرت أنه قليل وليس كذلك فان تشبيه شيئين بشيء واحد كثير كقول أبى الطيب المتنبى

تشرق أعراضهم وأوجههم * كأنها فى نفوسهم شيم

فشبه اشراق الاعراض والوجوه باشراق الشيم (الجواب عن ذلك) انى أقول هذا البيت المعترض به على ماذكرته ليس كالذى ذكرته فانى أردت أن يشبه شيآن هما كشيء واحد فى

ونذوى وكل ممدود ينسب اليه مثل كساء ورداء فانك تقول فيه كسائى وردائى و ينسب الى السماء سمائى فاذا كان الممدود على فعلاء مثل حمراء قلت صفراوى وحمراوى وكذلك كل ممدود لا ينصرف نحو زكريا تقول زكرياوى وأربعاوى وثلاثاوى و ينسب الى فعلى مثل بشرى وحبلى و بشروى وحبلوى واذا كان المقصور على أربعة أحرف وألفه لغير التأنيث فأكثرهم يقلبها واوا فيقول فى مرمى مرموى وأحوى احووى ومنهم من يحذف فيقول مرمى وأحوى فاذا جاوز المقصور أربعة أحرف فكل العرب يحذف الالف فتقول فى جمادى جمادى وحبارى حبارى و إذا نسبت الى مثل على وعدى و بلى حذفت الياء فقلت علوى وعدوى و بلوى وكذلك قصي وأمية تقول قصوى وأموى الا ماشذوا واذا نسبت الى اثنين فهو بمنزلة الواحد فتنسب الى رامتين رامى والى قنوين قنوى الا ثلاثة أحرف نسبوا الى البحرين بحرانى والى حصنين حصنانى والى النهرين نهرانى للفرق بين النسب الى البحر والبحرين والحصن والحصنين والنهر والنهرين واذا نسبت إلى الجمع إذا لم تسم به رددته الى واحده تنسب الى المساجد مسجدى والى العرفاء عريفى والى القلانس قلنسى فان سميت به لم ترده تنسب الاشتراك

الاشتراك بشيء واحد ألا ترى أن نور الشمس مع بياض الزهر وهما شيآن مشتركان قد شبها بضوء القمر وأما هذا البيت الذى لأبى الطيب المتنبى فانه تشبيه شيئين كل واحد منهما مفرد برأسه بشيء واحد لانه شبه اشراق الاعرض واشراق الوجوه باشراق الشيم وهذا غير ما أردته أنا لكن ينبغى أن تعلم أن تشبيه المركب بالمفرد ينقسم قسمين أحدهما تشبيه شيئين مشتركين بشيء واحد كالذى أوردته لأبى تمام وهو قليل الاستعمال والآخر تشبيه شيئين منفردين بشيء واحد كالذى ذكرته أنت لأبى الطيب المتنبى وهو كثير الاستعمال (و إذا ذكرنا أقسام التشبيه) و بينا المحمود منها الذى ينبغى اقتفاء أثره واتباع مذهبه فلنتبعه بضده مما ينبغى اجتنابه والاضراب عنه على أنه قد قدمنا القول بأن حد التشبيه هو أن يثبت للمشبه حكم من أحكام المشبه به فاذا لم يكن بهذه الصفة أو كان بين المشبه والمشبه به بعد فذلك الذى يطرح ولا يستعمل والذى يرد منه مضمر الاداة لا يكون الا فى القسم الواحد من أقسام المجازى وهو التوسع وقد قدمت القول فى ذلك فى أول باب الاستعارة وضربت له أمثلة منها قول أبى نواس

مالرجل المال أمست * تشتكى منك الكلالا

فجعل للمال رجلا وذلك تشبيه بعيد ولا حاجة الى إعادة ذلك الكلام ههنا بجملته لكن قد أشرت اليه اشارة خفيفة (ومن أقبح ما سمعته من ذلك) قول أبى تمام

وتقاسم الناس السخاء مجزأ * وذهبت أنت برأسه وسنامه

وتركت للناس الاهاب وما بقى * من فرثه وعروقه وعظامه

والقبيح الفاحش فى البيت الثانى وكل هذا التعسف فى التشبيه البعيد دندنة حول معنى ليس بطائل فان غرضه أن يقول ذهب بالاعلى وترك للناس الادنى أو ذهبت بالجيد وتركت للناس الرديء وقد عيب عليه قوله

لا تسقنى ماء الملام فاننى * صب قد استعذبت ماء بكائى

وقيل إنه جعل للملام ماء وذلك تشبيه بعيد وما بهذا التشبيه عندي من بأس بل هو من التشبيهات المتوسطة التى لا تحمد ولا تذم وهو قريب من وجه بعيد من وجه أما سبب قربه فهو أن الملام هو القول الذى يعنف به الملوم لأمر جناه وذلك مختص بالسمع فنقله أبو تمام الى السقيا التى هى مختصة بالحلق كأنه قال لا تذقنى الملام ولو تهيأ له ذلك مع وزن الشعر لكان تشبيها حسنا لكنه جاء بذكر الماء فحط من درجته شيئا ولما كان السمع يتجرع الملام أولا أولا كتجرع الحلق الماء صار كأنه شبيه به وهو تشبيه معنى بصورة وأما سبب بعد هذا التشبيه فهو أن الماء مستلذ والملام مستكره فحصل بينهما مخالفة من هذا الوجه فهذا التشبيه ان بعد من وجه فقد قرب من وجه فيغفر هذا لهذا ولذلك جعلته من التشبيهات المتوسطة التى لا تحمد ولا تذم (وقد روى) وهو رواية ضعيفة ان بعض أهل المجانة أرسل إلى أبى تمام قارورة وقال ابعث فى هذه شيئا من ماء الملام فأرسل اليه أبو تمام وقال إذا بعثت الى ريشة من جناح الذل بعثت اليك شيئا من ماء الملام وما كان أبو تمام ليذهب عليه الفرق بين هذين التشبيهين فانه ليس جعل الجناح للذل كجعل الماء للملام فان الجناح للذل مناسب وذلك أن الطائر اذا وهن أو تعب بسط جناحه وخفضه وألقى نفسه على الارض والانسان أيضا جناح فان يديه جناحاه وإذا خضع واستكان طأطأ من رأسه وخفض من يديه فحسن عند ذلك جعل الجناح للذل وصار تشبيها مناسبا وأما الماء للملام فليس كذلك فى مناسبة التشبيه (وأما التشبيه المضمر الاداة) من هذا الباب فقط أوردت له أمثلة يستدل بها على أشباهه وأمثاله فان لذكر

على كلاب كلابى والى أنمار أنمارى وتنسب العرب الى ما فى الجسد من الاعضاء فيخالفون النسب الى الاب والبلد يقولون للعظيم الرأس رؤاسى وللعظيم الشفة شفاهى واياري و يقولون جمالى ورقبانى وشعرانى و ينسب الى الربيع ربعى والى الخريف خرفى بفتح الراء وقالوا أيضا خرفى بتسكين الراء والى صنعاء و بهراء صنعانى و بهرانى والقياس أن تكون بالواو وتنسب الى اليمن يمان والى الشام وتهامة شآم وتهام وإذا نسبت الى اسم مصغر كانت فيه الهاء أو لم تكن وكان مشهورا ألقيت الياء منه تقول فى جهينة ومزينة جهنى ومزنى وفى قريش قرشى وهذيل هذلى وسليم سلمى هذا هو القياس الا ما أشذوا وكذلك اذا نسبت الى فعيل أو فعيلة من أسماء القبائل والبلدان وكان مشهورا ألقيت منه الياء مثل ربيعة و بجيلة تقول ربعى وبجلى وحنيفة حنفي وثقيف ثقفى وعتيك عتكى وان لم يكن الاسم مشهوراً لم تحذف الياء فى الاول ولا الثانى وتنسب الى مثل عم وشج عموى وشجوى والى اسم وابن وامرىء واست سموى وستهى ومراى والى اثنين ثنوي والى أخت وبنت أخوي و بنوي ويقال أيضا أختي و بنتي والى سنة سنوي وان نسبت الى اسم قبل آخره ياء ثقيلة خففتها فتقول فى

المثال فائدة لا تكون لذكرا لحدوحده فمن ذلك قول بعضهم

ملاحاجبيك الشيب حتى كأنه * ظباء جرت منها سنيح و بارح

وكذلك قول الآخر يصف السهام

كساها رطيب الريش فاعتدلت له * قداح كأعناق الظباء الفوارق

فانه شبه السهام بأعناق الظباء وذلك من أبعد التشبيهات وعلى نحومنه قول الفرزدق

يمشون فى حلق الحديد كما مشت * جرب الجمال بها الكحيل المشعل

فشبه الرجال فى دروع الزرد بالجمال الجرب وهذا من التشبيه البعيد لانه ان أراد السواد فلا مقاربة بينهما فى اللون لان لون الحديد أبيض ومن أجل ذلك سميت السيوف بالبيض ومع كون هذا التشبيه بعيدا فانه تشبيه سخيف (ومن التشبيهات الباردة) قول أبى الطيب المتنبى

وجرى على الورق النجيع القانى * فكأنه النارنج فى الاغصان

وهذا تشبيه ينكره أهل التجسيم واذا قسمت التشبيهات بعد البعد والبرد حازا طرفى ذلك التقسيم وأبشع من هذا قول أبى نواس فى الخمر

كان بواسار روا كدحولها * وزرق سنانير تدير عيونها

(والعجب) أنه يقول مثل هذا الغث الذى لا ملاءمة بينه و بين ماشبه به و يقرنه بالبديع البارد الذى أحسن فيه وأبدع وهو

كأنا حلول بين أكناف روضة * اذا ما سلبناها مع الليل طينها

فانظر كيف قرن بين ورده وسعدانه لا بل بين بعره ومرجانه وقد أكثر فى تشبيه الخمر فأحسن فى موضع وأساء فى موضع ومن اساءته قوله أيضا فى أبيات لامية

و إذا ما الماء واقعها * أظهرت شكلا من الغزل

لؤلؤات ينحدرن بها * كانحدار الذر من جبل

فشبه الحبب فى انحداره بنمل صغار ينحدر من جبل وهذا من البعد على غاية لا يحتاج الى بيان وإيضاح (واعلم) أن من التشبيه ضربا يسمى الطرد والعكس وهو أن يجعل المشبه به مشبها والمشبه مشبها به و بعضهم يسميه غلبة الفروع على الاصول ولا تجد شيئا من ذلك الا والغرض به المبالغة (فما جاء من ذلك) قول ذى الرمة

ورمل كأرداف العذارى قطعته * إذا ألبسته المظلمات الحنادس

ألا ترى الى ذى الرمة كيف جعل الاصل فرعا والفرع أصلا وذلك أن العادة والعرف فى هذا أن تشبه اعجاز النساء بكثبان الانقاء وهو مطرد فى بابه فعكس ذو الرمة القصة فى ذلك فشبه كثبان الانقاء باعجاز النساء وانما فعل ذلك مبالغة أى قد ثبت هذا الموضع وهذا المعنى لاعجاز النساء وصار كأنه الأصل حتى شبهت به كثبان الانقاء وعلى نحو من هذا جاء قول البحترى

فى طلعة البدر شىء من محاسنها * وللقضيب نصيب من تثنيها

وكذلك ورد قول عبد الله بن المعتز فى قصيدته المشهورة التى أولها

سقى المطيرة ذات الطل والشجر * فقال فى تشبيه الهلال

ولاح ضوء قمير كاد يفضحنا * مثل القلامة قد قدت من الظفر

ولما شاع ذلك فى كلام العرب واتسع صار كأنه هو الاصل وهو موضع من علم البيان حسن الموقع لطيف المأخذ وهذا قد ذكره أبو الفتح بن جنى فى كتاب الخصائص وأورده هكذا مهملا (ولما نظرت أنا فى ذلك) وأنعمت نظرى فيه تبين لى ما أذكره وهو أنه قد تقرر فى أصل الفائدة

الا ان تكون فى آخره ألف التأنيث مقصورة كانت أو ممدودة نحو صفراء وحمراء وحبلى و بشرى وحبارى فان ذلك لا ينصرف فى معرفة ولا نكرة وما كان منها اسما على ثلاثة أحرف وأوسطه ساكن فمنهم من يصرفه ومنهم من لا يصرفه قال الشاعر

لم تتلفع بفضل مئزرها * دعد ولم تغذ دعد فى العلب

فصرف ولم يصرف والأسماء الاعجمية لا تنصرف فى المعرفة وتنصرف فى النكرة وما كان منها على ثلاثة أحرف أوسطه ساكن نحو نوح ولوط فانه ينصرف فى كل حال وترك بعضهم صرفه كما فعل بما كان فى وزنه من أسماء المؤنث وأسماء الارضين لا تنصرف فى المعروفة وتنصرف فى النكرة الا ما كان منها اسما مذكرا سمى به المكان فانهم يصرفونه نحو واسط وما كان منها على ثلاثة أحرف أوسطه ساكن فان شئت صرفته وان شئت لم تصرفه قال الله عز وجل ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين وقال تعالى اهبطوا مصرا وأسماء القبائل لا تنصرف تقول هذه تميم بنت مر وقيس بنت عيلان فى المعرفة فاذا قلت بنو تميم وبنو

المستنتجة

المستنتجة من التشبيه أن يشبه الشيء بما يطلق عليه لفظة أفعل أي يشبه بما هو أبين وأوضح أو بما هو أحسن منه أو أقبح وكذلك يشبه الأقل بالأكثر والادنى بالأعلى وهذا الموضع لاينقض هذه القاعدة لان الذي قدمنا ذكره مطرد في بابه وعليه مدار الاستعمال وهذا غير مطرد وانما يحسن في عكس المعنى المتعارف وذلك أن تجعل المشبه به مشبها والمشبه مشبها به ولايحسن في غير ذلك مما ليس بمتعارف ألا ترى أن من العادة والعرف أن تشبه الاعجاز بالكثبان فلما عكس ذوالرمة هذه القضية في شعره جاء حسنا لائقا وكذلك فعل البحتري فان من العادة والعرف أن يشبه الوجه الحسن بالبدر والقد الحسن بالقضيب فلما عكس البحتري القضية في ذلك جاء أيضا حسنا لائقا ولو شبه ذوالرمة الكثبان بما هو أصغر منها غير الاعجاز لما حسن ذلك وهكذا لو شبه البحتري طلعة البدر بغير طلعة الحسناء والقضيب بغير قدها لما حسن ذلك أيضا وهكذا القول في تشبيه عبدالله بن المعتز صورة الهلال بالقلامة لان من العادة أن تشبه القلامة بالهلال فلما صار ذلك مشهورا متعارفا حسن عكس القضية فيه

﴿ النوع الثالث في التجريد ﴾ وهذا اسم كنت سمعته فقال القائل التجريد في الكلام حسن ثم سكت فسألته عن حقيقته فقال كذا سمعت ولم يزد شيئا فأنعمت حينئذ نظري في هذا النوع من الكلام فألقي في روعي أنه ينبغي أن يكون كذا وكذا وكان الذي وقع لي صوابا ثم مضى على ذلك برهة من الزمان ووصل الي ماذكره أبو علي الفارسي رحمه الله تعالى وقد أوردته ههنا وذكرت ماأتيت به من ذات خاطري من زيادة لم يذكرها وسيقف أيها المتأمل على كلامه وكلامي (فأما حد التجريد) فانه اخلاص الخطاب لغيرك وأنت تريد به نفسك لا المخاطب نفسه لان أصله في وضع اللغة من جردت السيف اذا نزعته من غمده وجردت فلانا اذا نزعت ثيابه ومن ههنا قال صلى الله عليه وسلم لامد ولا تجريد وذلك في النهي عند اقامة الحد أن يمد صاحبه على الأرض وإن تجرد عنه ثيابه وقد نقل هذا المعنى الى نوع من أنواع علم البيان (وقد تأملته فوجدت له فائدتين) احداهما أبلغ من الأخرى (فالاولى) طلب التوسع في الكلام فانه إذا كان ظاهره خطابا لغيرك وباطنه خطابا لنفسك فان ذلك من باب التوسع وأظن أنه شيء اختصت به اللغة العربية دون غيرها من اللغات (والفائدة الثانية) وهي الابلغ وذلك أنه يتمكن المخاطب من اجراء الأوصاف المقصودة من مدح أوغيره على نفسه اذ يكون مخاطبا بها غيره ليكون أعذر وأبرأ من العهدة فيما يقوله غير محجور عليه (وعلى هذا فان التجريد ينقسم قسمين) أحدهما تجريد محض والآخر تجريد غير محض (فالاول) وهو المحض أن تأتي بكلام هو خطاب لغيرك وأنت تريد به نفسك وذلك كقول بعض المتأخرين وهو الشاعر المعروف بالحيص بيص في مطلع قصيدة له

الام يراك المجد في زي شاعر * وقد نحلت شوقا فروع المنابر
كتمت بعيب الشعر حلما وحكمة * ببعضهما تنقاد صعب المفاخر
أما وأبيك الخير انك فارس الـ * ـمقال ومحيي الدارسات الغوابر
وانك أعييت المسامع والنهى * بقولك عما في بطون الدفاتر

فهذا من محاسن التجريد ألا ترى أنه أجرى الخطاب على غيره وهو يريد نفسه كي يتمكن من ذكر ماذكره من الصفات الفائقة وعد ماعده من الفضائل التامة وكل ما يجيء من هذا القبيل فهو التجريد المحض (وأما ماقصد به التوسع خاصة) فكقول الصمة بن عبدالله من شعراء الحماسة

حننت الى ريا ونفسك باعدت * مزارك من ريا وشعباكما معا

سلول صرفت لانك أردت الأب وأسماء الاحياء مصروفة نحو قريش وثقيف وكل شيء لايقال فيه بنوفلان وثمود وسبأ ان جعلا مذكرين صرفا وان أنثا لم يصرفا ومما جعلوه قبيلة فلم يصرفوه مجوس ويهود وكل اسم على فعلان مؤنثه فعلى فانه لاينصرف في معرفة ولا نكرة وكذلك مؤنثه نحو عطشان وعطشى وريان وريى وغضبان وغضبى وما كان مؤنثه فعلانة فانه لا ينصرف في المعرفة وينصرف في النكرة نحو قولك رجل سيفان وامرأة سيفانة وهو الطويل الممشوق ورجل موتان الفؤاد وامرأة موتانة ونحو مرجان وطهمان وكذلك كل شيء كانت في آخره ألف ونون زائدتان نحو عريان وعثمان ان كانت نونه أصلية صرفته في كل حال نحو دهقان من الدهقنة وشيطان من الشيطنة وسمان ان أخذته من السم لم تصرفه وان أخذته من السمن صرفته وتبان ان أخذته من التب لم تصرفه وان أخذته من التبن صرفته وكذلك حسان من الحس لا يصرف وان أخذته من الحسن صرفته وديوان نونه من الاصل فهو يصرف ورمان فعال فهو يصرف لان نونه لام الفعل ومران تصرفه لانه من المرانة سمي بذلك للينه وكل اسم

فما حسن أن تأتي الأمر طائعا * وتجزع ان داعي الصبابة أسمعا

وقد ورد بعد هذين البيتين مايدل على أن المراد بالتجريد فيهما التوسع لانه قال

وأذكر أيام الحمى ثم أنثني * على كبدي من خشية أن يصدعا

بنفسي تلك الأرض ماأطيب الربا * وما أحسن المصطاف والمتربعا

فانتقل من الخطاب التجريدي الى خطاب النفس ولو استمر على الحالة الأولى لما قضى عليه بالتوسع وانما كان يقضي عليه بالتجريد البليغ الذي هو الطرف الآخر ويتأول له بأن غرضه من خطاب غيره أن ينفي عن نفسه سمة الهوى ومعرة العشق لما في ذلك من الشهرة والفضاضة لكن قد زال هذا التأويل بانتقاله عن التجريد أولا الى خطاب النفس وعلى هذا الأسلوب ورد قول أبي الطيب المتنبي

لاخيل عندك تهديها ولا مال * فليسعد النطق ان لم تسعد الحال

واجز الامير الذي نعماه فاجئة * بغير قول ونعمى القوم أقوال

وهذان البيتان من مطلع قصيدة يمدح بها فاتكا الاخشيدي بمصر وكان وصله بصلة سنية من نفقة وكسوة قبل أن يمدحه ثم مدحه بعد ذلك بهذه القصيدة وهي من غرر شعره وقد بني مطلعها على المعنى المشار اليه من ابتداء فاتك اياه بالصلة قبل المديح وليس في التجريد المذكور في هذين البيتين مايدل على وصف النفس ولا على تزكيتها بالمديح كما ورد في الأبيات الرائية المتقدم ذكرها وانما هو توسع لاغير (وأما القسم الثاني) وهو غير المحض فانه خطاب لنفسك لا لغيرك ولئن كان بين النفس والبدن فرق الا أنهما كأنهما شيء واحد لعلاقة أحدهما بالآخر وبين هذا القسم والذي قبله فرق ظاهر وذاك أولى بأن يسمى تجريدا لان التجريد لائق به وهذا هو نصف تجريد لانك لم تجرد به عن نفسك شيئا وانما خاطبت نفسك بنفسك كأنك فصلتها عنك وهي منك (فمما جاء منه) قول عمرو بن الاطنابة

أقول لها وقد جشأت وجاشت * رويدك تحمدي أو تستريحي

وكذلك قوله الآخر

أقول للنفس تأساء وتعزية * احدى يدي أصابتني ولم ترد

وليس في هذا مايصلح أن يكون خطابا لغيرك كالاول وانما المخاطب هو المخاطب بعينه وليس ثم شيء خارج عنه (وأما الذي ذكره أبو علي الفارسي رحمه الله) فانه قال ان العرب تعتقد أن في الانسان معنى كامنا فيه كأنه حقيقته ومحصوله فتخرج ذلك المعنى الى ألفاظها مجردا من الانسان كأنه غيره وهو هو بعينه نحو قولهم لئن لقيت فلانا لتلقين به الاسد ولئن سألته لتسألن منه البحر وهو عينه الأسد والبحر لا أن هناك شيئا منفصلا عنه أو متميزا منه ثم قال أو على هذا النمط كون الانسان يخاطب نفسه حتى كأنه يقاول غيره كما قال الاعشى

وهل تطيق وداعا أيها الرجل * وهو الرجل نفسه لاغيره هذا خلاصة ماذكره أبو علي رحمه الله (والذي عندي فيه) أنه أصاب في الثاني ولم يصب في الاول لأن الثاني هو التجريد ألا ترى أن الأعشى جرد الخطاب عن نفسه وهو يريدها وأما الأول وهو قوله لئن لقيت فلانا لتلقين به الأسد ولئن سألته لتسألن منه البحر فان هذا تشبيه مضمر الاداة إذ يحسن تقدير أداة التشبيه فيه وبيان ذلك أنك تقول لئن لقيت فلانا لتلقين منه كالأسد ولئن سألته لتسألن منه كالبحر وليس هذا بتجريد لأن حقيقة التجريد غير موجودة فيه وانما هو تشبيه مضمر الاداة ألا ترى أن المذكور هو كالأسد وهو كالبحر وليس ثم شيء مجرد عنه كما تقدم

على أفعل وهو صفة فانه لا ينصرف في معرفة ولا نكرة وذلك لأن مؤنثه فعلاء فأجروه مجرى مؤنثه نحو أحمر وحمراء وأحول وأقرع فان كان ليس بصفة ولا مؤنثة فعلاء لم يصرف في المعرفة وصرف في النكرة نحو أفكل وأيدع وكذلك ان كان اسما نحو أحمد وأسلم ويقولون رأيته عاما أول وما ما أولا فيجعل صفة وغير صفة وكل جمع ثالث حروفه ألف وبعد الألف حرفان فصاعدا فهو لا ينصرف في المعرفة ولا في النكرة نحو مساجد ومصابيح ومواقيت وقناديل ومحاريب لا أن يكون منه شيء في آخره الهاء فينصرف نحو جحاجحة وصياقلة وقد تأتي الاسماء الاعجمية وغيرها على هذا الوزن فلا تصرف تشبيها بها نحو سراويل وشراحيل وحضاجر الضبع ومعافر من اليمن وأشياء لا تنصرف معرفة ولا نكرة لأنها افعلاء وأسماء تنصرف لانها أفعال وكل اسم آخره ألف جمع أو تأنيث لم ينصرف نحو عرفاء وأصلحاء وأصفياء وأكرياء وأشباه ذلك وكل اسم في أوله زيادة نحو يزيد ويشكر ويعصر وتغلب وأصبح وأبلم ويرمع وأحمد كل هذا لا ينصرف في المعرفة وينصرف في النكرة هذا إذا كان الاسم بالزيادة مضارعا للفعل فان لم يكن مضارعا للفعل

في

في الابيات الشعرية و يبطل على أبي علي قوله أيضا من وجه آخر وذاك أنه قال ان العرب تعتقد أن في الانسان معنى كامنا فيه كأنه حقيقته ومحصوله فتخرج ذلك المعنى الى ألفاظها مجردا من الانسان كأنه غيره وهو هو كالمثال الذي مثله في تشبيهه بالاسد وتشبيهه بالبحر وهذا ينتقض بقولنا لئن رأيت الاسد لترين منه هضبة ولئن لقيته لتلقين منه الموت فان الصورة التي أوردها في الانسان وزعم أن العرب تعتقد أن ذلك معنى كامن فيه قد أوردنا مثلها في الاسد فتخصيصه ذلك بالانسان باطل وكلا الصورتين ليس بتجريد وانما هو تشبيه مضمر الاداة وقد سبق القول بأن التجريد هو أن تطلق الخطاب على غيرك ولا يكون هو المراد وانما المراد نفسك وهذا لا يوجد في هذا المثال المضمر الاداة بل المخاطب هو هو لا غيره فلا يطلق عليه اذا اسم التجريد لانه خارج عن حقيقته ومناف لموضوعه فاذا قال القائل لئن لقيته لتلقين به كالاسد ولئن سألته لتسألن منه كالبحر لم يجرد عن المقول عنه شيئا وانما شبهه تارة بالاسد في شجاعته وتارة بالبحر في سخائه وما أعلم كيف ذهب هذا على مثل أبي علي رحمه الله حتى خلطه بالتجريد وأجراه مجراه وأما قوله ان العرب تعتقد أن في الانسان معنى كامنا فيه كأنه حقيقته ومحصوله فأقول وغير العرب أيضا تعتقد ذلك فان عنى بالمعنى الكامن معنى الانسانية الذي هو الاستعداد للعلوم والصنائع فما هذا من الشيء الغريب الخفي الذي علمته العرب خاصة وانفرد باستخراجه أبو علي رحمه الله وان عنى بالمعنى الكامن ما فيه من الاخلاق كالشجاعة والسخاء في المثال الذي ذكره حتى يشبه بالأسد تارة وبالبحر أخرى فليس الانسان مختصا بهذا المعنى الكامن دون غيره من الحيوانات بل الاسد فيه من معنى الشجاعة ما ليس في الانسان ولهذا اذا بولغ في وصف الانسان بالشجاعة شبه بالاسد وكذلك في بعض الحيوانات من السخاء ما ليس في الانسان ومن الامثال أكرم من ديك لانه اذا ظفر بحبة من الحنطة أخذها في منقاره وطاف بها على الدجاج حتى يضعها في منقار واحدة منهن فالاخلاق اذا مشتركة بين الانسان و بين غيره من الحيوانات غير أن الانسان يجتمع فيه ما تفرق في كثير منها وما أعلم ما أراد أبو علي رحمه الله بقوله ان في الانسان معنى كامنا فيه كانه حقيقته ومحصوله الا أن يكون أحد هذين القسمين اللذين أشرت اليهما على أن القسم الواحد الذي هو خلق الشجاعة والسخاء وغيره من الاخلاق ليس عبارة عن حقيقة الانسان اذ لا يقال في حده حيوان شجاع ولا سخي بل يقال حيوان ناطق فالنطق الذي هو الاستعداد للعلوم والصنائع هو حقيقة الانسان فبطل إذا قول أبي علي رحمه الله في تمثيله حقيقة الانسان بالشجاعة والسخاء فالخطأ توجه في كلامه من وجهين أحدهما أنه جعل حقيقة الانسان عبارة عن خلقه والآخر أنه أدخل في التجريد ما ليس منه وهذا القدر كاف في هذا الموضع فليتأمل

﴿ النوع الرابع في الالتفات ﴾ وهذا النوع وما يليه هو خلاصة علم البيان التي حولها يدندن واليها تستند البلاغة وعنها يعنعن وحقيقته مأخوذة من التفات الانسان عن يمينه وشماله فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة لانه ينتقل فيه عن صيغة الى صيغة كالانتقالات من خطاب حاضر الى غائب أو من خطاب غائب الى حاضر أو من فعل ماض الى مستقبل أو من مستقبل الى ماض أو غير ذلك مما يأتي ذكره مفصلا و يسمى أيضا شجاعة العربية وانما سمي بذلك لأن الشجاعة هي الاقدام وذاك أن الرجل الشجاع يركب ما لا يستطيعه غيره و يتورد ما لا يتورده سواه وكذلك هذا الالتفات في الكلام فان اللغة العربية تختص به دون غيرها من اللغات (وهو ينقسم

فهو لا ينصرف في المعرفة ولا النكرة وما كان على فعل نحو عمر وزفر وقثم فهو لا ينصرف في المعرفة و ينصرف في النكرة لانه معدول عن عامر وزافر وقاثم وما لم يكن معدولا انصرف نحو جعل وصرد وجرذ وفرق ما بينهما ان المعدول لا تدخله الالف واللام وغير المعدول تدخله الالف واللام (والالقاب) اذا كانت مفردة أضفتها فقلت هذا قيس قفة وسعيد كرز و زيد بطة فان كان أحدهما مضافا جعلت أحدهما صفة للآخر على مذهب الاسماء والكنى كقولك زيد أبو عمرو وتقول هذا زيد وزن سبعة وهذا عبدالله بطة وكذلك هذا عبد الله وزن سبعة

﴿ باب الاسماء المؤنثة التي لا اعلام فيها للتأنيث ﴾

السماء والقوس والأرض والحرب والذود من الابل ودرع الحديد فاما درع المرأة وهو قميصها فمذكر وعروض الشعر وأخذ في عروض ما تعجبني أي في ناحية والريح والرحم والغول والجحيم والنار والشمس والنعل والعصا والرحا والدار والضحاء ﴿ باب ما يذكر ويؤنث ﴾ الموسى قال الكسائي هي فعلى

وقال غيره هو مفعل من أوسيت رأسه أي حلقته وهو مذكر اذا كان مفعلا ومؤنث اذا كان فعلى والدلو الاغلب عليها

الى ثلاثة أقسام القسم الاول فى الرجوع من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة) اعلم أن عامة المنتمين الى هذا الفن اذا سئلوا عن الانتقال عن الغيبة الى الخطاب وعن الخطاب الى الغيبة قالوا كذلك كانت عادة العرب فى أساليب كلامها وهذا القول هو عكاز العميان كما يقال ونحن انما نسأل عن السبب الذى قصدت العرب ذلك من أجله وقال الزمخشرى رحمه الله ان الرجوع من الغيبة الى الخطاب انما يستعمل للتفنن فى الكلام والانتقال من أسلوب الى أسلوب تطرية لنشاط السامع وايقاظا للاصغاء اليه وليس الامر كما ذكره لان الانتقال فى الكلام من أسلوب الى أسلوب اذا لم يكن الا تطرية لنشاط السامع وايقاظا للاصغاء اليه فان ذلك دليل على أن السامع يمل من أسلوب واحد فينتقل الى غيره ليجد نشاطا للاستماع وهذا قدح فى الكلام لا وصف له لانه لو كان حسنا لما مل ولو سلمنا الى الزمخشرى ماذهب اليه لكان انما يوجد ذلك فى الكلام المطول ونحن نرى الامر بخلاف ذلك لانه قد ورد الانتقال من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم ويكون مجموع الجانبين معا يبلغ عشرة ألفاظ أو أقل من ذلك ومفهوم قول الزمخشرى فى الانتقال من أسلوب الى أسلوب انما يستعمل قصدا للمخالفة بين المنتقل عنه والمنتقل اليه لا قصد الاستعمال الاحسن وعلى هذا فاذا وجدنا كلاما قد استعمل فى جميعه الايجاز ولم ينتقل عنه أو استعمل فيه جميعه الاطناب ولم ينتقل عنه وكان كلا الطرفين واقعا فى موقعه قلنا هذا ليس بحسن اذ لم ينتقل فيه من أسلوب الى أسلوب وهذا قول فيه ما فيه وما أعلم كيف ذهب على مثل الزمخشرى مع معرفته بفن الفصاحة والبلاغة (والذى عندى فى ذلك) أن الانتقال من الخطاب الى الغيبة أو من الغيبة الى الخطاب لا يكون الا لفائدة اقتضته وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب الى أسلوب غير أنها لا تحد بحد ولا تضبط بضابط لكن يشار الى مواضع منها ليقاس عليها غيرها فانا قد رأينا الانتقال من الغيبة الى الخطاب قد استعمل لتعظيم شأن المخاطب ثم رأينا ذلك بعينه وهو ضد الاول قد استعمل فى الانتقال من الخطاب الى الغيبة فعلمنا حينئذ أن الغرض الموجب لاستعمال هذا النوع من الكلام لا يجرى على وتيرة واحدة وانما هو مقصور على العناية بالمعنى المقصود وذلك المعنى يتشعب شعبا كثيرة لا تنحصر وانما يؤتى بها على حسب الموضع الذى ترد فيه وسأوضح ذلك فى ضرب من الامثلة الآتى ذكرها فأما الرجوع من الغيبة الى الخطاب فكقوله تعالى فى سورة الفاتحة الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم هذا رجوع من الغيبة الى الخطاب ومما يختص به هذا الكلام من الفوائد قوله اياك نعبد وإياك نستعين بعد قوله الحمد لله رب العالمين فانه انما عدل فيه من الغيبة الى الخطاب لان الحمد دون العبادة ألا تراك تحمد نظيرك ولا تعبده فلما كانت الحال كذلك استعمل لفظ الحمد لتوسطه مع الغيبة فى الخبر فقال الحمد لله ولم يقل الحمد لك ولما صار الى العبادة التى هى أقصى الطاعات قال اياك نعبد فخاطب بالعبادة اصراحا بها وتقربا منه عز اسمه بالانتهاء الى محدود منها وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة فقال صراط الذين أنعمت عليهم فأصرح الخطاب لما ذكر النعمة ثم قال غير المغضوب عليهم عطفا على الأول لأن الاول موضع التقرب من الله بذكر نعمه فلما صار الى ذكر الغضب جاء باللفظ منحرفا عن ذكر الغاضب فاسند النعمة اليه لفظا وزوى عنه لفظ الغضب تحننا ولطفا فانظر الى هذا الموضع وتناسب هذه المعانى الشريفة التى الاقدام لا تكاد تطؤها والافهام مع قربها صافحة عنها وهذه السورة قد انتقل فى أولها من الغيبة إلى

التأنيث والاضحى جمع اضحاة وهى الذبيحة وقد تذكر يذهب بها الى اليوم والسكين والسبيل والطريق والسوق واللسان من أنثه قال ألسن ومن ذكره قال ألسنة والعسل والعاتق والذراع والمتن والكراع قال سيبويه الذراع مؤنثة وجمعها أذرع لا غير والحال والقليب والسلاح والصاع والازار والسراويل والعرف والعنق والفهر والسلم وهو المصلح والخمر والسلطان

{باب ما يكون للذكور والاناث وفيه علم التأنيث}

السخلة تكون للذكر والانثى والبهمة كذلك والجداية الرشا والعسبارة ولد الضبع من الذئب هذا كله الذكر والانثى فيه سواء وكذلك الحية والعرب تقول فلان حية ذكر وكذلك الشاة والشاة أيضا الثور من الوحش قال الشاعر

فلما أضاء الصبح قام مبادرا
وكان انطلاق الشاة من حيث خيما

وبطة وحمامة ونعامة تقول هذه نعامة ذكر حتى تقول ظليم وكل هذا يجمع بطرح الهاء الاحية فانه لا يقال فى جمعها حى {باب أوصاف المؤنث بغير هاء} ما كان على فعيل نعتا للمؤنث وهو

الخطاب لتعظيم شأن المخاطب ثم انتقل في آخرها من الخطاب إلى الغيبة لتلك العلة بعينها وهي تعظيم شأن المخاطب أيضا لان مخاطبة الرب تبارك وتعالى باسناد النعمة اليه تعظيم لخطابه وكذلك ترك مخاطبته باسناد الغضب اليه تعظيم لخطابه فينبغي أن يكون صاحب هذا الفن من الفصاحة والبلاغة عالما بوضع أنواعه في مواضعها على اشتباهها (ومن هذا الضرب) قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا وانما قيل لقد جئتم وهو خطاب للحاضر بعد قوله وقالوا وهو خطاب للغائب لفائدة حسنة وهي زيادة التسجيل عليهم بالجراءة على الله تعالى والتعرض لسخطه وتنبيه لهم على عظم ماقالوه كأنه يخاطب قوما حاضرين بين يديه منكرا عليهم وموبخا لهم (ومما جاء من الالتفات) مرارا على قصر متنه وتقارب طرفيه قوله تعالى أول سورة بني اسرائيل سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير فقال أولا سبحان الذي أسرى بلفظ الواحد ثم قال الذي باركنا بلفظ الجمع ثم قال انه هو السميع البصير وهو خطاب غائب ولو جاء الكلام على مساق الأول لكان سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى الذي بارك حوله ليريه من آياته انه هو السميع البصير وهذا جميعه يكون معطوفا على أسرى فلما خولف بين المعطوف والمعطوف عليه في الانتقال من صيغة إلى صيغة كان ذلك اتساعا وتفننا في أساليب الكلام ولقصد آخر معنوي هو أعلى وأبلغ (وسأذكر ماسنح لي فيه فأقول) لما بدأ الكلام بسبحان ردفه بقوله الذي أسرى إذ لا يجوز أن يقال الذي أسرينا فلما جاء بلفظ الواحد والله تعالى أعظم العظماء وهو أولى بخطاب العظيم في نفسه الذي هو بلفظ الجمع استدرك الأول بالثاني فقال باركنا ثم قال لنريه من آياتنا فجاء بذلك على نسق باركنا ثم قال انه هو عطفا على أسرى وذلك موضع متوسط الصفة لان السمع والبصر صفتان يشاركه فيهما غيره وتلك حال متوسطة تخرج بهما عن خطاب العظيم في نفسه إلى خطاب غائب فانظر الى هذه الالتفاتات المترادفة في هذه الآية الواحدة التي جاءت لمعان اختصت بها يعرفها من يعرفها ويجهلها من يجهلها (ومما ينخرط في هذا السلك) الرجوع من خطاب الغيبة إلى خطاب النفس كقوله تعالى ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم وهذا رجوع من الغيبة إلى خطاب النفس فانه قال وزينا بعد قوله ثم استوى وقوله فقضاهن وأوحى والفائدة في ذلك أن طائفة من الناس غير المتشرعين يعتقدون أن النجوم ليست في سماء الدنيا وأنها ليست حفظا ولا رجوما فلما صار الكلام الى ههنا عدل به عن خطاب الغائب إلى خطاب النفس لانه مهم من مهمات الاعتقاد وفيه تكذيب للفرقة المكذبة المعتقدة بطلانه وفي خلاف هذا الرجوع من خطاب النفس إلى خطاب الغيبة (ومما ينخرط في هذا السلك أيضا) الرجوع من خطاب النفس الى خطاب الجماعة كقوله تعالى ومالي لاأعبد الذي فطرني واليه ترجعون وانما صرف الكلام عن خطاب نفسه الى خطابهم لانه أبرز الكلام لهم في معرض المناصحة وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم لان ذلك أدخل في امحاض النصح حيث لا يريد لهم الا مايريد لنفسه وقد وضع قوله ومالي لاأعبد الذي فطرني مكان قوله ومالكم لاتعبدون الذي فطركم ألا ترى الى قوله واليه ترجعون ولولا انه قصد ذلك لقال الذي فطرني واليه أرجع وقد ساقه ذلك المساق الى أن قال اني آمنت بربكم فاسمعون (فانظر) أيها المتأمل الى هذه النكت الدقيقة التي تمر عليها في آيات القرآن الكريم وأنت

في تأويل مفعول كان بغير هاء نحو كف خضيب وملحفة غسيل وربما جاءت بالهاء يذهب بها مذهب النعوت نحو الذبيحة والنطيحة والفريسة وأكيلة السبع يقال شاة ذبيح كما يقال ناقة كسيرة وتقول هذه ذبيحتك وذلك أنك لم ترد أن تخبر أنها قد ذبحت ألا ترى أنك تقول هذا وهي حية وانما هي بمنزلة ضحية وكذلك شاة رمي إذا رميت وتقول بئس الرمية الأرنب انما تريد بئس الشيء مما يرمى الأرنب فهذه بمنزلة الذبيحة وقالوا ملحفة جديد لانها في تأويل مجدودة أي مقطوعة حين قطعها الحائك يقال جددت الشيء أي قطعته وأنشد

أبى حبي سليمى أن يبيدا
وأمسى حبلها خلقا جديدا

أي مقطوعا فاذا لم يجز فيه مفعول فهو بالهاء نحو مريضة وكبيرة وصغيرة وظريفة وجاءت أشياء شاذة قال ناقة سديس وريح خريق وكتيبة خصيف ذات لونين وان كان فعيل في تأويل فاعل كان مؤنثه بالهاء نحو كريمة وعليمة ورحيمة وشريفة وعتيقة في الجمال وسعيدة واذا كان فعول في تأويل فاعل كان بغير هاء نحو امرأة صبور وشكور وقدور وعقور وكفور وكنور وقد جاء حرف شاذ قالوا هي عدوة الله قال سيبويه شبهوا عدوة بصديقة واذا كان في تأويل مفعول بها

تظن أنك فهمت فحواها واستنبطت رموزها وعلى هذا الأسلوب يجرى الحكم فى الرجوع من خطاب النفس إلى خطاب الواحد كقوله تعالى حم والكتاب المبين انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم أمراً من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو السميع العليم والفائدة ههنا فى الرجوع من خطاب النفس الى خطاب الواحد تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم بالذكر والاشارة بأن إنزال الكتاب انما هو اليه وان لم يكن ذلك صريحا لكن مفهوم الكلام يدل عليه واذا تأملت مطاوى القرآن الكريم وجدت فيه من هذا وأمثاله أشياء كثيرة وانما اقتصرنا على هذه الأمثلة المختصرة ليقاس عليها ما يجرى على أسلوبها وقد ورد فى فصيح الشعر شىء من ذلك كقول أبى تمام

وركب يساقون الركاب زجاجة * من السير لم تقصد لها كف قاطب
فقد أكلوا منها الغوارب بالسرى * وصارت لهم أشباحهم كالغوارب
يصرف مسراها جذيل مشارق * اذا آبه هم عذيق مغارب
يرى بالكعاب الرود طلعة ثائر * وبالعرمس الوجناء غرة آئب
كأن بها ضغناً على كل جانب * من الأرض أو شوقا الى كل جانب
إذا العيس لاقت بى أبا دلف فقد * تقطع ما بينى وبين النوائب
هنالك تلقى الجود من حيث قطعت * تمائمه والمجد مرخى الذوائب

ألا ترى أنه قال فى الأول يصرف مسراها مخاطبة للغائب ثم قال بعد ذلك إذ العيس لاقت بى مخاطبا نفسه وفى هذا من الفائدة أنه لما صار الى مشافهة الممدوح والتصريح باسمه خاطب عند ذلك نفسه مبشراً لها بالبعد عن المكروه والقرب من المحبوب ثم جاء بالبيت الذى يليه معدولا به عن خطاب نفسه الى خطاب غيره وهو أيضا خطاب لحاضر فقال هنالك تلقى الجود والفائدة بذلك أنه يخبر غيره بما شاهده كأنه يصف له جود الممدوح وما لاقاه منه اشادة بذكره وتنويها باسمه وحملا لغيره على قصده وفى صفته جود الممدوح بتلك الصفة الغريبة البليغة وهى قوله حيث قطعت تمائمه ما يقتضى له الرجوع الى خطاب الحاضر والمراد بذلك أن محل الممدوح هو مألف الجود ومنشؤه ووطنه وقد يراد به معنى آخر وهو أن هذا الجود قد أمن عليه الآفات العارضة لغيره من المن والمطل والاعتذار وغير ذلك اذ التمائم لا تقطع الا عمن امنت عليه المخاوف وعلى هذا النهج ورد قول أبى الطيب المتنبى فى قصيد يمدح به ابن العميد فى النوروز ومن عادة الفرس فى ذلك اليوم حمل الهدايا الى ملوكهم فقال فى آخر القصيد

كثر الفكر كيف نهدى كما أهـ * ـدت الى ربها المليك عباده
والذى عندنا من المال والخيـ * ـل فمنه هباته وقياده
فبعثنا بأربعين مهارا * كل مهر ميدانه انشاده
عدد عشته يرى الجسم فيه * أرباً لا يراه فيما يزاده
فارتبطها فان قلبا نماها * مربط تسبق الجياد جياده

وهذا من إحسان أبى الطيب المعروف وهو رجوع عن خطاب الغائب الى الحاضر واحتج أبو الطيب عن تخصيص أبياته بالأربعين دون غيرها من العدد بحجة غريبة وهى أنه جعلها كعدد السنين التى يرى الانسان فيها من القوة والشباب وقضاء الأوطار ما لا يراه فى الزيادة عليها فاعتذر بألطف اعتذار فى أنه لم يزد القصيد على هذه العدة وهذا حسن غريب (وأما الرجوع من الخطاب الى الغيبة) فكقوله تعالى هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك

جاءت بالهاء نحو الحمولة (١٧٠) والمركوبة والحلوبة والجلوبة الواحد والجميع والمذكر والمؤنث فيه سواء تقول هذا الجمل ركوبتهم وأكولتهم (وما كان على مفعيل فهو بغير هاء) نحو امرأة معطير ومئشير من الأشر وفرس محضير وشذ حرف فقالوا امرأة مسكينة شبهوها بفقيرة (وما كان على مفعال) فهو بغير هاء نحو امرأة معطار ومجبال فى الخلق أى سمينة ومتفال وكذلك مفعل نحو امرأة مرجم (وما كان على مفعل) مما لا يوصف به مذكر فهو بغير هاء نحو امرأة مرضع ومقرب وملبن ومشدن ومطفل لانه لا يكون هذا فى المذكر فلما لم يخافوا لبسا حذفوا الهاء فاذا أرادوا الفعل قالوا مرضعة قال الله تعالى تذهل كل مرضعة عما أرضعت وقال آخر يقال امرأة مرضع اذا كان لها لبن ورضاع ومرضعة اذا أرضعت ولدها (وما كان على فاعل) مما لا يكون للمذكر فيه حظ فهو بغير هاء قالوا امرأة طالق وحامل وطامث وقد جاءت أشياء على فاعل تكون للمذكر والمؤنث فلم يفرقوا بينهما فيها قالوا جمل ضامر وناقة ضامر ورجل عاشق وامرأة عاشق ورجل عاقر وامرأة عاقر ورجل عانس وامرأة عانس اذا طال مكثهما لا يتزوجان ورأس ناصل من الخضاب ولحية ناصل وجمل

وجرين

وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فانه انما صرف الكلام ههنا من الخطاب إلى الغيبة لفائدة وهي أنه ذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها كالمخبر لهم ويستدعي منهم الانكار عليهم ولو قال حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بكم بريح طيبة وفرحتم بها وساق الخطاب معهم الى آخر الآية لذهبت تلك الفائدة التي أنتجها خطاب الغيبة وليس ذلك بخاف عن نقدة الكلام (ومما ينخرط في هذا السلك) قوله تعالى ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون وتقطعوا أمرهم بينهم كل الينا راجعون الأصل في تقطعوا تقطعتم عطفا على الأول الا أنه حرف الكلام من الخطاب الى الغيبة على طريقة الالتفات كأنه ينعى عليهم ما أفسدوه الى قوم آخرين ويقبح عندهم ما فعلوه ويقول ألا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله تعالى فجعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعا وذلك تمثيل لاختلافهم فيه وتباينهم ثم توعدهم بعد ذلك بأن هؤلاء الفرق المختلفة اليه يرجعون فهو مجازيهم على ما فعلوا (ومما يجري هذا المجرى) قوله تعالى يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا إله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون فانه انما قال فآمنوا بالله ورسوله ولم يقل فآمنوا بالله وبي عطفا على قوله اني رسول الله اليكم لكي تجري عليه الصفات التي أجريت عليه وليعلم أن الذي وجب الايمان به والاتباع له هو هذا الشخص الموصوف بأنه النبي الأمي الذي يؤمن بالله وبكلماته كائنا من كان أنا أو غيري اظهارا للنصفة وبعدا من التعصب لنفسه فقدر أولا في صدر الآية اني رسول الله الى الناس ثم أخرج كلامه من الخطاب الى معرض الغيبة لغرضين الأول منهما اجراء تلك الصفات عليه والثاني الخروج من تهمة التعصب لنفسه (القسم الثاني في الرجوع عن الفعل المستقبل الى فعل الأمر وعن الفعل الماضي الى فعل الأمر) وهذا القسم كالذي قبله في أنه ليس الانتقال فيه من صيغة الى صيغة طلبا للتوسع في أساليب الكلام فقط بل لأمر وراء ذلك وانما يقصد اليه تعظيما لحال من أجري عليه الفعل المستقبل وتفخيما لأمره وبالضد من ذلك فيمن أجري عليه فعل الامر (فمما جاء منه) قوله تعالى يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال اني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون فانه انما قال أشهد الله واشهدوا ولم يقل وأشهدكم ليكون موازنا له وبمعناه لان اشهاده الله على البراءة من الشرك صحيح ثابت وأما اشهادهم فما هو الا تهاون بهم ودلالة على قلة المبالاة بأمرهم ولذلك عدل به عن لفظ الاول لاختلاف ما بينهما وجيء به على لفظ الامر كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد علي أني أحبك تهكما به واستهانة بحاله وكذلك يرجع عن الفعل الماضي الى فعل الامر الا أنه ليس كالاول بل انما يفعل ذلك توكيدا لما أجري عليه فعل الامر لمكان العناية بتحقيقه كقوله تعالى قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين الآية وكان تقدير الكلام أمر ربي بالقسط وباقامة وجوهكم عند كل مسجد فعدل عن ذلك الى فعل الأمر للعناية بتوكيده في نفوسهم فان الصلاة من أوكد فرائض الله على عباده ثم اتبعها بالاخلاص الذي هو عمل القلب اذ عمل الجوارح لا يصح الا باخلاص النية ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم الأعمال بالنيات (واعلم) أيها المتوشح لمعرفة علم البيان أن العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون الا لنوع خصوصية اقتضت ذلك وهو لا يتوخاه في كلامه الا العارف برموز الفصاحة

نازع إلى وطنه وناقة نازع فاذا أرادوا الفعل قالوا طالقة وحاملة قال الاعشى

أيا جارتي بيني فانك طالقه * كذلك أمور الناس غاد وطارقه

وقد يأتي فاعل وصفا للمؤنث بمعنيين فتثبت الهاء في أحدها وتسقط من الآخر للفرق بين المذكر والمؤنث فيقال امرأة طاهر من الحيض وطاهرة نقية من العيوب لانها مفردة بالطهر من المحيض لا يشركها فيه المذكر ويشركها في الطهارة من العيوب (وكذلك) امرأة حامل من الحبل وحاملة على ظهرها وامرأة قاعد إذا قعدت عن المحيض وقاعدة من القعود وقالوا والدة للأم لان الأب والد ففرقوا بالهاء بينهما ومما قد فرقوا فيه بين المؤنثين فأثبتوا الهاء في احداها وأسقطوها من الأخرى قولهم ناقة جبار اذا عظمت وسمنت والجميع جبابير ونخلة جبارة إذا فاتت الأيدي وبلدة ميت لا نبات بها وميتة بالهاء للحيوان وقالوا امرأة ثيب ورجل ثيب وامرأة بكر ورجل بكر وامرأة أيم لا زوج لها ورجل أيم لا امرأة له وهذا فرس كميت للذكر وهذه فرس كميت للأنثى وفرس جواد وبهم للمذكر والمؤنث وامرأة وقاح الوجه وكذلك الرجل وكل عليك وعب لك وهي قرن لك في السن وقرن لك في الشدة وامرأة مغيبة

والبلاغة الذى اطلع على أسرارهما وفتش عن دفائنهما ولا تجد ذلك فى كل كلام فانه من أشكل ضروب علم البيان وأدقها فهما وأغمضها طريقا (القسم الثالث فى الاخبار عن الفعل الماضى بالمستقبل وعن المستقبل بالماضى) فالأول الاخبار بالفعل المستقبل عن الماضى اعلم أن الفعل المستقبل اذا أتى به فى حالة الاخبار عن وجود الفعل كان ذلك أبلغ من الاخبار بالفعل الماضى وذاك لأن الفعل المستقبل يوضح الحال التى يقع فيها و يستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها وليس كذلك الفعل الماضى وربما أدخل فى هذا الموضع ما ليس منه جهلا بمكانه فانه ليس كل فعل مستقبل يعطف على ماض بجار هذا المجرى وسأبين ذلك فأقول عطف المستقبل على الماضى ينقسم الى ضربين أحدهما بلاغى وهو اخبار عن ماض بمستقبل وهو الذى أنا بصدد ذكره فى كتابى هذا الذى هو موضوع لتفصيل ضروب الفصاحة والبلاغة والآخر غير بلاغى وليس اخبارا بمستقبل عن ماض وانما هو مستقبل دل على معنى مستقبل غير ماض ويراد به أن ذلك الفعل مستمر الوجود لم يمض * فالضرب الاول كقوله تعالى والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور فانه انما قال فتثير مستقبلا وماقبله ومابعده ماض لذلك المعنى الذى أشرنا اليه وهو حكاية الحال التى يقع فيها اثارة الريح السحاب واستحضار تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة وهكذا يفعل بكل فعل فيه نوع تميز وخصوصية كحال تستغرب أوتهم المخاطب أوغير ذلك وعلى هذا الاسلوب ماورد من حديث الزبير بن العوام رضى الله عنه فى غزوة بدر فانه قال لقيت عبيدة بن سعيد بن العاص وهو على فرس وعليه لأمة كاملة لايرى منه الاعيناه وهو يقول أنا أبوذات الكؤس وفى يدى عنزة فأطعن بها فى عينه فوقع وأطأ برجلى على خده حتى خرجت العنزة متعقفة فقوله فأطعن بها فى عينه وأطأ برجلى معدول به عن لفظ الماضى الى المستقبل ليمثل للسامع الصورة التى فعل فيها مافعل من الاقدام والجراءة على قتل ذلك الفارس المستلئم ألاترى أنه قال أولا لقيت عبيدة بلفظ الماضى ثم قال بعد ذلك فأطعن بها فى عينه ولو عطف كلامه على أوله لقال فطعنت بها فى عينه وعلى هذا ورد قول تأبط شرا

بأنى قد لقيت الغول تهوى * بشهب كالصحيفة صحصحان
فأضربها بلا دهش فخرت * صريعا لليدين وللجران

فانه قصد أن يصور لقومه الحال التى تشجع فيها على ضرب الغول كأنه يبصرهم اياها مشاهدة للتعجب من جراءته على ذلك الهول ولو قال فضربتها عطفا على الأول لزالت هذه الفائدة المذكورة (فان قيل) ان فعل الماضى أيضا يتخيل منه السامع مايتخيله من المستقبل (قلت فى الجواب) ان التخيل يقع فى الفعلين معا لكنه فى أحدهما وهو المستقبل أوكد وأشد تخيلا لانه يستحضر صورة الفعل حتى كأن السامع ينظر الى فاعلها فى حال وجود الفعل منه ألاترى أنه لما قال تأبط شرا فأضربها تخيل للسامع أنه مباشر للفعل وأنه قائم بازاء الغول وقد رفع سيفه ليضربها وهذا لايوجد فى الفعل الماضى لانه لايتخيل السامع منه الافعلا قد مضى من غير احضار للصورة فى حالة سماع الكلام الدال عليه وهذا لاخلاف فيه وهكذا يجرى الحكم فى جميع الآيات المذكورة وفى الاثر عن الزبير رضى الله عنه وفى الأبيات الشعرية وعليه ورد قوله تعالى أيضا وهو ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الانعام الاما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير أوتهوى به الريح فى مكان سحيق فقال أولا خر من السماء

قال الله تبارك اسمه اسكن أنت وزوجك الجنة ورجل جنب وامرأة جنب وعدل ورضى مثله وتقول المرأة شاهدى ووصيى وضيفى ورسولى وخصمى وكذلك الاثنان والجميع

﴿ باب المستعمل فى الكتب والالفاظ من الحروف المقصورة ﴾

الهوى هوى النفس والندى ندى الأرض وندى الجود والحفى من حفيت الدابة والشجى فى الحلق والشجى الحزن والكرى النوم والاذى والقذى فى العين والخنى الفحش والضنى المرض والردى الهلاك والطوى الجوع واللوى مصدر لويت والاسى الحزن والونى من ونيت والعمى فى العين والقلب والجنى جنى الثمرة والصدى العطش والشرى فى الجسد والضوى الهزال والنوى ما نويت من قرب أو بعد والتوى توى المال والهدى والوجى الظلع والصرى الماء المجتمع والثرى التراب الندى والجوى داء فى الجوف والسرى سير الليل والسلى سلى الناقة ومنى مكة والمدى الغاية والصدى الطائر يقال انه ذكر البوم والنسى عرق فى الفخذ

وطوى اسم واد والوغى الحرب والورى الخلق وأنا فى درى فلان والمعى واحد الامعاء والحجى باللفظ

بلفظ الماضى ثم عطف عليه المستقبل الذى هو فتخطفه وتهوى وإنما عدل فى ذلك إلى المستقبل لاستحضار صورة خطف الطير إياه وهوى الريح به والفائدة فى ذلك ماأشرت اليه فيما تقدم وكثيرا ما يراعى أمثال هذا فى القرآن * وأما الضرب الثانى الذى هو مستقبل فكقوله تعالى ان الذين كفروا و يصدون عن سبيل الله فانه إنما عطف المستقبل على الماضى لأن كفرهم كان ووجد ولم يستجدوا بعده كفرا ثانيا وصدهم متجدد على الأيام لم يمض كونه وإنما هو مستمر يستأنف فى كل حين وكذلك ورد قوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير ألا ترى كيف عدل عن لفظ الماضى ههنا إلى المستقبل فقال فتصبح الأرض مخضرة ولم يقل فأصبحت عطفا على أنزل وذلك لافادة بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان فانزال الماء مضى وجوده واخضرار الأرض باق لم يمض وهذا كما تقول أنعم على فلان فأروح وأغدو شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت شاكرا له لم يقع ذلك الموقع لأنه يدل على ماض قد كان وانقضى وهذا موضع حسن ينبغى أن يتأمل (وأما الاخبار بالفعل الماضى عن المستقبل) فهو عكس ماتقدم ذكره وفائدته أن الفعل الماضى اذا أخبر به عن الفعل المستقبل الذى لم يوجد بعد كان ذلك أبلغ وأوكد فى تحقيق الفعل وإيجاده لأن الفعل الماضى يعطى من المعنى أنه قد كان ووجد وإنما يفعل ذلك إذا كان الفعل المستقبل من الأشياء العظيمة التى يستعظم وجودها والفرق بينه و بين الاخبار بالفعل المستقبل عن الماضى أن الغرض بذاك تبيين هيئة الفعل واستحضار صورته ليكون السامع كأنه يشاهدها والغرض بهذا هو الدلالة على ايجاد الفعل الذى لم يوجد بعد فمن أمثلة الاخبار بالفعل الماضى عن المستقبل قوله تعالى ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض فانه إنما قال ففزع بلفظ الماضى بعد قوله ينفخ وهو مستقبل للاشعار بتحقيق الفزع وأنه كائن لامحالة لأن الفعل الماضى يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به وكذلك جاء قوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا وإنما قيل وحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى وهما مستقبلان للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير والبروز ليشاهدوا تلك الأحوال كأنه قال وحشرناهم قبل ذلك لأن الحشر هو المهم لأن من الناس من ينكره كالفلاسفة وغيرهم ومن أجل ذلك ذكر بلفظ الماضى ﴿ومما يجرى هذا المجرى﴾ الاخبار باسم المفعول عن الفعل المستقبل وإنما يفعل ذلك لتضمنه معنى الفعل الماضى وقد سبق الكلام عليه (فمن ذلك) قوله تعالى ان فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود فانه إنما آثر اسم المفعول الذى هو مجموع على الفعل المستقبل الذى هو يجمع لما فيه من الدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وأنه الموصوف بهذه الصفة وان شئت فوازن بينه و بين قوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع فانك تعثر على صحة ماقلت (النوع الخامس فى توكيد الضميرين) (ان قيل) فى هذا الموضع ان الضمائر مذكورة فى كتب النحو فأى حاجة الى ذكرها ههنا ولم نعلم أن النحاة لايذكرون ماذكرته (قلت) ان هذا يختص بفصاحة و بلاغة وأولئك لايتعرضون اليه وانما يذكرون عدد الضمائر وأن المنفصل منها كذا والمتصل كذا ولايتجاوزون ذلك وأما أنا فانى أوردت فى هذا النوع أمرا خارجا عن الأمر النحوى وأعنى بقولى توكيد الضميرين أن يؤكد المتصل بالمنفصل كقولك انك أنت أو يؤكد المنفصل بمنفصل مثله كقولك أنت أنت أو يؤكد المتصل بمتصل مثله كقولك انك انك لعالم أو انك انك لجواد وانما يؤتى بمثل هذه الاقوال فى معرض المبالغة وهو من أسرار علم البيان (ولنقدم فى ذلك قولا يحصره و يجمع أطرافه فنقول) إذا كان المعنى

العقل والنهى والحشى واحد احشاء الجوف ومكانا سوى هذا كله يكتب بالياء (ومما يكتب بالألف) العصا وقفا الانسان والقرا الظهر وثنا الحديث والقنا فى الانف والرماح والعشا فى العين وخسا وزكا وهما الزوج والفرد ومنا من الوزن رطلان والصفا ميلك الى الرحيل وقطا فى الجمع ولها جمع لهاة وقطاة وشجر الغضا والفلا جمع فلاة

﴿باب أسماء يتفق لفظها وتختلف معانيها﴾

هوى النفس مقصور يكتب بالياء والهواء الجو ممدود ورجا البئر مقصور بالألف والرجاء من الطمع ممدود والصفا الصخر مقصور بالألف والصفاء من المودة والشىء الصافى ممدود والفتى واحد الفتيان مقصور بالياء والفتاء من السن ممدود قال الشاعر

إذا عاش الفتى مائتين عاما ... فقد ذهب اللذاذة والفتاء

وسنا البرق مقصور بالألف وسناء المجد ممدود والثرى التراب الندى مقصور بالياء والثراء الغنى ممدود والغنى من السعة مقصور والغناء من الصوت ممدود والخلا رطب الحشيش مقصور بالألف والخلاء من الخلوة ممدود والعشا فى العين مقصور بالألف والعشاء والغذاء ممدودان والعرا الفنا والساحة مقصور يكتب بالألف والعراء

المقصود معلوما ثابتا فى النفوس فأنت بالخيار فى توكيد أحد الضميرين فيه بالآخر واذا كان غير معلوم وهو مما يشك فيه فالأولى حينئذ أن يؤكد أحد الضميرين بالآخر فى الدلالة عليه لتقرره وتثبته (فمما جاء من ذلك) قوله تعالى قالوا ياموسى اما أن تلقي واما أن نكون نحن الملقين فان ارادة السحرة الالقاء قبل موسى لم تكن معلومة عنده لانهم لم يصرحوا بما فى أنفسهم من ذلك لكنهم لما عدلوا عن مقابلة خطابهم موسى بمثله الى توكيد ماهولهم بالضميرين اللذين هما نكون ونحن دل ذلك على أنهم يريدون التقدم عليه والالقاء قبله لأن من شأن مقابلة خطابهم موسى بمثله أن كان قالوا اما أن تلقي واما أن نلقي لتكون الجملتان متقابلتين فحيث قالوا عن أنفسهم واما أن نكون نحن الملقين استدل بهذا القول على رغبتهم فى الالقاء قبله (وأما توكيد المتصل بالمتصل) فكقوله تعالى فى سورة الكهف فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبرا وهذا بخلاف قصة السفينة فانه قال فيها ألم أقل انك لن تستطيع معى صبرا والفرق بين الصورتين أنه أكد الضمير فى الثانية دون الأولى فقال فى الأولى ألم أقل انك وقال فى الثانية ألم أقل لك انك وإنما جيء بذلك للزيادة فى مكافحة العتاب على رفض الوصية مرة على مرة والوسم بعدم الصبر وهذا كما لو أتى الانسان مانهيته عنه فلمته وعنفته ثم أتى ذلك مرة ثانية أليس انك تزيد فى لومه وتعنيفه وكذلك فعل ههنا فانه قيل فى الملامة أولا ألم أقل انك ثم قيل ثانيا ألم أقل لك انك وهذا موضع يدق عن العثور عليه ببادرة النظر مالم يعط التأمل فيه حقه (وأما توكيد المتصل بالمنفصل) فنحو قوله تعالى فأوجس فى نفسه خيفة موسى قلنا لاتخف انك أنت الاعلى فتوكيد الضميرين ههنا فى قوله انك أنت الاعلى أنفى للخوف من قلب موسى وأثبت فى نفسه للغلبة والقهر ولو قال لاتخف انك الاعلى أوفأنت الاعلى لم يكن له من التقرير والاثبات لنفى الخوف مالقوله انك أنت الاعلى (وفى هذه الكلمات الثلاث) وهى قوله انك أنت الاعلى ست فوائد (الأولى) ان المشددة التى من شأنها الاثبات لما يأتى بعدها كقولك زيد قائم ثم تقول ان زيدا قائم ففى قولك ان زيدا قائم من الاثبات لقيام زيد ماليس فى قولك زيد قائم (الثانية) تكرير الضمير فى قوله انك أنت ولو اقتصر على أحد الضميرين لما كان بهذه المكانة فى التقرير لغلبة موسى والاثبات لقهره (الثالثة) لام التعريف فى قوله الاعلى ولم يقل أعلى ولا عال لأنه لو قال ذلك لكان قد نكره وكان صالحا لكل واحد من جنسه كقولك رجل فانه يصلح أن يقع على كل واحد من الرجال واذا قلت الرجل فقد خصصته من بين الرجال بالتعريف وجعلته علما فيهم وكذلك جاء قوله تعالى انك أنت الاعلى أى دون غيرك (الرابعة) لفظ أفعل الذى من شأنه التفضيل ولم يقل العالى (الخامسة) اثبات الغلبة له من العلو لأن الغرض من قوله الاعلى أى الاغلب الا أن فى الاعلى زيادة وهى الغلبة من عال (السادسة) الاستئناف وهو قوله تعالى لاتخف انك أنت الاعلى ولم يقل لانك أنت الاعلى لأنه لم يجعل علة انتفاء الخوف عنه كونه عاليا وإنما نفى الخوف عنه أولا بقوله لاتخف ثم استأنف الكلام فقال انك أنت الاعلى فكان ذلك أبلغ فى ايقان موسى عليه السلام بالغلبة والاستعلاء وأثبت لذلك فى نفسه (وربما وقع لبعض الاغمار أن يعترض على ماذكرناه) فى توكيد أحد الضميرين بالآخر فيقول لو كان توكيدهما أبلغ من الاقتصار على أحدهما لورد ذلك عند ذكر الله تعالى نفسه حيث هو أولى بما هو أبلغ وأوكد من القول وقد رأينا فى القرآن الكريم مواضع تختص بذكر الله تعالى وقد ورد فيها أحد الضميرين دون الآخر كقوله عز اسمه قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك

ممدود المكان الخالي والحفى حفى القدم والحافر إذا رقا مقصور بالياء والحفاء مشي الرجل حافيا بلاخف ممدود والنقا من الرمال مقصور يكتب بالألف لأنه يقال فى تثنيته نقوان ونقيان والنقاء من النظافة ممدود والحيا الغيث والخصب مقصور بالألف والحياء من الناقة ومن الاستحياء ممدودان والصبى من الصغر مقصور بالياء والصباء من الشوق ممدود وصبا الريح مقصور بالألف والملا من الأرض مقصور بالألف والملاء من قولك غنى ملىء ممدود والجدا من العطية مقصور والجداء ممدود الغناء تقول هو قليل الجداء عنى والعدى الاعدا مقصور بالياء والعداء الموالاة بين الشيء ممدود

﴿باب حروف المد المستعمل المكسور الأول﴾

الرداء وسلاء السمن والحذاء من النعال والمحاذاة ورثاء الناس وهجاء الحروف والشعر والسقاء والرشاء الحبل والكساء والحباء العطية والنداء من ناديت والشتاء والبناء والخصاء والكراء والشفاء والوجاء نحو من الخصاء والاذاء والطلاء والهناء والبغاء الزناء وخلل بطاء ووكاء القربة والاناء الذى يشرب فيه وجلاء المرأة والسيف وفعلت ذلك ولاء وهداء العروس وأصابهم سباء والغذاء من الطعام وفناء الدار والوعاء والاخاء والاسماء الاطباء

ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير ولم يقل إنك أنت على كل شيء قدير فالموجب لذلك ان كان توكيد أحد الضميرين بالآخر أبلغ من الاقتصار على أحدهما ﴿ الجواب عن ذلك ﴾ أنا نقول قد قدمنا القول فى أول هذا النوع انه إذا كان المعنى المقصود معلوما ثابتا فصاحب الكلام مخير فى توكيد أحد الضميرين بالآخر فان أكد فقد أتى بفضل بيان وان لم يؤكد فلأن ذلك المعنى ثابت لا يفتقر فى تقريره الى زيادة تأكيد كهذه الآية المشار اليها وهى قوله تعالى قل اللهم مالك الملك فان العلم بأن الله على كل شيء قدير لا يفتقر الى تأكيد يقرره وقد ورد ما يجرى مجرى هذه الآية مؤكدا كقوله تعالى وإذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك انك أنت علام الغيوب فوكد فى هذه الآية ولم يؤكد فى الآية الاخرى وقد عرفتك الطريق فى ذلك وأما إذا كان المعنى المقصود غير معلوم وهو مما يشك فيه فالاولى أن يؤكد بالضميرين فى الدلالة عليه كقوله تعالى قلنا لا تخف انك أنت الاعلى فان موسى لم يكن متيقنا أنه غالب للسحرة فلذلك وكد خطابه بالضميرين ليكون أبلغ فى تقرير ذلك فى نفسه (وأما توكيد المنفصل بمنفصل مثله)

فكقول أبى تمام   لا أنت أنت ولا الديار ديار * خف الهوى وتولت الأوطار

فقوله لا أنت أنت ولا الديار ديار من المليح النادر فى هذا الموضع لانه هو هو والديار الديار وانما البواعث التى كانت تبعث على قضاء الاوطار زالت فبقى ذلك الرجل وليس هو هو على الحقيقة ولا الديار فى عينه من الحسن تلك الديار وعلى هذا ورد قول أبى الطيب المتنبى

قبيل أنت أنت وأنت منهم * وجدك بشر الملك الهمام

فقوله أنت أنت من توكيد الضميرين المشار اليهما وفائدته المبالغة فى مدحه ولو مدحه بما شاء الله لما سد مسد قوله أنت أنت أى أنك المشار اليه بالفضل دون غيرك وأما قوله وأنت منهم فخارج عن هذا الباب وهو كلام مستأنف لا يتعلق بتوكيد الضميرين كأنه قال أنت الموصوف بكذا وكذا وأنت من هذا القبيل يريد بذلك مدح قبيله به وهذا البيت لم أمثل به اختيارا له واستجادة وانما مثلت به ليعلم مكان توكيد المنفصل بالمنفصل والا فالبيت ليس من المرضى لأن سبكه سبك عار من الحسن وفيه تقديم وتأخير (وقرأت فى كتاب الاغانى لابى الفرج) ان عمرو ابن ربيعة قال لزياد بن الهبولة ياخير الفتيان اردد على ما أخذته من ابلى فردها عليه وفيها فحلها فنازعه الفحل الى الابل فصرعه عمرو فقال له زياد لو صرعتم يابنى شيبان الرجال كما تصرعون الابل لكنتم أنتم أنتم فقال عمرو له لقد أعطيت قليلا وسمت جليلا وجررت على نفسك ويلا طويلا فقوله لكنتم أنتم أنتم أى أنتم الاشداء أو الشجعان أو ذوو النجدة والبأس أو ما جرى هذا المجرى الآن فى أنتم الثانية تخصيصا لهم بهذه الصفة دون غيرهم كأنه قال لكنتم أنتم الشجعان دون غيركم ولو مدحهم بأى شيء مدحهم من وصف البأس والشدة والشجاعة لما بلغ هذه الكلمة أعنى أنتم الثانية وهذا موضع من علم البيان تتكاثر محاسنه فاعرفه (النوع السادس فى عطف المظهر على ضميره والافصاح به بعده) وهذا انما يعمد اليه لفائدة وهى تعظيم شأن الامر الذى أظهر عنده الاسم المضمر أولا ومثال ذلك قول القائل ولما تلاقينا وبنو تميم أقبلوا نحونا يركضون فرأينا منهم أسودا اشكلا تسابق الاسنة الى الورود ولا ترتد على أعقابها إذا ارتدت أمثالها من الاسود وتناجد بنو تميم علينا بجملة فلذنا بالفرار واستبقنا الى تولية الادبار فانه إنما قيل وتناجد بنو تميم مصرحا باسمهم ولم يقل وتناجدوا كما قيل أقبلوا للدلالة على التعجب من

والطلاء الشراب والغطاء والعشاء وقت صلاة العتمة والخفاء الكساء والجلاء مصدر جلوت العروس والشواء والمراء والاباء والكفاء من الكفؤ واللحاء الملاحاة وبالرفاء والبنين والغشاء واللقاء هذا كله مكسور الاول ﴿ ومن الممدود المفتوح الاول ﴾ العطاء والغناء والسماء والثناء والفناء والبقاء والنماء والهباء وبرح الخفاء والغلاء وداء عياء والبذاء والبهاء وزجاء الخراج تيسر جبايته والوطاء والزماء بقية النفس والوفاء والقضاء والشقاء واللقاء والعزاء والبلاء والحساء والولاء فى العتق والزكاء والرخاء والدهاء وعليه العفاء والفضاء والعناء والدواء والجفاء والثواء والخلاء من الخلوة والخلاء أيضا المتوضاء والجلاء الامر الجلى وكذلك هو من الخروج عن الموضع والجزاء والوحاء من توحيت والبداء من بدا له فى الامر والنجاء مصدر نجوت والعراء والوضاء الحسن والذكاء من ذكوت والقواء من أقوى المنزل والغثاء من غثا العود يغثو والقساء من قسوة القلب والعداء الظلم والاناء

وهى النخل الصغار ﴿ومن الممدود المضموم أوله﴾ الدعاء والحداء والرغاء والبكاء والثغاء والمكاء والضغاء والعواء
(وكل الاصوات ممدود مضموم الاول) الا ان الغناء والنداء مكسوران والغثاء والجفاء مارماه الوادى وزقاء الديك والمكاء الصفير والمكاء مشدد طائر والرخاء الريح اللينة والملاء جمع ملاءة وهم زهاء كذا أى مقدار كذا وسلاء النخل ولفلان رواء أى منظر وبغيت الشىء بغاء

﴿باب ما يمد ويقصر﴾

(الزناء) يمد ويقصر وإذا قصر كتب بالياء (والشراء) يمد ويقصر وإذا قصر كتب بالياء (والشقاء) يمد ويقصر وإذا قصر كتب بالالف (والضواء) يمد ويقصر وإذا قصر كتب بالياء (والوناء) يمد ويقصر وإذا قصر كتب بالياء (والبكاء) يمد ويقصر وإذا قصر كتب بالياء قال الشاعر

بكت عينى وحق لها بكاها
وما يغنى البكاء ولا العويل

(والدهناء) تمد وتقصر وإذا قصرت كتبت بالالف (والهيجاء) كذلك (وبخوى) كلامه يمد ويقصر (وهؤلاء) يمد ويقصر فيكتب إذا قصر بالياء (وحروف المعجم) يمددن ويقصرن وإذا قصرن كتبت كل واحدة منهن بالالف الا الزاى فانها تكتب بياء بعد ألف

اقدامهم عند الحملة وثباتهم عند الصدمة لاسيما وقد أردف ذلك بقوله لذنا بالفرار واستبقنا الى تولية الادبار كأنه قال وتناجد أولئك الفرسان المشاهير والكماة المناكير وحملوا علينا حملة واحدة فولينا مدبرين منهزمين (ومما جاء من ذلك) قوله تعالى أولم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة ألا ترى كيف صرح باسمه تعالى فى قوله ثم الله ينشىء النشأة الآخرة مع ايقاعه مبتدأ فى قوله كيف يبدىء الله الخلق وقد كان القياس أن يقول كيف يبدىء الله الخلق ثم ينشىء النشأة الآخرة والفائدة فى ذلك أنه لما كانت الاعادة عندهم من الامور العظيمة وكان صدر الكلام واقعا معهم فى الابداء وقررهم أن ذلك من الله احتج عليهم بأن الاعادة انشاء مثل الابداء واذا كان الله الذى لا يعجزه شىء هو الذى لا يعجزه الابداء فوجب أن لا يعجزه الاعادة فللدلالة والتنبيه على عظم هذا الامر الذى هو الاعادة أبرز اسمه تعالى وأوقعه مبتدأ ثانيا وعلى هذا ورد قوله تعالى ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ألا ترى أنه قال أولا ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فذكر مضمرا تقدم الكلام فيه ثم عطف المظهر الذى هو له وهو قوله ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وكان العطف لو أضمر كما أضمر الاول لقيل ثم أنزل الله سكينته عليكم وأنزل جنودا لم تروها وفائدة الاظهار ههنا للمعطوف بعد اضماره أولا التنويه بذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر المؤمنين أولان الامر عظيم وهو الانتصار بعد الفرار فأى الامرين قدر كان لاظهار المعطوف مناسبا وهكذا يكون عطف المظهر على ضميره فانه يستند الى فائدة يهم ذكرها فان لم يكن هناك مثل هذه الفائدة والا فلا يحسن الاظهار بعد الاضمار وكذلك جاء قوله تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين فانه انما قال وقال الذين كفروا ولم يقل وقالوا كالذى قبله للدلالة على صدور ذلك عن انكار عظيم وغضب شديد وتعجب من كفرهم بليغ لاسيما وقد انضاف اليه قوله وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ومافيه من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما فى ذلك من المبادهة كأنه قال وقال أولئك الكفرة المتمردون بجراءتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق المبين قبل أن يتدبروه ان هذا الا سحر مبين وعلى نحو من ذلك ورد قوله تعالى ص والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزة وشقاق كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب وكان القياس أن يقال وقالوا هذا ساحر كذاب عطفا على عجبوا وانما أتى باسم الكافرين مظهرا بعد اضماره للاشعار بتعظيم ما اجترؤا عليه من القول فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم أو لأن هذا القول كان أهم عندهم وأرسخ فى نفوسهم فصرح باسم قائله دلالة على ما كان فى أنفسهم منه (النوع السابع فى التفسير بعد الابهام) اعلم أن هذا النوع لا يعمد الا استعماله الا لضرب من المبالغة فاذا جىء به فى كلام فانما يفعل ذلك لتفخيم أمر المبهم واعظامه لانه هو الذى يطرق السمع أولا فيذهب بالسامع كل مذهب كقوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ففسر ذلك الامر بقوله أن دابر هؤلاء مقطوع وفى ابهامه أولا وتفسيره بعد ذلك تفخيم للامر وتعظيم لشأنه فانه لو قال وقضينا اليه أن دابر هؤلاء مقطوع لما كان بهذه المكانة من الفخامة فان الابهام أولا يوقع السامع فى حيرة وتفكر واستعظام

لما قرع سمعه وتشوف الى معرفته والاطلاع على كنهه وعلى نحو من هذا جاء قوله تعالى قال قد أوتيت سؤلك ياموسى ولقد مننا عليك مرة أخرى إذ أوحينا الى أمك ما يوحى أن اقذفيه فى التابوت فاقذفيه فى اليم ففسر ما يوحى بقوله أن اقذفيه وهذا كالأول فى ابهامه أولا وتفسيره ثانيا ومثل هذا ورد قوله تعالى فى سورة أم الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم فانه انما قال ذلك ولم يقل اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم لما فى الاول من التنبيه والاشعار بأن الصراط المستقيم هو صراط المؤمنين فدل عليه بأبلغ وجه كما تقول هل أدلك على أكرم الناس وأفضلهم ثم تقول فلان فيكون ذلك أبلغ فى وصفه بالكرم والفضل من قولك هل أدلك على فلان الاكرم الأفضل لانك تثبت ذكره مجملا ومفصلا فجعلته علما فى الكرم والفضل كأنك قلت من أراد رجلا جامعا للخصلتين جميعا فعليه بفلان ﴿فان قيل﴾ فما الفرق بين عطف المظهر على ضميره وبين التفسير بعد الابهام فان المضمر كالمبهم ﴿فالجواب عن ذلك﴾ أنى أقول ان كان سؤالك عن فائدتهما فانهما فى الفائدة سواء وذلك أنهما انما يراد ان لتعظيم الحال والاعلام بفخامة شأنهما وان كان سؤالك عن الفرق بينهما فى العبارة فانى أقول المضمر يأتى بعد مظهر تقدم ذكره أولا ثم يعطف المظهر على ضميره أى على ضمير نفسه كالمثال الذى ضربناه فى بنى تميم وأما التفسير بعد الابهام فان المبهم يقدم أولا وهو أن يذكر شىء يقع عليه محتملات كثيرة ثم يفسر بايقاعه على واحد منها وليس كذلك عطف المظهر على ضميره (ومما جاء من التفسير بعد الابهام) قوله تعالى وقال الذى آمن ياقوم اتبعونى أهدكم سبيل الرشاد ياقوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هى دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ألا ترى كيف قال أهدكم سبيل الرشاد فأبهم سبيل الرشاد ولم يبين أى سبيل هو ثم فسر ذلك فافتتح كلامه بذم الدنيا وتصغير شأنها ثم ثنى ذلك بتعظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتها ثم ثلث بذكر الاعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منهما ليثبط عما يتلف و ينشط لما يزلف كأنه قال سبيل الرشاد هو الاعراض عن الدنيا والرغبة فى الآخرة والامتناع من الاعمال السيئة خوف المقابلة عليها والمسارعة الى الاعمال الصالحة رجاء المجازاة عليها وكذلك ورد قوله تعالى وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل فانه انما قال القواعد من البيت ولم يقل قواعد البيت لما فى ابهام القواعد أولا وتبيينها بعد ذلك من تفخيم حال المبين مما ليس فى الاضافة (ومما يجرى هذا المجرى) قوله تعالى وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات فأطلع الى إله موسى فانه لما أراد تفخيم ما أمل فرعون من بلوغه أسباب السموات أبهمها أولا ثم فسرها ثانيا ولانه لما كان بلوغها أمرا عجيبا أراد أن يورده على نفس متشوفة اليه ليعطيه السامع حقه من التعجب فأبهمه ليشوف اليه نفس هامان ثم أوضحه بعد ذلك (وعلى هذا الاسلوب) ورد قوله تعالى قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد فانه قال أولا أعظكم بواحدة فأبهم الواحدة ثم فسرها بقوله أن تقوموا لله مثنى وفرادى وأن تتفكروا وهذا فى القرآن الكريم كثير الاستعمال (وأما الابهام من غير تفسير) فكثير شائع فى القرآن الكريم أيضا كقوله تعالى وفعلت فعلتك التى فعلت وكذلك ورد قوله تعالى ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم أى للطريقة أو الحالة أو الملة التى هى أقومها وأسدها وأى ذلك قدرت لم تجد له مع الافصاح ذوق البلاغة التى تجده مع الابهام وذلك لذهاب الوهم فيه كل مذهب

كل ذلك إذا كسر أوله قصر وكتب بالياء (واذا فتح مد) واللقاء والبناء اذا كسر أولهما مدا واذا ضم أولهما قصر (وكتبا بالياء) وغمى البيت وغر السرج وهو فداء لك (كل اذا فتح أوله قصر وكتب بالياء) خلا غرا السرج فانه يكتب بالالف واذا كسر أول ذلك كله مد والنعما والبؤسا والعليا والرغبى والضحى والعلى (كل ذلك اذا ضم أوله قصر وكتب بالياء) الا العليا فانها تكتب بالالف كراهة لاجتماع ياءين (واذا فتح أول ذلك كله مد) والباقلى والباقلاء والمرعزى والمرعزاء والقبيطى والقبيطاء (اذا خفف مد واذا شدد قصر) تم كتاب الهجا بحمد الله ومنه

﴿هذا كتاب تقويم اللسان﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿باب الحرفين يتقاربان فى اللفظ وفى المعنى ويلتبسان فربما وضع الناس أحدهما موضع الآخر﴾

قالوا عظم الشىء أكثره وعظمه نفسه وكبر الشىء معظمه قال الله عزوجل والذى تولى كبره منهم له

 عذاب عظيم وقال قيس بن الخطيم يشكر المرأة تنام عن كبر شأنها فاذا قامت رويدا تكاد تنغرف

وايقاعه على محتملات كثيرة وهذا كقول القائل لو رأيت عليا بين الصفين فانه لو وصفه مهما وصف من نجدة وشجاعة وثبات واقدام وأطال القول فى ذلك لم يكن بمثابة مايترامى اليه الوهم مع الابهام وهذا للعارف برموز هذه الصناعة وأسرارها (وعلى هذا الاسلوب) ورد قوله تعالى فغشيهم من اليم ماغشيهم وأبلغ من ذلك قوله تعالى والمؤتفكة أهوى فغشاها ماغشى فانه قال فى تلك الآية فغشيهم من اليم ماغشيهم فذكر اليم وهو البحر فصار الذى غشيهم انما هو منه خاصة وقال فى هذه الآية فغشاها ماغشى فأبهم الامر الذى غشاها به وجعله عاما وذلك أبلغ لان السامع يذهب وهمه فيه كل مذهب وأماماجاء من ذلك شعرا فكقول البحترى

بعيد مقبل الصدر لايقبل التى * يحاولها منه الاريب المخادع

فقوله التى يحاولها من الابهام المقدم ذكره فى الآية (ومما ينتظم بذلك) قول الشاعر فى أبيات الحماسة

صبا ماصبا حتى علا الشيب رأسه * فلما علاه قال للباطل ابعد

فقوله صبا ماصبا من الابهام الذى لو قدرت ماقدرت فى تفسيره لم تجد له من فضيلة البيان ماتجده مع الابهام (وعليه ورد) قول أبى نواس

ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم * وأسمت سرح اللحظ حين أساموا
وبلغت مابلغ امرؤ بشبابه * فاذا عصارة كل ذاك اثام

فقوله وبلغت مابلغ امرؤ بشبابه من هذا النمط المشار اليه وهو من المليح النادر (ومما يجرى على هذا النهج) قول الآخر فى وصف الخمر

مضى بها مامضى من عقل شاربها * وفى الزجاجة باق يطلب الباقى

والكلام على هذا البيت كالكلام على البيت الذى قبله (ومثله ورد) قول بعض المتأخرين فؤاد فيه مافيه وعلى هذا ورد قولى فى فصل من تقليد لبعض الوزراء فقلت وأنت مؤهل لواحدة متخلق لها غرر الجياد وتناديها العلياء بلسان الاحماد وتفخر بها سمر الاقلام على سمر الصعاد فابسط يدك لأخذ كتابها واسمع لطيب ذكرها بعد سعيك فى طلابها واعلم أن الخطاب اليها كثير لكنها صدت بك عن خطابها ولقد مضى عليها زمن وهى تفور حتى استقادها الآن تأنيسك ولم تسبق الاقدار باسمك الا لتكون سليمانها وهى بلقيسك وهذا الوزير كان اسمه سليمان فسقت المعنى اليه فجاء كما تراه من الحسن واللطافة وأما قولى وأنت مؤهل لواحدة فانه من الابهام من غير تفسير وذلك بخلاف ماورد فى الآية المقدم ذكرها لان تلك من التفسير بعد الابهام (ومما ينتظم فى هذا السلك) الاستثناء العددى وهو ضرب من المبالغة لطيف المأخذ وفائدته أنه أول مايطرق سمع المخاطب ذكر العقد من العدد فيكثر موقع ذلك عنده وهو شبيه بما ذكرناه من الابهام أولا ثم التفسير بعده ثانيا وذلك كقول القائل أعطيته مائة إلا عشرة أو أعطيته ألفا إلا مائة فان ذلك أبلغ من أن لو قال أعطيته تسعين أو تسعمائة (وعليه ورد) قوله تعالى ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما ولم يقل تسعمائة وخمسين عاما لفائدة حسنة وهى ذكر ماابتلى به نوح من أمته وما كابده من طول المصابرة ليكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيمايلقاه من أمته وتثبيتا له فان ذكر رأس العدد الذى هو منتهى العقود وأعظمها أوقع وأوصل الى الغرض من استطالة السامع مدة صبره ومالاقاه من قومه (النوع الثامن فى استعمال العام فى النفى والخاص فى الاثبات) اعلم انه اذا كان الشيآن أحدهما خاصا والآخر عاما فان استعمال العام فى حالة النفى أبلغ من استعماله فى حالة الاثبات وكذلك استعمال الخاص فى حالة الاثبات أبلغ من استعماله

فعلت ذلك بجهد وتقول اجهد جهدك ومنهم من يجعل الجهد والجهد واحدا ويحتج بقول الله تعالى والذين لايجدون إلا جهدهم وقد قرى جهدهم (والكره) المشقة يقال جئتك على كره أى على مشقة ويقال أقامنى على كره اذا أكرهك غيرك عليه ومنهم من يجعل الكره والكره واحدا (وعرض الشىء) احدى نواحيه وعرض الشىء خلاف طوله (وربض الشىء) وسطه وربضه نواحيه ومنه قيل ربض المدينة (والميل) بسكون الياء ماكان فعلا يقال مال عن الحق ميلا والميل مفتوح الياء ماكان خلقة تقول فى عنقه ميل (والغبن) فى الشرا والبيع والغبن فى الرأى يقال فى رأيه غبن وقد غبن رأيه كما يقال فى سفه رأيه (والحمل) حمل كل أنثى وكل شجرة قال الله عز وجل حملت حملا خفيفا والحمل ما كان على ظهر الانسان (فلان قرن فلان) اذا كان مثله فى السن وقرنه اذا كان مثله فى الشدة (وعدل الشىء) بفتح العين مثله قال الله سبحانه أو عدل ذلك صياما

فى حالة النفى (ومثال ذلك) الانسانية والحيوانية فان اثبات الانسانية يوجب اثبات الحيوانية ولا يوجب نفيها نفى الحيوانية وكذلك نفى الحيوانية يوجب نفى الانسانية ولا يوجب اثباتها إثبات الانسانية (ومما ينتظم بذلك) الأسماء المفردة الواقعة على الجنس التى يكون بينها و بين واحدها تاء التأنيث فانه متى أريد النفى كان استعمال واحدها أبلغ ومتى أريد الاثبات كان استعمالها أبلغ (وكذلك يتصل بهذا النوع) الصفتان الواردتان على شىء واحد فانه إذا لزم من وجود احداهما وجود الأخرى اكتفى بها فى الذكر ولم يحتج إلى ذكر الأخرى لأنه يجىء ضمنا وتبعا أو أن يبدأ بها فى الذكر أولا ثم تجىء الأخرى بعدها وأما الصفات المتعددة فانه ينبغى أن يبدأ فى الذكر بالادنى مرتبة ثم بعدها بما هو أعلى منها إلى أن ينتهى إلى آخرها هذا فى مقام المدح فان كان فى مقام الذم عكست القضية فالأول وهو الخاص والعام نحو قوله تعالى مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم ولم يقل ذهب بضوئهم موازنا لقوله فلما أضاءت لأن ذكر النور فى حالة النفى أبلغ من حيث أن الضوء فيه الدلالة على النور وزيادة فلو قال ذهب الله بضوئهم لكان المعنى يعطى ذهاب تلك الزيادة و بقاء ما يسمى نوراً لأن الاضاءة هى فرط الانارة قال الله تعالى هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا فكل ضوء نور وليس كل نور ضوء فالغرض من قوله تعالى ذهب الله بنورهم إنما هو ازالة النور عنهم أصلا فهو إذا أزاله فقد أزال الضوء وكذلك أيضا قوله تعالى ذهب الله بنورهم ولم يقل أذهب نورهم لان كل من ذهب بشى فقد أذهبه وليس كل من أذهب شيئا فقد ذهب به لان الذهاب بالشىء هو استصحاب له ومضىٌّ به وفى ذلك نوع احتجار بالمذهوب به وامساك له عن الرجوع إلى حالته والعود إلى مكانه وليس كذلك الاذهاب للشىء لزوال معنى الاحتجار عنه (ومما يحمل على ذلك) الأوصاف الخاصة إذا وقعت على شيئين وكان يلزم من وصف أحدهما وصف الآخر ولا يلزم عكس ذلك ومثاله قوله تعالى سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض فانه إنما خص العرض بالذكر دون الطول للمعنى الذى أشرنا اليه والمراد بذلك انه اذا كان هذا عرضها فكيف يكون طولها وهذا فى حالة الاثبات ولو أريد النفى لكان له أسلوب غير ما ذكرناه وهو أنه كان يخص به الطول دون العرض (واما الاسماء المفردة الواقعة على الجنس) فنحو قوله تعالى فى قصة نوح عليه السلام قال الملأ من قومه انا لنراك فى ضلال مبين قال ياقوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين فانه انما قال ليس بى ضلالة ولم يقل ليس بى ضلال كما قالوا لأن نفى الضلالة أبلغ من نفى الضلال عنه كما لو قيل ألك تمر فقلت فى الجواب مالى تمرة وذلك أنفى للتمر ولو قلت مالى تمر لما كان يؤدى من المعنى ما أداه القول الاول وفى هذا الموضع دقة تحتاج الى فضل تام فينبغى لصاحب هذه الصناعة مراعاته والعناية به ﴿فان قيل﴾ لا فرق بين الضلالة والضلال وكلاهما مصدر قولنا ضل يضل ضلالا وضل يضل ضلالة كما يقال لذ يلذ لذاذة (فالجواب) عن ذلك أن الضلالة تكون مصدرا كما قلت وتكون عبارة عن المرة الواحدة تقول ضل يضل ضلالة أى مرة واحدة كما تقول ضرب يضرب ضربة وقام يقوم قومة وأكل يأكل أكلة والمراد بالضلالة فى هذه الآية انما هو عبارة عن المرة الواحدة من الضلال فقد نفى ما فوقها من المرتين والمرار الكثيرة (وأما الصفتان الواردتان على شىء واحد) فكقول الاشتر النخعى

حلقت وفدى وانحرفت على العلى * ولقيت أضيافى بوجه عبوس

ان لم أشن على ابن حرب غارة * لم تخل يوما من نهاب نفوس

الابل وقوائمها قال النابغة حملت على ذنبه وتركته كذى العر يكوى غيره وهو راتع وأما العرر فقصر السنام وجئت فى عقب الشهر اذا جئت بعد ما يمضى وجئت فى عقبه إذا جئت وقد بقيت منه بقية (والقرح) يقال انه وجع الجراحات والقرح الجراحات باعيانها (والضلع) الميل يقال ضلع فلان مع فلان أى ميله وقد ضلعت على أى ملت والضلع الاعوجاج (والسكن) أهل الدار والسكن ماسكنت اليه (والذبح) مصدر ذبحت والذبح المذبوح والرعى مصدر رعيت والرعى الكلاء (والطحن) مصدر طحنت والطحن الدقيق (والقسم) مصدر قسمت والقسم النصيب (والسقى) مصدر سقيت والسقى النصيب يقال كم سقى أرضك أى نصيبها من الشرب (والسمع) مصدر سمعت والسمع الذكر يقال ذهب سمعه فى الناس ونحو منه الصوت صوت الانسان والصيت الذكر يقال ذهب صيته فى الناس والغسل مصدر غسلت والغسل الخطمى وكل ماغسل به الرأس

خيلا كأمثال السعالى شزبا * تعدو ببيض فى الكريهة شوس
حمى الحديد عليهمو فكأنه * لمعان برق أو شعاع شموس

ألا ترى أنه رقى فى التشبيه من الأدنى إلى الأعلى فقال لمعان برق أو شعاع شموس لأن لمعان البرق دون شعاع الشموس (ومما ورد من ذلك فى القرآن الكريم) قوله تعالى ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها فان وجود المؤاخذة على الصغيرة يلزم منه وجود المؤاخذة على الكبيرة وعلى القياس المشار اليه أولا فينبغى أن يكون لا يغادر كبيرة ولا صغيرة لانه إذا لم يغادر صغيرة فمن الاولى أن لا يغادر كبيرة وأما إذا لم يغادر كبيرة فانه يجوز أن يغادر صغيرة لانه إذا لم يعف عن الصغيرة فيقضى القياس أنه لا يعفو عن الكبيرة وإذا لم يعف عن الكبيرة فيجوز أن يعفو عن الصغيرة غير أن القرآن الكريم أحق أن يتبع وأجدر بأن يقاس عليه لا على غيره والذى ورد فيه من هذه الآية ناقض لما تقدم ذكره (وكذلك ورد قوله تعالى) فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما لان التأفيف أدنى درجة وقد تقدم قولى فى أول هذا النوع أنه إذا جاءت صفتان يلزم من وجود احداهما وجود الاخرى أن يكتفى بذكرها دون الاخرى لان الاخرى تجىء ضمنا وتبعا وأن يبدأ بها فى الذكر ثم تجىء الاخرى بعدها وعلى هذا فيقال أولا فلا تنهرهما ولا تقل لهما أف لكن إذا لم يقل لهما أف امتنع أن ينهرهما وقد كان هذا هو المذهب عندى حتى وجدت كتاب الله تعالى قد ورد بخلافه وحينئذ عدت عما كنت أراه وأقول به (وأما الصفات المتعددة الواردة على شىء واحد) فكقول أبى عبادة البحترى فى وصف نحول الركاب

يترقرقن كالسراب وقد خضـ * ـن غمارا من السراب الجارى
كالقسى المعطفات بل الاسـ * ـهم مبرية بل الاوتار

ألا ترى أنه رقى فى تشبيه نحولها من الادنى إلى الاعلى فشبهها أولا بالقسى ثم بالاسهم المبرية وتلك أبلغ فى النحول ثم بالاوتار وهى أبلغ فى النحول من الاسهم وكذلك ينبغى أن يكون الاستعمال فى مثل هذا الباب وقد أغفل كثير من الشعراء ذلك فمن جملتهم أبو الطيب المتنبى فى قوله

يا بدر يا بحر يا غمامة يا * ليث الشرى يا حمام يا رجل

وينبغى أن يبدأ فيه بالادنى فالادنى فانه إذا فعل ذلك كان كالمرتفع من محل إلى محل أعلى منه وإذا خالفه كان كالمنخفض من محل إلى محل أدنى منه فأما قوله يا بدر فانه اسم الممدوح والابتداء به أولى ثم بعده فيجب أن يقول يا رجل يا ليث يا غمامة يا بحر يا حمام لان الليث أعظم من الرجل والبحر أعظم من الغمامة والحمام أعظم من البحر وهذا مقام مدح فيجب ان يرقى فيه من منزلة إلى منزلة حتى ينتهى إلى المنزلة العليا آخرا ولو كان مقام ذم لعكس القضية وعلى مثله ورد قول أبى تمام يفتخر

سمابى أوس فى الفخار وحاتم * وزيد القنا والاثرمان ورافع
نجوم طوالع جبال قوارع * غيوث هوامع سيول دوافع

فان السيول دون الغيوث والجبال دون النجوم ولو قدم ما أخر لما اختل النظم بأن قال

سيول دوافع غيوث هوامع * جبال قوارع نجوم طوالع

وهذا عندى أشد ملامة من المتنبى لان المتنبى لا يمكنه تقديم ألفاظ بيته وتأخيرها وأبو تمام متمكن من ذلك وما أعلم كيف ذهب عليه هذا الموضع مع معرفته بالمعانى (النوع التاسع فى التقديم والتأخير) وهذا باب طويل عريض يشتمل على أسرار دقيقة منها ما استخرجته أنا ومنها ما وجدته فى أقوال علماء البيان وسأورد ذلك مبينا (وهو ضربان) الاول يختص بدلالة الالفاظ

سبيت والسب الذى يسابك (والنكس) مصدر نكست والنكس الفسل من الرجال مشبه بالنكس من السهام وهو الذى نكس والنكس بالضم هو أن ينكس الرجل فى علته (والقد) مصدر قددت السير والقد السير (والضر) الهزال وسوء الحال والضر ضد النفع (والغول) البعد والغول ما اغتال الانسان فأهلكه (والطعم) الطعام والطعم الشهوة قال أبو خراش

أرد شجاع البطن قد تعلمينه
وأوثر غيرى من عيالك بالطعم

بضم الطاء (وقال)

واغتبق الماء القراح فانتهى
إذا الزاد أمسى للمزلج ذا طعم

بفتح الطاء والطعم أيضا ما يؤديه الذوق (والهجر) الافحاش فى المنطق يقال اهجر الرجل فى منطقه والهجر الهذيان يقال هجر الرجل فى كلامه (والكور) كور الحداد المبنى من طين والكير زق الحداد (والحرم) الحرام وكذلك الحل الحلال يقال حرم وحرام وحل وحلال قال الله عز وجل وحرام على قرية وقرئت وحرم على قرية والحرم الاحرام (والجرم) البدن والجرم الذنب (والسلم) الصلح والسلم

على المعانى ولو أخر المقدم أو قدم المؤخر لتغير المعنى والثانى يختص بدرجة التقدم فى الذكر لاختصاصه بما يوجب له ذلك ولو أخر لما تغير المعنى (فأما الضرب الاول فانه ينقسم الى قسمين) أحدهما يكون التقديم فيه هو الأبلغ والآخر يكون التأخير فيه هو الأبلغ (فأما القسم الذى يكون التقديم فيه هو الأبلغ) فكتقديم المفعول على الفعل وتقديم الخبر على المبتدا وتقديم الظرف أو الحال أو الاستثناء على العامل فمن ذلك تقديم المفعول على الفعل كقولك زيداً ضربت وضربت زيداً فان قولك زيداً ضربت تخصيصاً له بالضرب دون غيره وذلك بخلاف قولك ضربت زيداً لانك اذا قدمت الفعل كنت بالخيار فى ايقاعه على أى مفعول شئت بأن تقول ضربت خالداً أو بكراً أو غيرهما واذا أخرته لزم الاختصاص للمفعول وكذلك تقديم خبر المبتدا عليه كقولك زيد قائم وقائم زيد فقولك قائم زيد قد أثبت له القيام دون غيره وقولك زيد قائم أنت بالخيار فى اثبات القيام له ونفيه عنه بأن تقول ضارب أو جالس أو غير ذلك وهكذا يجرى الحكم فى تقديم الظرف كقولك ان الى مصير هذا الأمر وقولك ان مصير هذا الأمر الى فان تقديم الظرف دل على أن مصير الأمر ليس الا اليك وذلك بخلاف قولك ان مصير هذا الأمر الى اذ يحتمل ايقاع الكلام بعد الظرف على غيرك فيقال الى زيد أو عمرو أو غيرهما وكذلك يجرى الامر فى الحال والاستثناء وقال علماء البيان ومنهم الزمخشرى رحمه الله ان تقديم هذه الصورة المذكورة انما هو للاختصاص وليس كذلك والذى عندى فيه أن يستعمل على وجهين أحدهما الاختصاص والآخر مراعاة نظم الكلام وذاك أن يكون نظمه لا يحسن الا بالتقديم واذا أخر المقدم ذهب ذلك الحسن وهذا الوجه أبلغ وأوكد من الاختصاص فأما الأول الذى هو الاختصاص فنحو قوله تعالى أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين فانه انما قيل بل الله فاعبد ولم يقل بل اعبد الله لانه اذا تقدم وجب اختصاص العبادة به دون غيره ولو قال بل اعبد لجاز ايقاع الفعل على أى مفعول شاء وأما الوجه الثانى الذى يختص بنظم الكلام فنحو قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين وقد ذكر الزمخشرى فى تفسيره أن التقديم فى هذا الموضع قصد به الاختصاص وليس كذلك فانه لم يقدم المفعول فيه على الفعل للاختصاص وانما قدم لمكان نظم الكلام لانه لو قال نعبدك ونستعينك لم يكن له من الحسن ما لقوله اياك نعبد واياك نستعين ألا ترى أنه تقدم قوله تعالى الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين فجاء بعد ذلك قوله اياك نعبد واياك نستعين وذاك لمراعاة حسن النظم السجعى الذى هو على حرف النون ولو قال نعبدك ونستعينك لذهبت تلك الطلاوة وزال ذلك الحسن وهذا غير خاف على أحد من الناس فضلا عن أرباب علم البيان وعلى نحو منه ورد قوله تعالى فأوجس فى نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك أنت الأعلى وتقدير الكلام فأوجس موسى فى نفسه خيفة وانما قدم المفعول على الفاعل وفصل بين الفعل والفاعل بالمفعول وبحرف الجر قصدا لتحسين النظم وعلى هذا فليس كل تقديم لما مكانه التأخير من باب الاختصاص فبطل اذاً ما ذهب اليه الزمخشرى وغيره (ومما ورد من هذا الباب) قوله تعالى خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه فان تقديم الجحيم على التصلية وان كان فيه تقديم المفعول على الفعل الا أنه لم يكن ههنا للاختصاص وانما هو للفضيلة السجعية ولا مراء فى أن هذا النظم على هذه الصورة أحسن من أن لو قيل خذوه فغلوه ثم صلوه الجحيم (فان قيل) انما قدمت الجحيم للاختصاص لانها نار عظيمة ولو أخرت لجاز وقوع الفعل على غيرها كما يقال ضربت زيدا وزيدا ضربت وقد تقدم الكلام على ذلك (فالجواب عن ذلك)

الاستسلام (والارب) الدهى يقال رجل ذو أرب ذو دهاء والأرب الحاجة (والورق) (١٨١) المال من الدراهم والورق المال من الغنم والابل (والعوج) فى الدين والأرض قال الله عز وجل وتبغونها عوجا والعوج فى غيره ما خالف الاستواء وكان قائما مثل الخشبة والحائط ونحوه (والنصب) الشر قال الله عز وجل بنصب وعذاب النصب ما نصب قال الله عز وجل كأنهم الى نصب يوفضون وهو النصب أيضا والنصب التعب قال الله تعالى لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا (الذل) ضد الصعوبة والذل ضد العز يقال دابة ذلول بين الذل اذا لم يكن صعبا ورجل ذليل بين الذل (واللقط) مصدر لقطت واللقط ما سقط من ثمر الشجر فلقط (والنفض) مصدر نفضت الشىء والنفض ما سقط من الشىء تنفضه (والخبط) مصدر خبطت الشىء خبطا والخبط ما سقط عن الشىء تخبطه من ذلك خبط الابل الذى توجره انما هو ورق الشجر يخبط فيتنثر (والخلف) الردى من القول ومنه قولهم فى المثل سكت ألفا ونطق خلفا ويقال هذا خلف سوء قال الله عز وجل فخلف من بعدهم خلف وهذا خلف من هذا اذا قام مقامه (والمرط) النتف والمرط ذهاب الشعر (والحور) الرجوع عن الشىء ومنه أعوذ بالله من الحور بعد الكور والحور النقصان قال الشاعر

لا تبخلي فان الدهر ذو (١٨٢) غير * الذم يبقى وزاد القوم في حور (والاكل) مصدر أكلت والأكل المأكول

أن الدرك الأسفل أعظم من الجحيم فكان ينبغي أن يخلص بالذكر دون الجحيم على ما ذهب اليه لانه أعظم وهذا لا يذهب اليه إلا من هو بنجوة عن رموز الفصاحة والبلاغة ولفظة الجحيم ههنا في هذه الآية أولى بالاستعمال من غيرها لانها جاءت ملائمة لنظم الكلام ألا ترى أن من أسماء النار السعير ولظى وجهنم ولو وضع بعض هذه الأسماء مكان الجحيم لما كان له من الطلاوة والحسن ما للجحيم والمقصود بذكر الجحيم انما هو النار أي صلوه النار وهكذا يقال في ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه فانه لم يقدم السلسلة على السلك للاختصاص وانما قدمت لمكان نظم الكلام ولاشك أن هذا النظم أحسن من أن لو قيل ثم اسلكوه في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا والكلام على هذا كالكلام على الذي قبله وله في القرآن نظائر كثيرة ألا ترى إلى قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم فقوله والقمر قدرناه منازل ليس تقديم المفعول فيه على الفعل من باب الاختصاص وانما هو من باب مراعاة نظم الكلام فانه قال والليل نسلخ منه النهار ثم قال والشمس تجري فاقتضى حسن النظم أن يقول والقمر قدرناه ليكون الجميع على نسق واحد في النظم ولو قال وقدرنا القمر منازل لما كان بتلك الصورة في الحسن وعليه ورد قوله تعالى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وانما قدم المفعول لمكان حسن النظم السجعي (وأما تقديم خبر المبتدا عليه) فقد تقدمت صورته كقولك زيد قائم وقائم زيد فمما ورد منه في القرآن الكريم قوله تعالى وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فانه انما قال ذلك ولم يقل وظنوا أن حصونهم تمنعهم أو مانعتهم لان في تقديم الخبر الذي هو مانعتهم على المبتدا الذي هو حصونهم دليلا على فرط اعتقادهم في حصانتها وزيادة وثوقهم بمنعها اياهم وفي تصويب ضميرهم اسماً لأن واسناد الجملة اليه دليل على تقريرهم في أنفسهم أنهم في عزة وامتناع لا يبالي معها بقصد قاصد ولا تعرض متعرض وليس شيء من ذلك في قولك وظنوا أن حصونهم مانعتهم من الله (ومن تقديم خبر المبتدا) قوله تعالى قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم فانه انما قدم خبر المبتدا عليه في قوله أراغب أنت ولم يقل أأنت راغب لانه كان أهم عنده وهو به شديد العناية وفي ذلك ضرب من التعجب والانكار لرغبة ابراهيم عن آلهته وان آلهته لا ينبغي أن يرغب عنها وهذا بخلاف ما لو قال أأنت راغب عن آلهتي (ومن غامض هذا الموضع) قوله تعالى واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا فانه انما قال ذلك ولم يقل فاذا أبصار الذين كفروا شاخصة لامرين أحدهما تخصيص الأبصار بالشخوص دون غيرها أما الأول فلو قال فاذا أبصار الذين كفروا شاخصة لجاز أن يضع موضع شاخصة غيره فيقول حائرة أو مطموسة أو غير ذلك فلما قدم الضمير اختص الشخوص بالأبصار دون غيرها وأما الثاني فانه لما أراد أن الشخوص خاص بهم دون غيرهم دل عليه بتقديم الضمير أولا ثم بصاحبه ثانيا كأنه قال فاذا هم شاخصون دون غيرهم ولولا أنه أراد هذين الأمرين المشار اليهما لقال فاذا أبصار الذين كفروا شاخصة لانه أخصر بحذف الضمير من الكلام (ومن هذا النوع) قول النبي صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن ماء البحر فقال هو الطهور ماؤه الحل ميتته وتقدير الكلام هو الذي ماؤه طهور وميتته حل لان الألف واللام ههنا بمعنى الذي (وأما تقديم الظرف) فانه إذا كان الكلام مقصودا به الاثبات فان تقديمه أولى من تأخيره وفائدته اسناد الكلام الواقع بعده الى صاحب الظرف دون غيره فاذا أريد بالكلام النفي فيحسن فيه تقديم الظرف وتأخيره وكلا هذين الأمرين له موضع

وفلان ذو أكل إذا كان ذا جد وحظ تقول لآتيك إلى عشر من ذي قبل لا غير أي الى عشر فيما استأنف ورأيت الهلال قبلا في أول ما يرى ولا قبل لي بفلان أي لا طاقة لي ورأيت فلانا قبلا وقبلا وقبلا أي عيانا (والعذق) النخلة نفسها والعذق الكباسة (والشق) الصدع في عود أو زجاجة والشق نصف الشيء وهو أيضا المشقة (امرأة حصان) بفتح الحاء العفيفة وفرس حصان (وجمام) الفرس بالفتح وجمام المكوك بالضم (والسداد) في المنطق والفعل بالفتح وهو الاصابة والسداد بكسر السين كل شيء سددت به شيئا مثل سداد القارورة وسداد الثغر أيضا ويقال أصبت سداداً من عيش أي ما يسد الخلة وهذا سداد من عوز (والقوام) العدل قال الله عز وجل وكان بين ذلك قواما وقوام الرجل قامته والقوام بكسر القاف ما أقامك من الرزق يقال أصبت قواما من عيش وما قوامي الا بكذا (ليل تمام) بالكسر لا غير وولد تمام وقمر تمام بالفتح والكسر فيهما الدعوة في النسب بكسر الدال الدعوة الى الطعام بالفتح (والكفة) بكسر الكاف كفة الميزان وكفة الصائد وهي حبالته وكفة القميص والرمل ما استطال بضم

يختص

يختص به فأما تقديمه فى النفى فانه يقصد به تفضيل المنفى عنه على غيره وأما تأخيره فانه يقصد به النفى أصلا من غير تفضيل فأما الأول وهو تقديم الظرف فى الاثبات فكقولك فى الصورة المقدمة ان الى مصير هذا الأمر ولو أخرت الظرف فقلت إن مصير هذا الأمر الى لم يعط من المعني ما أعطاه الأول وذلك أن الأول دل على أن مصير الامر ليس الا اليك وذلك بخلاف الثاني إذ يحتمل أن توقع الكلام بعد الظرف على غيرك فيقال الى زيدا وعمرو أو غيرهما وعلى نحو منه جاء قوله تعالى إن الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم وكذلك جاء قوله تعالى يسبح لله مافى السموات وما فى الأرض له الملك وله الحمد فانه إنما قدم الظرفين ههنا فى قوله له الملك وله الحمد ليدل بتقديمهما على اختصاص الملك والحمد بالله لا بغيره (وقد استعمل تقديم الظرف فى القرآن كثيرا) كقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة أى تنظر إلى ربها دون غيره فتقديم الظرف ههنا ليس للاختصاص وإنما هو كالذى أشرت اليه فى تقديم المفعول وأنه لم يقدم للاختصاص وإنما قدم من أجل نظم الكلام لأن قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة أحسن من أن لو قيل وجوه يومئذ ناضرة ناظرة الى ربها والفرق بين النظمين ظاهر وكذلك قوله تعالى والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق فان هذا روعى فيه حسن النظم لا الاختصاص فى تقديم الظرف وفى القرآن مواضع كثيرة من هذا القبيل يقيسها غير العارف بأسرار الفصاحة على مواضع أخرى وردت للاختصاص وليست كذلك فمنها قوله تعالى الى ربك يومئذ المستقر وقوله تعالى ألا الى الله تصير الأمور وله الحكم واليه ترجعون وعليه توكلت واليه أنيب فان هذه جميعها لم تقدم الظروف فيها للاختصاص وإنما قدمت لمراعاة الحسن فى نظم الكلام فاعرف ذلك (وأما الثانى وهو تأخير الظرف وتقديمه فى النفى) فنحو قوله تعالى الم ذلك الكتاب لاريب فيه وقوله تعالى لافيها غول ولاهم عنها ينزفون فانه إنما أخر الظرف فى الاول لان القصد فى ايلاء حرف النفى الريب نفى الريب عنه واثبات أنه حق وصدق لا باطل وكذب كما كان المشركون يدعونه ولو أولاه الظرف لقصد أن كتابا آخر فيه الريب لا فيه كما قصد فى قوله تعالى لافيها غول فتأخير الظرف يقتضى النفى أصلا من غير تفضيل وتقديمه يقتضى تفضيل المنفى عنه وهو خمر الجنة على غيرها من خمور الدنيا أى ليس فيها مافى غيرها من الغول وهذا مثل قولنا لاعيب فى الدار وقولنا لافيها عيب فالاول نفى للعيب عن الدار فقط والثانى تفضيل لها على غيرها أى ليس فيها مافى غيرها من العيب فاعرف ذلك فانه من دقائق هذا الباب (وأما تقديم الحال) فكقولك جاء راكبا زيد وهذا بخلاف قولك جاء زيد راكبا إذ يحتمل أن يكون ضاحكا أو ماشيا أو غير ذلك (وأما الاستثناء) فجار هذا المجرى نحو قولك ماقام الا زيدا أحد وما قام أحد الا زيدا والكلام على ذلك كالكلام على ماسبق (وأما القسم الثانى) فهو أن يقدم ما الاولى به التأخير لان المعنى يختل بذلك ويضطرب وهذا هو المعاظلة المعنوية وقد قدمنا القول فى المقالة الاولى المختصة بالصناعة اللفظية بأن المعاظلة تنقسم قسمين أحدهما لفظى والآخر معنوى أما اللفظى فذكرناه فى بابه وأما المعنوى فهذا بابه وموضعه وهو كتقديم الصفة أو ما يتعلق بها على الموصوف وتقديم الصلة على الموصول وغير ذلك مما يرد بيانه (فمن هذا القسم) قول بعضهم

فقد والشك بين لى عناء * بوشك فراقهم صرد يصيح

فانه قدم قوله بوشك فراقهم وهو معمول يصيح ويصيح صفة لصرد على صرد وذلك قبيح ألا ترى أنه لا يجوز أن يقال هذا من موضع كذا رجل ورد اليوم وانما يجوز وقوع المعمول بحيث يجوز وقوع العامل فكما لا يجوز تقديم الصفة على موصوفها فكذلك لا يجوز تقديم ما اتصل بها على

الكاف (والولاية) ضد العداوة قال الله عز وجل مالكم من ولايتهم من شىء والولاية من وليت الشىء وعلاقة الحب والخصومة بالفتح وعلاقة السوط بالكسر والحمالة الشىء تتحمله عن القوم والحمالة بالكسر محمل السيف (الاصمعى) مسقط السوط ومسقط النجم حيث سقطا مفتوحات ومسقط الرمل أى منقطعه ومسقط رأسه أى حيث ولد مكسوران فلان حسن فى مرآة العين بالفتح والمرآة التى ينظر الى الوجه فيها بالكسر (والمروحة) التى يتروح بها والمروحة التى تخترق فيها الريح قال الشاعر

كأن راكبها غصن بمروحة * اذا تدلت به أو شارب ثمل

والرحلة بضم الراء السفرة والرحلة الارتحال قال الكسائى دولة بضم الدال مثل العارية يقال اتخذوه دولة بضم الدال يتداولون بينهم ودولة مفتوحة الدال من دال عليهم الدهر دولة ودالت الحرب بهم وقال عيسى بن عمر تكونان جميعا فى المال والحرب سواء ولست أدرى فرق ما بينهما قال يونس غرفت غرفة واحدة بالفتح وفى الاناء غرفة ففرق ما بينهما وكذلك قال فى الحسوة والحسوة وقال الفراء خطوت خطوة بالفتح والخطوة ما بين القدمين (الثقلة) بكسر القاف اثقال القوم وأنا أجد ثقلة فى بدنى بفتح الثاء والقاف والطفلة

موصوفها ومن هذا النحو قول الآخر

فأصبحت بعد خط بهجتها * كأن قفرا رسومها قلما

فانه قدم خبر كأن عليها وهو قوله خط وهذا وأمثاله مما لا يجوز قياس عليه والأصل في هذا البيت فأصبحت بعد بهجتها قفرا كأن قلما خط رسومها الا أنه على تلك الحالة الاولى في الشعر مختل مضطرب والمعاظلة في هذا الباب تتفاوت درجاتها في القبح وهذا البيت المشار اليه من أقبحها لان معانيه قد تداخلت وركب بعضها بعضا (ومما يجرى هذا المجرى) قول الفرزدق

الى ملك ما أمه من محارب * أبوه ولا كانت كليب تصاهره

وهو يريد الى ملك أبوه ما أمه من محارب وهذا أقبح من الاول وأكثر اختلالا (وكذلك جاء قوله أيضا) وليست خراسان التي كان خالد * بها أسد إذ كان سيفا أميرها

وحديث هذا البيت ظريف وذلك أنه فيما ذكر يمدح خالد بن عبد الله القسري ويهجو أسدا وكان أسد وليها بعد خالد وكأنه قال وليست خراسان بالبلدة التي كان خالد بها سيفا إذ كان أسد أميرها وعلى هذا التقدير ففي كان الثانية ضمير الشأن والحديث والجملة بعدها خبر عنها وقد قدم بعض ما اذ مضافة اليه وهو أسد عليها وفي تقديم المضاف اليه أو شيء منه على المضاف من القبح مالا خفاء به وأيضا فان أسدا أحد جزأي الجملة المفسرة للضمير والضمير لا يكون تفسيره الا من بعده ولو تقدم تفسيره قبله لما احتاج الى تفسير ولما سماه الكوفيون الضمير المجهول وعلى هذا النحو ورد قول الفرزدق أيضا

وما مثله في الناس الا مملكا * أبو أمه حي أبوه يقاربه

ومعنى هذا البيت وما مثله في الناس حي يقاربه الا مملكا أبو أمه أبوه وعلى هذا المثال المصوغ في الشعر قد جاء مشوها كما تراه وقد استعمل الفرزدق من التعاظل كثيرا كأنه كان يقصد ذلك ويتعمده لان مثله لا يجيء الا متكلفا مقصودا والا فاذا ترك مؤلف الكلام نفسه تجرى على سجيتها وطبعها في الاسترسال لم يعرض له شيء من هذا التعقيد ألا ترى أن المقصود من الكلام معدوم في هذا الضرب المشار اليه إذ المقصود من الكلام إنما هو الايضاح والابانة وافهام المعنى فاذا ذهب هذا الوصف المقصود من الكلام ذهب المراد به ولا فرق عند ذلك بينه وبين غيره من اللغات كالفارسية والرومية وغيرهما واعلم أن هذا الضرب من الكلام هو ضد الفصاحة لان الفصاحة هي الظهور والبيان وهذا عار عن هذا الوصف (وأما الضرب الثاني) الذي يختص بدرجة التقدم في الذكر لاختصاصه بما يوجب له ذلك فانه مما لا يحصره حد ولا ينتهي إليه شرح وقد أشرنا الى نبذة منه في هذا الكتاب ليستدل بها على أشباهها ونظائرها (فمن ذلك تقديم السبب على المسبب) كقوله تعالى إياك نعبد وإياك نستعين فانه إنما قدم العبادة على الاستعانة لان تقديم القربة والوسيلة قبل طلب الحاجة أنجح لحصول الطلب وأسرع لوقوع الاجابة ولو قال اياك نستعين واياك نعبد لكان جائزا إلا أنه لا يسد ذلك المسد ولا يقع ذلك الموقع وهذا لا يخفى على المصنف من أرباب هذه الصناعة وعلى نحو منه جاء قوله تعالى وأنزلنا من السماء ماء طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا فقدم حياة الارض واسقاء الانعام على اسقاء الناس وان كانوا أشرف محلا لان حياة الارض هي سبب لحياة الانعام والناس فلما كانت بهذه المثابة جعلت مقدمة في الذكر ولما كانت الانعام من أسباب التعيش والحياة للناس قدمها في الذكر على الناس لان حياة الناس بحياة أرضهم وأنعامهم فقدم سقي ما هو سبب نمائهم ومعاشهم على سقيهم (ومن هذا الضرب تقديم الاكثر

من النساء الناعمة والطفلة الحديثة السن الاصمعي مااستدار فهو كفة نحو كفة الميزان وكفة الصائد لانه يديرها وما استطال فهو كفة نحو كفة الثوب وكفة الرمل (الخمرة) الريح الطيبة بفتح الخاء والميم والخمرة بضم الخاء وتسكين الميم الخميرة في اللبن والعجين والنبيذ (والجد) بفتح الجيم الحظ يقال منه رجل مجدود وفي الدعاء ولا ينفع ذا الجد منك الجد والجد عظمة الله من قول الله عز وجل وأنه تعالى جد ربنا أي عظمة ربنا والجد الاجتهاد والمبالغة (واللحن) بفتح الحاء الفطنة يقال رجل لحن اذا كان فطنا واللحن خطأ في الكلام (هذا رجل) شرعك من رجل أي ناهيك به والقوم فيه شرع أي سواء بفتح الراء (والعرض) مصدر عرضت الجند قال يونس يقال قد فاته العرض كما يقال قبضت قبضا وقد ألقاه في القبض فلان منكر بين النكر والنكر المنكر قال الله عز وجل لقد جئت شيئا نكرا أي منكرا

﴿ باب الحروف التي تتقارب ألفاظها وتختلف معانيها ﴾

(الاربة) الحاجة الاربة العقدة والحدأة الفأس ذات الرأسين وجمعها حده (والامة) القامة والامة النعمة والدين أمة (واللقوة) العقاب بكسر اللام وفتحها واللقوة داء في الوجه بالفتح

على

على الاقل) كقوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات وانما قدم الظالم لنفسه للايذان بكثرته وأن معظم الخلق عليه ثم أتى بعده بالمقتصدين لانهم قليل بالاضافة اليه ثم أتى بالسابقين وهم أقل من القليل أعنى من المقتصدين فقدم الاكثر وبعده الاوسط ثم ذكر الاقل آخرا ولو عكست القضية لكان المعنى أيضا واقعا فى موقعه لانه يكون قد روعى فيه تقديم الافضل فالأفضل (ولنوضح لك فى هذا وأمثاله طريقا تقتفيه فنقول) اعلم انه اذا كان الشيآن كل واحد منهما مختصا بصفة فأنت بالخيار فى تقديم أيهما شئت فى الذكر كهذه الآية فان السابق بالخيرات مختص بصفة الفضل والظالم لنفسه مختص بصفة الكثرة فقس على هذا ما يأتيك من أشباهه وأمثاله (ومن هذا الجنس) قوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع فانه انما قدم الماشى على بطنه لانه أدل على القدرة من الماشى على رجلين إذ هو ماش بغير الآلة المخلوقة للمشى ثم ذكر الماشى على رجلين وقدمه على الماشى على أربع لانه أدل على القدرة أيضا حيث كثرت آلات المشى فى الاربع وهذا من باب تقديم الاعجب فالاعجب ﴿فان قيل﴾ قد ورد فى القرآن الكريم فى مواضع منه ما يخالف هذا الذى ذكرته كقوله تعالى فى سورة هود وما نؤخره إلا لاجل معدود يوم يأتى لا تكلم نفس إلا باذنه فمنهم شقى وسعيد فأما الذين شقوا ففى النار ثم قال وأما الذين سعدوا ففى الجنة فقدم أهل النار فى الذكر على أهل الجنة وهذا مخالف للأصل الذى أصلته فى هذا الموضع ﴿فالجواب عن ذلك﴾ أن هذا الذى أشرت اليه فى سورة هود وما أشبهه له أسرار تحتاج الى فضل تأمل وإمعان نظر حتى تفهم أما هذا الموضع فانه لما كان الكلام مسوقا فى ذكر التخويف والتحذير وجاء على عقب قصص الأولين وما فعل الله بهم من التعذيب والتدمير كان الاليق أن يوصل الكلام بما يناسبه فى المعنى وهو ذكر أهل النار فمن أجل ذلك قدموا فى الذكر على أهل الجنة واذا رأيت فى القرآن شيئا من هذا القبيل وما يجرى مجراه فتأمله وأمعن نظرك فيه حتى يتبين لك مكان الصواب منه واعلم أنه اذا كان مطلع الكلام فى معنى من المعانى ثم يجىء بعده ذكر شيئين أحدهما أفضل من الآخر وكان المعنى المفضول مناسبا لمطلع الكلام فأنت بالخيار فى تقديم أيهما شئت لانك ان قدمت الافضل فهو فى موضعه من التقديم وان قدمت المفضول فلان مطلع الكلام يناسبه وذكر الشىء مع ما يناسبه أيضا وارد فى موضعه (فمن ذلك) قوله تعالى وانا إذا أذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فان الانسان كفور لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء أناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وأناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير فانه انما قدم الاناث على الذكور مع تقدمهم عليهن لانه ذكر البلاء فى آخر الآية الأولى وكفران الانسان بنسيانه للرحمة السابقة عنده ثم عقب ذلك بذكر ملكه ومشيئته وذكر قسمة الأولاد فقدم الأناث لأن سياق الكلام انه فاعل ما يشاء لا ما يشاؤه الانسان فكان ذكر الاناث اللاتى هن من جملة ما لا يشاؤه الانسان ولا يختاره أهم والأهم واجب التقديم وليلى الجنس الذى كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء ولما أخر ذكر الذكور وهم أحقاء بالتقديم تدارك ذلك بتعريفه اياهم لأن التعريف تنويه بالذكر كأنه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الاعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير وعرف أن تقديم الاناث لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتض آخر فقال ذكرانا وأناثا وهذه دقائق لطيفة قل من يتنبه لها أو يعثر على رموزها (ومن هذا

أيضا وأرض كثيرة الشعار أى كثيرة الشجر بفتح الشين (ومحجر العين) بكسر الجيم والمحجر بفتحها من الحجر وهو الحرام (والمنسر) جماعة من الخيل والمنسر بكسر الميم منسر الطائر (والمحلب) الاناء يحلب فيه والمحلب من الطيب بالفتح (والوقر) بفتح الواو والثقل فى الاذن والوقر الحمل (والغرب) الدلو العظيمة والغرب الماء الذى بين البئر والحوض (والسلم) الدلو لها عروة واحدة والسلم الصلح والسلم السلف يقال اسلم فى كذا وكذا أى أسلف فيه والسلم الاستسلام قال الله عز وجل ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلم (والوكف) وكف البيت والوكف أيضا النطع والوكف الاثم والوكف العيب قال قيس ابن الحطيم * لا يأتيهم من ورائهم وكف * (والنشر) الريح ورأيت القوم نشرا أى منتشرين (ألف صتم) أى تام وجمل صتم أى غليظ شديد (والسرب) الطريق والسرب جماعة الابل هذان مفتوحان وفلان آمن فى سربه أى فى نفسه وهو واسع السرب أى رخى البال والسرب جماعة النسا والظبا (والرق) ما يكتب فيه والرق الملك (الماء الغمر) الكثير ورجل غمر الخلق أى واسعه وفرس غمر أى جواد

الباب) قوله تعالى وما تكون فى شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء فانه انما قدم الارض فى الذكر على السماء ومن حقها التأخير لانه لما ذكر شهادته على شؤون أهل الارض وأحوالهم ووصل ذلك بقوله وما يعزب لاءم بينهما ليلي المعنى المعنى ﴿ فان قيل ﴾ قد جاء تقديم الأرض على السماء فى الذكر فى مواضع كثيرة من القرآن (قلنا) اذا جاءت مقدمة فى الذكر فلابد لتقديمها من سبب اقتضاه وان خفى ذلك السبب وقد يستنبطه بعض العلماء دون بعض

(النوع العاشر فى الحروف العاطفة والجارة) وهذا موضع لطيف المأخذ دقيق المعزى وما رأيت أحدا من علماء هذه الصناعة تعرض اليه ولا ذكره وما أقول انهم لم يعرفوه فان هذا النوع من الكلام أشهر من أن يخفى لانه مذكور فى كتب العربية جميعها واست أعنى بايراده ههنا ما يذكره النحويون من أن الحروف العاطفة تتبع المعطوف عليه فى الاعراب ولا أن الحروف الجارة تجر ما تدخل عليه بل أمرا وراء ذلك وان كان المرجع فيه الى الاصل النحوى (فأقول) ان أكثر الناس يضعون هذه الحروف فى غير مواضعها فيجعلون ما ينبغى أن يجر بعلى بفى فى حروف الجر وفى هذه الأشياء دقائق أذكرها لك أما حروف العطف فنحو قوله تعالى والذى هو يطعمنى ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين فالاول عطفه بالواو التى هى للجمع وتقديم الاطعام على الاسقاء والاسقاء على الاطعام جائز لولا مراعاة حسن النظم ثم عطف الثانى بالفاء لان الشفاء يتعقب المرض بلا زمان خال من أحدهما ثم عطف الثالث بثم لان الاحياء يكون بعد الموت بزمان ولهذا جيء فى عطفه بثم التى هى للتراخى ولو قال قائل فى موضع هذه الآية الذى يطعمنى ويسقين ويمرضنى ويشفين ويميتنى ويحيين لكان للكلام معنى تام الا أنه لا يكون كمعنى الآية اذ كل شيء منها قد عطف بما يناسبه ويقع موقع السداد منه (ومما جاء من هذا الباب) قوله تعالى قتل الانسان ما أكفره من أى شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره ألا ترى أنه لما قال من نطفة خلقه كيف قال فقدره ولم يقل ثم قدره لان التقدير لما كان تابعا للخلقة وملازما لها عطفه عليها بالفاء وذلك بخلاف قوله ثم السبيل يسره لان بين خلقته وتقديره فى بطن أمه وبين اخراجه منه وتسهيل سبيله مهلة وزمانا فلذلك عطفه بثم وعلى هذا جاء قوله تعالى ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره لان بين اخراجه من بطن أمه وبين موته تراخيا وفسحة وكذلك بين موته ونشوره أيضا ولذلك عطفهما بثم ولما لم يكن بين موت الانسان واقباره تراخ ولا مهلة عطفه بالفاء وهذا موضع من علم البيان شريف وقلما يتفطن لاستعماله كما ينبغى (ومما جاء من ذلك أيضا) قوله تعالى فى قصة مريم وعيسى عليهما السلام فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا وفى هذه الآية دليل على أن حملها به ووضعها اياه كانا متقاربين لانه عطف الحمل والانتباذ الى المكان الذى مضت اليه والمخاض الذى هو الطلق بالفاء وهى للفور ولو كانت كغيرها من النساء لعطف بثم التى هى للتراخى والمهلة ألا ترى أنه قد جاء فى الاخرى قتل الانسان ما أكفره من أى شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره فلما كان بين تقديره فى البطن واخراجه منه مدة متراخية عطف ذلك بثم وهذا بخلاف قصة مريم عليها السلام فانها عطفت بالفاء وقد اختلف الناس فى مدة حملها فقيل انه كان كحمل غيرها من النساء وقيل لا بل كان مدة ثلاثة أيام وقيل أقل وقيل أكثر وهذه الآية مزيلة للخلاف لانها دلت صريحا على أن الحمل والوضع كانا متقاربين على الفور من غير

آثرته آثره أثرا والاثر بالضم أثر الجراح وفلان فى أثر فلان وآثره أى خلفه (والهون) الهوان قال الله عز وجل عذاب الهون والهون الرفق يقال هو يمشى هونا (والروع) الفزع والروع النفس يقال وقع ذلك فى روعى أى فى خلدى (واللوح) العطش واللوح الهواء (والمور) الطريق والمور الغبار (والشفر) شفر العين وشفر أيضا وما بالدار شفر أى ما بها أحد (والبوص) السبق والفوت والبوص اللون والبوص العجز (كور) العمامة بالفتح وكذلك الكور من الابل وهو الكثير والكور بالضم الرحل باداته (والقتل) مصدر قتلت والقتل العدو (والخير) ضد الشر والخير الكرم

﴿ باب اختلاف الابنية فى الحرف الواحد لاختلاف المعانى ﴾

قالوا رجل مبطن اذا كان خميص البطن وبطين اذا كان عظيم البطن فى صحة ومبطون اذا كان عليل البطن وبطن اذا كان منهوما ومبطان اذا ضخم بطنه من كثرة ما أكل (ورجل مظهر) اذا كان شديد الظهر ورجل ظهر اذا اشتكى ظهره مثل فقر اذا اشتكى فقاره قال طرفة

واذا تلسننى ألسنها   اننى لست بموهون فقر

مهلة وربما كان ذلك في يوم واحد أو أقل أخذا بما دلت عليه الآية (ومما ورد من هذا الاسلوب) قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر ففي الآية المتقدم ذكرها قال من نطفة خلقه فقدره فعطف التقدير على الخلق بالفاء لانه تابع له ولم يذكر تفاصيل حال المخلوق وفي هذه الآية ذكر تفاصيل حاله في تنقله فبدأ بالخلق الاول وهو خلق آدم من طين ولما عطف عليه الخلق الثاني الذي هو خلق النسل عطفه بثم لما بينهما من التراخي وحيث صار الى التقدير الذي يتبع بعضه بعضا من غير تراخ عطفه بالفاء ولما انتهى الى جعله ذكرا أو انثى وهو آخر الخلق عطفه بثم (فان قيل) انه قد عطف المضغة على العلقة في هذه الآية بالفاء وفي أخرى بثم وهي قوله تعالى يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة (فالجواب عن ذلك)

(بياض باصله)

(واعلم) أن في حروف العطف موضعا تلتبس الفاء بالواو وهو موضع يحتاج فيه الى فضل تأمل وذلك أن فعل المطاوعة لا يعطف عليه إلا بالفاء دون الواو وقد يجيء من الافعال ما يلتبس بفعل المطاوعة ويعطي ظاهره أنه كذلك الا أن معناه يكون مخالفا لمعنى فعل المطاوعة فيعطف حينئذ بالواو لا بالفاء كقوله تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه فقوله أغفلنا قلبه ههنا بمعنى صادفناه غافلا وليس منقولا عن غفل حتى يكون معناه صددناه لانه لو كان كذلك لكان معطوفا عليه بالفاء وقيل فاتبع هواه وذلك أنه يكون مطاوعا وفعل المطاوعة لا يعطف الا بالفاء كقولك أعطيته فاخذ ودعوته فأجاب ولا تقول أعطيته وأخذ ولا دعوته وأجاب كما لا يقال كسرته وانكسر وكذلك لو كان معنى أغفلنا في الآية صددنا ومنعنا لكان معطوفا عليه بالفاء وكان يقال ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا فاتبع هواه فلما لم يكن كذلك وكان العطف عليه بالواو فطريقه أنه لما قال أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه أن يكون معناه وجدناه غافلا فقد غفل لا محالة فكأنه قال ولا تطع من غفل قلبه عن ذكرنا واتبع هواه أي لا تطع من فعل كذا وكذا يعدد أفعاله التي توجب ترك طاعته فاعرف ذلك (وأما حروف الجر) فان الصواب يشذ عن وضعها في مواضعها وقد علم أن في للوعاء وعلى للاستعلاء كقولهم زيد في الدار وعمرو على الفرس لكن إذا أريد استعمال ذلك في غير هذين الموضعين مما يشكل استعماله عدل فيه عن الاولى (فما ورد منه) قوله تعالى قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ألا ترى الى بداعة هذا المعنى المقصود لمخالفة حرفي الجر ههنا فانه انما خولف بينهما في الدخول على الحق والباطل لان صاحب الحق كأنه مستعل على فرس جواد يركض به حيث شاء وصاحب الباطل كأنه منغمس في ظلام منخفض فيه لا يدري أين يتوجه وهذا معنى دقيق قلما يراعى مثله في الكلام وكثيرا ما سمعت إذا كان الرجل يلوم أخاه أو يعاتب صديقه على أمر من الأمور فيقول له أنت على ضلالك القديم كما أعهدك فيأتي بعلى في موضع في وان كان هذا جائزا الا أن استعمال في ههنا أولى لما أشرنا اليه ألا ترى الى قوله تعالى في سورة يوسف قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم (ومن هذا النوع قوله تعالى) انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فانه إنما عدل عن اللام الى في في الثلاثة الأخيرة للايذان بأنهم أرسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره باللام لان في للوعاء فنبه على أنهم أحقاء بأن توضع فيهم

ورجل مصدر شديد الصدر ومصدور يشتكي صدره ومنه قول القائل لا بد للمصدور من أن ينفث (النحض) الكثير اللحم والنحيض الذي قد ذهب لحمه قال الفراء هذا رجل تمري إذا كان يحب أكل التمر فاذا كان يبيعه فهو تمار فان كثر عنده التمر وليس بتاجر فهو متمر واذا أطعمه الناس فهو تامر ومنه قول الحطيئة

وغررتني وزعمت انـ ـك لابن بالصيف تامر

أي تسقي الناس اللبن وتطعمهم التمر وغيره يقول لابن ذو لبن وتامر ذو تمر قال وتقول هذا رجل شحم لحم إذا كان قرما الى الشحم واللحم يشتهيهما فاذا كان يبيعهما قلت شحام لحام واذا كثرا عنده قلت مشحم ملحم فان أطعمهما الناس قلت شاحم لاحم فاذا كثر اللحم والشحم على جسمه قلت لحيم شحيم فان كان مرزوقا من الصيد مطعما له قلت رجل ملحم وتقول رجل ملبن وقوم ملبنون إذا كثر عندهم اللبن ورجل لبن إذا كان يعام الى اللبن ومحض إذا كان يحب المحض وهو الحليب ورجل لابن يسقي الناس اللبن يقال هو يلبن جيرانه ورجل ملبون وقوم ملبونون إذا ظهر منهم سفه وجهل يصيبهم من شرب اللبن كما يصيب شراب النبيذ وهذا رجل مستلبن أي يطلب لعياله أو لضيفانه لبنا (طعام مسمون)

الصدقات كما يوضع الشيء في الوعاء وأن يجعلوا مظنة لها وذلك لما في فك الرقاب وفي الغرم من التخلص وتكرير في في قوله وفي سبيل الله دليل على ترجيحه على الرقاب وعلى الغارمين وسياق الكلام أن يقال وفي الرقاب والغارمين وسبيل الله وابن السبيل فلما جيء بفي مرة ثانية وفصل بها بين الغارمين وبين سبيل الله علم أن سبيل الله أوكد في استحقاق النفقة فيه وهذه لطائف ودقائق لاتوجد إلا في هذا الكلام الشريف فاعرفها وقس عليها (النوع الحادي عشر في الخطاب بالجملة الفعلية والجملة الاسمية والفرق بينهما) ولم أذكر هذا الموضع لان يجري الامر فيه على مايجري مجراه فقط بل لأن يقاس عليه مواضع أخرى مما تماثله وتشابهه ولو كان شبها بعيدا وانما يعدل عن أحد الخطابين الى الآخر لضرب من التأكيد والمبالغه (فمن ذلك قولنا) قام زيد وان زيدا قائم فقولنا قام زيد معناه الاخبار عن زيد بالقيام وقولنا ان زيدا قائم معناه الاخبار عن زيد بالقيام أيضا الا ان في الثاني زيادة ليست في الاول وهي توكيده بان المشددة التي من شأنها الاثبات لما يأتي بعدها واذا زيد في خبرها اللام فقيل ان زيداً لقائم كان ذلك اكثر توكيدا في الاخبار بقيامه وهذا مثال ينبني عليه أمثلة كثيرة من غير هذا النوع (فمما جاء من ذلك) قوله تعالى واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم فانهم انما خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالجملة الاسمية المحققة بان المشددة لانهم في مخاطبة اخوانهم بما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اعتقاد الكفر والبعد من أن يزلوا عنه على صدق ورغبة ووفور نشاط فكان ذلك متقبلا منهم ورائجا عند اخوانهم وأما الذي خاطبوا به المؤمنين فانما قالوه تكلفا واظهاراً للايمان خوفا ومداجاة وكانوا يعلمون أنهم لو قالوه بأوكد لفظ وأسده لما راج لهم عند المؤمنين الارواجا ظاهراً لا باطنا ولانهم ليس لهم في عقائدهم باعث قوي على النطق في خطاب المؤمنين بمثل ما خاطبوا به اخوانهم من العبارة المؤكدة فلذلك قالوا في خطاب المؤمنين آمنا وفي خطاب اخوانهم انا معكم وهذه نكت تخفى على من ليس له قدم راسخة في علم الفصاحة والبلاغة (ومما يجري هذا المجرى) ورود لام التوكيد في الكلام ولايجيء ذلك الالضرب من المبالغة وفائدته أنه اذا عبر عن أمر يعز وجوده أو فعل يكثر وقوعه جيء باللام تحقيقا لذلك (فمما جاء منه) قوله تعالى في أول سورة المنافقين إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون فانظر الى هذه اللامات الثلاثة الواردة في أخبران والاولى وردت في قول المنافقين وانما وردت مؤكدة لانهم أظهروا من أنفسهم التصديق برسالة النبي صلى الله عليه وسلم وتملقوا له وبالغوا في التملق وفي باطنهم خلافه وأما ماورد في الثانية والثالثة فصحيح لاريب فيه واللام في الثانية لتصديق رسالته وفي الثالثة لتكذيب المنافقين فيما كانوا يظهرونه من التصديق الذين هم على خلافه (وكذلك) ورد قوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام قالوا ياأبانا مالك لاتأمنا على يوسف وانا له لناصحون أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون فانه انما جيء باللام ههنا لزيادة التوكيد في اظهار المحبة ليوسف عليه السلام والاشفاق عليه ليبلغوا الغرض من أبيهم في السماحة بارساله معهم (ومن هذا الباب) قوله تعالى أفرأيتم ماتحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون ثم قال أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون ألا ترى كيف أدخلت اللام في آية المطعوم دون آية المشروب وانما جاءت كذلك لان جعل الماء العذب ملحا أسهل امكانا في العرف والعادة والموجود من الماء الملح أكثر من الماء العذب وكثيرا ما إذا جرت

السمن وجاؤا يستسمنون أي يستوهبون السمن (وطعام مزيت) ومزيوت إذا لت بالزيت أوجعل فيه وقد زنته أزيته زيتا وزت القوم أي جعلت أدمهم الزيت وزيتهم إذا زودتهم الزيت وجاؤا يستزيتون أي يستوهبون الزيت ومثله (علست الطعام) والقوم الا انك تقول أعسله وأعسله جميعا وطعام معسول وقوم معسولون وعسلتهم إذا زودتهم العسل وجاؤا يستعسلون (بعير) غاض يأكل الغضا وبعير غض إذا اشتكى عن أكل الغضا واذا نسبته الى الغضا قلت غضوي (وبعير عاضه) يأكل العضاه وعضه يشتكي عن أكل العضاه واذا نسبته الى العضاه قلت عضاهي وإذا نسبته الى واحدة العضاه وهي عضة قلت عضهي (بعير) حامض يأكل الحمض وهارم يأكل الهرم وهو ضرب من الحمض وآرك يأكل الاراك وعاشب يأكل العشب (ومن البقل) بعير مبتقل ومتبقل إذا كان يأكل البقل وأرض عضهة وارض حميضة إذا كانت كثيرة العضاه والحمض (يقال امرأة متآم) إذا كان من عادتها أن تلد كل مرة توأمين فان أردت انها وضعت اثنين في بطن قالت المياه

المياه العذبة على الاراضي المتغيرة التربة أحالتها الى الملوحة فلم يحتج في جعل الماء العذب ملحا الى زيادة تأكيد فلذلك لم تدخل عليه لام التأكيد المفيد زيادة التحقيق وأما المطعوم فان جعله حطاما من الاشياء الخارجة عن المعتاد وإذا وقع فلا يكون الا عن سخط من الله شديد فلذلك قرن بلام التأكيد زيادة في تحقيق أمره وتقرير ايجاده (ومما يتصل بذلك) قوله تعالى وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون فاللام في لنحن هي اللام المشار اليها (وكذلك ورد قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) فان هذه اللام في قوله ليستخلفنهم وليمكنن وليبدلنهم انما جاءت لتحقيق الامر واثباته في نفوس المؤمنين وأنه كائن لامحالة (ومما يجري هذا المجرى في التوكيد) لام الابتداء المحققة لما يأتي بعدها كقوله تعالى إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا فاللام في ليوسف لام الابتداء وفائدتها تحقيق مضمون الجملة الواردة بعدها أي ان زيادة حبه اياهما أمر ثابت لامراء فيه (ومن هذا النوع قول بعضهم)

والشيب ان يظهر فان وراءه * عمرا يكون خلاله متنفس

لم ينتقص مني المشيب قلامة * ولما بقي مني ألب وأكيس

فقوله ولما بقي مني تقديره وما بقي مني وانما أدخل على ماهذه اللام قصداً لتأكيد المعنى لانه موضع يحتاج الى التأكيد ألا ترى أن قوة العمر في الشباب ولما أراد هذا الشاعر أن يصف المشيب وليس مما يوصف وانما يذم أتى باللام لتؤكد ماقصده من الصفة وكذلك ورد قول الشاعر من أبيات الحماسة

انا لنصفح عن مجاهل قومنا * ونقيم سالفة العدو الاصيد

ومتى نجد يوما فسد عشيرة * نصلح وان نرصا لحالا نفسد

وهذا كثير سائغ في الكلام الا أنه لايتأتى الا لمكان العناية بما يعبر به عنه ألا ترى إلى قول الشاعر انا لنصفح عن مجاهل قومنا فانه لما كان الصفح مما يشق على النفس فعله لانه مقابلة الشر بالخير والاساءة بالاحسان أكده باللام تحقيقا له فان عرى الموضع الذي يؤتى فيه بهذه اللام من هذه الفائدة المشار اليها ومايجري مجراه فان ورود اللام فيه لغير سبب اقتضاه وأكثر ماتستعمل هذه اللام في جواب القسم لتحقيق الامر المقسم عليه وذلك في الايجاب دون النفي لانها لاتستعمل في النفي ألا ترى أنه لايقال والله للاقمت وانما يقال والله لاقمت لكن في الايجاب تستعمل ويكون استعمالها حسنا كقولك والله لأقوم فان أضيف اليها النونان الخفيفة والثقيلة كان ذلك أبلغ في التأكيد كقولك والله لأقومن وعلى ذلك وردت الآية المتقدم ذكرها وهي قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات وان لم يكن جوابا للقسم فالنون الواردة بعد اللام زيادة في التأكيد وهما تأكيدان أحدهما مردف بالآخر وكذلك فاعلم أن النون الثقيلة متصلة بهذا الباب فاذا استعملت في موضع فانما يقصد بها التأكيد (فمما جاء منها) قول البحتري في معاتبة الفتح بن خاقان

هل تجلبن الى عطفك موقف * ثبت لديك أقول فيه وتسمع

مازال لي من حسن رأيك موئل * آوي اليه من الخطوب ومفزع

فعلام أنكرت الصديق وأقبلت * نحوي جناب الكاشحين تطلع

وأقام يطمع في تهضم جانبي * من لم يكن من قبل فيه يطمع

الا يكن ذنب فعدلك واسع * أوكان لي ذنب فعفوك أوسع

ومفعال يكون لمن دام منه الشيء أوجرى على عادة فيه تقول رجل مضحاك ومهذار ومطلاق إذا كان مديما للضحك والهذر والطلاق (وكذلك ما كان) على فعيل فهو مكسور الاول لايفتح منه شيء وهو لمن دام منه الفعل نحو رجل سكير كثير السكر وخمير كثير الشرب للخمر وفخير كثير الفخر وعشيق كثير العشق وسكيت دائم السكوت وضليل وصريع وظليم ومثل ذلك كثير ولا يقال ذلك لمن فعل الشيء مرة أو مرتين حتى يكثر منه أو يكون له عادة وكذلك كل اسم يكون على فعول نحو قتول الرجال وضروب بالسيف أو على فعال نحو قتال وضراب قال أبو زيد يقال رجل مقطع إذا لم يرد النساء ولم ينتشر يقال منه اقطع الرجل اقطاعا ويقال للرجل الغريب مقطع عن أهله يقال منه أقطع عنهم اقطاعا ورجل مقطع أيضا وهو الذي يفرض لنظرائه ويترك هو رجل مقطع بكسر الطاء وهو الذي انقطعت حجته يقال أقطع الرجل إذا بكتوه بالحق فلم يجب ورجل مقطوع به إذا قطع عليه الطريق يقال قطع بفلان قطعا ورجل منقطع به إذا عجز عن سفره من نفقة ذهبت

وهذه أبيات حسنة مليحة في بابها يحمى بها حر الصدود ويستمال بها صعر الخدود وإنما ذكرتها بجملتها لمكان حسنها والبيت الأول هو المراد ألا ترى أنه قال هل تحلين إلى عطفك موقف فالنون جاءت قصداً للتأكيد وهو في هذا المقام متمن فأحب أن يؤكد هذه الامنية وكل ما يجيء من هذا الباب فانه واقع هذا الموقع وإذا استعمل عبثا لغير فائدة تقتضيه فانه لا يكون استعماله الا من جاهل بالاسرار المعنوية وأما ما يمثل به النحاة في قول القائل والله لأقومن فانه مثال نحوي يضرب للجواز والا فاذا قال القائل والله لأقومن وأكده كان ذلك لغوا لأنه ليس في قيامه من الامر العزيز ولا من الامر العسير ما يحتاج معه الى التأكيد بل لو قال والله لأقومن اليك مهددا له لكان ذلك واقعا في موقعه فافهم هذا وقس عليه

(النوع الثاني عشر في قوة اللفظ لقوة المعنى) هذا النوع قد ذكره أبو الفتح بن جني في كتاب الخصائص الا أنه لم يورده كما أوردته أنا ولا نبه على ما نبهت عليه من النكت التي تضمنته وهذا يظهر بالوقوف على كلامي وكلامه (فأقول) اعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الاوزان ثم نقل الى وزن آخر أكثر منه فلا بد من أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولا لأن الالفاظ أدلة على المعاني وأمثلة للابانة عنها فاذا زيد في الالفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني وهذا لا نزاع فيه لبيانه وهذا النوع لا يستعمل الا في مقام المبالغة (فمن ذلك) قولهم خشن واخشوشن فمعنى خشن دون معنى اخشوشن لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو نحو فعل وافعوعل وكذلك قولهم أعشب المكان فاذا رأوا كثرة العشب قالوا اعشوشب (ومما ينتظم بهذا السلك) قدر واقتدر فمعنى اقتدر أقوى من معنى قدر قال الله تعالى فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر فمقتدر ههنا أبلغ من قادر وإنما عدل اليه للدلالة على تفخيم الامر وشدة الاخذ الذي لا يصدر الا عن قوة الغضب أو للدلالة على بسطة القدرة فان المقتدر أبلغ في البسطة من القادر وذلك أن مقتدرا اسم فاعل من اقتدر وقادر اسم فاعل من قدر ولا شك أن افتعل أبلغ من فعل وعلى هذا ورد قول أبي نواس

فعفوت عني عفو مقتدر * حلت له نقم فألغاها

أي عفوت عني عفو قادر متمكن القدرة لا يرده شيء عن امضاء قدرته وأمثال هذا كثيرة وكذلك ورد قوله تعالى في سورة نوح عليه السلام فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا فان غفارا أبلغ في المغفرة من غافر لان فعالا يدل على كثرة صدور الفعل وفاعلا لا يدل على الكثرة وعليه ورد قوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فالتواب هو الذي تتكرر منه التوبة مرة على مرة وهو فعال وذلك أبلغ من التائب الذي هو فاعل فالتائب اسم فاعل من تاب يتوب فهو تائب أي صدرت منه التوبة مرة واحدة فاذا قيل تواب كان صدور التوبة منه مرارا كثيرة وهذا وما يجري مجراه انما يعمد اليه لضرب من التوكيد ولا يوجد ذلك الا فيما فيه معنى الفعلية كاسم الفاعل والمفعول وكالفعل نفسه نحو قوله تعالى فكبكبوا فيها هم والغاوون فان معنى كبكبوا من الكب وهو القلب الا أنه مكرر المعنى وانما استعمل في الآية دلالة على شدة العقاب لانه موضع يقتضي ذلك ولربما نظر بعض الجهال في هذا فقاس عليه زيادة التصغير وقال انها زيادة ولكنها زيادة نقص لانه يزاد في اللفظ حرف كقولهم في الثلاثي في رجل رجيل وفي الرباعي في قنديل قنيديل فالزيادة وردت ههنا فنقصت من معنى هاتين اللفظتين وهذا ليس من الباب الذي نحن بصدد ذكره لانه عار عن معنى الفعلية والزيادة في الالفاظ لا توجب زيادة في المعاني الا إذا تضمنت معنى الفعلية لان الاسماء التي لا معنى للفعل فيها إذا زيدت استحال معناها ألا ترى أنا لو نقلنا لفظة عذب وهي ثلاثية إلى الرباعي فقلنا عذيب على وزن جعفر

لاستحال

أوراحلة قامت عليه أوضلت يقال منه انقطع به انقطاعا (غيرواحد فقت السهم) أفوقه كسرت فوقه وهو سهم مفوق وفوقته تفويقا عملت له فوقا وهو سهم مفوق وأفقت السهم وبالسهم فهو سهم مفاق ومفاق به إذا وضعته في الوتر لترمي به ويقال أيضا أوفقت السهم وبالسهم في هذا المعنى فهو موفق وموفق به وانفاق السهم فهو منفاق إذا انشق فوقه (قالوا) وكل حرف على فعلة وهو وصف فهو للفاعل نحو هذرة ونكحة وطلقة وسخرة إذا كان مهذارا نكاحا مطلاقا ساخرا من الناس فان سكنت العين من فعلة وهو وصف فهو للمفعول تقول رجل لعنة أي يلعنه الناس فان كان هو يلعن الناس قلت لعنة ورجل سبة أي يسبه الناس فان كان هو يسب الناس قلت سببة وكذلك هزءة وهزأة وسخرة وسخرة وضحكة وضحكة وخدعة وخدعة

﴿باب المصادر المختلفة عن المصدر الواحد﴾

قال وجدت في الغضب موجدة ووجدت في الحزن وجدا ووجدت الشيء وجدانا ووجودا وافتقر فلان بعد وجد (ووجب) القلب وجيبا ووجبت الشمس وجوبا ووجب البيع وجبة (وغلت) القدر غليا وغليانا وغلوت في القول غلوا وغلا السعر غلاء وغلوت

لاستحال معناها ولم يكن لها معنى وكذلك لو نقلنا لفظة عسجد وهي رباعية إلى الخماسي فقلنا عسجدد على وزن جحمرش لاستحال معناها وهذا بخلاف ما فيه معنى الفعلية كقادر ومقتدر فان قادرا اسم فاعل قدر وهو ثلاثي ومقتدرا اسم فاعل اقتدر وهو رباعي فلذلك كان معنى القدرة في اقتدر أشد من معنى القدرة في قدر وهذا لا نزاع فيه وهذا الباب بجملته لا يقصد به الا المبالغة في إيراد المعاني وقد يستعمل في مقام المبالغة فينعكس المعنى فيه إلى ضده كما جاء لأبي كرام التيمي من شعراء الحماسة وهو قوله

لله تيم أي رمح طراد * لاقي الحمام وأي نصل جلاد
ومحش حرب مقدم متعرض * للموت غير مكذب جياد

فلفظة جياد قد وردت ههنا وانما أوردها هذا الشاعر وقصد بها المبالغة في وصف شجاعة هذا الرجل فانعكس عليه المقصد الذي قصده لان جيادا من جيد فهو جياد أي وجد منه الجيدودة مرارا كما يقال قتل فهو قتال أي وجد منه القتل مرارا وإذا كان هذا الرجل غير جياد كان جائدا أي وجدت منه الجيدودة مرة واحدة واذا وجدت منه مرة كان ذلك جبنا ولم يكن شجاعة والاولى ان كان قال غير مكذب جائد (وينبغي) أن يعلم أنه إذا وردت لفظة من الالفاظ ويجوز حملها على التضعيف الذي هو طريق المبالغة وحملها على غيره أن ينظر فيها فان اقتضى حملها على المبالغة فهو الوجه (فمن ذلك) قول البحتري في قصيدته التي مطلعها

مني النفس في أسماء لو تستطيعها * وهي قصيدة مدح بها الخليفة المتوكل رحمه الله وذكر فيها حديث الصلح بين بني تغلب فما جاء فيها قوله

رفعت بضبعي تغلب ابنة وائل * وقد يئست أن يستقل صريعها
فكنت أمين الله مولى حياتها * ومولاك فتح يوم ذاك شفيعها
تألفتهم من بعد ما شردت بهم * حفائظ أخلاق بطيء رجوعها
فأبصر غاويها المحجة فاهتدى * وأقصر غاليها ودانى شسوعها

فقوله تألفتهم من بعد ما شردت بهم يجوز أن تخفف لفظة شردت ويجوز أن تثقل والتثقيل هو الوجه لانه في مقام الاصلاح بين قوم تنازعوا واختلفوا وتباينت قلوبهم وآراؤهم وكل ما يجيء من الالفاظ على هذا النحو فينبغي أن يجرى هذا المجرى (وههنا نكتة لابد من التنبيه عليها) وذلك أن قوة اللفظ لقوة المعنى لا تستقيم الا في نقل صيغة الى صيغة أكثر منها كنقل الثلاثي الى الرباعي والا فاذا كانت صيغة الرباعي مثلا موضوعة لمعنى فانه لا يراد به ما أريد من نقل الثلاثي إلى مثل تلك الصيغة ألا ترى أنه إذا قيل في الثلاثي قتل ثم نقل إلى الرباعي فقيل قتل بتشديد التاء فان الفائدة من هذا النقل هي التكثير أي أن القتل وجد منه كثيرا وهذه الصيغة الرباعية بعينها لو وردت من غير نقل لم تكن دالة على التكثير كقوله تعالى وكلم الله موسى تكليما فان كلم على وزن قتل ولم يرد به التكثير بل أريد به أنه خاطبه سواء كان خطابه اياه طويلا أو قصيرا قليلا أو كثيرا وهذه اللفظة رباعية وليس لها ثلاثي نقلت عنه الى الرباعي لكن قد وردت بعينها ولها ثلاثي ورباعي فكان الرباعي أكثر وأقوى فيما دل عليه من المعنى وذلك أن تكون كلم من الجرح أي جرح ولها ثلاثي وهو كلم مخففا أي جرح فاذا وردت مخففة دلت على الجراحة مرة واحدة واذا وردت مثقلة دلت على التكثير (وكذلك) ورد قوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا فان لفظة رتل على وزن قتل ومع هذا ليست دالة على كثرة القراءة وانما المراد بها أن تكون القراءة على هيئة التأني والتدبر وسبب ذلك أن هذه اللفظة لا ثلاثي

(وبرأت) من المرض برأ وبرأ الله الخلق يبرأهم برأ وبريت القلم أبريه بريا (نحل جسمه) ينحل نحولا ونحلته من العطية أنحله نحلا ونحلة ونحلته القول أنحله نحلا (أويت) له مأوية واية أي رحمته وأويت إلى فلان آوى أويا وآويت فلانا ايواء (عثر في ثوبه) يعثر عثارا وعثر عليهم يعثر عثرا وعثورا أي اطلع وأعثرت فلانا على القوم من قول الله عز وجل وكذلك أعثرنا عليهم (وقمت) في العمل وقوما ووقمت في الناس وقيعة (سكرت الريح) سكورا سكنت بعد الهبوب وسكرت البثق أسكره سكرا إذا سددته وسكر الرجل يسكر سكرا وسكرا (عبر الرؤيا) يعبرها عبارة وعبر النهر يعبره عبورا وعبر الرجل يعبر عبرا إذا استعبر والعبر سخنة العين يقال لامه العبر (جادله) بالمال جودا وجاد المطر يجود جودا وجاد عمله يجود جودة وفرس جواد بين الجودة (ضويت) اليه فانا أضوى ضويا (وروى) أبو زيد ضويت اليه ضيا اذا أويت اليه وضويت من الهزال فأنا أضوى

لها حتى تنقل عنه الى رباعى وانما هى رباعية موضوعة لهذه الهيئة المخصوصة من القراءة وعلى هذا فلا يستقيم معنى الكثرة والقوة فى اللفظ والمعنى إلا بالنقل من وزن إلى وزن أعلى منه فاعرف ذلك (ومن ههنا) شذ الصواب عمن شذ عنه فى عالم وعليم فان جمهور علماء العربية يذهبون إلى أن عليما أبلغ فى معنى العلم من عالم وقد تأملت ذلك وأنعمت نظرى فيه فحصل عندى شك فى الذى ذهبوا اليه والذى أوجب ذلك الشك هو أن عالما وعليما على عدة واحدة اذ كل منهما أربعة أحرف وليس بينهما زيادة ينقل فيها الأدنى إلى الأعلى والذى يوجبه النظر أن يكون الأمر على عكس ما ذكروه وذاك أن يكون عالم أبلغ من عليم وسببه أن عالما اسم فاعل من علم وهو متعد وان عليما اسم فاعل من علم إلا أنه أشبه وزن الفعل القاصر نحو شرف فهو شريف وكرم فهو كريم وعظم فهو عظيم فهذا الوزن لا يكون إلا فى الفعل القاصر فلما أشبهه عليم انحط عن رتبة عالم الذى هو متعد ألا ترى أن فعل بفتح الفاء وكسر العين يكون متعديا نحو علم وحمد و يكون قاصرا غير متعد نحو غضب وشبع وأما فعل بفتح الفاء وضم العين فانه لا يكون الا قاصرا غير متعد ولما كان فعل بفتح الفاء وكسر العين مترددا بين المتعدى والقاصر وكان فعل بفتح الفاء وضم العين قاصرا غير متعد صار القاصر أضعف مما يدور بين المتعدى والقاصر وحيث كان الأمر كذلك وأشبه وزن المتعدى وزن القاصر حط ذلك من درجته وجعله فى الرتبة دون المتعدى الذى ليس بقاصر هذا هو الذى أوجب لى التشكيك فيما ذهب اليه غيرى من علماء العربية ولربما كان ما ذهبوا اليه لامر خفى عنى ولم أطلع عليه ﴿النوع الثالث عشر فى عكس الظاهر﴾ وهو نفى الشىء باثباته وهو من مستظرفات علم البيان وذاك أنك تذكر كلاما يدل ظاهره أنه نفى لصفة موصوف وهو نفى للموصوف أصلا (فما جاء منه) قول على بن أبى طالب رضى الله عنه فى وصف مجلس رسول الله ﷺ لا تنثى فلتاته أى لا تذاع سقطاته فظاهر هذا اللفظ أنه كان ثم فلتات غير أنها لا تذاع وليس المراد ذلك بل المراد أنه لم يكن ثم فلتات فتنثى وهذا من أغرب ما توسعت فيه اللغة العربية وقد ورد فى الشعر كقول بعضهم * ولا ترى الضب بها ينجحر * فان ظاهر المعنى من هذا البيت أنه كان هناك ضب ولكنه غير منجحر وليس كذلك بل المعنى أنه لم يكن هناك ضب أصلا وهذا النوع من الكلام قليل الاستعمال وسبب ذلك أن الفهم يكاد يأباه ولا يقبله الا بقرينة خارجة عن دلالة لفظه على معناه وما كان عاريا عن قرينة فانه لا يفهم منه ما أراد قائله وسأوضح ذلك فأقول أما قولنا عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنثى فلتاته فان مفهوم هذا اللفظ انه كان هناك فلتات الا أنها تطوى ولا تنشر وتكتم ولا تذاع ولا يفهم منه أنه لم يكن هناك فلتات الا بقرينة خارجة عن اللفظ وهى أنه قد ثبت فى النفوس وتقرر عند العقول أن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم منزه عن فلتات تكون به وهو أكرم من ذلك وأوقر فلما قيل انه لا تنثى فلتاته فهمنا منه أنه لم يكن هناك فلتات أصلا وأما قول القائل * ولا ترى الضب بها ينجحر * فانه لا قرينة تخصصه حتى يفهم منه ما فهم من الأول بل المفهوم أنه كان هناك ضب ولكنه غير منجحر ولقد مكثت زمانا أطوف على أقوال الشعراء قصدا للظفر بأمثلة من الشعر جارية هذا المجرى فلم أجد الا بيتا لامرىء القيس وهو

على لاحب لا يهتدى لمناره * اذا ساقه العود النباطى جرجرا

فقوله لا يهتدى لمناره أى أن له منارا الا أنه لا يهتدى به وليس المراد ذلك بل المراد أنه لا منار له يهتدى به ولى أنا فى هذا بيت من الشعر وهو

(قبلت العين) تقبل قبلا وقبل الهدية قبولا بفتح القاف وقبلت المرأة القابلة قبالة (تلوت) القرآن فأنا أتلوه تلاوة وتلوت الرجل تبعته فأنا أتلوه تلوا وتليت من حقى تلية وتلاوة أى بقية (فركت) الحب أفركه فركا وفركت المرأة زوجها تفركه فركا (لبست عليه) الامر اذا أشبهت عليه فأنا ألبس لبسا ولبست ثوبى فأنا ألبس لبسا (خطبت) المرأة خطبة حسنة وخطبت على المنبر خطبة (وحميت) المريض أحميه حمية وحموة وحميت القوم حماية أى نصرتهم ومنعت من ظلمهم وحميت الحمى حميا اذا منعت منه فأما أحميت المكان بالالف فجعلته حمى وقد حميت من الانفة حمية ومحمية (شب الغلام) يشب شبابا وشب الفرس يشب شبابا وشبيبا وشببت النار فأنا أشبها شبا وشبوبا (بلوته) أبلوه بلوا اذا جربته و بلاه الله يبلوه بلاء اذا أصابه ببلاء يقال اللهم لا تبلنا الا بالتى هى أحسن وأبلاه الله يبليه ابلاء حسنا وقال زهير * فأبلاهما خير البلاء الذى يبلو * أراد الذى يختبر به عباده و بلى الثوب بلاء مفتوح الأول ممدود

أدنين جلباب الحياء فلن يرى * لذيولهن على الطريق غبار

وظاهر هذا الكلام أن هؤلاء النساء يمشين هونا لحيائهن فلا يظهر لذيولهن غبار على الطريق وليس المراد ذلك بل المراد أنهن لا يمشين على الطريق أصلا أى أنهن مخبآت لا يخرجن من بيوتهن فلا يكون اذاً لذيولهن على الطريق غبار وهذا حسن رائق وهو أظهر بيانا من قوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * فمن استعمل هذا النوع من الكلام فليستعمله هكذا والا فليدع على أن الاكثار من استعماله عسر لأنه لا يظهر المعنى فيه ﴿النوع الرابع عشر فى الاستدراج﴾ وهذا الباب أنا استخرجته من كتاب الله تعالى وهو مخادعات الاقوال التى تقوم مقام مخادعات الافعال والكلام فيه وان تضمن بلاغة فليس الغرض ههنا ذكر بلاغته فقط بل الغرض ذكر ما تضمنه من النكت الدقيقة فى استدراج الخصم الى الاذعان والتسليم وإذا حقق النظر فيه علم أن مدار البلاغة كلها عليه لانه لا انتفاع بايراد الالفاظ المليحة الرائقة ولا المعانى اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب بها والكلام فى مثل هذا ينبغى أن يكون قصيرا فى خلابه لا قصيرا فى خطابه فاذا لم يتصرف الكاتب فى استدراج الخصم الى القاء يده والا فليس بكاتب ولا شبيه له الا صاحب الجدل فكما أن ذاك يتصرف فى المغالطات القياسية فكذلك هذا يتصرف فى المغالطات الخطابية وقد ذكرت فى هذا النوع ما يتعلم منه سلوك هذه الطريق (فمن ذلك) قوله تعالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب ألا ترى ما أحسن مأخذ هذا الكلام وألطفه فانه أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال لا يخلو هذا الرجل من أن يكون كاذبا فكذبه يعود عليه ولا يتعداه أو يكون صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم ان تعرضتم له وفى هذا الكلام من حسن الادب والانصاف ما أذكره لك فأقول إنما قال يصبكم بعض الذى يعدكم وقد علم أنه نبى صادق وأن كل ما يعدهم به لا بد وأن يصيبهم لا بعضه لانه احتاج فى مقاولة خصوم موسى عليه السلام أن يسلك معهم طريق الانصاف والملاطفة فى القول ويأتيهم من جهة المناصحة ليكون أدعى إلى سكونهم اليه فجاء بما علم أنه أقرب إلى تسليمهم لقوله وأدخل فى تصديقهم إياه فقال وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم وهو كلام المنصف فى مقابلة غير المشتط وذلك أنه حين فرضه صادقا فقد أثبت أنه صادق فى جميع ما يعد به لكنه أردف بقوله يصبكم بعض الذى يعدكم ليهضمه بعض حقه فى ظاهر الكلام فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وافيا فضلا من أن يتعصب له وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل كأنه برطلهم فى صدر الكلام بما يزعمونه لئلا ينفروا منه وكذلك قوله فى آخر الآية ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب أى هو على الهدى ولو كان مسرفا كذابا لما هداه الله للنبوة ولا عضده بالبينات وفى هذا الكلام من خداع الخصم واستدراجه ما لا خفاء به وقد تضمن من اللطائف الدقيقة ما إذا تأملته حق التأمل أعطيته حقه من الوصف (ومما يجرى على هذا الاسلوب) قوله تعالى واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا يا أبت انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا يا أبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا هذا كلام يهز أعطاف السامعين وفيه من الفوائد ما أذكره وهو أنه لما أراد ابراهيم عليه السلام أن ينصح أباه ويعظه وينقذه مما كان متورطا فيه من

أهلى نزعا ومنازعة (حفيت) الدابة تحفى حفى اذا رق حافرها وحفى فلان يحفى حفية وحفاية وحفوة فهو حاف والاول حف الانثى حفية مخففة وقد حفى فلان بفلان حفاوة وحفاوة اذا عنى به وبره (حالت) القوس تحول حولا وكذلك حال عند العهد يحول حولا وحالت الناقة تحول حيالا (حل) بالمكان يحل حلولا وحل لك الشىء يحل حلا وحل العقد يحله حلا (حد الارض) يحدها حدا من الحدود وكذلك حده أى جلده الحد وحد يحد حداً وحدة اذا أصابته عجلة (جمت البئر) تجم جموما كثر ماؤها وجم الفرس يجم جماما (هبت الريح) تهب هبوبا وهبيبا وهب من نومته يهب هبوبا وهب التيس يهب هبابا هداه فى الدين هدى وهداه الطريق هداية وهدى العروس الى زوجها هداء (بغت المرأة) تبغى بغاء وبغيت الشىء بغاء وبغية وبغيت على القوم بغيا (سفرت) عن وجهها أسفر سفرا وسفرت أنا سفورا وسفرت بينهم سفارة من السفير واسفر وجهى يسفر إسفاراً اذا أشرق (رأيت) فى المنام رؤيا ورأيت فى الفقه رأيا ورأيت الرجل رؤية (بطل الاجير) يبطل بطالة وبطل الشىء يبطل بطلا وبطلانا وهو بطل بين البطولة (زلت الدراهم) تزل زلولا وزللت فى الطين أزل زللا وزللت أيضا

الخطأ العظيم الذى عصى به أمر العقل رتب الكلام معه فى أحسن نظام مع استعمال المجاملة واللطف والأدب الحميد والخلق الحسن مستنصحا فى ذلك بنصيحة ربه وذلك أنه طلب منه أولا العلة فى خطيئته طلب منبه على تماديه موقظ من غفلته لان المعبود لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على الثواب والعقاب إلا أنه بعض الخلق يستخف عقل من أهله للعبادة ووصفه بالربوبية ولو كان أشرف الخلائق كالملائكة والنبيين فكيف بمن جعل المعبود جمادا لا يسمع ولا يبصر يعنى به الصنم ثم ثنى ذلك بدعوته إلى الحق مترفقا به فلم يسم أباه بالجهل المطلق ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان معى لطائفة من العلم وشيئا منه وذلك علم الدلالة على سلوك الطريق فلا تستنكف وهب أنى وإياك فى مسير وعندى معرفة بهداية الطريق دونك فاتبعنى أنجك من أن تضل ثم ثلث ذلك بتثبيطه عما كان عليه ونهيه فقال ان الشيطان الذى استعصى على ربك وهو عدوك وعدو أبيك آدم هو الذى ورطك فى هذه الورطة وألقاك فى هذه الضلالة وانما ألغى ابراهيم عليه السلام ذكر معاداة الشيطان آدم وذريته فى نصيحة أبيه لانه لامعانه فى الاخلاص لم يذكر من جنايتى الشيطان الا التى تختص بالله وهى عصيانه واستكباره ولم يلتفت إلى ذكر معاداته آدم وذريته ثم ربع ذلك بتخويفه اياه سوء العاقبة فلم يصرح بأن العقاب لاحق به ولكنه قال انى أخاف أن يمسك عذاب فنكر العذاب ملاطفة لأبيه وصدر كل نصيحة من هذه النصائح بقوله يا أبت توسلا اليه واستعطافا وهذا بخلاف ما أجابه به أبوه فانه قال أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم فأقبل عليه بفظاظة الكفر وغلظ العناد فناداه باسمه ولم يقابل قوله يا أبت بقوله يابنى وقدم الخبر على المبتدأ فى قوله أراغب أنت لأنه كان أهم عنده وفيه ضرب من التعجب والانكار لرغبة ابراهيم عن آلهته وفى القرآن الكريم مواضع كثيرة من هذا الجنس لاسيما فى مخاطبات الأنبياء صلوات الله عليهم للكفار والرد عليهم وفى هذين المثالين المذكورين ههنا كفاية ومقنع (وبلغنى حديث) تفاوض فيه الحسين بن على رضى الله عنهما ومعاوية بن أبى سفيان فى أمر ولده يزيد وذاك أن معاوية قال للحسين أما أمك فاطمة فانها خير من أمه وبنت رسول الله ﷺ خير من امرأة من كلب وأما حبى يزيد فانى لو أعطيت به مثلك ملء الغوطة لما رضيت وأما أبوك وأبوه فانهما تحاكما الى الله فحكم لأبيه على أبيك وهذا كلام من معاوية كلما أمررته بفكرى عجبت من سداده فضلا عن بلاغته وفصاحته فان معاوية علم ما لعلى رضى الله عنه من السبق الى الاسلام والأثر فيه وما عنده من فضيلة العلم فلم يعرض فى المنافرة الى شىء من ذلك ولم يقل أيضا ان الله أعطانى الدنيا ونزعها منكم لان هذا الافضل فيه اذ الدنيا ينالها البر والفاجر وانما صانع عن ذلك كله بقوله ان أباك وأباه تحاكما الى الله فحكم لأبيه على أبيك وهذا قول ايهامى يوهم شبهة من الحق واذا شاء من شاء أن ينافر خصمه ويستدرجه الى الصمت عن الجواب فليقل هكذا (النوع الخامس عشر فى الايجاز) وهو حذف زيادات الالفاظ وهذا نوع من الكلام شريف لا يتعلق به الا فرسان البلاغة من سبق الى غايتها وما صلى وضرب فى أعلى درجاتها بالقدح المعلى وذلك لعلو مكانه وتعذر امكانه والنظر فيه انما هو الى المعانى لا الى الالفاظ ولست أعنى بذلك أن تهمل الالفاظ بحيث تعرى عن أوصافها الحسنة بل أعنى أن مدار النظر فى هذا النوع انما يختص بالمعانى فرب لفظ قليل يدل على معنى كثير ورب لفظ كثير يدل على معنى قليل ومثال هذا كالجوهرة الواحدة بالنسبة الى الدراهم الكثيرة فمن ينظر الى طول الالفاظ يؤثر الدراهم لكثرتها ومن ينظر الى شرف المعانى يؤثر الجوهرة الواحدة لنفاستها ولهذا سمى النبى صلى الله عليه وسلم الفاتحة أم الكتاب

كرهه (حسبت) الشىء بمعنى ظننت حسبانا وحسبت الحساب حسبانا قال الله عز وجل الشمس والقمر بحسبان أى بحساب (فاح) الطيب يفوح فوحا وفاحت الشجة تفيح فيحا بالدم (كبا) الفرس يكبو كبوا وكبا الزند يكبو كبوا اذا لم يور (قنع) يقنع قناعة اذا رضي وقنع يقنع قنوعا اذا سأل ومنه وأطعموا القانع والمعتر (رضع) الصبي يرضع ورضع يرضع رضاعا ورضاعا ورضع الرجل يرضع رضاعة اذا لؤم من قولك لئيم راضع والاصل فيهما واحد لان أصل قولهم لئيم راضع انه يرضع الابل والغنم ولا يحلبهما كى لا يسمع صوت الحلب ثم قيل لكل لئيم اذا وكد لؤمه راضع فانتقل عن حد الفعل الى مذهب الطبائع والاخلاق فقيل رضع كما قيل لؤم وجبن وشجع وظرف وكذلك أكثر هذه الحروف اذا أنت رجعت الى أصولها وجدتها من موضع واحد وفرق بين مصادرها وبين بعض أفاعيلها ليكون لكل معنى لفظ غير لفظ الآخر (بعد فلان) يبعد بعدا أو بعد بكسر العين يبعد

و إذا نظرنا إلى مجموعها وجدناه يسيرا وليست من الكثرة إلى غاية تكون بها أم البقرة وآل عمران وغيرها من السور الطوال فعلمنا حينئذ أن ذلك الأمر يرجع إلى معانيها (والكلام فى هذا الموضع) يخرج بنا إلى غير ما نحن بصدده لأنه يحتاج فيه إلى ذكر المراد بالقرآن الكريم وما يشتمل عليه سوره وآياته إلى حصر أقسام معانيه لكنا نشير فى ذلك اشارة خفيفة (فنقول) المراد بالقرآن هو دعوة العباد إلى الله تعالى ولذلك انحصرت سوره وآياته فى ستة أقسام ثلاثة منها هى الأصول وثلاثة هى الفروع (أما الأصول) فالأول منها تعريف المدعو اليه وهو الله تعالى و يشتمل هذا الأصل على ذكر ذاته وصفاته وأفعاله والأصل الثانى تعريف الصراط المستقيم الذى يجب ملازمته فى السلوك إلى الله تعالى و يشتمل هذا الأصل على التبتل بعبادة الله بأفعال القلب وأفعال الجوارح والأصل الثالث تعريف الحال بعد الوصول إلى الله تعالى أعنى بعد الموت و يشتمل هذا الاصل على تفصيل أحوال الدار الآخرة من الجنة والنار والصراط والميزان والحساب وأشباه ذلك فهذه الاصول الثلاثة (وأما الفروع) فالاول منها تعريف أحوال المجيبين للدعوة ولطائف صنع الله بهم من النصرة والادالة وتعريف أحوال المخالفين للدعوة والحادين لها وكيفية صنع الله فى التدمير عليهم والتنكيل بهم والفرع الثانى ذكر مجادلة الخصوم ومحاجتهم وحملهم بالمجادلة والمحاجة على طريق الحق وهؤلاء هم اليهود والنصارى ومن يجرى مجراهم من أرباب الشرائع والفلاسفة والملحدة من غير أرباب الشرائع والفرع الثالث تعريف عمارة منازل الطريق وكيفية أخذ الزاد والاهبة الاستعداد وذلك قياس الشريعة وتبيين الحكمة فى أوامرها التى تتعلق بأفعال أهل التكليف فهذه الاقسام الستة المشار اليها هى التى يدور معانى القرآن عليها ولا يتعداها وههنا تقسيم آخر يطول الخطب فيه ولا حاجة الى ذكره واذا نظرنا إلى سورة الفاتحة وتأملنا ما فيها من المعانى وجدناها مشتملة على أربعة أقسام من الستة المذكورة ولذلك سماها النبى صلى الله عليه وسلم أم الكتاب كما أنه قال إن سورة الاخلاص تعدل ثلث القرآن واذا نظرنا فى الاقسام الستة وجدنا سورة الاخلاص بمنزلة ثلث القرآن وكذلك قال صلى الله عليه وسلم آية الكرسى سيدة آى القرآن ويروى أنه سأل أبى بن كعب رضى الله عنه فقال أى آية معك فى كتاب الله أعظم فقال الله لا إله إلا هو الحى القيوم فضرب فى صدره وقال ليهنك العلم أبا المنذر وكل هذا يرجع إلى المعانى لا الى الالفاظ فاعرف ذلك و بينه لرموزه وأسراره (واعلم) أن جماعة من مدعى علم البيان ذهبوا الى أن الكلام ينقسم قسمين فمنه ما يحسن فيه الايجاز كالاشعار والمكاتبات ومنه ما يحسن فيه التطويل كالخطب والتقليدات وكتب الفتوح التى تقرأ فى ملأ من عوام الناس فان الكلام إذا طال فى مثل ذلك أثر عندهم وأفهمهم ولو اقتصر فيه على الايجاز والاشارة لم يقع لاكثرهم حتى يقال فى ذكر الحرب التقى الجمعان وتطاعن الفريقان واشتد القتال وحمى النصال وما جرى هذا المجرى والمذهب عندى فى ذلك ما أذكره وهو أن فهم العامة ليس شرطا معتبرا فى اختيار الكلام لانه لو كان شرطا لوجب على قياسه أن يستعمل فى الكلام الالفاظ العامية المبتذلة عندهم ليكون ذلك أقرب الى فهمهم لان العلة فى اختيار تطويل الكلام إذا كانت فهم العامة اياه فكذلك تجعل تلك العلة بعينها فى اختيار المبتذل من الكلام فانه لاخلاف فى أن العامة إلى فهمه أقرب من فهم ما يقل ابتذالهم اياه وهذا شىء مدفوع وأما الذى يجب توخيه واعتماده فهو أن يسلك المذهب القويم فى تركيب الالفاظ على المعانى بحيث لا تزيد هذه على هذه مع الايضاح والابانة وليس على مستعمل ذلك أن يفهم العامة كلامه

يطلب الرزق ضربا (لوى يده) يلويها ليا ولواه بدينه يلويه ليانا إذا مطله (قر يقر) قرارا إذا سكن وقر يومنا يقر قرا (وحر يومنا) يحر حرارة وحرا (وقرت عينى) تقر وتقر قرة وقرورا (نفر القوم) فى الامر ينفرون نفورا ونفر الحاج نفرا ونفرت الدابة نفارا (أنفق البيع) ينفق نفاقا ونفقت الدابة إذا ماتت تنفق نفوقا (جلوت السيف) أجلوه جلاء وجلوت العروس جلوة وجلوت بصرى بالكحل جلوا (خطر ببالى) خطورا وخطر فى مشيته خطرانا وخطر البعير بذنبه خطرا وخطيرا (طاف حول الشىء) يطوف طوفا وطاف الخيال يطيف طيفا وأطاف يطاف اطيافا اذا قضى حاجته وأطاف به اطافة اذا ألم به (عجزت) عن الشىء أعجز عجزا ومعجزة وعجزت المرأة تعجز عجزا اذا عظمت عجيزتها وعجزت تعجز تعجيزا اذا صارت عجوزا (حسر) يحسر حسرا من الحسرة وحسر عن ذراعيه يحسر حسرا (قطعت الحبل) قطعا وقطع رحمه قطيعة وقطعت الطير قطوعا اذا انحدرت من بلاد البرد الى بلاد الحر وقطعت النهر قطوعا (ومن المصادر التى لا افعال لها) رجل بين الرجولة والرجولية وراجل بين الرجلة

فان نور الشمس إذا لم يره الاعمى لايكون ذلك نقصا فى استنارته وإنما النقص فى بصر الأعمى حيث لم يستطع النظر اليه

عليّ نحت القوافى من معادنها * وما على بأن لا تفهم البقر

(وحيث انتهى بنا القول إلى هذا الموضع) فلنرجع إلى ما هو غرضنا ومهمنا من الكلام على الايجاز وحده وأقسامه ونوضح ذلك إيضاحا جليا والله الموفق للصواب فنقول حد الايجاز هو دلالة اللفظ على المعنى من غير أن يزيد عليه والتطويل هو ضد ذلك وهو أن يدل على المعنى بلفظ يكفيك بعضه فى الدلالة عليه كقول العجير السلولى من أبيات الحماسة

طلوع الثنايا بالمطايا وسابق * إلى غاية من يبتدرها يقدم

فصدر هذا البيت فيه تطويل لا حاجة اليه وعجزه من محاسن الكلام المتواصفة وموضع التطويل من صدره أنه قال طلوع الثنايا بالمطايا فان لفظة المطايا فضلة لا حاجة اليها وبيان ذلك أنه لايخلو الأمر فيها من وجهين إما أن يريد أنه سابق الهمة إلى معالى الأمور كما قال الحجاج على المنبر عند وصوله العراق * أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * أى أنا الرجل المشهور السابق إلى معالى الأمور فان أراد العجير بقوله طلوع الثنايا ما أشرت اليه فذكر المطايا يفسد ذلك المعنى لأن معالى الامور لايرقى اليها بالمطايا وان أراد الوجه الآخر وهو أنه كثير الاسفار فاختصاصه الثنايا بالذكر دون الارض من المفاوز وغيرها لا فائدة فيه وعلى كلا الوجهين فان ذكر المطايا فضلة لا حاجة اليه وهو تطويل بارد غث فقس على هذا المثال ما يجرى مجراه من التطويلات التى إذا أسقطت من الكلام بقى على حاله لم يتغير شيء وكذلك يجرى الأمر فى ألفاظ يوصل بها الكلام فتارة تجيء لفائدة وذلك قليل وتارة تجيء لغير فائدة وذلك كثير وأكثر ماترد فى الاشعار ليوزن بها الأبيات الشعرية وذلك نحو قولهم لعمرى ولعمرك ونحو أصبح وأمسى وظل وأضحى وبات وأشباه ذلك ونحو ياصاحبى وياخليلى ومايجرى هذا المجرى فمما جاء منه قول أبى تمام

أقروا لعمرى لحكم السيوف * وكانت أحق بفصل القضاء

فان قوله لعمرى زيادة لا حاجة للمعنى اليها وهى حشو فى هذا البيت لا فائدة فيه الا اصلاح الوزن لاغير ألا ترى أنها من باب القسم وانما يرد القسم فى موضع يؤكد به المعنى المراد إما لانه مما يشك فيه أو مما يعز وجوده أو ماجرى هذا المجرى وهذا البيت الشعرى لايفتقر معناه إلى توكيد قسمى إذ لا شك فى أن السيوف حاكمة وأن كل أحد يقر لحكمها ويذعن لطاعتها وكذلك قوله أيضا

إذا أنا لم أمعترات دهر * بليت به الغداة فمن ألوم

فقوله الغداة زيادة لاحاجة للمعنى اليها لانه يتم بدونها لأن عثرات الدهر لم تنله الغداة ولا العشى وانما نالته ونيلها اياه لابد وأن يقع فى زمن من الأزمنة كائنا ماكان ولاحاجة الى تعيينه بالذكر وعلى هذا ورد قول البحترى

ما أحسن الايام إلا أنها * ياصاحبى اذا مضت لم ترجع

فقوله ياصاحبى زيادة لاحاجة بالمعنى اليها الا أنها وردت لتصحيح الوزن لاغير وهذه الالفاظ التى ترد فى الابيات الشعرية لتصحيح الوزن لاعيب فيها لانا لو عبناها على الشعراء لتحجرنا عليهم وضيقنا والوزن يضطر فى بعض الاحوال الى مثل ذلك لكن اذا وردت فى الكلام المنثور فانها ان وردت حشوا ولم ترد لفائدة كانت عيبا وقد ترد فى الابيات الشعرية ويكون ورودها لفائدة وذلك هو الاحسن كقول البحترى

قوم أهانوا الوفرحتى أصبحوا * أولى الانام بكل عرض وافر

فقوله

قوم غمار وغمور وكذلك ماغمر ورجل غمر أى غير مجرب بين الغمارة من قوم أغمار (كلبة صارف) بينة الصروف وناقة صروف بينة الصريف (امرأة حصان) بينة الحصانة والحصن وفرس حصان بين التحصين والتحصن (حافر وقاح) بين الوقاحة والوقح والقحة ورجل وقاح الوجه بين القحة والقحة والوقاحة (ورجل هجين) بين الهجونة وامرأة هجان بينة الهجانة وفرس هجين بين الهجنة (جارية) بينة الجراء والجراء وجرى بين الجراية والجراية (أمة) بينة الأموة (وأم) بينة الامومة (وأب) بين الابوة (وأخت) بينة الاخوة (و بنت) بينة البنوة (وخال) بين الخؤلة (وعم) بين العمومة (ورجل) سبط الشعر بين السبوطة وسبط الجسم بين السباطة

﴿ باب الافعال ﴾

(علوت) فى الجبل علوا وعلوت فى المكارم علاء (وحليت) فى عينى وفى صدرى تحلى وحلاً فى الشراب يحلو (ولهيت) عن كذا فانا ألهى إذا غفلت ولهوت من اللهو فأنا ألهو (وهذا شراب بحذى اللسان) وهو يحذو النعل (وقلوت اللحم) والبسر وقليت الرجل

فقوله أصبحوا بمعنى صاروا أي أنهم صاروا أولى الناس بالأعراض الوافرة وهذه اللفظة لم ترد في هذا البيت حشواً كما وردت في بيتي أبي تمام المقدم ذكرهما (وسأزيد هذا الموضع بيانا) بمثال أضرب به للتطويل حتى يستدل به على أمثاله وأشباهه والمثال الذي أضرب به هو حكاية أوردت بمحضر مني وذاك أنه جلس الى في بعض الأيام جماعة من الاخوان وأخذوا في مفاوضة الأحاديث وانساق ذلك الى ذكر غرائب الوقائع التي تقع في العالم فذكر كل من الجماعة شيئا فقال شخص منهم اني كنت بالجزيرة العمرية في زمن الملك فلان وكنت اذ ذاك صبياً صغيراً فاجتمعت أنا ونفر من الصبيان في الحارة الفلانية وصعدنا الى سطح طاحون لبني فلان وأخذنا نلعب على السطح فوقع صبي منا الى أرض الطاحون فوطئه بغل من بغال الطاحون فخفنا أن يكون أذاه فأسرعنا النزول اليه فوجدناه قد وطئه البغل فختنه ختانة صحيحة حسنة لا يستطيع الصانع الحاذق أن يفعل خيراً منها فقال له شخص من الحاضرين والله ان هذا عي فاحش وتطويل كثير لا حاجة اليه فانك بصدد أن تذكر أنك كنت صبياً تلعب مع الصبيان على سطح طاحون فوقع صبي منكم الى أرض الطاحون فوطئه بغل من بغال الطاحون فختنه ولم يؤذه ولا فرق بين أن تكون هذه الواقعة في بلد نعرفه أو في بلد لا نعرفه ولو كانت بأقصى المشرق أو بأقصى المغرب لم يكن ذلك قدحا في غرابتها واما أن تذكر أنها كانت بالجزيرة العمرية في الحارة الفلانية في طاحون بني فلان وكان زمن الملك فلان فان مثل هذا كله تطويل لا حاجة اليه والمعنى المقصود يفهم بدونه (فاعلم) أيها الناظر في كتابي هذا أن التطويل هو زيادات الألفاظ في الدلالة على المعاني ومهما أمكنك حذف شيء من اللفظ في الدلالة على معنى من المعاني فان ذلك اللفظ هو التطويل بعينه (وأما الايجاز) فقد عرفتك أنه دلالة اللفظ على المعنى من غير أن يزيد عليه (وهو ينقسم قسمين أحدهما) الايجاز بالحذف وهو ما يحذف منه المفرد والجملة لدلالة فحوى الكلام على المحذوف ولا يكون الا فيما زاد معناه على لفظه (والقسم الآخر) ما لا يحذف منه شيء وهو ضربان أحدهما ما ساوى لفظه معناه ويسمى التقدير والآخر ما زاد معناه على لفظه ويسمى القصر (واعلم أن القسم الأول) الذي هو الايجاز بالحذف يتنبه له من غير كبير كلفة في استخراجه لمكان المحذوف منه (وأما القسم الثاني) فان التنبه له عسر لانه يحتاج الى فضل تأمل وطول فكرة لخفاء ما يستدل عليه ولا يستنبط ذلك الا من رست قدمه في ممارسة علم البيان وصار له خليقة وملكة ولم أجد أحدا علم هذين القسمين بعلامة ولا قيدهما بقيد وقد أشرت الى ذلك فيما يأتي من هذا الباب عند تفصيل أمثلتهما فليؤخذ من هناك (فان قيل) ان هذا التقسيم الذي قسمته في المحذوف وغير المحذوف ليس بصحيح لان المعاني ليست أجساما كالألفاظ حتى يصح التقدير بينهما ثم لو سلمت جواز التقدير في المساواة لم أسلم جواز الزيادة فليس لقائل أن يقول هذا المعنى زائد على هذا اللفظ لانه ان قال ذلك قيل فمن أين فهمت تلك الزيادة الخارجة عن اللفظ وقد علم أن الألفاظ انما وضعت للدلالة على افهام المعاني فان قال انها فهمت من شيء خارج عن اللفظ قيل له فتلك الزيادة بازاء ذلك الشيء الخارج عن اللفظ والباقي مساو للفظ وان قال انها فهمت من اللفظ قيل فكيف تفهم منه وهي زائدة عليه فان قال انها فهمت من تركيبه لان التركيب أمر زائد على اللفظ قيل الألفاظ تدل بانفرادها على معنى وبتركيبها على معنى آخر واللفظ المركب يدل على معنى مركب واللفظ المفرد يدل على معنى مفرد وتلك الزيادة ان أريد بها زيادة معنى المركب على المركب فلا يخلو اما أن تكون تلك الزيادة مفهومة من دلالة اللفظ المركب عليها أو من دلالة

الرجل) إذا أسن وكبر الأمر اذا عظم (بدن الرجل) يبدن بدنا وبدانة وهو بادن اذا ضخم وبدن الرجل اذا أسن تبدينا وهو رجل بدن قال الأسود بن يعفر

هل لشباب فات من مطلب
أم ما بكاء البدن الأشيب

وقال حميد الأرقط

وكنت خلت الشيب والتبدينا
* والهم مما يذهل القرينا

(استخبينا) خباءنا إذا نصبناه ودخلنا فيه وأخبيناه نصبناه (استعم) الرجل عما اذا اتخذ عما هذا قول الكسائي قال أبو زيد *تعممت الرجل اذا دعوته عما * (زعت الناقة) عطفتها قال ذو الرمة

وخافق الرأس فوق الرحل قلت له * زع بالزمام وجوز الليل مركوم

أي اعطف الناقة بالزمام ووزعت الناقة كففتها وجاء في الحديث من يزع السلطان أكثر ممن يزع القران ومنه الوازع في الجيش ولابد للناس من وزعة أي من سلطان يكفهم (قتل الرجل) بالسيف فان قتله عشق النساء والجن فليس يقال فيه الا اقتتل قال ذو الرمة

اذا ما امرء حاولن أن يقتتلنه * بلا احنة بين النفوس ولا ذحل (تأبيت) بالتشديد والقصر تحبست قال الكميت

شيء خارج فان كانت مفهومة من دلالته عليها لم تكن زائدة عليه اذ لو كانت زائدة عليه لما دل عليها وان كانت مفهومة من دلالة الشيء الخارج عنه فهي بازاء ذلك الشيء الخارج والباقي مساو للباقي ﴿ فالجواب عن ذلك ﴾ أن نقول هذا الذي ذكره كلام شبيه بالسفسطة وهو باطل من وجهين أحدهما أن المعاني إذا كانت لا تزيد على الألفاظ فيلزم من ذلك أن الألفاظ لا تزيد أيضا على المعاني لانهما متلازمان على قياسك ونحن نرى معنى قد دل عليه بألفاظ فاذا أسقط من تلك الألفاظ شيء لا ينقص ذلك المعنى بل يبقى على حاله والوجه الآخر أن الايجاز بالحذف أقوى دليلا على زيادة المعاني على الألفاظ لا نا نرى اللفظ يدل على معنى لم يتضمنه وفهم ذلك المعنى ضرورة لابد منه فعلمنا حينئذ أن ذلك المعنى الزائد على اللفظ مفهوم من دلالته عليه (فان قيل) ان المعنى الزائد على اللفظ المحذوف لابد له من تقدير لفظ آخر يدل عليه وتلك الزيادة بازاء ذلك اللفظ المقدر (قلت في الجواب عن ذلك) هذا لا ينقض ماذهبت اليه من زيادة المعنى على اللفظ لان المعنى ظاهر واللفظ الدال عليه مضمر واذا كان مضمرا فلا ينطق به واذا لم ينطق به فكأنه لم يكن وحينئذ يبقى المعنى موجودا واللفظ الدال عليه غير موجود وكذلك كل مايعلم من المعاني بمفهوم الخطاب ألا ترى أنك إذا قلت لمن دخل عليك أهلا وسهلا علم أن الأهل والسهل منصوبان بعامل محذوف تقديره وجدت أهلا ولقيت سهلا إلا أن لفظتي وجدت ولقيت محذوفتان والمعنى الذي دلا عليه باق فصار المعنى حينئذ مفهوما مع حذفهما فهو اذا زائد لامحالة وكذلك جميع المحذوفات على اختلافها وتشعب مقاصدها وهذا لا نزاع فيه لبيانه ووضوحه (وقد سنح لي في زيادة المعنى على اللفظ في غير المحذوفات دليل أنا ذاكره) وهو انا نجد من الكلام مايدل على معنيين وثلاثة واللفظ واحد والمعاني التي تحته متعددة فأما الذي يدل على معنيين فالكنايات جميعها كالذي ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضي الله عنهم أنهم كانوا إذا خرجوا من عنده لا يتفرقون الا عن ذواق وهذا يدل على معنيين أحدهما اطعام الطعام أي انهم لايخرجون من عنده حتى يطعموا والآخر أنهم لا يتفرقون الا عن استفادة علم وأدب يقوم لانفسهم مقام الطعام لاجسامهم وأما الذي يدل على ثلاثة معان فكقول أبي الطيب المتنبي

وأظلم أهل الظلم من بات حاسدا * لمن بات في نعمائه يتقلب

فهذا يدل على ثلاثة معان الاول أنه يحسد من أنعم عليه الثاني ضد الأول الثالث أنه يحسد كل رب نعمة كائنا من كان أي يحسد من بات في نعماء نفسه يتقلب وهذا وأمثاله من أدل الدليل على زيادة المعنى على اللفظ وهو شيء استخرجته ولم يكن لاحد فيه قول سابق (وحيث فرغنا من الكلام) على هذا الموضع فلنتبعه بذكر أقسام الايجاز المشار اليها أولا وماينصرف اليه (فنقول) أما الايجاز بالحذف فانه عجيب الأمر شبيه بالسحر وذاك أنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الافادة أزيد للافادة وتجدك أنطق ماتكون اذا لم تنطق وأتم ماتكون مبينا إذا لم تبين وهذه جملة تنكرها حتى تخبر وتدفعها حتى تنظر والأصل في المحذوفات جميعها على اختلاف ضروبها أن يكون في الكلام مايدل على المحذوف فان لم يكن هناك دليل على المحذوف فانه لغو من الحديث لايجوز بوجه ولا سبب ومن شرط المحذوف في حكم البلاغة أنه متى أظهر صار الكلام إلى شيء غث لايناسب ماكان عليه أولا من الطلاوة والحسن وقد يظهر المحذوف بالاعراب كقولنا أهلا وسهلا فان نصب الاهل والسهل يدل على ناصب محذوف وليس لهذا من الحسن ما الذي لا يظهر بالاعراب وانما يظهر بالنظر الى تمام المعنى

نمت (جبت) القميص قورت جيبه وجيبته جعلت له جيبا (نميت الحديث) نقلته على جهة الاصلاح ونميته مشدد نقلته على جهة الافساد (ثغر) الصبي اذا سقطت رواضعه وأثغر اذا نبتت أسنانه وثغر الرجل فهو مثغور اذا كسر ثغره قال جرير

أيشهد مثغورٌ علينا وقد رأى * سميرة منا في ثنايا مشهدا

(عرج) الرجل اذا صار أعرج وعرج اذا أصابه شيء فجمع وليس ذاك بخلقة وعرج في الدرجة والسلم يعرج عروجا (ضاعفت) للرجل الشيء أعطيته أضعافا مثله وأضعفته أعطيته ضعفه (آزرني فلان) عاونني ووازرني صار لي وزيرا (نشطت) العقدة اذا عقدتها بأنشوطة وأنشطتها حللتها ومنه يقال كأنما أنشط من عقال (أملحت القدر) اذا أكثرت ملحها وملحتها خفيف اذا ألقيت فيها ملحا بقدر (حمأت البئر) اذا أخرجت حمأتها وأحمأتها جعلت فيها حمأة (أدلى الرجل) دلوه اذا ألقاها في الماء ليستقي فاذا جذبها ليخرجها قيل دلا يدلو (فرى الاديم) قطعه على جهة الاصلاح وأفرى الرجل قطعه على جهة الافساد (تربت يداك) افتقرت وأتربت يداك

كقولنا فلان يحل و يعقد فان ذلك لا يظهر المحذوف فيه بالاعراب وانما يظهر بالنظر إلى تمام المعنى أى أنه يحل الأمور و يعقدها والذى يظهر بالاعرابي يقع فى المفردات من المحذوفات كثيرا والذى لا يظهر بالاعراب يقع فى الجمل من المحذوفات كثيرا (وسأذكر فى كتابى هذا ماوصل الى علمه وهو ينقسم قسمين) أحدهما حذف الجمل والآخر حذف المفردات وقد يرد كلام فى بعض المواضع و يكون مشتملا على القسمين معا (فأما القسم الأول) وهو الذى تحذف منه الجمل فانه ينقسم الى قسمين أيضا (أحدهما) حذف الجمل المفيدة التى تستقل بنفسها كلاما وهذا أحسن المحذوفات جميعها وأدلها على الاختصار ولا تكاد تجده الا فى كتاب الله تعالى (والقسم الآخر) حذف الجمل غير المفيدة وقد ورداههنا مختلطين (وجملتهما أربعة أضرب الضرب الأول) حذف السؤال المقدر و يسمى الاستئناف (و يأتى على وجهين الوجه الأول) اعادة الاسماء والصفات وهذا يجيء تارة باعادة اسم من تقدم الحديث عنه كقولك أحسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة يجيء باعادة صفته كقولك أحسنت الى زيد صديقك القديم أهل لذلك منك وهو أحسن من الأول وأبلغ لانطوائه على بيان الموجب للاحسان وتخصيصه (فمما ورد من ذلك) قوله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب و يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون والاستئناف واقع فى هذا الكلام على أولئك لانه لما قال الم ذلك الكتاب الى قوله وبالآخرة هم يوقنون اتجه لسائل أن يقول مابال المستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فأجيب بأن أولئك الموصوفين غير مستبعد أن يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا (الوجه الثانى) الاستئناف بغير اعادة الاسماء والصفات وذلك كقوله تعالى ومالى لا أعبد الذى فطرنى واليه ترجعون أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون إنى اذا لفى ضلال مبين انى آمنت بربكم فاسمعون قيل ادخل الجنة قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين فمخرج هذا القول مخرج الاستئناف لان ذلك من مظان المسئلة عن حاله عند لقاء ربه وكأن قائلا قال كيف حال هذا الرجل عند لقاء ربه بعد ذلك التصلب فى دينه والتسخى لوجهه بروحه فقيل قيل ادخل الجنة ولم يقل قيل له لانصباب الغرض الى المقول لا الى المقول له مع كونه معلوما وكذلك قوله تعالى ياليت قومى يعلمون مرتب على تقدير سؤال سائل عما وجد ومن هذا النحو قوله عزوجل ياقومى اعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا انى معكم رقيب والفرق بين اثبات الفاء فى سوف كقوله تعالى قل ياقومى اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه و يحل عليه عذاب مقيم و بين حذف الفاء ههنا فى هذه الآية أن اثباتها وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل وحذفها وصل خفى تقديرى بالاستئناف الذى هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت فقال سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن فى البلاغة وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف وهو قسم من أقسام علم البيان تتكاثر محاسنه فاعرفه ان شاء الله تعالى (الضرب الثانى) الاكتفاء بالسبب عن المسبب وبالمسبب عن السبب (فأما الاكتفاء بالسبب عن المسبب) فكقوله تعالى وماكنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر وماكنت من الشاهدين ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر كأنه قال وماكنت شاهدا لموسى وماجرى له وعليه

(أنصلت الرمح) اذا نزعت نصله وكان يقال لرجب منصل الأسنة لانهم كانوا ينزعون الاسنة فيه ونصلته ركبت عليه النصل (أعذرت) فى طلب الحاجة إذا بالغت وعذرت مشددا اذا توانيت (أفرط فى الشيء) جاز القدر وفرط قصر (أقذيت العين) ألقيت فيها القذى وقذيتها أخرجت منها القذى (أمرضت) المريض فعلت به فعلا يمرض عنه ومرضته قمت عليه فى مرضه (أعل) عن الوسادة ارتفع عنها وأعل على الوسادة أى صر فوقها من علوت (قسط) فى الجور فهو قاسط وأقسط فى العدل فهو مقسط (وأضفت الرجل) أنزلته وضفته نزلت عليه وضيفته نزلته منزلة الضيف قال الله عزوجل فأبوا أن يضيفوهما (قال أبو عبيدة) كل شيء من العذاب يقال فيه أمطر بالألف قال الله تعالى فأمطر علينا حجارة من السماء وكل شيء من الرحمة والغيث يقال فيه مطر وغيره يجيز مطرنا وأمطرنا فى كل شيء (أدين) بالفتح آخذ بالدين قال الانصارى

أدين وما دينى عليكم بمغرم * ولكن على الشم الجلاد القراوح يعنى النخل وأدين بالضم أعطى الدين قال الهذلى

ولكننا أوحيناه اليك فذكر سبب الوحى الذى هو اطالة الفترة ودل به على المسبب الذى هو الوحى على عادة اختصارات القرآن لان تقدير الكلام ولكننا أنشأنا بعد عهد الوحى إلى موسى الى عهدك قرونا كثيرة فتطاول على آخرهم وهو القرن الذى أنت فيهم العمر أى أمد انقطاع الوحى فاندرست العلوم فوجب ارسالك اليهم فأرسلناك وعرفناك العلم بقصص الانبياء وقصة موسى فالمحذوف اذا جملة مفيدة وهى جملة مطولة دل السبب فيها على المسبب وكذلك ورد قوله تعالى عقيب هذه الآية أيضا وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون فان فى هذا الكلام محذوفا لولاه لما فهم لانه قال وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك وهذا لابد له من محذوف حتى يستقيم نظم الكلام وتقديره ولكن عرفناك ذلك وأوحيناه اليك رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك فذكر الرحمة التى هي سبب ارساله الى الناس ودل بها على المسبب الذى هو الارسال وأما حذف الجملة غير المفيدة من هذا الضرب فنحو قوله تعالى حكاية عن مريم عليها السلام قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا فقوله ولنجعله آية للناس تعليل معلله محذوف أى وانما فعلنا ذلك لنجعله آية للناس فذكر السبب الذى صدر الفعل من أجله وهو جعله آية للناس ودل به على المسبب الذى هو الفعل (ومما ورد من ذلك) فى الاخبار النبوية قصة الزبير بن العوام رضى الله عنه والرجل الانصارى الذى خاصمه فى شراج الحرة التى يسقى منها النخل فلما حضرا بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للزبير اسق ثم أرسل الماء الى جارك فغضب الانصارى وقال يارسول الله إن كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اسق يازبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر وفى هذا الكلام محذوف تقديره إن كان ابن عمتك حكمت له أو قضيت له أوما جرى هذا المجرى فذكر السبب الذى هو كونه ابن عمته ودل به على المسبب الذى هو الحكم أو القضاء لدلالة الكلام عليه (وأما الاكتفاء بالمسبب عن السبب) فكقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم أى إذا أردت قراءة القرآن فاكتفى بالمسبب الذى هو القراءة عن السبب الذى هو الارادة والدليل على ذلك أن الاستعاذة قبل القراءة والذى دلت عليه أنها بعد القراءة كقول القائل إذا ضربت زيدا فاجلس فان الجلوس إنما يكون بعد الضرب لاقبله وهذا أولى من تأول من ذهب الى أنه أراد فاذا تعوذت فاقرأ فان ذلك قلبا لاضرورة تدعو اليه وأيضا فليس كل مستعيذ واجبة عليه القراءة (وعلى هذا ورد) قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم والوضوء انما يكون قبل الصلاة لاعند القيام اليها لان القيام اليها هو مباشرة لافعالها من الركوع والسجود والقراءة وغير ذلك وهذا انما يكون بعد الوضوء وتأويل الآية اذا أردت القيام الى الصلاة فاغسل فاكتفى بالمسبب عن السبب وكذلك ورد قول النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام أحدكم الى الصلاة فليتوضأ أى إذا أراد القيام الى الصلاة وانما يعبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل لان الفعل مسبب عن الارادة وهو مع القصد اليه موجود فكان منه بسبب وملابسة ظاهرة (ومن ذلك قوله تعالى) فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا أى فضرب فانفجرت منه فاكتفى بالمسبب الذى هو الانفجار عن السبب الذى هو الضرب (الضرب الثالث) وهو الاضمار على شريطة التفسير وهو أن يحذف من صدر الكلام مايؤتى به فى آخره فيكون الآخر دليلا على الأول (وهو ينقسم الى ثلاثة أوجه الأول) أن يأتى على طريق

أدان وأنباء الاولو * ب بان المدين ملىء وفى (أقصر عن الأمر) نزع عنه وهو يقدر عليه وقد قصر عنه اذا عجز عنه (وعدتك خيرا وشرا) قال الله عز وجل النار وعدها الله الذين كفروا والاسم الوعد وتوعدتك تهددتك وواعدتك مواعدة لوقت قال أبو عبيدة الوعد والميعاد والوعيد واحد قال الفراء يقولون وعدته خيرا و وعدته شرا فاذا أسقطوا الخير والشر قالوا وعدته فى الخير وفى الشر أو عدته فأثبتوا الالف قال الراجز

* أوعدنى بالسجن والادهم *

قال الكسائى (وضمت اللحم) عملت له وضما وأوضمته جعلته على الوضم غيره (خفق النجم) اذا غاب وأخفق اذا تهيأ للغيب وكذلك خفق الطائر اذا طار وأخفق اذا ضرب بجناحيه ليطير (لاح النجم) اذا بدا وألاح اذا تلألأ قال المتلمس

وقد ألاح سهيل بعد ماهجعوا
كأنه ضرم بالكف مقبوس

(أزرت القميص) جعلت له أزرارا وزررته شددت أزراره (أقبلت النعل) جعلت لها قبالا وقبلتها شددت قبالها (عمدت الشىء) أقمته وأعمدته جعلت تحته عمدا (أزججت الرمح) جعلت له زجا وزججت به طعنت بزجه (أنشدت الضالة) عرفتها ونشدتها أنشدها نشدا طلبتها (اكننت الشىء) الاستفهام

الاستفهام فتذكر الجملة الاولى دون الثانية كقوله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك فى ضلال مبين تقدير الآية أفمن شرح الله صدره للاسلام كمن أقسى قلبه ويدل على المحذوف قوله فويل للقاسية قلوبهم (الوجه الثانى) يرد على حد النفى والاثبات كقوله تعالى لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا تقديره لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ومن أنفق من بعده وقاتل ويدل على المحذوف قوله أولئك أعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا (الوجه الثالث) أن يرد على غير هذين الوجهين فلا يكون استفهاما ولا نفيا واثباتا وذلك كقول أبى تمام

يتجنب الآثام ثم يخافها * فكأنما حسناته آثام

وهذا البيت تختلف نسخ ديوانه فى إثباته فمنها مايجىء فيه

يتجنب الأيام خيفة غيها * فكأنما حسناته آثام

وليس بشىء لأن المعنى لايصح به وكنت سئلت عن معناه وقيل كيف ينطبق عجز البيت على صدره واذا تجنب الآثام وخافها فكيف تكون حسناته آثاما فأفكرت فيه وأنعمت نظرى فسنح لى فى القرآن الكريم آية مثله وهى قوله تعالى والذين يؤتون ماآتوا وقلوبهم وجلة وفى صدر البيت اضمار مفسر فى عجزه وتقديره أنه يتجنب الآثام فيكون قد أتى بحسنة ثم يخاف تلك الحسنة فكأنما حسناته آثام وهو على طباق الآية سواء (ومن الاضمار على شريطة التفسير) قول أبى نواس

سنة العشاق واحدة * فاذا أحببت فاستكن

فحذف لفظ الاستكانة من الأول وذكره فى الثانى أى سنة العشاق واحدة وهى الاستكانة فاذا أحببت فاستكن ومن الناس من يقول فاذا أحببت فاستتن وهذا لامعنى له لانه اذا لم يبين سنة العشاق ماهى فبأى شىء يستن المستن منها لكنه ذكر السنة فى صدر البيت من غير بيان ثم بينها فى عجزه (الضرب الرابع) ماليس بسبب ولا مسبب ولا اضمار على شريطة التفسير ولا استئناف (فاما ماحذف فيه من الجمل المفيدة) فكقوله تعالى فى سورة يوسف عليه السلام قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه فى سنبله الا قليلا مما تأكلون ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ماقدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون وقال الملك ائتونى به قد حذف من هذا الكلام جملة مفيدة تقديرها فرجع الرسول اليهم فأخبرهم بمقالة يوسف فعجبوا لها أو فصدقوه عليها وقال الملك ائتونى به والمحذوف اذا كان كذلك دل عليه الكلام دلالة ظاهرة لانه اذا ثبتت حاشيتا الكلام وحذف وسطه ظهر المحذوف لدلالة الحاشيتين عليه (وكذلك ورد) قوله تعالى فى هذه السورة أيضا فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم إنى أعلم من الله مالاتعلمون قالوا ياأبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف أستغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين قد حذف أيضا من هذا الكلام جملة مفيدة تقديرها ثم انهم تجهزوا وساروا الى مصر فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه (وقد ورد هذا الضرب فى القرآن الكريم كثيرا) كقوله تعالى فى سورة القصص وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فرددناه الى أمه كى تقر عينها فى هذا محذوف وهو جواب الاستفهام لانها لما قالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم احتاج

اذا استرته قال الله عز وجل أو أكننتم فى أنفسكم وكننت الشىء صنته قال الله عزوجل كأنهن بيض مكنون وبعضهم يجعل كننته وأكننته بمعنى (أتبعت القوم) لحقتهم وتبعت القوم سرت فى أثرهم (شرقت الشمس)(٢٠١) شروقا طلعت وأشرقت أضاءت (جزت الموضع) سرت فيه وأجزته قطعته وخلفته قال امرؤ القيس

فلما أجزنا ساحة الحى وانتحى * بنا بطن خبت ذى قفاف عقنقل *

(وأرهقت فلانا) أعجلته ورهقته غشيته قال الفراء (عجلت الشىء) سبقته ومنه قول الله جل وعز أعجلتم أمر ربكم وأعجلته استحثثته (وقللت الشىء وكثرته) إذا جعلت كثيرا قليلا وقليلا كثيرا وأقللت وأكثرت جئت بقليل وكثير وبعضهم يجعل أقللت وقللت وأكثرت وكثرت بمعنى واحد قال الكسائى والعرب تقول (أكذبت الرجل) إذا أخبرته انه جاء بالكذب ورواه وتقول كذبته إذا أخبرت انه كاذب وبعضهم يجعلهما جميعا بمعنى (أولدت الغنم) حان ولادها وولدت اذا وضعت (أسجد الرجل) إذا طأطأ رأسه وانحنى وسجد إذا وضع جبهته بالأرض (أكبحت الدابة) اذا جذبت عنانه حتى ينتصب رأسه وكبحته بالباء وهو أن تجذبه اليك باللجام لكى يقف ولا يجرى (قد أفصح الاعجمى) اذا تكلم بالعربية وفصح اذا حسنت لغته ولم يلحن (أمرته فأطاع) بالالف وقد طاع له اذا انقاد فهو يطوع ويقال أطاع له المرتع وطاع اذا امتنع وأمكنه من الرعى (أضللت الشىء) بمكان كذا

اذا أضعته وضللته اذا أردته فلم تهتد له (أحميت المكان) جعلته حمى وحميته منعته وأحميت الحديدة فى النار وأحميت الرجل أغضبته (أعال الرجل) (٢٠٢) اذا كثر عياله وعال يعيل اذا افتقر وعال يعول اذا جار قال الله عز وجل

الى جواب لينتظم بما بعده من رده إلى أمه والجواب فقالوا نعم فدلتهم على امرأة فجيء بها وهى أمه ولم يعلموا بمكانها فأرضعته وهذه الجملة الثانية أعنى قوله تعالى فرددناه الى أمه تدل على المحذوف لان رده الى أمه لم يكن الا بعد رد الجواب على أخته ودلالتها اياهم على امرأة ترضعه ويكفي هذا الموضع وحده لمن يتبصر فى مواقع المحذوفات وكيفيتها (ومما يجرى على هذا المنهج) قوله تعالى فى قصة سليمان عليه السلام وقصة الهدهد فى ارساله بالكتاب الى بلقيس قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين إذهب بكتابى هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت يا أيها الملأ انى ألقي الى كتاب كريم وفى هذا محذوف تقديره فأخذ الكتاب وذهب به فلما ألقاه الى المرأة وقرأته قالت يا أيها الملأ (ومن حذف الجمل المفيدة) ما يعسر تقدير المحذوف منه بخلاف ما تقدم ألا ترى أن الآيات المذكورة كلها اذا تأملها المتأمل وجد معانيها متصلة من غير تقدير المحذوفات التى حذفت منها ثم اذا قدر تلك المحذوفات سهل تقديرها ببديهة النظر والذى أذكره الآن ليس كذلك بل اذا تأمله المتأمل وجده غير متصل المعنى واذا أراد أن يقدر المحذوف عسر عليه (فمما جاء منه) قوله تعالى وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة مالها من فواق وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب فهذا الكلام اذا تأمله المتأمل لم يجده متصل المعنى ولم يتبين له مجيء ذكر داود عليه السلام رادفا لقوله تعالى اصبر على ما يقولون واذا أراد أن يقدر ههنا محذوفا يوصل به المعنى عسر عليه (وتقديره يحتمل وجهين أحدهما) أنه قال اصبر على ما يقولون وخوفهم أمر معصية الله وعظمها فى عيونهم بذكر قصة داود الذى كان نبيا من الانبياء وقد آتاه الله ما آتاه من النبوة والملك العظيم ثم لما زل زلة قوبل بكذا وكذا فما الظن بكم أنتم مع كفركم (الوجه الآخر) أنه قال اصبر على ما يقولون واحفظ نفسك أن تزل فى شيء مما كلفته من مصابرتهم واحتمال أذاهم واذكر أخاك داود وكرامته على الله كيف زل تلك الزلة فلقي من توبيخ الله ما لقي فهذا الكلام كما تراه يحتاج الى تقدير حتى يتصل بعضه ببعض وهو من أغمض ما يأتى من المحذوفات وبه يتنبه على مواضع أخرى غامضة (وأما ما ورد) من هذا الضرب فى حذف الجمل التى ليست بمفيدة فنحو قوله تعالى يازكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيي لم نجعل له من قبل سميا قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا قال رب اجعل لى آية قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا يايحيي خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا هذا الكلام قد حذف منه جملة دل عليها صدره وهو البشرى بالغلام وتقديرها ولما جاءه الغلام ونشأ وترعرع قلنا له يا يحيي خذ الكتاب بقوة فالجملة المحذوفة ليست من الجمل المفيدة (وعلى هذا النهج ورد) قوله تعالى قال لهم هرون من قبل ياقوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال ياهرون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعنى أفعصيت أمرى قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى انى خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى وقد حذف من هذا الكلام جملة إلا أنها غير مفيدة وتقديرها فلما رجع موسى ورآهم على تلك الحال من عبادة العجل قال لأخيه هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعنى (وكذلك) ورد قوله تعالى فى قصة سليمان عليه السلام

ذلك أدنى أن لا تعولوا (أقبرت الرجل) أمرت بان يقبر قال الله عز وجل ثم أماته فأقبره وقبرته دفنته (سبعت الرجل) وقعت فيه وأسبعته أطعمته السبع (غب فلان) عندنا اذا بات (ومنه سمي اللحم البايت الغاب) وأغبنا أتانا غبا (بصرت من البصيرة) أي علمت قال الله عز وجل بصرت بما لم يبصروا به وأبصرت بالعين (جزى عنى الامر) يجزى بغير همز أي قضى عنى وأغنى قال الله عز وجل يوما لاتجزى نفس عن نفس شيئا وأجزأنى يجزئنى مهموز أي كفانى (أخدجت الناقة) والشاة اذا ألقت ولدها لتمام وهو ناقص الخلق وخدجت فهى خادج اذا ألقته قبل تمام الوقت (أرم العظم) من الشاة اذا صار فيه رم وهو المخ ورم العظم اذا بلى (أشجيت الرجل) أغصصته وشجوته أشجوه شجوا حزنته يقال منها شجى يشجى شجى (رصنت الشيء) أكملته وأرصنته أحكمته (وغييت) غاية عملتها وهى الراية وأغييتها نصبتها

(أشررت الشيء) أظهرته ومنه قول الشاعر فما برحوا حتى قضى الله صبرهم * وحتى أشررت بالاكف المصاحف من

أي أظهرت وشررت الثوب اذا بسطته وشررت الملح اذا جعلته على شيء ليجف (أكنفت الرجل) أعنته وكنفته حطته (يبست

من سورة النمل قال أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وانى عليه لقوى أمين قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنى كريم قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لايهتدون وفى هذا محذوف تقديره فلما جاء به قال نكروا لها عرشها لأن تنكيره لم يكن الا بعد أن جىء به اليه وقد أغنى عن المحذوف صدر الكلام وآخره وكان ذلك دليلا عليه (ومما ورد على ذلك شعرا) قول أبى الطيب المتنبي

لاأبغض العيس لكنى وقيت بها * قلبى من الهم أوجسمى من السقم

وهذا البيت فيه محذوف تقديره لاأبغض العيس لانضائى اياها فى الاسفار ولكنى وقيت بها كذا وكذا فالثانى دليل على حذف الاول وهذا موضع يحتاج فى استخراجه واستخراج أمثاله الى فكرة وتدقيق نظر (ومما يتصل بهذا الضرب) حذف مايجىء بعد أفعل كقولنا الله أكبر فان هذا يحتاج الى تمام أى أكبر من كل كبير أو أكبر من كل شىء يتوهم كبيرا أوماجرى هذا المجرى ومثله يرد قولهم زيد أحسن وجها وأكرم خلقا تقديره أحسن وجها من غيره وأكرم خلقا من غيره أوما يسد هذا المسد من الكلام وعليه ورد قول البحترى

الله أعطاك المحبة فى الورى * وحباك بالفضل الذى لا ينكر
ولأنت أملأ فى العيون لديهم * وأجل قدرا فى الصدور وأكبر

أى أنت أملأ فى العيون من غيرك (وأما القسم الثانى) المشتمل على حذف المفردات فانه يتصرف على أربعة عشر ضربا (الاول) حذف الفاعل والاكتفاء فى الدلالة عليه بذكر الفعل كقول العرب أرسلت وهم يريدون جاء المطر ولايذكرون السماء ومنه قول حاتم

أماوى مايغنى الثراء عن الفتى * اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

يريد النفس ولم يجر لها ذكر (وعلى هذا ورد) قوله تعالى كلا اذا بلغت التراقى وقيل من راق والضمير فى بلغت للنفس ولم يجر لها ذكر وقد نص عثمان بن جنى رحمه الله تعالى على عدم الجواز فى حذف الفاعل وهذه الآية وهذا البيت الشعرى وهذه الكلمة الواردة عن العرب على خلاف ماذهب اليه الا ان حذف الفاعل لايجوز على الاطلاق بل يجوز فيما هذا سبيله وذاك أنه لايكون الا فيما دل الكلام عليه ألا ترى أن التي تبلغ التراقى انما هى النفس وذلك عند الموت فعلم حينئذ أن النفس هى المرادة وان كان الكلام خاليا عن ذكرها وكذلك قول حاتم حشرجت فان الحشرجة انما تكون عند الموت (وأما قول العرب) أرسلت وهم يريدون أرسلت السماء فان هذا يقولونه نظرا الى الحال وقد شاع فيما بينهم أن هذه كلمة تقال عند مجىء المطر ولم ترد فى شىء من أشعارهم ولا فى كلامهم المنثور وانما يقولها بعضهم لبعض اذا جاء المطر فالفرق بينها وبين حشرجت وبين بلغت التراقى ظاهر وذاك أن حشرجت وبلغت التراقى يفهم منها أن النفس التى حشرجت وأنها هى التى بلغت التراقى وأما أرسلت فلولا شاهد الحال والا لم يجز أن تكون دالة على مجىء المطر ولو قيل فى معرض الاستسقاء انا خرجنا نسأل الله فلم نزل حتى أرسلت لفهم من ذلك أن التى أرسلت هى السماء ولابد فى الكلام من دليل على المحذوف والا كان لغوا لايلتفت اليه (الضرب الثانى) حذف الفعل وجوابه (اعلم أن حذف الفعل ينقسم

الارض) إذا ذهب ماؤها ونداها وأيبست كثر يبسها (أخلت فيه الخير) رأيت مخيلته وكذلك أخالت السحابة وأخيلتها أى رأيتها مخيلة للمطر وخلت كذا أخاله خيلا ظننته قال ابن الاعراب شجر مثمر اذا طلع ثمره وشجر (٢٠٣) ثامر إذا نضج أعقدت الرب وغيره وعقدت الحلف والخيط (أحبست الفرس) فى سبيل الله وحبست فى غيره أرهنت فى المخاطرة وأرهنت أيضا سلفت ورهنت فى غير ذلك (أوعيت المتاع)جعلته فى الوعاء (ووعيت العلم) حفظته (أحصره المرض) والعدو اذا منعه من السفر قال الله عز وجل فان أحصرتم فما استيسر من الهدى وحصره العدو اذا ضيقوا عليه (أوهم الرجل) فى كتابه وكلامه يوهم ايهاما اذا أسقط منه شيئا ووهم يوهم وهما محركة الهاء اذا غلط ووهم الى الشىء يهم وهما مسكنة الهاء اذا ذهب وهمه اليه (أخلد بالمكان)اذا أقام به وخلد يخلد خلودا اذا بقى أعييت فى المشى فأنا معى وعييت بالمنطق أعيا عيا وأنا عيي (يقال لكل شىء بلغ نصف غيره نصف) بلا ألف تقول قد نصف الازار ساقه بنصفها واذا بلغ الشىء نصف نفسه قلت أنصف بالالف تقول أنصف النهار اذا بلغ نصفه وبعضهم يجيز نصف النهار ينصف اذا انتصف. قال المسيب بن علس وذكر غائصا

نصف النهار الماء غامره * ورفيقه بالغيب لايدرى

اراد انتصف النهار وهو فى الماء لم يخرج (أصعد فى الأرض) وصعد فى الجبل بالتشديد وصعد قليلة (غثت الشاة) هزلت وأغث

قسمين أحدهما) يظهر بدلالة المفعول عليه كقولهم فى المثل أهلك والليل فنصب أهلك والليل يدل على محذوف ناصب تقديره الحق أهلك و بادر الليل وهذا مثل يضرب فى التحذير (وعليه ورد) قوله تعالى فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها ومما ورد منه فى الاخبار النبوية أن جابرا تزوج فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تزوجت قال ثيبا فقال له فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك يريد فهلا تزوجت جارية فحذف الفعل لدلالة الكلام عليه (ومما ورد منه شعرا) قول أبى الطيب المتنبى فى قصيدته الكافية التى يمتدح بها عضد الدولة أبا شجاع بن بويه ومطلعها * فدى لك من يقصر عن مداكا * وسأذكر الموضع الذى حذف منه الفعل وجوابه لتعلق الابيات بعضها ببعض وهى من محاسن ما يؤتى به فى معنى الوداع ولم يأت لغيره مثلها وهى

اذا التوديع أعرض قال قلبى * عليك الصمت لا صاحبت فاكا
ولولا أن أكثر ما تمنى * معاودة لقلت ولا مناكا
قد استشفيت من داء بداء * وأقتل ما أعلك ما شفاكا
فاكتم منك نجوانا وأخفى * هموما قد أطلت لها العراكا
اذا عاصيتها كانت شدادا * وان طاوعتها كانت ركاكا
وكم دون الثوية من حزين * يقول له قدومى ذا بذاكا
ومن عذب الرضاب اذا أنخنا * يقبل رحل تروك والوراكا
يحرم أن يمس الطيب بعدى * وقد علق العبير به وصاكا
يحدث مقلتيه النوم عنى * فليت النوم حدث عن نداكا
وما أرضى لمقلته بحلم * اذا انتبهت توهمه ابتشاكا
ولا الا بأن يصغى واحكى * فليتك لا يتيمه هواكا

فقوله ولا مناكا فيه محذوف تقديره ولا صاحبت مناكا وكذلك قوله ولا إلا بأن يصغى وأحكى فان فيه محذوفا تقديره ولا أرضى الا بأن يصغى وأحكى (وأما القسم الآخر) فانه لا يظهر فيه قسم الفعل لانه لا يكون هناك منصوب يدل عليه وانما يظهر بالنظر الى ملاءمة الكلام (فما جاء منه قوله تعالى) وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة فقوله لقد جئتمونا يحتاج الى اضمار فعل أى فقيل لهم لقد جئتمونا أو فقلنا لهم وقد استعمل هذا فى القرآن الكريم فى غير موضع كقوله تعالى ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا فقوله أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا يحتاج الى تقدير الفعل المضمر وكذلك ورد قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما فقوله وان جاهداك لابد له من اضمار القول أى وقلنا له ان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما (ومن هذا الضرب) ايقاع الفعل على شيئين وهو لاحدهما كقوله تعالى فأجمعوا أمركم وشركاءكم وهو لامركم وحده وانما المراد أجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم لان معنى أجمعوا من أجمع الامر اذا نواه وعزم عليه وقد قرأ أبى رضى الله عنه فأجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم وهذا دليل على ما أشرت اليه وكذلك هو مثبت فى مصحف عبد الله بن مسعود رضى الله عنه (ومن حذف الفعل باب يسمى باب اقامة المصدر مقام الفعل)

حديث القوم فسد (وغل يغل) اذا توارى بشجر ونحوه فاذا تباعد فى الارض قيل أوغل (صحبت الرجل) من الصحبة وأصحبت له انقدت وتابعت (أقبست الرجل) علما وقبسته نارا اذا جئته بها فان كان طلبها له قال أقبسته هذا قول اليزيدى وقال الكسائى أقبسته نارا وعلما سواء قال وقبسته أيضا فيهما جميعا (اسفر لونه) اذا أشرق وأسفر الصبح اذا ضاء وأنار وسفرت المرأة نقابها فهى سافر (أمددته) بالمال والرجال ومددت دواتى بالمداد قال الله عز وجل والبحر يمده من بعده سبعة أبحر هو من المداد لا من الامداد ومد الفرات وأمد الجرح اذا صارت فيه مدة (أجمع فلان) أمره فهو مجمع اذا عزم عليه قال الشاعر * لها أمر حزم لا يفرق مجمع * وجمعت الشىء المتفرق جمعا (ويقال أخلف الله عليك) لمن ذهب له مال أو ولد أو شىء يستعاض منه وخلف الله عليك لمن هلك له والد أو عم أى كان الله خليفة من المفقود عليك (اجعلت لفلان) من الجعل فى العطية قال وهى الجعالة وأجعلت القدر أنزلتها بالجعال وهى الخرقة التى تنزل بها القدر وجعلت لك كذا جعلا والجعل الاسم (أجبرت فلانا) على الامر فهو مجبر وجبرت العظم فهو مجبور (أحدت المرأة) وحدت وهى فى احداد وحداد وأحد النظر فى الامر وأحد السكين والسلاح وحد الارض وانما من الحدود (يقال لكل ما حبسته بيدك) مثل الدابة وغيره وقفته بغير ألف وما حبسته بغير يدك أوقفته تقول أوقفته على الامر

وانما يفعل ذلك لضرب من المبالغة والتوكيد كقوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب قوله فضرب الرقاب أصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وأقيم المصدر مقامه وفى ذلك اختصار مع اعطاء معنى التوكيد المصدرى (وأما حذف جواب الفعل) فانه لا يكون فى الامر المحتوم كقوله تعالى فذرهم يخوضوا ويلعبوا فجزم يخوضوا ويلعبوا لانهما جواب أمر فذرهم وحذف الجواب فى هذا لا يدخل فى باب الايجاز لانا إذا قلنا ذرهم أى اتركهم لا يحتاج ذلك الى جواب وكذلك ما يجرى مجراه وانما يكون الجواب بالفاء فى ماض كقولنا قلت له اذهب فذهب وحينئذ يظهر الجواب المحذوف كقوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا ألا ترى كيف حذف جواب الامر فى هذه الآية فان تقديره فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم تدميرا فذكر حاشيتي القصة أولها وآخرها لانهما المقصود من القصة بطولها أعنى الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم (ومن هذا الضرب أيضا) قوله تعالى قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون أرسله معنا غدا نرتع ونلعب وإنا له لحافظون قال إنى ليحزننى أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا اذا لخاسرون فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابة الجب فجواب الامر من هذا الكلام محذوف تقديره فأرسله معهم ويدلنا على ذلك ما جاء بعده من قوله فلما ذهبوا به كما حذف أيضا فى قوله عز وجل وقال الذى نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون يوسف أيها الصديق أفتنا فى سبع بقرات سمان الآية فجواب الامر من هذا الموضع محذوف وتقديره فأرسلوه الى يوسف فأتاه فقال له يوسف أيها الصديق وكذلك قوله تعالى وقال الملك ائتونى به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسئله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن إن ربى بكيدهن عليم قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه الآية ففى هذا الكلام حذف واختصار استغنى عنه بدلالة الحال عليه وتقديره فرجع الرسول الى الملك برسالة يوسف فدعا الملك بالنسوة وقال لهن ما خطبكن (وهكذا ورد قوله تعالى) ائتونى به أستخلصه لنفسى فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين وقد حذف جواب الامر ههنا وتقديره فأتوه به فلما كلمه وفى سورة يوسف عليه السلام محذوفات كثيرة من أولها الى آخرها فانظر أيها المتأمل الى هذه المحذوفات المذكورة ههنا التى كأنها لم تحذف من هذا الكلام لظهور معناها وبيانه ودلالة الحال عليه وعلى نحو من ذلك ينبغى أن تكون محذوفات الكلام (الضرب الثالث) حذف المفعول به وذلك مما نحن بصدده أخص فان اللطائف فيه أكثر وأعجب كقولنا فلان يحل ويعقد ويبرم وينقض ويضر وينفع والأصل فى ذلك على اثبات المعنى المقصود فى نفسك للشىء على الاطلاق وعلى هذا جاء قوله تعالى وانه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيي ومن بديع ذلك قوله عز وجل ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب إنى لما أنزلت الى من خير فقير فان فى هاتين الآيتين قد حذف المفعول به فى أربعة أماكن اذ المعنى وجد أمة من الناس يسقون مواشيهم وامرأتين تذودان مواشيهما وقالتا لا نسقى مواشينا فسقى لهما مواشيهما لان الغرض أن يعلم

و بعضهم يقول وقفته فى كل شىء (أصحت السماء) وأصحت العاذلة وصحا من السكر (ضربت فى الارض) تباعدت وأضربت عن الامر أمسكت (أكب فلان على العمل) وكببت الاناء أكبه كبا وكببت الجزور كبا ويقال كبه الله لوجهه بغير ألف قال الفراء (ابعث الخليل) اذا أردت انك أمسكتها للتجارة والبيع فان أردت أنك أخرجتها قلت بعتها قال وكذلك قالت العرب أعرضت العرضان أمسكتها للبيع وعرضتها ساومت بها (وطعنه) فأرماه عن ظهر الدابة كما تقول أذرأه ورمي الرمية يرميها رميا وقال الفراء (تقول أبغنى خادما) أى ابغه لى فاذا أراد أعنى على طلبه قال أبغنى بقطع الالف وكذلك المسنى نارا وألمسنى نارا واحلبنى وأحلبنى فقوله أحلبنى احلب لى واكفنى الحلب (وأحلبنى) أعنى عليه وكذلك (احملنى) وأحملنى (واعلمنى) وأعلمنى (أخفرت الرجل) نقضت مابينى و بينه من العهد (وخفرته) حفظته

﴿باب ما يكون مهموزا بمعنى وغير مهموز بمعنى آخر﴾

(عبأت المتاع) والطيب تعبئة اذا هيأته وصنعته وعبأت الطيب أيضا بلا تشديد فأنا أعبؤه وما عبأت بفلان هذا كله بالهمز وعبيت الجيش بلا همز هذا قول الاخفش (بارأت الكرى) والمرأة واستبرأت الجارية واستبرأت ماعندك وبرأته مما لي عليه وبرأت اليه منه كله مهموز فأما باريته فى المفاخرة فغير مهموز يقال فلان يبارى الريح

جودا (أخطأت فى الامر) وتخطأت له فى المسئلة وتخطيت اليه بالمكروه غير مهموز لانه من الخطوة (نكأت القرحة) أنكؤها
اذا قرفتها ونكيت فى العدو أنكى (٢٠٦) نكاية قال أبو النجم * ننكى العدى ونكرم الاضيافا * (ذرأت) يار بنا الخلق وذروته

أنه كان من الناس ستى ومن الامر أتين ذود وأنهما قالتا لا يكون منا ستى حتى يصدر الرعاء وأنه كان من موسى عليه السلام بعد ذلك ستى فأما كون المستى غنما أو ابلا أو غير ذلك فخارج عن الغرض وقد ورد فى الشعر من هذا النوع قول البعيث بن حريث من أبيات الحماسة

دعانى يزيد بعد ماساء ظنه * وعبس وقد كانا على حد منكب
وقد علما أن العشيرة كلها * سوى محضرى من حاضرين وغيب

فالمفعول الثانى من علما محذوف لان قوله إن العشيرة فى موضع مفعول علما الاول وتقدير الكلام قد علما أن العشيرة سوى محضرى من حاضرين وغيب لاغناء عندهم أو سواء حضورهم وغيبتهم أو ماجرى هذا المجرى (ومن هذا الضرب أيضا) حذف المفعول الوارد بعد المشيئة والارادة كقوله تعالى ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم فمفعول شاء ههنا محذوف وتقديره ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بها وعلى نحو من ذلك جاء قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ومما جاء على مثال ذلك شعرا قول البحترى

لو شئت لم تفسد سماحة حاتم * كرما ولم تهدم مآثر خالد

الاصل فى ذلك لو شئت أن لا تفسد سماحة حاتم لم تفسدها فحذف ذلك من الاول استغناء بدلالته عليه فى الثانى وقد تقدم أن من الواجب فى حكم البلاغة أن لا تنطق بالمحذوف ولا تظهره الى اللفظ ولو أظهرت لصرت الى كلام غث ومجىء المشيئة بعد لو وبعد حروف الجزاء هكذا موقوفة غير معداة الى شىء كثير شائع بين البلغاء ولقد تكاثر هذا الحذف فى شاء وأراد حتى انهم لا يكادون يبرزون المفعول الا فى الشىء المستغرب كقوله تعالى لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق مايشاء (وعلى هذا الاسلوب) جاء قول الشاعر

ولو شئت أن أبكى دما لبكيته * عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

فلو كان حد قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى لوجب أن يقول ولو شئت لبكيت دما ولكنه ترك تلك الطريقة وعدل الى هذه لانه أليق فى هذا الموضع وسبب ذلك أنه كان بدعا عجيبا أن يشاء الانسان أن يبكى دما فلما كان مفعول المشيئة مما يستعظم ويستغرب كان الاحسن أن يذكر ولا يضمر (الضرب الرابع) وهو حذف المضاف والمضاف اليه واقامة كل واحد منهما مقام الآخر وذلك باب عريض طويل شائع فى كلام العرب وان كان أبو الحسن الاخفش رحمه الله لايرى القياس عليه (فأما حذف المضاف) فكقوله تعالى حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فحذف المضاف الى يأجوج ومأجوج وهو سدهما كما حذف المضاف الى القرية فى قوله تعالى واسئل القرية أى أهل القرية (ومن ذلك أيضا) قوله عز وجل ولكن البر من اتقى أى خصلة من اتقى وان شئت كان تقديره ولكن ذا البر من اتقى والأول أولى لأن حذف المضاف ضرب من الاتساع والخبر أولى بذلك من المبتدأ لأن الاتساع بحذف الاعجاز أولى منه بحذف الصدور وقد حذف المضاف مكررا فى قوله تعالى فقبضت قبضة من أثر الرسول أى من أثر حافر فرس الرسول وهذا الضرب أكثر اتساعا من غيره ومما جاء منه شعرا قول بعضهم من شعراء الحماسة

اذا لاقيت قومى فاسألهم * كفى قوما بصاحبهم خبيرا
هل اعفوا عن أصول الحق فيهم * اذا عسرت واقتطع الصدورا

فى الريح وذريته وأذرته الدابة عن ظهرها ألقته (ربأت القوم) حفظتهم وأنا ربيئة لهم وربوت فى بنى فلان وربيت فيهم وربوت من الربو (وسبأت الخمر) اشتريتها وسبيت العدو (وصبأت يارجل) إذا خرجت من شىء الى شىء والصابئون منه وصبوت الى فلانة أصبو من الشوق (ولبأت اللباء) مهموز ولبيت فلانا أجبته (ومافتأت أقول) كذا بمعنى لاأزال ولاأفتأ أقول وماكنت فتيا ولقد فتيت بغير همز (ورثأت فلانا) اذاقلت فيه مرثئة هذا قول البصريين الاخفش وغيره وأما الفراء وغيره من البغداديين فيجعلونه من غلطهم مثل حلأت السويق ورثيت له اذا رحمته (أدأت الشىء) أصبته بداء وأدويته اذا أصبته بشىء فى جوفه فهو دو (وبدأت بهذا الامر) وابتدأته وأبدأت فى الامر وأعدت والله يبدىء ويعيد (وأبديت لى سوءا) أظهرته وبدوت لفلان اذا ظهرت

له وبدوت الى البادية (وبرأت من العلة) وبريت القلم (وجرأتك) على حتى أجرأت وجريت جريا أى أراد
وكالت وكيلا (أردأت فلانا) جعلته رديئا وردأته أى أعنته من قول الله عزوجل ردءا يصدقنى وأرديته من الردى وهو الهلاك

أراد أنه يقتطع مافى الصدور من الضغائن والاوغام أى يزيل ذلك باحسانه من عفو وغيره فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه (وأما حذف المضاف اليه) فانه قليل الاستعمال فمما جاء منه قوله تعالى لله الأمر من قبل ومن بعد أى من قبل ذلك ومن بعده وربما أدخل فى هذا الموضع ماليس منه كقوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ماترك على ظهرها من دابة قيل أراد ظهر الأرض فحذف المضاف اليه وليس كذلك فان الهاء والألف قائمة مقام الأرض ألا ترى ان قوله ظهرها يريد الارض لأنه ضمير راجع اليها وكذلك ورد قول جرير

إذا أخذت قيس عليك وخندف * بأنظارها لم تدر من أين تسرح

وهذا لايسمى ايجازا وانما هو تعريض بالضمير عن الضمير (الضرب الخامس) وهو حذف الموصوف والصفة واقامة كل منهما مقام الآخر ولا يكون اطراده فى كل موضع وأكثر مجيء فى الشعر وانما كانت كثرته فى الشعر دون الكلام المنثور لامتناع القياس فى اطراده (فمما جاء منه فى الشعر) قول البحترى من أبيات فى صفة ايوان كسرى فقال فى ذكر التصاوير التى فى الايوان وذلك أن الفرس كانت تحارب الروم فصوروا صورة مدينة إنطاكية فى الايوان وحرب الروم والفرس عليها فمما ذكره فى ذلك قوله

وإذا ما رأيت صورة انطا * كية ارتعت بين روم وفرس
والمنايا مواثل وأنوشر * وان يزجى الصفوف تحت الدرس
فى اخضرار من اللباس على أصـ * ـفر يختال فى صبيغة ورس

فقوله على أصفر أى على فرس أصفر وهذا مفهوم من قرينة الحال لأنه لما قال على أصفر علم بذلك أنه أراد فرسا أصفر والصفة تأتى فى الكلام على ضربين اما للتأكيد والتخصيص واما للمدح والذم وكلاهما من مقامات الاسهاب والتطويل لامن مقامات الايجاز والاختصار واذا كان الأمر كذلك لم يلق الحذف به هذا مع ما ينضاف اليه من الالتباس وضد البيان ألا ترى أنك إذا قلت مررت بطويل لم يبن من هذا اللفظ الممرور به انسان هو أم رمح أم ثوب أم غير ذلك واذا كان الأمر على هذا فحذف الموصوف انما هو شيء قام الدليل عليه أو شهدت به الحال واذا استبهم كان حذفه غير لائق ومما يؤكد عندك ضعف حذفه انك تجد من الصفات مالا يمكن حذف موصوفه وذاك أن تكون الصفة جملة نحو مررت برجل قام أبوه ولقيت غلاما وجهه حسن ألا تراك لو قلت مررت بقام أبوه ولقيت وجهه حسن لم يجز (وقد ورد) حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه فى غير موضع من القرآن الكريم كقوله تعالى وآتينا ثمود الناقة مبصرة فانه لم يرد أن الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء وانما يريد آية مبصرة فحذف الموصوف وأقام الصفة مقامه ولقد تأملت حذف الموصوف فى مواضع كثيرة فوجدت أكثر وقوعه فى النداء وفى المصدر أما النداء فكقولهم ياأيها الظريف تقديره ياأيها الرجل الظريف وعليه ورد قوله تعالى ياأيها الساحر تقديره ياأيها الرجل الساحر وكذلك قوله تعالى ياأيها الذين آمنوا تقديره ياأيها القوم الذين آمنوا وأما المصدر فكقوله تعالى ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب إلى الله متابا تقديره ومن تاب وعمل عملا صالحا وقد أقيمت الصفة الشبيهة بالجملة مقام الموصوف المبتدأ فى قوله تعالى وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك أى قوم دون ذلك (وأما حذف الصفة واقامة الموصوف مقامها) فانه أقل وجودا من حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه ولا يكاد يقع فى

(وكلأت الرجل) أكلؤه إذا حرسته وهو فى كلاءة الله وكليته أصبت كليته وكفأت الاناء قلبت وأكفأته أيضا لغة وكفيتك ما أهمك ﴿باب الافعال التى تهمز والعوام تدع همزها﴾ طأطأت رأسى وأبطأت (٢٠٧) واستبطأت وتوضأت للصلاة وهيأت وتهيأت وهنأتك بالمولود وتقرأت وتوكأت عليك وترأست على القوم وهنأنى الطعام ومرأنى فاذا أفردوا قالوا أمرأنى وطرأت على القوم ونتأت فى البلد وناوأت الرجل إذا عاديته وتوطأته بقدمي ووطئته ووطأت له فراشه وخبأته واختبأت منه وأطفأت السراج وقد استخذأت له وخذأت وخذيت لغة وقد جشأت نفسى اذا ارتفعت وقد أقمأت الرجل فقمؤ وقد لجأت اليه وألجأته الى كذا ونشأت فى بنى فلان ونتأت القرحة تنتأ نتوءا إذا ورمت وقد اندرأت عليه ومارزأته شيئا وقد تلكأت تلكؤا وتفيأت تفيؤا وتقيأت تقيؤا وتهيأت تهيؤا وتواطأنا على الامر تواطؤا وكان ذلك عن تواطؤ وتلكؤ وتهيؤ وأشباه ذلك وقد تجشأت تجشؤا وقد استهزأت به وهزأت وهزئت وقد فاجأت الرجل مفاجأة وفجئته أفجأه فجأة وقد مالأته على الأمر وقد تمرأت بفلان أى طلبت المرؤة بنقصه وعيبه فأنا متمرئ به وقد قرأت الكتاب وأقرأته منك السلام وفقأت عينه وتفقأت شحما وملأت الاناء وامتلأت وتملأت شبعا وما كنت مليئا ولقد ملؤت بعدى ملأ وما كنت قميئا ولقد قمؤت قماءة وما كنت

الكلام الا نادراً لمكان استبهامه (فمن ذلك ماحكاه سيبويه رحمه الله) من قولهم سير عليه ليل وهم يريدون ليل طويل وانما حذفت الصفة فى هذا الموضع لما دل من الحال عليه وذاك أنه يحسن فى كلام القائل لذلك من التطريح والتطويح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله طويل وأنت تحس هذا من نفسك اذا تأملته وهو أن يكون فى مدح انسان والثناء عليه فتقول كان والله رجلا أى رجلا فاضلا أوشجاعا أو كريما أوماجرى هذا المجرى من الصفات وكذلك تقول سألناه فوجدناه انسانا أى انسانا سمحا أوجواداً أوماأشبهه فعلى هذا ونحوه تحذف الصفة فأما ان عريت عن الدلالة عليها من اللفظ أو الحال فان حذفها لايجوز وقد تأملت حذفها فوجدته لايسوغ الا فى صفة تقدمها مايدل عليها أو تأخر عنها أوفهم ذلك من شىء خارج عنها أما الصفة التى تقدمها مايدل عليها فقوله تعالى أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا فحذف الصفة أى كان يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا ويدل على المحذوف قوله فأردت أن أعيبها فان عيبه إياها لم يخرجها عن كونها سفينة وانما المأخوذ هو الصحيح دون المعيب فحذفت الصفة ههنا لأنه تقدمها مايدل عليها وأما التى تأخر عنها مايدل عليها فقول بعض شعراء الحماسة

كل امرىء ستئيم منـ * ـه العرس أو منها يئيم

فانه أراد كل امرىء متزوج اذ دل عليه ما بعده من قوله ستئيم منه أو منها يئيم اذ لا تئيم هى الا من زوج ولا يئيم هو الا من زوجة فجاء بعد الموصوف مادل عليه ولولا ذلك لما صح معنى البيت اذ ليس كل امرىء يئيم من عرس ولا تئيم منه عرس إلا إذا كان متزوجا وأما مايفهم حذف الصفة فيه من شىء خارج عن الكلام فقول النبى صلى الله عليه وسلم لاصلاة لجار المسجد الا فى المسجد فانه قد علم جواز صلاة جار المسجد فى غير المسجد من غير هذا الحديث فعلم حينئذ أن المراد به الفضيلة والكمال وهذا شىء لم يعلم من نفس اللفظ وانما علم من شىء خارج عنه (الضرب السادس) وهو حذف الشرط وجوابه (فأما حذف الشرط) فنحو قوله تعالى ياعبادى الذين آمنوا ان أرضى واسعة فاياى فاعبدون فالفاء فى قوله تعالى فاعبدون جواب شرط محذوف لأن المعنى ان أرضى واسعة فان لم تخلصوا لى العبادة فى أرض فاخلصوها فى غيرها ثم حذف الشرط وعوض من حذفه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص (ومن هذا الضرب) قوله تعالى فمن كان منكم مريضا أوبه أذى من رأسه ففدية أى فحلق فعليه فدية وكذلك قولهم الناس مجزيون بأعمالهم ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا أى ان فعل المرء خيرا جزى خيرا وان فعل شرا جزى شرا وعلى نحو من ذلك جاء قوله تعالى ومن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر تقدير ذلك فأفطر فعدة من أيام أخر ولهذا ذهب داود الظاهرى الى الاخذ بظاهر الآية ولم ينظر الى حذف الشرط فأوجب القضاء على المريض والمسافر سواء أفطر أولم يفطر (ومن حذف الشرط) قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لاتعلمون اعلم أن هذه الفاء التى فى قول الشاعر فقد جئنا خراسانا وحقيقتها أنها فى جواب شرط محذوف يدل عليه الكلام كأنه قال إن صح ماقلتم ان خراسان أقصى مايراد بنا فقد جئنا خراسان وآن لنا أن نخلص وكذلك هذه الآية يقول ان كنتم

منكرين

بذيئا ولقد بذؤت بذاءة وما كنت جريئا ولقد جرؤت جرأة وجراءة وما كنت ردئا ولقد ردؤت رداءة وقد اتكأت وتوكأت على الخشبة وضربته حتى أتكأته وهى التكأة وأرفأت السفينة حبستها وهذا موضع ترفأ فيه السفن ودرأت فلانا دفعته ودارأته دافعته وروأت فى الامر نظرت فيه وحنأت لحيته بالحناء حتى قنأت من الخضاب تقأ قنوءا ولطأت بالارض ولطئت وماكانت مائة أمأيتها وفأفأت من الفأفأة فى اللسان ونأنأت فى الامر ضعفت واستمرأت الطعام وقد رقأ الدم وأرقأته وقد رفأت الثوب أرفؤه ورفوت لغة وقد هرأت اللحم وأهرأته اذا أنضجته وقد كافأته على ماكان منه وقد أكفأت فى الشعر اكفاء مثل أقويت فيه وقد فثأته عنى نحيته وماهدأت البارحة وزنأت فى الجبل صعدته

﴿باب مايهمز من الأسماء والافعال والعوام تبدل الهمزة فيه أو تسقطها﴾

يقال آكلت فلانا اذا أكلت معه ولا تقل واكلته (وآزيته) حاذيته ولا تقل وازيته وكذلك آجرته الدابة والدار وآخذته بذنبه وآمرته فى أمرى وآخيته وآسيته بنفسى (وآزرته) على الأمر أى أعنته وقويته فأما وازرته فصرت له وزيرا وآتيته على الأمر هذا كله العوام تجعل الهمزة فيه

واو وهي الدناءة والكآبة ودخل في مساءة فلان وهي سحاءة القرطاس وما أحسن قرأته للقرآن ومات فلان فجاءة وهي الملاءة للثوب وهي الباءة للنكاح وهي المرآة والجمع مراء هذا كله العوام تسقط الهمزة منه وهو جريء (٢٠٩) بين الجرءة والجراءة إذا ضمت أولها

منكرين للبعث فهذا يوم البعث أي قد تبين بطلان قولكم (وأما حذف جواب الشرط) فكقوله تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين فان جواب الشرط ههنا محذوف تقديره ان كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين ويدل على المحذوف قوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين (الضرب السابع) وهو حذف القسم وجوابه فأما حذف القسم فنحو قولك لأفعلن أي والله لأفعلن أو غير ذلك من الاقسام المحلوف بها وأما حذف جوابه فكقوله تعالى والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل إذا يسر هل في ذلك قسم لذي حجر ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد فجواب القسم ههنا محذوف تقديره ليعذبن أو نحوه ويدل على ذلك ما بعده من قوله ألم تر كيف فعل ربك بعاد الى قوله سوط عذاب (ومما ينتظم في هذا السلك) قوله تعالى ق والقرآن المجيد بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب فان معناه ق والقرآن المجيد لتبعثن والشاهد على ذلك ما بعده من ذكر البعث في قوله أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد (وقد ورد هذا الضرب في القرآن كثيرا) كقوله تعالى في سورة النازعات والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات أمرا يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة فجواب القسم ههنا محذوف تقديره لتبعثن أو لتحشرن ويدل على ذلك ما أتى من بعده من ذكر القيامة في قوله يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة وكذلك الى آخر السورة (الضرب الثامن) وهو حذف لو وجوابها وذلك من ألطف ضروب الايجاز وأحسنها (فاما حذف لو) فكقوله تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض تقدير ذلك إذ لو كان معه آلهة لذهب كل إله بما خلق (وكذلك) ورد قوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون تقديره إذ لو فعلت ذلك لارتاب المبطلون وهذا من أحسن المحذوفات ومما جاء من ذلك شعرا قول بعضهم في صدر الحماسة

لو كنت من مازن لم تستبح ابلي * بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
إذاً لقام بنصري معشر خشن * عند الحفيظة ان ذو لوثة لانا

فلو في البيت الثاني محذوفة لانها في البيت الاول قد استوفت جوابها بقوله لم تستبح ابلي ثم حذفها في الثاني وتقدير حذفها إذ لو كنت منهم لقام بنصري معشر خشن أو اذ لو كانوا قومي لقام بنصري معشر خشن (وأما حذف جواب لو) فانه كثير شائع وذلك كقولك لو زرتنا لو ألممت بنا معناه لأحسنا اليك أو لأكرمناك أو ما جرى هذا المجرى (ومما ورد منه في القرآن الكريم) قوله تعالى ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب فان جواب لو ههنا محذوف تقديره لرأيت أمرا عظيما وحالا هائلة أو غير ذلك مما جرى مجراه (ومما جاء على نحو من هذا) قوله عز وجل ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون تقديره لو يعلمون الوقت الذي يستعجلونه وهو وقت صعب شديد تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام ولا يقدرون على دفعها عن أنفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذي هونه عليهم (ومما يجري على هذا النهج) قوله تعالى لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد

فهي على فعلة واذا فتحت أولها فهي على فعالة وهو املاك المرأة ولا يقال ملاك ونحن على أوفاز جمع وفز ولا يقال وفاز وهي الاهليلجة والاهليلج ولا يقال هليلجة وخذ للامر أهبته ولا يقال هبته وفي صدر فلان على أحنة ولا يقال حنة وتقول غنيته أغنية وأعطيته الامنية وحدثته احدوثة وأخبرته بأعجوبة وهي الأترجة والاوقية والجمع أواقي ومن العرب من يخفف فيقول أواق ويقال أصابه أسر إذا احتبس بوله وهو عود أسر ولا يقال يسر وهذا طعام لا يلائمني ملائمة أي لا يوافقني فأما يلاومني فلا يكون الا من اللوم ان تلوم رجلا ويلومك ويقال لبائع الرؤس رآس ولا يقال رواس ويقال طعام مؤوف تقديره مفعول ولا يقال مايوف ولا مأووف وأنت صاغر صدئي مهموز مقصور وهي الكمأة بالهمز والواحدة كمء وما أشأم فلانا وهو مشئوم وقوم مشائيم وقد يئست من الامر أيأس منه يأسا ولا يقال آيست (آساس البنيان) بالمد جمع أسس فاذا قصرت فهو واحد يقال اساس وأسس ويقال أحفر المهر إلا الاثناء والارباع فهو محفر ولا يقال حفر (وأصحت السماء) فهي مصحية

ولا يقال صحت (وأغامت) وأغيمت وتغيمت وغيمت (وأشلت الشيء) إذا رفعته ولا يقال شلته وشال هو إذا ارتفع (وأرميت العدل) عن البعير أ لقيته وتقول (٢١٠) إن ركبت الفرس ارماك ولا يقال رماك (وأعقدت الرب) والعسل فهو معقد ولا يقال عقدت إلا

فجواب لو في هذا الموضع محذوف كما حذف في قوله تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أي لو أن لي بكم قوة لدفعتكم أو منعتكم أو ما أشبه وكذلك قوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال لكان هذا القرآن وهذا الضرب من المحذوفات أظهر الضروب المذكورة وأوضحها العلم المخاطب به لأن قوله تعالى حكاية عن لوط عليه السلام لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد يتسارع الفهم الى أن الكلام يحتاج الى جواب ومما جاء منه شعرا قول أبي تمام في قصيدته البائية التي يمدح بها المعتصم عند فتحه مدينة عمورية

لو يعلم الكفر كم من أعصر كمنت * له العواقب بين السمر والقضب

فان هذا محذوف الجواب تقديره لو يعلم الكفر ذلك لأخذ أهبة الحذار أو غير ذلك (واعلم) أن حذف هذا الجواب لا يسوغ في أي موضع كان من الكلام وانما يحذف مادل عليه مكان المحذوف ألا ترى أنه قد ورد في القرآن الكريم غير محذوف كقوله تعالى ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون وهذا ليس كالذي تقدم من الآيات لأن تلك علم مكان المحذوف منها وهذه الآية لو حذفت الجواب فيها لم يعلم مكانه لانه يحتمل وجوها منها أن يقال لما آمنوا أو لطلبوا ماوراء ذلك وقد تقدم القول في أول باب الايجاز أنه لابد من دلالة الكلام على المحذوف (الضرب التاسع) وهو حذف جواب لولا (فمن ذلك قوله تعالى) والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة أن لعنت الله عليه ان كان من الكاذبين ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم فجواب لولا ههنا محذوف تقديره لما أنزل عليكم هذا الحكم بطريق التلاعن وستر عليكم هذه الفاحشة بسببه (وكذلك ورد قوله تعالى) ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤف رحيم تقديره ولولا فضل الله عليكم ورحمته لعجل لكم العذاب أو فعل بكم كذا وكذا (الضرب العاشر) وهو حذف جواب لما وجواب أما (فأما حذف جواب لما) فكقوله تعالى فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين فان جواب لما ههنا محذوف وتقديره فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما وشكرهما على ما أنعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله وما أشبه ذلك مما اكتسباه بهذه المحنة من عظائم الوصف دنيا وآخرة وقوله انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لتخويل ما خولهما من الفرح والسرور بعد تلك الشدة العظيمة (وأما حذف جواب أما) فنحو قوله تعالى فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم (الضرب الحادي عشر) وهو حذف جواب إذا فمما جاء منه قوله تعالى وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين ألا ترى كيف حذف الجواب عن اذا في هذا الكلام وهو مدلول عليه بقوله الا كانوا عنها معرضين كأنه قال وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم أعرضوا ثم قال ودأبهم الاعراض عن كل آية وموعظة (الضرب الثاني عشر) حذف المبتدأ والخبر أما حذف المبتدأ فلا يكون إلا مفردا

في الحلف والخيط وأشباه ذلك (وأزللت له زلة) ولا يقال زللت ومنه قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من أزلت اليه نعمة فليشكرها أي من أسديت اليه واصطنعت عنده وقال كثير

واني وان صدت لمثن وصادق
عليها بما كانت الينا أزلت

أي أحسنت واصطنعت (وأجبرته على الامر) فهو مجبر ولا يقال جبرت الا للعظم وجبرته من فقره (وأعجمت الكتاب) ولا يقال عجمته (وأحبست الفرس) في سبيل الله ولا يقال حبسته (وأغلقت الباب) وأقفلته ولا يقال غلقته ولا قفلته وأقفلت الجند من مبعثهم فقفلوا وقد أغفيت إذا نمت ولا يقال غفوت وقد أثغرت البرذون وألبنته وأعذرته وأحكمته ووسنته هذا وحده بلا ألف ويقال أرسنته أيضا أقرد فلان إذا سكت ولا يقال قرد (وأشب الله) قرنه ولا يقال شب (وأعتقت العبد) فعتق ولا يقال عتقته (وأعييت في المشي) فأنا معي ولا يقال عييت الا في المنطق وضربه بالسيف فما أحاك فيه وحاك خطأ ويقال ما حاك في والأحسن صدري منه شيء وأحذيته من الحذيا وحذوته خطأ (وأخلت فيه الخير) أي رأيت فيه مخيلته (وآذيت فلانا) ولا يقال أذيته

والاحسن هو حذف الخبر لان منه ما يأتى جملة كقوله تعالى واللائى يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائى لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن وههنا قد حذف خبر المبتدا وهو جملة من مبتدا وخبر وتقديرها واللائى لم يحضن فعدتهن ثلاثة أشهر ومما ورد منه شعرا قول أبى عبادة البحترى

كل عذر من كل ذنب ولكن * أعوز العذر من بياض العذار

وهذا قد حذف منه خبر المبتدا الا أنه مفرد غير جملة وتقديره كل عذر من كل ذنب مقبول أو مسموع أو ما جرى هذا المجرى (الضرب الثالث عشر) وهو حذف لا من الكلام وهى مرادة وذلك كقوله تعالى قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف يريد به لا تفتؤ أى لا تزال فحذفت لا من الكلام وهى مرادة وعلى هذا جاء قول امرىء القيس

فقلت يمين الله أبرح قاعدا * ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى

أى لا أبرح قاعدا فحذفت لا فى هذا الموضع وهى مرادة (ومما جاء منه) قول أبى محجن الثقفى لما نهاه سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه عن شرب الخمر وهو اذ ذاك فى قتال الفرس بالقادسية

رأيت الخمر صالحة وفيها * مناقب تهلك الرجل الحليما

فلا والله أشربها حياتى * ولا أسقى بها أبدا نديما

يريد لا أشربها فحذف لا من الكلام وهى مفهومة منه (الضرب الرابع عشر) وهو حذف الواو من الكلام واثباتها وأحسن حذوفها فى المعطوف والمعطوف عليه واذا لم يذكر الحرف المعطوف به كان ذلك بلاغة وايجازا كقول أنس بن مالك رضى الله عنه كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينامون ثم يصلون ولا يتوضؤن أوقال ثم يصلون لا يتوضؤن فقوله لا يتوضؤن بحذف الواو أبلغ فى تحقيق عدم الوضوء من قوله ولا يتوضؤن باثباتها كأنه جعل ذلك حالة لهم لازمة أى أنها داخلة فى الجملة وليست جملة خارجة عن الاولى لأن واو العطف تؤذن بانفراد المعطوف عن المعطوف عليه واذا حذفت فى مثل هذا الموضع صار المعطوف والمعطوف عليه جملة واحدة وقد جاء مثل ذلك فى القرآن الكريم وذلك أنه يذكر جملا من القول كل واحدة منها مستقلة بنفسها ثم تسرد سردا بغير عاطف كقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر تقدير هذا الكلام لا يألونكم خبالا وودوا ما عنتم وقد بدت البغضاء من أفواههم فلما حذفت الواو جاء الكلام أوجز وأحسن طلاوة وأبلغ تأليفا ونظما وأمثاله فى القرآن الكريم كثير (واعلم) أنه قد حذفت الواو وأثبتت فى مواضع فأما اثباتها فنحو قوله تعالى وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وأما حذفها فنحو قوله تعالى وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون وعلى هذا فلا يجوز حذف الواو واثباتها فى كل موضع وانما يجوز ذلك فيما هذا سبيله من هاتين الآيتين (ولنبين لك فى ذلك رسما تتبعه فنقول) اعلم أن كل اسم نكرة جاء خبره بعد إلا يجوز اثبات الواو فى خبره وحذفها كقولك ما رأيت رجلا الا وعليه ثياب وان شئت قلت الا عليه ثياب بغير واو فان كان الذى يقع على النكرة ناقصا فلا يكون الا بحذف الواو نحو قولك ما أظن درهما الا هو كافيك ولا يجوز الا وهو كافيك بالواو لان الظن يحتاج الى شيئين فلا يعترض فيه بالواو لأنه يصير كالمكتفى من الافعال باسم واحد وكذلك جواب ظننت وكان وان وأشباهها فخطأ أن

(وأصابة وثء) ولا يقال وثى (وأعرس الرجل) بامرأته ولا يقال عرس (وهى الاوزة) والأوز والعامة تقول وزة

﴿ باب مالا يهمز والعوام تهمزه ﴾ يقولون رجل (أعزب) وانما هو عزب (وهى الكرة) ولا يقال اكرة و يقال أساء سمعا فأساء جابة هكذا بلا ألف وهو اسم بمنزلة الطاقة والطاعة و يقال فلان أعسر يسر وهو الذى يعمل بكلتا يديه ولا يقال أيسر وفلان خير الناس وشر الناس ولا يقال أخير ولا أشر و يقولون (تخطأت) إلى كذا وانما هو تخطيت من الخطوة يقال خطوت أخطو قال الله عزوجل ولا تتبعوا خطوات الشيطان بلا همز (و يقولون) أبدأت لى سوءا بالألف وانما هو أبديت لى أى أظهرت من بدا الشىء يبدو (وتقول) نبذت النبيذ (وهزأت) دابتى وعلفتها قال الشاعر

اذا كنت فى قوم عدى لست منهم * فكل ما علفت من خبيث وطيب

(و زكنت) الامر أزكنه أى علمته وأزكنت فلانا كذا أى أعلمته وليس هو فى معنى الظن قال الغطفانى

زكنت منهم على مثل الذى زكنوا *

أى علمت منهم مثل ما علموا منى (ورعبت الرجل) فهو مرعوب (ووتدت) الوتد أتده وتدا (وقرح الدابة) بلا ألف و يقال (أجذع) وأثنى وأربع بالألف (وشغلته) عنك وأشغلته ردىء (وفرشت فلانا امرى ما نجع فيه القول) قال الاعشى

لو أطعموا المن والسلوى مكانهم * ما أبصر الناس طعما فيهم نجعا

شملت الريح وجنبت وصبت وقبلت ودبرت كل ذلك بلا ألف (رعدت) السماء و برقت و رعدلي بالقول و برق قال ابن أحمر
يا جل ما بعدت عليك بلادنا * فابرق بأرضك مابدالك وارعد و بعضهم يجيز أرعد وأبرق ببيت الكميت

تقول ان رجلا وهوقائم ونحو ذلك و يجوز هـذا في ليس خاصة تقول ليس أحد الاوهو قائم لأن الكلام يتوهم تمامه بليس و بحرف نكرة ألا ترى أنك تقول ليس أحد ومامن أحد فجاز فيها اثبات الواو ولم يجز في أظن لانك لاتقول ماأظن أحدا فأما أصبح وأمسى و رأى فان الواو فيهن أسهل لانهن توأم في حال وكان وأظن ونحوها بنين على النقص الا اذا كانت تامة وكذلك لا في التنزيه وغيرها نحو لارجل ومامن رجل فيجوز اثبات الواو فيها وحذفها (واعلم) أن العرب قدحذفت من أصل الألفاظ شيئا لايجوز القياس عليه كقول بعضهم

كأن ابريقهم ظبي على شرف * مقدم بسبا الكتان ملثوم

فقوله بسبا الكتان يريد بسبائب الكتان وكذلك قول الآخر

بدر بن جندل حائز لجنوبها * فكأنما تذكى سنابكها الحبا

فهذا وأمثاله مما يقبح ولا يحسن وان كانت العرب قداستعملته فانه لايجوز لنا أن نستعمله (وأما القسم الثاني من الايجاز) فهو مالايحذف منه شيء (وذلك ضربان أحدهما) ماساوى لفظه معناه ويسمى التقدير (والآخر) مازاد معناه على لفظه و يسمى الايجاز بالقصر (فأما الايجاز بالتقدير فانه الذي يمكن التعبير عن معناه بمثل ألفاظه وفي عدتها (وأما الايجاز بالقصر فانه ينقسم قسمين أحدهما) مادل لفظه على محتملات متعددة وهذا يمكن التعبير عنه بمثل ألفاظه وفي عدتها (والآخر) مايدل لفظه على محتملات متعددة ولا يمكن التعبير عنه بمثل ألفاظه وفي عدتها لا بل يستحيل ذلك (ولنورد الآن الضرب الأول الذي هو الايجاز بالتقدير) فماجاء منه قوله تعالى قتل الانسان ما أكفره من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره كلا لما يقض ما أمره فقوله قتل الانسان دعاء عليه وقوله ما أكفره تعجب من افراطه في كفران نعمة الله عليه ولا ترى أسلوبا أغلظ من هذا الدعاء والتعجب ولا أخشن مساولا أدل على سخط مع تقارب طرفيه ولا أجمع للائمة على قصر متنه ثم انه أخذ في صفة حاله من ابتداء حدوثه الى منتهى زمانه فقال من أي شيء خلقه ثم بين الشيء الذي خلق منه بقوله من نطفة خلقه فقدره أي هيأه لما يصلح له ثم السبيل يسره أي سهل سبيله وهو مخرجه من بطن أمه أو السبيل الذي يختار سلوكه من طريقي الخير والشر والاول أولى لانه تال لخلقته وتقديره ثم بعد ذلك يكون تيسير سبيله لما يختاره من طريقي الخير والشر ثم أماته فأقبره أي جعله ذا قبر يوارى فيه ثم اذا شاء أنشره أي أحياه كلا ردع للانسان عما هو عليه لما يقض ما أمره أي لم يقض مع تطاول زمانه ما أمره الله به يعني أن انسانا لم يخل من تقصير قط ألا ترى الى هـذا الكلام الذي لو أردت أن تحذف منه كلمة واحدة لما قدرت على ذلك لانك كنت تذهب بجزء من معناه والايجاز هو أن لا يمكنك أن تسقط شيئا من ألفاظه (والآيات الواردة من هذا الضرب كثيرة) كقوله تعالى فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف فقوله فله ماسلف من جوامع الكلم ومعناه أن خطاياه الماضية قد غفرت له وتاب الله عليه فيها الا أن قوله فله ما سلف أبلغ أي أن السالف من ذنوبه لا يكون عليه انما هو له وكذلك ورد قوله تعالى من كفر فعليه كفره فعليه كفره كلمة جامعة تغني عن ذكر ضروب من العذاب لان من أحاط به كفره فقد أحاطت به كل خطيئة وعلى نحو من هذا جاء قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى و ينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون

أرعدوأبرق يا يزيـد فما وعيدك لي بضائر نعشه الله ينعشه وكبه الله لوجهه يكبه وقدقلبت الشيء وصرفت الرجل عما أراد و وقفته على ذنبه وقدسعرت القوم شرا وقدغظته وقد رفدته وقدعبته وقدحدرت السفينة في الماء هذا كله بلا ألف (لا يفضض) الله فاك لأنه من فض يفض و يفضض خطأ (مط) عنا تنح وأمط غيرك

﴿ باب مايشدد والعوام تخففه ﴾

(هو الفلو) مشدد الواو ومضموم اللام قال دكين *

كان لنا وهو فلو نربيه *

وهذا أمر (مؤام) بتشديد الميم مأخوذ من الأم وهو القرب وهي (الاترجة) والاترج وأبو زيد يحكي ترنجة وترنج أيضا قال علقمة بن عبدة

يحملن أترجة نضخ العبير بها * كأن تطيابها في الأنف مشموم

(والاجاص والاجانة والقبرة والقبر) قال الشاعر

ياللك من قبرة بمعمر
خلالك الجو فبيضي واصفري

يقال جاء (نعي) فلان بالتشديد ومعه (رئي) من الجن كقولك (رعي) وتميم تقول رئي وهي العارية بالتشديد والعواري وهي الدوخلة والقوصرة قال أفلح من كانت له قوصره * يأكل منها كل يوم مره

تذكرون فهذه الآية من جوامع الآيات الواردة فى القرآن الكريم وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأها على الوليد بن المغيرة فقال له يا ابن أخى أعد فأعاد النبى صلى الله عليه وسلم قراءتها عليه فقال له ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وما هو بقول البشر (ومن هذا النحو) قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وهذه الآيات من قوارع القرآن العجيبة التى دلت على تخويف وارهاب ترق له القلوب وتقشعر منه الجلود وهى مشتملة مع قصرها على حال الانسان منذ خلقه إلى حين حشره وحشر غيره من الناس وتصوير ذلك الأمر الفظيع فى أسهل لفظ وأقربه وما مررت عليها إلا جددت لى موعظة وأحدثت عندى ايقاظا (ومن هذا الضرب) ما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم فى دعائه لابى سلمة عند موته فقال اللهم ارفع درجته فى المهتدين وأخلفه فى عقبه فى الغابرين لنا وله يارب العالمين وهذا دعاء جامع بين الايجاز وبين مناسبة الحال التى وقع فيها فأوله مفتتح بالمهم الذى يفتقر اليه المدعوله فى تلك الحال وهو رفع درجته فى الآخرة وثانيه مردف بالمهم الذى يؤثره المدعوله من صلاح حال عقبه من بعده فى الدنيا وثالثه مختتم بالجمع بين الداعى والمدعو له وهذا من الايجاز البليغ الذى هو طباق ما قصد له وكلام النبى صلى الله عليه وسلم كله هكذا كما قال أوتيت جوامع الكلم وكذلك ورد قوله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فانه قال هذا يوم له ما بعده وهو شبيه بقوله تعالى فله ماسلف (ولما جرح عمر بن الخطاب رضى الله عنه) الجراحة التى مات بها اجتمع اليه الناس فجاءه شاب من الانصار وقال أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله وقدم فى الاسلام ما علمت ووليت فعدلت ثم شهادة وهذا كلام سديد قد حوى المعنى المقصود وأتى به فى أوجز لفظ وأحسنه ومع ما فيه من الايجاز فانه مستغرب وسبب استغرابه أنه جعل المساءة بشرى وأخرجها مخرج المسرة وتلطف فى ذلك فأبلغ ولو أراد الكاتب البليغ والخطيب المصقع أن يأتى بذلك على هذا الوجه لأعوزه (ومن هذا النمط) ما كتبه طاهر بن الحسين الى المأمون عند لقائه عيسى بن ماهان وهزمه اياه وقتله فكتب اليه كتابى إلى أمير المؤمنين ورأس عيسى بن ماهان بين يديه وخاتمه فى يدى وعسكره مصرف تحت أمرى والسلام وهذا من الكتب المختصرة التى حوت الغرض المطول وما يكتب فى هذا المقام مثله (ولما أرسل المهلب بن أبى صفرة) أبا الحسن المداينى إلى الحجاج بن يوسف يخبره أخبار الازارقة كلمه كلاما موجزا كالذى نحن بصدد ذكره ههنا وذلك أن الحجاج سأله فقال كيف تركت المهلب فقال أدرك ما أمل وأمن مما خاف فقال كيف هو لجنده قال والد رؤف قال كيف جنده له قال أولاد بررة قال كيف رضاهم عنه قال وسعهم بفضله وأغناهم بعدله قال كيف تصنعون اذا لقيتم العدو قال نلقاهم بجدنا ويلقونا بجدهم قال كذلك الجد إذا لقى الجد قال فأخبرنى عن بنى المهلب قال هم أحلاس القتال بالليل حماة السرج بالنهار قال أيهم أفضل قال هم كحلقة مضروبة لا يعرف طرفاها فقال الحجاج لجلسائه هذا والله هو الكلام الفصل الذى ليس بمصنوع (وقد ورد فى الاخبار النبوية من هذا الضرب شىء كثير) وسأورد منه أمثلة

وفى خلقه (زعارة) ولا يقال بالتخفيف وهذا (شرشمر) أى شديد ولا يقال شمر وهذا (سام أبرص) مشدد وجمعه سوام أبرص (وآرى) الدابة مشدد (وأوارى) وكذلك الآخية والأواخى وهذه (فوهة) النهر بالتشديد ولا يقال فوهة وهو (البارى والبارياء) قال العجاج * كالخص إذ جلله البارى وهذه (بخاتى وعلالى وسرارى وأواقى وأمانى) وان شئت خففت وكذلك كل ما كان مشددا تقول تعهدت فلانا وتقعدت عن الأمر وتزيد السعر وغيره وكع فلان عن الأمر ولا يقال كاع وقد كععت يا رجل ولا يقال كعت وهو (مراق) البطن بالتشديد ولا يقال مراق خفيف قال الاصمعى (عنست المرأة) إذا كبرت ولم تزوج فهى معنسة ولا يقال عنست وأبو زيد يجيزه وقال تعنس عنوسا وهى عانس (وعزت) إليك فى كذا وأوعزت ولم يعرف الاصمعى وعزت خفيفة

﴿باب ما جاء خفيفا والعامة تشدده﴾

هى (الرباعية) للسن ولا يقال رباعية وفرس رباع والانثى رباعية مخففة وهى الكراهية والرفاهية والطواعية ورجل شآم والانثى شآمية ورجل يمان وامرأة يمانية وفعلت ذلك (طماعية) فى معروفك هذا كله بالتخفيف وهو (الدخان) ولا يشدد وتقول للداعى (أمين) فعل الله كذا بقصر الالف وتخفيف الميم وآمين بتطويل الالف وتخفيف الميم ولا تشدد الميم (حمة العقرب) بالتخفيف وجمعها حمات بالتخفيف رجل (آدر) مطولة الالف خفيفة ولا

يسيرة فمن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين و بينهما أمور متشابهات وهذا الحديث من أجمع الأحاديث للمعانى الكثيرة وذاك أنه يشتمل على جل الاحكام الشرعية فان الحلال والحرام إما أن يكون الحكم فيهما بينا لا خلاف فيه بين العلماء واما أن يكون خافيا يتجاذبه وجوه التأويلات فكل منهم يذهب فيه مذهبا (وكذلك) جاء قوله صلى الله عليه و سلم الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء مانوى فان هذا الحديث أيضا من جوامع الاحاديث للاحكام الشرعية (ومن ذلك) قوله صلى الله عليه وسلم المضعف أمير الركب وقد ورد آخر هذا الحديث بلفظ آخر فقال صلى الله عليه وسلم سيروا بسير أضعفكم إلا أن الاول أحسن لانه أبلغ معنى فان الامير واجب الحكم فهو يتبع وإذا كان المضعف أمير الركب كانوا مؤتمرين له فى سيرهم ونزولهم وهذا المعنى لا يوجد فى قوله سيروا بسير أضعفكم (وأحسن من هذا كله) ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم فى حديث مطول يتضمن سؤال جبريل عليه السلام فقال من جملته ما الاحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فقوله تعبد الله كأنك تراه من جوامع الكلم لانه ينوب مناب كلام كثير كأنه قال تعبد الله مخلصا فى نيتك واقفا عند أدب الطاعة من الخضوع والخشوع آخذا أهبة الحذر وأشباه ذلك لان العبد إذا خدم مولاه ناظرا اليه استقصى فى آداب الخدمة بكل ما يجد اليه السبيل وما ينتهى اليه الطوق (ومما أطربنى من ذلك) حديث الحديبية وهو أنه جاء بديل بن ورقاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له انى تركت كعب بن لؤى بن عامر بن لؤى معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان قريشا قد نهكتهم الحرب فان شاؤوا ماددناهم مدة و يدعوا بينى و بين الناس فان أظهر عليهم وأحبوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس والا كانوا قد جموا وان أبوا فوالذى نفسى بيده لأقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى هذه و لينفذن الله أمره وهذا الحديث من جوامع الكلم وهو من الفصاحة والبلاغة على غاية لا ينتهى اليها وصف الواصف (وأما ما ورد من ذلك شعرا) فقول النابغة

وانك كالليل الذى هو مدركى * وان خلت ان المنتأى عنك واسع

وتخصيصه الليل دون النهار مما يسئل عنه وكذلك قوله

ولست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أى الرجال المهذب

وعلى هذا الاسلوب ورد قول الاعشى فى اعتذاره إلى أوس بن لام عن هجائه اياه

وانى على ما كان منى لنادم * وانى إلى أوس بن لام لتائب
وانى الى أوس ليقبل عذرتى * و يصفح عنى ما حييت لراغب
فهب لى حياتى فالحياة لقائم * بشكرك فيها خير ما أنت واهب
سامحو بمدح فيك إذ أنا صادق * كتاب هجاء سار إذ أنا كاذب

وهذا من المعانى الشريفة فى الالفاظ الخفيفة وهو من طنانات الاعشى المشهورة وعلى نحو منه جاء قول الفرزدق

صبحناهم الشعث الجياد كأنها * قطا هيجته يوم ريح أجادله
إلى كل حى قد خطبنا بناتهم * بأرعن جرار كثير صواهله
إذا ما التقينا انكحتنا رماحنا * من القوم ابكارا كراما عقائله

يقال أدر (وهى الادرة) والادرة وهى (القدوم) والجمع قدم ولا يقال قدوم بالتشديد وهو (عنب ملاحى) مخففة اللام وهو من الملحة والملحة البياض ولا تشدد اللام أنشد الاصمعى ومن تعاجيب خلق الله غاطية * يعصر منها ملاحى وغربيب غاطية عالية يقال غطا يغطو قال الاصمعى سمعت عقبة بن رؤبة يقول والنجم قد تصوب كأنه عنقود ملاحى و يقال (غلفت) لحيته بالطيب مخفف ولا يقال غلفت الاصمعى قد (تغلى) بالغالية وتغلل إذا أدخل يده فى شاربه ولحيته وهى (لثة الرجل) لما حول أسنانه وجمعها لثات مكسورة اللام مخففة ولا يقال لثة أرض (دوية) وتدية وعذية وعذاة أيضا وامرأة (عمية) القلب وعمية عن الصواب ورجل (شجى) إذا غص بلقمة وامرأة شجية وويل للشجى من الخلى الشجى خفيف والخلى مشدد وهذا عود (ملتو) ومكان (مستو) والمؤنث ملتوية ومستوية خفيف ورجل (طوى) البطن (وحف) اذا رقت قدماه ورجل (شر) إذا شرى جلده ومال (تو) إذا ذهب ورجل (نس) اذا اشتكى نساه ورجل (قذى العين) وكلام (خن) من الخنا ورجل (رد) للهالك (وصد) من العطش (وحر) الجوف ورجل (كر) من النعاس هذا كله مخفف والمؤنث منه بالتخفيف (وهذا) موضع (دفىء) مهموز مقصور ولا يقال وانا دفى مشدد ولا ممدود وتقول قد (بقل) وجه الغلام بالتخفيف ولا يقال بقل و يقال (اليمانى) خفيفة ولا يقال يمانى وهى (جدية)

السرج والرحل والجمع جديات وجدا أيضا وهم (المكارون) والواحد مكار وذهبت الى المكارين ولا يقال المكاريين ورماه (بقلاعة) خفيفة اللام وهو ما اقتلعه من الارض ولا يقال قلاعة بالتشديد (وعايرت) المكاييل وعاورتها ولا يقال عيرتها وهم المعايرون ولا يقال المعيرون (ولطخني) يلطخني مخففة (وكناني) فلان مخففة (وقصر) الصلاة يقصرها مخففة (وقشرت) الشيء أقشره مخففة (وقلبته) ظهر البطن مخففة ولا يقال أقلبته وتقول أراد فلان الكلام (فارتج) عليه ولا يقال ارتج وارتج من الرتاج وهو الباب كأنه أغلق عليه وتقول نظر الى (بمؤخر) عينه مثل مقدم عينه وبردت عيني بالبرود وبردت فؤادي بشربة من ماء أبرده خفيف (طن) الكتاب وطن الحائط ولا يقال طين وأترب الكتاب

﴿ باب ما جاء ساكنا والعامة تحركه ﴾

يقال في اسنانه (حفر) وهو فساد في أصول الاسنان وحفر رديئة يقال أجد في بطني (مغسا) ومغصا وأصله الطعن وهو (شغب) الجند ولا يقال شغب وفي صدره على (وغر) أي توقد من الغضب وأصله من وغرة القيظ وهو شدة حره وروى عن أبي زيد وغر بتسكين الغين وعن الاصمعي وغر بفتحها من وغر يوغر وغرا أوجملت كلام فلان (دبر) اذني بفتح الدال وتسكين الباء إذا أنت أعرضت عن كلامه وجبل (وعر) ورجل (سمح) وبلد (وحش) وفلان (حمش الساق) هذا كله بالتسكين وهي (حلقة الباب) وحلقة القوم بتسكين اللام قال أبو عمرو والشيباني

وانا لمناعون تحت لوائنا ✽ حمانا إذا ما عاذ بالسيف حامله

وهذا من محاسن ما يجيء في هذا الباب ومما يجري هذا المجرى قول جرير

تمنى رجال من تميم منيتي ✽ وماذاد عن أحسابهم ذائد مثلي
فلو شاء قومي كان حلمي فيهم ✽ وكان على جهال أعدائهم مثلي

وكذلك ورد قوله متغزلا وهو من محاسن أقواله

سرت الهموم فبتن غير نيام ✽ وأخو الهموم يروم كل مرام
ذم المنازل بعد منزلة اللوى ✽ والعيش بعد أولئك الاقوام
ولقد أراك وأنت جامعة الهوى ✽ أثني بعهدك خير دار مقام
طرقتك صائدة القلوب فليس ذا ✽ حين الزيارة فارجعي بسلام
تجري السواك على أغر كأنه ✽ برد تحدر من متون غمام
لو كان عهدك كالذي حدثتنا ✽ لوصلت ذاك فكان خير زمام
ولقد أراني والجديد الى بلى ✽ في موكب طرف الحديث كرام
لولا مراقبة العيون أريننا ✽ حدق المها وسوالف الآرام
واذا صرفن عيونهن بنظرة ✽ نفذت نوافذها بغير سهام
هل تنفعنك ان قتلن مرقشا ✽ أو ما فعلن بعروة بن حزام

وحلاوة هذا الكلام أحسن من ايجازه ولقد أعوز غيره أن يأتي بمثله حتى أقر باعوازه ومن باب الايجاز الذي يسمى التقدير قول علي بن جبلة

وما لامرىء حاولته عنك مهرب ✽ ولو حملته في السماء المطالع
بلى هارب ما يهتدي لمكانه ✽ ظلام ولا ضوء من الصبح ساطع

فهذا هو الكلام الذي ألفاظه وفاق معانيه فانه قد اشتمل على مدح رجل بشمول ملكه وعموم سلطانه وأنه لا مهرب عنه لمن يحاوله وان صعد السماء ثم ذكر جميع المهارب في المشارق والمغارب وأشار الى أنه يبلغ الظلام والضياء وذلك مما لم تزد عبارته على المعنى المندرج تحته ولا قصرت عنه ومن هذا الضرب قول أبي نواس وهو من نادر ما يأتي في هذا الموضع

ودار ندامى عطلوها وأدلجوا ✽ بها أثر منهم جديد ودارس
مساحب من جر الزقاق على الثرى ✽ وأضغاث ريحان جني ويابس
حبست بها صحبي فجددت عهدهم ✽ واني على أمثال تلك لحابس
تدار علينا الراح في عسجدية ✽ حبتها بأنواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفي جنباتها ✽ مها تدريها بالقسي الفوارس
فللراح مازرت عليه جيوبها ✽ وللماء مادارت عليه القلانس

(ومما انتهى الي من أخبار ابن المزرع) قال سمعت الجاحظ يقول لا أعرف شعرا يفضل هذه الابيات التي لأبي نواس ولقد أنشدتها أبا شعيب القلال فقال والله يا أبا عثمان ان هذا هو الشعر ولو نثر لطن فقلت له ويحك ما تفارق عمل الجرار والخزف ولعمري ان الجاحظ عرف فوصف وخبر فشكر والذي ذكره هو الحق وعلى هذا الاسلوب جاء قول أبي تمام

لا يقال حلقة فى شىء من الكلام إلا حالقة الشعر جمع حالق مثل كافر وكفرة وظالم وظلمة وفى رأسه (سعفة) وهى داء يصيب الرأس وتقول هما (شرج) واحد أى ضرب (٢١٦) واحد لا يقال شرج وأمر فيه (لبس) والعامة تقول لبس وهو (الجبن) بضم الباء ولا تشدد النون انما شددها بعض الرجاز ضرورة

ان القوافى والمساعى لم تزل * مثل النظام إذا أصاب فريدا
هى جوهر نثر فان ألفته * بالشعر صار قلائدا و عقودا
فى كل معترك وكل مقامة * يأخذن منه ذمة وعهودا
فاذا القصائد لم تكن خفراءها * لم ترض منها مشهدا مشهودا
من أجل ذلك كانت العرب الأولى * يدعون هذا سوددا محدودا
وتند عندهم العلا الا علا * جعلت لها مرر القريض قيودا

(وأما الضرب الثانى) وهو الايجاز بالقصر فان القرآن الكريم ملآن منه وقد تقدم القول أنه قسمان أحدهما مايدل على محتملات متعددة فمن ذلك قوله تعالى ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعون قومه وما هدى فقوله فغشيهم من اليم ما غشيهم من جوامع الكلم التى يستدل على قلتها بالمعانى الكثيرة أى غشيهم من الأمور الهائلة والخطوب الفادحة مالايعلم كنهه الا الله ولايحيط به غيره (ومن هذا الضرب) قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فجمع فى الآية جميع مكارم الاخلاق لان فى الامر بالمعروف صلة الرحم ومنع اللسان عن الغيبة وعن الكذب وغض الطرف عن المحرمات وغير ذلك وفى الاعراض عن الجاهلين الصبر والحلم وغيرهما (وقال بعض الاعراب) فى دعائه اللهم هب لى حقك وارض عنى خلقك فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذا هو البلاغة (ومن ذلك) قوله عز وجل أولئك لهم الامن فانه دخل تحت الأمن جميع المحبوبات وذلك أنه نفى به أن يخافوا شيئا من الفقر والموت و زوال النعمة ونزول النقمة وغير ذلك من أصناف المكاره وأشباه هذا فى القرآن الكريم كثيرة فهو يكثر فى بعض الصور و يقل فى بعض قال النبى صلى الله عليه وسلم من شاء يرتع فى الرياض الا نائق فليه بآل حم (ومن ذلك) قول النبى صلى الله عليه وسلم الخراج بالضمان وذلك أن رجلا اشترى عبدا فأقام عنده مدة ثم وجد به عيبا فخاصم البائع الى النبى صلى الله عليه وسلم فرده عليه فقال يارسول الله انه استغل غلامى فقال الخراج بالضمان ومعنى قوله الخراج بالضمان أن الرجل إذا اشترى عبدا فاستغله ثم وجد به عيبا دلسه عليه البائع فله أن يرده و يسترجع الثمن جميعه ولومات العبد أو أبق أو سرقه سارق كان فى مال المشترى وضمانه عليه واذا كان ضمانه عليه فخراجه له أى له ماتحصل من أجرة عمله (وأما ماورد شعرا) فقول السموءل بن عاديا الغسانى من جملة أبياته اللامية المشهورة وذلك قوله منها وان هو لم يحمل على النفس ضيمها * فليس الى حسن الثناء سبيل

فان هذا البيت قد اشتمل على مكارم الاخلاق جميعها من سماحة وشجاعة وعفة وتواضع وحلم وصبر وغير ذلك فان هذه الاخلاق كلها من ضيم النفس لانها تجد بحملها ضيما أى مشقة وعناء وقد تقدم القول أن الايجاز بالقصر يكون فيما تضمن لفظه محتملات كثيرة وهذا البيت من ذلك القبيل ولا أعلم أن شاعرا قديما ولا حديثا أتى بمثله وقد أخذه أبو تمام فأحسن فى أخذه وهو

وظلمت نفسك طالبا انصافها * فعجبت من مظلومة لم تظلم

ففاز فى بيته هذا بالمقابلة بين الضدين فى الظلم والانصاف ثم قال فعجبت من مظلومة لم تظلم وهذا أحسن من الاول ومعنى قوله ظلمت نفسك طالبا انصافها أى أنك أكرهتها على مشاق الامور

﴿باب ماجاء محركا والعامة تسكنه﴾

أتحفته (تحفة) وأصابته (تخمة) وهى (اللقطة) لما يلتقط وتجشأت (جشأة) على فعلة قال الاصمعى و يقال الجشاء ممدود كأنه من باب العطاس والبوال والدوار وهم (نخبة) القوم أى خيارهم وطلعت (الزهرة) للنجم قال الشاعر

قد وكلتنى طلقى بالسمسره
وأيقظتنى لطلوع الزهره

وهى زهرة الدنيا وزهرتها أى حسنا وأخوال النبى صلى الله عليه وعلى آله بنو زهرة بسكون الهاء وهم فى هذا الامر (شرع) واحد بفتح الراء وهو (أحر) من القرع وهو (بثر) يخرج بالفصال يحت أو بارها وأنا أجد فى بدنى (ثقلة) متحركة القاف وثقلة القوم بكسر القاف أثقالهم ولقيت فلانا (بأخرة) مفتوح الخاء أى أخيرا و بعته الشىء بأخرة مكسورة الخاء أى نسيئة مثل نظرة

وهو سلف الرجل قال أوس والفارسية فيهم غير منكرة * فكلهم لابيه ضيزن سلف وهو (المر والصبر) واذا فأما ضد الجزع فهو الصبر ساكن وهو (قربوس) السرج محرك الراء وهو (عجم) التمر وعجم الرمان للنوى والحب وتقول (هم أكلة

واذافعلت ذلك فقدظلمتها ثم انك مع ظلمك اياها قدأنصفتها لانك جلبت اليها أشياء حسنة تكسبها ذكراً جميلا ومجداً مؤثلا فأنت منصف لها فى صورة ظالم وكذلك قوله فعجبت من مظلومة لم تظلم أى أنك ظلمتها وماظلمتها لان ظلمك اياها أدى الى ماهو جميل حسن وهذا القدر فى الأمثلة كاف فى هذا الباب (القسم الآخر من الضرب الثانى فى الايجاز بالقصر) وهو الذى لا يمكن التعبير عن ألفاظه بألفاظ أخرى مثلها وفى عدتها وهو أعلى طبقات الايجاز مكاناً وأعوزها امكاناً واذا وجد فى كلام بعض البلغاء فانما يوجد شاذاً نادراً (فمن ذلك) ماورد فى القرآن الكريم كقوله تعالى ولكم فى القصاص حياة فان قوله تعالى القصاص حياة لا يمكن التعبير عنه الا بألفاظ كثيرة لان معناه أنه اذا قتل القاتل امتنع غيره عن القتل فأوجب ذلك حياة للناس ولا يلتفت الى ماورد عن العرب من قولهم القتل أنفى للقتل فان من لا يعلم يظن أن هذا على وزن الآية وليس كذلك بل بينهما فرق من ثلاثة أوجه (الأول) أن القصاص حياة لفظتان والقتل أنفى للقتل ثلاثة ألفاظ (الوجه الثانى) أن فى قولهم القتل أنفى للقتل تكريراً ليس فى الآية (الثالث) أنه ليس كل قتل نافيا للقتل الا اذا كان على حكم القصاص وقد صاغ أبو تمام هذا المعنى الوارد عن العرب فى بيت من شعره فقال

وأخافكم كى تغمدوا أسيافكم * ان الدم المغبر يحرسه الدم

فقوله ان الدم المغبر يحرسه الدم أحسن مما ورد عن العرب من قولهم القتل أنفى للقتل (ويروى) عن معن بن زائدة أنه سأله أبو جعفر المنصور فقال له أيما أحب اليك دولتنا أودولة بنى أمية فقال ذاك اليك فقوله ذاك اليك من الايجاز بالقصر الذى لا يمكن التعبير عنه الا بألفاظ كثيرة لان معنى قوله ذاك اليك وهو لفظتان أنه زاد احسانك على احسان بنى أمية فأنتم أحب الى وهذه عشرة ألفاظ (فان قيل) كيف لا يمكن التعبير عن ألفاظ بألفاظ أخرى مثلها وفى عدتها وفى المترادف من الألفاظ ماهو دليل على خلاف ذلك فانه اذا قيل راح ثم قيل مدامة أو سلافة كان ذلك سواء وقامت هذه اللفظة مقام هذه اللفظة (قلت) فى الجواب ليس كل الألفاظ المترادفة يقوم بعضها مقام بعض ألا ترى أن لفظة القصاص لا يمكن التعبير عنها بما يقوم مقامها ولما عبر عنها بالقتل فى قول العرب القتل أنفى للقتل ظهر الفرق بين ذلك وبين الآية فى قوله تعالى ولكم فى القصاص حياة فالذى أردته أنا انما هو الكلام الذى لا يمكن التعبير عن ألفاظه بألفاظ أخرى مثلها وفى عدتها فان كان كذلك والا فليس داخلا فى هذا القسم المشار اليه (النوع السادس عشر فى الاطناب) هذا النوع من الكلام أنعمت نظرى فيه وفى التكرير وفى التطويل فملكتنى حيرة الشبه بينها طويلا وكنت فى ذلك كعمر بن الخطاب رضى الله عنه فى الكلالة حيث قال قد أعيانى أمر الكلالة وكنت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها كثيراً حتى ضرب فى صدرى وقال ألا يكفيك أنه الصنف وبعد أن أنعمت نظرى فى هذا النوع الذى هو الاطناب وجدت ضرباً من ضروب التأكيد التى يؤتى بها فى الكلام قصد ألمبالغة ألا ترى أنه ضرب مفرد من بينها برأسه لا يشاركه فيه غيره لان من التأكيد ما يتعلق بالتقديم والتأخير كتقديم المفعول بالاعتراض كالاعتراض بين القسم وجوابه وبين المعطوف والمعطوف عليه وأشباه ذلك وسيأتى الكلام عليه فى بابه وهذا الضرب الذى هو الاطناب ليس كذلك (ورأيت علماء البيان قد اختلفوا فيه) فمنهم من ألحقه بالتطويل الذى

رأس) أى قليل كقوم اجتمعوا على رأس بأكاونه وهى (الصلعة والقرعة والنزعة والكشفة والفطسة والقطمة) من الأقطع (والشترة والخرمة) كل هذا بالتحريك (والوسمة) التى يختضب بها بكسر السين (والورشان) بفتح الراء الطائر وهو (الوحل) بفتح الحاء اذا كان مصدراً واذا كان اسما كان وحلا وهو (الاقط والنبق والنمر والكذب والحلف والحبق والضرط) وهى الطيرة وفلان (خير فى من الناس وقد تملأت (من الشبع) وهى (الضلع) لضلع الانسان والضلع قليلة ويقال اعمل (بحسب) ذلك بفتح السين فان كان فى معنى كفاك فهو بتسكين السين وهو (سعف) النخل بفتح السين الواحدة سعفة بفتح العين والسعف أيضا داء كالجرب يأخذ فى أفواه الابل بفتح العين فأما السعفة فى الرأس فساكنة العين وفلان حسن (السحنة) بفتح الحاء وفلان نغل أى فاسد النسب والعامة تقول نغل وأخذته (الذبحة والذبحة) قال ذلك أبو زيد ولم يعرف الذبحة بالضم واسكان الباء ذهب دمه (هدراً) بفتح الدال

﴿باب ما تصحف فيه العوام﴾

يقولون (النجير) وهو الثجير بالثاء ويقولون (الزمرد) وهو بالذال معجمة ويقولون (الحلتيث) بالثاء وهو الحلتيت بالتاء ويقولون لعيب بالدواب (الجرد) بالدال وهو بالذال معجمة ويقولون لمن يرذلون (فسكل) وهو تصحيف انما هو فسكل وهو الفرس الذى يجىء فى الحلبة آخر الخيل ويقولون ملح (أندرانى) وانما هو ذرآنى بفتح الراء وبالذال معجمة وهو من الذرأة

والذرأة البياض يقال ذرىء رأسه وقد علته ذرأة و يقولون (شن) عليه درعه وانما هو سن عليه درعه اى صبها وسن الماء على وجهه
أى صبه صبا سهلا فأما الغارة فانه يقال فيها شن عليهم الغارة بالشين معجمة أى فرقها و يقولون (نعق الغراب) وذلك

هو ضد الايجاز وهو عنده قسم غيره فأخطأ من حيث لا يدرى كأبى هلال العسكرى والغانمى حتى انه قال ان كتب الفتوح وماجرى مجراها مما يقرأ على عوام الناس ينبغى أن تكون مطولة مطنبا فيها وهذا القول فاسد لانه ان عنى بذلك أنها تكون ذات معان متعددة قد استقصى فيها شرح تلك الحادثة من فتح أو غيره فذلك مسلم وان عنى بذلك أنها تكون مكررة المعانى مطولة الألفاظ قصد الافهام العامة فهذا غير مسلم وهو مما لا يذهب اليه من عنده أدنى معرفة بعلم الفصاحة والبلاغة و يكفى فى بطلانه كتاب الله تعالى فانه لم يجعل لخواص الناس فقط وانما جعل لعوامهم وخواصهم وأكثره لا بل جميعه مفهوم الألفاظ للعوام الا كلمات معدودة وهى التى تسمى غريب القرآن وقد تقدم الكلام على ذلك فى المقالة الأولى المختصة بالألفاظ وعلى هذا فينبغى أن تكون الكتب جميعها مما يقرأ على عوام الناس وخواصهم ذات ألفاظ سهلة مفهومة وكذلك الاشعار والخطب ومن ذهب إلى غير ذلك فانه بنجوة عن هذا الفن وعلى هذا فان الاطناب لا يختص به عوام الناس وانما هو للخواص كما هو للعوام وسأبين حقيقته فى كتابى هذا وأحقق القول فيه بحيث تزول الشبهة التى خبط أرباب علم البيان من أجلها وقالوا أقوالا لا تعرب عن فائدة (والذى عندى فيه) أنه اذا رجعنا الى الأسماء واشتقاقها وجدنا هذا الاسم مناسبا لمسماه وهو فى أصل اللغة مأخوذ من أطنب فى الشىء اذا بالغ فيه و يقال أطنبت الريح اذا اشتدت فى هبوبها وأطنب فى السير اذا اشتد فيه وعلى هذا فان حملناه على مقتضى مسماه كان معناه المبالغة فى ايراد المعانى وهذا لا يختص بنوع واحد من أنواع علم البيان وانما يوجد فيها جميعا اذ مامن نوع منها الا و يمكن المبالغة فيه واذا كان الأمر كذلك فينبغى أن يفرد هذا النوع من بينها ولا يتحقق افراده الا بذكر حده الدال على حقيقته (والذى يحد به أن يقال) هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة فهذا حده الذى يميزه عن التطويل اذ التطويل هو زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة وأما التكرير فانه دلالة اللفظ على المعنى مرددا كقولك لمن تستدعيه أسرع أسرع فان المعنى مردد واللفظ واحد وسيرد بيان ذلك مفصلا فى بابه بعد باب الاطناب لانى ذكرت الايجاز ثم الاطناب ثم التكرير وهى أبواب يتبع بعضها بعضا واذا كان التكرير هو ايراد المعنى مرددا فمنه مايأتى لفائدة ومنه مايأتى لغير فائدة فأما الذى يأتى لغير فائدة فانه جزء من الاطناب وهو أخص منه فيقال حينئذ إن كل تكرير يأتى لفائدة فهو اطناب وليس كل اطناب تكريرا يأتى لفائدة وأما الذى يأتى من التكرير لغير فائدة فانه جزء من التطويل وهو أخص منه فيقال حينئذ ان كل تكرير يأتى لغير فائدة تطويل وليس كل تطويل تكريرا يأتى لغير فائدة وكنت قدمت القول فى باب الايجاز بان الايجاز هو دلالة اللفظ على المعنى من غير زيادة عليه واذا تقررت هذه الحدود الثلاثة المشار اليها فان مثال الايجاز والاطناب والتطويل مثال مقصد يسلك اليه فى ثلاثة طرق فالايجاز هو أقرب الطرق الثلاثة اليه والاطناب والتطويل هما الطريقان المتساويان فى البعد اليه إلا أن طريق الاطناب تشتمل على منزه من المنازه لا يوجد فى طريق التطويل وسيأتى بيان ذلك بضرب الأمثلة التى تسهل من معرفته (والاطناب يوجد) تارة فى الجملة الواحدة من الكلام و يوجد تارة فى الجمل المتعددة والذى يوجد فى الجمل المتعددة أبلغ لاتساع المجال فى ايراده (وعلى هذا فانه بجملته ينقسم قسمين القسم الأول) الذى يوجد فى الجملة الواحدة من الكلام وهو يرد حقيقة ومجازا (أما الحقيقة) فمثل قولهم رأيته

خطأ انما يقال نغق بالغين معجمة فأما نعق فهو زجر الراعي الغنم الأصمعي قال الفرس (تقول) توث والعرب تقول توت وقد شاع الفرصاد فى الناس كلهم

﴿ باب ماجاء بالسين وهم يقولون بالصاد ﴾

دابة (شموس) ولا يقال شموص وأخذه (قسراً) ولا يقال قصراً وقد قصره اذا حبسه ومنه حور مقصورات فى الخيام فأما القسر بالسين فهو القهر وهو (الرسغ) بالسين ولا يقال بالصاد وهو (القريس) بالسين ولا يقال بالصاد وهو (النقس) من المداد بالسين وكسر النون وجمعه انقاس ومثله (أنبار الطعام) واحدها نبر

﴿ باب ماجاء بالصاد وهم يقولونه بالسين ﴾

يقال أخذته على (المقبص) بالصاد وهو الحبل الذى ترسل منه الخيل وهو (قص) الشاة وقصصها ولا يقال قس وهو (صفح) الجبل لوجه الجبل مثل صفح الوجه ومنه الحديث
أن موسى صلى الله عليه وسلم مر يلبي وصفاح الروحاء تجاوبه ولا يقال سفح الا لما سفح فيه الماء وهو أسفل الجبل فأما السفح بعينى
الذى ذكره الاعشى فى قوله * ترتعي السفح فانه موضع بعينه * ونبيذ (قارص) ولبن قارص أى يقرص اللسان والبرد قارس

بعيني وقبضته بيدي ووطئته بقدمي وذقته بفمي وكل هذا يظن الظان أنه زيادة لا حاجة اليها و يقول إن الرؤية لا تكون إلا بالعين والقبض لا يكون إلا باليد والوطء لا يكون إلا بالقدم والذوق لا يكون الا بالفم وليس الأمر كذلك بل هذا يقال في كل شيء يعظم مناله و يعز الوصول اليه فيؤكد الأمر فيه على هذا الوجه دلالة على نيله والحصول عليه كقول أبي عبادة البحتري

تأمل من خلال السجف وانظر * بعينك ما شربت ومن سقاني
تجد شمس الضحى تدنو بشمس * الي من الرحيق الخسرواني

ولما كان الحضور في هذا المجلس مما يعز وجوده وكان الساقي فيه على هذه الصفة من الحسن قال انظر بعينك (وعلى هذا ورد) قوله تعالى ذلكم قولكم بأفواهكم فان هذا القول لما كان فيه افتراء عظم الله تعالى على قائله ألا ترى الى قوله تعالى في قصة الافك إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم فصرح في هذه الآية بما أشرت اليه من تعظيم الأمر المقول وفي مساق الآية المشار اليها جاء قوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ألا ترى أن مساق الكلام أن الانسان يقول لزوجته أنت علي كظهر أمي و يقول لمملوكه يا بني فضرب الله لذلك مثالا فقال كيف تكون الزوجة أما وكيف يكون المملوك ابنا والجمع بين الزوجية والامومة و بين العبودية والبنوة في حالة واحدة كالجمع بين القلبين في الجوف وهذا تعظيم لما قالوه وانكار له ولما كان الكلام في حال الانكار والتعظيم أتى بذكر الجوف والا فقد علم أن القلب لا يكون إلا في الجوف والتمثيل يصح بقوله ما جعل الله لرجل من قلبين وهو تام لكن في ذكر الجوف فائدة وهي ما أشرت اليها وفيها أيضا زيادة تصوير للمعنى المقصود لانه اذا سمعه المخاطب به صور لنفسه جوفا يشتمل على قلبين فكان ذلك أسرع الى انكاره (وعليه ورد) قوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم فكما أن القلب لا يكون إلا في الجوف فكذلك السقف لا يكون الا من فوق وهذا مقام ترهيب وتخويف كما أن ذاك مقام انكار وتعظيم ألا ترى إلى هذه الآية بكمالها وهو قوله تعالى قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ولذكر لفظة فوقهم فائدة لا توجد مع اسقاطها من هذا الكلام وأنت تحس هذا من نفسك فانك إذا تلوت هذه الآية تخيل اليك أن سقفا خر على أولئك من فوقهم وحصل في نفسك من الرعب مالا يحصل مع اسقاط تلك اللفظة وفي القرآن الكريم من هذا النوع كثير كقوله تعالى فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وقوله أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وكل هذه الآيات انما أطنب فيها بالتأكيد لمعان اقتضتها فان النفخ في الصور الذي تقوم به الاموات من القبور مهول عظيم دل على القدرة الباهرة وكذلك حمل الأرض والجبال فلما كانا بهذه الصفة قيل فيهما نفخة واحدة ودكة واحدة أي أن هذا الامر المهول المعظم سهل يسير على الله تعالى يفعل و يمضي الأمر فيه بنفخة واحدة ودكة واحدة ولا يحتاج فيه الى طول مدة ولا كلفة مشقة فجيء بذكر الواحدة لتأكيد الاعلام بأن ذلك هين سهل على عظمه وهذه المواضع وأمثالها ترد في القرآن الكريم و يتوهم بعض الناس أنها ترد لغير فائدة اقتضتها وليس الامر

والقرس البرد وسمك قريس و يقال (بخصت) عينه بالصاد ولا يقال بخستها إنما البخس النقصان وأصاب فلان (فرصته) هي (صنجة الميزان) ولا يقال سنجة وهي أعجمية معربة وهو (الصماخ) ولا يقال السماخ (٢١٩) وهو (الصندوق) بالصاد وقد (بصق) الرجل و (بزق) وهو البصاق والبزاق ولا يقال بسق إلا في الطول وقد (أصاخ) فهو مصيخ إذا استمع ولا يقال أساخ

﴿ باب ما جاء مفتوحا والعامة تكسره ﴾

هو (الكتان) بفتح الكاف (والطيلسان) بفتح اللام (ونيفق) القميص (وألية) الكبش والرجل وألية اليد (وفقار) الظهر هو (الدرهم) وماله دار ولا عقار والعقار النخل وهو (معسكر) القوم بفتح الكاف فاذا كسرتها فهو الرجل وهو (المغتسل) ولا يقال مغتسل انما المغتسل الرجل وأنا نازل بين (ظهرانيهم) وظهريهم بفتح النون وقعدت (حواليه وحوليه) بفتح اللام وكسرها خطأ ومثله (جنبتيه) وهو (الصولجان) بفتح اللام وفلان يملك (رجعة) المرأة بالفتح وفلان لغير رشدة ولزنية ولغية ولاعبته (امرأة) مطاعة بالفتح تريد المرة الواحدة من الأمر فأما الامرة بالكسر فهي الولاية وهي (فلكة) المغزل وقرأ سورة السجدة وهي (الجفنة) هو (ثدي) المرأة وهو (الجدي) بفتح الجيم وتسكين الدال وجمعه الجداء مكسور الجيم ممدود هو (اللحي) واللحيان وفلان (خصمي) وهي (اليمين) واليسار بفتح الياء

كذلك فان هذه الأسرار البلاغية لا يتنبه لها إلا العارفون بها وهكذا يرد ما يرد منها فى كلام العرب (وههنا نكتة لابد من الاشارة اليها) وذاك أنى نظرت فى قوله تعالى نفخة واحدة ودكة واحدة وفى قوله تعالى ومناة الثالثة الاخرى فوجدت ذلك غير مقيس على ما تقدم وسأبينه ببيان شاف فأقول إن قوله تعالى ومناة الثالثة الاخرى انما جىء به لتوازن الفقر التى نظمت السورة كلها عليها وهى والنجم إذا هوى ولو قيل أفرأيتم اللات والعزى ومناة ولم يقل الثالثة الاخرى لكان الكلام عاريا عن الطلاوة والحسن وكذلك لو قيل ومناة الاخرى من غير أن يقال الثالثة لأنه نقص فى الفقرة الثانية عن الاولى وذاك قبيح وقد تقدم الكلام عليه فى باب السجع لكن التأكيد فى هذه الآية جاء ضمنا لتوازن الفقر وتبعا وأما نفخة واحدة ودكة واحدة فانما جىء بلفظ الواحدة فيها وقد علم أن النفخة هى واحدة والدكة هى واحدة لمكان نظم الكلام لان السورة التى هى الحاقة جارية على هذا المنهاج فى توازنها السجعى ولو قيل نفخة من غير واحدة ودكة من غير واحدة ثم قيل بعدها فيومئذ وقعت الواقعة لكان الكلام منثورا محتاجا الى تمام لكن التأكيد جاء فيهما ضمنا وتبعا واذا تبين ذلك واتضح فاعلم أن الفرق بين هذه الآيات و بين قوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ظاهر وذاك أن نفخة هى واحدة ومناة هى الثالثة (وأما ما جاء منه على سبيل المجاز) فقوله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ففائدة ذكر الصدور ههنا أنه قد تعورف وعلم أن العمى على الحقيقة مكانه البصر وهو أن تصاب الحدقة بما يطمس نورها واستعماله فى القلب تشبيه ومثل فلما أريد اثبات ما هو خلاف المتعارف من نسبة العمى الى القلوب حقيقة ونفيه عن الابصار احتاج هذا الامر الى زيادة تصوير وتعريف ليتقرر أن مكان العمى انما هو القلوب لا الابصار وهذا موضع من علم البيان كثيرة محاسنه وافرة لطائفه والمجاز فيه أحسن من الحقيقة لمكان زيادة التصوير فى اثبات وصف الحقيقى للمجازى ونفيه عن الحقيقى (وأما القسم الثانى المختص بالجمل) فانه يشتمل على ضروب أربعة (الاول) منها أن يذكر الشىء فيؤتى فيه بمعان متداخلة إلا أن كل معنى يختص بخصيصية ليست للآخر وذلك كقول أبى تمام

قطعت الىّ الرائبين هباته ❊ الثلاث مأمور السحاب المسبل
من منة مشهورة وصنيعة ❊ بكر واحسان أغر محجل

فقوله منة مشهورة وصنيعة بكر واحسان أغر محجل تداخلت معانيه اذ المنة والصنيعة والاحسان متقارب بعضه من بعض وليس ذلك بتكرير لأنه لو اقتصر على قوله منة وصنيعة واحسان لجاز أن يكون تكريرا ولكنه وصف كل واحدة من هذه الثلاث بصفة أخرجتها عن حكم التكرير فقال منة مشهورة فوصفها بالاشتهار لعظم شأنها وصنيعة بكر فوصفها بالبكارة أى أنها لم يؤت بمثلها من قبل واحسان أغر محجل فوصفه بالغرة والتحجيل أى هو ذو محاسن متعددة فلما وصف هذه المعانى المتداخلة التى تدل على شىء واحد بأوصاف متباينة صار ذلك اطنابا ولم يكن تكريرا ولم أجد فى ضروب الاطناب أحسن من هذا الموضع ولا ألطف وقد استعمله أبو تمام فى شعره كثيرا بخلاف غيره من الشعراء كقوله

زكىّ سجاياه تضيف ضيوفه ❊ ويرجى مرجيه ويسئل سائله

فان غرضه من هذا القول انما هو ذكر الممدوح بالكرم وكثرة العطاء إلا أنه وصفه بصفات

متعددة

وهى (بضعة) لحم بفتح الباء وهى (الغيرة) بفتح الغين وهو (الرصاص) وهى (الكثرة) بفتح الكاف وهو حب (المحلب) بالفتح فأما المحلب فالقدح الذى يحلب فيه وهو (الوداع) بالفتح وما أكثر (كسب) فلان بفتح الكاف ويقال (ضلع) فلان معك أى ميله يقال ضلعت تضلع ضلعا وفلان (جرىء) المقدم أى جرىء عند الاقدام وهم (فى ليان) من العيش وهى (الدجاجة) والدجاج وهى (شفة) الرجل وهو (جفن) عينه وجفن السيف جميعا بالفتح وهو يأتيك بالأمر من (فصه) وهو فص (الخاتم) وهى (الشتوة والصيفة) بالفتح وهذا جزع (ظفارى) منسوب إلى ظفار مدينة باليمن والعامة تقول ظفارى وهو (بثق السيل) وهو (الشقراق) للطائر بفتح الشين وهو (ملك) يمينى بفتح الميم وهى (مرقاة) الدرجة (ومسقاة) الطير وقد يكسران يشبهان بالآلة والاداة التى يعمل بها وفلان (سكران) بفتح السين وهو (النصرانى) بفتح النون وهو (النسر) بفتح النون للطائر والنجم وهو (الابريسم) بفتح الالف والراء وقال بعضهم ابريسم بكسر الالف وفتح الراء وهى (دمشق) وتقول أنا فى (مسكك) إن لم أفعل كذا أى فى جلدك بفتح الميم وهو (الهندبا) مقصور وآخرون يكسرون الدال ويمدون وهى (الجردقة) بفتح الجيم نزلنا على (ضفة الوادى وضفتيه) بفتح الضاد

❊ باب ما جاء مكسوراً والعامة تفتحه ❊

متعددة فجعل ضيوفه تضيف وراجيه يرجى وسائله يسئل وليس هذا تكريرا لأنه لا يلزم من كون ضيوفه تضيف أن يكون راجيه مرجوا ولا أن يكون سائله مسؤلا لأن ضيفه يستصحب ضيفا طمعا فى كرم مضيفه وسائله يسئل أى يعطى السائل عطاء كثيرا يصير به معطيا وراجيه يرجى أى أنه إذا تعلق به رجاء راج فقد أيقن بالفلاح والنجاح فهو حقيق بأن يرجى لمكان رجائه اياه وهذا أبلغ الأوصاف الثلاثة (الضرب الثانى) يسمى النفى والاثبات وهو أن يذكر الشىء على سبيل النفى ثم يذكر على سبيل الاثبات أو بالعكس ولا بد أن يكون فى أحدهما زيادة ليست فى الآخر والا كان تكريراً والغرض به تأكيد ذلك المعنى المقصود (فمما جاء منه) قوله تعالى لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون (واعلم) ان لهذا الضرب من الاطناب فائدة كبيرة وهو من أوكد وجوهه ألا ترى أنه قال لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ثم قال إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم والآخر والمعنى فى ذلك سواء الا أنه زاد فى الثانية قوله وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون ولولا هذه الزيادة لكان حكم هاتين الآيتين حكم التكرير وهذا الموضع ينبغى ان يتأمل وينعم النظر فيه (وعليه ورد) قوله تعالى الم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون فقوله يعلمون بعد قوله لا يعلمون من الباب الذى نحن بصدد ذكره ألا ترى أنه نفى العلم عن الناس بما خفى عنهم من تحقيق وعده ثم أثبت لهم العلم بظاهر الحياة الدنيا فكأنهم علموا وما علموا إذ العلم بظاهر الأمور ليس بعلم وانما العلم هو ما كان بالباطن من الأمور (الضرب الثالث) هو أن يذكر المعنى الواحد تاما لا يحتاج الى زيادة ثم يضرب له مثال من التشبيه كقول أبى عبادة البحترى

ذات حسن لو استزادت من الحسـ * ـن اليه لما أصابت مزيدا
فهى كالشمس بهجة والقضيب اللـ * ـدن قدا والريم طرفا وجيدا

ألا ترى أن الأول كاف فى بلوغ الغاية فى الحسن لأنه لما قال لو استزادت لما أصابت مزيدا دخل تحته كل شىء من الأشياء الحسنة الا أن للتشبيه مزية أخرى تفيد السامع تصويرا وتخييلا لا يحصل له من الأول وهذا الضرب من أحسن ما يجىء فى باب الاطناب (وكذلك) ورد قوله

تردد فى خلقى سودد * سماحا مرجى وبأسا مهيبا
فكالسيف ان جئته صارخا * وكالبحر إن جئته مثيبا

فالبيت الثانى يدل على معنى الأول لأن البحر والسيف للبأس المهيب الا أن فى الثانى زيادة التشبيه التى تفيد تخيلا وتصويرا (الضرب الرابع) أن يستوفى معانى الغرض المقصود من كتاب أو خطبة أو قصيدة وهذا أصعب الضروب الأربعة طريقا وأضيقها بابا لأنه يتفرع الى أساليب كثيرة من المعانى وأرباب النظم والنثر يتفاوتون فيه وليس الخاطر الذى يقذف بالدرر فى مثله الا معدوم الوجود ومثاله ومثال الايجاز مثال مجمل ومفصل (وقد تقدم) القول بأن الايجاز والاطناب والتطويل بمنزلة مقصد يسلك اليه ثلاثة طرق وقد أوردت ههنا أمثلة لهذه

هو (السرداب والدهليز والأنفحة) نزلنا على (ضفة) الوادى وضفتيه بكسر الضاد واصابته (ابردة) بالكسر وهى (الاطرية) وهو (الضفدع) بكسر الدال وطعام (مدود) وتمر (مسوس) بكسر الواو

فيهما قال قد أطعمنى دقلا حوليا * مدودا مسوسا حجريا هذا الأمر (معرض) لك بكسر الراء أى قد أمكنك من عرضه حلفت له (بالمحرجات) بكسر الراء يريد الأيمان التى تحرج وهو (الديوان والديباج) بكسر الدال فيهما (وكسرى) بالكسر هذه الثلاثة بالكسر وهو (النسيان) بكسر النون وسكون السين مصدر نسيت وهذا بسر (مذنب) بكسر النون وكم (سقى) أرضك أى حظها من الشرب وسقى البطن أيضا بالكسر وهى (صنارة) المغزل بكسر الصاد وهو (الايل) بالكسر ويقال الايل بالضم والوجه الكسر ولا يفتح وهى (المطرقة والمكنسة) والمغرفة والمقدحة والمروحة (والمصدغة) من الصدغ بالصاد لأنها توضع تحته وكذلك (المخدة) من الخد لأنها توضع تحته (والمظلة والمسلة والمطهرة) بكسر الميم فيهن ومما يحتمل أيضا (مقطع ومجر ومخرز) للاشفى (ومبضع) وهى (المشية وجرية الماء) وقتله شر (قتلة) وليس على فلان (محمل) وقعدت له فى (مفرق الطريق) ويقال مفرق وهذا (موطىء) قدمك وهو (منسر) الطائر (ومرفق) اليد ولى فى هذا مرفق بكسر الميم فيهن صوف (جزز) بكسر الجيم وهو جمع جزة وفلان (حبر)

من الاحبار بكسر الحاء وقد يقال بفتحها والاجود الكسر وهو (زئبر) الثوب بالهمز وكسر الباء (والزئبق) بالهمز وكسر
الباء ودرهم مزئبق ولا يقال درهم مزبق وثوب مزئبر بكسر الباء ومزأبر بفتحها من الزئبر وهذا (جماع)

الأساليب الثلاثة وجعلتها على هيئة المقصد الذى تسلك اليه الطرق الثلاثة (فمن ذلك) ماذكرته فى وصف بستان ذات فواكه متعددة فاذا أريد وصفه على حكم الايجاز قيل فيه من كل فاكهة زوجان وهذا كلام الله تعالى وقد جمع جميع أنواع الفاكهة بأحسن لفظ وأخصره واذا أريد وصف ذلك البستان على حكم الاطناب قيل فيه ماأذكره وهو فصل من كتاب أنشأته وهو جنة علت أرضها أن تمسك ماء وغنيت بينبوعها أن تستجدى سماء وهي ذات ثمار مختلفة الغرابة وتربة منجبة وما كل تربة توصف بالنجابة ففيها المشمش الذى يسبق غيره بقدومه و يقذف أيدى الجانين بنجومه فهو يسمو بطيب الفرع والنجار ولو نظم فى جيد الحسناء لاشتبه بقلادة من نضار وله زمن الربيع الذى هو أعدل الازمان وقد شبه بسن الصبا فى الاسنان وفيها التفاح الذى رق جلده وعظم قده وتورد خده وطابت أنفاسه فلابان الوادى ولا رنده واذا نظر اليه وجد منه حظ الشم والنظر ونسبته من سرر الغزلان أولى من نسبته الى منابت الشجر وفيها العنب الذى هو أكرم الثمار طينة وأكثرها ألوان زينة وأول غرس اغترسه نوح عليه السلام عند خروجه من السفينة فقطفه يميل بكف قاطفه و يغرى بالوصف لسان واصفه وفيها الرمان الذى هو طعام وشراب و به شبهت نهود الكعاب ومن فضله أنه لانوى له فيرمى نواه ولا يخرج اللؤلؤ والمرجان من فاكهة سواه وفيها التين الذى أقسم الله به تنويها بذكره واستتر آدم عليه السلام بورقه إذ كشفت المعصية من ستره وخص بطول الاعناق فما يرى بها من ميل فهو نشوة من سكره وقد وصف بأنه راق طعما ونعم جسما وقيل هذا كنيف ملىء شهدا لا كنيف ملىء علما وفيها من ثمرات النخيل مايزهى بلونه وشكله و يشغل بلذة منظره عن لذة أكله وهو الذى فضل ذوات الافنان بعرجونه ولا تماثل بينه و بين الحلواء هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه وفيها غير ذلك من أشكال الفاكهة وأصنافها وكلها معدود من أوساطها لا من أطرافها ولقد دخلتها فاستهوتنى حسدا ولم ألم صاحبها على قوله لن تبيد هذه أبدا (فهذا الوصف) على هذه الصورة يسمى اطنابا لانه لم يعر عن فائدة وذاك الأول هو الايجاز لانه اشتمل باختصاره على جميع أصناف الفاكهة (وأما التطويل) فهو أن تعد الاصناف المذكورة تعدادا من غير وصف لطيف ولا نعت رائق فيقال مشمش وتفاح وعنب ورمان ونخل وكذا وكذا وانظر أيها المتأمل الى ماأشرت اليه من هذه الاقسام الثلاثة فى الايجاز والاطناب والتطويل وقس عليها مايأتى منها (وسأزيد ذلك بيانا بمثال آخر فأقول) قد ورد فى باب الايجاز كتاب كتبه طاهر بن الحسين الى المأمون رحمه الله تعالى يخبره بهزيمة عيسى بن ماهان وقتله اياه وهو كتابى الى أمير المؤمنين ورأس عيسى بن ماهان بين يدى وخاتمه فى يدى وعسكره مصرف تحت أمرى والسلام وهذا كتاب جامع للمعنى شديد الاختصار واذا كتب ماهو فى معناه على وجه الاطناب قيل فيه ماأذكره وهو ما أنشأته مثالا فى هذا الموضع ليعلم به الفرق بين الايجاز والاطناب وهو أصدر كتابه هذا وقد نصر بالفئة القليلة على الفئة الكثيرة وانقلب باليد الملأى والعين القريرة وكان انتصاره بجد أمير المؤمنين لا بحد نصله والجد أغنى من الجيش وان كثرت أمداد خيله و رجله وجىء برأس عيسى بن ماهان وهو على جسد غير جسده وليس له قدم فيقال إنه يسعى بقدمه ولا يد فيقال إنه يبطش بيده ولقد طال وطوله موذن بقصر شأنه وحسدت الضباع الطير على

الأمر بكسر الجيم أى جملته (والسرع) السرعة ولقيت فلانا (لقاءة) واحدة ولا يقال لقاءة بالفتح و يقال أيضا لقية واحدة وهي (الجنازة) بكسر الجيم وهي (الحدأة) للطائر مكسورة الحاء مهموزة وهو (الاذخر) وجمل (مصك) للشديد ولا يقال مصك وهو (الجراب) بالكسر وهي (الغسلة) التى تجعل فى الرأس ولا يقال غسلة (والبطيخ) بكسر الباء و بصل (حريف) وهو جاهل (جدا) ولايقال جدا وهذه (مقدمة) الجيش وهم (المقاتلة) بالكسر ولا يقال مقدمة ولا مقاتلة (يوشك) أن يكون كذا ولايقال يوشك ومتاع (مقارب) ولا يقال مقارب وهي (الزنفيلجة) بكسر الزاى ولا تفتح وقرأت (المعوذتين) بكسر الواو وتقول فى الدعاء ان عذابك الجد بالكفار (ملحق) بكسر الحاء بمعنى لاحق وهو (المنديل) و (القنديل) والسمك (الجرى) والجريت (والاربيان) و (القريب) و (الزرنيخ) وتمرة (نرسيانة)

﴿ باب ماجاء مفتوحا والعامة تضمه ﴾ هي (الترقوة) و (عرقوة) الدلو مكانها بالفتح قبلت الشيء (قبولا) بفتح القاف وعلى فلان قبول حسن اذا قبلته النفس وهو (المصوص) بفتح الميم وهو درهم (ستوق)

بفتح السين وكلاب (سلوقى) بفتح السين أحسبه نسب إلى سلوق اليمن وهو (شنف) المرأة بفتح الشين وفعلت ذلك به (خصوصية) ولص بين (اللصوصية) هى (الأنملة) واحدة الانامل بفتح الميم وهو (السعوط) و (الغرور) و (السنون) و (الوجور) بفتح

مكانها منه وهو غير محسود على مكانه وأحضر خاتمه وهو الخاتم الذى كان الامر يجرى على نقش أسطره وكان يرجو أن يصدر كتاب الفتح بختمه فحال ورود المنية دون مصدره وكذلك البغي مصرعه وبيل ومصرعه جليل وسيفه وان مضى فانه عند الضرب كايل وقد نطق الفأل بأن الخاتم والرأس مشيران بالحصول على خاتم الملك ورأسه وهذا الفتح أساس لما يستقبل بناؤه ولا يستقر البناء الاعلى أساسه والعساكر التى كانت على أمير المؤمنين حربا صارت له سلما وأعطته البيعة علما بفضله وليس من تابع تقليدا كمن هو تابع علما وهم الآن مصرفون تحت الأوامر ممتحنون بكشف السرائر مطيفون باللواء الذى خصه الله باستفتاح المقالد واستيطاء المنابر وكاسرت خطوات القلم فى أثناء هذا القرطاس فكذلك سرت طلائع الرعب قبل الطلائع فى قلوب الناس وليس فى البلاد مايغلق بمشيئة الله بابا ولايحسر نقابا وعلى الله تمام النعم الى افتتحها وإجابة أمير المؤمنين الى مقترحاته التى اقترحها والسلام وهذا الكتاب يشتمل على مااشتمل عليه كتاب طاهر بن الحسين من المعنى الا أنه فصل ذلك الاجمال (ولو كتبت على وجه التطويل) الذى لافائدة فيه لقيل أصدر كتابه فى يوم كذا من شهر كذا والتقى عسكر أمير المؤمنين وعسكر عدوه الباغى وتطاعن الفريقان وتزاحف الجمعان وحمى القتال واشتد النزال وترادفت الكتائب وتلاحقت المقانب وقتل عيسى بن ماهان واحتز رأسه وقطع ونزع الخاتم من يده وخلع وترك جسده طعاما للطيور والسباع والذئاب والضباع وانجلت الوقعة عن غلب أمير المؤمنين ونصره وخذلان عدوه وقهره والسلام فهذا الكتاب يشتمل على تطويل لافائدة فيه لانه كرر فيه معانى يتم الغرض بدونها وذكر مالاحاجة اليه فى الاعلام بالواقعة فانظر الى هذه الكتب الثلاثة وتأملها كما تأملت الذى تقدمها (وبعد ذلك انى أورد لك كتابا وتقليدا يوضحان لك فائدة الاطناب أما الكتاب) فانه كتاب كتبته عن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله الى ديوان الخلافة ببغداد يتضمن فتح البيت المقدس واستنقاذه من أيدى الكفار وذلك فى معارضة كتاب كتبه عبد الرحيم بن على البيسانى عنه وكان الفتح فى السابع والعشرين من شهر رجب من سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة خلد الله سلطان الديوان العزيز النبوى وجعل أيام دولته أترابا ومناقب مجدها هضابا وزادها على مرور الأيام شبابا وأوسعها توشية واذهابا إذا أوسع غيرها تلاشيا وذهابا ومنحها فى الدنيا والآخرة عطاء وفاقا لاعطاء حسابا ومثل جدودها فى عيون الأعداء شيئا عجابا وأراهم منها وراءهم فى اليقظة ارهابا وارعابا وفى المنام ايلا صعابا تقود خيلا عرابا لوجمعت العصور فى صعيد واحد لكان هذا العصر عليها فاخرا وفاز بسبق أوائلها وان جاء آخرا وليس ذلك إلا لحظوته بالدولة الناصرية التى كسته حبيرا وقلدته دررا ودونت له من المحامد سيرا وجعلت فى كل ناحية من وجهه شمسا وقمرا وقيض الله من الخادم وليا يوصل يومه فى طاعتها بأمسه ولا يرى إلا ومن نفسه فى خدمتها رقيب على نفسه وطالما سعى بين يديها بمساع تنص بأخبارها محافل القوم ويقال له فيها ماضرك ماصنعت بعد اليوم وقد سلفت منها آيات تمايل فى أشباهها وأضرابها واستؤنف لها الآن واحدة تدعى بأم كتابها وهى فتح البيت المقدس الذى تفتحت له أبواب السماء وكثرت بأحاديث مجده كواكب الظلماء واسترد حق الاسلام وطالما سعت الهمم فى طلبه بالزاد والماء ومن أحسن ماأتى به أنه آنس

أوائلها وثوب (معافرى) منسوب إلى معافر بفتح الميم وهو (الكوسج) و (الجورب) وتقول (شلت) يده بالفتح تشل شللا وهى (تخوم) الأرض والجميع تخم حكاها أبو عمرو الشيبانى وسمعت البصريين يقولون تخوم بالضم يذهبون الى انها جميع ويرون واحدها تخما أنشد الأصمعى

يابنى التخوم لاتظلموها
ان ظلم التخوم ذوعقال

بالضم وهو (الروشم والروسم) بالفتح وهو (الفشوط) و (الشبوط)

﴿باب ماجاء مضموما والعامة تفتحه﴾

على وجهه (طلاوة) بضم أوله وهى ثياب (جدد) بضم الدال الأولى ولا يقال جدد بفتحها انما الجدد الطرائق قال الله عزوجل ومن الجبال جدد بيض أى طرائق وهذا دقيق (حوارى) بضم الحاء وهو من البياض وهى (الجنبذة) بضم الباء والعامة تفتحها وهى ماارتفع من الشىء وأعطيته الشىء (دفعة) وهذه

(نقاوة المتاع) ونقايته (وثؤلول) وجمعه ثآليل وهو (النكس) فى العلة وطال (مكثه) فى المكان وهى (الدوامة) و (دوارة) الرأس وبلغت باللحم (النضج) وهو (الخرنوب) والخروب بفتح الخاء وتشديد الراء إذا حذفت النون

ولا يقال الخرنوب وهي (الشقوق) فى اليد والرجل ولا يقال الشقاق إلا فى قوائم الدابة وجعلته (نصب) عينى وعن أبى زيد (رفق) الله بك ورفق عليك رفقا (٢٢٤) ورفق رفقا وأرفق ارفاقا وأخذنى منه (ماقدم وما حدث) ولا يضم حدث فى شئ إلا فى هذا الكلام وهو (مرزبان الزأرة) بضم الزاى

﴿باب ماجاء مضموما والعامة تكسره﴾

هو (الفلفل) بالضم وهى (لعبة) الشطرنج والنرد وغير ذلك تقول اقعد حتى أفرغ من هذه اللعبة وتقول لعبت لعبة واحدة فاما اللعبة بالكسر فمثل الجلسة والركبة تقول هو حسن اللعبة كما تقول هو حسن الجلسة هى (الخصية والخصيان) الفراء جاء فلان على (ذكر) بالضم قال ولا يكسر انما يقال ذكرت الشيء ذكرا وأبو عبيدة يجيزهما قال هما لغتان وهو (الفسطاط) بضم الفاء (والمصران) بضم الميم وهو جمع مصير مثل جريب وجربان وجمع الجمع مصارين وهو (جربان القميص) بضم الجيم والراء وهو (الزبون) بضم الباء وهذه عصا (معوجة) ولا يقال معوجة بكسر الميم وهذا قدح (نضار) بضم النون وهو (الرقاق) بمعنى رقيق مثل طويل وطوال ودقيق ودقاق وهو (ظفر اليد) بالضم ولا يقال ظفر

قبلته الثانية بقبلته الأولى وأطال منه كل ماقصرته يد الكفر وكانت هي الطولى وبه صح لهذا البيت معنى اسمه وانتقل إلى الطهارة ونزاهتها عن الرجس ووصمه ولم يحزه الخادم حتى طوى ماحوله من البلاد المنجدة والغائرة وكان مركزا لدائرتها فغادره وهو طرف من أطراف الدائرة ولما شارفه نظر منه إلى ظلة من الظلال ورأى بلدا قد استقر على متن الجبل مثل الجبل ويطيف به واد تستهزئ عصمته بنوب الدهر وقد انعطف على جوانبه انعطاف الحبوة على الظهر والمسالك اليه مع ذلك ذات تعاريج ومعارج وهى ضيقة مستوعرة يطلق عليها اسم الطرق ولا يطلق عليها اسم المناهج فلما رآه قال هذا أمنية لمن يرى وعلم حينئذ أن كل الصيد فى جوف الفرا إلا أن لسان حاله خاطبه وهو أفصح الخطاب وقال امدد يدك فليس دونها من حجاب وكان قد برز من السلاح فى لباس رائع من المنعة وأخرج من السواد الأعظم ماخدع العيون والحرب خدعة وما يمنع رقاب البلاد بكثرة السواد ولا يحمى بعوالى الاسوار بل بعوالى الصعاد وفى يوم كذا وكذا خيم المسلمون فى عقد داره ونزلوا منه نزول الجار الى جانب جاره ثم ارتادوا موقفا للقتال وان لم يكن هناك موقف يقرب مناله ولا يتسع مجاله واتفق الرأى على لسان المنجنيق فى خطبة عقيلية أبلغ خطابا وأدنى من المطلوب طلابا وانه إذا ضرب بعصاه الحجر انبجست عيون أهله دماء كما انبجست عيون الحجر ماء هذا والعزائم تنظر إلى هذا الرأى نظر المستجهل وتصدعنه صدود المستعجل وتقول ماارتياد السهل تملك الصعاب ومن ابتغى السيف صرحا بناعنه بلوغ الاسباب والحديد لا يفلح إلا بالحديد والركن الشديد لا يصدم الا بركن شديد فعندها صمم الخادم أن يلقى البلد مواثبا لا موار با وأن يجعل الزحف جانبا وللمنجنيق جانبا ونوى أن يبدى صفحة وجهه أمام الناس وتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاتقاء به إذا اشتد الباس ولا شك أن قلوب الجيوش بمنزلة قلوبها وأن النفاذ لأسنة الرماح لا لكعوبها ولا يشتفى من الوغى إلا من كان طرفه أمام طرفه ومن وقف خلف جنوده فقد جعل عزائمها من خلفه ولما وقع الزحف صورع البلد صراعا بعد أن قورع قراعا ثم هزهزة طوته بيمينها ونشرته بشمالها وأذاقته العذاب الادنى دون العذاب الاكبر من نكالها وبدون ذلك يكون عرك أديمه وعطف شكيمه ولم يكن قتاله بالسهام التى غايتها أن تصف أجنحتها الطار وتنال بكلومها من فوق الاسوار بل بالسيوف التى إذا جالدت بلدا أخذت بكظمه وتوغلت فى جمه وأغنت بسرعة خطواتها اليه عن المنجنيق وابطاء هدمه والسيف ليس بمرتوم من النفس التى تظل طائشة عند لقائها جائشة عند استيفائها فالقلب توصف بأنها تجيش إذا كانت أعدادا والنفوس لا تجيش إلا إذا كانت ثمادا وما يستوى وجوه الاقران فى اقدامها واحجامها فمنها المظلم إذا رابها الروع باشراقها ومنها المشرق إذا شابها الروع باظلامها وكانت وجوه المؤمنين فى هذا المقام أحظى بلباس الاشراق وأتم ابدرا والبدور لا يكون تمامها فى المحاق فمنهم الامن عرض نفسه ليوم العرض ومشى إلى جنة عرضها السموات والارض حتى اتسع المكر وضاق بأعداء الله المقر وحرقت أوفارا لخنادق وصار الرجاء لمنطقة السور كالمناطق ولم يستشهد منهم الاعدد يسير لا تدخله لام التعريف وكانت أجنحة الملائكة مطيفة بهم فأكرم بالمطاف به وبالمطيف وقد أسعد الله أولئك بالشهادة التى هي الفوز الاكبر وقرنها بادناء مضاجعهم من الارض المقدسة التى هى أرض المحشر فما يسرهم أن يعودوا إلى الدنيا الا للاستزادة من ثواب الجهاد

وأيسر

﴿باب ماجاء مكسورا والعامة تفتحه﴾

هو (الخوان) بكسر الخاء وفعلت ذلك (صراحا) بكسر الصاد لانه مصدر صارحت بالامر ودابة فيه

(قماص) ولايقال قماص (وهوالسواك) بالكسر ولا يقال السواك (وتمر سهريز وشهريز) بالكسر ولايضم أولها ويقال نحن (فى العلو) وهم (فى السفل) ويقال ذهب الرجل علاءوعلوا ولم يذهب سفلا

وأيسر ذلك أن أرواحهم فى حواصل طير خضر تعلق من ثمار الجنة إلى يوم المعاد ولما رأى الكفار أن صليبهم قدصار خوارا وأن زئيرهم قد انقلب خوارا أذعنت أيديهم باستسلامها وصانعت بالمال عن الرقاب واسترقاقها وبالبلد عن النفوس وحمامها فأبى السيف أن يترك رقابا تغذى بأكلها ويحل من عشقها على مداومة وصلها وأذكر الخادم أن سلف هؤلاء انتزع هذا البلد قسرا وفتك بمن كان به من المسلمين غدرا وذلك ثأر ذخره الله لك حتى تحظى فى الآخرة بثوابه وتتجمل فى الدنيا بزينة أثوابه والمسلم أخو المسلم يأخذ بدمه وان تطاولت أمداد السنين على قدمه فيابعد عهد هذا الثأر من ثائره ويا طيب خبره عند سامعه وحسن أثره عند ناظره ولما تحقق العزم على ذلك أشار ذوو الرأى بقول الفدية المبذولة والا يحمل العدو على ما ليست نفسه عليه بمحمولة فان النقد إذا أخرج صار ذا أنياب وأظفار واستضرى حتى يلتحق بالسباع الضوار وهؤلاء إذا رأوا عين القتل تجردوا للقتال وركبوا الاهوال للنجاة من الاهوال ومن يدع الى خطة رشد فليقبلها ومن أنشط له عقل الامور فلا يعقلها وعلى كل حال فان الفدية للمسلمين أرغب وأموال يتقوى بها على العدو خير من دماء تذهب هذا وبالبلد من أسارى المسلمين من حياة أحدهم بحياة كل نفس ومن حرمته عند الله خير مما طلعت عليه الشمس ولا يوازى فتحه عنوة أن يتعدى اليهم اضراره ولاشك أنهم يعاجلون بالقتل قبل أن تدخل أقطاره فرأى الخادم عند ذلك أن الرأى مشترك وأن له معتركا كما أن السيف له معترك وتقرر تسليم البلد ودموع أهله قد خضبت أحداقها وأقرحت آماقها ولم تطب أنفسهم بفراق قمامه حتى كادت الهام تفارق أعناقها فعلى حب ذلك التراب تقوم قيامتهم وتشيل نعامتهم ولطالما ابتهلوا عنده أيام الحصار واستنصروه فلم يحظوا منه بمعونة الانتصار وكيف يرجى النصر من معبود تقر شيعته بقتله أم كيف يدفع عن غيره من كان هو مبتلى بمثله وهذه عقول سخيفة نفذ فيها كيد شيطانها وأخفى عنها محجة الحق على وضوح بيانها ولقد كان يوم التسليم عريض الفخار زائد العمر على عمر أبويه من الليل والنهار واشتق من اسمه معنى السلامة للمسلمين والهلاك للكفار وزاده فخرا الى فخره أنه وافق اليوم المسفر عن ليلة المعراج النبوى الذى كان فى تلك الارض موعده ومن صخرتها مصعده وذلك هو الاسراء الذى ركب اليه ظهر البراق واستفتح له أبواب السبع الطباق ولو رقى فيه الانبياء على اختلاف درجاتهم فظفر خير ملتق بخير لاق وبركة ذلك اليوم سرت الى هذا فأطالت من شهرته وضمنته نصرة الدين الحنيف الذى لله عناية بنصره وجعلته تاريخا يؤرخ بفتحه كما أرخ للنبى صلى الله عليه وسلم بدار هجرته واذا أنصف واصفه قال انه لليوم البدرى فى اقتراب النسب وانه العجيبة التى لم تجفل عنها الأيام فى صفر وانما أجفلت عنها فى رجب فما أكثر الفائز فيه والمغبون والمسرور والمحزون فمن جد راكب ومن جد راجل ومن عز قادم وذل راحل ولطالما جد الخادم فى السعى له وأبصار العدا تزلقه وألسنتهم تسلقه ومامنهم الا من أكثر الشناعة أن ذلك السعى للاستكثار من البلاد والله يعلم أنه لم يكن الا للاستكثار من موارد الجهاد ولا جرم أن صدق النية كان له عقبى الدار وتلك الاقوال الكاذبة كان لها عقبى البوار ويوم هذا الفتح يفتقر قبله الى أيام تجلو بياضه عن سوادها ويلقح لها بطون المساعى حتى يكون هو نتيجة ميلادها ولما ظفر به الخادم لم يكن لاهل النجابة فيه قول يرد كذابه ولا يقبل صوابه والشهب الطالعة على ذوات

﴿ باب ما جاء على فعلت (بكسر العين) والعامة تقوله على فعلت بفتحها ﴾

(قضمت الدابة) الشعير تقضمه مثل خضمت والخضم الاكل بجميع الفم (ولقمت) الطعام و (لعقته) و (لحسته) و (بلعت) اللقمة و (زردتها) و (جرعت) هذه وجدها باللغتين (وقمحت) القميحة (وسففت) السفوف (وفركت) المرأة زوجها تفركه فركا اذا أبغضته وهو رجل مفرك (وقد شركت) الرجل فى أمره أشركه شركا (وصدقت) فى يمينك و (بررت) وقد (نهكته) الحمى تنهكه نهكا ونهكة (وقد لججت) تلج لجاجة وقد (مضضت) من المصيبة أمض مضضا وقد (مصصت) الشراب (ولثمت) فم المرأة ألثمه لثما وقد (نشفت) الارض الماء نشفا (ونشقت) من الرجل ريحا طيبة نشقا (ونشيت) منه نشوة مثله (وبلهت) أبله بلها (ولببت) ألب لبا (وبششت) بفلان أبش بشاشة (وشهيت) ذلك اشهاه شهوة (وودت) لو يكون كذا ودا ووداده (ونفد الشىء) ينفد نفادا (ونكد الشىء) نكدا (وضرمت النار) تضرم ضرما و (صدقت وبررت) فأنت تبر

﴿ باب ماجاء على فعلت (بفتح العين) والعامة تقول على فعلت (بكسرها) ﴾

(نكلت) عن الامر أنكل نكولا و (حرصت) على الأمر أحرص وقد (كللت) إذا أعييت أكل كلالا وكلالة (وعمدت) لفلان أعمد له إذا قصدت (٢٢٦) اليه (وقد جهدت) جهدى وقد (غطست) و (سبحت) فى الماء (وعجزت) عن الامر أعجز (وقد ولدت) المرأة وقد (لحت) فلانا بعينى وقد (عتبت) عليه أعتب وقد (غثت) نفسى تغثى غثيا وغثيانا (وغلت القدر) تغلى غليا وغليانا (ونحل جسمه) ينحل نحولا (وولغ الكلب) فى الاناء يلغ ولغا (وخمدت النار) تخمد (وهمدت) تهمد (وأجن الماء) يأجن ولا يقال أجن يأجن هذا قول الاصمعى وقال أبو زيد قد (قيلت) و (نقهت) من المرض أنقه بفتح القاف فاما نقهت بكسرها فبمعنى فهمت

﴿باب ما جاء على فعلت (بفتح العين) والعامة تقوله على فعلت (بضمها)﴾

(جمد) الماء يجمد (وذبل) الريحان يذبل (وكفلت به) أكفل كفالة (وقبلت به) أقبل قبالة مثله (وقد خثر اللبن) يخثر ويقال خثر وهى قليلة (وعثرت) أعثر (وضمر الرجل) يضمر (وشحب لونه) يشحب وشحب لغة البصريون يقولون (حمض) الخل (وطلقت) المرأة لاغير (وحلم الرجل) فى نومه بفتح اللام فأما حلم فمن الحلم (بكسر الحاء)

﴿ باب ما جاء على يفعل (بضم العين) مما يغير ﴾

بزغت الشمس (تبزغ) وهمعت عينه (تهمع) وكعبت المرأة (تكعب) ونهدت (تنهد) وسهم

السروج أصدق نبأ من الشهب الطالعة من ذوات البروج على أنهما وان اتفقا رجما فانهما يختلفان علما فعلم هذه يسأل عنه ثغر الاعناق وعلم هذه يسأل عنه بطون الأوراق ولما دخل البلد وجد به أمما لولا أن ضربت عليهم الذلة لدافعوا المنايا مكاثرة وغالبوا السيوف مصابرة وهم طوائف مختلفو الاسنة والالوان وان قيل انهم أناسى فان صورهم صور الجان ومنهم طائفة استشعرت حبس نفوسها وخصت الشعر عن أوساط رؤسها وتوحشت بالرهبانية حتى ارتاعت العيون من أشكالها ولبوسها ولما رأوا طلعة الاسلام داخلة عليهم أعلنوا بالجؤار واصطرخوا جميعا كما يصطرخون غدا فى النار وزادهم غيظا الى غيظهم أنهم رأوا الصلاة قائمة وقد صار الناقوس أذانا وكلمة الكفر ايمانا وأقيمت الجمعة وهى أول جمعة حظى الاقصى بمشهدها وحضرتها الامة الاسلامية بأحمرها وأسودها فمن باك بدمعة سروره الباردة ومن مجيل نظره فى نعمة الله الواردة ومن شاكر للزمن الذى أبقاه الى يومه هذا الذى كل الايام له حاسدة من كان مولده تقدم قبله أو بعده فكأنه لم يولد وكانت هذه الجمعة فى رابع شعبان وهو الشهر الذى جعله الله طليعة بشهر الصيام وليلة نصفه هى الليلة المعروفة باحياء قيامها الى حين وفاة شخص الظلام والتى يغفر فيها لا كثر من شعر غنم كاب من ذوى الذنوب والآثام وجىء باللواء الاسود فركز من المنبر فى أعلاه ونطق لسان حاله فقال من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مولاه فانا مولاه ولم يكن لسان الخطيب بأفصح بيان من لسانه غير أن هذا يزهى ببلاغ موعظته وهذا يزهى بعزة سلطانه ولما ذكرت سمات الخلافة المعظمة أتبعها الناس بالدعاء الذى ملأ المسجد بعجيجه وسبق الكرام الكاتبون بزميله الى السماء وشيجه وكان اليوم فصلا والموقف حفلا وذلك الدعاء فرضا لا نفلا ولا ينتهى الوصف الى ماشهد بالبلد من الآثار العجيبة التى تستلبث العجلان وتستحلب الاذهان وتستنطق الالسنة بالتسبيح لله الذى فطر الانسان ومن جملة ذلك ما تبوهى فى حسنه من البيع والصوامع ذوات الابنية الروائع التى روضت بالزخارف ترويض الازهار ورفعت معاقدها حتى كادت النجوم توحى اليها بالاسرار ومامنها الاما يقال انه إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد ولقد ألان الله لهم الحجارة حتى تخيروا فى توسيعها بضروب الاختيار وجعلوها أعاجيب للاسماع والابصار وقيل فيها هذه روضات جنان لا أفنية ديار هذا الى غيره مما وجد من معبودات القوم الموصوفة بانها آلهة الصلب اللاتى من ذوات النصب وأكثر ذلك وجد فى المسجد موضوعا وعلى قبته مرفوعا فأنزلت على قرونها واستن بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طعن عيونها واستوطن المؤمن مكان الكفور وبدلت الظلمات بالنور وقالت الصخرة الآن جمع بينى و بين الحجر الاسود لخاطب الاسلام والجمع بين الاختين فى هذا الامر من الحلال لامن الحرام وقال الاقصى سبحان الذى أسرى الى بجنده كما أسرى بعبده وأعاد لى عهود الفتح الاول بهذا الفتح الذى أتى من بعده وعود الذاهب ارجاء لدوام أحقابه وخلود الانسان لا يكون الا فى مآبه وهذا هو الخطب الذى جدد للاسلام عهود ابن خطابه رضى الله عنه الا أن مستنقذ الطريدة أولى بها من صاحبها ولئن غصبتها يد غالبة فقد جاء الله باليد التى غصبتها من غاصبها هذا ولم يستنقذها الخادم الا بانضاء سلاح أنفته الوقعة الاولى التى استأصلت حماة البلاد واستباحت أغيالها بقتل الآساد فكانت لهذا الفتح عنوانا ولتقرير

أصوله بنيانا ولم ينج بها من طواغيت الكفر الا طاغية ترابلس فان السيوف أسارته و بفؤاده قلق من أوجالها وفى عينه دهش من أهوالها وقد قرن الله هذا الفتح ببشرى موته وكفى المسلمين مؤنة الاهتمام لفوته ففر من الوقعة ولم ينج بذلك الفرار واعتصم بذات جداره فقتله الخوف من وراء الجدار ولافرق بين قتيل خوف السفار و بين قتيل الشفار ولقد فر من المكروه الى مثله لكنه انتقل من ميتة عزه الى ميتة ذله وكذلك آثار الخادم فى أعداء الله فهم هلكى بسيفه فى مواقف الطراد فان فروا فبخوفه على جنوب الوساد وبعد هذه فهل يمترون فى أن دماءهم قد استجابت لمراده وأن سواء لديه من أمكن منها فى دنوه ومن امتنع منها فى بعاده وكل ذلك مستمد من الانتصار بعناية الديوان العزيز التى من شأنها أن تجعل الرؤيا حقا وأحاديث الآمال قاصد وتقرب بعيدات الأمور حتى تجعل الشرق غربا والغرب شرقا فهذا الفتح منسوب اليها وان كان الخادم هو الساعى فى تسهيله والمجاهد بنفسه وماله فى سبيله فعلى عطف دولتها ترقم أعلامه وفى أيامها تؤرخ أيامه ولو أبيح للقلم الخيلاء فى مقام المقال كما أبيح لصاحبه فى مقام القتال لاختالت مشيته فى هذا الكتاب ولقال وأسهب فليس الا كثار ههنا من الاسهاب لكنه منعه من ذلك أن يكون ممن فخر بعمله فأبطله وأرسل خطابه الى الديوان العزيز فلم يقبضه بالادب حين أرسله وقد ارتاد من يبلغ عنه مشارح هذه الوقائع التى اختصرها ويمثل صورها لمن غاب عنها كما تمثلت لمن حضرها ويكون مكانه من النباهة كريما كمكانها وهى عرائس المساعى فاحسن الناس بيانا مؤهل لايداع حسانها والسائر بها فلان وهو راوى أخبار نصرها التى صححها فى تجريح الرجال وعوالى اسنادها مأخوذة من طرق العوال والايام والليالى رواة فما الظن برواية الايام والليال وستتلو هذه الاخبار الصادقة بمشيئته الله أخبار مثلها صادقة وما دامت السيوف ناطقة فى يد الخادم فالألسنة عنها ناطقة وللآراء العالية مزيد العلو ان شاء الله تعالى (وأما التقليد) فانه تقليد أنشأته لمنصب الحسبة وهو (أما بعد) فقد جعل الله جزاء التمكين فى أرضه أن يقام بحدود فرضه ونحن نسأله التوفيق لهذا الامر الذى ثقل حمله وعدم أهله فقد جىء بنا فى زمن أصبح الناس فيه سدى وعاد الاسلام فيه غريبا كما بدا وهو الزمن الذى كثرت فيه أشراط اليوم الاخير وغربلت فيه الامة حتى لم يبق الاحثالة كحثالة التمر والشعير ومن أهم ما نقرر بناءه ونقدم عناءه وتصلح به الزمن وابناءه ان نمضى أحكام الشريعة المطهرة على ماقررته فى تعريف ماعرفته وتنكير مانكرته ومدار ذلك على النظر فى أمر الحسبة التى تتنزل منه بمنزلة السلك من العقد والكف من الزند وقد أخلصنا النية فى ارتياد من يقوم فيها و يكفيها و يصطفى لها ولا يصطفيها وهو أنت أيها الشيخ الأجل فلان أحسن الله لك الاثر وصدق فيك النظر فتولها غير موكول اليها بل معانا عليها واعلم أن النـاس قد أماتوا سننا وأحيوا بدعا وتفرقوا فيما أحدثوه من المحدثات شيعا وأظلم منهم من أقرهم على أمرهم ولم يأخذهم بقوارع زجرهم فان السكوت عن البدعة رضا بمكانها وترك النهى عنها كالامر باتيانها ولم يأت بنا الله تعالى الا ليعيد الدين قائما على أصوله صادعا بحكم الله فيه وحكم رسوله ونحن نأمرك أن تتصفح أحوال الناس فى أمر دينهم الذى هو عصمة مالهم وأمر معاشهم الذى يتميز به حرامهم من حلالهم فابدأ أولا بالنظر فى العقائد واهد فيها الى سبيل الفرقة

نعر فهو (ينعر) من الصوت وزحر (يزحر) ونحت (ينحت) و بغمت الظبية (تبغم) ونسج الثوب (ينسجه) وقشرت الشيء (أقشره) ونشرت الثوب (أنشره) وهلك (يهلك) وأبق الغلام (يأبق) نعق بالشاء (ينعق) وهررت الحرب (أهرها) قال عنترة

حلفت لهم والخيل تردى بنا معا * نزاولهم حتى يهروا العواليا

﴿باب ماجاء على يفعل بفتح العين) مما يغير﴾

مص (يمص) ولج (يلج) وشم (يشم) ومهنهم (يمهنهم) اذا خدمهم وعسر على الامر (يعسر) عسرا وقصت عنقه (توقص) وفلان (يبش) بضيفانه والدابة (تقضم) الشعير

﴿باب ما جاء على لفظ مالم يسم فاعله﴾

تقول (وثئت يده) فهى موثوءة ولا يقال وثئت (وزهى) فلان فهو مزهو ولا يقال زهاو لاهو زاه وكذلك (نخى) من النخوة فهو منخو (وعنيت) بالشيء فأنا أعنى به ولا يقال عنيت قال الحرث

ابن حلزة * وأتانا عن الاراقم انباء وخطب نعنى به ونساء فاذا أمرت قلت لتعن بفلان ولتعن بأمرى (ونتجت) الناقة ولا يقال نتجت ويقال قد نتجت ناقتى قال الكميت

وقال المذمر للناتجيـ ـن متى ذمرت قبلى الارجل

و يقال أنتجت اذا استبان حملها فهى نتوج ولا يقال منتج و يقال أولعت بالامر وأوزعت به سواء ولوعا (وارعدت) فانا ارعد وأرعدت فرائصه (ووضعت) (۲۲۸) فى البيع ووكست (وشدهت) عند المصيبة (وبهت الرجل) قال الله عز وجل فبهت الذى كفر قال

الناجية الذى هو سبيل واحد وتلك الفرقة هى السلف الصالح الذين لزموا مواطن الحق فأقاموا وقالوا ربنا الله ثم استقاموا ومن عداهم شعب دانوا أديانا وعبدوا من الاهواء أوثانا واتبعوا مالم ينزل به الله سلطانا ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول والله يعلم أعمالكم فمن انتهى من هؤلاء الى فلسفة فاقتله ولا تسمع له قولا ولا تقبل منه صرفا ولا عدلا وليكن قتله على رؤس الاشهاد مابين حاضر و باد فما تكدرت الشرائع بمثل مقالته ولا تدنست علومها بمثل أترجهالته والمنتمى اليها يعرف بنكره و يستدل عليه بظلمة كفره وتلك ظلمة تدرك بالقلوب لا بالابصار وتظهر زيادتها ونقصها بحسب ما عند رائيها من الانوار وماتجده من كتبها التى هى سموم ناقعة لا علوم نافعة وأفاعى ملففة لا أقوال مؤلفة فاستأصل شأفتها بالتمزيق وافعل بها مايفعله الله بأهلها من التحريق ولا يقنعك ذلك حتى تجتهد فى تتبع آثارها والكشف عن مكامن أسرارها فمن وجدت فى بيته فليؤخذ جهارا ولينكل به اشهارا و ليقل هذا جزاء من استكبر استكبارا ولم يرج لله وقارا وأما من تحدث فى القدر وقال فيه بمخالفة نص الخبر فليس فى شىء من ربقة الاسلام وان تنسك بمداومة الصلاة والصيام قال النبى صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الأمة والمراد بذلك أنهم ماثلوا بين الله والعبد والضياء والظلمة فعلاج هذه الطائفة أن تجزى بأن تخزى فليقابل جمعها بالتكسير واسمها بالتصغير ولتنقل الى ثقل الحدود عن خفة التعزير ومن كان منها ذا مكانة نابهة فليهبط عادلة فليسقط وكذلك يجرى الحكم فيمن قال بالتشبيه والتجسيم أو قال بحدوث القرآن القديم ومن ملحدى القرآن فرقة فرقت بين المعنى والخط وفرقة قالت فيه بالشكل والنقط وكل هؤلاء قوم خبثت سرائرهم وعميت بصائرهم وعظمت عند الله جرائمهم فخذهم بالتوبة التى تطهر أهلها وتجب ماقبلها وليست التوبة عبارة عن ذكرى اللسان والقلب لاه فى قبضة النسيان بل هى عبارة عن الندم على مافات واستئناف الاخلاص فيما هو آت وقد جعل الله التائب من أحبابه ووصفه فى مواضع كثيرة من كتابه ومن فضله أن الملائكة يستغفرون لذنبه و يشفعون له الى ربه فان أبت هذه الطوائف الا إصرارا ولم يزدهم دعاؤك الا فرارا فاعلم أن الله قد طبع على قلوبهم طبعا وألحقهم بالذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكره وكانوا لا يستطيعون سمعا فخذهم عند ذلك بحد الجلد فان لم ينجع فبحد ذوات الحد فان هذه أمراض عمى لا ترجى لها الافاقة ولا تبرىء منها الا الدماء المراقة وأما الفرقة المدعوة بالرافضة التى هى لما رفعه الله خافضة فانهم أناس ليس لهم من الدين الا اسمه ولا من الاسلام الا رسمه واذا نقب عن مذهبهم وجد على العصبية موضوعا ولغير ما شرعه الله ورسوله مشروعا ذبوا عن على رضى الله عنه فأسلموه وأخروه اذ قدموه وهؤلاء وضعوا أحاديث فنقلوها وأولوها على ما أولوها فتبع الآخر منهم الاول على عمة وقالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وههنا غير ماذكرناه من عقائد محلولة ومذاهب غير منقولة ولا مقبولة و بالهدى يتبين طريق الضلال و بالصحة يظهر أثر الاعتلال ولا عقيدة الا عقيدة السنة والكتاب ولا دين الا دين العجائز الماء والمحراب واذا فرغنا من الوصية بالأصول التى هى للدين ملاك فلنتبعها بالفروع التى هى له مسالك وأول ذلك الصلاة وهى فى مبانى الاسلام الخمس أوكد خمسه وآخر ما وصى به رسول الله ﷺ عنده مفارقة نفسه ومن فضلها أنها

الكسائى و يقال بهت وبهت وبهت (وسقط) فى يده (وأهرع الرجل) فهو مهرع اذا كان يرعد من غضب أو غيره (وأهل) الهلال (واستهل) (وأغمى) على المريض وغمى عليه (وغم) الهلال على الناس

﴿باب ماينقص منه ويزاد فيه و يبدل بعض حروفه بغيره﴾

هو (السرجين) بالجيم وكسر السين قال الاصمعى هو فارسى لا أدرى كيف اقوله فأقول الروث وهى (القاقوزة) والقازوزة ولا يقال قاقزة وهو (القرقل) باللام القميص الذى لا كمى له وجمعه قراقل والعامة تسميه قرقرا وهى (البالوعة) وفلان يقرأ (بالسليقة) أى بطبيعته لا عن تعليم و يقال للطبيعة السليقة (والشيزى) بالياء خشب أسود و يقال (شتان) ما هما بنصب النون ولا يقال شتان ما بينهما قال الاعشى
شتان ما يومى على كورها ويوم حيان أخى جابر
وليس قول الآخر
* شتان ما بين اليزيدين فى الندى * بحجة وشتان بمنزلة قولك (وشكان وسرعان) ذا خروجا العمل
وأصله وشك ذا خروجا وسرع ذا خروجا (تأنق) فى الشىء ولا يقال تنوق قال و بعض العرب يقول تنوق (واستخفيت)

العمل الذى ينهى عن الفحشاء والمنكر ولاعذر فى تركها لأحد من الناس فيقال إنه يعذر فأجمع الناس إليها وأحملهم عليها ومرهم بالاجتماع لهـا فى المساجد وناد فيهم بفضيلة صلاة الجماعة على صلاة الواحد وراقبهم عنـد أوقات الأذان فى الأسواق التى هى معركة الشيطان فمن شغل بتثمير مكسبه ولهاعنها بالاقبال على لهوه ولعبه نخذه بالآلة العمرية التى تضع من قدره وتذيقه وبال أمره ولا يمنعك عن ذى هيبة هيبته ولاعن ذى شيبة شيبته فانما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ومن مهمات الصلاة يوم الجمعة الذى هو فى الأيام بمنزلة الأعياد فى الأعوام وفيه الساعة المخصوصة بالدعاء المجـاب التى ما صادفها عبد إلا ظفر بالطلاب فمر الناس بابتداره فى البواكر والفوز فيه بقربان البدنات الأخاير فانه اليوم الذى لم تطلع الشمس على مثله وبه فضل هذا الدين على أهل الكتاب من قبله فهو واسطة عقـد الأيام السبعة ولاشتماله على مجموع فضلها سمى يوم الجمعة وفى الأعوام مواسم لصلوات مخصوصة كالتراويح فى شهر رمضان والرغائب فى أول جمعة من رجب وليلة النصف من شعبان فلتملأ المساجد فى هذه المواسم التى تكثر فيها شهادات الأقلام فى كتب الطاعات ومحو الآثام ومن حضرها وليس همه إلا أن يمر بها طروقا ويواعد اليه أخدانه رفثا أوفسوقا فهؤلاء هم الخلف الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فابعث عليهم قوما يسلبونهم سلبا ويوجعونهم ضربا ويملؤن عيونهم مهابة وقلوبهم رعبا فبيوت الله مطهرة من هذه الأدناس ولم تعمر لشياطين الانس وإنما عمرت للناس فلا يحضرها إلا راكع وساجد أو ذاكر وحامد وههنا عظيمة عضيهة وفاحشة يفقه لهـا من ليست نفسه بفقيهة وهي الربا فانه قد كثر أكله وتظاهر به فاعله وقال فساق الفقهاء بتأويله وتوصلوا إلى شبهة تحليله ولا يتسارع إلى ذلك إلا من أعمى الله قلبه ومحق كسبه قال النبي صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها وباعوها وأكلوا أثمانها ونحن نأمرك أن تشمر فى هذا الأمر تشميرا برهبة الباس ولا تدع ربا حتى تضعه وأول ربا تضعه ربا العباس فتأديب الكبير قاض بتهذيب الصغير والأسوة بالرفيع خلاف الأسوة بالنظير وجـل معاملة الربا تجرى فى سوق الصرف الذى تختلف به النقود وتفترض فيه العقود ويخاض فى نار نيره إلى النار ذات الوقود وبه قوم أوسعوا عيون الموازين غمزا وألسنتها همزا ولمزا وأصبح الدرهم والدينار عندهم بمنزلة الصنمين اللات والعزى ولا يرى منهم إلا من الحرص مفاض على ثيابه وقد جمع بين المعرفة بالحرام والهجوم على ارتكابه فعدل ميل هؤلاء تعديلا وتخولهم على مرور الأيام تخويلا واعلم انك قد وليت من الكيل والميزان أمرين هلكت فيهما الأمم السالفة فباشرهما بيدك مباشرة الاختيار والاختبار ولا تقل أهلهما عثرة فان الاقالة لا تنهى عن العثار وكل هؤلاء من سواد الناس ممن لم يزك غرسه ولا فقهت نفسه وليس همه إلا فرجه أو ضرسه نخذهم بآلة التعزير التى هى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى ومن آثارها أنها ترج أرض الرأس رجا وتفرج سماءه فرجا ويسلك بصاحبه هديا ونهجا وقد كثر فى الأسواق الخلابة والنجش وتلقى الركبان وبيع الحاضر للبادى وتنفيق السلعة باليمين الكذابة وكل هذه من المحظورات التى وردت الأخبار النبوية ببيانها والنهى عن تورد مكانها فمن قارف شيئا منها جاهلا بتحريمه فقومه بالتعليم واهـده إلى الصراط المستقيم ومن عرف

من فلان ولا يقال اختفيت إنما الاختفاء الاستخراج ومنه قيل للنباش مختف قال الله عز وجل يستخفون من الناس ويقال هذا (ماء ملح) ولا يقال مالح قال الله عز وجل هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ويقال سمك مليح ومملوح ولا يقال مالح وقد قال عذافر وليس بحجة

بصرية تزوجت بصريا
يطعمها المالح والطريا

وهو سمك (ممقوز) ولا يقال منقوز ويقال أعد على كلامك (من رأس) ولا يقال من الرأس قال أبو زيد من رأس ومن الرأس جميعا ورئاس السيف قائمه وتقول أنت على رئاس أمرك ولا تقل على رأس أمرك ورجل (منهوم) من الطعام ولا يقال نهـم وهذا (يوم عرفة ياهذا) غير منون ولا يقال العرفة ويقال قد (فاظ الميت) يفيظ فيظا ويفوظ فوظا هكذا رواه الأصمعى وأنشد لرؤبة * لا يدفنون منهم من فاظا * قال ولا يقال فاظت نفسه وحكاها غيره ولا يقال فاضت إنما يفيض الماء والدمع وأنشد الأصمعى أيضا

كادت النفس أن تفيظ عليه
إذ ثوى حشو ريطة وبرود

فذكر النفس وجاء بأن مع كاد ويقال (يامن) بأصحابك (وشائم بهم) أى خذ بهم يمينا وشمالا ولا يقال تيامن بهم وقولهم (ياماصان) خطأ إنما هو يامصان ويامصانة قال الشاعر فان تكن الموسى جرت فوق بظرها * فما وضعت إلا ومصان قاعد
وتقول هو أخوه (بلبان) أمه ولا يقال بلبن أمه إنما اللبن الذى يشرب من ناقة أو شاة أو غيرهما من البهائم قال الاعشى

فيها حرادى القصب والواحد حردى ولا يقال هردى وتقول (أحشفا) وسوء كيله أى تجمع على هذين والكيلة مثل الجلسة والركبة وهو (الاربان) والاربون ولا يقال الربون و (هو الفالوذ) والفالوذق (والزماورد) (والقرقس) للجرجس وهو (الرزداق) ولا يقال الرستاق وهو الشفارج للذى تسميه العامة الفيشفارج وجاء فلان (بالضح والريح) أى جاء بما طلعت عليه الشمس وجرت عليه الريح ولا يقال الضيح والضح الشمس قال ذو الرمة يذكر الحرباء غدا أكهب الاعلى وراح كأنه من الضح واستقباله الشمس أخضر ويقال قد (قوزع) الديك ولا يقال قنزع وهذه دابة لا ترادف ولا يقال تردف وقد (عار) الظليم يعار عرارا إذا صاح ولا يقال عر وهى (الكلية) ولا يقال الكلوة ويقال قد (نثل) درعه عنه أى ألقاها عنه ولا يقال نثر درعه ويقال

ما اقترف فأذقه حر التأديب قبل أن يذاق غدا حر التعذيب وأعلمه أن الأرزاق بيد الله تعالى لا ينقصها عجز القاعد ولا يزيدها حرص الكادح وقد ينقلب الجاهد فيها بصفقة الخاسر والوادع بصفقة الرابح ومن سنة الله تعالى أن ينمى الحلال وان كان يسيرا و يمحق الحرام وان كان كثيرا ومن الناس من آتاه الله مالا فبث فى الأسواق جنود ذهبه وورقه واحتكر ماحمله الميزان من ذوات رطله ووسعه الكيل من ذوات وسقه فأصبح فقراء بلده فى ضيق من عدم الرفق ومد الرزق فليمنع هؤلاء أن يجعلوا رزق الله محتكرا ومعاش عباده محتجرا وليؤمروا بأن يتراحموا ولا يتزاحموا وأن يأخذ الغني منهم بقدر الكفاف و يترك للفقير ما يعينه على الاسعاف قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لاحكرة فى سوقنا لا يعمد رجال بأيديهم فضول من أذهاب إلى رزق من أرزاق الله تعالى ينزل بساحتنا فيحتكرونه علينا ولكن أيما جالب جلب على عمود كبده فذلك ضيف عمر فليبع كيف شاء الله وليمسك كيف شاء الله وأما التسعير فانه و إن آثره القاطنون وحكم به القاسطون وقيل إن فى ذلك للفقير تيسير العسير فليس لأحد أن يكون يد الله فى حفظ ما رفع وبذل ما منع فقف أنت حيث أقفك حكم الحق ودع ما يعن لك من مصلحة الخلق ولا تكن ممن اتبع الرأى والنظر وترك الآية والخبر فحكمة الله مطوية فيما يأمر به على ألسنة رسله وليست مما يستنبطه ذو العلم بعلمه ولا يستدل عليه ذو العقل بعقله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ومما نأمرك به أن تمحو الصغيرة كما تمحو الكبيرة فان لمم الذنوب كالقطر يصير مجتمعه سيلا متدفقا وكان أوله قطرا متفرقا وقد استمر فى الناس عوائدها ونوا باستمراها ولم ينظروا إلى ثقل أوزارها فمن ذلك لبس الذهب والحرير الذى لم يلبسه الامن عدم عند الله خلاقا وان قيل إنه شعار للغنى فلم يزد صاحبه من الحسنات إلا إملاقا وللبس عباءة مع التقوى أحسن فى العيون شعارا وأعظم فى الصدور وقارا و يلتحق بهذه المعصية صوغ الذهب والفضة آنية يمنع منها حق الصدقات وهو حق يقاتل مانعه و يعصى فى استعمالها أمر الله وهو حد من حدوده يعاقب عاصيه و يثاب طائعه وكذلك يجرى الحكم فى الصور المرقومة فى البيوت والثياب وعلى الستور المعلقة على الأبواب واخراجها فى ضروب أشكال الحيوان لملاعبة الصبيان وذلك مماثلة لخالق الله فى التقدير ولهذا يؤمر صانعه بنفخ الروح فيما صوره من التصوير ومما يغلظ نكيره اطالة الذيول للاجترار والمباهاة لما فيها من عنجهية التيه والاستكبار ولن يخرق صاحبها الأرض باعجابه ولا يبلغ طول الجبال باطالة ثيابه قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر يوم القيامة إلى من جر ثوبه خيلاء ومما هو أشد نكيرا أمر الحمامات فان الناس قد أصروا بها على الاجهار وترك الاستتار والتهاون بأمر العورات التى لصاحبها اللعنة وله سوء الدار والنساء فى هذا المقام أشد تهالكا من الرجال وقد ابتذلن أنفسهن حتى أفرطن فى فاحشة الابتذال ولهن محدثات من المنكر أحدثها كثرة الارفاه والأتراف وأهمل انكارها حتى سرت فى الأوساط والأطراف وقد أحدثن الآن من الملابس مالم يخطر للشيطان فى حساب وتلك من لباس الشهرة الذى لا يستتر منه اسبال مرط ولا إدناء جلباب ومن جملتها أنهن يعتصبن عصائب كأمثال الأسنمة و يخرجن من جهارة أشكالها فى الصور المعلمة وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بها فيما وردعنه من الأخبار وجعل صاحبها

هو (مضطلع) بحمله أى قوى عليه وهو مفتعل من الضلاعة ولا يقال مطلع ويقال مابه من (الطيب) ولا يقال مابه من الطيبة وقال بعضهم وهو أبو حاتم (الحلبلاب) هو النبت الذى تسميه العامة لبلابا وروى معدودا

في كتاب سيبويه أنه الحلب الذي تعتاده الظباء يقال قيس حلب قال الاصمعي الحلب بقلة جعدة غبراء في خضرة تنبسط على وجه
الأرض يسيل منها لبن اذا قطع منها شيء قال الأصمعي هو (النسا) للعرق ولا يقال عرق (٢٣١) النسا كما لا يقال عرق الأكحل

معدوداً من زمرة أصحاب النار ومما حيد فيه عن السنن قراءة القرآن بضروب الألحان وتلك قراءة تخرج حروفها من غير مخرج وتبدو معوجة وهو قرآن عربي غير ذي عوج وقد أمر الله بترتيله وايراده على هيئة تنزيله فمن قرأه بالترجيع والترديد وزلزل حروفه بالتمطيط والتمديد فقد ألحقه بدرجات الأغاني وذهب بما فيه من طلاوة الألفاظ والمعاني قال النبي صلى الله عليه وسلم اقرؤا القرآن بلحون العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الفسق ولحون أهل الكتابين وسيجيء بعدي قوم يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم ويلتحق بذلك اقتناء القينات المغنيات اللاتي يلعبن بالعقول لعبهن بالاسماع ويغنين الشيطان بغنائهن عن بث الجنود والاشياع وفتيا النفس الأمارة في ذلك أن تقول هؤلاء اماء يحل نغمة سماعهن كما يحل ما تحت قناعهن وقد علم أن لكل شيء تماما وقد ينقلب الحلال فيصير حراما ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تبيعوا القينات المغنيات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام وفي مثل هذا أنزلت ومن الناس من يشتري لهو الحديث وكذلك يجري الحكم في المواشط اللاتي يجعلن الحسن موفوراً والقبيح مستوراً أو يخدعن نظر الناظر حتى يجعلنه مسحوراً فهن يبدين صدقاً من كذب وجداً من لعب وفعلهن هذا من الغش الذي نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وقال انه ليس منه وقد لعن الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والواشرة والمستوشرة ومن غش المنكرات أيضا خضاب الشيب الذي يخالفه فيه الظاهر والباطن ويتخلق صاحبه بخلق الكاذب الخائن وهب أنه أخفى لون شعره وهل يخفى اخلاق لباسه واذا استسن ملائم المرء فلا يغنيه سواد عارضه ولا سواد رأسه وقد جعل الله الشيب من نعمه المبشرة بطول الأعمار وسماه نوراً للونه وهدايته ولا تستوي الظلمات والانوار قال النبي صلى الله عليه وسلم الشيب أن يشتغل بتغيير صبغة الكتاب ويدأب في محو سواد العقاب ببياض الثواب ففي بقية عمره مندوحة لادخار ما يحمد ذخره وتبديل ما تقدم سطره ومما خولفت فيه السنة عقد مجالس التعازي لحضور الناس واظهار شعار الاسود والأزرق من اللباس والتشبه بالجاهلية في النوح والندب ومجاوزة دمع العين وخشوع القلب الى الاعلان باسخاط الرب وقد تواطأ النساء على ضرب الخيام على القبور وجعل الأعياد مواسم لاجتماع الزائر والمزور فصارت المآتم بينهم ولائم والمنادب عندهم مآدب وربما نشأ من ذلك ما يغض طرفا ويجدع أنفا ويوجب حداً أو قذفا وهكذا أهمل أمر الاسلام في تشبيه أهل الذمة بأهله وما كانوا ليشابهوه في زي غرنه ويخالفوه في سلوك سبله ولا بد من الغيار بأن يشد النصراني عقدة زناره ويصفر اليهودي أعلى ازاره وليمنعوا من الظاهر بطغيان النعمة وعلو الهمة ويؤمروا بالوقوف عند ما حكم عليهم من الاحكام وأخذوا فيه بالاختفاء والاكتتام فخمورهم تستر وشعائر دينهم لا تظهر وموتاهم تقبر بالخمول قبل أن تقبر فلا يوقد خلف ميتهم مصباح ولا يتبع بندب ولا صياح ومما عرف الناس منكره اثارة التحريش بين الحيوانات وهي ذوات أكباد رطبة وأخلاق صعبة وما منها الا ما يحل أكله ولا يحل قتله كالكبش والجملة والديك والسماني وما أشبهها وقد أكثر الناس من اقتنائها والمواظبة على اضرام شحنائها ولربما نشأ من ذلك فتنة تؤول الى ضراب وشق

ولا عرق الأبجل (والدودم) صمغ السمر والنساء تستعمله في الطراز ويسمونه دميداما وبعضهم يسميه دمادما وهو خطأ انما هو دودم ودوادم واذا قيل لك (تغد) قلت ما بي تغد فاذا قيل لك تعش قلت ما بي تعش ولا يقال ما بي غداء ولا عشاء تقول لقيت (فلانا وفلانة) إذا كنيت عن الآدميين بغير ألف ولام فاذا كنيت عن البهائم قلته بالألف واللام تقول ركبت الفلان وحلبت الفلانة تقول وقع في الشراب (ذباب) ولا تقول ذبابة والجميع القليل أذبة والكثير ذبان مثل قولهم غراب وأغربة والكثير غربان وهي (آخرة الرحل والسرج) ولا يقال مؤخرة قال أبو زيد هما (خصيان) اذا جمعا فاذا أفردت الواحدة قلت هذه خصية وهما (أليان) فاذا أفردت قلت ألية وأنشد

قد حلفت بالله لا أحبه
ان طال خصياه وقصر زبه

وأنشد

* يرتج ألياه ارتجاج الوطب *

قال الأصمعي من قال خصية قال خصيتان ومن قال خصى قال خصيان أبو زيد جاء فلان (دبريا) وجاء فلان آخريا وعن أبي عبيدة رجل (مشناء) يبغضه الناس على مثال مفعال وكذلك فرس مشناء والعامة تقول مشناء وتقول

ثياب واحداث شجاج واثارة عجاج وتحزب إلى أحزاب كثيرة وأفواج ويتصل بهذه المنكرات المذكورة أشياء أخرى تجري مجراها في التقديم وتتنزل منزلتها في التحريم فاحكم فيها بحكمك وامض في شبهاتها بدليل علمك وزبـعنا في التذكير والتحذير والتعريف والتنكير حتى يتقوم الاود ويتضح الرشد ويمكث في الأرض ما ينفع ويذهب الزبد وليكن عملك لله الذي يسمع ويرى وله ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى واعلم أن الأمر بالمعروف عبادة يتعدى نفع صاحبها إلى غيره وتستضيف خير المأمور بها إلى خيره وهي الجهاد الأكبر الذي تقاتل فيه عواصي النفوس وتضرب به رؤس الشهوات التي هي أمنع من معاقد الرؤس فقتيله يحيا بقتله وجريحه يوسى بجراحة نصله وبمثل هذا الجهاد يستنزل امداد النعم مضعفة كما يستنزل امداد النصر مردفة فاقدم عليه ذا عزم باتر وطرف ساهر وقدم ثابت صابر حتى تظل لمعاقل الشيطان فاتحا وتكون فيمن دعا إلى الله وعمل صالحا واعلم أنك في صبيحة كل يوم يبتدرك الملك والشيطان وكل منهما يقول يا أيها الانسان فان أجبت نداء الملك كتبك في زمرة من مهد لجنبه وخاف مقام ربه وعرج بك إلى الله طيبا نشره مضاعفا أجره وان أجبت نداء الشيطان كتبك في زمرة من أغواه وقرنك بمن أغفل الله قلبه واتبع هواه ثم نزل به إلى الأرض خبيثا مخبثا وأقبل به على اخوانه من الشياطين محدثا وهذا آخر ما عهدناه اليك من العهد الذي طوقت اليوم بكتابه وستناقش غداً على حسابه وكما جعلناه لك في الدنيا ذكراً فاجعله لك في الآخرة ذخراً ان شاء الله تعالى والسلام (وهذا الذي ذكرته في هذين) من الكتاب والتقليد يتضمن إطنابا مستوفي الأقسام ولولا خوف الاطالة التي لا حاجة اليها لأوردت قصائد من الشعر أيضا حتى لا يخلو الموضع من ضرب أمثلة من المنظوم والمنثور لكن في الذي ذكرته كفاية لمن يحمله على أشباهه ونظائره (فان قيل) ان الاطناب في الكلام قد وضعتموه اسما على غير مسمى فان الكلام لا يخلو من حالين اما أن لا يزيد لفظه على معناه وهو الايجاز أو يزيد لفظه على معناه وهو التطويل وليس ههنا قسم ثالث فما الاطناب إذا (قلت) في الجواب اعلم أن الايجاز هو ضد التطويل كما أن السواد ضد البياض غير أن بين الضدين مراتب ومنازل ليست أضداداً فلا اطناب لا ايجاز هو ولا تطويل كما أن الحمرة أو الخضرة ليست بياضا ولا سوادا وقد قدمنا القول ان الاطناب يأتي في الكلام مؤكداً كالذي يأتي بزيادة التصوير للمعنى المقصود اما حقيقة واما مجازا والتطويل ليس كذلك فانه التعبير عن المعنى بلفظ زائد عليه يفهم ذلك المعنى بدونه فاذا حذفت تلك الزيادة بقي المعنى المعبر عنه على حاله لم يتغير منه شيء وهذا بخلاف الاطناب فانه إذا حذف منه تلك الزيادة المؤكدة للمعنى تغير ذلك المعنى وزال ذلك التأكيد عنه وذهبت فائدة التصوير والتخييل التي تفيد السامع مالم يكن الا بها ألا ترى إلى قوله تعالى فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وهذا لا يسمى ايجازاً لانه أتى فيه بزيادة لفظ وهو ذكر الصدور وقد علم أن القلوب لا تكون الا في الصدور ولا يسمى تطويلا لان التطويل لا فائدة فيه أصلا وهذا فيه فائدة وهي ما أشرنا اليه وكذلك باقي أقسام الاطناب التي نبهنا عليها وهذا لا نزاع فيه (النوع السابع عشر في التكرير) قد تقدم الكلام في صدر كتابي هذا على تكرار الحروف وما ذلك مما يختلط بهذا النوع الذي هو تكرار المعاني والألفاظ (واعلم) أن هذا النوع من مقاتل علم البيان وهو دقيق المأخذ

(لا يساوي) هذا الشيء درهما ولا يقال يسوى وتقول هو (يزن) بمال وأزنته بكذا ولا تقول هو يوزن بمال ولا وزنته بكذا وتقول هو مني (مدى البصر) ولا يقال مد البصر والمدى الغاية قال القحيف بنات بنات أعوج ملجمات * مدى الأبصار عليها الفحال

يقولون أتاني الأسود والأبيض (والمسموع) أتاني الأسود والأحمر وإنما يراد أتاني جميع الناس عربهم وعجمهم ويقال كلمت فلانا فما رد علي (سوداء ولا بيضاء) أي كلمة ردية ولا حسنة ويقولون (حكني) موضع كذا من جسدي وهو خطأ إنما يقال أكلني فحككته ويقولون (شق الميت) بصره وهو خطأ إنما يقال قد شق بصر الميت ويقولون فلان (مستأهل) لكذا وهو خطأ إنما يقال فلان أهل لكذا وأما المستأهل فهو الذي يأخذ الاهالة قال الشاعر

لا بل كلي يامي واستأهلي * ان الذي أنفقت من ماليه

ويقولون سكران (ملطخ) وهو خطأ إنما هو سكران ملتخ أي مختلط ومنه يقال التخ عليهم أمرهم أي اختلط ويقولون (تؤثر وتحمد) والمسموع توفر وتحمد من قولك قد وفرت عرضه أفره وفرا ويقولون فلان (يندي) علينا وهو خطأ إنما هو يتندى علينا كما يقال يتسخى ويقولون (في سبيل الله عليك) وهو خطأ إنما يقال في سبيل الله أنت ويقولون لم يكن ذلك (في حسابي) وليس للحساب وحده ههنا وجه إنما الكلام ما كان ذلك في حسباني أي في ظني يقال حسبت الأمر حسبانا ومنهم من يجعل الحساب مصدراً

لحسبت وقد يجوز على هذا ان يقال ما كان ذلك في حسابي و يقولون (آخر الداء الكي) وهو خطأ إنما هو آخر الدواء الكي و يقولون (تجوع) الحرة ولا تأكل بثديها يذهبون الى أنها لا تأكل لحم الثدي وانما هو ولا تأكل (٢٣٣) بثديها أي لا تسترضع

وحده هو دلالة اللفظ على المعنى مرددا وربما اشتبه على أكثر الناس بالاطناب مرة و بالتطويل أخرى وقد تقدم الكلام على الفرق بين هذه الانواع الثلاثة في باب الاطناب فلا حاجة الى اعادته ههنا وأما التكرير فقد عرفتكه (وهو ينقسم قسمين أحدهما) يوجد في اللفظ والمعنى (والآخر) يوجد في المعنى دون اللفظ فأما الذي يوجد في اللفظ والمعنى فكقولك لمن تستدعيه أسرع أسرع ومنه قول أبي الطيب المتنبي

ولم أر مثل جيراني ومثلي * لمثلي عند مثلهم مقام

وأما الذي يوجد في المعنى دون اللفظ فكقولك أطعني ولا تعصني فان الامر بالطاعة نهي عن المعصية (وكل من هذين القسمين ينقسم الى مفيد وغير مفيد) ولا أعني بالمفيد ههنا ما يعنيه النحاة فانه عندهم عبارة عن اللفظ المركب اما من الاسم مع الاسم بشرط أن يكون للأول بالثاني علاقة معنى يسع مكلفا جهله واما من الاسم مع الفعل التام المتصرف على هذا الشرط أيضا واما من حرف النداء مع الاسم فهذا هو المفيد عند النحاة وأنا لم أقصد ذلك ههنا بل مقصودي من المفيد أن يأتي لمعنى وغير المفيد أن يأتي لغير معنى (واعلم) أن المفيد من التكرير يأتي في الكلام تأكيدا له وتشييدا من أمره وانما يفعل ذلك للدلالة على العناية بالشيء الذي كررت فيه كلامك إما مبالغة في مدحه أو في ذمه أو غير ذلك ولا يأتي الا في أحد طرفي الشيء المقصود بالذكر والوسط عار منه لان أحد الطرفين هو المقصود بالمبالغة إما بمدح أو ذم أو غيرهما والوسط ليس من شرط المبالغة وغير المفيد لا يأتي في الكلام الا عيا وخطلا من غير حاجة اليه (فأما الأول) وهو الذي يوجد في اللفظ والمعنى (فانه ينقسم الى ضربين) مفيد وغير مفيد (فالاول المفيد وهو فرعان الاول) إذا كان التكرير في اللفظ والمعنى يدل على معنى واحد والمقصود به غرضان مختلفان كقوله تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم و يريد الله أن يحق الحق بكلماته و يقطع دابر الكافرين ليحق الحق و يبطل الباطل ولو كره المجرمون هذا تكرير في اللفظ والمعنى وهو قوله يحق الحق وليحق الحق إنما يجيء به ههنا لاختلاف المراد وذاك أن الأول تمييز بين الارادتين والثاني بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها وأنه ما نصرهم وخذل أولئك الا لهذا الغرض (ومن هذا الباب) قوله تعالى قل اني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين قل إني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل الله أعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه فكرر قوله تعالى قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وقوله قل الله أعبد مخلصا له ديني والمراد به غرضان مختلفان وذلك أن الاول اخبار بأنه مأمور من جهة الله بالعبادة له والاخلاص في دينه والثاني اخبار بأنه يخص الله وحده دون غيره بعبادته مخلصا له دينه ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة في الثاني وأخره في الاول لان الكلام أولا واقع في الفعل نفسه و إيجاده وثانيا فيمن يفعل الفعل من أجله ولذلك رتب عليه فاعبدوا ما شئتم من دونه وعليه ورد قوله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله و رسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وظاهر الاول والثاني أنهما سواء في المعنى وليس كذلك لان الثاني فيه تخصيص غير موجود في الاول ألا ترى أنا إذا قلنا زيد الافضل وقلنا الافضل زيد كان في الثاني تخصيص له بالفضل وهذا

فتأخذ على ذلك الاجر و يقولون ان فعلت كذا وكذا (فبها ونعمه) يذهبون إلى النعمة وانما هو ونعمت بالتاء في الوقف يريدون ونعمت الخصلة فحذفوا وقال قوم فبها ونعمت بكسر العين وتسكين الميم و يقولون في رأسه (خطبة) وانما هي خطة و يقولون (أباد) الله خضراءهم يريدون جماعتهم والخضراء الكتيبة قال الاصمعي انما هو غضراءهم أي غضارتهم وخيرهم قال الاصمعي وأصل الغضراء طينة خضراء علكة يقال أنبط بئره في غضراء و يقولون (النقد) عند الحافر يذهبون الى أن النقد عند مقام الانسان ويجعلون القدم ههنا الحافر وانما هو النقد عند الحافرة أي عند أول كلمة قال وقول الله عز وجل إنا لمردودون في الحافرة أي في أول أمرنا ومن فسرها الارض فالى هذا يذهب لانا منها بدئنا قال أحافرة على صلع وشيب

معاذ الله من سفه وعار

كأنه قال أأرجع إلى ما كنت عليه في شبابي من الغزل والصبي و يقولون

(٣٠ - المثل السائر) افعل كذا (وخلاك ذنب) يريدون ولا يكون لك ذنب فيما فعلت والمسموع وخلاك ذم أي لا تذم و يقولون (معدا) ان فعل فلان كذا صنعت كذا وكذا و يتوهمونه حين فعل كذا وانما أصل الكلمة ما عدا أن فعل كذا حتى فعلت

التخصيص لايوجد فى القول الاول الذى هو زيد الافضل و يجوز ان تبدل صفة الفضل فيه بغيرها أو بضدها فيقال زيد الاجمل أو زيد الانقص واذا قلنا الافضل زيد وجب تخصيصه بالفضل ولم يمكن تغييره عنه وكذلك يجرى الحكم فى هذه الآية فان الله تعالى قال انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم قال لم يذهبوا حتى يستأذنوه فوصفهم بالامتناع عن الذهاب الا باذنه وهذه صفة يجوز أن تبدل بغيرها من الصفات كما قال تعالى فى موضع آخر إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا فجاء بصفة غير تلك الصفة ولما قال ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وجب تخصيصهم بذلك الوصف دون غيره وهذا موضع حسن فى تكرير المعانى (ومما يعد من هذا الباب) قوله تعالى قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولى دين وقد ظن قوم أن هذه الآية تكرير لا فائدة فيه وليس الامر كذلك فان معنى قوله لا أعبد يعنى فى المستقبل من عبادة آلهتكم ولا أنتم فاعلون فيه ما أطلبه منكم من عبادة إلهى ولا أنا عابد ما عبدتم أى وما كنت عابدا قط فيما سلف ما عبدتم فيه يعنى أنه لم يعهد منى عبادة صنم فى الجاهلية فى وقت ما فكيف يرجى ذلك منى فى الاسلام ولا أنتم عابدون فى الماضى فى وقت ما ما أنا على عبادته الآن (ومما يجرى هذا المجرى) قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين فكرر الرحمن الرحيم مرتين والفائدة فى ذلك أن الأول يتعلق بأمر الدنيا والثانى يتعلق بأمر الآخرة فما يتعلق بأمر الدنيا يرجع الى خلق العالمين فى كونه خلق كلا منهم على أكمل صفة وأعطاه جميع ما يحتاج اليه حتى البقة والذباب وقد يرجع الى غير الخلق كادرار الارزاق وغيرها وأما ما يتعلق بأمر الآخرة فهو اشارة الى الرحمة الثانية فى يوم القيامة الذى هو يوم الدين وبالجملة فاعلم أنه ليس فى القرآن مكرر لا فائدة فى تكريره فان رأيت شيئا منه تكرر من حيث الظاهر فأنعم نظرك فيه فانظر الى سوابقه ولواحقه لتنكشف لك الفائدة منه (ومما ورد فى القرآن الكريم مكررا) قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى الا على رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون ليؤكده عندهم ويقرره فى نفوسهم مع تعليق كل واحد منها بعلة فجعل علة الأول كونه أمينا فيما بينهم وجعل علة الثانى حسم طمعه عنهم وخلوه من الاغراض فيما يدعوهم اليه (ومن هذا النحو) قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الايكة أولئك الاحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب وانما كرر تكذيبهم ههنا لانه لم يأت به على أسلوب واحد بل تنوع فيه بضروب من الصنعة فذكره أولا فى الجملة الخبرية على وجه الابهام ثم جاء بالجملة الاستثنائية فأوضحه بأن كل واحد من الاحزاب كذب جميع الرسل لانهم اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوا جميعهم وفى تكرير التكذيب وايضاحه بعد ابهامه والتنوع فى تكريره بالجملة الخبرية أولا وبالاستثنائية ثانيا وما فى الاستثناء من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العذاب وأبلغه وهذا باب من تكرير اللفظ والمعنى حسن غامض وبه يعرف مواقع التكرير والفرق بينه وبين غيره فافهمه ان شاء الله تعالى

(الفرع الثانى من الضرب الأول) اذا كان التكرير فى اللفظ والمعنى يدل على معنى واحد والمراد

وكذا ويقولون (ركض) الدابة والفرس وهو خطأ انما الراكض الرجل والركض تحريك الرجل عليه ليعدو ويقال ركضت الفرس فعدا ويقولون (حلبت) الشاة عشرة (٢٣٤) أرطال وانما هو حلبت قال الاصمعى يقال رجل (دائن) اذا كثر ما عليه من الدين وقد دان فهو يدين دينا ولا يقال من الدين دين فهو مديون ولا مديون اذا كثر عليه الدين ولكن يقال دين الملك فهو مدين اذا دان له الناس ويقال ادان الرجل مشددا اذا أخذ بالدين فهو مدان ويقولون افعل ذاك (لا أبا لشانيك) والعامة تقول لا بل لشانيك (وامحى الكتاب) ولا تقول امتحى قوموا (بأجمعكم) والاجمع جماعة جمع ولا يكون بأجمعكم وغيره يجيزها وتقول العامة (أنت سفلة) وذلك خطأ لان السفلة جماعة والصواب ان تقول أنت من السفلة (عدس) زجر البغل والعوام تقول عد قال الشاعر

اذا حملت بزتى على عدس
فما أبالى من غزا ومن جلس

أى على بغل فسماه بزجره وقال ابن مفرغ الحميرى

عدس ما لعباد عليك امارة * نجوت وهذا تحملين طليق

سألته (الاقالة) فى البيع والعامة تقول القيلولة وذلك خطأ إنما القيلولة نوم نصف النهار كساء (منبجانى) ولا يقال أنبجانى لأنه منسوب إلى منبج وفتحت باؤه فى النسب لانه خرج مخرج منظرانى به ويخبرانى رجل (أبح) ولا يقال باج وهو الدرياق قال الشاعر

سقتنى بصهباء درياقة * متى ماتلين عظامى تلن

وهو (الخندقوق) نبطي معرب ولا يقال حندقوقى ﴿ باب ما يعدى بحرف صفة أو بغيره والعامة لا تعديه أو لا يعدى والعامة تعديه ﴾ يقال ما سرني بذاك (مفرح) لانه يقال أفرحني (٢٣٥) الشيء ولا يقال مفروح الا أن تقول مفروح به وهو حديث (مستفيض) لانه من استفاض الحديث ولا يقال مستفاض الا أن يقال مستفاض فيه وتقول (اياك وان تفعل) كذا ولا تقول اياك ان تفعل بلا واو ألا ترى انك تقول اياك وكذا ولا يقال اياك كذا وقد جاء في الشعر وهو قليل قال الشاعر

ألا أبلغ أباعمرو رسولا
واياك المحاين ان تحينا

وتقول (كاد) فلان يفعل ولا تقول كاد أن يفعل قال الله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون وقد جاء في الشعر وهو قليل قال الشاعر * قد كاد من طول البكا ان يمصحا * ويقال (بنى) فلان على أهله ولا يقال بنى بأهله ويقال (سخرت) منه ولا يقال سخرت قال الله ان تسخروا منا فانا نسخر منكم وقال سخر الله منهم وتقول (طوبى) لك ولا تقول طوباك وتقول (فزعت) منك و (فرقت) منك ولا يقال فرقتك ولا فزعتك ويقال خشيتك وهبتك وخفتك) ويقال رميت عن القوس ولا يقال رميت بالقوس الا أن تلقيها من يدك وتقول (عيرتني كذا) ولا يقال عيرتني بكذا قال النابغة وعيرتني بنو ذبيان رهبته وهل علي بأن أخشاك من عار وقال المتلمس

به غرض واحد كقوله تعالى فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر والتكرير دلالة التعجب من تقديره واصابته الغرض وهذا كما يقال قتله الله ما أشجعه أو ما أشعره وعليه ورد قول الشاعر * ألا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي * وهذا مبالغة في الدعاء لها بالسلامة وكل هذا يجاء به لتقرير المعنى المراد واثباته (وعليه ورد الحديث النبوي) وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان بني هشام بن المغيرة استأذنوني أي ينكحوا ابنتهم عليا فلا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن الا أن يطلق على ابنتي وينكح ابنتهم فقوله لا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن من التكرير الذي هو أشد موقعا من الايجاز لانصباب العناية الى تأكيد القول في منع علي رضي الله عنه من التزويج بابنة أبي جهل بن هشام وهذا مثل قوله تعالى أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى ومن أجل ذلك نقول لا اله الا الله وحده لا شريك له لان قولنا لا اله الا الله مثل قولنا وحده لا شريك له وهما في المعنى سواء وانما كررنا القول فيه لتقرير المعنى واثباته وذلك لان من الناس من يخالف فيه كالنصارى والثنوية والتكرير في مثل هذا المقام أبلغ من الايجاز وأحسن وأسد موقعا (ومما جاء في مثل هذا) قوله تعالى والله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا أصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين فقوله من قبله بعد قوله من قبل فيه دلالة على أن عهدهم بالمطر قد بعد وتطاول فاستحكم بأسهم وتمادى ابلاسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك (وعلى ذلك ورد) قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق فقوله لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر يقوم مقام قوله ولا يدينون دين الحق لان من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر لا يدين دين الحق وانما كرر ههنا للخطب على المأمور بقتالهم والتسجيل عليهم بالذم ورجمهم بالعظائم ليكون ذلك أدعى لوجوب قتالهم وحربهم وقد قلنا ان التكرير انما يأتي لما أهم من الامر الذي بصرف العناية اليه يثبت ويتقرر (وكذلك ورد) قوله تعالى وان تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الاغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون فتكرير لفظة أولئك من هذا الباب الذي أشرنا اليه لمكان شدة النكير واغلاظ العقاب بسبب انكارهم البعث (وعلى هذا ورد) قوله تعالى أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الاخسرون فانه انما تكررت لفظة هم للايذان بتحقيق الخسار والاصل فيها وهم في الآخرة الاخسرون لكن لما أريد تأكيد ذلك جيء بتكرير هذه اللفظة المشار اليها وكذلك قوله تعالى فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وأمثال هذا في القرآن كثير (وكذلك ورد) قوله تعالى في سورة القصص فأصبح في المدينة خائفا يترقب فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى انك لغوي مبين فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس فقوله تعالى فلما أن أراد أن يبطش بتكرير أن مرتين دليل على أن موسى عليه السلام لم تكن مسارعته الى قتل الثاني كما كانت مسارعته الى قتل الاول بل كان عنده ابطاء في بسط يده اليه فعبر القرآن عن ذلك في قوله تعالى فلما أن أراد أن يبطش (وجرت بيني وبين رجل من النحويين مفاوضة) في هذه الآية فقال ان أن الاولى زائدة ولو حذفت

تعيرنى أمى رجال ولن ترى * أخا كرم الا بأن يتكرما وقالت ليلى الاخيلية أعيرتنى داء بامك مثله وأى حصان

لا يقال له هلا ﴿باب ما يتكلم به مثنى والعامة تتكلم بالواحد منه﴾ يقال اشتريت (زوجى نعال) ولا يقال

زوج لان الزوج ههنا الفرد يقال اشتريت (مقراضين ومقصين وجلمين) ولا يقال مقراض ولا مقص ولا جلم ويقال هما اخوان (توءمان) وجاءت المرأة بتوءمين ولا يقال توأم انما التوأم أحدهما

﴿باب ما جاء فيه لغتان استعمل الناس اضعفهما﴾

يقولون (نقمت) عليه ونقمت فأنا أنقم أجود ويقولون (قحل) الشىء إذا جف وقحل أجود ويقولون (دهمهم) الامر ودهمهم أجود ويقولون (شملهم) الامر وشملهم أجود ويقولون (حذق) الغلام القرآن وغيره وحذق أجود ويقولون (ضللت) وضللت أجود ويقولون (غويت) وغويت أغوى أجود ويقولون (زللت) وزللت أجود ويقولون (لغبت) ولغبت أجود فأنا الغب ويقولون (سفد الطائر) يسفد وسفد يسفد أجود ويقولون (ركنت) الى الامر والاجود ركنت أركن ويقولون (مسست) أمس والاجود مسست أمس ويقولون (غصصت)

باللقمة والاجود غصصت ويقولون (بححت) والاجود بححت ويقولون (جرعت) الماء أى

والاجود جرعت ويقولون (شحب) لونه والاجود شحب يشحب ويقولون (رعف) الرجل والاجود رعف

فقيل فلما أراد أن يبطش لكان المعنى سواء ألا ترى الى قوله تعالى فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه وقد اتفق النحاة على أن أن الواردة بعد لما وقبل الفعل زائدة فقلت له النحاة لافتيالهم فى مواقع الفصاحة والبلاغة ولا عندهم معرفة بأسرارها من حيث انهم نحاة ولا شك أنهم وجدوا أن ترد بعد لما وقبل الفعل فى القرآن الكريم وفى كلام فصحاء العرب فظنوا أن المعنى بوجودها كالمعنى إذا أسقطت فقالوا هذه زائدة وليس الامر كذلك بل إذا وردت لما ورد الفعل بعدها باسقاط أن دل ذلك على الفور واذا لم تسقط لم يدلنا ذلك على أن الفعل كان على الفور وانما كان فيه تراخ وابطاء (وبيان ذلك من وجهين أحدهما) أنى أقول فائدة وضع الالفاظ أن تكون أدلة على المعانى فاذا أوردت لفظة من الالفاظ فى كلام مشهود له بالفصاحة والبلاغة فالاولى أن تحمل تلك اللفظة على معنى فان لم يوجد لها معنى بعد التنقيب والتنقير والبحث الطويل قيل هذه زائدة دخولها فى الكلام كخروجها منه ولما نظرت أنا فى هذه الآية وجدت لفظة أن الواردة بعد لما وقبل الفعل دالة على معنى واذا كانت دالة على معنى فكيف يسوغ أن يقال انها زائدة (فان قيل) إنها اذا كانت دالة على معنى فيجوز أن تكون دالة على غير ما أشرت أنت اليه (قلت فى الجواب) اذا ثبت أنها دالة على معنى فالذى أشرت اليه معنى مناسب واقع فى موقعه واذا كان مناسبا واقعا فى موقعه فقد حصل المراد منه ودل الدليل حينئذ أنها ليست بزائدة (الوجه الآخر) أن هذه اللفظة لو كانت زائدة لكان ذلك قدحا فى كلام الله تعالى وذلك أنه يكون قد نطق بزيادة فى كلامه لاحاجة اليها والمعنى يتم بدونها وحينئذ لا يكون كلامه معجزا اذ من شرط الاعجاز عدم التطويل الذى لاحاجة اليه وان التطويل عيب فى الكلام فكيف يكون ماهو عيب فى الكلام من باب الاعجاز هذا محال (وأما قوله تعالى) فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فانه اذا نظر فى قصة يوسف عليه السلام مع اخوته منذ ألقوه فى الجب والى أن جاء البشير الى أبيه عليه السلام وجد أنه كان ثم ابطاء بعيد وقد اختلف المفسرون فى طول تلك المدة ولو لم يكن ثم مدة بعيدة وأمد متطاول لما جىء بأن بعد لما وقبل الفعل بل كانت تكون الآية فلما جاء البشير ألقاه على وجهه وهذه دقائق ورموز لا تؤخذ من النحاة لانها ليست من شأنهم (واعلم) أن من هذا النوع قسما يكون المعنى فيه مضافا الى نفسه مع اختلاف اللفظ وذلك يأتى فى الالفاظ المترادفة وقد ورد فى القرآن الكريم واستعمل فى فصيح الكلام فمنه قوله تعالى والذين سعوا فى آياتنا معجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم والرجز هو العذاب وعليه ورد قول أبى تمام

نهوض بثقل العبء مضطلع به * وان عظمت فيه الخطوب وجلت

والثقل هو العبء والعبء هو الثقل وكذلك ورد قول البحترى

ويوم تثنت للوداع وسلمت * بعينين موصولا بلحظهما السحر
توهمتها ألوى بأجفانها الكرى * كرى النوم أومالت بأعطافها الخمر

فان الكرى هو النوم وربما أشكل هذا الموضع على كثير من متعاطى هذه الصناعة وظنوه مما لا فائدة فيه وليس كذلك بل الفائدة فيه هى التأكيد للمعنى المقصود والمبالغة فيه أما الآية فالمراد بقوله تعالى عذاب من رجز أى عذاب مضاعف من عذاب وأما بيت

أبي تمام فانه تضمن المبالغة في وصف الممدوح بحمله للاثقال وأما بيت البحتري فانه أراد أن يشبه طرفها لفتوره بالنائم فكرر المعنى فيه على طريق المضاف والمضاف اليه تأكيداله وزيادة في بيانه وهذا الموضع لم ينبه عليه أحد سواي ولربما أدخل في التكرير من هذا النوع ماليس منه وهو موضع لم ينبه عليه أيضا أحد سواي (فمنه قوله تعالى) ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم فلما تكرر ان ربك مرتين علم أن ذلك أدل على المغفرة وكذلك قوله تعالى ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد مافتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم ومثل هذا قوله تعالى لاتحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب وهذه الآيات يظن أنها من باب التكرير وليست كذلك وقد أنعمت نظري فيها فرأيتها خارجة عن حكم التكرير وذاك أنه اذا طال الفصل من الكلام وكان أوله يفتقر الى تمام لايفهم الابه فالاولى في باب الفصاحة أن يعاد لفظ الاول مرة ثانية ليكون مقارنا لتمام الفصل كي لا يجيء الكلام منثورا لا سيما في أن وأخواتها فاذا وردت ان وكان بين اسمها وخبرها فسحة طويلة من الكلام فاعادة ان أحسن في حكم البلاغة والفصاحة كالذي تقدم من هذه الآيات وعليه ورد قول بعضهم من شعراء الحماسة

أسجنا وقيدا واشتياقا وغربة * ونأى حبيب ان ذا لعظيم
وان امرأ دامت مواثيق عهده * على مثل هذا انه لكريم

فانه لما طال الكلام بين اسم إن وخبرها أعيدت ان مرة ثانية لان تقدير الكلام وان امرأ دامت مواثيق عهده على مثل هذا لكريم لكن بين الاسم والخبر مدى طويل فاذا لم تعد أن مرة ثانية لم يأت على الكلام بهجة ولا رونق وهذا لا يتنبه لاستعماله الا الفصحاء اما طبعا واما علما (وكذلك يجري الامر) إذا كان خبران عاملا في معمول يطول ذكره فان اعادة الخبر ثانية هو الاحسن وعلى هذا جاء قوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام اذقال يوسف لأبيه ياأبت اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين فلما قال اني رأيت ثم طال الفصل كان الاحسن أن يعيد لفظ الرؤية فيقول رأيتهم لي ساجدين وكذلك جاءت الآية المذكورة ههنا قبل هذه وهي قوله تعالى لاتحسبن الذين يفرحون بما أتوا فانه لما طال الفصل أعاد قوله فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب فاعلم ذلك وضع يدك عليه وكذلك الآية التي قبلها وهي قوله تعالى ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة وكذلك الآية الاخرى وهي ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد مافتنوا (ومن باب التكرير في اللفظ والمعنى الدال على معنى واحد قوله عز وجل وقال الذي آمن ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ياقوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار فانه انما كرر نداء قومه ههنا لزيادة التنبيه لهم والايقاظ عن سنة الغفلة ولانهم قومه وعشيرته وهم فيمايوبقهم من الضلال وهو يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه واجبة فهو يتحزن لهم ويتلطف بهم ويستدعي بذلك أن لايتهموه فان سرورهم سروره وغمهم غمه وأن ينزلوا على نصيحته لهم وهذا من التكرير الذي هو أبلغ من الايجاز وأشد موقعا من الاختصار فاعرفه ان شاء الله تعالى (وعلى نحو منه) جاء قوله تعالى في سورة القمر فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر

يرعف ويقولون (ماعسيت) ان أصنع والأجود ماعسيت ويقولون فسد (فسد) الشيء والاجود قد فسد ويقولون قد (ضننت) فأنا أضن والأجود ضننت فأنا أضن ويقولون (طهرت المرأة) والأجود طهرت تطهر و (سخن) الماء والأجود سخن يسخن ويقولون (طر) شاربه والأجود طرشاربه ويقولون (أصابه) سهم غرب والأجود غرب (والشمع) والأجود الشمع ويقولون (بفيه حفر) والاجود حفر ساكنة ويقولون للعالم (حبر) والاجود حبر ويقولون (صفر) والاجود صفر ويقولون أنت مني على (ذكر) والاجود على ذكر ويقولون قطعت يده على (السرق) والاجود السرق ويقولون (قمع) والاجود قمع (وضلع) والاجود ضلع و (نطع) والاجود نطع وفلان حسن (الجوار) والجوار أجود ويقولون أوطأته (العشوة) بالفتح والعشوة والعشوة أجود والكسائي لا يعرف الفتح فيها ويقولون (رفقة) والاجود رفقة ويقولون (حصبة) والاجود حصبة (وفطنة) والاجود فطنة (وكلمة) والاجود كلمة (وسفلة) الناس والاجود سفلة (وضبنة الرجل) والاجود ضبنة (ومعدة) والاجود معدة (ولبنة) والاجود لبنة ويقولون هو (فصيح اللهجة) والاجود اللهجة وهو في (منعة) والاجود منعة ويقولون (دجاجة ودجاج) والاجود دجاجة ودجاج يقولون (سداد) من عوز والاجود سداد ويقولون (خوان)

فانه قد تكرر ذلك في السورة كثيرا وفائدته أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين اذكاراً وايقاظاوان يستأنفوا تنبها واستيقاظا إذا سمعوا الحث على ذلك البعث اليه وأن تقرع لهم العصا مرات لئلا يغلبهم السهو وتستولى عليهم الغفلة وهكذا حكم التكرير في قوله تعالى في سورة الرحمن فبأى آلاء ربكما تكذبان وذلك عند كل نعمة عددها على عباده وأمثال هذا في القرآن الكريم كثير (ومما ورد) من هذا النوع شعرا قول بعض شعراء الحماسة

الى معدن العز المؤثل والندى * هناك هناك الفضل والخلق الجزل

فقوله هناك هناك من التكرير الذى هو أبلغ من الايجاز لأنه في معرض مدح فهو يقرر في نفس السامع ماعند الممدوح من هذه الأوصاف المذكورة مشيرا اليها كأنه قال أدلكم على معدن كذا وكذا ومقره ومفاده وكذلك ورد قول المساور بن هند

جزى الله عنى غالبا من عشيرة * إذا حدثان الدهر نابت نوائبه

فكم دافعوا من كربة قد تلاحمت * على وموج قد علتنى غواربه

فصدر البيت الثانى وعجزه يدلان على معنى واحد لان تلاحم الكرب عليه كتعالى الموج من فوقه وانما سوغ ذلك لأنه مقام مدح واطراء ألا ترى أنه يصف احسان هؤلاء القوم عند حدثان دهره في التكرير وفى قبالته لو كان القائل هاجيا فان الهجاء في هذا كالمدح والتكرير انما يحسن في كلا الطرفين لافى الوسط (واعلم) أنه اذا وردت ان المكسورة الخففة بعد ما كانت بمعناها سواء ألا ترى إلى قوله تعالى ان هم الا كالأنعام فان وما بمعنى واحد واذا أوردت من بعد ما كانت من باب التكرير كقولنا ماان يكون كذا وكذا أى ما ما يكون كذا وكذا واذا وردت في الكلام فانما ترد في مثل ما أشرنا اليه من التكرير فان استعملت في غيرما يكون منها لفائدة ينتجها تكريرها كان استعمالها لغوا لا فائدة فيه وقد زعم قوم من مدعى هذه الصناعة أن أبا الطيب المتنبي أتى في هذا البيت بتكرير لاحاجة به اليه وهو قوله

العارض الهتن ابن العارض الهتن ابن العارض الهتن ابن العارض الهتن

وليس في هذا البيت من تكرير فانه كقولك الموصوف بكذا وكذا ابن الموصوف بكذا وكذا أى انه عريق النسب في هذا الوصف (وقد ورد) في الحديث النبوى مثل ذلك كقول النبي صلى الله عليه وسلم في وصف يوسف الصديق عليه السلام الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم (ولقد فاوضنى في هذا البيت المشار اليه) بعض علماء الادب وأخذ يطعن فيه من جهة تكراره فوقفته على مواضع الصواب منه وعرفته أنه كالخبر النبوى من جهة المعنى سواء بسواء لكن لفظه ليس بمرضى على هذا الوجه الذى قد استعمل فيه فان الالفاظ اذا كانت حسانا في حال انفرادها فان استعمالها في حال التركيب يزيدها حسنا على حسنها أويذهب ذلك الحسن عنها وقد تقدم الكلام على ذلك في المقالة الاولى من الصناعة اللفظية ولوتهيأ لابى الطيب المتنبي أن يبدل لفظة العارض بلفظة السحاب أوما يجرى مجراها لكان أحسن وكذلك لفظة الهتن فانها ليست بمرضية في هذا الموضع على هذا الوجه ولفظة العارض وان كانت قد وردت في القرآن وهى لفظة حسنة فالفرق بين

كذا والاجود دلالتك ويقولون (الخفارة) والاجود الخفارة ويقولون عليه (طلاوة) والاجود طلاوة ويقولون (مرقاة ومسقاة) والاجود مرقاة ومسقاة ويقولون (الرامك) لضرب من الطيب والاجود رامك ويقولون [يوم (الأربعاء) والاجود الأربعاء بكسر الباء ويقولون (طنفسة) وطنفسة بكسر الطاء أجود ويقولون (برقع) والاجود برقع ويقولون (الرضاع) والرضاع أجود ويقولون (الرصاص) والرصاص أجود ويقولون (الحصاد) والحصاد أجود ويقولون (سوار) المرأة والسوار أجود ويقولون (قصاص الشعر) وقصاص أجود ويقولون (فص الخاتم) وفص الخاتم أجود ويقولون (نصحتك وشكرتك) والاجود نصحت لك وشكرت لك قال الله تعالى اشكرلى ولوالديك وقال عز اسمه وأنصح لكم وقال النابغة في اللغة الأخرى

نصحت بنى عوف فلم يتقبلوا رسولى ولم تنجح لديهم وسائلى ويقولون بينا نحن كذلك (اذ جاء فلان) والاجود جاء فلان بطرح اذ ويقولون فلان (أحيل) من فلان من الحيلة والاجود أحول لان أصل الحرف الواو ومنه ووردوها

الحول والقوة وأصل الياء فى الحيلة الواو قلبت للكسرة ياء وقد يقال أحيل من فلان وهى رديئة و يقولون (ضربة لازم) والاجود لازب واللازب الثابت قال الله تعالى من طين لازب و يقولون للمرأة هذه (٢٣٩) (زوجة الرجل) والاجود زوج

وورودها فى القرآن الكريم وورودها فى هذا البيت الشعرى ظاهر وقد تقدم الكلام على مثلها من آية و بيت لأبى الطيب أيضا وهو فى المقالة اللفظية عند الكلام على الالفاظ المفردة فليؤخذ من هناك وكثيرا مايقع الجهال فى مثل هذه المواضع وهم الذين قيل فيهم

وكذا كل أخى حذلقة * ماشى فى يابس الازلاق

فترى أحدهم قد جمع نفسه وظن على جهله أنه عالم فيسرع فى وصف كلام بالايجاز وكلام بالتطويل أو بالتكرير وإذا طولب بأن يبدى سببا لما ذكره لايوجد عنده من القول شىء الا تحكما محضا صادرا عن جهل محض (الضرب الثانى من التكرير فى اللفظ والمعنى) وهو غير المفيد فمن ذلك قول مروان الاصغر

سقى الله نجدا والسلام على نجد * ويا حبذا نجد على النأى والبعد
نظرت الى نجد و بغداد دونها * لعلى أرى نجدا وهيهات من نجد

وهذا من العى الضعيف فانه كرر ذكر نجد فى البيت الأول ثلاثا وفى البيت الثانى ثلاثا ومراده فى الأول الثناء على نجد وفى الثانى أنه تلفت اليها ناظرا من بغداد وذلك مرمى بعيد وهذا المعنى لايحتاج الى مثل هذا التكرير أما البيت الاول فيحمل على الجائز من التكرير لانه مقام تشوق وتحرق وموجدة بفراق نجد ولما كان كذلك أجيز فيه التكرير على أنه قد كان يمكنه أن يصوغ هذا المعنى الوارد فى البيتين معا من غير أن يأتى بهذا التكرير المتتابع ست مرات (وعلى هذا الاسلوب) ورد قول أبى نواس

أقمنا بها يوما ويوما وثالثا * ويوما له يوم الترحل خامس

ومراده من ذلك أنهم أقاموا بها أربعة أيام ويا عجباله يأتى بمثل هذا البيت السخيف الدال على العى الفاحش فى ضمن تلك الابيات العجيبة الحسن التى تقدم ذكرها فى باب الايجاز وهى * ودار ندامى عطلوها وأدلجوا * (ومن هذا الباب أيضا) ما أوردناه فى صدر هذا النوع وهو قول أبى الطيب المتنبى ولم أر مثل جيرانى ومثلى * لمثلى عند مثلهم مقام فهذا هو التكرير الفاحش الذى يؤثر فى الكلام نقصا ألاترى أنه يقول لم أر مثل جيرانى فى سوء الجوار ولا مثلى فى مصابرتهم ومقامى عندهم أنه قد كرر هذا المعنى فى البيت مرتين وعلى نحو من ذلك جاء قوله أيضا

وقلقلت بالهم الذى قلقل الحشى * قلاقل عيس كلهن قلاقل

(وأما القسم الثانى من التكرير) وهو الذى يوجد فى المعنى دون اللفظ (فذلك ضربان) مفيد وغير مفيد (الضرب الاول المفيد وهو فرعان الاول) إذا كان التكرير فى المعنى يدل على معنيين مختلفين وهو موضع من التكرير مشكل لانه يسبق الى الوهم أنه تكرير يدل على معنى واحد (فمما جاء منه) حديث حاطب بن أبى بلتعة فى غزوة الفتح وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر على بن أبى طالب والزبير والمقداد رضى الله عنهم فقال اذهبوا الى روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فأتونى به قال على رضى الله عنه فخرجنا تتعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة واذا فيها الظعينة فأخذنا الكتاب من عقاصها وأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا هو من حاطب ابن أبى بلتعة الى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له

قال الله تعالى امسك عليك زوجك ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وزوجة قليلة قال الفرزدق

فان الذى يسعى ليفسد زوجتى
كساع الى أسد الشرى يستبيلها

و يقولون هو ابن عمى (دنيه) ودنيا أجود و يقال دنيا أيضا قال النابغة

بنو عمه دنيا وعمرو بن عامر
أولئك قوم بأسهم غير كاذب

و يقولون (انتقع) لونه وامتقع بالميم أجود

﴿ باب مايغير من أسماء الناس ﴾

هو (وهب) مسكن الهاء ولا يفتح وهو (ظبيان) مفتوح الظاء ولا يكسر وهو (علوان) بفتح العين ولا يضم وهو (كسرى) بكسر الكاف ولا يفتح وهو (دحية الكلبى) بفتح الدال قول الاصمعى وحده وعند (جهينة) الخبر اليقين ولا يعرف جهينة ولا جعينه الاصمعى هو (بخت نصر) هكذا سمعت قرة بن خالد يقول وغيره من المسان وهو (أبو الهزم) بكسر الزاى (وعاصم بن أبى النجود) بفتح النون (وابن أبى العروبة) بالألف واللام وهو (أبو مجلز) بكسر الميم (وشرحبيل) وهم (الحبطات) بكسر الباء لأنهم ولد الحرث الحبط فاذا نسبت قلت حبطى ففتحت الباء وهو (ابن الجلندى) بفتح اللام وهو

ماهذا ياحاطب فقال يارسول الله لا تعجل على انى كنت امرأ ملصقا فى قريش ولم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابة يحمون بها أموالهم وأهليهم بمكة فأحببت اذفاتنى ذلك من النسب أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتى ومافعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن دينى ولا رضا بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه قد صدقكم فقوله مافعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن دينى ولا رضا بالكفر بعد الاسلام من التكرير الحسن و بعض الجهال يظنه تكريرا لا فائدة فيه فان الكفر والارتداد عن الدين سواء وكذلك الرضا بالكفر بعد الاسلام وليس كذلك والذى يدل عليه اللفظ هو أنى لم أفعل ذلك وأنا كافر أى باق على الكفر ولا مرتدا أى انى كفرت بعد اسلامى ولا رضا بالكفر بعد الاسلام أى ولا ايثارا لجانب الكفار على جانب المسلمين وهذا حسن فى مكانه واقع فى موقعه وقد يحمل التكرير فيه على غير هذا الفرع الذى نحن بصدد ذكره ههنا وهو الذى يكون التكرير فيه يدل على معنى واحد وسيأتى بيانه فى الفرع الثانى الذى يلى هذا الفرع الأول والذى يجوزه أن هذا المقام هو مقام اعتذار وتنصل عما رمى به من تلك القارعة العظيمة التى هى نفاق وكفر فكرر المعنى فى اعتذاره قصدا للتأكيد والتقرير لما ينفى عنه مارمى به (ومما ينتظم بهذا السلك) أنه إذا كان التكرير فى المعنى يدل على معنيين أحدهما خاص والآخر عام كقوله تعالى ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر فان الأمر بالمعروف داخل تحت الدعاء الى الخير لأن الأمر بالمعروف خاص والخير عام فكل أمر بالمعروف خير وليس كل خير أمرا بالمعروف وذاك أن الخير أنواع كثيرة من جملتها الامر بالمعروف ففائدة التكرير ههنا أنه ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضله كقوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وكقوله تعالى فيهما فاكهة ونخل ورمان وكقوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والأرض والجبال فابين أن يحملنها فان الجبال داخلة فى جملة الارض لكن لفظ الارض عام والجبال خاص وفائدته ههنا تعظيم شأن الامانة المشار اليها وتفخيم أمرها وقد ورد هذا فى القرآن الكريم كثيرا ومما ورد منه شعرا قول من أبيات الحماسة

وان الذى بينى و بين بنى أبى * و بين بنى عمى لمختلف جدا
اذا أكلوا لحمى وفرت لحومهم * وان هدموا مجدى بنيت لهم مجدا
وان ضيعوا غيبى حفظت غيوبهم * وان هم هووا غيى هويت لهم رشدا

فهذا من الخاص والعام فان كل لحم يؤكل للانسان فهو تضييع لغيبه وليس كل تضييع لغيبه أكلا للحمه ألا ترى أن أكل اللحم هو كناية عن الاغتياب وأما تضييع الغيب فمنه الاغتياب ومنه التخلى عن النصرة والاعانة ومنه اهمال السعى فى كل مايعود بالنفع كائنا ما كان وعلى هذا فان هذين البيتين من الخاص والعام المشار اليه فى الآية المقدم ذكرها وهو موضع يرد فى الكلام البليغ و يظن أنه لا فائدة فيه (الفرع الثانى) إذا كان التكرير فى المعنى يدل على معنى واحد لا غير وقد سبق مثال ذلك فى أول هذا الباب كقولك أطعنى ولا تعصنى فان الامر بالطاعة نهى عن المعصية والفائدة فى ذلك تثبيت الطاعة فى نفس المخاطب والكلام فى هذا الموضع كالكلام فى الموضع الذى قبله من تكرير اللفظ والمعنى اذا كان الغرض به شيئا واحدا ولا نجد شيئا من ذلك يأتى فى الكلام الا لتأكيد الغرض المقصود به كقوله تعالى ياأيها الذين آمنوا ان

(ابن عبد القارى) بالتنوين منسوب الى القارة ولا يضاف وهو فلان (السحتنى) منسوب الى سحتن قبيلة باليمن او بلد وهو (عامر بن ضبارة) بالفتح ولا يضم وهو (الجلودى) بفتح الجيم منسوب الى جلود وأحسبها قرية بافريقية (وفرافصة) بضم أوله ولا يفتح وهو (رؤبة ابن العجاج) بالهمز (والسموأل بن عاد ياء) بالهمز (وأبو جزء) بالهمز (وعامر بن لؤى) بالهمز (ورئاب) بالهمز (وهلال ابن اساف) وهو (مهنأ) و(أزدشنوءة) و (طيء) وهم (بنو عبذالله) ولا يقال عائذالله (و بنو عائش) ولا يقال بنو عيش (ومكنف) بالضم وكسر النون (وهو موهب وحرى) مشدد الياء والراء كأنه نسب الى الحر ويقال (ذبيان وذبيان) وهى (ريطة) بلا ألف (وعائشة) بألف (والدول) فى حنيفة و(الديل) فى عبدالقيس و(الدئل) من كنانة واليهم نسب أبو الاسود الدؤلى ابن الكلبى (وسدس) فى شيبان بالفتح وسدوس فى طيء بالضم قال الاصمعى اسم الرجل سدوس بالضم والسدوس الطيلسان بالفتح قال غير واحد غلط الاصمعى السدوس الطيالسة واسم الرجل سدوس بالفتح وأنشد أبو عبيدة

وداويتها حتى شتت حبشية * كأن عليها سندسا وسدوسا

هكذا أنشده أبو عبيدة وغيره و يقولون (بستان بن عامر) وانما هو بستان بن معمر قال الاصمعى سألت ابن أبى طرفة عن المسد فى شعر الهذلى من

ألفيت اغلب من أسد المسد حديد الناب أخذته عفر فتطريح

فقال هو بستان بن معمر

من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم فانه انما كرر العفو والصفح والمغفرة والجميع بمعنى واحد للزيادة فى تحسين عفو الوالد عن ولده والزوج عن زوجته وهذا وأمثاله ينظر فى الغرض المقصود به وهو موضع يكون التكرير فيه أوجز من لمحة الايجاز وأولى بالاستعمال (وقد ورد) فى القرآن الكريم كثيرا كقوله تعالى فى سورة يوسف عليه السلام قال انما أشكو بثى وحزنى الى الله وأعلم من الله مالا تعلمون فان البث والحزن بمعنى واحد وانما كرره ههنا لشدة الخطب النازل به وتكاثر سهامه النافذة فى قلبه وهذا المعنى كالذى قبله وكذلك ورد قوله تعالى تلك عشرة كاملة بعد ثلاثة وسبعة تنوب مناب قوله ثلاثة وسبعة مرتين لان عشرة هى ثلاثه وسبعة ثم قال كاملة وذلك توكيد ثالث والمراد به ايجاب صوم الأيام السبعة عند الرجوع فى الطريق على الفور لا عند الوصول إلى البلد كما ذهب اليه بعض الفقهاء وبيانه أنى أقول إذا صدر الامر من الآمر على المأمور بلفظ التكرير مجردا من قرينة تخرجه عن وصفه ولم يكن موقتا بوقت معين كان ذلك حثا له على المبادرة إلى امتثال الأمر على الفور فانك اذا قلت لمن تأمره بالقيام قم قم قم فانما تريد بهذا اللفظ المكرر أن يبادر إلى القيام فى تلك الحال الحاضرة (فان قلت) الغرض بتكرير الأمر أن يتكرر فى نفس المأمور أنه مراد منه وليس الغرض الحث على المبادرة إلى امتثال الأمر (قلت فى الجواب) ان المرة الواحدة كافية فى معرفة المأمور أن الذى أمر به مراد منه والزيادة على المرة الواحدة لاتخلو اما أن تكون دالة على مادلت عليه المرة الواحدة أو دالة على زيادة معنى لم تكن فى المرة الواحدة فان كانت دالة على مادلت عليه المرة الواحدة كان ذلك تطويلا فى الكلام لاحاجة اليه وقد ورد مثله فى القرآن الكريم كهذه الآية المشار اليها وغيرها من الآيات والتطويل فى الكلام عيب فاحش عند البلغاء والفصحاء والقرآن معجز ببلاغته وفصاحته فكيف يكون فيه تطويل لاحاجة اليه فينبغى أن تكون تلك الزيادة دالة على معنى زائد على مادلت عليه المرة الواحدة واذا ثبت هذا فتلك الزيادة هى الحث على المبادرة إلى امتثال الأمر فان سلمت لى ذلك والا فبين معنى تلك الزيادة ببيان غير ماذكرته أنا ولا أراك أن تستطيع ذلك (فان قلت) ان الواو فى قوله تعالى وسبعة إذا رجعتم لولا أن تؤكد بقوله تلك عشرة لظن أنها وردت بمعنى أو أى فثلاثة أيام فى الحج أو سبعة إذا رجعتم فلما قيل تلك عشرة زال هذا الظن وتحققت الواو أنها عاطفة وليست بمعنى أو (قلت فى الجواب) هذا باطل من أربعة أوجه الوجه الاول أن الواو العاطفة لاتجعل بمعنى أو أين وردت من الكلام وانما تجعل بمعنى أو حال ضرورة ترجيح جانبها على جانب جعلها عاطفة لان الاصل فيها أن تكون عاطفة فاذا عدل بها عن أصلها احتاج إلى ترجيح ولا ترجيح ههنا الوجه الثانى بلاغى وذلك أن القرآن الكريم منتهى البلاغة والفصاحة لمكان اعجازه فلو كان معنى الواو فى هذه الآية بمعنى أو لقيل فثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم ولم يحتج إلى هذا التطويل فى قوله فثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة الوجه الثالث أن هذا الصوم حكم من أحكام العبادات والعبادات يجب فيها الاحتياط أن تؤدى على أكمل صورة لئلا يدخلها النقص واذا كان الامر على ذلك فكيف يظن أن الواو فى هذه الآية بمعنى أو والوجه الرابع أن السبعة ليست مماثلة للثلاثة حتى تجعل فى قبالتها لان معنى الآية اذا كانت الواو فيها بمعنى أو اما أن تصوموا ثلاثة أيام فى الحج أو سبعة إذا

وانما أجازوا فى النسب بصرى لذلك وهى (كفرتوثى) ساكنة الفاء ولا تفتح والكفر القرية ومنه قيل أهل الكفور هم أهل القبور وهو مرج (القلعة) بفتح اللام ولا تسكن وهى (طرسوس) و(سلعوس) و (سفوان) و (برهوت) باليمن كل ذلك بفتح ثانيه (والنهروان) بفتح الراء والنون (ودمشق) بفتح الميم (وفلسطين) بكسر الفاء (وارمينية) بكسر الألف (وفلان ارمنى) بكسر الألف والميم وهو (العمق) للنزل بطريق مكة بفتح الميم ولا تضم (والمسلح) بفتح الميم (وأفاعية) و (أسنمة) جبل بقرب طخفة وهى (الابلة) بضم الهمزة (وقطربل) بضم القاف وتشديد الباء وهى (الاردن) بضم الهمزة وتشديد النون (والحوأب) المنهل الذى تسميه العامة الحوب يقال نبحتها كلاب الحوأب بفتح الحاء وتسكين الواو وهمزة مفتوحة بعدها وهى (رأس عين) ولا يقال رأس العين وهو من أهل (برك) و(نعام) بكسر الباء من برك وهما موضعان من أطراف اليمن

 وهى (السيلحون) بنصب اللام (والخورنق) تفسيره خرنقاه أى الموضع الذى يأكل فيه الملك ويشرب (والسدير) سهدلى كان له ثلاث شعب (وطبرستان) بالفارسية معناه أخذه الفاس كأنه

لأشبه لم يوصل اليه حتى قطع شجره وكان الأصمعى لايقول (بغداد) وينهى عن ذلك ويقول مدينة السلام لانه سمع فى الحديث أن بغ صنم وداد عطية بالفارسية كأنها عطية الصنم وهذا آخر كتاب تقويم اللسان والحمد لله رب العالمين

رجعتم (فان قلت) هذا تعبد لايعقل معناه كغيره من التعبدات التى لايعقل معناها (قلت فى الجواب) ان لنا من التعبدات مالايعقل معناه كعدد ركعات الصلوات وعدد الطواف والسعى وأشباه ذلك ولنا مايعقل معناه كهذه الآية فانا نعقل التفاوت بين الصوم فى الحضر والسفر ونعقل التفاوت بين العدد الكثير والعدد القليل وعلى هذا فلايخلو اما أن يكون صوم الايام السبعة عند الرجوع فى الطريق أو عند الوصول إلى البلد فان كان فى الطريق فانه أشق من الصوم بمكة لان الصوم فى السفر أشق من الصوم فى الحضر فكيف يجعل صوم سبعة أيام فى السفر فى مقابلة صوم ثلاثة أيام بمكة وان كان الصوم عند الوصول إلى البلد فلافرق بين الصوم بمكة والصوم عند الوصول إلى البلد لأن كليهما صوم فى المقام ببلد من البلاد لاتفاوت بينهما حتى يجعل صوم ثلاثة أيام فى مقابلة سبعة أيام على غير مثال ولاتساو فعلى كلا التقديرين لايجوز أن تكون الواو فى سبعة إذا رجعتم بمعنى أو فتحقق اذاً أنها للعطف خاصة واذا كانت للعطف خاصة فتأكيدها بعشرة كاملة دليل على أن المراد وجود صوم الأيام السبعة فى الطريق قبل الوصول الى البلد (فان قلت) ان الصوم بمكة أشق من الصوم فى الطريق لأن الواجب عليه الصوم بمكة فى نصب وتعب بتصريف زمانه فى السعى والطواف والصلاة والعمرة وغير ذلك (قلت فى الجواب) هذا لايلزم اذ الواجب عليه سعى واحد وطواف واحد لاغير وماعدا ذلك نافلة لايلزم ونحن فى هذا المقام ناظرون إلى مايجب لا إلى النافلة والذى يجب أداؤه بمكة يفرغ منه فى ساعة واحدة فكيف تجعل الزيادة على ذلك دليلا يورد فى هذا المقام هذا غير وارد وهذا ورد قوله تعالى فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير فقوله غير يسير بعد قوله عسير من هذا النوع المشار اليه والا فقد علم أن العسير لايكون يسيرا وانما ذكرهمنا على هذا الوجه لتعظيم شأن ذلك اليوم فى عسره وشدته على الكافرين وكذلك ورد قوله تعالى قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده فان البغضاء والعداوة بمعنى واحد وانما حسن ايرادهما معا فى معرض واحد لتأكيد البراءة بين ابراهيم صلوات الله عليه والذين آمنوا به وبين الكفار من قومهم حيث لم يؤمنوا بالله وحده وللمبالغة فى اظهار القطيعة والمصارمة وورد مثل ذلك فى مثل هذا الموضع كالايجاز فى موضعه ولن ترى شيئا يرد فى القرآن الكريم من هذا القبيل الا وهو لامر اقتضاه وان خفى عنك موضع السر فيه فاسأل عنه أهله العارفين به (ومما ورد منه شعرا) قول بعضهم فى أبيات الحماسة

نزلت على آل المهلب شاتيا * بعيدا عن الأوطان فى زمن المحل

فما زال بى اكرامهم وافتقادهم * واحسانهم حتى حسبتهم أهلى

فان الاكرام والافتقاد داخلان تحت الاحسان وانما كرر ذلك للتنويه بذكر الصنيع والايجاب لحقه وعلى هذا ورد قول الاعشى فى قصيدته المشهورة التى يمدح بها النبى ﷺ فقال منها

فآليت لاأرثى لها من كلالة * ولا من وجى حتى تلاقى محمدا

فان الوجى والكلالة معناهما سواء وانما حسن تكريره ههنا للاشعار ببعد المسافة (الضرب الثانى من القسم الثانى) فى تكرير المعنى دون اللفظ وهو غير المفيد فمن ذلك قول أبى تمام

﴿كتاب الابنية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿باب فعلت وأفعلت باتفاق المعنى﴾

(جد) فلان فى أمره و(أجد) يقال فلان جاد مجد (لاق) الدواة و(الاقها) الفراء (ضاء) القمر و(أضاء) وأنشد غيره للعباس بن عبد المطلب عليه السلام يمدح النبى صلى الله وسلم عليه وعلى آله

وأنت لما ظهرت أشرقت الار * ض وضاءت بنورك الافق

قال الفراء و(أوحى) و(وحى) و(أومأ) و(ومأ) وقال غيره (محضته) الود و(أمحضته) (سلكته) و(أسلكته) قال الله عز وجل ماسلككم فى سقر وقال الهذلى

حتى اذا أسلكوهم فى قتائدة * شلا كما تطرد الجمالة الشردا

(عمر) الله بك دارك و(أعمرها) (أمر) الله ماله و(آمره) (نضر) الله وجهه و(أنضره) (مددت) الدواة و(أمددتها) و(أمددته) بالرجال لاغير (خلف) الله عليك بخير و(أخلف) (نهج) الثوب و(أنهج) اذا بلى و(سكت) القوم و(أسكتوا) و(صمتوا) و(أصمتوا) (خلق) الثوب و(أخلق) (سمح) الرجل و(أسمح) (قسم) الكتاب و(أقسم) (عم) اذا درس (ينعت) الثمرة و(أينعت) (نسل) الوبر و(أنسل) اذا وقع (سندت) فى الجبل

وأسندت (قطرت) عليه الماء وأقطرت (خلد) إلى الارض و (أخلد) إذا ركن (عصفت) الريح وأعصفت (طلعت) على القوم وأطلعت (نزفت) البئر وأنزفتها (جلب) الجرح و(أجلب) إذا صارت عليه جلبة قشرة يابسة (قدعته) و (أقدعته) أى كففته (فتنته) وأفتنته (ساس) الطعام و (أساس) إذا سوس و (داد) و (أداد) إذا دود (وسريت) وأسريت (كنبت) يداه و(أكنبت) إذا اشتدت وغلظت (سؤت) به ظنا و(أسأت) به ظنا (قتر الرجل) و (أقتر) إذا قل ماله (حققت الامر) و (أحققته) و (هرقت الماء) و(أهرقته) (بتت) البيع وأبتته (زها) البسر وأزهى (شنقت) القربة و (أشنقتها) إذا شددت رأسها (قصر) عنه وأقصر (زكا) الزرع وأزكى (جمت) الدابة والركية واجمت (قلته) البيع وأقلته (سار) الدابة وأسارها (مطرنا) و (أمطرنا) أبو عبيدة يفرق بينهما (غسا الليل) يغسو و(أغسى) إذا أظلم (حشمته) و (أحشمته) اذا غضبته (زننت) به خيرا وأزننت (جهده) السير وأجهده (جرمت) و (أجرمت) من الجرم (خلا) المكان وأخلا (عسرت) الرجل (أعسرت) إذا طلبت الدين منه على عسرة (خفق) الطائر بجناحيه وأخفق (سفقت) الباب وأسفقته (ثاب) جسمه و (أثاب) أى رجع (أجرت) الغلام وآجرته (ذرت) الريح وأذرت (لغطوا) و (ألغطوا) و (ضجوا) وأضجوا (نبت) البقل وأنبت (رجنت) الشاة وأرجنت (ثرى) الرجل و (أثرى) إذا أيسر

قسم الزمان ربوعها بين الصبا * وقبولها ودبورها أثلاثا

فان الصبا هى القبول وليس ذلك مثل التكرير فى قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى فيما يرجع الى تكرير اللفظ والمعنى ولا مثل التكرير فى قوله تعالى ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف فيما يرجع إلى تكرير المعنى دون اللفظ وقول أبى تمام الصبا والقبول لا يشتمل إلا على معنى واحد لا غير وهذا الضرب من التكرير قد خبط فيه علماء البيان خبطا كثيرا والاكثر منهم أجازه فقالوا إذا كانت الالفاظ متغايرة والمعنى المعبر عنه واحدا فليس استعمال ذلك بمعيب وهذا القول فيه نظر والذى عندى فيه ان الناثر يعاب على استعماله مطلقا إذا أتى لغير فائدة وأما الناظم فانه يعاب عليه فى موضع دون موضع أما الموضع الذى يعاب استعماله فيه فهو صدور الابيات الشعرية وما والاها وأما الموضع الذى لا يعاب استعماله فيه فهو الاعجاز من الابيات لمكان القافية وانما جاز ذلك ولم يكن عيبا لانه قافية والشاعر مضطر اليها والمضطر يحل له ما حرم عليه كقول امرىء القيس فى قصيدته اللامية التى مطلعها ألا انعم صباحا أيها الطلل البالى * فقال

وهل ينعمن الا سعيد مخلد * قليل الهموم لا يبيت بأوجال

وإذا كان قليل الهموم فانه لا يبيت بأوجال وهذا تكرير للمعنى الا أنه ليس بمعيب لأنه قافية وكذلك ورد قول الحطيئة

قالت أمامة لا تجزع فقلت لها * ان العزاء وان الصبر قد غلبا
هلا التمست لنا ان كنت صادقة * مالا نعيش به فى الناس أو نشبا

فالبيت الأول معيب لانه كرر العزاء والصبر اذ معناهما واحد ولم يرد قافية لان القافية هى الباء وأما البيت الثانى فليس بمعيب لأن التكرير جاء فى النشب وهو قافية (ومما يجرى هذا المجرى) قول المنخل اليشكرى

ولقد دخلت على الفتا * ة الخدر فى اليوم المطير
الكاعب الحسناء تر * فل فى الدمقس وفى الحرير

فان الدمقس والحرير سواء وقد ورد قافية فلا بأس به من أجل ذلك (فان قيل) ان الحرير هو الابريسم المنسوج بدليل قوله تعالى وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا فانه لم يرد خيوط ابريسم وانما أراد أثوابا من الابريسم وأما الدمقس فانه خيوط الابريسم محلولة بدليل قول امرىء القيس * وشحم كهداب الدمقس المفتل فانه لم يرد ابريسما منسوجا وانما أراد خيوط الابريسم (فالجواب عن ذلك) أنه لو حمل بيت المنخل على ذلك لفسد معناه لأن المرأة لا ترفل فى خيوط من الابريسم وانما ترفل فى الأثواب منه وأما قول امرىء القيس كهداب الدمقس فانه لو كان الدمقس هو الخيوط المحلولة من الابريسم لما احتاج أن يقول كهداب فان الهداب جمع هدب ثم قال المفتل فدل بذلك على أن الدمقس يطلق على الابريسم سواء كان منسوجا أو غير منسوج وكذلك الحرير أيضا وعند الاستعمال يفهم المراد منه بالقرينة ألا ترى أنه لما قال المنخل ترفل فى الدمقس وفى الحرير فهم من ذلك أنه أراد أثوابا من الدمقس ومن الحرير لان الرفول لا يكون فى خيوط من الابريسم وانما يكون فى أثوابه (ومما يجرى على هذا النهج) قول الآخر من شعراء الحماسة

انى وان كان ابن عمى غائبا * لمقاذف من خلفه وورائه

فان خلفا ووراء بمعنى واحد وانما جاز تكرارهما لانهما قافية وعلى هذا ورد قول أبى تمام

دمن كأن البين أصبح طالبا * دمنا لدى آثارنا وحقودا

فان الدمنة هى الحقد وكذلك قول أبى الطيب المتنبى

بحر تعود أن يذم لأهله * من دهره وطوارق الحدثان
فتركته وإذا اذم من الورى * راعاك واستثنى بنى حمدان

فان الدهر وطوارق الحدثان سواء وانما جاز استعمال ذلك لانه قافية وأما ما ورد فى أثناء الأبيات الشعرية فكقول عنترة

حييت من طلل تقادم عهده * أقوى وأقفر بعد أم الهيثم

فقوله أقوى وأقفر من المعيب لانهما لفظان وردا بمعنى واحد لغير ضرورة إذ الضرورة لا تكون الا فى القافية كما أريتك (وأما ما ورد من صدور الابيات) فكقول البحترى فى قصيدته العينية

ألمت وهل المامها بك نافع * وزارت خيالا والعيون هواجع

فان قوله ألمت وقوله زارت خيالا سواء ولا فرق إذاً بين صدر البيت وعجزه ﴿فان قيل﴾ انه أراد بالالمام زيارة اليقظة ثم قال وزارت خيالا ﴿فالجواب عن ذلك﴾ أنه لم يرد الا زيارة المنام فى الحالتين لانه قال ألمت وهل المامها بك نافع ولو كان الالمام فى اليقظة لما قال وهل المامها بك نافع فانه لا نفع أنفع من زيارة المحبوب فى اليقظة وهذا غير خاف لا يحتاج الى السؤال عنه ﴿فان قيل﴾ لم أجزت ذلك للناظم وحظرته على الناثر (قلت فى الجواب) أما الناثر فانه إذا سجع كلامه فالغالب أن يأتى به مزدوجا على فقرتين من الفقر ويمكنه ابدال تلك الفقرتين بغيرها فيسلم منه وأما الشاعر فانه يصوغ قصيدا ذا أبيات متعددة على قافية من القوافى فاذا تكرر لديه شىء من الكلام فى آخر بيت من الابيات عسر ابداله من أجل القافية وهذا غير خاف والسؤال عنه غير وارد وهذا الذى ذكرته إذا ورد فى غير القافية سمى اخلالا ويقال ان البحترى كان يخلى كثيرا فى شعره وهو لعمرى كذلك الا أن حسن سبكه ورونق ديباجته يغفر له ذلك (ويروى عنه) أنه كان إذا مثل بين يدى الفتح بن خاقان وزير المتوكل مادحاله اختال بين يديه معجبا بنفسه فتقدم خطوات ثم تأخر وقال أى شىء تسمعون فنقم عليه ذلك بعض حسدته وحمل الفتح بن خاقان عليه فقال له الفتح لو رمانا بالحجارة لكان ذلك مغفورا له فيما يقوله (النوع الثامن عشر فى الاعتراض) وبعضهم يسميه الحشو وحده كل كلام أدخل فيه لفظ مفرد أو مركب لو أسقط لبقى الاول على حاله مثال ذلك أن تقول زيد قائم فهذا كلام مفيد وهو مبتدأ وخبر فاذا أدخلنا فيه لفظا مفردا قلنا زيد والله قائم ولو أزلنا القسم منه لبقى الأول على حاله وإذا أدخلنا فى هذا الكلام لفظا مركبا قلنا زيد على ما به من المرض قائم فأدخلنا بين المبتدأ والخبر لفظا مركبا وهو قولنا على ما به من المرض فهذا هو الاعتراض وهذا حده (واعلم) أن الجائز منه وغير الجائز انما يؤخذ من كتب العربية فانه يكون مستقصى فيها كالاعتراض بين القسم وجوابه وبين الصفة والموصوف وبين المعطوف والمعطوف عليه وأشباه ذلك مما يحسن استعماله وكالاعتراض بين المضاف والمضاف اليه وبين ان واسمها وبين حرف الجر ومجروره وأمثال ذلك مما يقبح استعماله وليس هذا مكانه لان كتابنا هذا موضوع لمن استكمل معرفة ذلك وغيره مما أشرنا اليه فى صدر الكتاب

(زحف) و(أزحف) إذا أعيا (سحته) الله و(أسحته) إذا استأصله وقرىء فيسحتكم وفيسحتكم (جاح) الله ماله وأجاحه (هديت) العروس وأهديتها (عرض) لك الخير وأعرض (حدت) المرأة وأحدت (فرزت) الشىء وأفرزته (عقم) الله رحمها وأعقمها (أحدق) القوم به وحدقوا (أوخفت) الخطمى ووخفته (دجنت) السماء وأدجنت (جلبوا) عليه و(أجلبوا) إذا صاحوا (لاذوا) به وألاذوا (وجرته) الدواء وأوجرته (صل) اللحم و(أصل) و(خم) وأخم (سعرنى) شرا وأسعرنى (مهرت) المرأة وأمهرتها (شار) العسل وأشاره (عذر) الغلام وأعذر (ضب) الرجل و(أضب) إذا سكت (صددت) الرجل وأصددته (صردت) السهم و(أصردته) إذا أنفذته (وعيت العلم) و(أوعيته) و(أوعيت المتاع) و(وفيت) بالعهد و(أوفيت) و(أوفيت) الكيل لا غير (غلت) و(أغلت) من الغلول (لحدت القبر) وألحدته (ولحد الرجل) فى الدين و(ألحد) وقرئت يلحدون ويُلحدون (بدأ الله) الخلق و(أبدأ) وقال الله عز وجل يبدىء ويعيد (بشرت الرجل) و(أبشرته) إذا بشرته (وبشرت الاديم) و(أبشرته) إذا قشرت ماعليه (قبل) وأقبل و(دبر) وأدبر (وقح الحافر) وأوقح و(جهشت) فى البكاء وأجهشت (أجمع) القوم رأيهم و(جمعوا) رأيهم (سمل الثوب) وأسمل (عفصت) القارورة

وأعفصتها (حل) من احرامه وأحل (بل) من مرضه (وأبل) أي نجا (ثويت) عنده وأثويت (منيت) و(أمنيت) من المنى (ومذيت) من
المذى وأمذيت (طافوا) به وأطافوا (حال) فى متن فرسه وأحال (صر) الفرس أذنه وأصر (صر) الطعام و(أصر)

الكتاب وليس المراد ههنا من الاعتراض إلا ما يفرق به بين الجيد والردىء لا ما يعلم به الجائز وغير الجائز لأن كتابى هذا موضوع لذكر ما يتضمنه الكلام على اختلاف أنواعه من وصفى الفصاحة والبلاغة فالذى اذكره فى باب الاعتراض انما هو ما اشتمل على شىء من هذين الوصفين المشار اليهما (واعلم أن الاعتراض ينقسم قسمين أحدهما) لا يأتى فى الكلام إلا لفائدة وهو جار مجرى التوكيد (والآخر) أن يأتى فى الكلام لغير فائدة فاما أن يكون دخوله فيه كخروجه منه واما أن يؤثر فى تأليفه نقصا وفى معناه فساداً (فالقسم الأول) وهو الذى يأتى فى الكلام لفائدة كقوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون ففى هذا الكلام اعتراضان أحدهما قوله وإنه لقسم لو تعلمون عظيم وذلك اعتراض بين القسم الذى هو فلا أقسم بمواقع النجوم و بين جوابه الذى هو إنه لقرآن كريم وفى نفس هذا الاعتراض اعتراض آخر بين الموصوف الذى هو قسم و بين صفته التى هى عظيم وهو قوله لو تعلمون فذلك اعتراضان كما ترى وفائدة هذا الاعتراض بين القسم وجوابه إنما هى تعظيم لشأن المقسم به فى نفس السامع ألا ترى إلى قوله لو تعلمون اعتراضا بين الموصوف والصفة وذلك الامر بحيث لو علم وفى حقه من التعظيم وهذا مثل قولنا إن هذا الأمر لعظيم بحيث لو تعلم يا فلان عظمه لقدرته حق قدره فان ذلك يكبر فى نفس المخاطب و يظل متطلعاً إلى معرفة عظمه (وكذلك) ورد قوله تعالى و يجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون وتقديره و يجعلون لله البنات ولهم ما يشتهون فاعترض بين المفعولين بسبحانه وهو مصدر يدل على التنزيل فكأنه قال و يجعلون لله البنات وهو منزه عن ذلك ولهم ما يشتهون وفائدة هذا الاعتراض ههنا ظاهرة (وكذلك) ورد قوله تعالى فى سورة يوسف عليه السلام قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الأرض وما كنا سارقين فقوله لقد علمتم اعتراض بين القسم وجوابه وفائدته تقرير اثبات البراءة من الفساد والنزاهة من تهمة السرقة أى انكم قد علمتم هذا منا ونحن مع علمكم به نقسم بالله على صدقه وقد ورد الاعتراض فى القرآن كثيرا وذلك فى كل موضع يتعلق بنوع من خصوصية المبالغة فى المعنى المقصود (ومن هذا القسم) قوله تعالى واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون فهذا الاعتراض بين إذا وجوابها لان تقدير الكلام و إذا بدلنا آية مكان آية قالوا انما أنت مفتر فاعترض بينهما بقوله تعالى والله أعلم بما ينزل وهو مبتدأ وخبر وفائدته اعلام القائلين أنه مفتر أن ذلك من الله وليس منه وأنه أعلم بذلك منهم (ومن هذا الباب) قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين ان اشكرلى ولوالديك ألا ترى الى هذا الاعتراض الذى قد طبق مفصل البلاغة وفائدته أنه لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الام من المشاق فى حمل الولد وفصاله ايجابا للتوصية بها وتذكيرا بحقها وانما خصها بالذكر دون الاب لانها تتكلف من أمر الولد مالا يتكلفه ومن ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم لمن قال له من أبر فقال أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك (ومما جاء على هذا الاسلوب) قوله عز وجل واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى و يريكم آياته لعلكم تعقلون فقوله والله مخرج ما كنتم تكتمون اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وفائدته أن يقرر فى نفوس المخاطبين وقلوب

و(قمت) بالقوم فى القتال وأوقمت (نويت) النوى و (أنويته) إذا أكلت التمر ورميت بالنوى (غمى) عليه وأغمى (مطت) عنه و(أمطت) تنحيت وكذلك (مطت) غيرى و(أمطت) هذا قول أبو زيد قال الاصمعى مطت أنا وأمطت غيرى لا غير (قمعت) الرجل وأقمعته (صعقتهم) السماء (وأصعقتهم) ألقت عليهم صاعقة (قمسته) فى الماء (وأقمسته) إذا غططته (حرمته) وأحرمته (مضنى) و(أمضنى) قال الاصمعى أمضنى بالألف لم يعرف غيره (صليت) الشىء فى النار وأصليته (نجوت) اللحم عن الجلد و(أنجيته) إذا قشرته (جلب) الجرح و (أجلب) إذا علته جلبة للبرء (وجننته) فى القبر وأجننته (ربعت) عليه الحمى و(أربعت) و(غبت) عليه الحمى وأغبت (رميت) على الخمسين و (أرميت) زدت (كلأت) الناقة

و (أكلأت) اذا أكلت الكلأ (حكمت) الفرس و (أحكمته) و (رسنته) وأرسنته (رحبت) الدار و (أرحبت)
اذا اتسعت (جهرت) بالقول وأجهرت (خسرت) الميزان و (أخسرته) نقصته (حصر) الرجل من الغائط

وأحصر (صقعت) الأرض و (أصقعت) من الصقيع (عند)العرق و(أعند) إذا سال بالدم وأكثر (لحيت)الغلام (والحيته)

إذا أوجرته الدواء(فرشته)فراشا وأفرشته(صرت) الى رأسه و(أصرته) إذا أملته (ضنأت) المرأة و(أضنأت)

السامعين أن تدارأ بنى اسرائيل فى قتل تلك النفس لم يكن نافعا لهم فى اخفائه وكتمانه لأن الله تعالى مظهر لذلك ولو جاء الكلام غير معترض فيه لكان وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اضربوه ببعضها ولا يخفى على البليغ الفرق بين ذلك و بين كونه معترضا فيه ومما ورد من ذلك شعرا قول امرىء القيس

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة * كفانى ولم أطلب قليل من المال

ولكنما أسعى لمجد مؤثل * وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى

تقديره كفانى قليل من المال فاعترض بين الفعل والفاعل بقوله ولم أطلب وفائدته تحقير المعيشة وأنها تحصل بغير طلب ولا عناء وانما الذى يحتاج الى الطلب هو المجد المؤثل (وكذلك) قول جرير

ولقد أرانى والجديد الى بلى * فى موكب طرف الحديث كرام

تقديره ولقد أرانى فى موكب طرف الحديث فاعترض بين المفعولين وانما جاء بهذا الاعتراض تعزيا عما مضى من تلك اللذة وذلك النعيم الذى فاز به من عشرة أولئك الأحباب ولقد أعهدنى فى كذا وكذا من اللذة وذلك قد مضى وسلف وبلى جديده وكذلك كل جديد فانه إلى بلى والاعتراض إذا كان هكذا كسا الكلام لطفا ان كان غزلا وكساه أبهة وجلالا إن كان مديحا أو ما يجرى مجراه من أساليب الكلام وان كان هجاء كساه تأكيدا واثباتا كقول كثير

لو ان الباخلين وأنت منهم * رأوك تعلموا منك المطالا

فقوله وأنت منهم من محمود الاعتراض ونادره وفائدته ههنا التصريح بما هو المراد وتقدير هذا الكلام قبل الاعتراض لو أن الباخلين رأوك فاعترض بين اسم ان وهو الباخلين و بين خبرها وهو رأوك بالمبتدأ والخبر الذى هو وأنت منهم (ومن محاسن ما جاء فى هذا الباب) قول المضرب السعدى

فلو سألت سراة الحى سلمى * على أن قد تلون بى زمانى

لخبرها ذوو أحساب قومى * وأعدائى فكل قد بلانى

وهذا اعتراض بين لو وجوابها وهو من فائق الاعتراض ونادره وتقديره فلو سألت سراة الحى سلمى لخبرها ذوو أحساب قومى وأعدائى وفائدة قوله على ان قد تلون بى زمانى أى أنهم يخبرون عنى على تلون الزمان بى يريد تنقل حالاته من خير وشر وليس من مجمه الزمان وأبان عن جوهره كغيره ممن لا يمجمه ولا أبان عنه ومن ذلك قول أبى تمام

وان الغنى لى ان لحظت مطالبى * من الشعر الا فى مديحك أطوع

وهذا البيت فيه اعتراضان الاول بين اسم ان وخبرها تقديره وأن الغنى أطوع لى من الشعر فاعترض بين الاسم والخبر بقوله ان لحظت مطالبى وأما الاعتراض الثانى فقوله الا فى مديحك فجاء بالجملة الاستثنائية مقدمة وموضعها التأخير فاعترض بها بين الجملة التى هى خبران وتقدير البيت بجملته وان الغنى أطوع لى من الشعر إن لحظت مطالبى الا فى مديحك وفائدة قوله الا فى مديحك من الاعتراض الذى اكتسب به الكلام رقة فائدة حسنة والمراد به وصف جود الممدوح بالاسراع ووصف خاطر شعره بالاسراع إذا كان فى مدحه خاصة دون غيره فهذا الاعتراض يتضمن مدح الممدوح والمادح معا وهو من محاسن ما يجىء فى هذا الموضع وكذلك ورد قوله

رددت رونق وجهى فى صحيفته * رد الصقال بهاء الصارم الخذم

وما أبالى وخير القول أصدقه * حقنت لى ماء وجهى أم حقنت دمى

فقوله

اذا كثر ولدها (هلكت) الشىء و(أهلكته) قال العجاج

ومهمه هالك من تعرجا

بمعنى مهلك هذا قول أبى عبيدة وقال غيره أى هالك المتعرجين أى من عرج فيه واحتبس هلك (جذى) الشىء و(أجذى) إذا ثبت قائما (زلت) الشىء وأزلته (رفل) فى مشيته (وأرفل) و(ضعت) فى مالى و (أوضعت) و (وكست) وأوكست (زحفت) فى المشى و (أزحفت) أعييت (أويته) و (آويته) وأويت إلى فلان مقصور لاغير (حلت) فى ظهر دابتى و(أحلت) إذا وثبت عليه (حشت) عليه الصيد وأحوشت (قصرنا) و(أقصرنا) من قصر العشى (وكف) البيت وأوكف (خطل) فى كلامه وأخطل (حاك) فيه القول و(أحاك) أى نجع (غمدت) سيفى وأغمدته (رشت) السماء و(أرشت) و (طشت) وأطشت (هلت) عليه التراب وأهلت (نار) الشى و(أنار) خذما (طف) لك وأطف (شمس) يومنا وأشمس (حالت) الدار و(أحالت) من الحول و (بان) و(أبان)

جفرت حتى (عنيت) و (أعينت) أى بلغت العيون (طلق يده) بالخير وأطلق (رملت) الحصير و (أرملته) و (سففته)

فقوله وخير القول أصدقه اعتراض بين المفعول والفعل لان موضع حققت نصب اذهو مفعول أبالى وفائدته اثبات ماماثل به بين ماء الوجه والدم أى أن هذا القول صدق ليس بكذب (وأما القسم الثانى) وهو والذى يأتى فى الكلام لغير فائدة فهوضربان (الضرب الاول) يكون دخوله فى الكلام كخروجه منه لايكتسب به حسنا ولا قبحا فمن ذلك قول النابغة

يقول رجال يجهلون خليقتى * لعل زياد ألا أبالك عاقل

فقوله لا أبالك من الاعتراض الذى لافائدة فيه وليس مؤثرا فى هذا البيت حسنا ولاقبحا ومثله جاء قول زهير سئمت تكاليف الحياة ومن يعش * ثمانين حولا لا أبالك يسأم

وقد وردت هذه اللفظة وهى لاأبالك فى موضع آخر فكان للاعتراض بها فائدة حسنة كقول أبى تمام * عتابك عنى لا أبالك واقصدى * فانه لما كره عتابها اعترض بين الامر والمعطوف عليه بهذه اللفظة على طريق الذم (الضرب الثانى) وهوالذى يؤثر فى الكلام نقصا وفى المعنى فسادا وقد تقدم ذكر أمثاله وأنظاره فى باب التقديم والتأخير وانماجىء بذكره ههنا مكرر الاتمام التقسيم الاعتراضى فيما أفاد وفيما لايفيد وقد ذكرت من ذلك مثالا واحدا أومثالين فمماورد منه قول بعضهم فقد والشك بين لى عناء * بوشك فراقهم صرد يصيح

فان فى هذا البيت من رديء الاعتراض ماأذكره لك وهو الفصل بين قد والفعل الذى هو بين وذلك قبيح لقوة اتصال قد بما تدخل عليه من الافعال ألاتراها تعد مع الفعل كالجزء منه ولذلك أدخلت عليها اللام المراد بها توكيد الفعل كقوله تعالى ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك وقوله تعالى ولقد علموا لمن اشتراه وقول الشاعر

ولقد أجمع رجلى بها * حذر الموت وانى لفرور

ألا ان فصل بين قد والفعل بالقسم فان ذلك لا بأس به نحو قولك قد والله كان ذاك وقد فصل فى هذا البيت أيضا بين المبتدأ الذى هو الشك و بين الخبر الذى هو عناء بقوله بين لى وفصل بين الفعل الذى هو بين و بين فاعله الذى هو صرد بخبر المبتدأ الذى هو عناء فجاء معنى البيت كما تراه كأنه صورة مشوهة قد نقلت أعضاؤها بعضها الى مكان بعض (ومن هذا الضرب) قول الآخر نظرت وشخصى مطلع الشمس ظله * الى الغرب حتى ظله الشمس قد عقل

أراد نظرت مطلع الشمس وشخصي ظله الى الغرب حتى عقل الشمس أى حاذاها وعلى هذا التقدير فقد فصل بمطلع الشمس بين المبتدأ الذى هو شخص و بين خبره الجملة وهو قوله ظله الى الغرب وأغلظ من ذلك أنه فصل بين الفعل وفاعله بالاجنبي وهذا وأمثاله مما يفسد المعانى و يورثها اختلالا (واعلم) أن الناثر فى استعمال ذلك أكثر ملامة من الناظم وذاك أن الناظم مضطر الى اقامة ميزان الشعر وربما كان مجال الكلام عليه ضيقا فيلقيه طلب الوزن فى مثل هذه الورطات وأما الناثر فلا يضطر الى اقامة الميزان الشعرى بل يكون مجال الكلام عليه واسعا ولهذا اذا اعترض فى كلامه اعتراضا يفسده توجه عليه الانكار وحق عليه الذم

النوع التاسع عشر فى الكناية والتعريض

وهذا النوع مقصور على الميل مع المعنى وترك اللفظ جانبا وقد تكلم علماء البيان فيه فوجدتهم قد خلطوا الكناية بالتعريض ولم يفرقوا بينهما ولاحدوا كلا منهما بحد يفصله عن صاحبه بل أوردوا لهما أمثلة من النظم والنثر وأدخلوا أحدهما فى الآخر فذكروا للكناية أمثلة من التعريض وللتعريض أمثلة من الكناية فمن فعل ذلك

القوم عن الموضع و (أجلوا) تنحوا عنه و (أجليتهم) أنا وجلوتهم قال أبو دؤيب
فلما جلاها بالايام تحيزت ثبات عليها ذلها واكتئابها
يعنى مشتار العسل جلاها عن موضعها بالدخان ليشتاره (لاح) الرجل و (ألاح) أى أشفق (سقت) اليها الصداق واسقته (جفلت) الريح واجفلت (خوت) النجوم و (اخوت) اذا سقطت ولم تمر (غبش) الليل و (اغبش) اظلم (ذرق) الطائر واذرق (صم) الرجل واصم (غامت) السماء واغامت (خلف) فوه واخلف (زففت) العروس (وازففتها) (وعزت) اليك فى الامر وأوعزت (داء) الرجل يداء مثل شاء يشاء و (اداء) يدىء اذا صار فى جوفه الداء (ظلفت) اثرى اذا مشيت فى الحزونة حتى لايرى و (اظلفته) و (شنقت) الناقة و (اشنقتها) اذا كففتها بزمامها و (سنفتها) و (اسنفتها) من السناف (بقت) المرأة و (ابقت)

فمن كثر ولدها و (بقبقت) يارجل و (ابقبقت) اذا كثر كلامه (حرثت) الناقة و(احرثتها) اذا سرت عليها حتى تهزل (قحدت) الناقة و (اقحدت) اذا صارت مقحاد وهى العظيمة السنام (وهنه) الله و(أوهنه) قال طرفة واذا تلسنى السنها * اننى لست بموهون فقر

الغانمى وابن سنان الخفاجى والعسكرى فأما ابن سنان فانه ذكر فى كتابه قول امرىء القيس

فصرنا الى الحسنا ورق كلامها * ورضت فذلت صعبة أى اذلال

وهذا مثال ضربه للكناية عن المباضعة وهو مثال للتعريض ووجدت فى كتاب التذكرة لابن حمدون البغدادى وكان مشارا اليه عندهم بفضيلة ومعرفة لاسيما فن الكتابة فوجدت فى كتابه ذلك بابا مقصورا على ذكر الكناية والتعريض وما قيل فيها نظما ونثرا وهو محشو بالخلط بين هذين القسمين من غير فصل بينهما وقد أورد أيضا فى بعضه أمثلة غثة باردة وسأذكر ما عندى فى الفرق بينهما وأميز أحدهما عن الآخر ليعرف كل منهما على انفراده فأقول أما الكناية فقد حدت بحد فقيل هى اللفظ الدال على الشىء على غير الوضع الحقيقى بوصف جامع بين الكناية والمكنى عنه كاللمس والجماع فان الجماع اسم موضوع حقيقى واللمس كناية عنه وبينهما الوصف الجامع اذ الجماع لمس وزيادة فكان دالا عليه بالوضع المجازى وهذا الحد فاسد لانه يجوز أن يكون حدا للتشبيه فان التشبيه هو اللفظ الدال على غير الوضع الحقيقى لجامع بين المشبه والمشبه به وصفة من الاوصاف ألا ترى أنا اذا قلنا زيد أسد كان ذلك لفظا دالا على غير الوضع الحقيقى بوصف جامع بين زيد والاسد وذلك الوصف هو الشجاعة ومن ههنا وقع الغلط لمن أشرف اليه فى الذى ذكره فى حد الكناية وأما علماء أصول الفقه فانهم قالوا فى حد الكناية انها اللفظ المحتمل يريدون بذلك أنها اللفظ الذى يحتمل الدلالة على المعنى وعلى خلافه وهذا فاسد أيضا فانه ليس كل لفظ يدل على المعنى وعلى خلافه بكناية دليل ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم اذا لم تستح فافعل ماشئت فان هذا اللفظ يدل على المعنى وعلى خلافه وبيان ذلك أنه يقول فى أحد معنييه انك اذا لم يكن لك وازع يزعك عن الحياء فافعل ماشئت وأما معناه الآخر فانه يقول اذا لم تفعل فعلا يستحى منه فافعل ماشئت وهذا ليس من الكناية فى شىء فبطل اذا هذا الحد ومثال الفقيه فى قوله ان الكناية هى اللفظ المحتمل مثال من أراد أن يحد الانسان فأتى بحد الحيوان فعبر بالاعم عن الأخص فانه يقال كل انسان حيوان وليس كل حيوان انسانا وكذلك يقال ههنا فان كل كناية لفظ محتمل وليس كل لفظ محتمل كناية (والذى عندى فى ذلك) أن الكناية اذا وردت تجاذبها جانبا حقيقة ومجاز وجاز حملها على الجانبين معا ألا ترى أن اللمس فى قوله تعالى أولا مستم النساء يجوز حمله على الحقيقة والمجاز وكل منهما يصح به المعنى ولا يختل ولهذا ذهب الشافعى رحمه الله الى أن اللمس هو مصافحة الجسد الجسد فاوجب الوضوء على الرجل اذا لمس المرأة وذلك هو الحقيقة فى اللمس وذهب غيره الى أن المراد باللمس هو الجماع وذلك مجاز فيه وهو الكناية وكل موضع ترد فيه الكناية فانه يتجاذبه جانبا حقيقة ومجاز ويجوز حمله على كليهما معا وأما التشبيه فليس كذلك ولا غيره من أقسام المجاز لانه لا يجوز حمله الا على جانب المجاز خاصة ولو حمل على جانب الحقيقة لاستحال المعنى ألا ترى أنا اذا قلنا زيد أسد لا يصح الا على جانب المجاز خاصة وذلك أنا شبهنا زيدا بالاسد فى شجاعته ولو حملناه على جانب الحقيقة لاستحال المعنى لان زيدا ليس ذلك الحيوان ذا الاربع والذنب والوبر والانياب والمخالب واذا كان الامر كذلك فحد الكناية الجامع لها هو أنها كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانبى الحقيقة والمجاز بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز والدليل على ذلك ان الكناية فى أصل الوضع أن تتكلم بشىء وتريد غيره يقال كنيت بكذا عن كذا فهى تدل على ما تكلمت به

وعلى

وقال آخر اقتلت سادتنا بغير دم * ألا لتوهن آمن العظم (صفوت) الى الرجل واصفيت (ذروت) الحب و(اذريته) قال الفراء (جملت) الشحم و(اجملته) اذا اذبته (نجزت) الحاجة و(انجزتها) قضيتها (ركست) الشىء و(اركسته) إذا رددته قال الله تعالى والله اركسهم بما كسبوا يروى فى التفسير ردهم الى كفرهم ابن الاعرابى (دلع) لسانه وأدلعه (مرأنى) الطعام و(أمرأنى) وروى ايضا (لط) دون الحق بالباطل (وألط) وقول الناس الا لطاط وهو ملط من هذا وروى (كفأت) الاناء وأكفأته (ألفت) المكان وآلفته (نكرت) القوم وانكرتهم (نعم) الله بك عينا وانعم (جدب) الوادى و(أجدب) (وخصب) واخصب (وبئت) الارض و(أوبأت) و(حطبت) و(احتطبت) و(عشبت) و(اعشبت) و(بقلت) و(ابقلت) و(ضبعت) الناقة و(اضبعت) اذا اشتهت الفحل (لحقته) و(ألحقته) ومنه ان عذابك بالكفار ملحق أى لاحق (قويت) الدار وأقوت (زكنت) الامر وأزكنته (خطئت) و(أخطأت) وقال الله عز وجل لا يأكله الا الخاطئون وقال الشاعر

عبادك يخطؤن وأنت رب * بكفيك المنايا لا تموت

(ردفته) وأردفته (ملح) الماء وأملح و(نتن) الشىء وأنتن (اعورت) عينه وعرتها (دير) بالرجل و(أدير) به من دوار الرأس

(مرع)الوادى و(أمرع)﴿باب فعلت وأفعلت باتفاق المعنى واختلافهما فى التعدى﴾(زريت)عليه و(أزريت) به (رفقت) به وأرفقته(أنسأ)الله أجله(نسأ)فى أجله(ذهبت) بالشىءو(أذهبته)وجئت) به و(أجأته) و(دخلت)به و(أدخلته)

وعلى ماأردته من غيره وعلى هذا فلا تخلو إما أن تكون فى لفظ تجاذبه جانبا حقيقة ومجاز أو فى لفظ تجاذبه جانبا مجاز ومجاز أو فى لفظ تجاذبه جانبا حقيقة وحقيقة وليس لنا قسم رابع ولا يصح أن تكون فى لفظ تجاذبه جانبا حقيقة وحقيقة لان ذلك هو اللفظ المشترك وإذا أطلق من غير قرينة تخصصه كان مبهما غير مفهوم واذا أضيف اليه القرينة صار مختصا بشىء بعينه والكناية أن تتكلم بشىء وتريد غيره وذلك مخالف للفظ المشترك اذا أضيف اليه القرينة لانه يختص بشىء واحد بعينه لا يتعداه الى غيره وكذلك لا يصح أن تكون الكناية فى لفظ تجاذبه جانبا مجاز ومجاز لان المجاز لابد له من حقيقة نقل عنها لأنه فرع عليها وذلك اللفظ الدال على المجازين إما أن يكون للحقيقة شركة فى الدلالة عليه أو لا يكون لها شركة فان كان لها شركة فى الدلالة فيكون اللفظ الواحد قد دل على ثلاثة أشياء أحدها الحقيقة وهذا مخالف لأصل الوضع لأن أصل الوضع أن تتكلم بشىء وأنت تريد غيره وههنا تكون قد تكلمت بشىء وأنت تريد شيئين غيره وان لم يكن للحقيقة شركة فى الدلالة كان ذلك مخالفا للوضع أيضا لأن أصل الوضع أن تتكلم بشىء وأنت تريد غيره فيكون الذى تكلمت به دالا على ما تكلمت به وعلى غيره واذا أخرجت الحقيقة عن أن يكون لها شركة فى الدلالة لم يكن الذى تكلمت به دالا على ما تكلمت به وهذا محال فتحقق حينئذ أن الكناية أن تتكلم بالحقيقة وأنت تريد المجاز وهذا الكلام فى حقيقة الدليل على تحقيق أمر الكناية لم يكن لأحد فيه قول سابق (واعلم) أن الكناية مشتقة من الستر يقال كنيت الشىء إذا سترته وأجرى هذا الحكم فى الألفاظ التى يستر فيها المجاز بالحقيقة فتكون دالة على الساتر وعلى المستور معا ألا ترى إلى قوله تعالى أو لا مستم النساء فانه ان حمل على الجماع كان كناية لانه ستر الجماع بلفظ اللمس الذى حقيقته مصافحة الجسد الجسد وان حمل على الملامسة التى هى مصافحة الجسد الجسد كان حقيقة ولم يكن كناية وكلاهما يتم به المعنى وقد تأولت الكناية بغير هذا وهى أنها مأخوذة من الكنية التى يقال فيها أبو فلان فانا اذا نادينا رجلا اسمه عبد الله وله ولد اسمه محمد فقلنا يا أبا محمد كان ذلك مثل قولنا يا عبد الله فان شئنا ناديناه بهذا وان شئنا ناديناه بهذا وكلاهما واقع عليه وكذلك يجرى الحكم فى الكناية فانا اذا شئنا حملناها على جانب المجاز واذا شئنا حملناها على الحقيقة الا أنه لابد من الوصف الجامع بينهما لئلا يلحق بالكناية ما ليس منها ألا ترى إلى قوله تعالى ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فكنى بذلك عن النساء والوصف الجامع بينهما هو التأنيث ولولا ذلك لقيل فى مثل هذا الموضع ان أخى له تسع وتسعون كبشا ولى كبش واحد وقيل هذه كناية عن النساء ومن أجل ذلك لم يلتفت إلى تأويل من تأول قوله تعالى وثيابك فطهر أنه أراد بالثياب القلب على حكم الكناية لانه ليس بين الثياب والقلب وصف جامع ولو كان بينهما وصف جامع لكان التأويل صحيحا ﴿فان قيل﴾ فما الدليل على اشتقاق الكناية من كنيت الشىء إذا سترته ومن الكنية ﴿قلت﴾ فى الجواب أما اشتقاقها من كنيت الشىء إذا سترته فان المستور فيها هو المجاز لأن الحقيقة تفهم أولا ويتسارع الفهم اليها قبل المجاز لان دلالة اللفظ عليها دلالة وضعية وأما المجاز فانه يفهم منه بعد فهم الحقيقة وإنما يفهم بالنظر والفكرة ولهذا يحتاج إلى دليل لانه عدول عن ظاهر اللفظ فالحقيقة أظهر والمجاز أخفى وهو مستور بالحقيقة ألا ترى إلى قوله تعالى أو لا مستم النساء فان الفهم يتسارع فيه إلى الحقيقة التى هى مصافحة الجسد الجسد وأما المجاز الذى هو الجماع

و(خرجت) به و(أخرجته) و(علوت) به و(أعليته) تكلم فما (سقط) بحرف وما (أسقط) حرفا (غفلت) عنه وأغفلته (جن) عليه الليل و(أجنه) الليل (شالت) الناقة بذنبها و(أشالت) بذنبها (أشلت) الحجر و(شلت) به (ألوى) الرجل برأسه و(لوى) رأسه (أجفته) الطعنة و(جفته) بها (أبذيت) القوم و(بذوت) عليهم (أغببتهم) و(غببت) عنهم فاذا أردت انك دفعت عنهم قلت غببت بالتشديد (رصدته) بالمكافأة و(أرصدته) أى ترقبته بها و(أرصدت) له أعددت له قال أبو زيد رصدته بالخير وغيره أرصده رصدا وأنا راصده وأرصدت له بالخير وغيره ارصادا وأنا مرصد له بذلك قال ابن الأعرابى أرصدت له بالخير والشر لا يقالان إلا بالالف

﴿باب أفعلت الشىء عرضته للفعل﴾

(أقتلت) الرجل عرضته للقتل (وأبعت) الشىء عرضته للبيع وأنشد

فرضيت آلاء الكميت فمن يبع * فرسا فليس جوادنا بمباع

أى بمعرض للبيع وقال الفراء تقول أبعت الخيل إذا أردت أنك أمسكتها للتجارة والبيع فان أردت انك أخرجتها من يدك قلت بعتها قال وكذلك قالت العرب (أعرضت)

العرضان أى أمسكتها للبيع و(عرضتها) ساومت بها فقس على هذا كل ماورد عليك ﴿ باب أفعلت الشيء وجدته كذلك ﴾ أتيت فلانا (فأحمدته) و (أذممته) و(أخلفته) أى وجدته محموداً ومذموما ومخلافا للوعد وأتيت فلانا (فأبخلته)

فانه يفهم بالنظر والفكر ويحتاج الذاهب إليه إلى دليل لانه عدول عن ظاهر اللفظ وأما اشتقاقها من الكنية فلان محمدا فى هذه الصورة المذكورة هو حقيقة هذا الرجل أى الاسم الموضوع بازائه أولا وأما أبوعبد الله فانه طارعليه بعد محمد لأنه لم يكن له إلا بعد أن صار له ولد اسمه عبد الله وكذلك الكناية فان الحقيقة لها هو الاسم الموضوع بازائها أولا فى أصل الوضع وأما المجاز فانه طارعليها بعد ذلك لانه فرع والفرع إنما يكون بعد الأصل وإنما يعمد إلى ذلك الفرع للناسبة الجامعة بينه و بين الأصل على ماتقدم الكلام فيه وهذا القدر كاف فى الدلالة على اشتقاق الكناية من ذينك المعنيين المشار اليهما (فان قيل) انك قد ذكرت أقسام المجاز فى باب الاستعارة التى قدمت ذكرها فى كتابك هذا وحصرتها فى أقسام ثلاثة وهى التوسع فى الكلام والاستعارة والتشبيه ونراك قد ذكرت الكناية فى المجاز أيضا فهل هى قسم رابع لتلك الاقسام الثلاثة أم هى من جملتها فان كانت قسما رابعا فذلك نقض للحصر الذى حصرته وان كانت من جملتها فقد أعدت ذكرها ههنا مرة ثانية وهذا المكرر لاحاجة اليه ﴿ فالجواب عن ذلك ﴾ أنى أقول أما الحصر الذى حصرته فى باب الاستعارة فهو ذاك ولا زيادة عليه وأما الكناية فانها جزء من الاستعارة ولا تأتى إلا على حكم الاستعارة خاصة لان الاستعارة لا تكون إلا بحيث يطوى ذكر المستعار له وكذلك الكناية فانها لا تكون إلا بحيث يطوى ذكر المكنى عنه ونسبتها إلى الاستعارة نسبة خاص إلى عام فيقال كل كناية استعارة وليس كل استعارة كناية و يفرق بينهما من وجه آخر وهو أن الاستعارة لفظها صريح والصريح هو مادل عليه ظاهر لفظه والكناية ضد الصريح لانها عدول عن ظاهر اللفظ وهذه ثلاثة فروق أحدها الخصوص والعموم والآخر الصريح والآخر الحمل على جانب الحقيقة والمجاز وقد تقدم القول فى باب الاستعارة أنها جزء من المجاز وعلى ذلك فتكون نسبة الكناية إلى المجاز نسبة جزء الجزء وخاص الخاص وكان ينبغى أن تذكر الكناية عند ذكر الاستعارة فى النوع الأول من هذه الأنواع المذكورة فى المقالة الثانية وإنما أفردتها بالذكر ههنا من أجل التعريض لأن من العادة أن يذكرا جميعا فى مكان واحد وقد يأتى فى الكلام مايجوز أن يكون كناية ويجوز أن يكون استعارة وذلك يختلف باختلاف النظر إليه بمفرده والنظر إلى مابعده كقول نصر بن سيار فى أبياته المشهورة التى يحرض بها بنى أمية عند خروج أبى مسلم

أرى خلل الرماد وميض جمر * ويوشك أن يكون له ضرام
فان النار بالزندين تورى * وأن الحرب أولها كلام
أقول من التعجب ليت شعرى * أأيقاظ أمية أم نيام
فان هبوا فذاك بقاء ملك * وان رقدوا فانى لا ألام

فالبيت الأول لو ورد بمفرده كان كناية لانه يجوز حمله على جانب الحقيقة وحمله على جانب المجاز أما الحقيقة فانه أخبر أنه رأى وميض جمر فى خلل الرماد وأنه سيضطرم وأما المجاز فانه أراد أن هنالك ابتداء شر كامن ومثله بوميض جمر من خلل الرماد وإذا نظرنا إلى الأبيات جملتها اختص البيت الأول منها بالاستعارة دون الكناية وكثيرا مايرد مثل ذلك و يشكل لتجاذبه بين الكناية والاستعارة على أنه لا يشكل إلا على غير العارف (وأما التعريض) فهو اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم لا بالوضع الحقيقى ولا المجازى فانك إذا قلت لمن تتوقع صلته ومعروفه بغير

و (أجبنته) و(أحمقته) و(أنوكته) و(أهوجته) إذا وجدته كذلك و (أقهرته) إذا وجدته مقهوراً وأنشد * تمنى حصين أن يسود جذاعه فأمسى حصين قد أذل وأقهرا * وقال الاعشى فمضى وأخلف من قتيلة موعداً * أى وجده خلفا ويقال هاجيت فلانا (فأفحمته) أى وجدته مفحما لا يقول الشعر ويقال خاصمته حتى أفحمته أى قطعته وروى عن عمرو بن معدى كرب أنه قال لبنى سليم قاتلناكم فما (أجبناكم) وسألناكم فما (أبخلناكم) وهاجيناكم فما (أفحمناكم) أى ماصادفناكم جبناء ولا بخلاء ولا مفحمين وأتيت الأرض (فأجدبتها) و(أحييتها) و(أوحشتها) و(أهيجتها) إذا وجدتها حية النبات وجدبة ووحشة وهائجة النبات

﴿ باب افعل الشيء حان منه ذلك ﴾

(أركب) المهر حان أن يركب (وأحصد) الزرع حان أن يحصد (واقطف) الكرم حان ان يقطف وكذلك يقال (أقطف) القوم حان أن يقطفوا كرومهم و (أجزوا) و (أجدوا) و (أغلوا) كذلك (وأنتجت) الخيل حان نتاجها

طاب

طلب والله انى لمحتاج وليس فى يدى شىء وأنا عريان والبرد قد آذانى فان هذا وأشباهه تعريض بالطلب وليس هذا اللفظ موضوعا فى مقابلة الطلب لا حقيقة ولا مجازا انما دل عليه من طريق المفهوم بخلاف دلالة اللمس على الجماع وعليه ورد التعريض فى خطبة النكاح كقولك للمرأة انك لخلية وانى لعزب فان هذا وأمثاله لا يدل على طلب النكاح حقيقة ولا مجازا والتعريض أخفى من الكناية لأن دلالة الكناية لفظية وضعية من جهة المجاز ودلالة التعريض من جهة المفهوم لا بالوضع الحقيقى ولا المجازى وإنما سمى التعريض تعريضا لأن المعنى فيه يفهم من عرضه أى من جانبه وعرض كل شىء جانبه (واعلم) أن الكناية تشمل اللفظ المفرد والمركب معا فتأتى على هذا تارة وعلى هذا أخرى وأما التعريض فانه يختص باللفظ المركب ولا يأتى فى اللفظ المفرد البتة والدليل على ذلك أنه لا يفهم المعنى فيه من جهة الحقيقة ولا من جهة المجاز وانما يفهم من جهة التلويح والاشارة وذلك لا يستقل به اللفظ المفرد ولكنه يحتاج فى الدلالة عليه إلى اللفظ المركب وعلى هذا فان بيت امرىء القيس الذى ذكره ابن سنان مثالا للكناية هو مثال للتعريض فان غرض امرىء القيس من ذلك أن يذكر الجماع غير أنه لم يذكره بل ذكر كلاما آخر يفهم الجماع من عرضه لأن المصير إلى الحسناء ورقة الكلام لا يفهم منهما ما أراده امرؤ القيس من المعنى لا حقيقة ولا مجازا وهذا لا خفاء به فاعرفه وحيث فرقنا بين الكناية والتعريض وميزنا أحدهما عن الآخر فلنفصلهما ونذكر أقسامهما ولنبدأ أولا بالكناية فنقول (اعلم) أن الكناية تنقسم قسمين أحدهما ما يحسن استعماله والآخر مالا يحسن استعماله وهو عيب فى الكلام فاحش وقد ذهب قوم إلى أن الكناية تنقسم أقساما ثلاثة تمثيلا وارادفا ومجاورة (فأما التمثيل) فهو أن تراد الاشارة إلى معنى فيوضع لفظ لمعنى آخر ويكون ذلك مثالا للمعنى الذى أريدت الاشارة اليه كقولهم فلان نقى الثوب أى منزه من العيوب (وأما الارداف) فهو أن تراد الاشارة إلى معنى فيوضع لفظ لمعنى آخر ويكون ذلك إردافا للمعنى الذى أريدت الاشارة اليه ولازما له كقولهم فلان طويل النجاد أى طويل القامة فطول النجاد رادف لطول القامة ولازم له بخلاف نقاء الثوب فى الكناية عن النزاهة من العيوب لان نقاء الثوب لا يلزم منه النزاهة من العيوب كما يلزم من طول النجاد طول القامة (وأما المجاورة) فهى أن تريد ذكر الشىء فتتركه إلى ما جاوره كقول عنترة

بزجاجة صفراء ذات أسرة * قرنت بأزهر فى الشمال مفدم

يريد بالزجاجة الخمر فذكر الزجاجة وكنى بها عن الخمر لانها مجاورة لها وهذا التقسيم غير صحيح لان من شرط التقسيم أن يكون كل قسم منه مختصا بصفة خاصة تفصله عن عموم الاصل كقولنا الحيوان ينقسم أقساما منها الانسان وحقيقته كذا وكذا ومنها الاسد وحقيقته كذا وكذا ومنها الفرس وحقيقته كذا وكذا ومنها غير ذلك وههنا لم يكن التقسيم كذلك فان التمثيل على ما ذكر عبارة عن مجموع الكناية لان الكناية إنما هى أن تراد الاشارة إلى معنى فيوضع لفظ لمعنى آخر ويكون ذلك اللفظ مثالا للمعنى الذى أريدت الاشارة اليه ألا ترى إلى قوله تعالى ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فانه أراد الاشارة إلى النساء فوضع لفظا لمعنى آخر وهو النعاج ثم مثل به النساء وهكذا يجرى الحكم فى جميع ما يأتى من الكنايات لكن منها ما يتضح التمثيل فيه وتكون الشبهية بين الكناية والمكنى عنه شديدة المناسبة ومنه ما يكون دون ذلك

و (أفصح)النصارى حان فصحهم و (أشهر) القوم أتى عليهم شهر و(أحال) القوم أتى عليهم حول ﴿باب افعل الشيء صار كذلك واصابه ذلك﴾ (اجرب)الرجل و (انحز) و(أحال) أى صار صاحب جرب ونحاز وحيال فى ماله وكذلك (أهزل)الناس اذا أصابت السنة أموالهم فصارت مهازيل (واحر) الرجل اذا صارت ابله حرارا أى عطاشا و (اعاه) الرجل اذا صارت العاهة فى ماله و (اصح) صارت الصحة فى ماله بعد العاهة و (اسنت) اصابته السنة و (اقحط) و(أيبس) اذا أصابه القحط واليبس و (اشمل) القوم صاروا فى ريح الشمال وكذلك الجنوب والصبا والدبور و(أراحوا) صاروا فى ريح و(أربعوا) صاروا فى ربيع فاذا أردت ان شيئا من هذا أصابهم قلت فعلوا فهم مفعولون تقول (شملوا) و (جنبوا) و (صبوا) و (دبروا) و (ريحوا) و (ربعوا) وتقول (أربعوا) و (أصافوا) و (أشتوا) و (أخرفوا) صاروا فى هذه الازمنة فاذا أردت أنهم أقاموا هذه الازمنة فى موضع قلت (صافوا) و (شتوا) و (ارتبعوا) و (الحم) القوم و (أشحموا) و (البنوا) و (أتمروا) و (ألبأوا) و (أقثأوا) و (أبطخوا) صار ذلك عندهم كثيرا و (أخلت) الارض و (أجنت) و (أرعت) صار فيها الخلا والجنى والرعى و (أبسر) النخل و (أحشف) و (أبلح) و (أدقل) و (أخوص) و (أشوك) اذا صار فيه ذلك و (أوقر) النخل

فى الشبهية وقد تأملت ذلك وحققت النظر فيه فوجدت الكناية إذا وردت على طريق اللفظ المركب كانت شديدة المناسبة واضحة الشبهية واذا وردت على طريق اللفظ المفرد لم تكن بتلك الدرجة فى قوة المناسبة والمشابهة ألا ترى إلى قولهم فلان نقى الثوب وقولهم اللمس كناية عن الجماع فان نقاء الثوب أشد مناسبة وأوضح شبها لانا إذا قلنا نقاء الثوب من الدنس كنزاهة العرض من العيوب اتضحت المشابهة ووجدت المناسبة بين الكناية والمكنى عنه شديدة الملاءمة واذا قلنا اللمس كالجماع لم يكن بتلك الدرجة فى قوة المشابهة وهذا الذى ذكر فى أن من الكناية تمثيلا وهو كذا وكذا غير سائغ ولا وارد بل الكناية كلها هى ذلك والذى قدمته من القول فيها هو الحاصر لها ولم يأت به أحد غيرى كذلك (وأما الارداف) فانه ضرب من اللفظ المركب إلا أنه اختص بصفة تخصه وهى أن تكون الكناية دليلا على المكنى عنه ولازمة له بخلاف غيرها من الكنايات ألا ترى أن طول النجاد دليل على طول القامة ولازم له وكذلك يقال فلان عظيم الرماد أى كثير اطعام الطعام وعليه ورد قول الاعرابية فى حديث أم زرع فى وصف زوجها له ابل قليلات المسارح كثيرات المبارك إذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك وغرض الاعرابية من هذا القول أن تصف زوجها بالجود والكرم إلا أنها لم تذكر ذلك بلفظه الصريح وإنما ذكرته من طريق الكناية على وجه الارداف الذى هو لازم له وكذلك ورد فى الأخبار النبوية أيضا وذلك أن امرأة جاءت إلى النبى صلى الله عليه وسلم فسألته عن غسلها من الحيض فأمرها أن تغتسل ثم قال خذى فرصة من مسك فتطهرى بها قالت كيف أتطهر بها فقال تطهرى بها قالت كيف أتطهر بها قال سبحان الله تطهرى بها فاجتذبتها عائشة رضى الله عنها اليها وقالت تتبعى بها أثر الدم فقولها أثر الدم كناية عن الفرج على طريق الارداف لان أثر الدم فى الحيض لا يكون إلا فى الفرج فهو رادف له ومما ورد من ذلك شعرا قول عمر بن أبى ربيعة

بعيدة مهوى القرط اما لنوفل * أبوها واما عبد شمس وهاشم

فان بعد مهوى القرط دليل على طول العنق ومن لطف هذا الموضع وحسنه ما يأتى بلفظة مثل كقول الرجل إذا نفى عن نفسه القبيح مثلى لا يفعل هذا أى أنا لا أفعله فنفى ذلك عن مثله ويريد نفيه عن نفسه لأنه إذا نفاه عمن يماثله ويشابهه فقد نفاه عن نفسه لامحالة إذ هو بنفى ذلك عنه أجدر وكذلك يقال مثلك إذا سئل أعطى أى أنت إذا سئلت أعطيت وسبب ورود هذه اللفظة فى هذا الموضع أنه يجعل من جماعة هذه أوصافهم تثبيتا للأمر وتوكيدا ولو كان فيه وحده لقلق منه موضعه ولم يرس فيه قدمه وهذا مثل قول القائل إذا كان فى مدح انسان أنت من القوم الكرام أى لك فى هذا الفعل سابقة وأنت حقيق به ولست دخيلا فيه وقد ورد هذا فى القرآن الكريم كقوله تعالى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير والفرق بين قوله ليس كمثله شىء وبين قوله ليس كالله شىء هو ما أشرت اليه وان كان الله سبحانه وتعالى لا مثل له حتى يكون لمثله مثل وانما ذكر ذلك على طريق المجاز قصدا للمبالغة وقد يأتى هذا الموضع بغير لفظة مثل وهى مقصودة كقولك للعربى العرب لا تخفر الذمم أى أنت لا تخفر الذمم وهذا أبلغ من قولك أنت لا تخفر الذمم لما أشرت اليه وعلى نحو من هذا جاء قول أبى الطيب المتنبى

ألست من القوم الذى من رماحهم * نداهم ومن قتلاهم مهجة البخل

(واذا فرغت) من ذكر الاصول التى قدمت ذكرها فانى أتبعها بضرب الأمثلة نثرا ونظما حتى

كثر حمله يقال نخلة موقر وموقرة و (أرعد) القوم و (أبرقوا) و (أغيموا) أصابهم رعد وبرق وغيم و (أفرس) الراعى اذا اصاب الذئب شاة من غنمه و (أفرضت) الماشية صارت الفريضة فيها واجبة و (أنفق) القوم نفقت سوقهم و (أكسد) و (أكسدت) سوقهم و (أخبث) الرجل إذا صار أصحابه خبثاء وأهله ولذلك قالوا خبيث مخبث و (أقوى) الجمال إذا صارت إبله قوية ولذلك قالوا قوى مقو (أظهرنا) أى صرنا فى وقت الظهر وسرنا فى ذلك الوقت أيضا (أعاف) الرجل اذا صارت ابله تعاف الماء (وأكلب) الرجل صار فى ابله الكلب وهو شبيه بالجنون (وأعاه) و (أعوه) صارت العاهة فى ماله (وأمات) مات ولده و (اشب) شب ولده و (اطلب) الماء إذا بعد فلم ينل الا بطلب يقال ماء مطلب

﴿باب أفعل الشىء أتى بذلك واتخذ ذلك﴾

(أخس) الرجل أتى بخسيس من الفعل و (أذم) أتى بما يذم عليه و (أقبح) أتى بقبيح و (ألام) أتى بما يلام عليه فهو مليم قال الله عز وجل فالتقمه الحوت وهو مليم وقال الشاعر * ومن يخذل أخاه فقد ألاما * (وأراب) الرجل أتى بريبة و (أكاس) الرجل وأكاست المرأة أتيا بولد كيس و (أقصرت) و (أطالت) و (آنثت) و (اذكرت) و (أصبت) و (أحمقت) و (أتلد) الرجل اتخذ تلادا يزداد من المال و (اهرب) الرجل اذا جد فى الذهاب مذعورا فهو مهرب و (اساد) الرجل ولد سيدا و (اسود) و (أساد) ولد اسود اللون

﴿ باب أفعلت الشيء جعلت له ذلك ﴾ (أرعيت الماشية) و (أرعاها) الله اى جعل لها ماترعاه وأنشد أبو زيد
كأنها ظبية تعطو الى فنن * تأكل من طيب والله يرعيها أى ينبت لها ماترعاه (أقبرت) الرجل جعلت له قبرا يدفن فيه قال الله عزوجل ثم أماته فأقبره وقال أبو عبيدة أقبره أمر بأن يدفن فيه وقبرته دفنته (أقدت) الرجل خيلا أعطيته خيلا يقودها و (أسقته) ابلا أعطيته ابلا يسوقها وحكى أبو عبيدة (اشفنى) عسلا أى اجعله لى شفاء و (اسقنى) اهابك أى اجعله لى سقاء (احلبتك) الناقة و (اعكمتك) و (احملتك) و (ابغيتك) كل هذا اذا أردت انك طلبته له وأعنته عليه فان أردت انك فعلت به ذلك قلت (بغيتك) و (حلبتك) و (عكمتك) العلم و (حملتك) الفراء يقال (ابغنى) خادما أى ابتغه لى فاذا أراد أعنى على طلبه قال (ابغنى) بقطع الالف وكذلك (المسنى) نارا و (ألمسنى) و (احلبنى) و (أحلبنى) فقوله احلبنى يريد احلب لى اكفنى الحلب وأحلبنى أعنى عليه وكذلك (احملنى) و (أحملنى) و (اعكمنى) و (أعكمنى) فقس على هذا ماورد عليك

﴿ باب أفعلت وأفعلت بمعنيين متضادين ﴾

(أشكيت) الرجل أحوجته الى الشكاية و (أشكيته) نزعت عن الامر الذى شكانى له و (أطلبت) الرجل أحوجته الى الطلب ولذلك قالوا ماء مطلب اذا بعد فأحوج الى طلبه (وأطلبته) أسعفته بما طلب و (أفزعت)

يزداد ما ذكرته وضوحا (فمن ذلك) ماورد فى القرآن الكريم نحو قوله تعالى أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فانه كنى عن الغيبة بأكل الانسان لحم انسان آخر مثله ثم لم يقتصر على ذلك حتى جعله ميتا ثم جعل ماهو فى الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة فهذه اربع دلالات واقعة على ماقصدت له مطابقة للمعنى الذى وردت من أجله فأما جعل الغيبة كأكل الانسان لحم انسان آخر مثله فشديد المناسبة جدا لان الغيبة إنما هى ذكر مثالب الناس وتمزيق أعراضهم وتمزيق العرض مماثل لأكل الانسان لحم من يغتابه لأن أكل اللحم تمزيق على الحقيقة وأما جعله كلحم الأخ فلما فى الغيبة من الكراهة لأن العقل والشرع مجتمعان على استكراهها آمران بتركها والبعد عنها ولما كانت كذلك جعلت بمنزلة لحم الأخ فى كراهته ومن المعلوم أن لحم الانسان مستكره عند انسان آخر إلا أنه لايكون مثل كراهته لحم أخيه فهذا القول مبالغة فى استكراه الغيبة وأما جعل اللحم ميتا فمن أجل أن المغتاب لايشعر بغيبته ولايحس بها وأما جعله ماهو فى الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة فلما جبلت عليه النفوس من الميل إلى الغيبة والشهوة لها مع العلم بقبحها فانظر أيها المتأمل الى هذه الكناية تجدها من أشد الكنايات شبها لأنك اذا نظرت الى كل واحدة من تلك الدلالات الاربع التى أشرنا اليها وجدتها مناسبة لما قصدت له (وكذلك) ورد قوله تعالى وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها والارض التى لم يطؤها كناية عن مناكح النساء وذلك من حسن الكناية ونادره (وكذلك) ورد قوله تعالى أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا فكنى بالماء عن العلم وبالأودية عن القلوب وبالزبد عن الضلال وهذه الآية قد ذكرها أبو حامد الغزالى رحمه الله فى كتابه الموسوم باحياء علوم الدين وفى كتابه الموسوم بالجواهر والاربعين وأشار بها الى أن فى القرآن الكريم اشارات وايماآت لاتنكشف الابعد الموت وهذا يدل على أن الغزالى رحمه الله لم يعلم ان هذه الآية من باب الكنايات الذى لفظها يجوز حمله على جانبى الحقيقة والمجاز (وقد رأيت جماعة) من أئمة الفقه لا يحققون أمر الكناية واذا سئلوا عنها عبروا عنها بالمجاز وليس الامر كذلك وبينهما وصف جامع كهذه الآية وماجرى مجراها فانه يجوز حمل الماء على المطر النازل من السماء وعلى العلم وكذلك يجوز حمل الاودية على مهابط الارض وعلى القلوب وهكذا يجوز حمل الزبد على الغثاء الرابى الذى تقذفه السيول وعلى الضلال وليس فى أقسام المجاز شيء يجوز حمله على الطرفين معا سوى الكناية (وبلغنى عن الفراء النحوى) أنه ذكر فى تفسيره آية وزعم أنها كناية وهى قوله تعالى وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال فقال ان الجبال كناية عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وماجاء به من الآيات وهذه الآية من باب الاستعارة لامن باب الكناية لان الكناية لاتكون الا فيما جاز حمله عن جانبى المجاز والحقيقة والجبال ههنا لايصح بها المعنى الا اذا حملت على جانب المجاز خاصة لان مكر أولئك لم يكن لتزول منه جبال الارض فان ذلك محال (وأما ماورد منها فى الاخبار النبوية) فقول النبى صلى الله عليه وسلم انه كانت امرأة فيمن كان من قبلنا وكان لها ابن عم يحبها فراودها على نفسها فامتنعت عليه حتى اذا أصابتها شدة فجاءت اليه تسأله فراودها فمكنته من نفسها فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة قالت له لايحل لك أن تفض الخاتم الا بحقه فقام عنها وتركها وهذه كناية واقعة فى موقعها

(ومن ذلك) أيضا قول النبي صلى الله عليه وسلم رويدك سوقك بالقوارير يريد بذلك النساء فكنى عنهن بالقوارير وذلك أنه كان في بعض أسفاره وغلام أسود اسمه أنجشة يحدو فقال له يا أنجشة رويدك سوقك بالقوارير وهذه كناية لطيفة (وكذلك) ورد حديث الحديبية وذلك أنه لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الركية جاءه بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من أهل تهامة فقال تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا اعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت وهذه كناية عن النساء والصبيان والعوذ جمع عائذ وهي الناقة التي وضعت وقوي ولدها وهذا يجوز حمله على طريق الحقيقة كما جاز حمله على طريق المجاز أي معهم الأموال من الابل وهي كانت جل أموال العرب أي أنهم قد أحضروا أموالهم ليقاتلوا دونها ولما جاز حمل العوذ المطافيل على النساء والصبيان وعلى الاموال كان من باب الكناية (ومن ذلك) ماورد في اقامة الحد على الزاني وهو أن يشهد عليه برؤية الميل في المكحلة وذلك كناية عن رؤية الفرج في الفرج (ومن لطيف الكناية) أن امرأة جاءت الى عائشة رضي الله عنها فقالت لها أقيد جملي فقالت عائشة رضي الله عنها لا أرادت المرأة أنها تصنع لزوجها شيأ يمنعه عن غيرها أي تربطه أن يأتي غيرها فظاهر هذا اللفظ هو تقييد الجمل وباطنه ما أرادته المرأة وفهمته عائشة منها (وكذلك) يروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله هلكت قال وما أهلكك قال حولت رحلي البارحة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أقبل وأدبر واتق الدبر والحيضة (ويروى) أن عمرو بن العاص زوج ولده عبد الله رضي الله عنه فمكثت المرأة عنده ثلاث ليال لم يدن منها وإنما كان ملتفتا إلى صلاته فدخل عليها عمرو بعد ثلاث فقال كيف ترين بعلك فقالت نعم البعل الا أنه لم يفتش لنا كنفا ولا قرب لنا مضجعا فقولها لم يفتش لنا كنفا ولا قرب لنا مضجعا من الكناية الغراء الظاهرة (ومن ألطف مابلغني في هذا) قول عبد الله بن سلام فانه رأى على رجل ثوبا معصفرا فقال لو أن ثوبك في تنور أهلك أو تحت قدرهم كان خيرا فذهب الرجل فأحرقه نظرا إلى حقيقة قول عبد الله وظاهر مفهومه وانما أراد المجاز منه وهو انك لو صرفت ثمنه الى دقيق تخبزه أو حطب تطبخ به كان خيرا والمعنى متجاذب بين هذين الوجهين فالرجل فهم منه الظاهر الحقيقي فمضى فأحرق ثوبه ومراد عبد الله غيره (ومن هذا القسم ماورد في أمثال العرب) كقولهم إياك وعقيلة الملح وذلك كناية عن المرأة الحسناء في منبت السوء فان عقيلة الملح هي اللؤلؤة تكون في البحر فهي حسنة وموضعها ملح وكذلك قولهم لبس له جلد النمر كناية عن العداوة وقد يقاس على هذا أن يقال لبس له جلد الأسد ولبس له جلد الذئب ولبس له جلد الأرقم لأن هذا كله مثل قولهم لبس له جلد النمر اذ العداوة محتملة في الجميع وكذلك قولهم قلب له ظهر المجن كناية عن تغيير المودة (ومما ورد في ذلك شعرا) قول أبي نواس

لا أذود الطير عن شجر * قد بلوت المر من ثمره

وهذا له حكاية وهو أنه كان لأبي نواس صديقة تغشاه فقيل له انها تختلف إلى آخر من أهل الريب فلم يصدق ذلك حتى تبعها يوما من الايام فرآها تدخل منزل ذلك الرجل ثم ان ذلك الرجل جاءه وكان صديقا له فكلمه فصرف وجهه عنه ثم نظم قصيدته المشهورة التي مطلعها

* أيها المنتاب عن عفره * وهذا البيت من جملة أبياتها (وكذلك) ورد قوله أيضا

القوم أحالت بهم الفزع و(أفزعتهم) اذا أحوجتهم الى الفزع و(أفزعتهم) اذا فزعوا اليك فأعنتهم و(أودعت) فلانا مالا دفعته اليه وديعة و(أودعته) قبلت وديعته (أسررت) الشيء أخفيته وأعلنته ﴿باب أفعل الشيء في نفسه وأفعل الشيء غيره﴾ (أضاءت) النار و(أضاءت) النار غيرها قال الجعدي

أضاءت لنا النار وجها أغر ملتبسا بالفؤاد التباسا

و(اقض) عليه المضجع و(اقض) عليه الهم المضجع و(افدت) مالا أي استفدته و(افدت) فلانا مالا أعطيته اياه ﴿باب فعل الشيء وفعل الشيء غيره﴾ (هجمت) على القوم و(هجمت) عليهم غيري و(عجت) بالمكان و(عجت) غيري (دلع) لسان الرجل و(دلع) الرجل لسانه وروى ابن الاعرابي دلع لسانه وأدلعه (فغر) فم الرجل و(فغر) الرجل فمه (سار) الدابة و(سار) الرجل الدابة (جبرت) اليد (جبر) الرجل اليد قال العجاج * قد جبر الدين الاله فجبر * (غاض) الماء و(غاض) الرجل الماء و(قمس) في الماء و(قمسته) و(رجنت) الناقة و(رجنتها) و(نقص) الشيء و(نقصته) و(زاد) و(زدته) و(مد) النهر و(مده) نهر آخر و(هدر) دم الرجل و(هدرته) و(هبط) ثمن السلعة و(هبطته) وناظرة و يقال أهبطته أيضا (ورجع) الشيء و(رجعته) و(صد) و(صددته) و(كسفت) الشمس و(كسفها

وناظرة الى من النقاب * تلاحظنى بطرف مستراب
كشفت قناعها فاذا عجوز * مموهة المفارق بالخضاب
فمازالت تحمسنى طويلا * وتأخذ فى أحاديث التصابى
تحاول أن يقوم أبو زياد * ودون قيامه شيب الغراب
أتت بجرابها تكتال فيه * فقامت وهى فارغة الجراب

فقوله أتت بجرابها تكتال فيه من باب الكناية اذ الجراب يجوز حمله على الحقيقة والمجاز وكذلك الكيل أيضا (ومما جاء من هذا الباب) قول أبى تمام فى قصيدته التى يستعطف بها مالك بن طوق على قومه ومطلعها * أرض مصردة وأرض منجم

مالى رأيت ترابكم يبس الثرى * مالى أرى أطوادكم تتهدم

فيبس الثرى كناية عن تنكر ذات البين تقول يبس الثرى بينى و بين فلان اذا تنكر الود الذى بينك و بينه وكذلك تهدم الاطواد فانه كناية عن خفة الحلوم وطيش العقول ومن الكناية الحسنة قول أبى الطيب المتنبى فى قصيدته التى يعاتب فيها سيف الدولة بن حمدان التى مطلعها * واحر قلباه ممن قلبه شبم *

وشر ماقنصته راحتى قنص * شهب البزاة سواء فيه والرخم

يشير بذلك الى ان سيف الدوله يستوى فى المنال منه هو وغيره فهو البازى وغيره الرخمة وان حمل المعنى على جانب الحقيقة كان جائزا وعلى هذا ورد قول الاقيس الاسدى وكان عنينا لا يأتى النساء وكان كثيرا مايصف ذلك من نفسه فجلس اليه يوما رجل من قيس فانشده الاقيس

ولقد أروح بمشرف ذى ميعة * عسر المكرة ماؤه يتقصد
مرح يطير من المزاح لعابه * ويكاد جلد اهابه يتقدد

ثم قال له أتبصر الشعر قال نعم قال فما وصفت قال فرسا قال أفكنت تركبه لو رأيته قال أى والله وأثنى عطفه فكشف له عن أيره وقال هذا وصفت فقم فاركبه فوثب الرجل عن مكانه وقال قبحك الله من جليس سائر اليوم (وكذلك أيضا يحكى) أنه وفد سعيد بن عبد الرحمن على هشام بن عبد الملك وكان جميل الوجه فاختلف الى عبد الصمد بن عبد الاعلى مؤدب الوليد بن يزيد فراوده عن نفسه فوثب من عنده ودخل على هشام مغضبا وهو يقول

انه والله لولا أنت لم * ينج منى سالما عبد الصمد

فقال هشام ولم ذلك قال انه قد رام منى خطة * لم يرمها قبله منى أحد

قال ماهى قال راح جهلا بى وجهلا بأبى * يدخل الافعى على حبس الاسد

قال فضحك هشام وقال لو فعلت به شيئا لم أنكره عليك (ومن ألطف ماسمعته فى هذا الباب) قول أبى نواس فى الهجاء اذا ماكنت جار أبى حسين * فنم ويداك فى طرف السلاح

فان له نساء سارقات * اذا مابتن أطراف الرماح
سرقن وقد نزلت عليه ايرى * فلم أظفر به حتى الصباح
فجاء وقد تخدش جانباه * يئن الى من ألم الجراح

فتعبيره عن العضو المشار اليه بأطراف الرماح تعبير فى غاية اللطافة والحسن (وقد أدخل فى باب الكناية) ماليس منه كقول نصيب

الله عز وجل (وسرحت) الماشية و (سرحتها) و (رعت) و (رعيتها) (وعفا) الشىء أى كثر و (عفوته) و (عفا) المنزل و (عفوته) الريح و (خسف) المكان و (خسفه) الله و (فر) الشىء و (فرته) و (ذرى) الحب و (ذرته) الريح و (رفع) البعير فى السير و (رفعته) و (نفى) الرجل و (نفيته) و (عاب) الشىء و (عبته) و (ثرم) الرجل و (ثرمه) الله و (شتر) و (شتره) الله و (سعد) و (سعده) الله وأسعده ونزفت البئر) و (نزفتها) و (نشر) الشىء و (نشره) الله و (فتن) الرجل و (فتنته) و (أفتنته) و (خسأت) الكلب (نخسأ)

﴿باب فعلت وفعلت بمعنيين متضادين﴾

(بعت) الشىء اشتريته و بعته و (شريت) الشىء اشتريته و بعته (رتوت) الشىء شددته وأرخيته (خفيت) الشىء أظهرته وكتمته (شعبت) الشىء جمعته وفرقته (طلعت) على القوم أقبلت عليهم حتى يرونى و (طلعت) عنهم غبت عنهم حتى لايرونى (فهلت) عطشت و رويت (مثلت) قمت ولطئت بالأرض (تهجدت) صليت بالليل ونمت وقال بعضهم تهجدت وسهرت وهجدت نمت قال لبيد

قال هجدنا فقد طال السرى

أى نومن (ظننت) تيقنت وشككت (لمقت) كتبت ومحوت

﴿باب أفعلته ففعل﴾ تقول (أدخلته) فدخل و (أخرجته) فخرج و (أجلسته) فجلس و (أفزعته) ففزع و (أخفته) نخاف و (أجلته) فجال و (أجأته) فجاء و (أمكثته)

فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

وهذا يروى عن الجاحظ وما أعلم كيف ذهب عليه مع شهرته بالمعرفة بفن الفصاحة والبلاغة فان الكناية هي ما جاز حمله على جانب الحقيقة كما يجوز حمله على جانب المجاز وههنا لا يصح ذلك ولا يستقيم لأن الثناء للحقائب لا يكون الا مجازا وهذا من باب التشبيه والمضمر الاداة الخارج عن الكناية والمراد به أن في الحقائب من عطاياك ما يعرب عن الثناء لو سكت أصحابها عنه (وأما القسم المختص بما يقبح ذكره من الكناية) فانه لا يحسن استعماله لانه عيب في الكلام فاحش وذلك لعدم الفائدة المرادة من الكناية فيه (فمما جاء منه) قول الشريف الرضى يرثى امرأة * ان لم تكن نصلا فغمد نصال * وفي هذا من سوء الكناية ما لا اخفا به فان الوهم يسبق في هذا الموضع إلى ما يقبح ذكره وهذا المعنى أخذه من قول الفرزدق فمسخه وشوه صورته فان الفرزدق رثى امرأته فقال

وجفن سلاح قد رزئت فلم أنح * عليه ولم أبعث اليه البوا كيا
وفي جوفه في دارم ذو حفيظة * لو ان المنايا أمهلته لياليا

وهذا حسن بديع في معناه وما كني عن امرأة ماتت بجمع أحسن من هذه الكناية ولا أفخم شأنا فجاء الشريف الرضى فأخذ معناها وفعل به ما ترى وليس كل من تصرف في المعاني أحسن في تصريفها وأبقى هذه الرموز في تأليفها وقد عكس هذه القصة مع أبي الطيب المتنبي فاحسن فيما أساء به أبو الطيب طريق الكناية فاخطأ حيث قال

انى على شغفي بما في خمرها * لأعف عما في سراويلاتها

وهذه كناية عن النزاهة والعفة الا أن الفجور أحسن منها وقد أخذ الشريف الرضى هذا المعنى فأبرزه في أجمل صورة حيث قال

أحن الى ما تضمن الخمر والحلى * وأصدف عما في ضمان المآزر

وأمثال هذا كثير وفيما ذكرناه من هذين المثالين مقنع (وأما التعريض) فقد سبق الاعلام به وعرفناك الفرق بينه وبين الكناية (فما جاء منه) قوله تعالى قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون وغرض ابراهيم صلوات الله عليه من هذا الكلام اقامة الحجة عليهم لأنه قال فاسألوهم ان كانوا ينطقون وذلك على سبيل الاستهزاء وهذا من رموز الكلام والقول فيه أن قصد ابراهيم عليه السلام لم يرد به نسبة الفعل الصادر عنه الى الصنم وانما قصد تقريره لنفسه واثباته على أسلوب تعريض يبلغ فيه غرضه من الزام الحجة عليهم والاستهزاء بهم وقد يقال في هذا غير ما أشرت اليه وهو أن كبير الاصنام غضب أن تعبد معه هذه الاصنام الصغار فكسرها وغرض ابراهيم عليه السلام من ذلك أنه لا يجوز أن يعبد مع الله تعالى من هو دونه فان من دونه مخلوق من مخلوقاته فجعل احالة القول الى كبير الاصنام مثالا لما أراده (ومن هذا القسم) أيضا قوله تعالى قال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين فقوله ما نراك الا بشرا مثلنا تعريض بانهم أحق بالنبوة منه وأن الله لو أراد أن يجعلها في أحد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب أنك واحد من الملأ ومواز لهم في المنزلة فما جعلك أحق منهم بها ألا ترى الى قولهم وما نرى لكم علينا من فضل وكان مروان بن الحكم

فانطلق و(أقحمته) فانقحم ويقال (محوته) فامحى ولا يقال امتحى وقد يجيء الشيء على فعلته فيشركه أفعلته تقول (فرحته) و(أفرحته) ففرح و(غرمته) و(أغرمته) فغرم و(فزعته) و(أفزعته) ففزع و(قللهم) الله و(أقلهم) فقلوا وقد كان بعضهم يفرق بين أقل وأكثر وبين قلل وكثر وبين نزل وأنزل (وقد جاء) فعلته فأفعل وهو قليل قالوا (فطرته) فأفطر و(بشرته) فأبشر

﴿باب فعلته فانفعل وافتعل﴾

يقال (كسرته) فانكسر و(خسرته) فانخسر و(حطمته) فانحطم و(صرفته) فانصرف (ومنه ما يأتي على افتعل قالوا (عزلته) فاعتزل و(رددته) فارتد و(عددته) فاعتد و(كلته) فاكتال و(منه) ما جاء فيه هذان جميعا قالوا (شويته) فانشوى واشتوى هذا قول سيبويه وقال غيره لا يقال اشتوى لان المشتوى الشاوى واشتوى فعله وقالوا (غممته) فاغتم و(انغم) قال سيبويه وليس هذا مطردا في كل شيء تقول (طردته) فذهب ولا تقول فانطرد ولا اطرد وتقول (كسرته) فتكسر و(عشيته) فتعشى و(غذيته) فتغذى ﴿باب فعلت وأفعلت غيرى﴾ (بركت) الابل و(أبركتها)

و (ربضت) الغنم و (أربضتها) و (سامت) الابل و (أسمتها) و (كمنت) و (أكمنت) غيري و (ونيت) في الامر و (أونيت) غيري (خضت) الماء و (أخضته) دابتي (تلد) المال و (اتلدته) أنا (ثأى) الخرز و (أثأيته) (٢٥٧) و (ثبت) الموضع و (أثبت) دابتي (رهن)

الحكم والياً على المدينة من قبل معاوية فعزله فلما قدم عليه قال له عزلتك لثلاث لو لم تكن الا واحدة منهن لأوجبت عزلك احداهن أني أمرتك على عبد الله بن عامر و بينكما ما بينكما فلم تستطع أن تشتفي منه والثانية كراهتك أمر زياد والثالثة أن ابنتي رملة استعدتك على زوجها عمر بن عثمان فلم تعدها فقال له مروان أما عبد الله بن عامر فاني لا أنتصر منه في سلطاني ولكن اذا تساوت الاقدام علم أين موضعه وأما كراهتي أمر زياد فان سائر بني أمية كرهوه وأما استعداء رملة على عمر بن عثمان والله انه لتأتي على سنة وأكثر وعندي بنت عثمان فما أكشف لها ثوبا يريد بذلك أن رملة بنت معاوية انما استعدت لطلب الجماع فقال له معاوية يا ابن الوزغ لست هناك فقال له مروان هو ذاك وهذا من التعريضات اللطيفة ﴿ ومثله في اللطافة ﴾ ما يروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك أنه كان يخطب يوم جمعة فدخل عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال عمر أية ساعة هذه فقال عثمان يا أمير المؤمنين انقلبت من أمر السوق فسمعت النداء فما زدت على أن توضأت فقال عمر والوضوء أيضا وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا بالغسل فقوله أية ساعة هذه تعريض بالانكار عليه لتأخره عن المجيء الى الصلاة وترك السبق اليها وهو من التعريض المعرب عن الادب (ووقفت في كتاب العقد) على حكاية تعريضية حسنة الموقع وهي أن امرأة وقفت على قيس بن عبادة فقالت أشكو اليك قلة الفأر في بيتي فقال ما أحسن ما وردت عن حاجتها املؤا لها بيتها خبزا وسمنا ولحما ﴿ ومن خفي التعريض وغامضه ﴾ ما ورد في الحديث النبوي وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج وهو محتضن أحد ابني ابنته وهو يقول والله انكم لتجبنون وتبخلون وتجهلون وانكم لمن ريحان الله وان آخر وطأة وطئها الله بوج اعلم أن وجا واد بالطائف والمراد به غزاة حنين وحنين واد قبل وج لأن غزاة حنين آخر غزاة أوقع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المشركين وأما غزوتا الطائف وتبوك اللتان كانتا بعد حنين فلم يكن فيهما وطأة أي قتال وانما كانتا مجرد خروج الى الغزو من غير ملاقاة عدو ولا قتال ووجه عطف هذا الكلام وهو قوله صلى الله عليه وسلم وان آخر وطأة وطئها الله بوج على ما قبله من الحديث هو التأسف على مفارقة أولاده لقرب وفاته لان غزوة حنين كانت في شوال سنة ثمان ووفاته صلى الله عليه وسلم كانت في ربيع الأول من سنة احدى عشرة و بينهما سنتان ونصف فكأنه قال وانكم لمن ريحان الله أي من رزقه وأنا مفارقكم عن قريب الا أنه صانع عن قوله وأنا مفارقكم عن قريب بقوله وان آخر وطأة وطئها الله بوج وكان ذلك تعريضا بما أراده وقصده من قرب وفاته صلى الله عليه وسلم ﴿ ومما ورد من هذا الباب شعرا ﴾ قول الشميذر الحارثي

بني عمنا لا تذكروا الشعر بعدما * دفنتم بصحراء الغمير القوافيا

وليس قصده ههنا الشعر بل قصده ما جرى لهم في هذا الموضع من الظهور عليهم والغلبة الا أنه لم يذكر ذلك بل ذكر الشعر وجعله تعريضا بما قصده أي لا تفخروا بعد تلك الواقعة التي جرت لكم ولنا بذلك المكان ﴿ ومن أحسن التعريضات ﴾ ما كتبه عمرو بن مسعدة الكاتب الى المأمون في أمر بعض أصحابه وهو أما بعد فقد استشفع بي فلان الى أمير المؤمنين ليتطول في الحاقه بنظرائه من الخاصة فأعلمته أن أمير المؤمنين لم يجعلني في مراتب المستشفعين وفي ابتدائه بذلك تعدى طاعته فوقع المأمون في ظهر كتابه قد عرفت تصريحك له وتعريضك

لي الشيء أي قام و (أرهنته) لك (خنعت) لك و (أخنعتني) الحاجة و (قرت) الدابة وأنا أوقرتها و (رهصت) وأنا أرهصتها و (ثقبت) النار وأنا أثقبتها (راع) الطعام وأرعته

﴿ باب افعل الشيء وفعلته انا ﴾

(أقشع الغيم) و (قشعته) الريح وكذلك (أقشع) القوم اذا تفرقوا و (أنسل) ريش الطائر ووبر البعير اذا سقط و (نسلته) أنا نسلا (وأنزفت) البئر اذا ذهب ماؤها و (نزفتها) أنا (ومرت) الناقة اذا درلبنها و (مريتها) أنا بالمسح و (أشنق) البعير اذا رفع رأسه و (شنقته) أنا (مددته) بالزمام حتى رفع رأسه و (أكب) على وجهه قال الله تعالى فكبت وجوههم في النار

﴿ معاني ابنية الافعال ﴾

﴿ باب فعلت ومواضعها (بتشديد العين) ﴾

(تأتي فعلت بمعنى أفعلت) كقولك خبرت وأخبرت وسميت وأسميت وبكرت وأبكرت وكذبت وأكذبت وكان الكسائي يفرق بينهما وكذلك قالت وأقالت وكثرت وأكثرت (وتدخل فعلت على افعلت اذا أردت تكثير العمل والمبالغة) تقول أجدت وجودت وأغلقت الابواب وغلقت وأقفلت وقفلت (وتدخل فعلت على

لنفسك وقد أجبناك اليهما ﴿واعلم﴾ ان هذين القسمين من الكناية والتعريض قد وردا فى غير اللغة العربية وجدتها كثيرا فى اللغة السريانية فان الانجيل الذى فى أيدى النصارى قد أتى منهما بالكثير ﴿ومما وجدته من الكناية فى لغة الفرس﴾ أنه كان رجل من أساورة كسرى وخواصه فقيل ان الملك يختلف الى امرأتك فهجرها لذلك وترك فراشها فأخبرت كسرى فدعاه وقال له قد بلغنى أن لك عينا عذبة وأنك لا تشرب منها فما سبب ذلك قال أيها الملك بلغنى أن الاسد يردها فخفته فاستحسن كسرى منه هذا الكلام وأسنى عطاءه ﴿النوع العشرون فى المغالطات المعنوية﴾ وهذا النوع من أحلى ما استعمل من الكلام وألطفه لما فيه من التورية وحقيقته أن يذكر معنى من المعانى له مثل فى شىء آخر ونقيض والنقيض أحسن موقعا وألطف مأخذا فالاول الذى يكون له مثل يقع فى الالفاظ المشتركة فمن ذلك قول أبى الطيب المتنبى

يشلهمو بكل أقب نهد * لفارسه على الخيل الخيار
وكل أصم يعسل جانباه * على الكعبين منه دم ممار
يغادر كل ملتفت اليه * ولبته لثعلبه وجار

فالثعلب هو هذا الحيوان المعروف والوجار اسم بيته والثعلب أيضا هو طرف سنان الرمح فلما اتفق الاسمان بين الثعلبين حسن ذكر الوجار فى طرف السنان وهذا نقل المعنى من مثل الى مثله وعليه ورد قول المتنبى أيضا

برغم شبيب فارق السيف كفه * وكانا على العلات يصطحبان
كأن رقاب الناس قالت لسيفه * رفيقك قيسى وأنت يمانى

فان شبيبا الخارجى الذى خرج على كافور الاخشيدى وقصد دمشق وحاصرها وقتل على حصارها كان من قيس ولم تزل بين قيس واليمن عداوات وحروب وأخبار ذلك مشهورة والسيف يقال له يمانى فى نسبته الى اليمن ومراد المتنبى من هذا البيت أن شبيبا لما قتل وفارق السيف كفه فكأن الناس قالوا لسيفه أنت يمانى وصاحبك قيسى ولهذا جانبه السيف وفارقه وهذه مغالطة حسنة وهى كالاولى الا أنها أدق وأغمض (وكذلك ورد قول بعضهم) من أبيات يهجو بها شاعرا فجاء من جملتها قوله

وخلطتم بعض القران ببعضه * فجعلتم الشعراء فى الانعام

ومعنى ذلك أن الشعراء اسم سورة من القرآن الكريم والانعام اسم سورة أيضا والشعراء جمع شاعر والانعام ما كان من الابل والبقر (وكذلك) ورد قول بعض العراقيين يهجو رجلا كان على مذهب أحمد بن حنبل رضى الله عنه ثم انتقل الى مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه ثم انتقل الى مذهب الشافعى رضى الله عنه

من مبلغ عنى الوجيه رسالة * وان كان لا تجدى لديه الرسائل
تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبل * وفارقته اذ أعوزتك المآكل
وما اخترت رأى الشافعى تدينا * ولكنما تهوى الذى منه حاصل
وعما قليل أنت لا شك صائر * الى مالك فافطن لما أنا قائل

ومالك هو مالك بن أنس صاحب المذهب رضى الله عنه ومالك هو خازن النار وهذه مغالطة لطيفة

فعلت اذا اردت كثرة العمل) فتقول قطعته باثنين وقطعته آرابا وكذلك كسرته وكسرته وجرحته وجرحته اذا أكثرت الجراحات فى جسده وتجولت فى البلاد وطوفت اذا أردت كثرة التطواف والجولان فيها فاذا لم ترد الكثرة قلت جلت وطفت قال الله عز وجل جنات عدن مفتحة لهم الابواب وقال تعالى وفجرنا الارض عيونا وقال الفرزدق

ما زلت أفتح أبوابا وأغلقها * حتى أتيت أبا عمرو بن عمار

فجاء به مخففا وهى جماعة أبواب وهو جائز الا ان التشديد كان أحسن وأشبه بالمعنى (وتأتى فعلت مضادة لافعلت) نحو أفرطت جزت المقدار وفرطت قصرت وأعذرت فى طلب الشىء بالغت وعذرت قصرت وأقذيت العين ألقيت فيها القذى وقذيتها نظفتها من القذى وأمرضته فعلت به فعلا مرض منه ومرضته قمت عليه فى مرضه (وتأتى فعلت لا يراد بها التكثير) نحو كلمته وعلمته وغديته وعشيته وصبحت القوم أتيتهم صباحا (وتأتى فعلت مخالفة لفعلت) نحو نميت الحديث نقلته على جهة الاصلاح ونميته نقلته على جهة الافساد وجاب القميص قور جيبه وجيبه جعل له جيبا (وتأتى فعلت للشىء ترمى به الرجل) نحو شجعته وجبنته وسرقته وخطأته وضللته وظلمته وفسقته وفجرته وزنيته وكفرته اذا رميته بذلك ومما يشبه هذا قولهم حييته ولبيته ورعيته وسقيته اذا قلت له حياك الله وسقاك الله الغيث ورعاك ومثل هذا جننته

لطيفة (ومن أحسن ماسمعته) فى هذا الباب قول أبى العلاء بن سليمان فى الابل

صاب العصا بالضرب قد دماها * تود أن الله قد أفناها

اذا أرادت رشداً أغواها * محـاله من رقـه اياها

فالضرب لفظ مشترك يطلق على الضرب بالعصا وعلى الضرب فى الارض وهـو المسير فيها وكذلك دماها فانه لفظ مشترك يطلق على شيئين أحدهما يقال دماه اذا أسال دمه ودماه اذا جعله كالدمية وهى الصورة وهكذا لفظ الفناء فانه يطلق على عنب الثعلب وعلى أذهاب الشيء اذا لم يبق منه بقية يقال أفناه اذا أذهبه وأفناه اذا أطعمه الفناء وهو عنب الثعلب والرشد والغوى نبتان يقال أغواه اذا أضله وأغواه اذا أطعمه الغوى ويقال طلب رشدا اذا طلب ذلك النبت وطلب رشداً اذا طلب الهداية و بعض الناس يظن هذه الابيات من باب اللغز وليس كذلك لانها تشتمل على ألفاظ مشتركة وذلك معنى ظاهر يستخرج من دلالة اللفظ عليه واللغز هو الذى يستخرج من طريق الحزر والحدس لا من دلالة اللفظ عليه وسأوضح ذلك ايضاحا جليا فى النوع الحادى والعشرين وهو الذى يتلو هذا النوع فليؤخذ من هناك ﴿ ويروى ﴾ فى الاخبار الواردة فى غزاة بدر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان سائراً بأصحابه يقصد بدرا فلقيهم رجل من العرب فقال ممن القوم فقال النبى صلى الله عليه وسلم من ماء فأخذ ذلك الرجل يفكر و يقول من ماء من ماء لينظر أى بطون العرب يقال لهـا ماء فسار النبى صلى الله عليه وسلم لوجهته وكان قصده أن يكتم أمره وهذا من المغالطة المثلية لانه يجوز أن يكون بعض بطون العرب يسمى ماء و يجوز أن يكون المراد أن خلقهم من ماء وقد جاء نى شيء من ذلك فى الكلام المنثور (فمنه) ما كتبته فى فصل من كتاب عند دخولى الى بلاد الروم أصف فيه البرد والثلج فقلت ومن صفات هذا البرد أنه يعقد الدر فى خلقه والدمع فى طرفه ور بما تعدى الى قليب الخاطر فأجمده أن يجرى بوصفه فالشمس مأسورة والنار مقرورة والارض شهباء غير أنها حولية لم ترض ومسيلات الجبال أنهار غير أنها جامدة لم تخض ومكان المغالطة من هـذا الكلام فى قولى والارض شهباء غير أنها حولية لم ترض فان الشهباء من الخيل يقال فيها حولية أى لها حول و يقال انها مروضة أى ذللت للركوب وهذه الارض مضى للثلج عليها حول فهى شهباء حولية وقولى لم ترض أى لم تسلك بعد ﴿ ومن ذلك ماذكرته فى وصف كريم فقلت ﴾ ولقد نزلت منه بمهلبى الصنع أحنفى الاخلاق ولقيته فكأنى لم أرع ممن أحب بلوعة الفراق ولا كرامة للاهل والوطن حتى أقول انى قد استبدلت به أهلا ووطناً وعهدى بالايام وهى من الاحسان فاطمة فاستولدتها بجواره حسناً وهذه تورية لطيفة فان فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن رضى الله عنهما ولدها وفاطمة هى اسم فاعلة من الفطام يقال فطمت فهى فاطمة كما يقال فطم فهو فاطم والحسن هو الشيء الحسن (ومن هذا الاسلوب) ما كتبته فى فصل من كتاب الى بعض الاخوان فقلت وعهده بقلمى وهو يتحلى من البيان بأسمائه و تبرز أنوار المعانى من ظلمائه وقد أصبحت يدى منه وهى حمالة الحطب وأصبح خاطرى أبا جهل بعد أن كان أبا لهب وهذا أحسن من الاول وأخلب عبارة فانظر أيها المتأمل الى ما فيه من التورية اللطيفة ألا ترى أن الخاطر يحمد فيوصف بأنه وقاد وملتهب و يذم فيوصف بأنه بليد وجاهل وأبو لهب وأبو جهل هما الرجلان المعروفان وكذلك حمالة الحطب

وجدعته وعقرته اذا قلت له جدعا وعقرا وأففت به اذا قلت له أف ﴿ أفعلت ومواضعها ﴾ وقد تدخل أفعلت عليها يعنى على فعلت فى هذا المعنى لانهما يشتركان كما دخلت فعلت مشدد إلا ان ذلك قليل قالوا سقيته وأسقيته قلت له سقيا قال ذو الرمة

وقفت على ربع لمية ناقتى * فمازلت أبكى عنده وأخاطبه

وأسقيه حتى كاد مما ابثه * تجاوبنى احجاره وملاعبه

(وتجىء افعلت بمعنى فعلت) نحو شغلته واشغلته ومحضته الود وامحضته وجددت فى الامر واجددت (وتجىء افعلت مخالفة لفعلت) نحو اجبرت فلانا على الامر وجبرت العظم (وانشدت) الضالة عرفتها (ونشدتها) طلبتها (وتجىء افعلت مضادة لفعلت نحو (نشطت) العقدة عقدتها بأنشوطة (وانشطتها) حللتها (وتربت) يداك افتقرت واتربت استغنت (واخفيت) الشيء سترته (وخفيته) اظهرته (وتجىء افعلت الشيء عرضته للفعل) نحو (اقتلت) الرجل عرضته للقتل و (ابعت) الشيء عرضته للبيع (وتجىء افعلت الشيء وجدته كذلك) نحو (احمدت) الرجل وجدته محمودا و اذممته وابخلته واجبنته واحمقته كذلك (وتجىء افعل الشيء حان منـه ذلك) نحو (أركب) المهر (وأحصد) الزرع (وأقطف) الكرم أى حان أن يركب وأن يحصد وأن يقطف (ويجىء أفعل الشيء صار كذلك وأصابه ذلك) نحـو (أجرب) الرجل (وأهزل) اذا أصاب ماله الجرب

هي المرأة المعروفة واذا ذم القلم قيل انه حطب وان صاحبه حاطب فلما نقلت أنا هذا الى المعنى الذى قصدته جئت به على حكم المغالطة وورّيت فيه تورية والمسالك الى مثل هذه المعانى وتصحيح المقصد فيها عسر جدا لاجرم أن الاجادة فيها قليلة (ومما يجرى هذا المجرى) ماذكرته فى وصف شخص بمعالى الامور وهو من أبر مساعيه أنه حاز قفل المكرمات ومفتاحها فاذا سئل منقبة كان مناعها واذا سئل موهبة كان مناحها وأحسن أثرا من ذلك أنه أخذ بأعنة الصعاب وألان جماحها فاذا شهد حومة حرب كان منصورها واذا لقى مهجة خطب كان سفاحها والمغالطة فى هذا الكلام فى ذكر المنصور والسفاح فانهما لقب خليفتين من بنى العباس والسفاح أول خلفائهم والمنصور أخوه الذى ولى الخلافة من بعده وهما أيضا من النصر فى حومة الحرب والسفح الذى هو الاراقة والمهجة دم القلب فكأنى قلت هو منصور فى حومة الحرب ومريق لدم الخطوب وقد اجتمع فى هذا الكلام المنصور والمنصور والسفاح والسفاح وهذا من المغالطة المثلية لا من النقيضية ولا خفاء بما فيها من الحسن (ومن ذلك) ما كتبته فى كتاب الى بعض الاخوان فقلت وقد علمت أن ذلك الأنس بقربه يعقب إيحاشا وان تلك النهلة من لقائه تجعل الاكباد عطاشا فان من شيمة الدهر أن يبدل الصفو كدرا ويوسع أيام عقوقه طولا وأيام بره قصرا وما أقول الا أنه شعر بتلك المسرة المسروقة فأقام عليها حد القطع ورأى العيش فيها خفضا فأزاله بعامل الرفع والمغالطة فى هذا الكلام هى فى ذكر الخفض والرفع فان الخفض هو سعة العيش والخفض هو أحد العوامل النحوية والرفع هو من قولنا رفعت الشيء اذا أزلته والرفع هو أحد العوامل النحوية أيضا وهذا من المغالطات الخفية (ومن ذلك) ما كتبته فى فصل أصف فيه الحمى وكنت إذ ذاك بحصن سميساط وهو بلد من بلاد الأرمن فقلت ومما أكره فى حال المرض بهذه الأرض ان الحمى خيمت بها فاستقرت ولم تقنع بأهلها حتى سرت الى تربتها فترى وقد أخذتها النافض فاقشعرت ولم يشكل أمرها الا لانها حمى أرمنية مستعجمة اللسان وقد تشتبه الأمراض وأهل بلادها فى الابان واذا كانت الحمى كافرة لم تزل المسلم حربا وشكاتها لا تسمى شكاة وانما تسمى طعنا وضربا ولهذا صارت الادوية فى علاجها ليست بأدوية وأصبحت أيام نحرها فى الناس غير مبتدأة بأيام تروية وليس موسمها فى فصل معلوم بل كل فصول العام من مواسمها ولو كاتبتها نصيبين أوميا فارقين بكتاب لترجمته بعبدها وخادمها والمغالطة ههنا فى قولي وأصبحت أيام نحرها فى الناس غير مبتدأة بأيام تروية والمراد بذلك أنها تقبل بغتة من غير تروّ أى من غير تلبث ويوم النحر هو يوم عيد الاضحى وقبله يوم يسمى يوم التروية فالمغالطة حصلت بين نحر الحمى للناس ونحر الضحايا الا أن يوم النحر مبتدأ بيوم تروية ولا خفاء بما فى هذه المغالطة من الحسن واللطافة (وأما القسم الآخر) وهو النقيض فانه أقل استعمالا من القسم الذى قبله لانه لا يتهيأ استعماله كثيرا فمن جملته ماورد شعرا لبعضهم وهو قوله

وما أشياء تشريها بمال * فان نفقت فأكسد ما تكون

يقال نفقت السلعة اذا راجت وكان لها سوق ونفقت الدابة اذا ماتت وموضع المناقضة ههنا فى قوله انها اذا نفقت كسدت فجاء بالشيء ونقيضه وجعل هذا سببا لهذا وذلك من المغالطة الحسنة (ومن ذلك ما كتبته فى جملة كتاب) الى ديوان الخلافة يتضمن فتوح بلد من بلاد الكفار فقلت

والهزل (وأرغد) صار فى رغد من العيش ويجيء (أفعل) الشيء أتى بذلك نحو (أذم) الرجل أتى مايذم عليه و (ألام) أتى بما يلام (٢٦٠) عليه (وأخس) أتى بخسيس من الفعل (ويجيء أفعلت الشيء جعلت له ذلك) نحو (أقبرت) الرجل جعلت له قبرا يدفن فيه وأحلبت) الرجل جعلت له ما يحلبه و (أركبته) جعلت له مايركبه و (ارعى) الله الماشية انبت لها ماترعاه

﴿باب فاعلت ومواضعها﴾

(تأتى فاعلت بمعنى فعلت وافعلت) كقولك قاتلهم الله اى قتلهم الله وعافاك الله اى اعفاك وعاقبت فلانا وداينت الرجل اذا أعطيته الدين بمعنى أدنته وشارفت بمعنى أشرفت وباعدته بمعنى أبعدته وجاوزته بمعنى جزته وعالية رحلى على الناقة أى أعليت (وتأتى فاعلت من واحد بغير معنى فعلت وأفعلت) تقول سافرت وظاهرت وناولت وضاعفت (وتأتى فاعلت من اثنين) وأكثر ماتكون كذلك نحو قاتلته وخاصمته ونافرته وسابقته وصارعته وضاربته وهذا كثير (وتأتى فاعلت وفعلت بمعنى واحد) قالوا ضاعفت وضعفت وبعدت وباعدت ونعمت وناعمت ويقال امرأة منعمة ومناعمة

﴿باب تفاعلت ومواضعها﴾ (تأتى تفاعلت من اثنين بمعنى افتعلت) تقول (تضاربنا) بمعنى أضربنا و (تقاتلنا) بمعنى اقتتلنا هى و (تجاوزنا) بمعنى اجتوزنا و (تلاقينا) بمعنى التقينا و (تخاصمنا) و (اختصمنا) و (ترامينا) و (ارتمينا) (وتأتى

فى آخر الكتاب وقد ارتاد الخادم من يبلغ عنه مساريخ هذه الوقائع التى اختصرها و يمثل صورها لمن غاب عنها كما تمثلت لمن حضرها و يكون مكانه من النباهة كريما كمكانها وهي عرائس المساعى فأحسن الناس بيانا مؤهل لابداع حسانها والسائر بها فلان وهو راوى أخبار نصرها التى صحتها فى تجريح الرجال وعوالى اسنادها مأخوذة من طرق العوال والليالى والايام لها رواة فما الظن براوية الايام والليال فى هذا الفصل مغالطة نقيضية ومغالطة مثلية أما المغالطة المثلية فهى فى قولى وعوالى اسنادها مأخوذة من طرق العوال وقد تقدم الكلام على هذا وما يجرى مجراه فى القسم الاول وأما المغالطة النقيضية فهى قولى وهو راوى أخبار نصرها التى صحتها فى تجريح الرجال وموضع المغالطة منه انه يقال فى رواة الاخبار فلان عدل صحيح الرواية وفلان مجروح أى سقيم الرواية غير موثوق به فأتيت بهذا المعنى على وجه النقيض فقلت صحة أخبار هذه الفتوح فى تجريح الرجال أى تجريحهم فى الحرب وفى هذا من الحسن ما لا خفاء به وقد أوردت من هذه الامثلة ما فيه كفاية ومقنع ﴿ فان قيل ﴾ ان الضرب الاول من هذا النوع هو التجنيس الذى لفظه واحد ومعناه مختلف كالمثال الذى مثلته وفى قول أبى الطيب المتنبي ثعلب وجار فان الثعلب هو الحيوان المعروف وهو أيضا طرف السنان وكذلك باقى الامثلة (قلت فى الجواب) ان الفرق بين هذين النوعين ظاهر وذاك ان التجنيس يذكر فيه اللفظ الواحد مرتين فهو يستوى فى الصورة ويختلف فى المعنى كقول أبى تمام

بكل فتى ضرب يعرض للقنا * محيا محلى حليه الطعن والضرب

فالضرب الرجل الخفيف والضرب هو الضرب بالسيف فى القتال فاللفظ لابد من ذكره مرتين والمعنى فيه مختلف والمغالطة ليست كذلك بل يذكر فيها اللفظ مرة واحدة و يدل به على مثله و ليس بمذكور ﴿ النوع الحادى والعشرون فى الاحاجى ﴾ وهي الاغاليط من الكلام وتسمى الالغاز جمع لغز وهو الطريق الذى يلتوى و يشكل على سالكه وقيل جمع لغز بفتح اللام وهو ميلك بالشىء عن وجهه وقد يسمى هذا النوع أيضا المعمى وهو يشتبه بالكناية تارة و بالتعريض أخرى و يشتبه أيضا بالمغالطات المعنوية ووقع فى ذلك عامة أرباب هذا الفن (فمن ذلك) أن أبا الفرج الاصفهانى ذكر بيتى الاقيس الاسدى فى جملة الالغاز وهما

ولقد أروح بمشرف ذى ميعة * عسر المكرة ماؤه يتقصد

مرح يطير من المزاح لعابه * و يكاد جلد اهابه يتقدد

وهذان البيتان من باب الكناية لانهما يحملان على الفرس وعلى العضو المخصوص واذا حمل اللفظ على الحقيقة والمجاز فكيف يعد من جملة الالغاز وكذلك فعل الحريرى فى مقاماته فانه ذكر فى الاحاجى التى جعلها على حكم الفتاوى كناية ومغالطة معنوية وظن أنها من الاحاجى الملغزة كقوله أيحل للصائم أن يأكل نهارا والنهار من الاسماء المشتركة بين النهار الذى هو ضد الليل و بين فرخ الحبارى فانه يسمى نهارا واذا كان من الاسماء المشتركة صار من باب المغالطات المعنوية لامن باب الاحاجى والالغاز شىء منفصل عن ذلك كله ولو كان من جملته لما قيل لغز واحجية وانما قيل كناية وتعريض أو مغالطة ولكن وجد من الكلام ما يطلق عليه الكناية ومنه ما يطلق عليه التعريض ومنه ما يطلق عليه المغالطة ومنه شىء آخر خارج عن ذلك فجعل لغزا وأحجية وكنت قدمت القول بأن الكناية هى اللفظ الدال على جانب الحقيقة

و (تعاشيت) و (تعارجت) و (تعاقلت) و (تخازرت) قال الشاعر

* اذا تخازرت وما بى من خزر *

فقوله ما بى من خزر يدل على ما ذكرنا و بالله التوفيق

﴿باب تفعلت ومواضعها﴾

(تأتى تفعلت بمعنى ادخالك نفسك فى أمر حتى تضاف اليه أو تصير من أهله) نحو (تشجعت و (تجلدت) و (تبصرت) و (تمرأت) أى صرت ذا مروءة و (تخشعت) و (تلبلت) و (تدهقنت) أى تشبهت بالدهاقين و (تحملت) قال حاتم

تحلم عن الادنين واستبق ودهم
ولن تستطيع الحلم حتى تحلما

و (تقيست) و (تنزرت) و (تعربت) قال الراجز

وقيس عيلان ومن تقيسا

وليس تفعلت فى هذا بمنزلة تفاعلت ألا ترى انك تقول تحالمت فالمعنى انك أظهرت الحلم ولست كذلك وتقول تحلمت فالمعنى انك التمست أن تصير حليما (وتأتى تفاعلت وتفعلت بمعنى)

تقول (تعطيت) و (تعاطيت) و (تجوزت) عنه و(تجاوزت) و (تذأبت) الريح و (تذاءبت) أى جاءت مرة من ههنا ومرة من ههنا قالوا وأصله من الذئب اذا حذر من وجه جاء من وجه آخر و (تكأدني) الشىء و(تكاءدنى) أى شق على وهو

وعلى جانب المجاز فهو يحمل عليهما معا وأن التعريض هو ما يفهم من عرض اللفظ لا من دلالته عليه حقيقة ولا مجازا وأن المغالطة هي التي تطلق ويراد بها شيئان أحدهما دلالة اللفظ على معنيين بالاشتراك الوضعي والآخر دلالة اللفظ على المعنى ونقيضه (وأما اللغز والاحجية) فانهما شيء واحد وهو كل معنى يستخرج بالحدس والحذر لا بدلالة اللفظ عليه حقيقة ولا مجازا ولا يفهم من عرضه لأن قول القائل في الضرس

وصاحب لا أمن الدهر صحبته * يشقى لنفعي ويسعى سعي مجتهد
ما ان رأيت له شخصا فمذ وقعت * عيني عليه افترقنا فرقة الأبد

لا يدل على أنه الضرس لا من طريق الحقيقة ولا من طريق المجاز ولا من طريق المفهوم وانما هو شيء يحدس ويحزر والخواطر تختلف في الاسراع والابطاء وعند عثورها عليه ﴿فان قيل﴾ ان اللغز يعرف من طريق المفهوم وهذان البيتان يعلم معناهما بالمفهوم (قلت في الجواب) ان الذي يعلم بالمفهوم انما هو التعريض كقول القائل انى لفقير وانى لمحتاج فان هذا القول لا يدل على المسئلة والطلب لا حقيقة ولا مجازا وانما فهم منه أن صاحبه متعرض للطلب وهذان البيتان ليسا كذلك فانهما لا يشتملان على ما يفهم منه شيء الا بالحدس والحزر لا غير وكذلك كل لغز من الألغاز (واذا ثبت هذا فاعلم) أن هذا الباب الذي هو اللغز والاحجية والمعمى يتنوع أنواعا فمنه المصحف ومنه المعكوس ومنه ما ينقل الى لغة من اللغات غير العربية كقول القائل اسمي اذا صحفته بالفارسية آخر وهذا اسمه اسم تركي وهو دنكر بالدال المهملة والنون وآخر بالفارسية ديكر بالدال المهملة والياء المعجمة بنقطتين من تحت واذا صحفت هذه الكلمة صارت دنكر بالنون فانقلبت الياء نونا بالتصحيف وهذا غير مفهوم الا لبعض الناس دون بعض وانما وضع واستعمل لأنه مما يشحذ القريحة ويحد الخاطر لانه يشتمل على معان دقيقة يحتاج في استخراجها الى توقد الذهن والسلوك في معاريج خفية من الفكر وقد استعمله العرب في أشعارهم قليلا ثم جاء المحدثون فأكثروا منه وربما أتى منه بما يكون حسنا وعليه مسحة من البلاغة وذلك عندي بين بين فلا أعده من الأحاجي ولا أعده من فصيح الكلام فمما جاء منه قول بعضهم

قد سقيت آبالهم بالنار * والنار قد تشفي من الاوار

ومعنى ذلك أن هؤلاء القوم الذين هم أصحاب الابل ذوو وجاهة وتقدم ولهم وسم معلوم فلما وردت ابلهم الماء عرفت بذلك الوسم فأفرج لها الناس حتى شربت وقد اتفق له أنه أتى في هذا البيت بالشيء وضده وجعل أحدهما سببا للآخر فصار غريبا عجيبا وذلك أنه قال سقيت بالنار وقال ان النار تشفي من الاوار وهو العطش وهذا من محاسن ما يأتي في هذا الباب (ومما يجري على هذا النهج) قول أبي نواس في شجر الكرم

لنا هجمة لا يدري الذئب سخلها * ولا راعها غض الفحالة والحظر
اذا امتحنت ألوانها مال صفوها * الى الحو الا أن أوبارها خضر

ومن هذا القبيل قول بعضهم

سبع رواحل ما ينخن من الونا * شيم تساق بسبعة زهر
متواصلات لا الذؤوب يملها * باق تعاقبها على الدهر

هذان البيتان يتضمنان وصف أيام الزمان ولياليه وهي الاسبوع فان الزمان عبارة عنه وذلك

من العقبة الكؤود (وتأتي تفعلت للشيء تأخذ منه الشيء بعد الشيء) نحو قولك (تفهمت) و(تبصرت) و(تأملت) و(تبينت) و(تثبت) و(تجرعت) و(تحسيت) و(تفوقت) و(تعرقته) الايام و(تنقصته) و(تخونته) و(تخوفته) وكله بمعنى تنقصته و(تسمعت) و(تحفظت) و(تدخلت) و(تقعدت) عن الأمر و(تعهدت) فلانا و(تنجزت) حوائجي فهذا كله ليس عمل وقت واحد لكنه عمل شيء بعد شيء في مهلة وكذلك (تحسست) و(تجسست) و(تدسست) و(تمززت) الشراب ﴿باب استفعلت وموضعها﴾ وقد تدخل استفعلت على بعض حروف تفعلت قالوا (تعظم) و(استعظم) وتكبر و(استكبر) وتيقن و(استيقن) و(تثبت) و(استثبت) وتنجز حوائجه و(استنجز) و(تأتي استفعلت بمعنى سألته ذلك) تقول (استوهبته) كذا أي سألته هبته لي و(استعطيته) سألته العطية و(استعتبته) سألته العتبى و(استعفيته) سألته الاعفاء و(استفهمته) سألته الافهام و(استخبرته) سألته أن يخبرني و(استخرجته) سألته أن يخرج أو يخرج ما عنده وكذلك (استنزلته) و(استشرته) و(استخففته) أي طلبت خفته و(استعملته) طلبت إليه العمل و(استعجلته) طلبت منه عجلته (وتأتي من استفعلت بمعنى وجدته كذلك) تقول (استجدته) أي أصبته جيدا و(استكرمته) و(استعظمته) و(استسمنته) و

من الالغاز الواقعة فى موقعها (وعلى هذا الاسلوب) وردقول أبى الطيب المتنبى فى السفن من جملة قصيدته التى مدح بها سيف الدولة عند ذكر عبوره الفرات وهي

* الرأى قبل شجاعة الشجعان * فقال

وحشاه عادية بغير قوائم * عقم البطون حوالك الالوان

تأتى بما سبت الخيول كأنها * تحت الحسان مرابض الغزلان

وهذا احسن فى بابه ومن ذلك قول بعضهم فى حجر المحك

ومدرع من صنعة الليل برده * يفوق طورا بالنضار و يطلس

إذا سألوه عن غو يصين أشكلا * أجاب بما أعيا الورى وهو أخرس

وهذا من اللطافة على ما يشهد لنفسه وكان سمعه بعض المتأخرين من أهل زماننا فأجاب عنه ببيتين على وزنه وقافيته وهما

شوالك جلمود من الصخر أسود * خفيف لطيف ناعم الجسم أطلس

أقيم بسوق الصرف حكما كأنه * من الزنج قاض بالخلوق مطلس

وقد رأيت هذا الشاعر وهو حائك بجزيرة ابن عمر وليس عنده من أسباب الادب شيء سوى أنه قد أصلح لسانه بطرف يسير من علم النحو لا غير وهو مع ذلك يقول الشعر طبعا وكان يجيد فى الكثير منه (ومن الالغاز) ما يرد على حكم المسائل الفقهية كالذى أورده الحريرى فى مقاماته وكنت سئلت عن مسئلة منه وهى

ولى خالة وأنا خالها * ولى عمة وأنا عمها * فأما التى أنا عم لها

فان أبى أمه أمها * أبوها أخى وأخوها أبى * ولى خالة هكذا حكمها

فأين الفقيه الذى عنده * فنون الدراية أو علمها

يبين لنا نسبا خالصا * و يكشف للنفس ما همها

فلسنا مجوسا ولا مشركين * شريعة أحمد نأتمها

وهذه المسئلة كتبت إلى فتأملتها تأمل غير ملجج فى الفكر ولم ألبث أن انكشف لى ما تحتها من اللغز وهو أن الخالة التى الرجل خالها تصور على هذه الصورة وذاك أن رجلا تزوج امرأتين اسم احداها عائشة واسم الاخرى فاطمة فأولد عائشة بنتا وأولد فاطمة ابنا ثم زوج بنته من أبى امرأته فاطمة فجاءت ببنت فتلك البنت هى خالة ابنه وهو خالها لانه أخو أمها وأما العمة التى هو عمها فصورتها أن رجلا له ولد ولولده أخ من أمه فزوج أخاه من أمه أم أبيه فجاء ببنت فتلك البنت هى عمته لانها أخت أبيه وهو عمها لانه أخو أبيها وأما قوله ولى خالة هكذا حكمها فهو أن تكون أمها أخته وأختها أمه كما قال أبوها أخى وأخوها أبى وصورتها أن رجلا له ولد ولولده أخت من أمه فزوجها من أبى أمه فجاءت ببنت فأختها أمه وأمها أخته (وأحسن من ذلك كله وألطف وأحلى) قول بعضهم فى الخلخال

ومضروب بلا جرم * مليح اللون معشوق

له قد الهلال على * مليح القد ممشوق

وأكثر ما يرى أبدا * على الامشاط فى السوق

و بلغنى أن بعض الناس سمع هذه الابيات فقال قد دخلت السوق فما رأيت على الامشاط شيئا وظن انها الامشاط التى يرجل بها الشعر وأن السوق سوق البيع والشراء (واعلم) أنه قد يأتى

كقولهم (استنوق) الجمل و (استتيست) الشاة و (استنسر) البغاث و (استضرب) العسل أى صار ضربا بتحريك الراء

﴿باب افتعلت ومواضعها﴾

(تأتى افتعلت بمعنى اتخذت ذلك) تقول (اشتويت) أى اتخذت شواء وشويت أنضجت وكذلك (اختبزت) وخبزت و (أطبخت) وطبخت و (أذبحت) وذبحت فذبحت قتلت وأذبحت اتخذت ذبيحة وحبسته كقولك ضبطته و (احتبسته) اتخذته حبيسا (وأما كسب) فمعناه أصاب و (اكتسب) فمعناه تصرف وطلب والاعتماد بمنزل الاضطراب (و يأتى افتعل لا يراد به شيء من هذا) وذلك (افتقر) و (اشتد) وقلع و (اقتلع) وجذب و (اجتذب) وقرأت و (اقترأت) و (تأتى افتعلت بمعنى تفاعلت من اثنين) نحو (اقتتلنا) بمنزلة تقاتلنا و (اجتوزنا) بمنزلة تجاوزنا

﴿باب افعوعلت وأشباهها وما يتعدى من الافعال وما لا يتعدى﴾

(تأتى افعوعلت بمعنى المبالغة والتوكيد) تقول (أعشبت الارض) فاذا أردت أن تجعل ذلك كثيرا عاما قلت (اعشوشبت) وكذلك حلا (واحلولى) وخشن و (اخشوشن) وهو يتعدى قال الشاعر فلما أتى عامان بعد انفصاله * عن الضرع واحلولى دماثا يرودها

وقالوا (أعروريت) الفلو أى ركبته عريا واعروريت منى أمرا قبيحا أى ركبته (وافعول يتعدى) تقول و (اعلوطه)
و (فعللت يتعدى) قالوا اصعررته (٢٦٤) فتصعرر وأنشد * سود كحب الفلفل المصعرر * و (دحرجته) و (جلببته) وفوعلت نحو (صومعته) و (ما كان على فعلت) فانه لا يتعدى إلى مفعول لا تقول (فعلته) نحو (مكث) و (كرم) و (عظم) و (ظرف) ولا يقال (طلته) لأنه فعلت وأما قولهم قلته فان أصلها معتلة من فعلت حولت اليها ليغيروا حركة الفاء عن حالها لو لم تعتل فلو لم يحولوها وجعلوها تعتل من فعلت نحو قولت لكانت ألفا (وما كان على انفعلت فانه لا يتعدى إلى مفعول) لا تقول (انفعلته) نحو (انطلقت) و (انكمشت) و(انجردت)و(انسلكت) وما كان على (افعللت وافعاللت فانه لا يتعدى) نحو(احمررت)و(احماررت) و(اشهببت)و(اشهاببت) ونظيره من بنات الأربعة (اطمأننت) و (اشمأززت) لا تقول فيه (فعللته) و (ما كان على افعنللت فانه لا يتعدى) نحو(اسحنككت و (احرنجمت) و(الخصال التى تكون فى الاشياء من القبح والحسن والشدة والضعف والجراءة والجبن والصغر والعظم تأتى على (فعل يفعل) وليست تتعدى نحو (قبح يقبح) و (صغر يصغر) و (عظم يعظم) و (صعب يصعب) و (سرع يسرع) وأشباه ذلك وشذ منه شىء فقالوا (نضر وجهه ينضر)

من هذا النوع ما هو ضروب وألوان فمنه الحسن الذي أوردت شيئا منه كما تراه ومنه المتوسط الذي هو دونه فى الدرجة لا يوصف بحسن ولا قبح كقول بعضهم

راحت ركائبهم وفى أكوارها * ألفان من عم الاثيل الواعد
ما ان رأيت ولا باركب هكذا * حملت حدائق كالظلام الراكد

وهذا يصف قوما وفدوا على ملك من الملوك فأعطاهم نخلا وكتب لهم بها كتابا والاثيل الموضع الذى كتب لهم اليه والعم العظام الرؤس من النخيل والواعد الاقناء من النخل فلما حملوا الكتب فى أكوارهم فكأنهم حملوا النخل وهذا من متوسط الالغاز وقد جاء من ذلك ما هو بشع بارد فلا يستخرج إلا بمسائل الجبر والمقابلة أو بخطوط الرمل من القبض الداخل أو القبض الخارج والبياض والحمرة وغيرها ولئن كان معناه دقيقا يدل على فرط الذكاء فانى لا أعده من اللغة العربية فضلا عن أن يوصف بصفات الكلام المحمودة ولا فرق بينه وبين لغة الفرس والروم وغيرهما من اللغات فى عدم الفهم ﴿ وأما ما ورد من الالغاز نثرا ﴾ فقد ألغز الحريرى فى مقاماته ألغازا ضمنها ذكر الابرة والمرود وذكر الدينار وهى أشهر كما يقال من قفا نبك فلا حاجة إلى ايرادها فى كتاب هذا وقد ورد من الالغاز شىء فى كلام العرب المنثور غير أنه قليل بالنسبة إلى ما ورد فى أشعارها وقد تأملت القرآن الكريم فلم أجد فيه شيئا منها ولا ينبغى أن يتضمن منها شيئا لأنه لا يستنبط بالحدس والحزر كما تستنبط الالغاز (وأما ما ورد للعرب) فيروى عن امرىء القيس وزوجته عدة من الالغاز وذاك أنه سألها قبل أن يتزوجها فقال ما اثنان وأربعة وثمانية فقالت أما الاثنان فثديا المرأة وأما الاربعة فاخلاف الناقة وأما الثمانية فأطباء الكلبة ثم انه تزوجها وأرسل اليها هدية على يد عبد له وهى حلة من عصب اليمن ونحى من عسل ونحى من سمن فنزل العبد ببعض المياه ولبس الحلة فعلق طرفها بسمرة فانشق وفتح النحيين وأطعم أهل الماء ثم قدم على المرأة وأهلها خلوف فسأل عن أبيها وأمها وأخيها ودفع اليها الهدية فقالت له أعلم مولاك أن أبى ذهب يقرب بعيدا ويبعد قريبا وأن أمى ذهبت تشق النفس نفسين وأن أخى يرقب الشمس وأخبره أن سماءكم انشقت وأن وعاءيكم نضبا فعاد العبد إلى امرىء القيس وأخبره بما قالته له فقال أما أبوها فانه ذهب يحالف قوما على قومه وأما أمها فانها ذهبت تقبل امرأة وأما أخوها فانه فى سرح يرعاه إلى أن تغرب الشمس وأما قولها ان سماءكم انشقت فان الحلة انشقت وأما قولها ان وعاءيكم نضبا فان النحيين نقصا ثم قال للعبد أصدقنى فقال له انى نزلت بماء من مياه العرب وفعلت كذا وكذا فهذا وأمثاله قد ورد عنهم إلا أنه يسير (وكذلك يروى عن شن بن أفصى) وكان ألزم نفسه أن لا يتزوج إلا امرأة تلائمه فصاحبه رجل فى بعض أسفاره فلما أخذ منهما السير قال له شن أتحملنى أم أحملك فقال له الرجل يا جاهل هل يحمل الراكب راكبا فأمسك عنه وسارا حتى أتيا على زرع فقال شن أترى هذا الزرع قد أكل فقال له يا جاهل أما تراه فى سنبله فأمسك عنه ثم سارا فاستقبلتهما جنازة فقال شن أترى صاحبها حيا فقال له الرجل ما رأيت أجهل منك أتراهم حملوا إلى القبر حيا ثم انهما وصلا إلى قرية الرجل فسار به إلى بيته وكانت له بنت فأخذ يطرفها بحديث رفيقه فقالت ما نطق إلا بالصواب ولا استفهم الا عما يستفهم عن مثله أما قوله أتحملنى أم أحملك فانه أراد أتحدثنى أم أحدثك حتى نقطع الطريق بالحديث وأما قوله أترى هذا الزرع قد أكل فانه أراد هل استسلف ربه ثمنه أم لا

وأما استفهامه عن صاحب الجنازة فانه أراد هل خلف له عقبا يحيا بذكره أم لا فلما سمع كلام ابنته خرج إلى شن وحدثه بتأويلها فخطبها فزوجه اياها (وأدق من هذا كله وألطف) ما يحكى عن رجل من المناقذة أصحاب شيزر وهو أولهم الذى استنقذه من أيدى الروم بالمكر والخديعة ولذلك قصة ظريفة وليس هذا موضع ذكرها وكان قبل ملكه اياها فى خدمة محمود بن صالح صاحب حلب وكان إذ ذاك يلقب بسديد الملك فنبا به مكانه وحدثت له حادثة أوجبت له أن هرب ومضى إلى مدينة طرابلس فى زمن بنى عمار أصحاب البلد فأرسل اليه ابن صالح واستعطفه ليعود اليه فخافه ولم يعد فأحضر ابن صالح رجلا من أهل حلب صديقا لابن منقذ وبينه وبينه لحمة مودة أكيدة وأجلسه بين يديه وأمره أن يكتب اليه كتابا عن نفسه يوثقه من جهة ابن صالح ليعود فما وسعه الا أن يكتب وهو يعلم أن باطن الأمر فى ذلك خلاف ظاهره وأنه متى عاد ابن منقذ الى حلب هلك ففكر وهو يكتب فى اشارة عمياء لا تفهم ليضمنها فيه يحذر بها ابن منقذ فأداه فكره أن كتب فى آخر الكتاب عند انهائه ان شاء الله تعالى وشدد إن وكسرها ثم سلم الكتاب إلى ابن صالح فوقف عليه وأرسله الى ابن منقذ فلما صار فى يده وعلم ما فيه قال هذا كتاب صديقى وما يغشنى ولولا أن يعلم صفاء قلب ابن صالح لى لما كتب الى ولا غرنى ثم عزم على العود وكان عنده ولد فأخذ الكتاب وكرر نظره فيه ثم قال له يا أبت مكانك فان صديقك قد حذرك وقال لا تعد فقال وكيف قال انه قد كتب ان شاء الله تعالى فى آخر الكتاب وشدد ان وكسرها وضبطها ضبطا صحيحا لا يصدر مثله عن سهو ومعنى ذلك أنه يقول ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك وان شككت فى ذلك فأرسل إلى حلب وهذا من أعجب ما بلغنى من حدة الذهن وفطانة الخاطر ولولا أنه صاحب الحادثة المخوفة لما تفطن إلى مثل ذلك أبدا الا أنه ضرب من علم الغيب وانما الخوف دله على استنباط ما استنبطه (ووجد لبعض الأدباء لغز فى حمام) فمنه ما أجاد فيه كقوله وقد أظلتها سماء ذات نجوم لا استراق لها ولا رجوم وهى مركبة فى فلك صحت استدارته وسكنت إدارته

أعجب بها من أنجم * عند الصباح ظاهره لكنها اذا بدا * نجم الظلام غائره

فهى على القياس جنة نعيم مبنية على لظى جحيم لا خلود فيها ولا مقام ولا تزاور بين أهلها ولا سلام أنهارها متدفقة ومياهها مترقرقة والأكواب بها موضوعة والنمارق عنها منزوعة

يطيع بها المولى أوامر عبده * ويصبح طوعا فى يديه مقاتله
ويرفع عنه التاج عند دخوله * ويسلب من قبل الجلوس غلائله

التجمل بها معدوم والخادم فيها مخدوم ينكر بها التستر من البرد ويكره حرها اذا جاوز الحد هذا اللغز من فصيح الألغاز ولا يقال ان صاحبه فى العمى صانع العكاز واذا تطرز غيره بلمعة من الوشى فهذا كله طراز (ومما سمعته) من الألغاز الحسان التى تجرى فى المحاورات ما يحكى عن عمر بن هبيرة وشريك النميرى وذلك أن عمر بن هبيرة كان سائرا على برذون له والى جانبه شريك النميرى على بغلة فتقدمه شريك فى المسير فصاح به عمر اغضض من لجامها فقال أصلح الله الأمير انها مكتوبة فتبسم عمر ثم قال له ويحك لم أرد هذا فقال له شريك ولا أنا أردته وكان عمر أراد قول جرير

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فأجابه شريك بقول الآخر

لا تأمنن فزاريا نزلت به * على قلوصك واكتبها باسيار

وقال بعضهم (جبن يجبن) و(علم يعلم) و(جهل يجهل) و(فقه يفقه) و(بخل يبخل) و(نبه ينبه) و(المضاعف يستثقل فيه فعل يفعل) نحو (ذل يذل) و(قل يقل) و(شح يشح) الا حرفا حكاه يونس (لببت تلب) من اللب (٢٦٥) ﴿ باب فعلت بفتح العين فى الواو والياء بمعنى واحد ﴾ (كنوت) الرجل و(كنيته) و(محوت) الكتاب أمحوه و(محيته) أمحاه و(حثوت) التراب أحثوه و(حثيته) أحثيه و(حنوت) العود و(حنيته) و(نقوت) العظم و(نقيته) إذا استخرجت نقيه وهو المخ و(عزوت) الرجل وعزيته إذا نسبته إلى أبيه و(هذوت وهذيت) و(قنوت الغنم وقنيتها) و(لحوت العصا ولحيتها) إذا قشرتها فأما لحيت الرجل من اللوم فبالياء لا غير و(جبيت) الخراج و(جبوته) جباية وجباوة و(زقوت) يا طائر و(زقيت) و(طغوت) يا رجل و(طغيت) و(صغوت) و(صغيت) و(قلوت) الحب و(قليته) و(منوت) الرجل و(منيته) إذا اختبرته و(شأوت) القوم شأوا و(شأيتهم) أى سبقتهم و(سجوت) الطين عن الأرض أى قشرته و(سحيته) وكذلك تقول فى القرطاس و(طهيت) اللحم و(طهوته) و(أتيته) و(أتوته) أتيا وأتوا وما أحسن أتو يدى

 الناقة وأتى يديها و(مأوت) السقاء و(مأيته) إذا مددته حتى يتسع و(طلوت) الطلى و(طليته) بمعنى ربطته برجله والطلى الطلا (حلوت) المرأة و(حليتها) إذا جعلت لها حلية و(حزوت) الطير و(حزيتها)

وهذا من الألغاز اللطيفة وتفطن كل من هذين الرجلين لمثله ألطف وأحسن ﴿ومما يجرى هذا المجرى﴾ أن رجلا من تميم قال لشريك النميرى مافى الجوارح أحب الى من البازى فقال له شريك اذا كان يصيد القطا وكان التميمى أراد قول جرير

أنا البازى المطل على نمير * أتيح من السماء لها انصبابا

وأراد شريك قول الطرماح

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولو سلكت طرق المكارم ضلت

واعلم أن خواطر الناس تتفاضل كتفاضل الأشخاص ومن ههنا قيل سبحان خالق أبى موسى وعمرو بن العاص (النوع الثانى والعشرون فى المبادى والافتتاحات) هذا النوع هو أحد الأركان الخمسة البلاغية المشار اليها فى الفصل التاسع من مقدمة الكتاب وحقيقة هذا النوع أن يجعل مطلع الكلام من الشعر أو الرسائل دالا على المعنى المقصود من ذلك الكلام ان كان فتحا ففتحا وان كان هناء فهناء أو كان عزاء فعزاء وكذلك يجرى الحكم فى غير ذلك من المعانى وفائدته أن يعرف من مبدأ الكلام ماالمراد به ولهذا النوع والقاعدة التى يبنى عليها أساسه أنه يجب على الشاعر إذا نظم قصيدا أن ينظر فان كانت مديحا صرفا لا يختص بحادثة من الحوادث فهو مخير بين أن يفتتحها بغزل أو لا يفتتحها بغزل بل يرتجل المديح ارتجالا من أولها كقول القائل

ان حارت الألباب كيف تقول * فى ذا المقام فعذرها مقبول

سامح بفضلك مادحيك فمالهم * أبدا إلى ماتستحق سبيل

ان كان لا يرضيك الا محسن * فالمحسنون اذاً لديك قليل

فان هذا الشاعر ارتجل المديح من أول القصيدة فأتى به كما ترى حسنا لائقا وأما اذا كان القصيد فى حادثة من الحوادث كفتح مقفل أوهزيمة جيش أو غير ذلك فانه لا ينبغى أن يبدأ فيها بغزل وان فعل ذلك دل على ضعف قريحة الشاعر وقصوره عن الغاية أو على جهله بوضع الكلام فى مواضعه (فان قيل) انك قلت يجب على الشاعر كذا وكذا فلم ذلك (قلت فى الجواب) ان الغزل رقة محضة والألفاظ التى تنظم فى الحوادث المشار اليها من فحل الكلام ومتين القول وهى ضد الغزل وأيضا فان الاسماع تكون متطلعة إلى مايقال فى تلك الحوادث والابتداء بالخوض فى ذكرها لا الابتداء بالغزل اذالمهم واجب التقديم ومن أدب هذا النوع أن لا يذكر الشاعر فى افتتاح قصيدة بالمديح مايتطير منه وهذا يرجع إلى أدب النفس لا إلى أدب الدرس فينبغى أن يحترز منه فى مواضعه كوصف الديار بالدثور والمنازل بالعفاء وغير ذلك من تشتت الآلاف وذم الزمان لاسيما إذا كان فى التهانى فانه يكون أشد قبحا وانما يستعمل ذلك فى الخطوب النازلة والنوائب الحادثة ومتى كان الكلام فى المديح مفتتحا بشىء من ذلك تطير منه سامعه وانما خصت الابتداءات بالاختيار لأنها أول مايطرق السمع من الكلام فاذا كان الابتداء لائقا بالمعنى الوارد بعده توفرت الدواعى على استماعه ويكفيك من هذا الباب الابتداءات الواردة فى القرآن كالتحميدات المفتتح بها أوائل السور وكذلك الابتداءات بالنداء كقوله تعالى فى مفتتح سورة النساء يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وكقوله تعالى فى أول سورة الحج يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شىء عظيم فان هذا الابتداء مما يوقظ السامعين للاصغاء اليه وكذلك الابتداءات بالحروف كقوله تعالى الم وطس وحم وغير ذلك فان هذا

و (أثوت) به و (أثيت) ثأوة وإثاية اذا وشيت به و (رثيت) الرجل و (رثوته) و (رثأت) أيضا (سخوت) النار فأنا أسخاها سخوا و (سخيت أسخى سخيا) وذلك إذا (٢٦٦) أوقدت فاجتمع الجمر والرماد ففرجته (لحوت) الصبي و (لحيته) اذا سعطته وأسعطته قليل وقد يقالان جميعا

﴿ أبنية من الأفعال مختلفة بالياء والواو بمعنى واحد ﴾

تحيزت إلى فئة و (تحوزت) أى انحزت وتقول مالك تحوز كما تحوز الحية وتحيز و (توهت) الرجل و (تيهته) و (طوحته) و (طيحته) و (تبوغ) الدم بصاحبه و (تبيغ) و (تصوح) البقل و (تصيح) إذا هاج و (تهور) الجرف و (تهير) اذا انهار و (تضوع) ريحه و (تضيع) و (شوطه) و (شيطه) و (دوختهم) تدويخا و (ديختهم) تدييخا (لا توجل) و (لا تيجل) و (لا تاجل) بغير همز وقد همزه قوم (ماأعيج) من كلامه بشىء أى ماأعبأ به و بعضهم يقول (ماأعوج) بكلامه أى ماالتفت اليه مأخوذ من عجت الناقة

﴿ باب مايهمز أوله من الأفعال ولا يهمز بمعنى واحد ﴾

(أرشت) بينهم و (ورشت) و (وكدت عليهم) و (أكدت) قال الله جل ثناؤه ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها و (ورخت) الكتاب و (أرخته) و (وقت) و (أقت) من الوقت و (آكفت) الحمار (أوكفته) وهو الاكاف والوكاف و (أوصدت) الباب و (آصدته) وقرىء (موصدة) أيضا بالهمز وغير الهمز و (أوسدت) الكلب و (آسدته) اذا أغريته بالصيد الاصمعى يقال الحمد لله الذى (آجدنى) بعد ضعف أى قوانى

من قولهم ناقة أجد إذا كانت موثقة الخلق قوية و بناء مؤجد والحمد لله الذى أوجدنى بعد فقر أى أغنانى من الواجد وهو الغنى والوجد السعة قال * الحمد لله الغنى الواجد *

أيضا مما يبعث على الاستماع اليه لأنه يقرع السمع شيء غريب ليس له بمثله عادة فيكون ذلك سببا للتطلع نحوه والاصغاء اليه (ومن قبيح الابتداءات) قول ذى الرمة * ما بال عينك منها الماء ينسكب * لأن مقابلة الممدوح بهذا الخطاب لاخفاء بقبحه وكراهته ولما أنشد الأخطل عبد الملك بن مروان قصيدته التى أولها * خف القطين فراحوا منك أو بكروا * قال له عند ذلك لا بل منك وتطير من قوله فغيرها ذو الرمة وقال

خف القطين فراحوا اليوم أو بكروا * ومن شاء أن يذكر الديار والاطلال فى شعره فليتأدب بأدب القطامى على جفاء طبعه وبعده عن فطانة الأدب فانه قال إنا محيوك فاسلم أيها الطلل * فبدأ قبل ذكر الطلل بذكر التحية والدعاء له بالسلامة وقد قيل ان امرأ القيس كان يجيد الابتداء كقوله * ألا انعم صباحا أيها الطلل البالى * وكقوله * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل (ومما يكره من الابتداءات) قول أبى تمام * تجرع أسى قد أقفر الجرع الفرد وانما أتى أبا تمام فى مثل هذا المكروه تتبعه للتجنيس بين تجرع والجرع وهذا دأب الرجل فانه كثيرا ما يقع فى مثل ذلك وكذلك استقبح قول البحترى فؤاد ملاه الحزن حتى تصدعا * فان ابتداء المديح بمثل هذا طيرة ينبو عنها السمع وهو أجدر بأن يكون ابتداء مرثية لا مديح وما أعلم كيف يخفى هذا على مثل البحترى وهو من مفلقى الشعراء (وحكى) أنه لما فرغ المعتصم من بناء قصره بالميدان جلس فيه وجمع أهله وأصحابه وأمرهم أن يخرجوا فى زينتهم فما رأى الناس أحسن من ذلك اليوم فاستأذن اسحق بن ابراهيم الموصلى فى الانشاد فأذن له فأنشد شعرا حسنا أجاد فيه الا أنه استفتحه بذكر الديار وعفائها فقال

يادار غيرك البلى ومحاك * ياليت شعرى ما الذى أبلاك

فتطير المعتصم بذلك وتغامز الناس على اسحق بن ابراهيم كيف ذهب عليه مثل ذلك مع معرفته وعلمه وطول خدمته للملوك ثم أقاموا يومهم وانصرفوا فما عاد منهم اثنان الى ذلك المجلس وخرج المعتصم الى سر من رأى وخرب القصر فاذا أراد الشاعر أن يذكر دارا فى مديحه فليذكر كما ذكر أشجع السلمى حيث قال قصر عليه تحية وسلام * خلعت عليه جمالها الأيام

وما أجدر هذا البيت بمفتتح شعر اسحق بن ابراهيم الذى أنشده للمعتصم فانه لو ذكر هذا أو ما جرى مجراه لكان حسنا لائقا (وسئل) بعضهم عن أحذق الشعراء فقال من أجاد الابتداء والمطلع ألا ترى الى قصيدة أبى نواس التى أولها

يادار ما فعلت بك الايام * لم يبق فيك بشاشة تستام

فانها من أشرف شعره وأعلاه منزلة وهى مع ذلك مستكرهة الابتداء لانها فى مدح الخليفة الامين وافتتاح المديح بذكر الديار ودثورها مما يتطير منه لاسيما فى مشافهة الخلفاء والملوك ولهذا يختار فى ذكر الاماكن والمنازل ما رق لفظه وحسن النطق به كالعذيب والغوير ورامة وبارق والعقيق وأشباه ذلك ويختار أيضا أسماء النساء فى الغزل نحو سعاد وأميم وفوز وما جرى هذا المجرى وقد عيب على الاخطل فى تغزله بقذور وهو اسم امرأة فانه مستقبح فى الذكر وقد عيب على غيره التغزل باسم تماضر فانه وان لم يكن مستقبحا فى معناه فانه ثقيل على اللسان كما قال البحترى ان للبين منة لا تؤدى * ويدا فى تماضر بيضاء

فتغزله بهذا الاسم مما يشوه رقة الغزل و يثقل من خفته وأمثال هذه الاشياء يجب مراعاتها

(ذوى) العود يذوى ذويا و (ذأى) يذأى ذأوا وذأيا قال يونس و (ذوى) لغة (رقأت) فى الدرجة و (رقيت) بكسر القاف وترك الهمز أجود قال الله عز وجل أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك وأما (رقأ) الدم والدمع فمهموز يقال (رقأ) يرقأ رقوا (تأممتك) وتيممتك وأممتك أى تعمدتك (ناوأت) الرجل وناويته و (دارأته) و (داريته) و (احبنطأت) و (احبنطيت) و (روأت) فى الامر و (رويت) و (أرجأت) الامر (أرجيته) وقد روى أيضا (أوميت) الى فلان و (أومأت) و (أرفأت) السفينة و (أرفيت) و (أخطأت) و (أخطيت) و (أطفأت) النار و (أطفيت) و (رفأت) الثوب و (رفوت) هذا بالواو

﴿باب فعلت وفعلت بمعنى أى بفتح العين وضمها﴾

(سخن) يومنا يسخن و (سخن) و (صلح) الشيء و (صلح) و (شحب) لونه يشحب و (شحب) لغة و (خثر) اللبن يخثر و (خثر) و (رعف) الرجل يرعف و (رعف) يرعف و (طهرت) المرأة و (طهرت) وحكى سيبويه عن بعض (جبن) يجبن و (جبن) و (نبه) ينبه و (نبه)

﴿باب فعلت وفعلت بمعنى أى بكسر العين وضمها﴾

 وروى سيبويه عن يونس ان بعض العرب يقول(لببت)الب بالضم

وهذا حرف شاذ لا يعرف له مثل لانه يستثقل فى المضاعف فعل يفعل قال الفراء قد(عجف)و(عجف) و(حمق)و(حمق)و(سمر) و (سمر) من الاسمر و (خرق) و (خرق)

والتحرز منها (وقد استثنى من ذلك) ما كان اسم موضع تضمن وقعة من الوقائع فان ذكره لا يكره وان كان فى اسمه كراهة كما ذكر أبو تمام فى شعره مواضع مكروهة الاسماء لضرورة ذكر الوقائع التى كانت بها كذكر الحشال وعقوقس وأمثالها وكذلك ذكر أبو الطيب المتنبي هنزيط وشميصاط وما جرى مجراها وهذا لا عيب فى ذكره لمكان الضرورة التى تدعو اليه وهكذا يسامح الشاعر والكاتب أيضا فى ذكر ما لابد من ذكره وان قبح ومهما أمكنه من التورية فى هذا المقام فليسلكها وما لا يمكنه فانه معذور فيه (واعلم) أنه ليس من شرط الابتداء أن لا يكون مما يتطير منه فقط فان من الابتداءات ما يستقبح وان لم يتطير منه كقول أبى تمام * قدك اتئب أربيت فى الغلواء وكقوله * تقى جمحاتى لست طوع مؤنبى * وكقول أبى الطيب المتنبي أقل فعالى بله أكثره مجد * وكقوله * كفى أرانى ويك لومك ألوما * والعجب أن هذين الشاعرين المفلقين يبتدئان بمثل ذلك ولهما من الابتداءات الحسنة ما أذكره (أما أبو تمام) فانه افتتح قصيدته التى مدح بها المعتصم عند فتحه مدينة عمورية فقال

السيف أصدق إنباء من الكتب * فى حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف فى * متونهن جلاء الشك والريب

وهذه الأبيات لها قصة وذاك أنه لما حضر المعتصم مدينة عمورية زعم أهل النجامة أنها لا تفتح فى ذلك الوقت وأفاضوا فى هذا حتى شاع وصار أحدوثة بين الناس فلما فتحت بنى أبو تمام مطلع قصيدته على هذا المعنى وجعل السيف أصدق من الكتب التى خبرت بامتناع البلد واعتصامها ولذلك قال فيها

والعلم فى شهب الأرماح لامعة * بين الخميسين لا فى السبعة الشهب
أين الرواية أم أين النجوم وما * صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تخرصا وأحاديثا ملفقة * ليست بنبع إذا عدت ولا غرب

وهذا من أحسن ما يأتى فى هذا الباب وكذلك قوله فى أول قصيدة يمدحه بها أيضا و يذكر فيها خروج بابك الخرمي عليه وظفره به وهى من أمهات شعره فقال

الحق أبلج والسيوف عوار * فحذار من أسد العرين حذار

وكذلك قوله متغزلا عسى وطن يدنو بهم ولعلما * وان تعتب الأيام فيهم فربما
وهذا من الاغزال الحلوة الرائقة وهو من محاسن أبى تمام المعروفة وكذلك قوله فى أول مرثية

أصم بك الناعى وان كان أسمعا * وأصبح مغنى الجود بعدك بلقعا

(وأما أبو الطيب) فانه أكثر من الابتداءات الحسنة فى شعره كقوله فى قصيدة يمدح بها كافوراً وكان قد جرت بينه وبين ابن سيده نزغة فبدأ قصيدته بذكر الغرض المقصود فقال

حسم الصلح ما اشتهته الاعادى * وأذاعته ألسن الحساد

وهذا من بديع الابتداء ونادره وكذلك ورد قوله فى سيف الدولة وكان ابن الشمشقيق حلف ليلقينه كفاحا فلما التقينا لم يطق ذلك وولى هاربا فافتتح أبو الطيب قصيدته بفحوى الامر فقال

عقبى اليمين على عقبى الوغا ندم * ماذا يزيدك فى اقدامك القسم
وفى اليمين على ما أنت واعده * مادل أنك فى الميعاد متهم

وكذلك قوله وقد فارق سيف الدولة وسار الى مصر فجمع بين ذكر فراقه اياه ولقائه كافورا فى أول

﴿ باب فعل (بفتح العين) يفعل ويفعل بضمها وبكسرها ﴾

(عطس يعطس) و (يعطس) و (عتب يعتب) و (يعتب) من المعتبة وكذلك هو من المشى على ثلاث و (رفض يرفض) و (يرفض) و (هذر فى منطقه يهذر) و (يهذر) و(فسق يفسق) و (يفسق) و (خرز يخرز) و(يخرز) و(زمر يزمر) و(يزمر) و (نفر ينفر) و (ينفر) و (ختن الحجام يختن) و (يختن) و(شرط يشرط) و (يشرط) وكذلك هو من الشرائط (عزفت نفسى عن الشيء تعزف) و(تعزف) و (فتك يفتك) و (يفتك) و (عثر يعثر) و (يعثر) و (أبق يأبق) و (يأبق) و(خفق الفؤاد يخفق) و (يخفق) و(عذل يعذل) و (يعذل) و (برض له من ماله يبرض) و (يبرض) و(عند عن الحق يعند) و (يعند) و (سمطت الجدى أسمطه) و(أسمطه) و (تلد المال يتلد) و (يتلد) و (جلب المتاع يجلبه) و (يجلبه) و(حشر يحشر) و (يحشر) و (حجل الغراب يحجل) و (يحجل) و (قتر يقتر) و (يقتر) و (حسد يحسد) و (يحسد)

أول بيت من القصيد فقال   فراق ومن فارقت غير مذمم * وأم ومن يممت خير ميمم
(ومن البديع النادر فى هذا الباب) قوله متغزلا فى مطلع قصيدته القافية وهى
أتراها لكثرة العشاق * تحسب الدمع خلقة فى المآقى
وله مواضع أخر كثيرة لا حاجة إلى ذكرها (ومن محاسن الابتداءات) التى دلت على المعنى من أول بيت فى القصيدة ماقرأته فى كتاب الروضة لأبى العباس المبرد فانه ذكر غزوة غزاها الرشيد هرون رحمه الله فى بلاد الروم وأن نقفور ملك الروم خضع له وبذل الجزية فلما عاد عنه واستقر بمدينة الرقة وسقط الثلج نقض نقفور العهد فلم يجسر أحد على اعلام الرشيد لمكان هيبته فى صدور الناس وبذل يحيى بن خالد للشعراء الاموال على أن يقولوا أشعارا فى اعلامه فكلهم أشفق من لقائه بمثل ذلك الا شاعرا من أهل جدة يكنى أبا محمد وكان شاعرا مفلقا فنظم قصيدا وأنشدها الرشيد أولها نقض الذى أعطيته نقفور * فعليه دائرة البوار تدور
أبشر أمير المؤمنين فانه * فتح أتاك به الاله كبير
نقفور انك حين تغدر إن نأى * عنك الامام لجاهل مغرور
أظننت حين غدرت أنك مفلت * هبلتك أمك ماظننت غرور
فلما أنهى الابيات قال الرشيد أوقد فعل ثم غزاه فى بقية الثلج وفتح مدينة هرقلة (وقرأت فى كتاب الاغانى لأبى الفرج الاصبهانى) مارواه من شعر سديف فى تحريض الخليفة السفاح رحمه الله على بنى أمية فقال قدم سديف من مكة الى الحيرة والسفاح بها ووافق قدومه جلوس السفاح للناس وكان بنو أمية يجلسون عنده على الكراسى تكرمة لهم فلما دخل عليه سديف حسر لثامه وأنشده أبياتا من الشعر فالتفت رجل من أولاد سليمان بن عبد الملك وقال لآخر إلى جانبه قتلنا والله العبد فلما أنهى الأبيات أمرهم السفاح فأخرجوا من بين يديه وقتلوا عن آخرهم وكتب الى عماله بالبلاد يأمرهم بقتل من وجدوه منهم ومن الابيات
أصبح الدين ثابتا فى الاساس * بالبهاليل من بنى العباس
أنت مهدى هاشم وهداها * كم أناس رجوك بعد اياس
لا تقيلن عبد شمس عثارا * واقطعن كل رقلة وغراس
أنزلوها بحيث أنزلها الله * بدار الهوان والاتعاس
خوفهم أظهر التودد فيهم * وبهم منكم كحز المواسى
أقصهم أيها الخليفة واحسم * عنك بالسيف شأفة الارجاس
واذكرن مصرع الحسين وزيد * وقتيلا بجانب المهراس
ولقد ساءنى وساء سوائى * قربهم من منابر وكراسى
وهذه الأبيات من فاخر الشعر ونادره افتتحاوا بتداء وتحريضا وتأنيبا ولو وصفتها من الاوصاف بما شاء الله وشاء الاسهاب والاطناب لما بلغت مقدار ماها من الحسن (ومن لطيف الابتداءات) ماذكره مهيار وهو أما وهواها عذرة وتنصلا * لقد نقل الواشى اليها فأمحلا
سعى جهده لكن تجاوز حده * وكثر فارتابت ولو شاء قللا
فانه أبرز الاعتذار فى هيئة الغزل وأخرجه فى معرض النسيب وكان وشيه الى الممدوح فافتتح قصيدته بهذا المعنى فأحسن (ومما جاء على نحو من ذلك) قول بعض المتأخرين من العراقيين

و (نجب) الشجرة (ينجبها) وينجبها إذا قشرها و (كرم يكرم) و (يكرم) و (حنك الدابة يحنكها) ويحنكها إذا جعل الرسن فى فيها و (خلجت عينه تخلج) و (تخلج) و (ذملت الناقة تذمل) و (تذمل) و (٢٦٩) (جلب الجرح يجلب) و (يجلب) إذا علته جلبة للبرء و (عرم الغلام يعرم) و (يعرم) و (قدر يقدر) و (يقدر) و (عضل الايم يعضلها) و (يعضلها) و (خمش وجهه يخمش) و (يخمش) و (حزر النخل يحزره) و (يحزره) و (جزر الماء يجزر) و (يجزر) و (أهل يأهل) و (يأهل) أهولا إذا خرج و (نطف ينطف) وينطف إذا قطر و (نطف ينطف) أيضا و (حدرت الشىء أحدره) و (أحدره) و (خمرت العجين أخمره) و (أخمره) و (فطرته) مثله و (ذبر الكتاب يذبره) و (يذبره) و (زبره يزبره) و (يزبره) كتبه و (عسرت الرجل أعسره) و (أعسره) إذا طلبت الدين منه على عسرة و (طمث المرأة يطمثها) و (يطمثها) إذا جامعها و (قنط يقنط) و (يقنط) وهو (ينسب) بالنساء و (ينسب) و (أبنت الرجل آبنه) و (آبنه) إذا اتهمته و (نخر الرجل ينخر) و (ينخر) و (عرنت البعير أعرنه) و (أعرنه) و (قمرت الرجل أقمره) و (أقمر بكسر العين لغة) الاصمعى عن عيسى بن عمر (هملت عينه تهمل) وتهمل (ومن المضاعف) قال الفراء ما كان على فعلت من ذوات التضعيف غير متعد فان يفعل منه مكسور العين مثل (عففت أعف) و (خففت أخف) و (شححت أشح) وقال غيره (وقد جاء بعضه)

وراءك أقوال الوشاة الفواجر * ودونك أحوال الغرام المخامر
ولولا ولوع منك بالصد ماسعوا * ولولا الهوى لم أنتدب للعاذر

فسلك في هذا القول مسلك مهيار الا أنه زاد عليه زيادة حسنة وهي المعاتبة على الاصغاء إلى أقوال الوشاة والاستماع منهم وذلك من أغرب ماقيل في هذا المعنى (ومن الحذاقة في هذا الباب) أن تجعل التحميدات في أوائل الكتب السلطانية مناسبة لمعاني تلك الكتب وانما خصصت الكتب السلطانية دون غيرها لان التحاميد لا تصدر في غيرها فانها تكون قد تضمنت أموراً لائقة بالتحميد كفتح مقفل أو هزيمة جيش أو ماجرى هذا المجرى (ووجدت أبا اسحق الصابي) على تقدمه في فن الكتابة قد أخل بهذا الركن الذي هو من أوكد أركان الكتابة فاذا أتى بتحميدة في كتاب من هذه الكتب لا تكون مناسبة لمعنى ذلك الكتاب وانما تكون في واد والكتاب في واد إلا ماقل من كتبه (فمما خالف فيه مطلع معناه) انه كتب كتابا يتضمن فتح بغداد وهزيمة الاتراك عنها وكان ذلك فتحا عظيما فابتدأ بالتحميد فقال الحمد لله رب العالمين الملك الحق المبين الوحيد الفريد العلي المجيد الذي لا يوصف الا بسلب الصفات ولا ينعت الا برفع النعوت الأزلي بلا ابتداء الأبدي بلا انتهاء القديم لا منذ أمد محدود الدائم لا الى أجل معدود الفاعل لا من مادة استمدها ولا بآلة استعملها الذي لا تدركه الأعين بألحاظها ولا تحده الالسن بألفاظها ولا تخلقه العصور بمرورها ولا تهرمه الدهور بكرورها ولا تضارعه الاجسام بأقطارها ولا تجانسه الصور بأعراضها ولا تجاريه أقدام النظر أو الاشكال ولا تزاحمه مناكب القرناء والامثال بل هو الصمد الذي لا كفؤ له والفذ الذي لا توأم معه والحي الذي لا تخترمه المنون والقيوم الذي لا تشغله الشؤن والقدير الذي لا تؤده المعضلات والخبير الذي لا تعييه المشكلات وهذه التحميدة لا تناسب الكتاب الذي افتتح بها ولكنها تصلح أن توضع في صدر مصنف من مصنفات أصول الدين ككتاب الشامل للجويني أو كتاب الاقتصاد أو ماجرى مجراهما وأما أن توضع في صدر كتاب فتح فلا وهو وان اساء في هذا الموضع فقد أحسن في مواضع أخر وذلك أنه كتب كتابا عن الخليفة الطائع رحمه الله تعالى الى الاطراف عند عوده الى كرسي ملكه وزوال مانزل به وبأبيه المطيع رحمه الله من قادحة الأتراك فقال الحمد لله ناظم الشمل بعد شتاته وواصل الحبل بعد بتاته وجابر الوهن إذا ثلم وكاشف الخطب إذا أظلم والقاضي للسلمين بما يضم نشرهم ويشد أزرهم ويصلح ذات بينهم ويحفظ الالفة عليهم وان شابت ذلك في الاحيان شوائب من الحدثان فلن تتجاوز بهم الحد الذي يوقظ غافلهم وينبه ذاهلهم ثم انهم عائدون إلى فضل ماأولاهم الله وعودهم ووثق لهم ووعدهم من ايمان سربهم واعذاب شربهم واعزاز جانبهم واذلال مجانبهم واظهار دينهم على الدين كله ولو كره المشركون وهذه تحميدة مناسبة لموضوع الكتاب وان كانت المعاني فيها مكررة كالذي أنكرته عليه وعلى غيره من الكتاب وقدمت القول فيه في باب السجع فليؤخذ من هناك (ومن المبادي التي قد أخلقت وصارت مزدراة) أن يقال في أوائل التقليدات ان أحق الخدم بأن ترعى خدمة كذا وكذا وان أحق من قلد الاعمال من اجتمع فيه كذا وكذا فان هذا ليس من المبادي المستحسنة ومن استعمله أولا فقد ضعفت فكرته عن اقتراح مايحسن استعماله من المبادي والذي تبعه في ذلك إما مقلد ليس عنده

باللغتين جميعا قالوا (جد يجد ويجد)و (شب الفرس يشب ويشب) و (جم يجم ويجم) و (صد عني يصد ويصد) و(شح يشح ويشح) وعن أبي زيد (فحت الافعى تفح تفح) قال الفراء ماكان على فعلت من ذوات التضعيف متعديا مثل رددت ومددت وعددت فان يفعل منه مضموم الا ثلاثة أحرف نادرة جاءت باللغتين جميعا وهي (شده يشده ويشده) و (نم الحديث ينمه وينمه) و (عله في الشراب يعله ويعله) وزاد غيره (بت الشيء يبته ويبته) و (من المعتل قالوا (وجد يجد ويجد) من الموجدة والوجدان جميعا وهو حرف شاذ لا نظير له (ومن ذوات الياء والواو) و (طها الماء يطهو ويطهي) إذا ارتفع (فاحت القدر تفوح وتفيح) و (لاط حبه بقلبي يلوط ويليط) و طباني الشيء يطبوني ويطبيني (وصار عنقه يصورها ويصيرها) أمالها وقرئت فصرهن اليك بضم الصاد وكسرها و (صاف عني يصوف ويصيف) أي عدل و (غار يغور ويغير) من الدية والاسم الغيرة وجمعها غير (بان الرجل صاحبه يبينه ويبونه) وبينهما بون بعيد وبين بعيد وهذا في فضل أحدهما على الآخر فان أردت القطيعة فالبين لاغير و (غار أهله يغيرهم ويغورهم) أي يميرهم و (ساغ الطعام يسيغه ويسوغه) والجيد أساغ يسيغ و (ماهت الركية تموه وتميه وتماه و (ضاره يضيره قوة ويضوره) و (لاته يليته ويلوته) و (ماث الشيء فهو يموثه ويميثه) إذا دافه و (فاخ يفوخ ويفيخ) و (ثاخت رجله في الوحل تثوخ وتثيخ)

قوة على أن يختار لنفسه و إما جاهل لايفرق بين الحسن والقبيح والجيد والرديء وأهل زماننا هذا من الكتاب قد قصروا مبادى تقاليدهم على هذه الفاتحة دون غيرها وان أتوا بتحميدة من التحاميد كانت مباينة لمعنى التقليد الذى وضعت فى صدره وكذلك قد كان الكتاب يستعملون فى التقليدات مبدأ واحدا لا يتجاوزونه الى غيره وهو هذا ما عهد فلان الى فلان والتحميد خير ما افتتح به التقليدات وكتب الفتوح وماجرى مجراها وقد أنكر ذلك على مستعمله فى مفتتح تقليد أنشأته بولاية وال فقلت كانت التقليدات تفتتح بكلام ليس بذى شأن ولا يوضع فى ميزان ولا يجتنى من أفنان وغاية ما يقال هذا ما عهد فلان الى فلان وتلك فاتحة لم تكن جديدة فتخلق بتطاول الايام ولا حسنة النظم فيضاهى بمثلها من ذوات النظام وهذا التقليد مفتتح بحمد الله الذى تكفل لحامده بالزيادة و بدأ النعمة ثم قرنها من فضله بالاعادة وهو الذى بلغ بنا مآرب الدنيا منتهى الارادة وسلم الينا مقاده فذلل لنا بها كل مقادة ووسد الامر منا الى أهله فاستوطأت الرعايا منه على وسادة ونرجو أن يجمع لنا بين سعادة الاولى والاخرى حتى تتصل هذه السعادة بتلك السعادة ثم نصلى على نبيه محمد الذى ميزه الله على الانبياء بشرف السيادة وجعل انشقاق القمر له من آيات النبوة وانشقاق الايوان من آيات الولادة وعلى آله وأصحابه الذين شادوا الدين من بعده فأحسنوا فى الاشادة و بسطت عليهم الدنيا كما بسطت على الذين من قبلهم فلم يحولوا عن خلق الزهادة أما بعد كذا وكذا ثم أنهيت التقليد الى آخره (ومن الحذاقة فى هـذا الباب) أن يجعل الدعاء فى أول الكتاب من السلطانيات والاخوانيات وغيرهما مضمنا من المعنى ما بنى عليه ذلك الكتاب وهذا شيء انفردت بابتداعه وتراه كثيرا فيما أنشأته من المكاتبات فانى توخيته فيها وقصدته (فمن ذلك) ما كتبته فى الهناء بفتح وهو هذا الكتاب مشافه بخدمة الهناء للمجلس السامى الفلانى جدد الله له فى كل يوم فتحا و بدل عرش كل ذى سلطان لديه صرحا وجعل كل موقف من مواقف جوده و بأسه يوم فطر و يوم أضحى وكتب له على لسان الاسلام ولسان الايام ثناء خالداً ومدحا وأسكنه بعد العمر الطويل داراً لا يظمأ فيها ولا يضحى ثم أخذت بعد ذلك فى إنشاء الكتاب المتضمن ما يقتضيه معانى ذلك الفتح (ومن ذلك) ما ذكرته فى الهناء بمولود وهو جدد الله مسرات المجلس السامى الفلانى ووصل صبوح هنائه بغبوقه وأمتعه بسليلة المبشر بطروقه وأبقاه حتى يستضيء بنوره و يرمى من فوقه وسر به أبكار المعانى حتى تخلق أعطافها بخلوقه وجعله كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه ثم أخذت فى إتمام الكتاب بالهناء بالمولود على حسب ما اقتضاه ذلك المعنى فتأمل ما أوردته ههنا من هذين المثالين وانسج على منوالها فيما تقصده من المعانى التى تبنى عليها كتبتك فان ذلك من دقائق هذه الصناعة (وأما فواتح الكتب التى أنشأتها) فمنها ما اخترعته اختراعا ولم أسبق اليه وهى عدة كثيرة وقد أوردت ههنا بعضها (ومن ذلك) مفتتح كتاب الى ديوان الخلافة وهو نشأت سحابة من سماء الديوان العزيز النبوى جعل الله الخلود لدولته أوطانا والحدود لها أركانا ونصب أيامها فى أيام الدهر أحيانا وصورها فى وجهه عينا وفى عينه انسانا ومد ظلها على الناس عدلا واحسانا وجمع الامم على دين طاعتها وان تفرقوا أديانا وآتاها من معجزات سلطانه ما لم ينزل به لغيرها سلطانا فارتاح الخادم لالتقائها وبسط يده لاستسقائها وقال رحمة مرسلة لاتخشى

اللبن يمخضه و يمخضه) و (شخب اللبن يشخب و يشخب) و (رجح يرجح و يرجح) و (شم يشم و يشم) ومن ذوات الواو والالف و (شحوت فى أشحاه وأشحوه) اذا فتحه و (نحوت بصرى أنحاه وأنحوه) اذا صرفه (بعوت أبعوا وأبعا) اذا اجترمت (سحوت الطين عن الارض أسحاه وأسحوه) (محوت اللوح أمحاه) وأمحوه

﴿ فعل يفعل و يفعل ﴾

(منح يمنح و يمنح) و (نبح الكلب ينبح و ينبح) و (نطح الثور ينطح و ينطح) و (نهق الحمار ينهق و ينهق) و (شحج البغل يشحج و يشحج) و (شهق يشهق و يشهق) و (نهش ينهش و ينهش) و (طحر يطحر و يطحر) طحيرا اذا زحر وطحرت العين قذاها تطحره اذا ألقته وتطحره (ومن المعتل عام الى اللبن يعام و يعيم) وقالوا (كل ما جاء على فعل مفتوح العين فان مستقبله بالكسر والضم) نحو (ضرب يضرب) و (قتل يقتل) الا أن تكون لام الفعل أو عين الفعل أحد حروف الحلق وهى

العين والغين والحاء والخاء والهمزة والهاء فان الحرف اذا جاء كذلك فربما جاء يفعل منه مفتوحا نحو (قرأ يقرأ) و (بدأ يبدأ) و (صنع يصنع) و (ذبح يذبح) و (نسخ ينسخ) و (قرع يقرع) و (نخر ينخر) و (سأل يسأل) و (ثأر

رعودها ولا تخلف وعودها ومن شأنها ترويض الصنائع التى يبقى آثارها لا الخمائل التى تذوى أزهارها وقد يعبر عن الكتاب ونائله بالسحاب ووابله فان صدر عن يد كيد الديوان العزيز فقد وقع التشبيه موقع الصواب وصدق حينئذ قول القائل ان البحر عنصر السحاب لكن فرق بين ما يجود بمائه وما يجود بنعمائه و بين ما يسم الأرض الماحلة و بين ما يسمى الاقدار الخاملة وما زالت كتب الديوان العزيز تضرب لها الأمثال وتصرف نحوها الآمال ويرى الحسد فيها حسنا وان عد فى غيرها من سيء الأعمال وهذا فصل من أول الكتاب (ومن جملة الكتب المشار اليها) مفتتح كتاب كتبته الى بعض الاخوان وأرسلته اليه من الموصل الى أرض الشمال من بلاد الروم وهو طلع كوكب من أفق المجلس السامى لا اخلت سيادته من عدو وحاسد ولا شينت بتوأم يخرجها عن حكم الواحد ولا عدمت صحبة الجدود المتيقظة فى الزمن الراقد ولا أوحشت الدنيا من ذكره الخالد الذى هو عمر خالد ولا زال مرفوعا الى المحل الذى يعلم به أن الدهر للناس ناقد والكواكب تختلف مطالعها فى الشمال والجنوب فمنها ما يطلع دائما فى أحدهما وهو فى الآخر دائم الغروب وكتاب المجلس كوكب لم ير بهذه الأرض مطلعه وان علم من السماء أين موضعه ولما ظهر الآن للخادم سبح له حامداً وخر له ساجداً وقال قد عبدت الكواكب من قبلى فلا عجب أن أكون لهذا الكوكب عابدا وها أنا قد أصبحت بالعكوف على عبادته مغرى وقال الناس هذا ابن كبشة الكتاب لا ابن أبى كبشة الشعرى وهذا مطلع غريب والسياقة التالية لمطلعه أغرب ومن أغرب ما فيها قولى وها أنا قد أصبحت بالعكوف على عبادته مغرى وقال الناس هذا ابن كبشة الكتاب لا ابن كبشة الشعرى والمراد بذلك أن ابن كبشة كان رجلا فى الجاهلية يعبد الشعرى فخالف بذلك دين قومه ولما بعث النبى صلى الله عليه وسلم قالت قريش هذا قد خالف ديننا وسموه ابن أبى كبشة أى أنه قد خالفنا كما خالف أبو كبشة قومه فى عبادة الشعرى فأخذت أنا هذا المعنى وأودعته كتابى هذا فجاء كما تراه مبتدعا غريبا (ومن جملة الكتب المشار اليها) مفتتح كتاب كتبته الى بعض الاخوان بالشام وهو طلعت من الغرب شمس فقيل قد آذنت أشراط الساعة بالاقتراب ولم يعلم أن تلك الانوار إنما هى أنوار الكتاب لم تألف الابصار من قبله أن تطلع الشمس من المغرب وليس ذلك إلا كتاب المجلس لا سلبه الله مزية هذا الوصف الكريم وأتاه من الفضل ما يقال معه وفوق كل ذى علم عليم وأحيا النفوس من كلمها بروح كلمه كما شفى غليلها من أقلامه بسقيا الكليم ولما ورد عن الخادم صار ليله نهارا وأصبح الناس فى الحديث به أطوارا والمنصف منهم يقول قد جرت الشمس الى مستقرها والشمس لا تجد فرارا وهذا الكتاب فى الحسن والغرابة كالذى قبله (ومن جملة الكتب المشار اليها) مفتتح كتاب كتبته الى بعض الاخوان وهو تاوب زور من جانب المجلس السامى أدنى الله داره وجعل كلماته التامة جاره وأشهد أفعال التقوى ليله وأفعال المكارم نهاره ووهبه من أعوام العمر طواله ومن أعوام العيش قصاره ولا أقدر السابقين الى المعالى أن يجروا معه ولا أن يشقوا غباره وليس ذلك الزور إلا اسطورا فى فى قرطاس ولا فرق بين الكتاب و بين مرسله فى ملاطفة الايناس والله لا يصغر ممشى هذا الزائر وتقر عينى برؤيته حتى لا أزال به قرير الناظر ومع هذا فانى عاتب لتأخره وههنا مظنة العتاب ومن تأخر عنه كتاب صديقه فلابد أن يخطر له خاطر الارتياب والظنين بالمودة لا يرى إلا ظنينا وقد قيل

يثأر) و (قهر يقهر) و (نعب ينعب) و (نحر ينحر) و (فغر فمه يفغر) و (ربما جاء يفعل على الأصل) (هنأ يهنىء) و (نزع ينزع) و (رجع يرجع) و (دخل يدخل) و (صلح يصلح) ولم يأت فعل يفعل بالفتح فى الماضى والمستقبل اذا لم يكن فيه أحد حروف الحلق لاما ولا عيناً إلا فى حرف واحد جاء نادرا وهو أبى يأبى وزاد أبو عمرو ركن يركن والنحويون من البصريين والبغداديين يقولون (ركن يركن و (ركن يركن)

﴿ فعل يفعل و يفعل ﴾

(حسب يحسب ويحسب) و (يئس ييأس وييئس) و (نعم ينعم وينعم) و (بئس يبأس ويبئس) عليا مضر تكسر وسفلاها تفتح وقراءة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله يحسب ويحسبون بالكسر وهذه الحروف الاربعة فى الافعال السالمة شواذ وما سواها من فعل فان المستقبل منه يفعل نحو (علم يعلم) و (عجل يعجل ﴿ فاما المعتل فمنه ما جاء ماضيه ومستقبله بالكسر ﴾ نحو (ورم يرم) و (ولى يلى) و (وثق يثق) و (ومق يمق) و (ورع يرع) و (ورث يرث) و (ورى الزند يرى) و (وفق أمره يفق)

﴿ فعل يفعل و يفعل ﴾

أبو عبيدة يقال (فضل) منه شىء قليل فاذا أرادوا المستقبل ضموا الضاد فقالوا (يفضل) وليس فى الكلام حرف من السالم يشبهه وقد جاء من المعتل مثله قالوا (مت) فكسروا ثم قالوا (تموت) وكذلك (دمت) ثم قالوا (تدوم) قال وروى أن من العرب من يقول (فضل يفضل) مثل حذر يحذر

انها

أنها وديعة وقليلا ماتجد على الودائع أمينا وهذا فصل من أول الكتاب (ومن جملة الكتب المشار اليها) مفتتح كتاب كتبته الى بعض الاخوان وهو سنحت روضة من جانب المجلس السامى جعل الله المعالى له رداء ونهايات المساعى له ابتداء وفداه بمن يقصر عن درجته حتى تكون الأكارم له فداء وهدى المحامد لأفعاله وأهدى البقاء لأيامه حتى يجتمع له الأمران هدى واهداء وأتاه من السيادة مايجعل أعداءه أصادق ومن السعادة مايجعل أصدقاءه أعداء فاستنشق الخادم رباها وتلقى بالتحية محياها واستمتع بأزهارها التى أنبتها سقيا الأقلام لاسقى الغمام وقال هذا ربيع الأرواح لاربيع الأجسام ولورام الاحاطة بوصفها لكانت الأقوال المطولة فيها مختصرة ولكنها اكتفى بأن رفعها على رأسه حتى يتمثل أن الجنة فى شجرة ومن أوصافها أنها جاءت زائدة ومن شأن الروض أن يرتاد وحلت محاسنها التى هى فى غيرها من حظ البصر وفيها من حظ السمع والبصر والفؤاد ولماسرح فيها نظره وجد شوقه حمامة تغرد فى أكنافها وتردد الشجى لبعد أليفها إذا رددته الحمائم لقرب الافها وهذا قول له عند اخوان الصفاء علامة واذا تمثل كتاب الحبيب روضة فهل يتمثل شوق محبه الاحمامة وأى فرق بين هذه وبين أخواتها من ذوات الأطواق لولا أنها تملى شجوها على صفحات القلوب وتلك تمليه على عذبات الأوراق وهذا فصل من الكتاب وهو غريب عجيب وفيه معنيان مبتدعان وأعجبهما وأغربهما قولى حتى يتمثل أن الجنة فى شجرة وهذا مستخرج من الحديث النبوى (ومن جملة الكتب المشار اليها) مفتتح كتاب كتبته الى بعض الاخوان وهو تضوعت نفحة من تلقاء المجلس السامى رعى الله عهده وسقاه وصان وده ووقاه ويسر لى القاء العصا بملقاه فعطرت الطريق التى سايرتها والريح التى جاورتها وأنت فأفرشتها خدى وضممت عليها ودى وجعلتها ردا لجيبى ولطيمة لردنى وسخابا لعقدى وعلمت أنها ليست بنفحة طيب ولكنها كتاب حبيب فان مناشق الأرواح غير مناشق الأجسام ولا يستوى عرف الطيب وعرف الاقلام ثم مددت يدى الى الكتاب بعد أن صافحت يد موصله كما صافحت عبقة مندله وقلت أهلا بمن أدنى من الحبيب مزارا وأهدى لعينى قرة ولقلبى قرارا وهذا فى الغرابة كأخواته التى تقدمت ولم أستقص مااخترعته من هذا الباب فى مطالع الكتب (وأما ماأتيت فيه بالحسن) من المعانى ولكنه غير مخترع فمن ذلك مطلع كتاب كتبته عن الملك نور الدين أرسلان بن مسعود صاحب الموصل الى الملك الافضل على بن يوسف يتضمن تعزية وتهنئة أما التعزية فبوفاة أخيه الملك العزيز عثمان صاحب مصر وأما التهنئة فبوراثة الملك من بعده وهو لايعلم القلم أينطق بلسان التعزية أم بلسان التهنية لكنه جمعهما جميعا فأتى بهما على حكم التثنية وفى مثل هذا الخطب يظل القلم حائرا وقد وقف موقف السخط والرضا فسخط أولا ثم رضى آخرا وهذا البيت الناصرى يتداول درجات العلى فما تمضى الا واليه ترجع وشموسه وأقماره تتناقل مطالع السعود فما يغيب منها غائب الا وآخر يطلع والناس ان فجعوا بما جدد فقده من بعده ماجدوان قيل ان الماضى كان واحدا قيل بل الآتى هو الواحد وهذا فصل من أول الكتاب ثم كتبت فى هذا المعنى كتبا بين آخرين وفى الذى أوردته من هذا الفصل مقنع (ومن هذا الاسلوب) ما كتبته الى بعض الاخوان جوابا عن كتابه وكانت الكتب قد انقطعت بينى وبينه زمانا وهو لقاء كتب الاحباب كلقاء الاحباب وقد تأتى بعد يأس منها فيشتبه لها دمع السرور بدمع

وقالوا أيضا يدام ويمات والأجود (فضل يفضل) و (مت تموت) و (دمت تدوم) قال سيبويه بلغنا أن بعض العرب يقول (نعم ينعم) مثل (فضل يفضل) ﴿باب فعل يفعل (بضم العين فى الماضى (٢٧٣) وفتحها فى المضارع﴾ (كل ما كان على فعل فمستقبله بالضم) لم يأت غير ذلك الا فى حرف واحد من المعتل رواه سيبويه قال بعض العرب يقول كدت تكاد فقالوا فعلت تفعل كما قالوا فعلت تفعل فى فضل يفضل قال الفراء أما الذين ضموا كدنا فانهم أرادوا أن يفرقوا بين فعل الكيد من المكيدة فى فعل وبين فعل الكيد فى القرب فقالوا كدنا نفعل ذلك وقالوا كدنا القوم من المكيدة كما فرقوا بينهما فى يفعل فقالوا فى الاول يكاد وفى الثانى يكيد ﴿باب المبدل﴾ قالوا (مدهته) بمعنى مدحته و (الايم والاين الحية) والقبر (جدث) وجدف (استأديت عليه) واستعديت و(آدنى) عليه وأعدنى عليه (فناء الدار) وفناؤها واحد (سبد رأسه) و (سمده) اذا استأصله وهى (المغافير) و(المغاثير) جثوت عليه و(جذوت) مرث الخبز فى الماء و(مرده) و(نبض) العرق ونبذ و(هرد فلان الستر) وهرته اذا خرقه وهو (شثن الاصابع) وشثل وأخس الله حظه و(أخته) فهو خسيس وختيت (جاحفت) عن الرجل وجاحشت سواء مددت و (متت) وهو المد (والمت) و(المط) لبج به و(لبط) به إذا ضرب بنفسه الارض دهدهت الحجر

الا كتئاب ومن أحسنها كتاب المجلس السامي الفلاني جعل الله الليالى له صحبا والمعانى له عقبا ورفع مجده فوق كل ماجد حتي تكون حسناتهم لدى حسناته ذنبا ولا زال اسمه فى الأفواه عذبا وذكره فى الألسنة رطبا ووده لكل انسان انسانا ولكل قلب قلبا ثم انتهيت الى آخر الكتاب على هذا النسق وانما ذكرت ههنا مبتدأه لأنه الغرض المقصود فى هذا الموضع (ومن ذلك) ما كتبته الى بعض الاخوان جوابا عن كتابه وهو البشرى تعطى للكتاب كما تعطى لمرسله وكل منهما يوفى حق قدره وينزل فى منزله وكذلك فعل الخادم بكتاب المجلس السامى الفلانى لازال محله أنيسا وذكره للفرقدين جليسا وسعيه على المكارم حبيسا ومجده جديد الملابس إذا كان المجد لبيسا وههنا ذكرت فى هذا الكتاب كما ذكرته من الذى قبله فانى لم أذكر إلا مبدأه الذى هو الغرض (ومما ينتظم فى هذا السلك) ما كتبته فى صدر كتاب يتضمن تعزية وهو لو لم يلبس قلمى ثوب الحداد لهجر مداده ونضى عنه سواده وبعد عن قرينته وعاد الى طينته وحرم على نفسه أن يمتطى يدا أو يجرى الى مدى لكنه أحد فندب وبكى فسكب وسطر هذا الكتاب من دموعه وضمنه ما حملته أحناء ضلوعه وانما استعار ذلك من صاحبه الذى أعداه وأبدى اليه من حزنه ما أبداه وهو نائب عنه فى تعزية سيدنا أحسن الله صبره ويسر أمره وأرضى عنه دهره ثم أنهيت الكتاب الى آخره (ومن محاسن هذا الباب) أن يفتتح الكتاب بآية من القرآن الكريم أو بخبر من الأخبار النبوية أو ببيت من الشعر ثم يبنى الكتاب عليه (فمن ذلك) ما كتبته فى ابتداء كتاب يتضمن البشرى بفتح وهو

ومن طلب الفتح الجليل فانما * مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم

وقد أخذنا بقول هذا الشاعر الحكيم وجعلنا السيف وسيلة الى استفتاح الملك العقيم وراية المجد لا تنصب إلا على النصب والراحة الكبرى لا تنال الا على جسر من التعب وكتابنا هذا وقد استولينا على مملكة فلانة وهي المملكة التى تمسى الآمال دونها صرعى واذ قيس اليها غيرها من الممالك كانت أصلا وكان غيرها فرعا وهذا فصل من أول الكتاب (ومن ذلك) ما كتبته فى مفتتح تقليد بالحسبة وهو ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون هذا أمر يشتمل على معنى الخصوص دون العموم ولا يختص به إلا ذوو الأوامر المطاعة وذوو العلوم وقد جمع الله لنا هذين الوصفين كليهما وجعلنا من المستخلفين عليهما فلنبدأ أولا بحمده الذى هو سبب للمزيد ثم لنأخذ فى القيام بأمره الذى هو على كل نفس منه رقيب عتيد ولاريب أن اصلاح العباد يسرى الى الأرض حتى تزكو بطونها وتنام عيونها ويشترك فى بركات السماء ساكنها ومسكونها والأمر بذلك حمل ان لم تتوزعه الأكف ثقل على الرقاب واذا انتشرت أطراف البلاد فانها تفتقر الى مساعدة من مستنيب ومستناب وقد اخترنا لمدينة فلانة رجلا لم نأل فى اختياره جهدا وقدمنا فيه خيرة الله التى إذا صدقت نيتها صادفت رشدا وهو أنت أيها الشيخ فلان فابسط يدك بقوة الى أخذ هذا الكتاب وكن كحسنة من حسناتنا التى يرجح بها ميزان الثواب وحقق نظرنا فيك فانه من نور الله الذى ليس دونه حجاب فتأمل كيف فعلت فى هذه الآية التى بنيت التقليد عليها وهو من محاسن المبادى والافتتاحات (وكذلك فعلت فى موضع آخر) وهو مفتتح كتاب كتبته الى شخص كلفته السفارة الى مخدومه فى حاجة عرضت وهو ان أولى الناس

و(دهديت) ربيت الصبي وربيته وربته (كاب هراش) وخراش (قشوت العود) وقشرته نشرت الخشبة و(وشرتها) و(أشرتها) وهو المنشار والمئشار لص و(لصت) طس و(طست) قمح يقمح قموحا و(قمه يقمه قموها) إذا رفع البعير رأسه فلم يشرب أهمنى الامر و(أحمنى) أحم خروجنا و(أجم) إذا أزف (وصيت) الشيء بالشيء ووصلته ومنه قول ذى الرمة

تصى الليل بالايام حتى صلاتنا مقاسمة يشتق أنصافها السفر

(طانه) الله على الخير وطامه أى جبله نشزت المرأة على زوجها و(نشصت) سرت اليه و(ثرت) اليه نفر و(نفز) سواء قال الشماخ

* وان ريع منها أسلمته النوافز *

يعنى القوائم لانها تنفز (أفزعتهم) وأفززتهم (عانشت) الرجل وعانقته الماء (جامس) وجامد سكنت الريح و(سكرت) من قول أوس * فليست بطلق ولاساكرة (ثاخ) وساخ فى الارض سواء أى دخل قال أبو ذؤيب * فهو تثوخ فيها الاصبع * انتفيت من الشىء و(انتفلت) سواء أرقت الماء و(هرقته) الفراء (غمار الناس) وخمار ولصق و(لزق) و(لصق) سحقت الزعفران و(سهكته).

﴿ابدال الياء من أحد الحرفين المثلين إذا اجتمعا﴾

(تظنيت) من الظن وأصله تظننت قال العجاج * تقضى البازى اذا البازى كسر * أراد تقضض وقال الله عزوجل وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية قال أبو عبيدة المكاء الصفير والتصدية

بابراهيم

بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا هذا القول تتبع آثاره وتحمل عليه أنظاره وأولى الناس بسيدنا من شاركه فى لحمة أدبه وان لم يشاركه فى لحمة نسبه فان المناقب أقارب والمآثر أواصر   وليس يعرف لى فضلى ولا أدبى * الا امرؤ كان ذا فضل وذا أدب ونتيجة هذه المقدمة بعث خلقه الكريم على عوارف أفضاله واستهداء صنيعة جاهه التى هى أكرم من صنيعة ماله ولا تجارة أربح من هذه التجارة والساعى فيها شريك فى الكسب برىء من الخسارة (وأما الاخبار النبوية) فيسلك بها هذا المسلك بان يذكر الخبر فى صدر الكتاب ثم يبنى عليه ولنذكر منها ولو مثالا واحدا وهو توقيع كتبته لولد رجل من أصحاب السلطان توفى والده ونقل ما كان باسمه اليه فقلت قال النبى صلى الله عليه وسلم أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن مات وترك مالا فلورثته ومن ترك دينا أو كلا أو ضياعا فالى وعلى وهذا خلق من الاخلاق النبوية لا مزيد على حسنه وأساليب المكارم باسرها موضوعة فى ضمنه ونحن نرجو أن نمشى على أثره فنتنزل منزلة رديفه أوان نتشبه به فنبلغ مبلغ مده أو نصيفه وقد أرانا الله ذلك فى قوم صحبونا فاسعفناهم بمباغى الانعام وأحمدناهم صحبة الليالى والأيام وتكفلنا أيتامهم من بعدهم حتى ودوا أن يكونوا هم الايتام وهذا فلان بن فلان رحمه الله ممن كان له فى خدمة الدولة قدم صدق وأولية سبق وحفظ كتاب المحافظة عليها فقيل له فى تلاوته اقرأ وارق ثم أنهيت التوقيع الى آخره فتأمل مفتتح هذا التوقيع فانه تضمن نص الخبر من غير تغيير وقد ضمنته بعض خبر آخر من الاخبار النبوية وهو قوله اقرأ وارق قال النبى صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرأها (وقد مثلت لك) ههنا أمثالا يقتدى بها فاحتذ حذوها وامض على نهجها والله الموفق للصواب

(النوع الثالث والعشرون فى التخلص والاقتضاب) وهذا النوع أيضا كالذى قبله فى أنه أحد الاركان الخمسة التى تقدمت الاشارة اليها فى الفصل التاسع من مقدمة الكتاب وينبغى لك أيها المتوشح لهذه الفضيلة أن تصرف اليه جل همتك فانه مهم عظيم من مهمات البلاغة (أما التخلص) وهو أن يأخذ مؤلف الكلام فى معنى من المعانى فبينما هو فيه اذ أخذ فى معنى آخر غيره وجعل الأول سببا اليه فيكون بعضه آخذا برقاب بعض من غير أن يقطع كلامه ويستأنف كلاما آخر بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ افراغا وذلك مما يدل على حذق الشاعر وقوة تصرفه من أجل أن نطاق الكلام يضيق عليه ويكون متبعا للوزن والقافية فلا تواتيه الالفاظ على حسب ارادته وأما الناثر فانه مطلق العنان يمضى حيث شاء فلذلك يشق التخلص على الشاعر أكثر مما يشق على الناثر (وأما الاقتضاب) فانه ضد التخلص وذلك أن يقطع الشاعر كلامه الذى هو فيه ويستأنف كلاما آخر غيره من مديح أو هجاء أو غير ذلك ولا يكون للثانى علاقة بالأول وهو مذهب العرب ومن يليهم من المخضرمين وأما المحدثون فانهم تصرفوا فى التخلص فأبدعوا وأظهروا منه كل غريبة (فمن ذلك) قول أبى تمام

يقول فى قومس صحبى وقد أخذت * منا السرى وخطا المهرية القود
أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا * فقلت كلا ولكن مطلع الجود

وهذان البيتان من بديع ما يأتى فى هذا الباب ونادره وكذلك قوله أيضا فى وصف أيام الربيع ثم خرج من ذكر الربيع وما وصفه به من الاوصاف فقال

التصفيق ورفع الاصوات وأصله من صددت أصد ومنه قول الله عز وجل إذا قومك منه يصدون أى يضجون ويعجون فجعل احدى الدالين ياء (لبيك) هو من ألب بالمكان إذا أقام به فابدل من احدى الباءين ياء قال أبو عبيدة (دساها) من دسست (تمطى) أصله تمطط أى مد يده ومنه المشية المطيطاء وهى التبختر (أمللت الكتاب) وأمليته قال الله جل ثناؤه فليملل وليه بالعدل وقال فى موضع آخر فهى تملى عليه بكرة وأصيلا

﴿الابدال من المشدد﴾

(تكمكم) الرجل من الكمة وهى القلنسوة والأصل تكمم وتململ على فراشه والاصل تملل من الملة وهى الرماد الحار قال الشاعر

* بات تكركره الجنوب *

أصله تكرر من التكرير وقول الفرزدق

* ويخلفن ماظن الغيور المشفشف * (أى المهزول) هو من شفته الغيرة وشفه الحزن وأصله المشفف (فكبكبوا) فيها هى فكببوا من كببت الرجل على وجهه

﴿ما أبدل من القوافى﴾

أنشد الفراء قال أنشدنى أبو الجراح

والله ما فضلى على الجيران
الا على الاخوال والاعمام

وأنشد غيره فى مثل ذلك

يارب جعد فيهم لو تدرين * يضرب ضرب السبط المقاديم   وأنشد غيره كأن أصوات القطا المنقض * بالليل أصوات الحصا المنقز
وأنشد غيره   والله لولا شيخنا عباد * لكمرونا عندها أو كادوا * فرشط لما كره الفرشاط * بفيشة كأنها حلطاط

وأنشد الفراء كأن تحت درعها المنقد * شطا رميت فوقه بشط * والشط السنام وأنشد غيره * اذا رجلت فاجعلونى وسطا
انى كبير لا أطيق العندا وأنشد ابن الاعرابى أزهر لم يولد بنجم الشح * ميمم البيت كريم السنخ وأنشد

خلق أطل من الربيع كأنه * خلق الامام وهديه المتيسر
فى الارض من عدل الامام وجوده * ومن النبات الغض سرج تزهر
تنسى الرياض ومايروض جوده * أبدا على مر الزمان ويذكر

وهذا من ألطف التخلصات وأحسنها وكذلك قوله فى قصيدته الفائية التى أولها * أما الرسوم فقد أذكرن ماسلفا * فقال فيها

غيد أجاد ولى الحسن سنتها * فصاغها بيديه روضة أنفا
يضحى العذول على تأنيبه كلفا * بعذر من كان مشغوفا بها كلفا
ودع فؤادك توديع الفراق فما * أراه من سفر التوديع منصرفا
تجاهد الشوق طوراً ثم تجذبه * جهاده للقوافى فى أبى دلفا

وهذا أحسن من الذى قبله وأدخل فى باب الصنعة وكذلك جاء قوله

زعمت هواك عفا الغداة كما عفت * منها طلول باللوا ورسوم
لا والذى هو عالم أن النوى * أجل وأن أبا الحسين كريم
ماحلت عن سنن الوداد ولاغدت * نفسى على ألف سواك تحوم

وهذا خروج من غزل الى مدح أغزل منه (ومن البديع فى هذا الباب) قول أبى نواس من جملة قصيدته المشهورة التى أولها * أجارة بيتينا أبوك غيور * فقال عند الخروج الى ذكر الممدوح

تقول التى من بيتها خف مركبى * عزيز علينا أن نراك تسير
أما دون مصر للغنى متطلب * بلى ان أسباب الغنى لكثير
فقلت لها واستعجلتها بوادر * جرت فجرى فى جريهن عبير
ذرينى أكثر حاسديك برحلة * الى بلد فيها الخصيب أمير

ومما جاء من التخلصات الحسنة قول أبى الطيب المتنبى فى قصيدته الدالية التى أولها * عواذل ذات الخال فى حواسد *

وأورد نفسى والمهند فى يدى * موارد لايصدرن من لا يجالد
ولكن اذا لم يحمل القلب كفه * فكيف إذا لم يحمل الكف ساعد
خليلى انى لا أرى غير شاعر * فكم منهم الدعوى ومنى القصائد
فلا تعجبا ان السيوف كثيرة * ولكن سيف الدولة اليوم واحد

وهذا هو الكلام الآخذ بعضه برقاب بعض ألا ترى الى الخروج الى مدح الممدوح فى هذه الابيات كأنه أفرغ فى قالب واحد ثم ان أبا الطيب جمع بين مدح نفسه ومدح سيف الدولة فى بيت واحد وهو من بدائعه المشهورة (وكذلك) قوله أيضا وهو من أحسن ما أتى به من التخلصات وهو فى قصيدته التائية التى أولها * سرب محاسنه حرمت ذواتها * فقال فى أثنائها

ومطالب فيها الهلاك أتيتها * ثبت الجنان كأننى لم آتها
ومقانب بمقانب غادرتها * أقوات وحش كن من أقواتها
أقبلتها غرر الجياد كأنما * أيدى بنى عمران فى جبهاتها
الثابتين فروسة كجلودها * فى ظهرها والطعن فى لباتها
فكأنها نتجت قياما تحتهم * وكأنهم ولدوا على صهواتها

قبحت من سالفة ومن صدغ
كأنها كشية ضب فى صقع
وأنشد
كأنها والعهد مذ أقياظ
أس جراميز على وجاذ
الجرموز الحوض الصغير ووجاذ المشرق من الارض وأنشد غيره
حشورة الجنبين معطاء القفا
لا تدع الدمن إذا الدمن طفا
الا بجرع مثل اثباج القطا
(ومن المقلوب جذب وجبذ) اضمحل الشىء و (امضحل) أجحمت عن الامر و (أحجمت) و (طمس الطريق) وطسم إذا درس (ثنت اللحم) ونثت إذا أنتن (أنى الشىء) يأنى مثل أنى يأتى وآن يئين إذا حان بير عميقة و(معيقة) * (قاع الفحل) على الناقة وقعا يقعوا إذا ضربها حمت يومنا و (محت) إذا اشتد حره شفنت و (شنفت) أى نظرت صعق الرجل و (صقع) وهى الصاعقة والصاقعة عقاب عقنباة و (عبنقاة) وهى ذات المخالب اشاف الرجل على الشىء و (أشفى) إذا أشرف اعتام و (اعتمى) إذا اختار واعتاق الامر فلانا و (اعتقاه) إذا احبسه (بلت) الشىء و بتلته قطعته ومنه قول الشنفرى كأن لها فى الارض نسيا تقصه *

تلك

* على أمها وان تحدثك تبلت آى تقطع الف الرجل وجهه و(فتله) أى صرفه هجمت بالسبع و(جهجت) به إذا صحت به وزجرته تزحزحت عن المكان و(تحزحزت) أهذب فى المشى و(أهبذ) انتقى الشىء و (انتاقه) من النقاوة قال الراجز *

تلك النفوس الغالبات على العلا * والمجد يغلبها على شهواتها

سقيت منابتها التى سقت الورى * بيدى أبى أيوب خير نباتها

فانظر الى هذين التخلصين البديعين فالاول خرج به الى مدح قوم الممدوح والثانى خرج به الى نفس الممدوح وكلاهما قد أغرب فيه كل الاغراب وعلى هذا جاء قوله

اذا صلت لم أترك مصالا لفاتك * وان قلت لم أترك مقالا لعالم

والا فخانتنى القوافى وعاقنى * عن ابن عبيدالله ضعف العزائم

والشعراء متفاوتون فى هذا الباب وقد يقصر عنه الشاعر المفلق المشهور بالاجادة فى ايراد الالفاظ واختيار المعانى كالبحترى فان مكانه من الشعر لايجهل وشعره هو السهل الممتنع الذى تراه كالشمس قريبا ضوؤها بعيدا مكانها وكالقناة لينا مسها خشنا سنانها وهو على الحقيقة قينة الشعراء فى الاطراب وعنقاؤهم فى الاغراب ومع هذا فانه لم يوفق فى التخلص من الغزل الى المديح بل اقتضبه اقتضابا ولقد حفظت شعره فلم أجد له من ذلك شيئا مرضيا الا اليسير كقوله فى قافية الباء من قصيدة وكفانى اذا الحوادث أظلمـــن شهابا بعزة ابن شهاب

وكقوله فى قافية الدال من قصيدة

قصدت لنجران العراق ركابنا * فظالن ازجيها محلة ماجد

آليت لاتلقين جـدا صاعـدا * فى مطلب حتى تناخ بصاعـد

وكقوله فى قصيدته التى أولها * حلفت لها بالله يوم التفرق * فانه تشوق فيها الى العراق من الشام ووصف العراق ومنازله ورياضه فأحسن فى ذلك كله ثم خرج الى مدح الفتح بن خاقان بسياقة آخذة بعضها برقاب بعض فقال

رباع من الفتح بن خاقان لم تزل * غنى لعديم أو فكا كالموثق

ثم أخذ فى مدحه بعد ذلك بضروب من المعانى وكذلك ورد قوله فى قصيدته التى أولها * ميلوا الى الدار من ليلى نحييها * فانه وصف البركة فأبدع فى أوصافها ثم خرج منها الى مدح الخليفة المتوكل فقال كأنها حين لجت فى تدفقها * يد الخليفة لما سال واديها وأحسن ماوجدته له وهو مما لطف فيه كل التلطيف قوله فى قصيدته التى يمدح بها ابن بسطام ومطلعها * نصيب عينك من سح وتسجام * فقال عند تخلصه الى المديح

هل الشباب ملم بى فراجعـة * أيامـه لى فى أعقاب أيام

لو أنه بابل عمـــر يجاذبه * اذا تطلبتـه عند ابن بسطام

وهذا من الملائح فى هذا الباب وله مواضع أخرى يسيرة بالنسبة الى كثرة شعره وقال أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمى إن كتاب الله خال من التخلص وهذا القول فاسد لان حقيقـة التخلص انما هى الخروج من كلام الى كلام آخر غيره بلطيفة تلائم بين الـكلام الذى خرج منه والكلام الذى خرج اليه وفى القرآن الـكريم مواضع كثيرة من ذلك كالخروج من الوعظ والتذكير بالانذار والبشارة بالجنة الى أمر ونهى ووعد ووعيد ومن محكم الى متشابه ومن صفة لنبى مرسل وملك منزل الى ذم شيطان مريد وجبار عنيد بلطائف دقيقة ومعان أخذ بعضهـا برقاب بعض (فما جاء من التخلص فى القرآن الـكريم) قوله تعالى واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونـكم اذ تدعون أو ينفعونكم

مثل القياس انتاقها المنتقى * قال الكسائى هو من النيقة شاءنى الامر و(شاءنى) اذا حزنك وراءنى و(رآنى) مثل رعى و(راع) ابن الاعرابى غرسه و(رغسه) رجل أرغل و(أغرل) جاءت الخيل شوائع و(شواعى) أى متفرقة الامة تأداء و(دأثا) * (استدمى الرجل غريمه) واستدامه اذا رفق به شاكى السلاح و(شائك) ولاث و(لائث) عمج فى السير و(معج) وهار و(هائر) وعاقنى عنه عائق و(عاق) وعاث و(عائث) وآن و(اين) والصير و(البصر) الجانب والحرف من كل شىء استناع الشىء و(استنعى) اذا تقدم قلقلت الرجل و(لقلقته) ماأطيبه و(أيطبه) أنبضت القوس و(أنضبتها) اذا أنت جذبت وترها ثم أرسلته فصوت

* ماتكلم به العامة من الكلام الأعجمى *

الاصمعى (الزرجون) الخمر وأصله بالفارسية زركون أى لون الذهب قال و(الخندريس) الخمر و(اسفنط) و(اسفند) الخمر قال وأحسبها بالرومية قال و(السجنجل) المرآة بالرومية فيما أحسب و(البرنساء) الخلق وأصله بالنبطية ابن الانسان يقال فى المثل ما أدرى أى البرنسا هو و(القفشليل) المغرفة وأصله بالفارسية كفجلاز و(الكرد) العنق وأصله بالفارسية كردن وأنشد وكنا اذا القيسى نب عتوده * ضربناه دون الانثيين على الكرد

والأنثيان) الأذنان أبو عبيدة قال ربما وافق الأعجمى العربى قالوا غزل (سخت) أى صلب و (الزورة) القوة و (الدشت) الصحراء وأنشد للاعشى قد علمت فارس وحمير وال * اعراب بالدشت أيكم نزلا يريد الصحراء

أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فانهم عدو لى إلا رب العالمين الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين واجعل لى لسان صدق فى الآخرين واجعلنى من ورثة جنة النعيم واغفر لأبى انه كان من الضالين ولا تخزنى يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس أجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفى ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين وما أضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين هذا كلام يسكر العقول ويسحر الألباب وفيه كفاية لطالب البلاغة فانه متى أنعم فيه نظره وتدبر أثناءه ومطاوى حكمته علم أن فى ذلك غنى عن تصفح الكتب المؤلفة فى هذا الفن ألا ترى ما أحسن ما رتب ابراهيم عليه السلام كلامه مع المشركين حين سألهم أولا عما يعبدون سؤال مقرر لا سؤال مستفهم ثم أنحى على آلهتهم فأبطل أمرها بأنها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع وعلى تقليد آبائهم الأقدمين فكسره وأخرجه من أن يكون شبهة فضلا عن أن يكون حجة ثم أراد الخروج من ذلك الى ذكر الاله الذى لا تجب العبادة إلا له ولا ينبغى الرجوع والانابة إلا اليه فصور المسئلة فى نفسه دونهم بقوله فانهم عدو لى على معنى انى فكرت فى أمرى فرأيت عبادتى لها عبادة للعدو هو الشيطان فاجتنبتها وآثرت عبادة من الخير كله فى يده وأراهم بذلك أنها نصيحة ينصح بها نفسه لينظروا فيقولوا ما نصحنا ابراهيم إلا بما نصح به نفسه فيكون ذلك أدعى لهم الى القبول لقوله وأبعث على الاستماع منه ولو قال فانهم عدو لكم لم يكن بتلك المثابة فتخلص عند تصويره المسئلة فى نفسه الى ذكر الله تعالى فأجرى عليه تلك الصفات العظام من تفخيم شأنه وتعديد نعمه من لدن خلقه وأنشأه الى حين وفاته مع ما يرجى فى الآخرة من رحمته ليعلم من ذلك أن من هذه صفاته حقيق بالعبادة واجب على الخلق الخضوع له والاستكانة لعظمته ثم خرج من ذلك الى ما يلائمه ويناسبه فدعا الله بدعوات المخلصين وابتهل اليه ابتهال الأوابين لأن الطالب من مولاه إذا قدم قبل سؤاله وتضرعه الاعتراف بالنعمة كان ذلك أسرع للاجابة وأنجح لحصول الطلبة ثم أدرج فى ضمن دعائه ذكر البعث ويوم القيامة ومجازاة الله تعالى من آمن به واتقاه بالجنة ومن ضل عن عبادته بالنار فجمع بين الترغيب فى طاعته والترهيب من معصيته ثم سأل المشركين عما كانوا يعبدون سؤالا ثانيا عند معاينة الجزاء وهو سؤال موبخ لهم مستهزىء بهم وذكر ما يدفعون اليه عند ذلك من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمنى العودة ليؤمنوا فانظر أيها المتأمل الى هذا الكلام الشريف الآخذ بعضه برقاب بعض مع احتوائه على ضروب من المعانى فيخلص من كل واحد منها الى الآخر بلطيفة ملائمة حتى كأنه أفرغ فى قالب واحد فخرج من ذكر الأصنام وتنفير أبيه وقومه من عبادتهم إياها مع ما هى فيه من التعرى عن صفات الالهية حيث لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع الى ذكر الله تعالى فوصفه بصفات الالهية فعظم شأنه وعدد نعمه ليعلم بذلك أن العبادة لا تصح إلا لله ثم خرج من هذا الى دعائه اياه وخضوعه له ثم خرج منه إلى

وهى دشت بالفارسية ولم يكن أبو عبيدة يذهب الى أن فى القرآن شيئا من غير لغة العرب وكان يقول هو اتفاق يقع بين اللغتين وكان غيره يزعم أن القسطاس الميزان بلغة الروم والغساق البارد المنتن بلسان الترك والمشكاة الكوة بلسان الحبشة والسجيل بالفارسية سنك وكل أى حجارة وطين والطور الجبل بالسريانية واليم البحر بالسريانية وروى عن ابن عباس أنه قال التنور بكل لسان عربى وعجمى (وعن على) عليه السلام أنه قال التنور وجه الأرض و (البرق) الحمل أصله بالفارسية بره و (السرق) الحرير أصله بالفارسية سره و (اليلمق) القباء أصله بالفارسية يلمه و (المهرق) الصحيفة وهى بالفارسية مهره و (المسح) البلاس وهو بالفارسية فلاس قال لبيد فخمة ذفراء ترتى بالعرا قردمانيا وتركا كالبصل عن أبى عبيدة هو قباء محشو وعن غيره أنه قال هى دروع وأصله بالفارسية كردمانذ معناه عمل و بقى (البورياء) بالفارسية وهى بالعربية بارى و بورى قال العجاج * كالخص إذ جلله البارى * و (السبيج) بقيرة وأصله بالفارسية شبى وهو القميص قال العجاج

كما رأيت فى الملاء البردجا * كالحبشى التف أو تسبجا قال (البردج) السبي وهو بالفارسية برده وقوله عكف النبيط
يلعبون الفنزجا * وهو بالفارسية بنجكان وقوله يوم خراج يخرج السمرجا * قال أصله بالفارسية سه مره

الى ذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه فتدبر هذه التخلصات اللطيفة المودعة فى أثناء هذا الكلام وفى القرآن مواضع كثيرة من التخلصات كالذى ورد فى سورة الأعراف فانه ذكر فيها قصص الأنبياء والامم الخالية من آدم الى نوح عليهما السلام وكذلك الى قصة موسى عليه السلام حتى انتهى الى آخرها الذى هو واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة انا هدنا اليك قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون هذا تخلص من التخلصات الحسان فان الله تعالى ذكر الأنبياء والقرون الماضية الى عهد موسى عليه السلام فلما أراد ذكر نبينا صلوات الله عليه وسلامه ذكره بتخلص انتظم به بعض الكلام ببعض ألا ترى أنه قال موسى عليه السلام واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة فأجيب بقوله تعالى قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين من حالهم كذا وكذا ومن صفتهم كيت وكيت وهم الذين يتبعون الرسول النبى الأمى ثم وصفه صلوات الله عليه بصفاته الى آخر الكلام ويا لله العجب كيف يزعم الغانمى أن القرآن خال من التخلص ألم يكفه سورة يوسف عليه السلام فانها قصة برأسها وهى مضمنة شرح حاله مع اخوته من أول أمره الى آخره وفيها عدة تخلصات فى الخروج من معنى الى معنى وكذلك الى آخرها ولو أخذت فى ذكر ما فى القرآن الكريم من هذا النوع لأطلت ومن أنعم نظره فيه وجد من ذلك أشياء كثيرة (وقد جاء لى من التخلصات فى الكلام المنثور أشياء كثيرة) وسأذكر ههنا نبذة يسيرة منها (فمن ذلك) ما أوردته فى كتاب الى بعض الاخوان أصف فيه الربيع ثم خرجت من ذلك الى ذكر الاشواق فقلت وكان هذه الأوصاف فى شأنها بديعة فكذلك شوقى فى شأنه بديع غير أنه لحره فصل مصيف وهذا فصل ربيع فأنا أملى أحاديثه العجيبة على النوى وقد عرفت حديث من قتله الشوق فلا أستنفض حديث من قتله الهوى (ومن هذا الاسلوب) ما كتبته فى كتاب الى بعض الاخوان أيضا وأرسلته اليه من بلاد الروم وهو كتاب يشتمل على وصف البرد وما لاقيته منه ثم خرجت من ذلك الى ذكر الشوق فقلت ومما أشكوه من بردها أن الفرو لا يلبس الا فى شهر ناجر وهو قائم مقام الظل الذى يتبرد به من لفح الهواجر ولفرط شدته لم أجد ما يخففه فضلا عما يذهبه فان النار المعدة له تطلب من الدفء أيضا ما أطلبه لكن وجدت نار أشواقى أشد حرا فاصطليت بجمرها التى لا تذكى بزناد ولا تؤول الى رماد ولا يدفع البرد الوارد على الجسد بأشد من حر الفؤاد غير أنى كنت فى ذلك كمن سد خلة بخلة واستشفى من علة بعلة وأقتل ما أعلك ما شفاك فما ظنك بمن يصطلى نار الاشواق وقد قنع من أخيه بالأوراق فضن عليه بالاوراق (ومما ينتظم فى هذا العقد) ما ذكرته فى مفتتح كتاب يتضمن عناية ببعض المتظلمين فاستطردت فيه المعنى الى ذكر المكتوب اليه وهو هدايا المكارم أنفس من

أى استخراج الخراج فى ثلاث مرات (وقوله) مياحة تميح مشيا رهوجا قال الرهوج السهل وهو بالفارسية رهوار أى هملاج وقوله * وكان ما اقتض الحجاف بهرجا (البهرج) الباطل وهو بالفارسية نبهره (البالغاء) ممدود الاكارع وهو بالفارسية بايها و(الالوة) العود وأصلها بالفارسية وقال الشاعر وهو أوس ابن حجر
وقارفت وهى لم تجرب وباع لها
من الصافص بالنمى سفير
(والسفسير) بالفارسية السمسار (القمجر) و (القمنجر) القواس وهو بالفارسية كما نكر قال الاعشى
وبيداء تحسب آرامها
رجال أياد بأجيادها
قال أبو عبيدة أراد الجوزيا بالنبطية أو الفارسية وهو الكساء والاصمعى يرويه بأجلادها أى شخوصها وخلقها و (القيروان) وأصله بالفارسية كاروان فعرب وقال امرؤ القيس
وغارة ذات قيروان

كأن أسرابها الرعال والقيروان معظم الشىء والكاروان بالفارسية جماعة الناس والقافلة (والبالة) الجراب باله قال الاعشى
وذكر الحمار أظل مظلته بالسراج * والليل غامر جدادها (الجداد) الخيوط المعقدة وهى بالفارسية كداد قال أوس

هدايا الاموال وأبقى على تعاقب الايام والليال وقد حمل هذا الكتاب منها هدية تورث حمدا وتكسب مجدا وهي خير ثوابا وخير مردا ولا يسمو بها الاسجية طبعت على الكرم وخلقت من عنصر الديم كسجية مولانا أعلاه الله علوا تفخر به الارض على السماء وتحسده شمس النهار ونجوم الظلماء ولازالت أياديه مخجلة صوب الغمام معدية على نوب الايام مغنية بشرف فضلها على شرف الاخوال والاعمام وتلك الهدية هي تجريد الشفاعة في أمر فلان ومن إيمان المرء سعيه في حاجة أخيه وان لم يمسه بشيء من أسباب أواخيه فان المؤمنين اخوة وان تباينت مناسبهم وتفاوتت مراتبهم ومن صفتهم أن يسعى بذمتهم أدناهم وخيرهم من عناه من الامر ماعناهم ثم مضيت على هذا النهج الى آخر الكتاب (ومن ذلك) ما كتبته من كتاب الى صديق استحدثت مودته وهو من أهل العراق وكنت اجتمعت به بالموصل ثم سارعني فكتبت اليه أستهديه رطبا فقلت هذه المكاتبة ناطقة بلسان الشوق الذي تزف كلمه زفيف الاوراق وتسجع سجع ذوات الاطواق وتهتف وهي مقيمة بالموصل فتسمع من هو مقيم بالعراق وأبرح الشوق ما كان عن فراق غير بعيد وود استجدت حلته واللذة مقترنة بكل شيء جديد وأرجو أن لا يبلي قدم الايام لهذه الجدة لباسا وأن يعاذ من نظرة الجن والانس حتى لا يخشى جنة ولا باسا وقد قيل ان للودات طعما كما أن لها وسما وان ذا اللب يصادق نفسا قبل أن يصادق جسما واني لاجد لمودة سيدنا حلاوة يستلذ دوامها ولا يمل استطعامها وقد أذكرتني الآن بحلاوة الرطب الذي هو من أرضها وغير عجيب لمناسبة الاشياء أن يذكر بعضها ببعضها إلا أن هذه الحلاوة تنال بالافواه وتلك تنال بالاسرار وفرق بين مايغترس بالارض ومايغترس بالقلب في شرف الثمار فلاينظر سيدنا علي في هذا التمثيل ولربما كان ذلك تعريضا ينوب مناب التطفيل وهذا من التخلصات البديعة فانظر أيها المتأمل كيف سقت الكلام الى استهداء الرطب وجعلت بعضه آخذا برقاب بعض حتى كأنه أفرغ في قالب واحد وكذلك فليكن التخلص من معنى الى معنى وهذا القدر من الامثلة كاف المتعلم (ومما استظرف من هذا النوع في الشعر) قول ابن الزمكرم الموصلي وهو

وليل كوجه البرقعيدي مظلم * وبرد أغانيه وطول قرونه
سريت ونومي فيه نوم مشرد * كعقل سليمان بن فهد ودينه
على أولق فيه التفات كأنه * أبو جابر في خبطه وجنونه
الى أن بدا ضوء الصباح كأنه * سنا وجه قرواش وضوء جبينه

وهذه الابيات لها حكاية وذاك أن هذا الممدوح وهو شرف الدولة قرواش ملك العرب وكان صاحب الموصل فاتفق أنه كان جالسا مع ندمائه في ليلة من ليالي الشتاء وفي جملتهم هؤلاء الذين هجاهم الشاعر وكان البرقعيدي مغنيا وسليمان بن فهد وزيرا وأبو جابر حاجبا فالتمس شرف الدولة من هذا الشاعر أن يهجو المذكورين ويمدحه فأنشد هذه الابيات ارتجالا وهي غريبة في بابها لم يسمع بمثلها ولم يرض قائلها بصناعة التخلص وحدها حتى رقي في معانيه المقصودة الى أعلى منزلة فابتدأ البيت الاول بهجو البرقعيدي فجاءه في ضمن مراده ذكر أوصاف ليل الشتاء جميعها وهي الظلمة والبرد والطول ثم ان هذه الاوصاف الثلاثة جاءت ملائمة لما شبهت به مطابقة له وكذلك البيت الثاني والثالث ثم خرج الى المديح بألطف وجه وأدق صنعة وهذا

كأنها أو ابن أيام تربيه من قرة العين مجتابا ديابوذ (واليرندج) جلد أسود وهو بالفارسية رنده (الكرز) البازي وهو الرجل الحاذق بالفارسية كره (مرعزى) وهو بالنبطية مرنزى و (الصيق) الريح وأصله نبطي زيقا و (الطست) والتور والقمقم بالرومية و (البستان) فارسي معرب و (الطابق)و(الطاجن) فارسي (الصرد)و(الحرم) البرد والحر و (المرج) و (العسكر)و (الديدبان) و(الخندق) و(الموزج و (الموق) هذه كلها فارسية أعربت و (الفرانق) انما هو بروانه (السدير) فارسي معرب وأصله سادلي أي قبة في ثلاث قباب مداخلة وهو الذي يسميه الناس سهدلي فأعرب والعرب تقول (قربز) للجربز قال ودرهم (قسي) انما هو تعريب قاش ويقال هو فعيل من القسوة أي فضة رديئة صلبة ليست بلينة وقول الأعشى في النعمان حتى مات وهو محرزق قالوا هو بالنبطية هرزوقا

يسمى الاستطراد وما سمعت في هذا الباب بأحسن من هذه الأبيات ومما يجري على هذا الأسلوب ما ورد لابن الحجاج البغدادي وهي أبيات لطيفة جدا .

ألا ياماء دجلة لست تدري * بأني حاسد لك طول عمري
ولو أني استطعت سكرت سكرا * عليك فلم تكن يا ماء تجري
فقال الماء ماهذا عجيب * بما استوجبته ياليت شعري
فقلت له لأنك كل يوم * تمر على أبي الفضل بن بشر
تراه ولا أراه وذاك شيء * يضيق عن احتماله فيه صبري

وما علمت معنى في هذا المقصد ألطف ولا أرق ولا أعذب ولا أحلى من هذا اللفظ ويكفي ابن الحجاج من الفضيلة أن يكون له مثل هذه الابيات ولا تظن أن هذا شيء انفرد به المحدثون لما عندهم من الرقة واللطافة وفات من تقدمهم لما عندهم من قشف العيش وغلظ الطبع بل قد تقدم أولئك إلى هذا الأسلوب وإن أقلوا منه وأكثر منه المحدثون وأي حسن من محاسن البلاغة والفصاحة لم يسبقوا اليه وكيف لا وهم أهله ومنهم علم وعنهم أخذ (فمن ذلك) ما جاء للفرزدق وهو

وركب كأن الريح تطلب عندها * لها قوة من جذبها بالعصائب
سروا يخبطون الليل وهي تلفهم * إلى شعب الأكوار من كل جانب
اذا آنسوا نارا يقولون ليتها * وقد خصرت أيديهم نار غالب

فانظر الى هذا الاستطراد ما أخلبه وأفخمه واعلم أنه قد يقصد الشاعر التخلص فيأتي به قبيحا كما فعل أبو الطيب المتنبي في قصيدته التي أولها

ملث القطر أعطشها ربوعا * فقال عند الخروج من الغزل الى المديح

غدا بك كل خلو مستهاما * وأصبح كل مستور خليعا
أحبك أو يقولوا جر نمل * ثبيرا وابن ابراهيم ريعا

وهذا تخلص كما تراه بارد ليس عليه من مسحة الجمال شيء وههنا يكون الاقتضاب أحسن من التخلص فينبغي لسالك هذه الطريق أن ينظر الى مايصوغه فان واتاه التخلص حسنا كما ينبغي والا فليدعه ولا يستكرهه حتى يكون مثل هذا كما فعل أبو الطيب ولهذا نظائر وأشباه وقد استعمل ذلك في موضع آخر في قصيدته التي أولها * أحيا وأيسر ما قاسيت ماقتلا * فقال

على الأمير يرى ذلي فيشفع لي * الى التي تركتني في الهوى مثلا

والاضراب عن مثل هذا التخلص خير من ذكره وما ألقاه في هذه الهوة الا أبو نواس فانه قال

سأشكو الى الفضل بن يحي بن خالد * هواك لعل الفضل يجمع بيننا

على أن أبا نواس أخذ ذلك من قيس بن ذريح لكنه أفسده ولم يأت به كما أتى به قيس ولذلك حكاية وهو أنه لما هام بلبنى في كل واد وجن بها رق له الناس ورحموه فسعى له ابن أبي عتيق الى أن طلقها من زوجها وأعادها الى قيس فزوجها إياه فقال عند ذلك

جزى الرحمن أفضل مايجازي * على الاحسان خيرا من صديق
وقد جربت اخواني جميعا * فما ألفيت كابن أبي عتيق

فسروها عنه الجلال كما * سل لبيع اللطيمة الدخدار (الدخدار) الثوب وهو بالفارسية تخت دار أي يمسكه التخت وقال الكميت يصف بقرة * تجلو البوارق عنها صفح دخدار * (الخورنق) كان يسمى الخورنكاه أي موضع الشرب فأعرب

﴿ دخول بعض الصفات على بعض ﴾ (تدخل من على عند) تقول جئت (٢٨١) (من عندك) و(تدخل على على) أنشد الكسائي
باتت تنوش الحوض نوشا من على * نوشا به تقطع أجواز الفلا
(وتدخل على عن) قال ذو الرمة
إذا نفحت من عن يمين المشارق
وقال القطامي
من عن يمين الحبيا نظرة قبل
وتقول كنت مع أصحاب لي فأقبلت من معهم وكان معها فانتزعته من معها وقال الكسائي سمعت بعض العرب يقول أخذته من كمكان ذلك قال سيبويه العرب تقول جئت من عليه كقولك من فوقه وجئت من معه كقولك من عنده وقال مزاحم
غدت من عليه بعد ما تم ظمؤها * تصل وعن قيض ببيداء مجهل
قال الكسائي من تدخل على جميع حروف الصفات إلا على الباء واللام وفي قال الفراء ولا تدخل أيضا عليها نفسها قال وإنما امتنعت العرب من ادخالها على الباء واللام لأنهما قلتا فلم يتوهموا فيهما الاسماء لأنه ليس من أسماء العرب اسم على حرف وأدخلت على الكاف لأنها في معنى مثل (والباء تدخل على الكاف) وقال الشاعر وزعت بكالهراوة أعوجي * اذا ونت الركاب جرى وثابا وقال امرؤ القيس ورحنا بكابن الماء يجنب وسطنا * تصوب فيه العين طورا وترتقي كأنه قال بمثل ابن الماء وأنشد سيبويه

* وصاليات ككما يؤثفين * فأدخل الكاف على الكاف وأنشد القاسم بن معن * على كالخنيف السحق يدعو به الصدى *
﴿دخول بعض الصفات مكان بعض﴾ (فى مكان على) تقول لا يدخل الخاتم فى أصبعى أى على أصبعى قال الله عز وجل ولاصلبنكم فى جذوع النخل أى على جذوع النخل (٢٨٢) وقال الشاعر وهم صلبوا العبدى فى جزع نخلة * فلا عطست شيبان الا بأجدعا

سعى فى جمع شملى بعد صدع * ورأى حرت فيه عن طريقى
وأطفى لوعة كانت بقلبى * اغصتنى حرارتها بريقى

و بين هذا الكلام و بين كلام أبى نواس بون بعيد وقد حكى عن ابن أبى عتيق أنه قال ياحبيبى أمسك عن هذا المديح فما يسمعه أحد إلا ظننى قوادا ﴿ وأما الاقتضاب ﴾ فهو الذى أشرنا اليه فى صدر هذا النوع وهو قطع الكلام واستئناف كلام آخر غيره بلا علاقة تكون بينه و بينه (فمن ذلك) مايقرب من التخلص وهو فصل الخطاب والذى أجمع عليه المحققون من علماء البيان أنه أما بعد لان المتكلم يفتتح كلامه فى كل أمر ذى شأن بذكر الله وتحميده فاذا أراد أن يخرج الى الغرض المسوق اليه فصل بينه و بين ذكر الله تعالى بقوله أما بعد (ومن الفصل الذى هو أحسن من الوصل لفظة هذا) وهى علاقة وكيدة بين الخروج من كلام الى كلام آخر غيره كقوله تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق و يعقوب أولى الايدى والابصار إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب جنات عدن مفتحة لهم الابواب ألا ترى الى ماذكر قبل هذا ذكر من ذكر من الانبياء عليهم السلام وأراد أن يذكر على عقبه بابا آخر غيره وهو ذكر الجنة وأهلها فقال هذا ذكر ثم قال وان للمتقين لحسن مآب ثم لما أتم ذكر أهل الجنة وأراد أن يعقبه بذكر أهل النار قال هذا وان للطاغين لشر مآب وذلك من فصل الخطاب الذى هو ألطف موقعا من التخلص وقد وردت لفظة هذا فى الشعر الا أن ورودها فيه قليل بالنسبة الى الكلام المنثور (فمن ذلك قول الشاعر المعروف بالخباز البلدى فى قصيدة أولها * العيش غض والزمان غزير

انى ليعجبنى الزنانى سحرة * ويروق لى بالجاشرية زير
وأكاد من فرح السرور اذا بدا * ضوء الصباح من الستور أطير
واذا رأيت الجو فى فضية * للغيم فى جنباتها تكسير
منقوشة صدر البزاة كأنه * فيروزج قد زانه بلور
نادت بى اللذات ويحك فانتهز * فرص المنى يا أيها المغرور
مل بى إلى جور السقاة فاننى * أهوى سقاة الكاس حين تجور
هذا وكم لى بالجنينة سكرة * أنا من بقا ياشربها مخمور
باكرتها وغصونها مغروزة * والماء بين مروزها مذعور
فى ستة أنا والنديم وقينة * والكاس والمزمار والطنبور

هذه الابيات حسنة وخروجها من شدق هذا الرجل الخباز عجيب ولو جاءت فى شعر أبى نواس لزانت ديوانه * والاقتضاب الوارد فى الشعر كثير لا يحصى والتخلص بالنسبة اليه قطرة من بحر ولا يكاد يوجد التخلص فى شعر الشاعر المجيد إلا قليلا بالنسبة الى المقتضب من شعره (فمن الاقتضاب) قول أبى نواس فى قصيدته النونية التى أولها * يا كثير النوح فى الدمن * وهذه القصيدة هى عين شعره والملاحة للعيون وهى تنزل منه منزلة الالف لا منزلة النون الا أنه لم

وقال عنترة
بطل كان ثيابه فى سرحة
أى على سرحة من طوله
(الى مكان فى) قال النابغة
فلا تتركنى بالوعيد كأننى
الى الناس مطلى به القار أجرب
يريد فى الناس وقال طرفة
وان يلتقى الحى الجميع تلاقنى
الى ذروة البيت الكريم المصمد
أى فى ذروة البيت الكريم الذى يصمد اليه و يقصد
و يقال جلست الى القوم أى فيهم (على مكان عن) يقال رضيت عليك بمعنى عنك وقال القحيف العقيلى
اذا رضيت على بنو قشير * لعمر الله أعجبنى رضاها
و رميت على القوس بمعنى عنها قال أرمى عليها وهى فرع أجمع
وقال ذو الاصبع
ان تعقلا جفرة على ولم * أوذ صديقا ولم أنل طبعا
أى عنى وقال آخر
اذا ما امرؤ ولى على بوده * وأدبر لم يصدر بادباره ودى
أى ولى عنى بوده (من مكان عن) يقال حدثنى فلان من فلان بمعنى عنه ولهيت من فلان بمعنى عنه (الباء مكان عن) انما تأتى الباء بمعنى عن بعد السؤال قال الله عز وجل فاسأل به خبيرا أى عنه و يقال أتينا فلانا نسأل به أى عنه وقال علقمة بن عبدة
فان تسألونى بالنساء فاننى * بصير بأدواء النساء طبيب

يكمل

وقال ابن أحمر تسائل بابن أحمر من رآه * أعارت عينه أم لم تعارا وأنشد أبو عمرو بن العلاء دع المغمر لا تسأل بمصرعه * واسأل بمصقلة البكرى ما فعلا وقال آخر ولا يسأل الضيف الغريب إذا شتا * بما زخرت قدرى له حين ودعا (عن مكان الباء) يقال رميت عن القوس بمعنى بالقوس قال امرؤ القيس (٢٨٣) * تصد وتبدى عن أسيل *

يكمل حسنها بالتخلص من الغزل إلى المديح بل اقتضبه اقتضابا فبينا هو يصف الخمر يقول

فاسقنى كأسا على عذل * كرهت مسموعه أذنى

من كميت اللون صافية * خير ما سلسلت فى بدنى

ما استقرت فى فؤاد فتى * فدرى ما لوعة الحزن

حتى قال تضحك الدنيا إلى ملك * قام بالآثار والسنن

سن للناس الندى فندوا * فكأن البخل لم يكن

فأكثر مدائح أبى نواس مقتضبة هكذا والتخلص غير ممكن فى كل الأحوال وهو من مستصعبات علم البيان (ومن هذا الباب) الذى نحن بصدد ذكره قول البحترى فى قصيدته المشهورة بالجودة التى مدح بها الفتح بن خاقان وذكر لقاءه الأسد وقتله اياه وأولها * أجدك ما ينفك يسرى لزينبا وهى من أمهات شعره ومع ذلك لم يوفق فيها للتخلص من الغزل إلى المديح فانه بينما هو فى تغزله وهو يقول

عهدتك إن منيت منيت موعدا * جهاما وإن أبرقت أبرقت خلبا

وكنت أرى أن الصدود الذى مضى * كلال فما إن كان إلا تجنبا

فوا أسفا حتام أسأل مانعا * وآمن خوانا وأعتب مذنبا

حتى قال فى أثر ذلك أقول لركب معتفين تدرعوا * على عجل قطعا من الليل غيهبا

ردوا نائل الفتح بن خاقان انه * أعم ندى فيكم وأيسر مطلبا

فخرج إلى المديح بغير وصلة ولا سبب وكذلك قوله فى قصيدته المشهورة بالجودة التى مدح بها الفتح بن خاقان أيضا وذكر نجاته عند انخساف الجسر به وقد أغرب فيها كل الاغراب وأحسن كل الاحسان وأولها متى لاح برق أو بدا طلل قفر * فبينا هو فى غزلها حتى قال

لعمرك ما الدنيا بناقصة الجدى * إذا بقى الفتح بن خاقان والقطر

فخرج إلى المديح مقتضبا له لا متعلقا به وأمثال هذا فى شعره كثير ﴿النوع الرابع والعشرون فى التناسب بين المعانى﴾ و ينقسم إلى ثلاثة أقسام ﴿القسم الأول فى المطابقة﴾ وهذا النوع يسمى البديع أيضا وهو فى المعانى ضد التجنيس فى الألفاظ لأن التجنيس هو أن يتحد اللفظ مع اختلاف المعنى وهذا هو أن يكون المعنيان ضدين وقد أجمع أرباب هذه الصناعة على ان المطابقة فى الكلام هى الجمع بين الشىء وضده كالسواد والبياض والليل والنهار وخالفهم فى ذلك قدامة بن جعفر الكاتب فقال المطابقة ايراد لفظين متساويين فى البناء والصيغة مختلفين فى المعنى وهذا الذى ذكره هو التجنيس بعينه غير أن الاسماء لا مشاحة فيها إلا إذا كانت مشتقة ولننظر نحن فى ذلك وهو أن نكشف عن أصل المطابقة فى وضع اللغة وقد وجدنا الطباق فى اللغة من طابق البعير فى سيره إذا وضع رجله موضع يده وهذا يؤيد ما ذكره قدامة لان اليد غير الرجل لا ضدها والموضع الذى يقعان فيه واحد وكذلك المعنيان يكونان مختلفين واللفظ الذى يجمعهما واحد فقدامة سمى هذا النوع من الكلام مطابقا حيث كان الاسم مشتقا مما سمى به وذلك مناسب وواقع فى موقعه إلا أنه جعل للتجنيس اسما آخر وهو المطابقة ولا بأس به إلا إن كان مثله بالضدين كالسواد والبياض فانه يكون قد خالف الأصل

أى تصد بأسيل وقال أبو عبيدة فى قول الله عز وجل وما ينطق عن الهوى (فى مكان إلى) قال الله عز وجل فردوا أيديهم فى أفواههم أى إلى أفواههم (فى مكان الباء) قال زيد الخيل ويركب يوم الروع فيها فوارس * بصيرون فى طعن الاباهر والكلى وقال آخر وخضخضن فينا البحر حتى قطعنه على كل حال من غمار ومن وحل أى خضخضن بنا وقال آخر * تلوذ فى أم لنا ما تغتصب * أى بأم وقال الاعشى * وإذا تنوشد فى المهارق أنشدا * أى إذا سئل بكتب الأنبياء أجاب (على مكان اللام) قال الراعى رعته أشهر وخلا عليها فطار النى فيها واستغارا أى خلا لها (اللام مكان على) يقال سقط لفيه بمعنى على فيه وقال آخر * فخر صريعا لليدين وللفم * أى على اليدين والفم وقال آخر كأن مخواها على ثفناتها * معرس خمس وقعت للجناجن أى وقعت على الجناجن (إلى مكان من) قال ابن أحمر * يسقى فلا يروى الى ابن أحمرا * أى منى (الى مكان عند) يقال هو أشهى الى من كذا أى عندى قال أبو كبير أم لا سبيل الى الشباب وذكره * أشهى الى من الرحيق السلسل

الذى أصله بالمثال الذى مثله وأما غيره من أرباب هـذه الصناعة فانهم سموا هذا الضرب من الكلام مطابقا لغير اشتقاق ولامناسبة بينه و بين مسماه هذا الظاهر لنا من هذا القول إلا أن يكونوا قد علموا لذلك مناسبة لطيفة لم نعلمها نحن ولنرجع إلى ذكر هذا القسم من التأليف وايضاح حقيقته فنقول الاليق من حيث المعنى أن يسمى هذا النوع المقابلة لأنه لايخلو الحال فيه من وجهين إما أن يقابل الشىء بضده أو يقابل بما ليس بضده وليس لنا وجه ثالث (فأما الأول) وهو مقابلة الشىء بضده كالسواد والبياض وماجرى مجراهما فانه ينقسم قسمين أحدهما مقابلة فى اللفظ والمعنى والآخر مقابلة فى المعنى دون اللفظ (أما المقابلة فى اللفظ والمعنى) فكقوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا فقابل بين الضحك والبكا والقليل والكثير وكذلك قوله تعالى لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم وهذا من أحسن مايجىء فى هذا الباب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير المال عين ساهرة لعين نائمة (ومن الحسن المطبوع الذى ليس بمتكلف) قول على رضى الله عنه لعثمان رضى الله عنه إن الحق ثقيل مرى والباطل خفيف وبى وأنت رجل إن صدقت سخطت وان كذبت رضيت فقابل الحق بالباطل والثقيل المرى بالخفيف الوبى والصدق بالكذب والسخط بالرضا وهذه خمس مقابلات فى هذه الكلمات القصار وكذلك ورد قوله رضى الله عنه لما قال الخوارج لا حكم الا لله تعالى هذه كلمة حق أريد بها باطل (وقال الحجاج بن يوسف لسعيد بن جبير رضى الله عنه) وقد أحضره بين يديه ليقتله فقال له مااسمك قال سعيد بن جبير قال بل أنت شقى بن كسير وقد كان الحجاج من الفصحاء المعدودين وفى كلامه هذا مطابقة حسنة فانه نقل الاسمين الى ضدهما فقال فى سعيد شقى وفى جبير كسير وهذا النوع من الكلام لم تختص به اللغة العربية دون غيرها من اللغات ﴿ومما وجدته فى لغة الفرس﴾ أنه لما مات قباد أحد ملوكهم قال وزيره حركنا بسكونه وأول كتاب الفصول لابقراط فى الطب قوله العمر قصير والصناعة طويلة وهذا الكتاب على لغة اليونان ﴿ومن كلامى فى هذا الباب﴾ ما كتبته فى صدر مكتوب الى بعض الاخوان وهو صدرهذا الكتاب عن قلب مقيم وجسد سائر وصبر ملم وجزع عاذر وخاطر أدهشته لوعة الفراق فليس بخاطر (وكذلك) كتبت الى بعض الاخوان أيضا فقلت صدر هذا الكتاب عن قلب مأنوس بلقائه وطرف مستوحش لفراقه فهذا مروع بكآبة إظلامه وهـذا ممتنع ببهجة اشراقه غير أن لقاء القلوب لقاء عنيت بمثله خواطر الافكار وتتناجى به من وراء الأستار وذلك أخو الطيف الملم فى المنام الذى يموه بلقاء الأرواح لقاء الأجسام (ومن هذا النوع) ماذكرته فى كتاب أصف المسير من دمشق الى الموصل على طريق المناظر فقلت من جملته ثم نزلت أرض الخابور فغربت الارواح وشرقت الجسوم وحصل الاعدام من المسار والانزال من الهموم وطالبتنى النفس بالعود والقدرة مفلسة وأويت الى ظل الآمال والآمال مشمسة (ومن ذلك) ماذكرته فى جملة كتاب الى بعض الاخوان وعرضت فيه بذكر جماعة من أهل الأدب فقلت وهم مسؤلون أن لا ينسونى فى نادى فضلهم الذى هو منبع الآمال وملتقط اللآل فوجوه ألفاظه مشرقة بأيدى الاقلام المتسودة وقلوب معانيه مستنبطة

أى عندى قال الراعى ثقال إذا أراد النساء خريدة * صناع فقد سادت إلى الغوانيا وقال الجعدى وكان اليها كالذى اصطاد بكرها * شقاقا و بغضا أو أطم وأهجرا أى عندها وقال حميد بن ثور * وذكرك سبات إلى عجيب * أى عندى (عن مكان على) قال ذو الاصبع لاه ابن عمك لا أفضلت فى حسب * عنى ولا أنت ديانى فتخزونى أى لم تفضل فى الحسب على وقال قيس ابن الخطيم * تدحرج عن ذى سامه المتقارب * أى على ذى سامه (عن مكان بعـد) منه قوله لقحت حرب وائل عن حيال * أى بعد حيال ومنه * نؤم الضحى لم تنتطق عن تفضل ومنه * ومنهل وردته عن منهل * أى بعد منهل و يقال أنا فاعل ذاك عن قليل أى بعد قليل قال الجعدى واسأل بهم أسدا اذا جعلت * حرب العدو تشول عن عقم أى بعد عقم (على بمعنى فى) قال الله عزوجل واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان أى فى ملك سليما و يقال كان كذا على عهد فلان وفى عهده (عن مكان من أجل) قال لبيد * لورد تقلص الغيطان عنه * أى من أجله وقول النمير بن تولب ولقد شهدت اذ القداح توحدت * وشهدت عند الليل موقد نارها عن ذات أوكية أساود ربها * وكأن لون الملح فوق شفارها أى من أجل (الباء بمعنى من) قال الشاعر شربن بماء البحر ثم ترفعت * متى لجج خضر لهن نئيج أى شربن من ماء البحر ومثله قول عنترة شربت بماء الدحرضين فأصبحت * زوراء تنفر عن حياض الديلم (الى بمعنى فى) قال الاعشى

* ما بكاء الكبير بالاطلال * أى فى الاطلال (إلى بمعنى مع) يقال ان فلانا ظريف عاقل إلى حسب ثاقب أى مع حسب وقال ابن مفرغ شدخت غرة السوابق فيهم * فى وجوه إلى اللام الجعاد أى مع اللام وقال ذو الرمة * بها كل خوار إلى كل صعلة * أى مع كل صعلة وقال أبو عبيدة فى قوله جل ثناؤه (٢٨٥) ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم أى مع أموالكم وقوله عز وجل من أنصارى الى الله أى مع الله وقولهم الذود الي الذود ابل أى مع الذود (الى بمعنى اللام) يقال هديته له واليه قال الله عز وجل الحمد لله الذى هدانا لهذا وفى موضع آخر وانك لتهدى الى صراط مستقيم وقال تعالى وأوحى ربك الى النحل وفى موضع آخر بان ربك أوحى لها (على بمعنى الباء) يقال اركب على اسم الله أى باسم الله ويقال عنف عليه وبه وخرق عليه وبه وقول الشاعر

شدوا المطى على دليل دائب

أى بدليل وقول أبى ذؤيب

وكأنهن ربابة وكأنه يسر يفيض على القداح ويصدع

أى بالقداح (على بمعنى مع) قال لبيد

كأن مصفحات فى ذراه وأنواحا عليهن المآلى

أى كأن مصفحات على ذرى السحاب وأنواحا معهن المآلى وقال الشماخ

مستنبطة بنار الخواطر المتوقدة والواغل اليه يسكر من خمرته التى تنبه العقول من اغفائها ولا يشربها أحد غير أكفائها وهذه الفصول المذكورة لا خفاء بما تضمنته من محاسن المقابلة ومما ورد من هذا النوع شعراً قول جرير

وأعور من نبهان أما نهاره * فأعمى وأما ليله فبصير

وهكذا ورد قول الفرزدق

قبح الأله بنى كليب انهم * لا يغدرون ولا يفون بجار
يستيقظون إلى نهيق حمارهم * وتنام أعينهم عن الأوتار

فقابل بين الغدر والوفاء و بين التيقظ والنوم وفى البيت الأول معنى يسأل عنه وكذلك ورد قول بعضهم فلا الجود يفنى المال والجد مقبل * ولا البخل يبقى المال والجد مدبر

وقد أكثر أبو تمام من هذا فى شعره فأحسن فى موضع وأساء فى موضع فمن احسانه قوله

ما ان ترى الأحساب بيضا وضحا * الا بحيث ترى المنايا سودا

وكذلك قال من هذه القصيدة أيضا

سوف على أولى الزمان وانما * خلق المناسب ما يكون جديدا

وعلى هذا النهج ورد قوله

اذا كانت النعمى سلوبا من امرىء * غدت من خليجى كفه وهو منبع
وان عثرت بيض الليالى وسودها * بوحدته ألفيتها وهى مجمع
ويوم يظل العز يحفظ وسطه * بسمر العوالى والنفوس تضيع
مصيف من الهيجاء ومن حاجم الوغى * ولكنه من وابل الدم مربع

ومن هذا الأسلوب قوله أيضا

تقرب الشقة القصوى اذا أخذت * سلاحها وهو الأرقال والرمل
اذا انظلمت من أرض فصلت بها * كانت هى العز إلا أنها ذلل
لمرضيا تك ما أرغمت آنفها * والهاد ياتك وهى الشرد الضلل

وعلى هذا النحو ورد قوله

وناضرة الصبا حين اسبكرت * طلاع المرط والدرع الندى
تشكى الاين من نصف سريع * إذا قامت ومن نصف بطى

وقد جاء لأبى نواس ذلك فقال

أقلني قد ندمت على الذنوب * وبالاقرار عدت من الجحود
أنا استهديت عفوك من قريب * كما استعفيت سخطك من بعيد

فقابل بين الاضداد من الجحود والاقرار والعفو والسخط والقرب والبعد وعلى نحو من ذلك ورد قول على بن جبلة فى أبى دلف العجل وهو

أيم المهيرون كاح الايم * يوماك يوم أبؤس وأنعم * وجمع مجد وندى مقسم وكذلك قوله أيضا

وبرادن من خال وسبعون درهما * على ذاك مقروظ من القد ماعز أى مع ذاك (على بمعنى من) قال أبو عبيدة فى قول الله عز وجل اذا اكتالوا على الناس يستوفون أى من الناس وقال صخر الغى متى ما تنكروها تعرفوها * على أقطارها علق نفيث أى من أقطارها (فى بمعنى من) قال امرؤ القيس وهل ينعمن من كان أقرب عهده * ثلاثون شهرا فى ثلاثة أحوال

أى من ثلاثة أحوال (فى بمعنى مع) يقال فلان عاقل فى حلم أى مع حلم وقال الجعدى ولوح ذراعين فى بركة أى مع بركة وقال الآخر أوطم غادية فى جوف ذى حدب * من ساكن المزن يجرى فى الغرانيق أى مع الغرانيق وهى طير الماء (اللام بمعنى مع) قال متمم بن نويرة (٢٨٦) فلما تفرقنا كأنى ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا أى مع طول اجتماع (اللام بمعنى بعد) كقولهم كتبت لثلاث خلون أى بعد ثلاث خلون وقال الراعى

حتى وردن لتم خمس بائص
جدا تعاوره الرياح وبيلا

أى بعد تمام خمس (اللام بمعنى من أجل) تقول فعلت ذاك لك أى من أجلك وفعلت ذاك لعيون الناس أى من أجل عيونهم وقال العجاج

تسمع للجرع إذا استحيرا
للماء فى أجوافها خريرا

أراد تسمع للماء خريرا فى أجوافها من أجل الجرع (الباء بمعنى على) قال عمرو ابن قميئة

بودك ما قومى على أن تركتهم
سليمى إذا هبت شمال وريحها

أى على ودك قومى وما زائدة (الباء بمعنى من أجل) قال لبيد غلب تشذر بالذحول أى من أجل الذحول

هو الأمل المبسوط والأجل الذى * يمر على أيامه الدهر أو يحلو
ولا تحسن الأيام تفعل فعله * وان كان فى تصريفها النقض والفعل
فعش واحداً أما الشراء فمسلم * مباح وأما الجار فهو حمى بسل

ومما جاء من هذا القسم قول البحترى

أحسن الله فى ثوابك عن ثغـ * ـر مضاع أحسنت فيه البلاء
كان مستضعفا فعز ومحرو * ما فأجدى ومظلما فأضاء

ومن أحسن ما ورد له فى هذا الباب قوله

أشكو اليك أناملا ما تنطوى * بخلا وأملاقا تقصفها اليد
أرضيهم قولا ولا يرضوننى * فعلا وتلك قضية لا تقصد
فأذم منهم ما يذم وربما * سامحتهم فحمدت ما لا يحمد

وعلى هذا النهج ورد قوله

وتوقعى منك الاساءة جاهداً * والعدل أن أتوقع الاحسانا
وكما يسرك لين مسى راضياً * فكذاك فاخش خشونتى غضبانا

(وأما أبو الطيب المتنبى) فانه استعمل هذا النوع قليلا فى شعره فمن ذلك قوله

ثقال اذا لاقوا خفاف اذا دعوا * كثير اذا شدوا قليل إذا عدوا

وكذلك قوله إلى رب مال كلما شت شمله * تجمع فى تشتيته للعلا شمل

ومما استعذبته من قوله فى هذا الباب

كأن سهاد الليل يعشق مقلتى * فبينهما فى كل هجر لنا وصل

ومما جاء من هذا الباب

لما اعتنقنا للوداع وأعربت * عبراتنا عنا بدمع ناطق
فرقن بين معاجر ومحاجر * وجمعن بين بنفسج وشقائق

وهذا تحته معنى يسئل عنه غير المقابلة وذهب بعض أهل العلم إلى أن المراد بالبنفسج والشقائق هو عارض الرجل وخد المرأة لان من العادة أن يشبه العارض بالبنفسج وهذا قول غير سائغ لان العارض انما يشبه بالبنفسج عند أول ظهوره فاذا طر وظهرت خضرته فى ابتداء سن الشباب شبه بالبنفسج لانه يكون بين الأخضر والأسود وليس فى الشعر ما يدل على أن المودع كان شابا قد طر عارضه والذى يقتضيه المعنى أن المرأة قامت للوداع فمزقت خمارها ولطمت خدها فجمعت بين أثر اللطم وهو شبيه بالبنفسج وبين لون الخد وهو شبيه الشقائق وفرقت بين خمارها وبين وجهها بالتمزيق ولها وموجدة على الوداع هذا هو معنى البيت لا ما ذهب اليه هذا الرجل (وأما المقابلة فى المعنى دون اللفظ فى الاضداد) فما جاء منه قول المقنع الكندى من شعراء الحماسة لهم جل مالى ان تتابع لى غنى * وان قل مالى لم أكلفهم رفدا فقوله تتابع لى غنى بمعنى قوله كثر مالى فهو اذا مقابلة من جهة المعنى لا من جهة اللفظ لان

﴿ زيادة الصفات ﴾

قال الله جل ثناؤه تنبت بالدهن وقال تعالى اقرأ باسم ربك أى اسم ربك وقال عز وجل عينا يشرب بها عباد الله أى يشربها وقال أمية إذ يسفون بالدقيق وقال الراعى سود المحاجر لا يقرأن بالسور حقيقة وقال آخر بواديمان ينبت الشث صدره * وأسفله بالمرخ والشبهان وقال الاعشى ضمنت برزق عيالنا أرماحنا وقال الله عز وجل وهزى اليك بجذع النخلة وقال عز وجل فستبصر و يبصرون بأيكم المفتون أى أيكم المفتون قال امرؤ القيس

حقيقة الاضداد اللفظية انما هي فى المفردات من الألفاظ نحو قام وقعد وحل وعقد وقل وكثر فان القيام ضد القعود والحل ضد العقد والقليل ضد الكثير فاذا ترك المفرد من الألفاظ وتوصل الى مقابلته بلفظ مركب كان ذلك مقابلة من جهة المعنى لا من جهة اللفظ كقول هذا الشاعر تتابع لى غنى فى معنى كثر مالى وهذه مقابلة معنوية لا لفظية فاعرف ذلك (وأما مقابلة الشىء بما ليس بضده فهى ضربان) أحدهما أن لا يكون مثلا والآخر أن يكون مثلا (فالضرب الأول) يتفرع الى فرعين (الأول) ما كان بين المقابل والمقابل نوع مناسبة وتقارب كقول قريط ابن أنيف يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة * ومن اساءة أهل السوء احسانا فقابل الظلم بالمغفرة وليس ضدا لها وانما هو ضد العدل الا أنه لما كانت المغفرة قريبة من العدل حسنت المقابلة بينها وبين الظلم وعلى هذا جاء قوله تعالى أشداء على الكفار رحماء بينهم فان الرحمة ليست ضدا للشدة وانما ضد الشدة اللين الا أنه لما كانت الرحمة من مسببات اللين حسنت المقابلة بينها وبين الشدة وكذلك ورد قوله تعالى ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل فان المصيبة سيئة لأن كل مصيبة سيئة وليس كل سيئة مصيبة فالتقابل ههنا من جهة العام والخاص (الفرع الثانى) ما كان بين المقابل والمقابل به بعد وذلك مما لا يحسن استعماله كقول أم الحنف وهو سعد بن قرط وقد تزوج امرأة كانت نهته عنها فقالت من أبيات تذمها فيها

تربص بها الأيام علّ صروفها * سترمى بها فى حاجم متسعر

فكم من كريم قد مناه الهه * بمذمومة الاخلاق واسعة الحر

فقولها بمذمومة الاخلاق واسعة الحر من المقابلة البعيدة بل الاولى أن كانت قالت بضيقة الاخلاق واسعة الحر حتى تصح المقابلة وهذا مما يدل على ان العربى غير مهتد الى استعمال ذلك بصيغته وانما يجىء له منه ما يجىء بطبعه لا بتكلفه واذا أخطأ فانه لا يعلم الخطأ ولا يشعر به والدليل على ذلك أنه لو أبدلت لفظة مذمومة بلفظة ضيقة لصح الوزن وحصلت المقابلة وانما يعذر من يعذر فى ترك المقابلة فى مثل هذا المقام اذا كان الوزن لا يواتيه (وأما المحدثون من الشعراء) فانهم اعتنوا بذلك خلاف ما كانت العرب عليه لا جرم أنهم أشد ملامة من العرب فمن ذلك قول أبى الطيب المتنبى

لمن يطلب الدنيا اذا لم يرد بها * سرور محب أو مساءة مجرم

فان المقابلة الصحيحة بين المحب والمبغض لا بين المحب والمجرم وليست متوسطة أيضا حتى يقرب الحال فيها وانما هى بعيدة فانه ليس كل من أجرم اليك كان مبغضا لك (ومما يتصل بهذا الضرب) ضرب من الكلام يسمى المواخاة بين المعانى والمواخاة بين المبانى وكان ينبغى أن نعقد له بابا مفردا لكنا لما رأيناه ينظر الى التقابل من وجه وصلناه به (أما المواخاة بين المعانى) فهو أن يذكر المعنى مع أخيه لا مع الاجنبى مثاله أن تذكر وصفا من الاوصاف وتقرنه بما يقرب منه ويلتئم به فان ذكرته مع ما يبعد منه كان ذلك قدحا فى الصناعة وان كان جائزا فمن ذلك قول الكميت أم هل ظعائن بالعلياء رافعة * وان تكامل فيها الدل والشنب

---

* هصرت بغصن ذى شماريخ ميال * أى غصنا وقال آخر * نضرب بالسيف ونرجو بالفرج * أى نرجو الفرج وقال حميد بن ثور أبى الله الا أن سرحة مالك * على كل افنان العضاه تروق أراد تروق كل ﴿ ادخال الصفات واخراجها ﴾ (شكرتك) وشكرت لك (ونصحتك) ونصحت لك (وكلتك) وكلت لك (واستحييتك) واستحيت لك وقال الشاعر كعب ابن سعد الغنوى * فلم يستجبه عند ذاك مجيب * (ومكنتك) ومكنت لك قال الله عز وجل مكناهم فى الأرض ما لم نمكن لكم (واشتقتك) واشتقت اليك (بلغتك) وبلغت اليك (وهديته الطريق) والى الطريق (وعددتك مائة) وعددت لك (اخترت الرجال زيدا) واخترت من الرجال زيدا قال الله جل ثناؤه واختار موسى قومه سبعين رجلا وأستغفر الله ذنبى ومن ذنبى قال أستغفر الله ذنبا لست محصيه رب العباد اليه الوجه والعمل (وكنيتك أبا فلان) وبأبى فلان (وسميتك فلانا) وبفلان (ولست منطلقا) ولست بمنطلق (وسرقت زيدا مالا) وسرقت من زيد مالا وكذلك سلبت (وزوجته) امرأة وبامرأة أبو زيد (شغبت) على القوم وشغبتهم (وشبعت) خبزا ولحما ومن خبز ولحم (ورويت) ماء ولبنا ومن ماء ولبن (ورحت) القوم ورحت اليهم (وتعرضت) معروفهم وتعرضت لمعروفهم (ونأيتهم) ونأيت عنهم (وحللتهم) وحللت بهم (ونزلتهم) ونزلت بهم (وأمللتهم) وأمللت عليهم من الملالة (ونعم الله بك عينا) ونعمك عينا (وطرحت الشىء) وطرحت به (أنمت الرجل بمتاعه) وأنمت له (وأشاب الحزن) برأسه ورأسه (وبت القوم) وبت بهم (وحققت أن تفعل) وحق لك (غاليت السلعة) وغاليت بها (وثويت البصرة) وثويت بها (جاورت بنى فلان) وجاورت فيهم (وأويت

(وأويت الى الرجل) وأويته اذا نزلت به (وظفرت بالرجل) وظفرته قال عنترة ولقد أبيت على الطوى وأظله * حتى أنال به كريم المأكل أى أظل عليه (جملك الله) وجمل عليك (حاطهم الله بقصاهم) وحاطهم قصاهم معناه كان منهم فى قاصيتهم انما ذلكم الشيطان (٢٨٨) يخوف أولياءه أى يخوفكم بأوليائه وقوله عزوجل (لتنذر يوم التلاق) أى لينذركم بيوم التلاق وقوله عز وجل (لينذر بأساشديدا) أى لينذركم ببأس شديد

﴿أبنية الأسماء﴾

ماجاء من ذوات الثلاثة فيه لغتان ﴿فعل وفعل﴾ أبو عبيدة (شاة يبس ويبس) اذا لم يكن لها لبن (وطريق يبس ويبس) أى يابس قال الله جل ثناؤه فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا وقال علقمة كما خشخشت يبس الحصاد جنوب (وماله عندى قدر ولا قدر) وكذلك قدر الله وقدره وقال الكسائى وماقدروا الله حق قدره لوثقلت كان صوابا وقوله عزوجل أودية بقدرها لوخففت كان صوابا وأنشد وماصب رجلى فى حديد مجاشع مع القدر الا حاجة لى أريدها أراد القدر والبرد (قرس وقرس) وهو (الدرك والدرك) أقرئ بهما جميعا فى الدرك الأسفل والدرك الأسفل (والطرد) والطرد (والظعن) والظعن (والعذل) والعذل (والشل) والشلل (والدأب) والدأب (ونشز من الأرض) ونشز (ولغط) ولغط (وشبح) وشبح (وسطر) وسطر (ورجل صدع وصدع الخفيف اللحم) (وليلة النفر) من منى والنفر (ورجل قبط الشعر) وقطط وهو (السحر) والسحر للرئة (والشعر) والشعر (والنهر) والنهر (والصخر) فجمع

فان الدل يذكر مع الغنج وماأشبهه والشنب يذكر مع اللعس وماأشبهه وهذا موضع يغلط فيه أرباب النظم والنثر كثيرا وهو مظنة الغلط لأنه يحتاج الى ثاقب فكرة وحذق بحيث توضع المعانى مع أخواتها لامع الأجنبى منها ﴿وقرأت فى كتاب الاغانى لأبى الفرج﴾ انه اجتمع نصيب والكميت وذوالرمة فانشد الكميت أمهل ظعائن البيت فعقد نصيب واحدة فقال له الكميت ماذا تحصى قال خطأك فانك تباعدت فى القول أين الدل من الشنب ألا قلت كما قال ذوالرمة

لمياء فى شفتيها حوة لعس * وفى اللثات وفى أنيابها شنب

ورأيت أبانواس يقع فى ذلك كثيرا كقوله فى وصف الديك

له اعتدال وانتصاب قد * وجلده يشبه وشى البرد

كأنها الهداب فى الفرند * محدودب الظهر كريم الجد

فانه ذكر الظهر وقرنه بذكر الجد وهذا لايناسب هذا لأن الظهر من جملة الخلق والجد من النسب وكان ينبغى أن يذكر مع الظهر مايقرب منه ويواخيه أيضا وكذلك أخطأ أبونواس فى قوله وقد حلفت يمينا * مبرورة لاتكذب برب زمزم والحو * ض والصفا والمحصب فان ذكر الحوض مع زمزم والصفا والمحصب غير مناسب وانما يذكر الحوض مع الصراط والميزان وماجرى مجراها وأما زمزم والصفا والمحصب فيذكر معها الركن والحطيم وماجرى مجراها وعلى هذا الأسلوب ورد قوله أيضا

أحسن من منزل بذى قار * منزل خمارة وخمار

وشم ريحانة ونرجسة * أحسن من أينق بأكوار

فالبيت الثانى لامقارنة بين صدره وعجزه وأين شم الريحان من الاينق بالاكوار وكان ينبغى له أن يقول شم الريحان أحسن من شم الشيح والقيصوم وركوب الفتيات الرود أحسن من ركوب الاينق بالاكوار وكل هذا لايتفطن لوضعه فى مواضعه فى كل الأوقات وقد كان يغلب على السهو فى بعض الأحوال حتى أسلك هذه الطريق فى وضع المعانى مع غير أنسابها وأقاربها ثم انى كنت أتأمل ماصنعته بعد حين فأصلح ماسهوت عنه (وأما المواخاة بين المبانى) فانه يتعلق بمبانى الألفاظ فمن ذلك قول أبى تمام فى وصف الرماح

مثقفات سلبن العرب سمرتها * والروم زرقتها والعاشق القضفا

وهذا البيت من أبيات أبى تمام الافراد غير أن فيه نظرا وهو قوله العرب والروم ثم قال العاشق ولو صح أن يقول العشاق لكان أحسن اذ كانت الأوصاف تجرى على واحد وكذلك قوله سمرتها وزرقتها ثم قال القضفا وكان ينبغى أن يقول قضفها أودقتها وعلى هذا ورد قول مسلم بن الوليد

نفضت بك الاحلاس نفض اقامة * واسترجعت نزاعها الأمصار

فاذهب كما ذهبت غوادى مزنة * يثنى عليها السهل والاوعار

والأحسن أن يقال السهل أوالوعر أوالسهول والاوعار ليكون البناء اللفظى واحدا أى أن يكون اللفظان واردين على صيغة الجمع أو الافراد ولايكون أحدهما مجموعا والآخر مفردا وكذلك ورد قول أبى نواس فى الخمر صفراء مجدها مرازبها * جلت عن النظراء والمثل

فجمع وأفرد في معنى واحد وهو أنه قال النظراء مجموعا ثم قال المثل مفردا وكان الاحسن أن يقول النظير والمثل أو النظراء والامثال وعلى ذلك ورد قوله أيضا والانكار يتوجه فيه أكثر من الاول وهو

ألا يا ابن الذين فنوا فماتوا * أما والله ماماتوا لتبقى
ومالك فاعلمن فيها مقام * اذا استكملت آجالا ورزقا

وموضع الانكار ههنا أنه قال آجالا ورزقا وكان ينبغي أن يقول أرزاقا أو أن يقول أجلا ورزقا وقد زاده انكارا أنه جمع الاجل فقال آجالا والانسان ليس له إلا أجل واحد ولو قال أجلا وأرزاقا لما عيب لان الأجل واحد والارزاق كثيرة لاختلاف ضروبها وأجناسها واذا أنصفنا في هذا الموضع وجدنا الناثر مطالبا به دون الناظم لمكان امكانه من التصرف وقد كنت أرى هذا الضرب من الكلام واجبا في الاستعمال وأنه لا يحسن الحيد عنه حتى مر بي في القرآن الكريم ما يخالفه كقوله تعالى في سورة النحل أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل ولو كان الاحسن لزوم البناء اللفظي على سنن واحد لجمع اليمين كما جمع الشمال أو أفرد الشمال كما أفرد اليمين وكذلك ورد قوله تعالى أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون فجمع القلوب والابصار وأفرد السمع وكذلك ورد قوله تعالى حتى إذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم فذكر السمع بلفظ الافراد وذكر الابصار والجلود بلفظ الجمع وفي القرآن الكريم مواضع كثيرة هكذا ولو كان هذا معتبرا في الاستعمال لورد في كلام الله تعالى الذي هو أفصح من كل كلام والاخذ في مقام الفصاحة والبلاغة انما يكون منه والمعول عليه وما ينبغي أن يقاس على هذا قوله تعالى وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين وربما قيل ان هذه الآية اشتملت على تثنية وجمع وافراد وظن أنها من هذا الباب وليس كذلك لانها مشتملة على خطاب موسى وهرون عليهما السلام أولا في اتخاذ المساجد لقومهما ثم ثنى الخطاب لهما ولقومهما جميعا ثم أفرد موسى عليه السلام ببشارة المؤمنين لانه صاحب الرسالة (الضرب الثاني في مقابلة الشيء مثله وهو يتفرع الى فرعين أحدهما) مقابلة المفرد بالمفرد والآخر مقابلة الجملة بالجملة (الفرع الاول) كقوله تعالى نسوا الله فنسيهم وكقوله تعالى ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وقد روعي هذا الموضع في القرآن الكريم كثيرا فاذا ورد في صدر آية من الآيات ما يحتاج الي جواب كان جوابه مماثلا كقوله تعالى من كفر فعليه كفره وكقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وهذا هو الاحسن والا فلو قيل من كفر فعليه ذنبه كان ذلك جائزا لكن الاحسن هو ما ورد في كتاب الله تعالى وعليه مدار الاستعمال وهذا الحكم يجري في النظم والنثر من الاسجاع والابيات الشعرية فأما ان كان ذلك غير جواب فانه لا يلتزم فيه هذه المراعاة اللفظية ألا ترى أنه قد قوبلت الكلمة بكلمة هي في معناها وان لم تكن مساوية لها في اللفظ وهذا يقع في الالفاظ المترادفة ولذا يستعمل ذلك في الموضع الذي ترد فيه الكلمة غير جواب (فمما جاء منه) قوله تعالى ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون ولو كان لا تورد الكلمة الا مثلا لقيل وهو أعلم بما تعملون وكذلك قوله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب

والسحر (والفحم) والفحم (والبعر) والبعر (والشمع) والشمع قال الفراء الشمع) بتحريك الميم لغة العرب والمولدون يسكنون (معَ) وروى ابن الاعرابي عن اعرابية بفيه (حفر) وحفر والاجود حفر بالسكون ومن المعتل (أيد) وآد القوة (وذيم) وذام (وعيب) وعاب (ماله هيد) ولا هاد (وريح ريدة) ورادة أسوت الجرح (أسوا) وأسا وهو (اللغو) واللغا قال (٢٨٩) العجاج * عن اللغا ورفث التكلم * ﴿فعل وفعل﴾ بفتح الفاء وكسرها (حجر الانسان) وحجره (ورطل) ورطل (والزنج) والزنج (والبذر) والبذر (والنفط) والنفط (ووسترشف) وشف (وجص) وجص (ورخو) ورخو (ونهي) ونهي للغدير (وسلم) وسلم المسالمة والعرب تقول اما سلم مخزية واما حرب مجلية وقال أبو عمرو (السلم) الاسلام (والسلم) المسالمة (أجدك وأجدك) بكسر الجيم وفتحها بمعنى مالك (وصلاة الوتر والوتر) وكذلك الرحل يقال فيه وتر ووتر (وكسر البيت) وكسره (والجرس) والجرس الصوت وخدعته (خدعا) وخدعا وصرعته (صرعا) وصرعا (وجسر) وجسر (والحج) والحج (وفقع) وفقع لضرب من الكمأة (وبضع سنين) وبضع سنين (واثر) وأثر (وصنف) من المتاع وصنف وهو (في ملكه) وملكه (وهيد) وهيد وخرص النخلة (خرصا) وخرصا (وحيص بيص) وحيص بيص وهو (البثق) والبثق (وزرب) البهم وزرب والعالم (حبر) وحبر فعلت ذاك من (أجلك) وأجلك حذق الغلام (حذقا) وحذقا وفي صدره (ضيق) وضيق ﴿فعل وفعل بفتح الفاء وضمها﴾ (سم) وسم (وسحر) وسحر للرئة (وعقر الدار) وعقرها (والزعم) والزعم (والضعف) والضعف

(والفقر) والفقر وضربه بالسيف (صلتا) وصلتا ونظر اليه (بصفح وجهه) وصفح وجهه وهو (السد) والسد للجبل و بعضهم يفرق بينهما وقد بينا ذلك (وضوء) وضوء (والرفغ) والرفغ أصول الفخذين وسامه (الخسف) والخسف (وسم الخياط) وسم ثقب الابرة وهو (العمر) والعمر (الدف) والدف (٢٩٠) الذى يلعب به فأما الجنب فهو الدف بالفتح وهو (الحش) والحش لجماعة النخل (والشهد)

إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لاتخف خصمان بغى بعضنا على بعض فقال لاتخف بعد قوله ففزع ولما كان هذا فى معنى هذا قوبل أحدهما بالآخر ولم يقابل اللفظ بنفسه وكذلك جاء قوله تعالى ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون فذكر الاستهزاء الذى هو فى معنى الخوض واللعب وقابل به الخوض واللعب ولو ذكره على حد المماثلة والمساواة لقال أفى الله وآياته ورسوله كنتم تخوضون وتلعبون ﴿فان قيل﴾ انك قد احتججت بالقرآن الكريم فيما ذكرته ونرى قد ورد فى القرآن الكريم ماينقضه كقوله تعالى والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها ولم يقل جزاء سيئة سيئة مثلها ﴿الجواب عن ذلك﴾ أنى أقول أردت أن تنقض على ماذكرته فلم تنقضه ولكنك شيدته والذى ذكرته هو دليل لى لا لك ألا ترى أنه لافرق بين قوله تعالى جزاء سيئة بمثلها و بين قوله جزاء سيئة سيئة مثلها اذ المعنى واحد لايختلف ولو جاء عوضا عن السيئة لفظة أخرى فى معناها كالأذى والسوء أو ماجرى مجراها لصح لك ماذهبت اليه وقد ذهب بعض المتصدرين فى علم البيان أنه اذا ذكرت اللفظة فى أول كلام يحتاج الى تمام وان لم يكن جوابا كالذى تقدم فينبغى أن تعاد بعينها فى آخره ومتى عدل عن ذلك كان معيبا ثم مثل ذلك بقول أبى تمام وقول أبى الطيب المتنبى فقال ان أبا تمام أخطأ فى قوله

بسط الرجاء لنا برغم نوائب * كثرت بهن مصارع الآمال

فحيث ذكر الرجاء فى صدر البيت فكان ينبغى أن يعيد ذكره أيضا فى عجزه أو كان ذكر الآمال فى صدر البيت وعجزه وكذلك أخطأ أبو الطيب المتنبى فى قوله

انى لأعلم واللبيب خبير * ان الحياة وان حرصت غرور

فانه قال انى لأعلم واللبيب خبير وكان ينبغى أن يقول انى لأعلم واللبيب عليم ليكون ذلك تقابلا صحيحا وهذا الذى ذكره هذا الرجل ليس بشىء بل المعتمد عليه فى هذا الباب أنه اذا كانت اللفظة فى معنى أختها جاز استعمالها فى المقابلة بينهما والدليل على ذلك ماقدمناه من آيات القرآن الكريم وكفى به دليلا وهذه الرموز التى هى أسرار الكلام لايتفطن لاستعمالها الا أحد رجلين اما فقيه فى علم البيان قد مارسه واما مشقوق اللسان فى الفصاحة قد خاق عارفا بلطائفها مستغنيا عن مطالعة صحائفها وهذا لا يكون الا عربى الفطرة يقول مايقوله طبعا على أنه لايسدد فى جميع أقواله مالم تكن معرفته الفطرية ممزوجة بمعرفته العرفية ﴿الفرع الثانى فى مقابلة الجملة بالجملة﴾ اعلم انه اذا كانت الجملة من الكلام مستقبلة قوبلت بمستقبلة وان كانت ماضية قوبلت بماضية وربما قوبلت الماضية بالمستقبلة والمستقبلة بالماضية اذا كانت احداها فى معنى الاخرى (فمن ذلك) قوله تعالى قل إن ضللت فانما أضل على نفسى وان اهتديت فبما يوحى إلى ربى فان هذا تقابل من جهة المعنى ولو كان التقابل من جهة اللفظ لقال وان اهتديت فانما اهتدى لها و بيان تقابل هذا الكلام من جهة المعنى هو أن النفس كل ماعليها فهو بها أعني أن كل ماهو وبال عليها وضار لها فهو بسببها ومنها لانها الامارة بالسوء وكل ماهو لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه اياها وهذا حكم عام لكل مكلف وانما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسنده الى نفسه لان الرسول إذا دخل تحته مع علو محله

والشهد (والينع) والينع ادراك الثمرة (عمق البئر) وعمقها و (البوص) والبوص عجيزة المرأة وهو (العقم) والعقم من الرحم المعقومة وهو (لحد القبر) ولحده و (الزهو) والزهو البسر الملون وشده فلان (شدها) وشدها اذا تحير والريح (هيف) وهوف لأذهبن فاما (هالك واما مالك) واما هالك واما مالك ﴿فعل وفعل بضم الفاء وسكون العين وفتحهما﴾ (بخل وبخل) و (حزن وحزن) و (عرب وعرب) و (عجم وعجم) وطعام قليل (النزل والنزل) و (سقم وسقم) و (سخط وسخط) و (رجل غمر وغمر) الذى لم يجرب الامور و (عدم وعدم) و (رشد ورشد) و (رهب ورهب) و (رغب ورغب) و (شغل وشغل) و (ثكل وثكل) و (صلب الظهر وصلب) وهو (الخبر والخبر) يقال لأخبرن خبرك وخبرك ورجل بين (العقم والعقم) وسكر من النبيذ (سكرا وسكرا) و (الجحد والجحد) من قلة الخير يقال رجل جحد أى قليل الخير وسداد ولامه (العبر والعبر) وهو بين (الضر والضر) للعليل أو السيء الحال ومن المعتل (السكوع) فى اليد و (السكاع) و (جول البئر) جانبها و (الجال) و (راد ورود) لاصل اللحى و (حاب وحوب) للاثم و (قاق وقوق) للطويل و (قار وقور) لجميع قارة

وسداد طريقته كان غيره أولى به (ومن هذا الضرب) قوله تعالى ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا فانه لم يراع التقابل في قوله ليسكنوا فيه ومبصرا لأن القياس يقتضي أن يكون والنهار لتبصروا فيه وانما هو مراعى من جهة المعنى لا من جهة اللفظ وهذا النظم المطبوع غير المتكلف لأن معنى قوله مبصرا لتبصروا فيه طرق التقلب في الحاجات ﴿واعلم﴾ أن في تقابل المعاني بابا عجيب الأمر يحتاج الى فضل تأمل وزيادة نظر وهو يختص بالفواصل من الكلام المنثور وبالاعجاز من الأبيات الشعرية (فما جاء من ذلك) قوله تعالى في ذم المنافقين وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا انما نحن مصلحون ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون وقوله تعالى واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ألا ترى كيف فصل الآية الاخرى بيعلمون والآية التي قبلها بيشعرون وانما فعل ذلك لان أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج إلى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر العلم والمعرفة بذلك وأما النفاق وما فيه من البغي المؤدي إلى الفتنة والفساد في الأرض فأمر دنيوي مبني على العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب وما كان فيهم من التحارب والتغاور فهو كالمحسوس عندهم فلذلك قال فيه يشعرون وأيضا فانه لما ذكر السفه في الآية الأخيرة وهو جهل كان ذكر العلم معه أحسن طباقا فقال لا يعلمون وآيات القرآن جميعها فصلت هكذا كقوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة ان الله لطيف خبير وكقوله له ما في السموات وما في الارض وان الله لهو الغني الحميد وكقوله ألم تر أن الله سخر لكم ما في الارض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض الا باذنه ان الله بالناس لرءوف رحيم فانه إنما فصلت الآية الاولى بلطيف خبير لأن ذلك في موضع الرحمة لخلقه بانزال الغيث وغيره وأما الآية الثانية فانما فصلت بغني حميد لأنه قال له ما في السموات وما في الارض له لا لحاجة بل هو غني عنها جواد بها لأنه ليس كل غني نافعا بغناه الا اذا كان جوادا منعما واذا جاد وأنعم حمده المنعم عليه واستحق عليه الحمد فذكر الحميد ليدل على أنه الغني النافع بغناه خلقه وأما الآية الثالثة فانها فصلت برؤف رحيم لانه لما عدد للناس ما أنعم به عليهم من تسخير ما في الارض لهم واجراء الفلك في البحر بهم وتسييرهم في ذلك الهول العظيم وخلقه السماء فوقهم وامساكه اياها عن الوقوع حسن أن يفصل ذلك بقوله رؤف رحيم أي ان هذا الفعل فعل رؤف بكم رحيم لكم (واعلم) أيها المتأمل لكتابنا هذا أنه قلما توجد هذه الملاءمة والمناسبة في كلام ناظم أو ناثر ومن الآيات ما يشكل فاصلته فيحتاج إلى فكرة وتامل كقوله تعالى والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم فانه قد وردت الفاصلة في غير هذا الموضع بتواب رحيم ويظن الظان أن هذا كذلك ويقول ان التوبة مع الرحمة لا مع الحكمة وليس كما يظن بل الفاصلة بتواب

و(لاب ولوب) لجميع لابة وهي الحرة ﴿فعل وفعل بفتح الفاء وكسر العين وفتحها وضمها﴾ رجل (حذر وحذر) و(يقظ ويقظ) و(عجل وعجل) و(طمع وطمع) (فطن وفطن) و(أشر وأشر) و(حدث وحدث) اذا كان كثير الحديث حسنه و(فرح وفرح) و(قذر وقذر) ونطس ونطس) اذا كان متنوقا و(نكر ونكر) و(بكر) في حاجته و(بكر) (٢٩١) و(نجد ونجد) للشجاع و(ندس وندس) و وظيف (عجر وعجر) و(وعل ووعل) و(وقل ووقل) للتوقل في الجبل ﴿فعل وفعل بضم الفاء وسكون العين وكسرها وسكونها﴾ (عضو وعضو و(صفر وصفر) للذي تعمل منه الآنية و(سقط) للولد و(سقط) وكذلك سقط النار وسقط الرمل وهو (الشح والشح) وجرو وجرو) و(طي وطي) واحد الاطباء و(سفل الدار وعلوها وسلها وعلوها) ويقال أنت مني على (ذكر وذكر) وأنت ابن (انسه وأنسه) و(نصف ونصف) و(جلب الرحل وجلبه احناؤه وكذلك الجلب من السحاب والجلب وهلكت فلانة (بجمع وجمع) أي وهي حامل ويقال للتي لم تفتض هي (بجمع وجمع) و(ولد وولد) للولد ويكون الولد واحدا وجمعا و(قوت وقيت) وجمع عائط (عوط وعيط) وهي الناقة التي لم تحمل قال الاصمعي (لص ولص) قال والضم أعجب الي و واحد الاصبار (صبر وصبر) وأتانا (لمسى) خامسة و(مسى) خامسة وكذلك (اصبح) خامسة وصبح خامسة و(جنح الليل وجنح) وهو (النسك والنسك) وجأته (بجمع كفي وجمع) وهو (الاسم والاسم)

﴿فعل وفعل بكسر الفاء وسكون العين وفتحها﴾ (مثل ومثل) و(شبه وشبه) و(نجس ونجس) وان ذكرت مع رجس نجسا قلت

رجس نجس ولم تقل نجس وان أفردت قلت نجس و(عشق وعشق) و(ضغن وضغن) ومثله فى صدره على (غمر وغمر) وناس من العرب يقولون ليس فى هذا الأمر (حرج وحرج) و(حلس وحلس) و(قتب وقتب) و(بدل وبدل) وفلان (نكل لأعدائه ونكل) أى ينكل به أعداؤه

(ومن المعتل) قد كثر (القيل والقال) و(القير والقار) و(كيح الجبل) وكان حه

حكيم أولى من تواب رحيم لأن الله عز وجل حكم بالتلاعن على الصورة التى أمر بها وأراد بذلك ستر هذه الفاحشة على عباده وذلك حكمة منه ففصلت الآية الواردة فى آخر الآيات بتواب حكيم فجمع فيها بين التوبة المرجوة من صاحب المعصية و بين الحكمة فى سترها على تلك الصورة وهذا الباب ليس فى علم البيان أكثر منه نفعا ولا أعظم فائدة ومما جاء من هذا الباب قول أبى الطيب المتنبى

وقفت ومافى الموت شك لواقف * كأنك فى جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة * ووجهك وضاح وثغرك باسم

وقد أوخذ على ذلك وقيل لو جعل آخر البيت الأول آخرا للبيت الثانى وآخر البيت الثانى آخرا للبيت الأول لكان أولى ولذلك حكاية وهى أنه لما استنشده سيف الدولة يوما قصيدته التى أولها * على قدر أهل العزم تأتى العزائم * فلما بلغ الى هذين البيتين قال قد انتقدتهما عليك كما انتقد على امرىء القيس قوله

كأنى لم أركب جوادا للذة * ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال
ولم أسبا الزق الروى ولم أقل * لخيلى كرى كرة بعد اجفال

فبيتاك لم يلتئم شطراهما كما لم يلتئم شطرا بيتى امرىء القيس وكان ينبغى لك أن تقول

وقفت وما فى الموت شك لواقف * ووجهك وضاح وثغرك باسم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة * كأنك فى جفن الردى وهو نائم

فقال المتنبى ان صح أن الذى استدرك على امرىء القيس هذا هو أعلم بالشعر منه فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ومولانا يعلم أن الثوب لا يعلمه البزاز كما يعلمه الحائك لأن البزاز يعرف جملته والحائك يعرف تفاصيله وانما قرن امرؤ القيس النساء بلذة الركوب للصيد وقرن السماحة بسباء الخمر للاضياف بالشجاعة فى منازلة الاعداء وكذلك لما ذكرت الموت فى صدر البيت الاول أتبعته بذكر الردى فى آخره ليكون أحسن تلاؤما ولما كان وجه المنهزم الجريح عبوسا وعينه باكية قلت ووجهك وضاح وثغرك باسم لاجمع بين الاضداد ﴿القسم الثانى فى صحة التقسيم وفساده﴾ ولسنا نريد بذلك ههنا ماتقتضيه القسمة العقلية كما يذهب اليه المتكلمون فان ذلك يقتضى أشياء مستحيلة كقولهم الجواهر لاتخلو اما أن تكون مجتمعة أو مفترقة أو لامجتمعة ولا مفترقة أو مجتمعة ومفترقة معا أو بعضها مجتمعة و بعضها مفترقة ألا ترى أن هذه القسمة صحيحة من حيث العقل لاستيفاء الاقسام جميعها وان كان من جملتها ما يستحيل وجوده وانما نريد بالتقسيم ههنا ما يقتضيه المعنى مما يمكن وجوده من غير أن يترك منها قسم واحد واذا ذكرت قام كل قسم منها بنفسه ولم يشارك غيره فتارة يكون التقسيم بلفظة إما وتارة بلفظة بين كقولنا بين كذا وكذا وتارة منهم كقولنا منهم كذا ومنهم كذا وتارة بأن يذكر العدد المراد أولا بالذكر ثم يقسم كقولنا فانشعب القوم شعبا أربعة فشعبة ذهبت يمينا وشعبة ذهبت شمالا وشعبة وقفت بمكانها وشعبة رجعت الى ورائها (فمما جاء من هذا القسم) قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه

عرضه وخ (رير ورار) للذائب من الهزال (والقاد والقيد) القدر يقال قيد رمح وقادرمح وقدارمح و(قاب قوس وقيب قوس) و(قيس رمح وقاس رمح) ورجل (فيل الرأى وفال الرأى) وفائل (صفوك معه وصغاك) و(غير وغار) للغيرة وأنشد

ضرائر حرمى تفاحش غارها

(والطيب والطاب) ﴿فعل وفعل بفتح الفاء والعين وفتح الفاء وكسر العين﴾ رجل (سبط الشعر وسبط) وشعر رجل ورجل) ورجل (دنف ودنف) ورجل (ضنى وضن) و(دوى ودو) للفاسد الجوف وفرس (عتد وعتد) و(كتد وكتد) لمجتمع الكتفين وثغر (رتل ورتل) اذا كان مفلجا و(كلام رتل ورتل) اذا كان مرتلا ومكان (حرج وحرج) أى ضيق وقرئ يجعل صدره ضيقا حرجا وحرجا) وفلان (حرا بكذا وحر) و(قمن وقمن) أى خليق القراء رجل (وحد فرد ووحد فرد) و(وتد ووتد) ومن أدغم قال ودأ بيض (يقق ويقق) و(لهق ولهق) قطعت يده ومنهم (على السرق والسرق) ﴿فعل وفعل بفتح الفاء والعين وكسر الفاء وفتح العين﴾ ماء (صرى وصرى) للذى يطول مكثه و واحد الالخا (لخا ولخا) وهى ابزار القدر وآلاء الله واحدها الا وآلا وهو (الجزر للذى يؤكل والجزر) وذهبت ابله (شذر مذر وشذر مذر) و(بذر وبذر) اذا

ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات وهذه قسمة صحيحة فانه لا يخلو أقسام العباد من هذه الثلاثة فاما عاص ظالم لنفسه واما مطيع مبادر الى الخيرات واما مقتصد بينهما (ومن ذلك) أيضا قوله تعالى وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون وهذه الآية منطبقة المعنى على الآية التى قبلها فأصحاب المشأمة هم الظالمون لانفسهم وأصحاب الميمنة هم المقتصدون والسابقون هم السابقون بالخيرات (وعلى نحو من ذلك) جاء قوله تعالى هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا فان الناس عند رؤية البرق بين خائف وطامع وليس لنا قسم ثالث ﴿فان قيل﴾ ان استيفاء الاقسام ليس شرطا وترك بعض الاقسام لا يقدح فى الكلام وقد ورد فى القرآن الكريم كقوله تعالى لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون فذكر أصحاب الجنة دون أصحاب النار (فالجواب عن ذلك) أنى أقول هذا لا ينقض على ماذكرته فان استيفاء الاقسام يلزم فيما استبهم الاجمال فيه ألا ترى الى قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم فانه حيث قال فمنهم لزم استيفاء الاقسام الثلاثة ولو اقتصر على قسمين منها لم يجز وأما هذه الآية التى هى لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة فانه إنما خص أصحاب الجنة بالذكر للعلم بأن أصحاب النار لا فوز لهم ولو خص أصحاب النار بالذكر لعلم أيضا ما لأصحاب الجنة وكذلك كل ما يجرى هذا المجرى فانه إنما ينظر فيه الى المستبهم وغير المستبهم فاعرفه وكان جماعة من أرباب هذه الصناعة يعجبون بقول بعض الأعراب ويزعمون أن ذلك من أصح التقسيمات وهو قولهم النعم ثلاثة نعمة فى حال كونها ونعمة ترجى مستقبلة ونعمة تأتى غير محتسبة فأبقى الله عليك ما أنت فيه وحقق ظنك فيما ترجيه وتفضل عليك بما لم تحتسبه وهذا القول فاسد فان فى أقسام النعم التى قسمها نقصا لابد منه وزيادة لا حاجة اليها فأما النقص فاغفال النعمة الماضية وأما الزيادة فقوله بعد المستقبلة ونعمة تأتى غير محتسبة لان النعمة التى تأتى غير محتسبة داخلة فى قسم النعمة المستقبلة وذلك أن النعمة المستقبلة تنقسم قسمين أحدهما يرجى حصوله والآخر لا يحتسب فقوله ونعمة تأتى غير محتسبة يوهم أن هذا القسم غير المستقبل وهو داخل فيه وعلى هذا فكان ينبغى له أن يقول النعم ثلاث نعمة ماضية ونعمة فى حال كونها ونعمة تأتى مستقبلة فأحسن الله آثار النعمة الماضية وأبقى عليك النعمة التى أنت فيها ووفر حظك من النعمة التى تستقبلها ألا تراه لو قال ذلك لكان قد طبق به مفصل الصواب وقد استوفى أبو تمام هذا المعنى فى قوله

جمعت لنا فوق الامانى منكم * بابر من روح الحياة وأوصل
فصنيعة فى يومها وصنيعة * قد أحولت وصنيعة لم تحول
كالمزن من ماضى الرباب ومقبل * منتظر ومخيم متهلل

(ووقف أعرابى) على مجلس الحسن البصرى رضى الله عنه فقال رحم الله عبداً أعطى من سعة أو آسى من كفاف أو آثر من قلة فقال الحسن البصرى ما ترك لأحد عذرا (وقد عاب) أبو هلال العسكرى على جميل قوله

تفرقت وكذلك (شغر بغر) مثله و (نطع ونطع) ورأيته (قبلا وقبلا) أى معاينة ﴿فعل وفعل بضم الفاء والعين وضم الفاء وفتح العين﴾ تنحى عن (سنن الطريق وسننه) وهو (أشر الاسنان وأشرها) وهو (شطب السيف وشطبه) للطرائق فيه ﴿فعل وفعل بكسر الفاء وسكون العين وكسر الفاء وفتح العين﴾ (قمع وقمع) و (ضلع وضلع) و (نطع ونطع) ﴿فعل وفعل بفتحهما وضمهما﴾ فلاة (قذف وقذف) ﴿فعل وفعل بضم الفاء وفتح العين وكسرها وفتحها﴾ يقال (صور وصور) قال الله عزوجل مكانا (سوى وسوى) وقوم (عدى وعدى) أى أعداؤهم الغرباء أيضا الأصمعى اذا ضممت أول عدى ألحقت الهاء فقلت عداة ﴿فعل وفعل بفتحهما وضم الفاء وفتح العين﴾ يقال للقدح (زلم وزلم) وهو سدى وسدى اذا أهمل ﴿فعل وفعل بضم الفاء وسكون العين وكسر الفاء وفتح العين﴾ يقال قطع (سر الصبى وسرره) للذى تقطعه القابلة فأما السرة فهو ما يبقى ﴿فعل وفعل بضم الفاء وسكون العين وضمهما﴾ (قفل وقفل) و (هزؤ وهزؤ) و (كفؤ وكفؤ) و (غفل وغفل) و (أكل وأكل) و (السحت والسحت) و (الرعب والرعب) و (النكر والنكر) و (أذن وأذن) و (السجق والسجق) و (البعد والبعد) و (العقب والعقب) و (الحقب والحقب) و (الشغل والشغل) و (الثلث والثلث) و (العذر والعذر) و (النذر والنذر) و (العمر والعمر) ولأقبلن (قبلك وقبلك) وقرأ بعض القراء (الجزؤ) و (العسر واليسر) والأكثر التخفيف واذا توالت الضمتان فى

لو كان فى قلبي كقدر قلامة * حبا وصلتك أو أتتك رسائلى

فقال أبو هلال ان إتيان الرسائل داخل فى جملة الوصل وليس الامر كما وقع له فان جميلا إنما أراد بقوله وصلتك أى أتيتك زائرا وقاصداً أو كنت راسلتك مراسلة والوصل لايخرج عن هذين الوصفين إما زيارة و إما رسالة (ومن أعجب ماوجدته فى هذا الباب) ماذكره أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمى وهو قول العباس بن الأحنف

وصالكم هجر وحبكم قلا * وعطفكم صد وسلمكم حرب

ثم قال الغانمى هذا والله أصح من تقسيمات اقليدس ويالله العجب أين التقسيم من هذا البيت هذا والله فى وادو التقسيم فى واد ألا ترى أنه لم يذكر شيئا تحصره القسمة وانما ذم أحبابه فى سوء صنيعهم به فذكر بعض أحوالهم معهم ولو قال أيضا

ولينكم عنف وقربكم نوى * واعطاؤكم منع وصدقكم كذب

لكان هذا جائزا وكذلك لو زاد بيتا آخر لجاز ولو أنه تقسيم لما احتمل زيادة والاولى أن يضاف هذا البيت الذى ذكره الغانمى الى باب المقابلة فانه أولى به لأنه قابل الوصل بالهجر والعطف بالصد والسلم بالحرب (ومن فساد التقسيم) قول البحترى فى قصيدته التى مطلعها

*ذاك وادى الاراك فاحبس قليلا * فقال

قف مشوقاً أو مسعداً أو حزيناً * أو معيناً أو عاذراً أو عذولا

فان المشوق يكون حزينا والمسعد يكون معينا وكذلك يكون المسعد عاذرا وكثيرا مايقع البحترى فى مثل ذلك وكذلك ورد قول أبى الطيب المتنبي وهو

فافخر فان الناس فيك ثلاثة * مستعظم أو حاسد أو جاهل

فان المستعظم يكون حاسداً والحاسد يكون مستعظما (ومن شرط التقسيم) أن لا تتداخل أقسامه بعضها فى بعض ومن هذا الأسلوب ماورد فى أبيات الحماسة وهو

وكنت امرأ إما ائتمنتك خاليا * نخنت وإما قلت قولا بلا علم

فأنت من الأمر الذى قد أتيته * بمنزلة بين الخيانة والاثم

فان الخيانة من الاثم وهذا تقسيم فاسد ﴿ومماجاء من ذلك نثرا﴾ قول بعضهم فى ذكر منهزمين فمن جريح متضرج بدمائه وهارب لايلتفت الى ورائه فان الجريح قد يكون هاربا والهارب قد يكون جريحا ولو قال فمن بين قتيل ومأسور وناج لصح له التقسيم أو لو قال فمن بين قتيل ومأسور لصح له التقسيم أيضاً لعدم الناجى بينهما وقد أحسن البحترى فى هذا المعنى حيث قال

غادرتهم أيدى المنية صبحا * بالقنا بين ركع وسجود

فهم فرقتان بين قتيل * قنصت نفسه بحد الحديد

أو أسير غدا له السجن لحدا * فهو حى فى حالة الملحود

فرقة للسيوف ينفذ فيها الـ * حكم قصداً وفرقة للقيود

(ومن فساد التقسيم) قول أبى تمام

وموقف بين حكم الذل منقطع * صاليه أو بحبال الموت متصل

حرف واحد كان لك أن تخفف مثل (رسل ورسل) و (كتب وكتب) و (طنب وطنب) وكذلك اذا توالت الكسرتان خففوا فقالوا فى (ابل ابل) ولم يسكنوا شيئا من المفتوح لخفة الفتحه نحو جمل وجبل وقتب لايقولون جبل وجمل فاذا خففوا مثل عضد ونخذ وكبد فربما أبقوا الحركة التى أسقطوها على أول الحرف فقالوا فى نخذ وكبد وعضد نخذ وكبد وعضد وربما تركوا حركة الحرف الاول على حالها فقالوا نخذ وكبد وعضد وقالوا فى تخفيف رجل رجل ولم أسمع رجل وقالوا فى تخفيف لعب لعب ولم نسمع لعب والافعال اذا كانت على فعل أو فعل أو فعل خففت يقولون قد علم ذاك أى علم وقال أبو النجم لو عصر منه البان والمسك انعصر ويقولون كرم الرجل يريدون كرم ونعم وبئس انما أصلهما فعل نخففتا واذا جاء الفعل على فعل لم يخففوه نحو ضرب وقتل وأكل لانهم لايستثقلون الفتحة وقال الأخطل

وما كل مغبون ولو سلف صفقه * يراجع ما قد فاته برداد

أراد سلف فسكن المفتوح وهذا شاذ

﴿ ماجاء على فعلة فيه لغتان فعلة وفعلة بفتح الفاء وسكون العين وكسرها وسكونها ﴾

العقاب (لقوة ولقوة) فاما التى تسرع اللقح فهى لقوة بالفتح فلان بعيد (الهمة والهمة) وهذه أمة حسنة (المهنة والمهنة) أى الخدمة وقوم (شجعة وشجعة) للشجعاء ولفلان فى بنى فلان فانه (حوبة وحيبة) وهى (الام والاخت والبنت) وتكون فى موضع آخر ألهم والحاجة فلان يأكل (الحينة والحينة) أى مرة فى اليوم وهى (الطسة والطسة) للطست عن أبى زيد فلان حسن (الهيئة والهيئة) وهى (اللقحة واللقحة) ومن المعتل (ضعة وضعة)

و (فَجة وقِجة) و(وطيء بين الطِئة والطأة) ويقال الوطاءة (وان أردت فى فعلة المرة الواحدة فهى بالفتح) تقول قعد (قعدة) وجلس (جلسة) و(ان أردت الضرب من الفعل كسرت) تقول هو حسن (القعدة والجلسة والركبة) وقتله شر (قتلة) ومات ميتة سوء
﴿ فعلة وفعلة بكسر الفاء وسكون العين وضمها وسكونها ﴾ (كسوة وكسوة) و(رشوة ورشوة) و(قدوة وقدوة)

فانه جعل صالى هذا الموقف اما دليلا عنه أو ها الكافيه وههنا قسم ثالث وهو أن لا يكون دليلا ولاها لكا بل يكون مقدما فيه ناجياً وفى هذا نظر على من ادعى فساد تقسيمه فان أبا تمام قصد الغلو فى وصف هذا الموقف فقال إن الناس فيه أحد رجلين إما ذليل عن مورده و إما هالك فيه أى أنه لا ينجو منه أحد يرده وهذا تقسيم صحيح لا فساد فيه ﴿القسم الثالث فى ترتيب التفسير وما يصح من ذلك وما يفسد ﴾ اعلم أن صحة الترتيب فى ذلك أن يذكر فى الكلام معان مختلفة فاذا أعيد اليها بالذكر لتفسير قدم المقدم وأخر المؤخر وهو الاحسن إلا أنه قد ورد فى القرآن الكريم وغيره من الكلام الفصيح ولم يراع فيه تقديم المقدم ولا تأخير المؤخر كقوله تعالى أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء إن فى ذلك الآية لكل عبد منيب ولو قدم تفسير المقدم فى هذه الآية وأخر تفسير المؤخر لقيل ان يشأ يسقط عليهم كسفا من السماء أو يخسف بهم الأرض وكذلك ورد قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم فقدم المؤخر وأخر المقدم والقسمان قد وردا جميعا فى القرآن الكريم (فمما روعى فيه تقديم المقدم وتأخير المؤخر) قوله تعالى وما نؤخره إلا لأجل معدود يوم يأت لا تكلم نفس إلا باذنه فمنهم شقى وسعيد فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ ومن ذلك قوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة وكذلك قوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً ولتبتغوا من فضله فلما قدم الليل فى الذكر على النهار قدم سبب الليل وهو السكون على سبب النهار وهو التعيش (ومن ذلك) ما كتبته فى كتاب تعزية وهو فصل منه فقلت ولقد أوحشت منه المعالى كما أوحشت المنازل وآمت المكارم كما آمت الحلائل وعمت لوعة خطبه فما تشتكى ثكلى إلا إلى ثاكل وما أقول فيمن عدمت الأرض منه حياها والمحامد محياها فلو نطق الجماد بلسان أو تصور المعنى لعيان لاعربت تلك عن ظما صعيدها وبرزت هذه حاسرة حول فقيدها (ومن ذلك) ما كتبته فى فصل من كتاب إلى بعض الاخوان فقلت وما زالت أيادى سيدنا متنوعة فى زيادة جودها وكتابها فهذه متطولة بترقية وردها وهذه آخذة بسنة أغبابها وأحسن ما فى الاولى أنها تأتى متحلية بفواضل الاكثار وفى الثانية أنها تأتى متحلية بفضائل الاختصار فاختصار هذه فى فوائد أقلامها كتطويل تلك فى عوائد انعامها وقد أصبحت خواطرى مستغرقة بانشاء القول المبتكر فى شكر الفضل المطول وجواب البيان المختصر وما جعل الله لها من سلطان البلاغة ما يستقل باداء حقوق تنقل على الرقاب ومقابلة بلاغات تثقل على الالباب (ومما جاء من ذلك) شعرا قول ابراهيم بن العباس

لنا ابل كوم يضيق بها الفضا * ويفتر عنها أرضها وسماؤها
فمن دونها أن تستباح دماؤنا * ومن دوننا أن تستباح دماؤها

و(اسوة وأسوة) والرحم (شجنة من الله وشجنة) و(نسوة ونسوة) و(حبوة وحبوة) وحظى فلان (حظوة وحظوة) و(خصية وخصية) و(خفية وخفية) و(نسبة ونسبة) و(مرية ومرية) من الشك وحاف بين (الحفوة والحفوة) و(الشقة والشقة) للسفر البعيد (والعدوة والعدوة) المكان المرتفع (وعدوة الوادى وعدوته) وفيه (غلظة وغلظة) و (رفقة ورفقة) و(كنية وكنية) وامرأة ذات (كدنة وكدنة) إذا كانت ذات لحم (ومدية ومدية) السكين والغيبة (الاكلة والاكلة) و(حشوة البطن وحشوة) و (منية الناقة ومنيتها) وهى الايام التى يتعرف فيها ألاقح هى أم حائل (وذروة الشيء وذروته) أعلاه (وأخوة واخوة) وجدنا آباءنا على (أمة وأمة) أى دين (الجثوة والجثوة) الحجارة المجتمعة وجذوة من النار وجذوة)
و(قنوة المال وقنوة) و (قنية وقنية) ويقال (سروة وسروة) للنصال القصار ﴿ فعلة وفعلة بفتح الفاء وسكون العين وضم الفاء وسكون العين ﴾ خطوت (خطوة وخطوة) وهى (لحمة الثوب ولحمة) قال ابن الاعرابى لحمة النسب والثوب مفتوحان ولحمة السبع والبازى وكل صائد مضموم عن أبى زيد فى لحمة مثل ذلك سواء وهى(كفؤة

حمى وقرى فالموت دون مرامها * وأيسر خطب يوم حق فناؤها

وهذه الابيات من نادر ما يجيء في هذا الباب معنى وترتيب تفسير ومما جاء منه أيضا قول أبي تمام

وما هو إلا الوحي أو حد مرهف * تميل ظباه أخدعي كل مائل
فهذا دواء الداء من كل عالم * وهذا دواء الداء من كل جاهل

وكذلك قوله أيضا وكان لهم غيثا وعلما فعدم * فيسأله أو باحث فيسائله

وهذا من بديع ما يأتي في هذا الباب ومما ورد منه قول علي بن جبلة

فتى وقف الايام بالسخط والرضا * على بذل عرف أو على حد منصل

ومن الحسن في هـذا الباب قول أبي نواس

يرجو ويخشى حالتيك الورى * كأنك الجنـة والنـار

وكذلك ورد قول بعض المتأخرين وهو القاضي الارجاني

يوم المتيم فيـك حول كامل * يتعاقب الفصلان فيه إذا أتى
ما بين حر جوى وماء مدامع * ان حن صاف وان بكى وجدا شتا

ومـا أخـذ على الفرزدق في هذا الباب قوله

لقـد جئت قوما لو لجأت اليهم * طريد دم أو حاملا ثقل مغرم
لألفيت منهم معطيا أو مطاعنا * وراءك شزرا بالوشيج المقوم

لانه أصاب في التفسير وأخطأ في الترتيب وذلك أنه أتى بتفسير ما هو أول في البيت الاول ثانيا في البيت الثاني والاولى ان كان أتى بتفسير ذلك مرتبا فسر ما هو أول في البيت الاول بما هو ثان في البيت الثاني واعلم أن الناظم لا ينكر عليه مثل هـذا ما ينكر على الناثر لان الناظم يضطره الوزن والقافية إلى ترك الاولى (وأما فساد التفسير) فانه أقبح من فساد ترتيبه وذلك أن يؤتى بكلام ثم يفسر تفسيرا لا يناسبه وهو عيب لا تسامح فيه بحال وذلك كقول بعضهم

فيا أيها الحيران في ظلمة الدجى * ومن خاف أن يلقاه بغي من العـدا
تعال اليـه تلق من نور وجهه * ضياء ومن كفيه بحرا من الندا

وكان يجب لهذا الشاعر أن يقول بازاء بغي العدا ما يناسبه من النصرة والاعانة أو ما جرى مجراها ليكون ذلك تفسيراله كما جعل بازاء الظلمة الضياء وفسرها به فاما ان جعل بازاء ما يتخوف منه بحرا من الندى فان ذلك غير لائق ﴿ النوع الخامس والعشرون في الاقتصاد والتفريط والافراط ﴾ اعلم أن هذه المعاني الثلاثة من الاقتصاد والتفريط والافراط توجد في كل شيء من علم وصناعة وخلق ولابد لنا من ذكر حقيقتها في أصل اللغة حتى يتبين نقلها إلى هذا النوع من الكلام فاما الاقتصاد في الشيء فهو من القصد الذي هو الوقوف على الوسط الذي لا يميل إلى أحد الطرفين قال الله تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فظلم النفس والسبق بالخيرات طرفان والاقتصاد وسط بينهما وقال تعالى والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فالاسراف والاقتار طرفان والقوام وسط بينهما وقال الشاعر

عليك بالقصد فيما أنت فاعله * إن التخلق يأتي دونه الخلق

الابل وكفأة)وهي أن تفرق فرقتين فيضرب الفحل احداهما سنة والفرقة الاخرى سنة وهي(البلجة والبلجة)وهى (الدلجة والدلجة) ومنهم من يفرق بينهما وقد بينا ذلك وعليه (بهلة الله وبهلته) وجلست (نبذة ونبذة) أي ناحية (وجوبة الرجل وحوبته) أم الرجل (وسدفة (٢٩٦) من الليل وسدفة)و(حسوة وحسوة)و(غرفة وغرفة)و(جرعة وجرعة)و(نغبة ونغبة)و (لحسة لحسة ولحسة)و(بقعة وبقعة) و(برهة من الدهر وبرهة) و(جهمة من الليل وجهمة) وهي بقية من الليل وفلان ينام (الصبحة والصبحة) ومالي عليه (عرجة ولا عرجة)

﴿ فعلة وفعلة بضم الفاء وسكون العين وفتحهما ﴾ (قلفة وقلفة) و (قطعة وقطعة) لقطع اليـد (وجذمة وجذمة)مثل قطعة (وصلعة وصلعة)

﴿ فعلة وفعلة بضم الفاء وسكون العين وضم الفاء وفتح العين ﴾ الحرب (خدعة وخدعة) وزاد يونس (وخدعة) وهو العبد(زنمة وزنمة)و(زلة وزلة (ويقال أيضا زلة وزنمة قال (وفعلة) من صفات المفعول (وفعلة) من صفات الفاعل تقول (رجل هزأة) يهزأ بالناس (وهزءة) يهزؤن منه وكذلك (سخرة وسخرة) و (ضحكة وضحكة)و(لعنة ولعنة) و (سبة وسبة)و(خدعة وخدعة)

﴿ فعلة وفعلة بضم الفاء وفتح العين وفتحهما ﴾ رجل وأما (أمنة وأمنة) للذي يثق بكل أحد (ودرجة ودرجة) ﴿ فعلة وفعــلة بفتح الفاء وسكون العين وفتحهما ﴾ (لخمة العشاء ولخمة) و (صخرة وصخرة) و (غزوة وغزاة) وهو في عز (ومنعة ومنعة) وهو فصيح (اللهجة واللهجة) وهي(المغرة والمغرة)

و (الودعة والودعة) ﴿فعلة وفعلة بفتح الفاء وكسر العين وكسرها وسكونها﴾ (معدة ومعدة) (وضبنة الرجل وضبنة) و (لبنة ولبنة) و (قطنة) للتي تكون مع الكرش و (قطنة) و (كلمة وكلمة) و (سفلة الناس وسفلة) ﴿فعلة وفعلة بفتح الفاء وكسر العين وفتحها وسكونها﴾ هي (الحصبة والحصبة) و (الوسمة (٢٩٧) والوسمة) التي يختضب بها ﴿فعلة وفعلة بضم الفاء وسكون العين وضمها﴾ (ظلمة وظلمة) و (حلبة وحلبة) وفي هذا (رخصة ورخصة) و (هدنة وهدنة)

﴿فعلة بالواو والياء﴾ هي (الحموة والحمية) وهي (النفوة والنفية) لكل ما نفيته وحاف بين (الحفية والحفوة) و (قنية وقنوة) للشيء تقتنيه

﴿فعلة بالياء وأصله بالواو﴾ قالوا (ربية) من الربا (وحبية) من الاحتباء وأصلها (ربوة) و (حبوة) ﴿ما جاء على فعال فيه لغتان﴾ ﴿فعال وفعال﴾ (صداق المرأة وصداقها) و (وجار الضبع ووجارها) و (ملاك الأمر وملاكه) و (جهاز العروس وجهازها) و (سرار الشهر) وسرر أجود (وفكاك الرهن وفكاك) و (حجاج العين وحجاج) لعظم الحاجب (والخاض والمخاض) وجع الولادة (الرضاع والرضاع) و (الدجاج والدجاج) وكذلك الواحدة (نعم ونعام) عين و (طاف المكوك وطفاف) وهو مثل جمام المكوك و (الوطاء والوطاء) الفراش اللين وكذلك (الوثار والوثار) و (الوقاء) والوقاء (بغاث الطير وبغاث) و (الوحام والوحام) الشهوة على الحمل وهو (الدواء والدواء) و رجل (خشاش وخشاش) وهو اللطيف الرأس الضرب الجسم جارية بينة (الشطاط والشطاطة والشطاطة)

وأما التفريط فهو التقصير والتضييع ولهذا قال الله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء أي ما أهملنا ولا ضيعنا وأما الافراط فهو الاسراف وتجاوز الحد يقال أفرط في الشيء إذا أسرف وتجاوز الحد والتفريط والافراط هما الطرفان البعيدان والاقتصاد هو الوسط المعتدل وقد نقلت هذه المعاني الثلاثة إلى هذا النوع من علم البيان وأما الاقتصاد فهو أن يكون المعنى المضمر في العبارة على حسب ما يقتضيه المعبر عنه في منزلته وأما التفريط والافراط فهما ضدان أحدهما أن يكون المعنى المضمر في العبارة دون ما تقتضيه منزلة المعبر عنه والآخر أن يكون المعنى فوق منزلته والتفريط في إيراد المعاني الخطابية قبيح لا يجوز استعماله بوجه من الوجوه والافراط يجوز استعماله فمنه الحسن ومنه دون ذلك فما جاء من التفريط قول الاعشى

وما مزبد من خليج الفرا * ت جون غواربه تلتطم
بأجود منه بما عونه * إذا ما سماؤهم لم تغم

فانه مدح ملكا بالجود بماعونه والماعون كل ما يستعار من قدوم أو قصعة أو قدر أو ما أشبه ذلك وليس للملوك في بذله مدح ولا لأوساط الناس أيضا وفي مدح السوقة به قولان ومدح الملوك به عيب وذم فاحش وهذا من أقبح التفريط ومما يجري هذا المجرى قول الفرزدق

ألا ليتنا كنا بعيرين لا نرد * على حاضر الانشل ونقذف
كلانا به عر مجاف قرافه * على الناس مطلي المشاعر أخشف

هذا رجل ذهب عقله حين نظم هذين البيتين فان مراده منهما التغزل بمحبوبه وقد قصر تمنيه على أن يكون هو ومحبوبه كبعيرين أجربين لا يقربهما أحد ولا يقربان أحدا الا طردهما وهذا من الاماني السخيفة وله في غير هذه الامنية مندوحات كثيرة وما أشبه هذا بقول القائل

يارب ان قدرته لمقبل * غيري فللا قداح أو للأكؤس
واذا حكمت لنا بعين مراقب * في الدهر فلتك من عيون النرجس

فانظر كم بين هاتين الامنيتين (ومما أخذ على أبي نواس) في قصيدته الميمية الموصوفة التي مدح بها الامين محمد بن الرشيد وهو قوله

أصبحت يا ابن زبيدة ابنة جعفر * أملا لعقد حباله استحكام

فان ذكر أم الخليفة في مثل هذا الموضع قبيح وكذلك قوله في موضع آخر

وليس كجدتيه أم موسى * إذا نسبت ولا كالخيزران

وهذا لغو من الحديث لا فائدة فيه فان شرف الانساب انما هو الى الرجال لا الى النساء ويا ليت شعري أما سمع أبو نواس قول قتيلة بنت النضر في النبي صلى الله عليه وسلم

أمحمد ولانت نجل كريمة * من قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما * من الفتى وهو المغيظ المحنق

فانها ذكرت الام بغير اسم الأم وأبرزت هذا الكلام في هذا اللباس الانيق وكذلك فليكن المادح إذا مدح وأبو نواس مع لطافة طبعه وذكائه وما كان يوصف به من الفطنة قد ذهب عليه مثل هذا الموضع مع ظهوره وليس لقائل أن يعترض على ما ذكرته بقوله تعالى حكاية عن موسى

وأخيه هرون عليهما السلام قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي فان الفرق بين الموضعين ظاهر لان المنكر على أبي نواس انما هو التلفظ باسم الأم وهي زبيدة وكذلك اسم الجدة وهي الخيزران وليس كذلك ما ورد في الآية ﴿فان قيل﴾ قد ورد في القرآن الكريم ما يسوغ لأبي نواس مقالته وهو قوله تعالى إذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله فناداه باسم أمه قلت الجواب عن ذلك من وجهين أحدهما أن عيسى عليه السلام لم يكن له أب فنودي باسم امه ضرورة إذ لو كان له أب لنودي باسم أبيه الوجه الآخر أن هذا النداء انما هو من الاعلى الى الادنى إذ الله سبحانه وتعالى هو الرب وعيسى عليه السلام عبده وهذا لا يكون تفريطا لانه لم يعبر عنه بما هو دون منزلته على أن أبا نواس لم يوقعه في هذه العثرة الا ما سمعه عن جرير في مدح عمر بن عبد العزيز كقوله

وتبني المجد يا عمر بن ليلى * وتكفي الممحل السنة الجمادا

وكذلك قال فيه كثير عزة أيضا وليس المعيب من هذا بخاف فان العرب قد كان يعير بعضها بعضا بنسبته الى أمه دون أبيه ألا ترى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقال له ابن حنتمة وانما كان يقول ذلك من يغض منه وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم للزبير بن صفية بشر قاتل ابن صفية بالنار فان صفية كانت عمة النبي صلى الله عليه وسلم وانما نسبه اليها رفعا لقدره في قرب نسبه منه وأنه ابن عمته وليس هذا كالاول في الغض من عمر رضي الله عنه في نسبه الى أمه (وقد عاب بعض من يتهم نفسه بالمعرفة) قول أبي نواس في قصيدته السينية التي أولها

نبه نديمك قد نعس * فقال من جملتها ورث الخلافة خامسا * وبخير سادسهم سدس

قال وفي ذكر السادس نظر ويا عجبا له مع معرفته بالشعر كيف ذهب عليه هذا الموضع أما قرأ سورة الكهف يريد قوله تعالى ويقولون خمسة سادسهم كلبهم وهذا ليس بشيء لانه قد ورد في القرآن الكريم ما ينقضه وهو قوله تعالى ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم (ومما عبته على البحتري) قوله في مدح الفتح بن خاقان في قصيدته المشهورة عند لقائه الاسد التي مطلعها * أجدك ما ينفك يسرى لزينبا فقال

شهدت لقد أنصفته حين تبترى * له مصلتا غضبا من البيض مقضبا

فلم أر ضرغامين أصدق منكما * عراكا إذا الهيابة النكس كذبا

قوله إذا الهيابة النكس تفريط في المدح بل كان الاولى أن يقول إذا البطل كذب والا فأي مدح في اقدام المقدم في الموضع الذي يفر منه الجبان والا كما قال أبو تمام

فتى كلما ارتاد الشجاع من الردى * مفرا غداة المارق ارتاد مصرعا

وعلى أسلوب البحتري ورد قول بعضهم من شعراء الحماسة

واني لقوال لعافي مرحبا * وللطالب المعروف انك واجده

واني لممن أبسط الكف بالندى * إذا شنجت كف البخيل وساعده

وهذا معيب من جهة أنه لا فضل في بسط يده عند قبض يد البخيل وانما الفضيلة في بسطها عند قبض الكرام أيديهم ومن هذا الباب قول أبي تمام

جارية بينة (الجراء والجراء) مصدر جارية ليس بيني وبينه (وجاح ووجاح) و(أجاح واجاح) أي ستر وحكي ابن الاعرابي (سداد من عوز وسداد) وهذا (قوامهم وقوامهم) و(الوثاق والوثاق) وأيام (الحصاد والحصاد) و(القطاف والقطاف) و(الجزاز والجزاز) لجذاذ النخل (٢٩٨) والغنم (والجداد والجداد) و(الصرام والصرام) و(القطاع والقطاع) (الكناز والكناز) حين يكنز التمر و(الجرام والجرام) و(الرفاع والرفاع) حين يحصد الزرع فيرفع قال الكسائي سمعت أخواتها بالوجهين الا الرفاع فاني لم أسمعها مكسورة قمر (تمام وتمام) و(ولد تمام وتمام) وليل (تمام) لا غير

﴿فعال وفعال﴾

(سوار المرأة وسوار) وهو حسن (الجوار والجوار) و(حوار الناقة وحوار) و(شواظ من نار وشواظ) و(خوان وخوان) للذي يؤكل عليه (والهيام والهيام) داء يأخذ الابل (النداء والنداء) و(الهتاف والهتاف) و(رجل شجاع وشجاع) وقوم (شجعان وشجعان) وهو كريم (النجار والنجار) (والنحاس والنحاس) أي الاصل و(الصياح والصياح) و(صوان الثوب وصوان) التخت أو الوعاء الذي يصان فيه (هم رهاق مائة ورهاق مائة) كقولك هم زهاء مائة (وصار البيض فلاقا وفلاقا) أي فلقا (وابل طلاحية وطلاحية) تأكل الطلح ورجل (نباطي ونباطي) منسوب (وأصابه يقظ اطام واطام) إذا احتبس بطنه ﴿فعال وفعال﴾ بالثوب (عوار وعوار) و(فواق الناقة وفواقها) ما بين الحلبتين الصقر (قطامي وقطامي) أجاب الله (غواثه وغواثه) من الاستغاثة ولم يأت في الاصوات المضموم مثل (الحداء) و(الدعاء)

و (البكاء) غير غواث فانه يفتح و يضم وجاء فى الاصوات مكسوا نحو (النداء) و (الصياح) وقد ضما أيضا الكسائى دخلت فى (غمار الناس وغمارهم) أى فى جماعتهم وكثرتهم وكذلك (خمار الناس وخمارهم) ﴿فعال وفعيل﴾ رجل (شحاح وشحيح و (عقام وعقيم) و (صحاح الاديم وصحيح) و (بجال وبجيل) وهو الضخم الجليل ورجل (كهام وكهيم) للذى لادفع عنده (والجرام والجريم) النوى وهما أيضا التمر اليابس و (ثقال وثقيل)

﴿فعال وفعيل﴾

(طوال وطويل) و (عراض وعريض) و (كبار وكبير) و (خفيف وخفاف) (وعجيب وعجاب) و (جليل وجلال) و (دقيق ودقاق) و (رقيق ورقاق) و (كريم وكرام) و (مليح وملاح) و (جميل وجمال) و (كثير وكثار) و (قليل وقلال) و (زحير وزحار) و (أنين وأنان) و (نسيل ونسال) ماسقط من الوبر والشعر والريش (وشحيج البغل والغراب وشحاح) و (نهيق الحمار ونهاق) و (سحيل وسحال) و (نبيح ونباح) و (ضغيب وضغاب) لصوت الأرنب و (ذنين وذنان) لما يسيل من الأنف و (عظيم وعظام) و (جسيم وجسام) و (شجيع وشجاع) وحكى الفراء (صغير وصغار) وحكى أبو زيد عظام و (جسام) و (ضخام) و (طوال) ولم يقل فى ضخام (ضخيم) انما هو (ضخم) ولكن الاصل فيه (ضخيم) على بناء أمثاله مثل (عظيم) و (كبير) و (ثقيل) و (بطىء) و (غليظ) فأجازوا فيه (ضخاما) على أصل الحرف وقد بينت أمثلة هذه الحروف وأضدادها وروى أبو عبيدة عن المؤرج فى الامثال نزو الفرار استجهل الفرار قال (الفرار) ولد البقرة الوحشية قال ويقال له (فرير وفرار)

يقظ وهو أكثر الناس اغضا * ء على نائل له مسروق

فانه أراد أن يمدح فذم ومما هو أقبح من ذلك قوله أيضا

يتقى الحرب منه حين تغلى * مراجلها بشيطان رجيم

وقد استعمل هذا فى شعره حتى أفحش كقوله

أنت دلو وذو السماح أبو * موسى قليب وأنت دلو القليب

ومراده من ذلك أنه جعله سببا لعطاء المشار اليه كما أن الدلو سبب فى امتياح الماء من القليب ولم يبلغ هذا المعنى من الاغراب الى حد يدندن أبو تمام حوله هذه الدندنة ويلقيه فى هذا المثال السخيف على أنه لم يقنع بهذه السقطة القبيحة فى شعره بل أوردها فى مواضع أخرى منه فمن ذلك قوله

مازال يهذى بالمكارم والعلا * حتى ظننا أنه محموم

فانه أراد أن يبالغ فى ذكر الممدوح باللهج بالمكارم والعلا فقال مازال يهذى وما أعلم ما كانت حاله عند نظم هذا البيت وعلى نحو منه جاء قول بعض المتأخرين

ويلحقه عند المكارم هزة * كما انتفض المجهود من أم ملدم

وهذا وأمثاله لايجوز استعماله وان كان المعنى المقصود به حسنا وكم ممن يتأول معنى كريما فاساء فى التعبير عنه حتى صار مذموما كهذا وأمثاله ومن أحسن ماقيل فى مثل هذا الموضع قول ابن الرومى

ذهب الذين تهزهم مداحهم * هز الكماة عوالى المران

كانوا اذا مدحوا رأوا ما فيهم * فالاريحية منهم بمكان

ومن شاء أن يمدح فليمدح هكذا والا فليسكت (ووجدت) أبا بكر محمد بن يحيى المعروف بالصولى قد عاب على حسان بن ثابت رضى الله عنه قوله

لنا الجفنات الغر يلمعن فى الضحى * وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

وقال انه جمع الجفنات والاسياف جمع قلة وهو فى مقام فخر وهذا مما يحط من المعنى ويضع منه وقد ذهب الى هذا غيره أيضا وليس بشىء لان الغرض انما هو الجمع فسواء أكان جمع قلة أم جمع كثرة ويدل على ذلك قوله تعالى ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم أفترى نعم الله أكانت قليلة على ابراهيم صلوات الله عليه وكذلك ورد قوله عز وجل فى سورة النمل وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فى تسع آيات إلى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين فقال واستيقنتها أنفسهم فجمع النفس جمع قلة وما كان قوم فرعون بالقليل حتى تجمع نفوسهم جمع قلة بل كانوا مئين ألوفا وهذا أيضا مما يبطل قول الصولى وغيره فى مثل هذا الموضع وكذلك ورد قوله عز وجل الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها والنفوس المتوفاة والنائمة لا ينتهى إلى كثرتها كثرة لانها نفوس كل من فى العالم (واعلم) أن للمدح ألفاظا تخصه وللذم ألفاظا تخصه وقد تعمق قوم فى ذلك حتى قالوا من الأدب أن لاتخاطب الملوك ومن يقاربهم بكاف الخطاب وهذا غلط بارد فان الله الذى هو ملك الملوك قد خوطب بالكاف فى أول كتابه

مثل (طويل وطوال) وكان غيره يزعم ان (فرار) جمع فرير قال ولم يأت شيء من الجمع على فعال الا أحرف هذا أحدها (توأم وتؤام) وشاة (ربى وغنم رباب) و (ظئر وظؤار)و (عرق وعراق) و (رخل و رخال) و (فرير وفرار)قال ولا نظير لهذه الاحرف قال أبو عبيدة (٣٠٠) فاذا أرادوا المبالغة شددوا فقالوا (كرام) و (كبار)و (ظراف) و (عجاب) فالكرام أشد كرما من الكرام وقد يجيء من المشدد ما ليس من هذا الباب قالوا (حسان) حسن وقراء للقارىء و (وضاء) للوضيء

﴿ فعال وفعول ﴾

(الثبات والثبوت) و (الذهاب والذهوب) و (الفساد والفسود) و (الصلاح والصلوح) و (قطاع الطير وقطوعها) وهو ان تقطع من بلد إلى بلد فاما (قطاع الماء) يعنى انقطاعه فمفتوح و (القتام والقتوم) وفرغت من الامر (فراغا وفروغا)

﴿ فعال وفعول ﴾

هو (الكلاح والكلوح) و (السكات والسكوت) و (الصمات والصموت) و رزحت الناقة (رزوحا ورزاحا) اذا سقطت من الهزال والتعب

﴿ فعال وفعول ﴾

هو النفار (والنفور) و (الشراد والشرود) و (الشباب) من شب الفرس و (الشبوب) و الشماس) من شمس و (الشموس) و (الطماح) من طمح و (الطموح)

﴿فعل وفعال﴾ رجل (حل وحلال) و (حرم وحرام) هذا

﴿ فعل وفعال ﴾ (ريش ورياش)و (لبس ولباس) و (دبغ ودباغ)

﴿ ما جاء على فعالة مما فيه لغتان فعالة وفعالة ﴾ هى (الرطانة والرطانة) و (الوقاية والوقاية) و (الوكالة والوكالة) ودليل بين (الدلالة والدلالة) و (مهرت الشيء) مهارة و (مهارة) و (الوصاية

العزيز فقيل اياك نعبد و إياك نستعين وقد ورد أمثال هذا فى مواضع من القرآن غير محصورة الا أني قد راجعت نظرى فى ذلك فرأيت الناس بزمانهم أشبه منهم بأيامهم والعوائد لاحكم لها ولاشك أن العادة أوجبت للناس مثل هذا التعمق فى ترك الخطاب بالكاف لكنى تأملت أدب الشعراء والكتاب فى هذا الموضع فوجدت الخطاب لا يعاب فى الشعر و يعاب فى الكتابة اذا كان المخاطب دون المخاطب درجة وأما ان كان فوقه فلا عيب فى خطابه اياه بالكاف لانه ليس من التفريط فى شيء فمن خطاب الكاف قول النابغة

وانك كالليل الذى هو مدركى * وان خلت أن المنتأ عنك واسع

(وكذلك قوله أيضا)

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مذهب

وعليه جاء قول بعض المتأخرين أيضا فقال أبو نواس

اليك أبا المنصور عذبت ناقتى * زيارة خـل وامتحان كريم

لأعلم ما يأتى وان كنت عالما * بأنك مهمـا تأت غـير ملوم

وكذلك ورد قول السلامى

اليك طوى عرض البسيطة جاعل * قصار المطايا أن يلوح لها القصر

و بشرت آمالى بملك هو الورى * ودار هى الدنيا و يوم هو الدهر

وعليه ورد قول البحترى

ولقد أتيتك طالبا فبسطت من * أملى وأطلب جود كفك مطلبى

وجل خطاب الشعراء للممدوحين انما هو بالكاف وذلك محظور على الكتاب فانه ليس من الادب عندهم أن يخاطب الادنى الاعلى بالكاف وانما يخاطبه مخاطبة الغائب لا مخاطبة الحاضر على أن هذا الباب بجملته يوكل النظر فيه الى فطانة الخطيب والشاعر وليس مما يوقف فيه على المسموع خاصة (ومن ألطف ما وجدته) أنك اذا خاطبت الممدوح أن تترك الخطاب بالامر بأن تقول افعل كذا وكذا وتخرجه مخرج الاستفهام وهـذا الاسلوب حسن جدا وعليه مسحة من جمال بل عليه الجمال كله (فمما جاء منه) قول البحترى فى قصيدة أولها

* بودى لو يهوى العذول و يعشق * فقال منها

فهل أنت يا ابن الراشدين مختمى * بياقوتة تبهى على وتشرق

وهذا من الادب الحسن فى خطاب الخليفة فانه لم يخاطبه بأن قال ختمنى بياقوتة على سبيل الامر بل خاطبه على سبيل الاستفهام وقد أعجبنى هذا المذهب وحسن عندى وقد حذا حذو البحترى شاعر من شعراء عصرنا فقال فى مدح الخليفة الناصر لدين الله أبى العباس أحمد من قصيدة له على قافية الدال فقال من أبيات يصف بها قصيدة

أمقبولة يا ابن الخلائف من فمى * لديك بوصفى غادة الشعر رودة

فقوله أمقبولة من الادب الحسن الذى نسج فيه على منوال البحترى وهذا باب مفرد وهو باب الاستفهام فى الخطاب واذا كان الشاعر فطنا عالما بما يضعه من الالفاظ والمعانى تصرف فى

(الوصاية) و (الجنازة والجنازة) و (الجراية والجراية) و (البداوة والبداوة) و (الحضارة والحضارة) و (الولاية من الموالاة و (الآية) و (الوزارة والوزارة) والكسر أجود و (الرضاعة والرضاعة) و (الحلالة والحلالة) بصدر خليل و يقال أيضا الحلولة وقد نوت الناقة تنوى (نواية ونواية) اذا سمنت و (الجداية والجداية) الرشاء ﴿فعالة وفعالة﴾ (بشارة و بشارة) قال الاصمعى الكسر

هذا الباب بضروب التصرفات واستخرج من ذات نفسه شيئا لم يسبقه اليه أحد (واعلم) أن من المعانى ما يعبر عنه بالفاظ متعددة و يكون المعنى المندرج تحتها واحدا فمن تلك الالفاظ ما يليق استعماله بالمدح ومنها ما يليق استعماله بالذم ولو كان هذا الامر يرجع الى المعنى فقط لكانت جميع الالفاظ الدالة عليه سواء فى الاستعمال وانما يرجع فى ذلك الى العرف دون الاصل ولنضرب له مثالا فنقول هل يجوز أن يخاطب الملك فيقال له وحق دماغك قياسا على وحق رأسك وهذا يرجع الى أدب النفس دون أدب الدرس فاذا أراد مؤلف الكلام أن يمدح ذكر الرأس والهامة والكاهل وما جرى هذا المجرى فاذا أراد أن يهجو ذكر الدماغ والقفا والقذال وما جري هذا المجرى وان كانت معانى الجميع متقاربة ومن أجل ذلك حسنت الكناية فى الموضع الذى يقبح فيه التصريح (ومن أحسن ما بلغنى) من أدب النفس فى الخطاب أن عثمان بن عفان رضى الله عنه سأل قباث بن أشيم فقال له أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر منى وأنا أقدم منه فى الميلاد فانظر الى أدب هذا العربى الذى من شأنه وشأن أمثاله جفاء الاخلاق والبعد عن فطانة الآداب (وأما الافراط) فقد ذمه قوم من أهل هذه الصناعة وحمده آخرون والمذهب عندى استعماله فان أحسن الشعر أكذبه بل أصدقه أكذبه لكنه تتفاوت درجاته فمنه المستحسن الذى عليه مدار الاستعمال ولا يطلق على الله سبحانه وتعالى لأنه مهما ذكر به من المعاملات فى صفاته فانه دون ما يستحقه ومما ورد من ذلك فى الشعر قول عنترة وأنا المنية فى المواطن كلها * والطعن منى سابق الآجال

وقد يروى بالياء وكلا المعنيين حسن الا أن الياء أكثر غلوا ومما جاء على نحو من ذلك قول بشار

اذا ما غضبنا غضبة مضرية * هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

ومنه ما يستهجن كقول النابغة الذبيانى

اذا ارتعثت خاف الجبان رعاثها * ومن يتعلق حيث علق يفرق

وهذا يصف طول قامتها لكنه من الاوصاف المنكرة التى خرجت بها المغالاة عن حيز الاستحسان وكذلك ورد قول أبى نواس

وأخفت أهل الشرك حتى انه * لتخافك النطف التى لم تخلق

وهذا أشد افراطا من قول النابغة ويروى أن العتابى لقى أبا نواس فقال له أما استحييت الله حيث تقول وأنشده البيت فقال له وأنت ما راقبت الله حيث قلت

ما زلت فى غمرات الموت مطرحا * يضيق عنى وسيع الرأى من حيلى

فلم تزل دائبا تسعى بلطفك لى * حتى اختلست حياتى من يدى أجلى

فقال له العتابى قد علم الله وعلمت أن هذا ليس مثل قولك ولكنك قد أعددت لكل ناصح جوابا وقد أراد أبو نواس هذا المعنى فى قالب آخر فقال

كدت منادمة الدماء سيوفه * فلقلما تحتازها الاجفان

حتى الذى فى الرحم لم يك صورة * لفؤاده من خوفه خفقان

ومما يجىء فى هذا الباب ما يجرى هذا المجرى وقد استعمل أبو الطيب المتنبى هذا القسم فى شعره

وحده لا غير وروى الكسائى (الزيارة والزوارة) و (دواية اللبن ودوايته) للجلدة الرقيقة التى تعلوه وهى (الخفارة والخفارة) و (الفتاحة والفتاحة) وهى المحاكمة

﴿فعالة وفعالة﴾ فى صونه (رفاعة ورفاعة) أى علو وعليه (طلاوة من الحسن وطلاوة)

﴿فعالة وفعولة﴾ (فسل فسالة وفسولة) و (رذل رذالة ورذولة) وفارس بين (الفراسة والفروسية) ولحية كثة بينة (الكثاثة والكثوثة) وجلد بين (الجلادة والجلودة) ووحف بين (الوحافة والوحوفة) اذا كان كثيرا وشعر جثل بين (الجثالة والجثولة) ووقاح بين (الوقاحة والوقوحة)

﴿ما جاء على مفعل فيه لغتان مفعل ومفعل﴾

(منسج الثوب حيث ينسج ومنسج) و (مغسل الموتى حيث يغسلون ومغسل) و (مقبض السيف ومقبضه) و (مضربه ومضربه) و (المنسك والمنسك) و (المسكن والمسكن) ومفرق الطريق و (مفرقه) وكذلك (مفرق الرأس) و (مطلع ومطلع) و (محشر ومحشر) و (منبت ومنبت) و (مدب السيل ومدب) وهو (محل أجر ومحل أجر) ﴿كل ما كان على فعل يفعل فالاسم

كثيرا فأحسن فى مواضع منه فمن ذلك قوله

عجاجا تعثر العقبان فيه * كأن الجو وعث أو خبار

ثم أعاد هذا المعنى فى موضع آخر فقال

عقدت سنابكها عليها عثيرا * لو تبتغى عنقا عليه لأمكنا

وهذا أكثر مغالاة من الاول ومن ذلك قوله أيضا

كأنما تتلقاهم لتسلكهم * فالطعن يفتح فى الاجواف مايسع

وعلى هذا ورد قول قيس بن الحطيم

ملكت بها كفى فأنهرت فتقها * يرى قائم من دونها ماوراءها

لكن أبو الطيب أكثر غلوا فى هذا المعنى وقيس بن الحطيم أحسن لانه قريب من الممكن فان الطعنة تنفذ حتى يتبين فيها الضوء واما أن يجعل المطعون مسلكا يسلك كما قال أبو الطيب فان ذلك مستحيل ولا يقال فيه بعيد ﴿وأما الاقتصاد﴾ فهو وسط بين المنزلتين والامثلة به كثيرة لاتحصى اذ كل ماخرج عن الطرفين من الافراط والتفريط فهو اقتصاد ومن أحسنه أن يجعل الافراط مثلا ثم يستثنى فيه بلو أو بكاد وماجرى مجراها فمن ذلك قوله تعالى يكاد البرق يخطف أبصارهم وكذلك قوله عز وجل وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا وقد ورد هذا فى القرآن الكريم كثيرا ومما ورد منه شعرا قول الفرزدق

يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم اذا ماجاء يستلم

وكذلك ورد قول البحترى

لو أن مشتاقا تكلف فوق ما * فى وسعه لسعى اليك المنبر

وهذا هو المذهب المتوسط ﴿النوع السادس والعشرون فى الاشتقاق﴾ اعلم أن جماعة علماء البيان يفصلون الاشتقاق عن التجنيس وليس الامر كذلك بل التجنيس أمر عام لهذين النوعين من الكلام وذاك أن التجنيس فى أصل الوضع من قولهم جانس الشئ الشئ اذا ماثله وشابهه ولما كانت الحال كذلك ووجدنا من الالفاظ مايتماثل ويتشابه فى صيغته وبنائه علمنا أن ذلك يطلق عليه اسم التجنيس وكذلك لما وجدنا من المعانى مايتماثل ويتشابه علمنا أن ذلك يطلق عليه اسم التجنيس أيضا فالتجنيس اذن ينقسم قسمين أحدهما تجنيس فى اللفظ والآخر تجنيس فى المعنى فأما الذى يتعلق باللفظ فانه لم ينقل عن بابه ولا غير اسمه وقد تقدم ذكره فى باب الصناعة اللفظية وأما الذى يتعلق بالمعنى فانه نقل عن بابه فى التجنيس وسمى الاشتقاق أى أحد المعنيين مشتق من الآخر (وهو على ضربين) صغير وكبير فالصغير أن تأخذ أصلا من الاصول فتجمع بين معانيه وان اختلفت صيغه ومبانيه كتركيب س ل م فانك تأخذ منه معنى السلامة فى تصرفه نحو سلم وسالم وسلمان وسلمى والسليم اللديغ أطلق عليه ذلك تفاؤلا بالسلامة والاصل فى ذلك أن يضع واضع اللغة اسما أولا لمسمى أول ثم يجد مسمى آخر ومسميات شبيهة بالمسمى الاول فيضع لها اسما كالاسم الاول كقوله ضرير اسم للأعمى والضر ضد النفع والضراء الشدة من الامر والضر بالضم الهزال وسوء الحال والضرر الضيق والضرة احدى الزوجتين

منه مكسور والمصدر مفتوح﴾ قال الله جل ثناؤه (أين المفر) فمن قرأه بالفتح أراد أين الفرار وان أراد المكان الذى يفر اليه المفر بالمكسر وتقول هذا (مضرب فلان) تريد الموضع الذى ضرب اليه وبلغه فان أردت المصدر قلت ان فى ألف درهم لمضربا أى ضربا قال الله جل ثناؤه وجعلنا النهار (٣٠٢) (معاشا) يريد عيشا وهو مصدر (وقد جاء بعض المصادر على مفعل) والاول أكثر وأقيس قال جل ثناؤه الى الله (مرجعكم) أى رجوعكم وقال عز وجل يسألونك عن (المحيض) أى الحيض (فاذا كان يفعل مفتوح العين فالموضع والمصدر مفتوحان) نحو (المذهب) و(المشرب) وربما كسروا العين فى مفعل اذا أرادوا الاسم وليس بالكثير قالوا (المكبر) وهو شاذ وكذلك (المحمدة) فاذا كان يفعل مضموم العين فالاسم والمصدر مفتوحان (مثل المدخل) و(المخرج) و(المطلب) الا أحرفا كسرت مثل (المسجد) و(المطلع) و(المغرب) و(المشرق) و(المسقط) و(المفرق) و(المجزر) و(المنسك) من نسك ينسك جعلوا الكسر علامة الاسم وربما فتحه بعض العرب فى الاسم ولزموا القياس قد روى (مسكن ومسكن) و(مسجد ومسجد) وقال بعضهم (المسجد موضع السجود والمسجد اسم البيت) وقالوا (مطلع ومطلع) وقال الفتح فى هذه الاحرف التى كسرت جائز وان لم يسمع فى بعضها ﴿وما كان من ذوات الياء والواو﴾ مثل (مغزى من غزوت) و(مرمى من رميت) فمفعل مفتوح اسما كان أو مصدرا الا (مأقى العين) و(مأوى الابل) فان العرب قد تكسر هذين الحرفين وهما نادران ﴿وما كان فاء الفعل منه واوا﴾ مثل (عد) و(ورد) و(وضع) فان مفعلا منه مكسور اسما كان أو مصدرا نحو (الموعد) و(المورد)

و (الموضع) و (الموقع) الا أحرفاجاءت نادرة قال أكثرهم موجل وقال بعضهم موحل قال الهذلى فأصبح العير ركودا على ال أوشات أن يرسخن فى الموحل يروى (الموحل والموحل) جميعا قال و (مورق) و (موهب) و (موكل) اسم رجل أو مكان و (موحد) معدول عن واحد يقال دخل القوم (موحد موحد) كما يقال آحاد أحاد

الزوجتين فان هذه المسميات كلها تدل على الاذى والشر وأسماؤها متشابهة لم تخرج عن الضاد والراء الا أنا الآن لا نعلم ماهو الأول منها حتى نحكم على الثانى أنه مشتق منه لكن نعلم فى السليم اللديغ أنه مشتق من السلامة لأنه ضدها قيل من أجل التفاؤل بالسلامة وعلى هذا جاء غيره من الاصول كقولنا هشمك هاشم وحار بك محارب وسالمك سالم وأصاب الأرض صيب فهذه الالفاظ كلها لفظها واحد ومعناها واحد أما هاشم فانه لم يسم بهذا الاسم الا لانه هشم الثريد فى عام محل فسمى بذلك وأما محارب فانه اسم فاعل من حارب فهو محارب وأما سالم فمن السلامة وهو اسم فاعل من سلم وأما الصيب فهو المطر الذى يشتد صوبه أى وقعه على الارض ولا يقاس على ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها وعصية عصت الله فان أسلم وغفار وعصية أسماء قبائل ولم تسم أسلم من المسالمة ولا غفار من المغفرة ولا عصية من تصغير عصا وهذا هو التجنيس وليس بالاشتقاق والنظر فى مثل ذلك يحتاج الى فكرة وتدبر كى لا يختلط التجنيس بالاشتقاق ومما جاء من ذلك شعرا قول البحترى * أحلى سلمى بكاظمة اسلما وكذلك قول الآخر

وما زال معقولا عقال من الندى * وما زال محبوسا عن الخير حابس

وربما ظن أن هذا البيت وما يجرى مجراه تجنيس حيث قيل فيه معقول وعقال ومحبوس وحابس وليس الامر كذلك وهذا الموضع يقع فيه الاشتباه كثيرا على من لم يتقن معرفته وقد تقدم القول أن حقيقة التجنيس هى اتفاق اللفظ واختلاف المعنى وعقال ومعقول وحابس ومحبوس اللفظ فيها واحد والمعنى أيضا واحد فهذا مشتق من هذا أى قد شق منه وكذلك ورد قول عنترة

لقد علم القبائل أن قومى * لهم حد إذا لبس الحديد

فان حدا وحديدا لفظهما واحد ومعناها واحد ﴿ وأما الاشتقاق الكبير ﴾ فهو أن تأخذ أصلا من الاصول فتعقد عليه وعلى تراكيبه معنى واحدا يجمع تلك التراكيب وما تصرف منها وان تباعد شىء من ذلك عنها رد بلطف الصنعة والتأويل اليها ولنضرب لذلك مثالا فنقول ان لفظة ق م ر من الثلاثى لها ست تراكيب وهى ق ر م ق م ر ر ق م ر م ق م ق ر م ر ق فهذه التراكيب الست يجمعها معنى واحد وهو القوة والشدة فالقرم شدة شهوة اللحم وقمر الرجل اذا غلب من يقامره والرقم الداهية وهى الشدة التى تلحق الانسان من دهره وعيش مرمق أى ضيق وذلك نوع من الشدة أيضا والمقر شبه الصبر يقال امقر الشىء اذا أمر وفى ذلك شدة على الذائق وكراهة ومرق السهم إذا نفذ من الرمية وذلك لشدة مضائه وقوته (واعلم) أنه إذا سقط من تراكيب الكلمة شىء فجائز ذلك فى الاشتقاق لان الاشتقاق ليس من شرطه كمال تركيب الكلمة بل من شرطه أن الكلمة كيف تقلبت بها تراكيبها من تقديم حروفها وتأخيرها أدت الى معنى واحد يجمعها فمثال ماسقط من تركيب الثلاثى لفظة و س ق فان لها خمس تراكيب وهى و س ق وق س و س و ق ق س و قوس وسقط من جملة التراكيب قسم واحد وهو سقو وجميع الخمسة المذكورة تدل على القوة والشدة أيضا فالوسق من قولهم استوسق الامر أى اجتمع وقوى والوقس ابتداء الحرب وفى ذلك شدة على من يصيبه وبلاء السوق متابعة السير وفى هذا عناء وشدة على السائق والمسوق والقسوة شدة القلب وغلظه

﴿ مفعل ومفعل ﴾ (مصحف ومصحف) و (مغزل ومغزل) و (مخدع ومخدع) و (مطرف ومطرف) و (مجسد ومجسد) قال بعضهم المجسد ماصبغ بالجساد فأجيد وأشبع صبغه والجساد الزعفران والمجسد الذى يلى الجسد من الثياب قال الفراء المجسد والمجسد واحد وهو من أجسد أى ألصق بالجسد فكسر أوله بعضهم استثقالا للضم وكذلك قالوا مصحف وهو مأخوذ من أصحف أى جمعت فيه الصحف فكسر أوله بعضهم استثقالا للضم وأصله الضم ومطرف من أطرف أى جعل فى طرفيه العلمان ومغزل أدير وفتل قال فمن ضم الحرف من هذه جاء به على أصله ومن كسره فلاستثقاله الضمة ﴿ مفعل ومفعل ﴾ قالوا (منخر ومنخر) بكسر الميم لا يعرف غيره ﴿ مفعل ومفعل ﴾ قالوا (منتن ومنتن) بكسر الميم لا يعرف غيره فمن أخذه من أنتن قال منتن ومن أخذه من نتن قال منتن ﴿ مفعل ومفعل ﴾ قالوا (مدق ومدق) لا يعرف غيره فمن قال مدق جعله مثل مسعط ومدهن ومن قال مدق جعله مثل محلب ﴿ مفعل ومفعل ﴾ (ماجاوز بنات الثلاثة) فلك فيه وجهان (مخرج صدق) و (مدخل صدق) ان جعلته من أخرج وادخل وان جعلته من دخل وخرج قلت (مدخل ومخرج) وكذلك (ممسى ومصبح)

والقوس معروفة وفيها نوع من الشدة والقوة لنزعها السهم واخراجه الى ذلك المرمي المتباعد (واعلم) أنا لا ندعى أن هذا يطرد فى جميع اللغة بل قد جاء شىء منها كذلك وهذا مما يدل على شرفها وحكمتها لان الكلمة الواحدة تتقلب على ضروب من التقاليب وهى مع ذلك دالة على معنى واحد وهذا من أعجب الاسرار التى توجد فى لغة العرب وأغربها فاعرفه الا أن الاستعمال فى النظم والنثر إنما يقع فى الاشتقاق الصغير دون الكبير وسبب ذلك أن الاشتقاق الصغير تكثر الالفاظ الواردة عليه والاشتقاق الكبير لا يكاد يوجد فى اللغة الا قليلا وأيضا فان الحسن اللفظى الذى هو الفصاحة إنما يقع فى الاشتقاق الصغير ولا يقع فى الاشتقاق الكبير ألا ترى الى هذين الاصلين الواردين ههنا وهما ق رم و و س ق إذا نظرنا الى تراكيبهما وأردنا أن نسبكهما فى الاستعمال لم يأت منها مثل ما يأتى فى الاشتقاق الصغير حسنا ورونقا لان ذاك لفظه لفظ تجنيس ومعناه معنى استقاق والاشتقاق الكبير ليس كذلك ﴿ النوع السابع والعشرون فى التضمين ﴾ وهذا النوع فيه نظر بين حسن يكتسب به الكلام طلاوة و بين معيب عند قوم وهو عندهم معدود من عيوب الشعر ولكل من هذين القسمين مقام (فأما الحسن) الذى يكتسب به الكلام طلاوة فهو أن يضمن الآيات والاخبار النبوية وذلك يرد على وجهين أحدهما تضمين كلي والآخر تضمين جزئى فأما التضمين الكلى فهو أن تذكر الآية والخبر بجملتهما وأما التضمين الجزئى فهو أن تدرك بعض الآية والخبر فى ضمن كلام فيكون جزأ منه كالذى أوردته فى حل الآيات والاخبار فى الفصل العاشر من مقدمة الكتاب وقد قيل انه لا يجوز درج آيات القرآن الكريم فى غصون الكلام من غير تبيين كى لا يشتبه وهذا القول لا أقول به فان القرآن الكريم أبين من أن يحتاج الى بيان وكيف يخفى وهو المعجز الذى لو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثله لا يأتون بمثله فان كانت المفاوضة فى التفرقة بينه و بين غيره من الكلام إذا أدرج فيه مع جاهل لا يعرف الفرق فذاك لا كلام معه وان كان الكلام مع عالم بذلك فذاك لا يخفى عنه القرآن الكريم من غيره ومذهبي فى هذا هو ما تقدم ذكره فى الفصل العاشر من مقدمة الكتاب وهو أحسن الوجهين عندى وذلك أنه لا تؤخذ الآية بكمالها بل يؤخذ جزء منها و يجعل أولا الكلام أو آخرا هذا اذا لم يقصد به التضمين فأما إذا قصد التضمين فتؤخذ الآية بكمالها وتدرج درجا وهذا ينكره من لم يذق ما ذقته من طعم البلاغة ولا رأى ما رأيته (وأما المعيب عند قوم) فهو تضمين الاسناد وذلك يقع فى بيتين من الشعر أو فصلين من الكلام المنثور على أن يكون الأول منهما مسندا الى الثانى فلا يقوم الاول بنفسه ولا يتم معناه الا بالثانى وهذا هو المعدود من عيوب الشعر وهو عندى غير معيب لانه ان كان سبب عيبه أن يعلق البيت الاول على الثانى فليس ذلك بسبب يوجب عيبا إذ لا فرق بين البيتين من الشعر فى تعلق أحدهما بالآخر و بين الفقرتين من الكلام المنثور فى تعلق احداهما بالاخرى لان الشعر هو كل لفظ موزون مقفى دل على معنى والكلام المسجوع هو كل لفظ مقفى دل على معنى فالفرق بينهما يقع فى الوزن لا غير والفقر المسجوعة التى يرتبط بعضها ببعض قد وردت فى القرآن الكريم فى مواضع منه فمن ذلك قوله عزوجل فى سورة الصافات فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال

و (ثمسى ومصبح) و باسم الله (مجراها ومرساها) و (مجراها ومرساها) وقد قرىء بهما جميعا ﴿ مفعل ومفعل ﴾ الكسائى (المشعر الحرام) و (المشعر الحرام) وأكثر العرب على كسرها ولا يقرأ بذلك ولا يعرف غير هذا الحرف وأكثر ما جاء مما يستعمل مكسور الميم نحو (مقطع) و (مبضع) و (مخرز) و (محلب) للقدح الذى يحلب فيه فان جعلت شيئا من هذا المكان فتحت الميم (فالمقطع) الموضع الذى يقطع فيه و (المقطع) الشىء الذى يقطع به و (المقص) الموضع الذى يقص فيه و (المقص) المقراض و (المفتح) الموضع الذى يفتح فيه و (المفتح) المفتاح وكذلك ان جعلت شيئا من هذا مصدرا فهو مفتوح

﴿ مفعل ومفعل ﴾ قالوا (منخل ومنخل) و (منصل ومنصل) للسيف وهذا مما يستعمل وأوله مضموم ومما ضم من هذا الفن أوله (مسعط) و (مدهن) و (مكحلة) لا يقال فيه غير ذلك ﴿ مفعل وفعال ﴾ قالوا (مسن وسنان) و (مسرد وسراد) وهو الاشفى و (معطف وعطاف) و (ملحف ولحاف) و (مقرم وقرام) و (منطق ونطاق) ﴿ مفعل ومفعال ﴾ (مفتح ومفتاح) وأصله مفتح وكذلك (مضراب ومقراض) و (مصبح ومصباح) و (منسج ومنساج) و (مقول ومقوال)

﴿ ماجاء على مفعلة فيه لغتان مفعلة ومفعلة ﴾ أرض (مهلكة ومهلكة) و (مضلة ومضلة) قاتل وهو علق (مضنة ومضنة) و (معتبة ومعتبة) ولا تلثوا بدار (معجزة ومعجزة)أى تعجز عن طلب الرزق أخذتنى منه (مذمة ومذمة) وهى (مضربة السيف ومضربته) ﴿ مفعل ومفعلة ﴾ عبد (مملكة ومملكة) اذا ملك ولم يملك أبواه و (مأكلة ومأكلة)

و (مأربة ومأربة) الحاجة و (المأدبة والمأدبة) الطعام يدعى اليه و (مصنعة البناء ومصنعة) و (محرمة ومحرمة) و (مزلة ومزلة) و (مقبرة ومقبرة) و (مخرأة ومخرؤة) و (مخبرة ومخبرة) و (مأثرة ومأثرة) و (معركة ومعركة) و (ميسرة وميسرة) و (مفخرة ومفخرة) و (مزرعة ومزرعة) و (مبطخة ومبطخة) و (مشربة ومشربة) وهي كالصفة بين يدى الغرفة و (مقنأة ومقنؤة) المكان

قائل منهم انى كان لى قرين يقول أئنك لمن المصدقين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون فهذه الفقر الثلاث الاخيرة مرتبط بعضها ببعض فلا تفهم كل واحدة منهن الا بالتى تليها وهذا كالأبيات الشعرية فى ارتباط بعضها ببعض ولو كان عيبا لما ورد فى كتاب الله عز وجل وكذلك ورد قوله تعالى فى سورة الصافات أيضا فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم فالآيتان الأوليان لا تفهم احداها إلا بالأخرى وهكذا ورد قوله عز وجل فى سورة الشعراء أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون فهذه ثلاث آيات لا تفهم الأولى ولا الثانية الا بالثالثة ألا ترى أن الأولى والثانية فى معرض استفهام يفتقر الى جواب والجواب هو فى الثالثة ومما ورد من ذلك شعراً قول بعضهم

ومن البلوى التى ليـــس لها فى الناس كنه * أن من يعرف شيئا يدعى أكثر منه

ألا ترى أن البيت الأول لم يقم بنفسه ولا تم معناه الا بالبيت الثانى وقد استعملته العرب كثيرا وورد فى شعر فحول شعرائهم فمن ذلك قول امرىء القيس

فقلت له لما تمطى بصلبه * وأردف أعجازاً وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل الا انجلى * بصبح وما الاصباح منك بأمثل

وكذلك ورد قول الفرزدق

وما أحد من الأقوام عدوا * عروف الأكرمين الى التراب
بمحتفظين ان فضلتمونا * عليهم فى القديم ولا غضاب

وكذلك ورد قول بعض شعراء الحماسة

لعمرى لرهط المرء خير تقية * عليه وان عالوا به كل مركب
من الجانب الأقصى وان كان ذا غنى * جزيل ولم يخبرك مثل مجرب

﴿الضرب الثانى من التضمين﴾ وهو أن يضمن الشاعر شعره والناثر نثره كلاما آخر لغيره قصدا للاستعانة على تأكيد المعنى المقصود ولو لم يذكر ذلك التضمين لكان المعنى تاما وربما ضمن الشاعر البيت من شعره بنصف بيت أو أقل منه كما قال جحظة

قم فاسقنيها ياغلام وغنى * ذهب الذين يعاش فى أكنافهم

ألا ترى أنه لو لم يقل فى هذا البيت ذهب الذين يعاش فى أكنافهم لكان المعنى تاما لا يحتاج الى شيء آخر فان قوله قم فاسقنيها ياغلام وغنى فيه كفاية اذ لا حاجة له الى تعيين الغناء لان فى ذلك زيادة على المعنى المفهوم لا على الغرض المقصود وقد ورد هذا فى عدة مواضع من شعر أبى نواس فى الخمريات كقوله فى مخاطبة بعض خلطائه على مجلس الشراب

فقلت هل لك فى الصهباء تأخذها * من كف ذات حر فالعيش مقتبل
حبرية كشعاع الشمس صافية * تطير بالكأس من لألائها شعل
فقال هات وغنينا على طرب * ودع هريرة ان الركب مرتحل

وكذلك قوله أيضا وظبى خلوب اللفظ حلو كلامه * مقبلة سهل وجانبه وعر

تحلت له منهــا نحر لوجهه * وأمكن منه ما يحيط به الأزر

الذى لا تطلع عليه الشمس ما بينهم (مقربة ولا مقربة) أى قرابة

﴿مفعلة ومفعلة﴾ (الميناة والمبناة) النطع و (مثناة ومثناة) الحبل الفراء يقال (مرقاة ومرقاة) والفتح أكثر وكذلك (مسقاة ومسقاة) من جعلهما آلة تستعمل كسر مثل (مغرفة ومقدحة ومصدغة) ومن جعلهما موضعا للارتقاء والسقى نصب

﴿مفعلة ومفعلة﴾ أغنيت عنك (مغناة فلان ومغناته) وأجزأتك (مجزأة فلان ومجزأته)

﴿ماجاء على فعلل وفيه لغتان فعلل وفعلل﴾ (دخلل فلان ودخلله) أى خاصته ورجل (قعدد وقعدد) اذا كان قريب الآباء إلى الجد الأكبر (جؤذر وجؤذر) و (قنفذ وقنفذ) و (عنصل وعنصل) للبصل البرى (والعنصر والعنصر) الأصل و (البرقع والبرقع) و (طحلب وطحلب)

﴿فعال وفعال﴾ (جنجن وجنجن) لواحد الجناجن وهى عظام الصدر و بقيه (الاثلب والاثلب) و (الكشكث والكشكث) أى التراب (ومما جاء بالهاء) ناقة (مجلزة ومجلزة) والمال بيننا شق (الابلمة والابلمة) وقد روى الأبلمة وهى الخوصة ﴿فعلال وفعلول﴾ (شمراخ وشمروخ) و (عثكال وعثكول) و (اثكال

فقمت اليه والكرى كحل عينه * فقبلته والصب ليس له صبر
الى أن تجلى نومه عن جفونه * وقال كسبت الذنب قلت لى العذر
فأعرض مزورا كأن بوجهه * تفقأ رمان وقد برد الصدر
فمازلت أرقيه وألثم خده * إلى أن تغنى راضياً وبه سكر
ألا فاسلمى يادارمى على البلى * ولا زال منهلا بجرعائك القطر

وقد استعمل هذا الضرب كثيرا الخطيب عبد الرحمن بن نباتة رحمه الله فمن ذلك قوله فى بعض خطبه وهو فيا أيها الغفلة المطرقون أما أنتم بهذا الحديث مصدقون فما لكم منه لا تشفقون فورب السماء والأرض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون وكذلك قوله فى ذكر يوم القيامة وهو فيومئذ تغدو الخلائق على الله بهما فيحاسبهم على ما أحاط به علما وينفذ فى كل عامل بعمله حكما وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلماً ألا ترى الى براعة هذا التضمين الذى كأنه قد رصع فى هذا الموضع رصعاً وعلى نحو من ذلك جاء قوله فى ذكر يوم القيامة وهو وهنالك يقع الحساب على ما أحصاه الله كتابا وتكون الأعمال المشوبة بالنفاق سرابا يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا ومما ينتظم بهذا السلك قوله فى خطبة أخرى وهو وأسكتهم الله الذى أنطقهم وأبادهم الذى خلقهم وسيجدهم كما أخلقهم ويجمعهم كما فرقهم يوم يعيد الله العالمين خلقاً جديداً ويجعل الظالمين لنار جهنم وقوداً يوم تكونون شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً (ومن هذا الباب) قوله أيضاً هنالك يرفع الحجاب ويوضع الكتاب ويجمع من وجب له الثواب ومن حق عليه العقاب فيضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وأمثال هذه التضمينات فى خطبه كثيرة وهى من محاسن ما يجىء فى هذا النوع ﴿النوع الثامن والعشرون فى الارصاد﴾ وحقيقته أن يبنى الشاعر البيت من شعره على قافية قد أرصدها له أى أعدها فى نفسه فاذا أنشد صدر البيت عرف ما يأتى به فى قافيته وذلك من محمود الصنعة فان خير الكلام ما دل بعضه على بعض وفى الافتخار بذلك يقول ابن نباتة السعدى

خذها إذا أنشدت فى القوم من طرب * صدورها عرفت منها قوافيها
ينمى لها الراكب العجلان حاجته * ويصبح الحاسد الغضبان يطويها

فمن هذا الباب قول النابغة

فداء لامرىء سارت اليه * بعذرة ربها عمى وخالى
ولو كفى اليمين بغتك خوفا * لافردت اليمين عن الشمال

ألا ترى أنه يعلم اذا عرفت القافية فى البيت الأول أن فى البيت الثانى ذكر الشمال وكذلك جاء قول البحترى أحلت دمى من غير جرم وحرمت * بلا سبب يوم اللقاء كلامى

فليس الذى حللته بمحلل * وليس الذى حرمته بحرام

فليس يذهب على السامع وقد عرف البيت الأول وصدر البيت الثانى أن عجزه هو ماقاله

البحترى

وأثكول) مثله و (عنقاد وعنقود) و (جذمار وجذمور) وهى قطعة تبقى من السعفة اذا قطعت و (ثفراق وثفروق) و (معلاق ومعلوق) ﴿افعل وفعل﴾ (أشعث وشعث) و (أجرب وجرب) و (أخشن وخشن) و (أحمق وحمق) و (أقعس وقعس) و (أكدر وكدر) و (أعمى وعم) (٣٠٦) و (انكد ونكد) و (أوجل ووجل) قال الشاعر لعمرك ما أدرى وإنى لاوجل على أينا تعدو المنية أول و (أوجر ووجر) و (أشنع وشنع) قال أبو ذؤيب * واليوم يوم أشنع * و (شنيع) أيضا و (أرمد ورمد) ﴿فعيل وفاعل﴾ (ضريب قداح وضارب) و (صريم وصارم) و (عريف وعارف) وأنشد * بعثوا الى عريفهم يتوسم * أى عارفهم و (سميع وسامع) و (عليم وعالم) و (قدير وقادر) و (حفيظ وحافظ) و (غريق وغارق) قال أبو النجم من بين مقتول وطاف غارق * أى غريق ﴿فعل وفعيل﴾ (جدب وجديب) و (شخت وشخيت) و (سمج وسميج) قال أبو ذؤيب فان تصرمى حبلى وان تتبدلى خليلا ومنهم صالح وسميج ﴿فعل وفعيل﴾ (أنق وأنيق) و (بهج وبهيج) ولسان (ذلق وذليق) و (طرف فى النسب وطريف) و (حزن وحزين) و (كد وكديد) ﴿فعول وفعيل﴾ سمحت (قرونه وقرينه) أى نفسه و (الحصور والحصير) الذى لا يشرب مع القوم من بخله وأتان (وديق وودوق) وهو الكذاب (الأثيم والأثوم) و (الفتيت والفتوت) وهو (نجىء العين ونجوء العين) ﴿فاعل وفاعل﴾ (تابل القدر وتابل) و (رامك ورامك) لضرب من الطيب ﴿فعلى وفعلى﴾ قالوا فتيا وفتوى

البحترى (وقد جاء الارصاد فى الكلام المنثور كما جاء فى الشعر) فمن ذلك قوله تعالى وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون فاذا وقف السامع على قوله تعالى لقضى بينهم فيما فيه عرف أن بعده يختلفون لما تقدم من الدلالة عليه (ومن ذلك أيضا) قوله عز وجل فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون وعلى نحو منه جاء قوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت فاذا وقع السامع على قوله عز وجل وان أوهن البيوت يعلم أن بعده بيت العنكبوت (ورأيت أبا هلال العسكرى) قد سمى هذا النوع التوشيح وليس كذلك بل تسميته بالارصاد أولى وذلك حيث ناسب الاسم مسماه ولاق به وأما التوشيح فانه نوع آخر من علم البيان وسيأتى ذكره بعد هذا النوع ان شاء الله تعالى ﴿ واعلم ﴾ أنه قد اختلف جماعة من أرباب هذه الصناعة فى تسمية أنواع علم البيان حتى ان أحدهم يضع لنوع واحد منه اسمين اعتقادا منه أن ذلك النوع نوعان مختلفان وليس الأمر كذلك بل هما نوع واحد فممن غلط فى ذلك الغانمى فانه ذكر بابا من أبواب علم البيان وسماه التبليغ وقال هو أن يأتى الشاعر بالمعنى فى البيت تاما من غير أن يكون للقافية فيما ذكره صنع ثم يأتى بها لحاجة الشعر اليها حتى يتم وزنه فيبلغ بذلك الغاية القصوى فى الجودة كقول امرىء القيس

كأن عيون الوحش حول خبائنا * وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب

فانه أتى بالتشبيه تاما قبل القافية ثم لما جاء بها بلغ الأمد الأقصى فى المبالغة ثم ان الغانمى ذكر بعد هذا الباب بابا آخر وسماه الاشباع فقال هو أن يأتى الشاعر بالبيت معلق القافية على آخر أجزائه ولا يكاد يفعل ذلك الا حذاق الشعراء وذلك أن الشاعر اذا كان بارعا جلب بقدرته وذكائه وفطنته الى البيت وقد تمت معانيه واستغنى عن الزيادة فيه قافية متممة لأعاريضه ووزنه فجعلها نعتا للمذكور كقول ذى الرمة

قف العيس فى أطلال مية فاسأل * رسوما كأخلاق الرداء المسلسل

هذا كلام الغانمى بعينه والبابان المذكوران سواء لافرق بينهما بحال والدليل على ذلك أن بيت امرىء القيس يتم معناه قبل أن يؤتى بقافيته وكذلك بيت ذى الرمة ألا ترى أن امرأ القيس لما قال * كأن عيون الوحش حول خبائنا * وأرحلنا الجزع أتى بالتشبيه قبل القافية ولما احتاج اليها جاء بزيادة حسنة وهى قوله لم تثقب وهكذا ذو الرمة فانه لما قال * قف العيس فى أطلال مية فاسأل * رسوما كأخلاق الرداء أتى بالتشبيه أيضا قبل أن يأتى بالقافية ولما احتاج اليها جاء بزيادة حسنة وهى قوله المسلسل واعلم أن أبا هلال العسكرى قد سمى هذين القسمين بعينهما الايغال وقال هو أن يستوفى الشاعر معنى الكلام قبل البلوغ الى مقطعه ثم يأتى بالمقطع فيزيد فيه معنى آخر وأصل الايغال من أوغل فى الامر إذا أبعد الذهاب فيه ثم مثل أبو هلال ذلك بقول ذى الرمة * قف العيس فى أطلال مية فاسأل * البيت وهذا أقرب أمرا من الغانمى لانه ذكره فى باب واحد وسماه باسم واحد ولم يذكره فى باب آخر

و (بقوى و بقيا) و (ثنوى وثنيا) و (رعوى ورعيا) وأما (القصوى والقصيا) فمضمومة الأول فى اللغتين جميعا ﴿ فاعل وفاعال ﴾ (دانق وداناق) و (خاتم وخاتام) ﴿ ماجاء فيه لغتان من حروف مختلفة الابنية ﴾ مايضم ويكسر (القرطم والقرطم) و (الحولاء والحولاء) اثفية (واثفية) يقال للوسادة (نمرقة ونمرقة) ولواحد الأساورة (اسوار (٣٠٧) واسوار) و (اخوة واخوة) جمع أخ و (قضبان وقضبان) جمع قضيب و (قثاء وقثاء) ورجل (ترعية وترعية) للذى يجيد رعية الابل و (الخيلاء والخيلاء) و (جندب وجندب) اسم و (يوسف ويوسف) و (يونس ويونس) و (سفيان وسفيان) و (ذبيان وذبيان) و (المغيرة والمغيرة) ﴿ مايضم ويفتح ﴾ الجدرى والجدرى) وقوم (كسالى وكسالى) و (عجالى وعجالى) و (غيازى وغيازى) و (سكارى وسكارى) جاء القوم (بأجمعهم وأجمعهم) ﴿ مايكسر ويفتح ﴾ (منجنيق ومنجنيق) ديماس (وديماس) (الشريان والشريان) شجر تعمل منه القسى (يوم الأربعاء) بكسر الباء وفتح الهمزة وهى الجيدة وحكى الأصمعى الأربعاء بفتح الباء وحكاها ابن الأعرابى أيضا شأو و (مغرب ومغرب) اى بعد بعيد (الذفارى والذفارى) جمع ذفرى و (عذارى وعذارى) و (صحارى وصحارى) وهى (الطنفسة والطنفسة) زبيل مفتوحة الزاى فان كسرتها زدت نونا فقلت (زنبيل) ولا يقال (زنبيل) المرعزى ان شددت الزاى قصرت وان خففتها مددت وكذلك (القبيطاء) والقبيطى الناطف (والباقلى) أيضا (والحلى) ان شددت ضممت أوله وان خففت فتحت أوله فقلت (الحلى) الفراء الحلى جمع حلى

مثل وحى ووحى (قوبا) بفتح الواو مؤنثة لا تنصرف وجمعها قوب وان سكنت الواو ذكرت وصرفت وهى (القلنسوة والقلنسية) اذا فتحت القاف ضممت السين واذا ضممت القاف كسرت السين وهى (الارزبة) التى يضرب بها بالتشديد فاذا قلتها بالميم خففت فقلت مرزبة (٣٠٨) أنشد الفرا * ضربك بالمرزبة العود النخر * وهو (البارى) بالتشديد

كما فعل الغانمى وليس الاخذ على الغانمى فى ذلك مناقشة على الاسماء وانما المناقشة على أن ينتصب لايراد علم البيان وتفصيل أبوابه ويكون أحد الابواب التى ذكرها داخلا فى الآخر فيذهب عليه ويخفى عنه وهو أشهر من فلق الصباح (وههنا ما هو أغرب من ذلك) وذلك أنه قد سلك قوم فى منثور الكلام ومنظومه طرقا خارجة عن موضوع علم البيان وهى بنجوة عنه لانها فى واد وعلم البيان فى واد فمن فعل ذلك الحريرى صاحب المقامات فانه ذكر تلك الرسالة التى هى كلمة معجمة وكلمة مهملة والرسالة التى حرف من حروف ألفاظها معجم والآخر غير معجم ونظم غيره شعرا آخر كل بيت منه أول للبيت الذى يليه وكل هذا وان تضمن مشقة من الصناعة فانه خارج عن باب الفصاحة والبلاغة لان الفصاحة هى ظهور الالفاظ مع حسنها على ما أشرت اليه فى مقدمة كتابى هذا وكذلك البلاغة فانها الانتهاء فى محاسن الالفاظ والمعانى من قولنا بلغت المكان اذا انتهيت اليه وهذا الكلام المصوغ بما أتى به الحريرى فى رسالته وأورده ذلك الشاعر فى شعره لا يتضمن فصاحة ولا بلاغة وانما يأتى ومعانيه غثة باردة وسبب ذلك أنها تستكره استكراها وتوضع فى غير مواضعها وكذلك ألفاظه فانها تجىء مكرهة أيضا غير ملائمة لاخواتها وعلم البيان انما هو الفصاحة والبلاغة فى الالفاظ والمعانى فاذا خرج عنه شىء من هذه الاوضاع المشار اليها لا يكون معدودا منه ولا داخلا فى بابه ولو كان ذلك مما يوصف بحسن فى ألفاظه ومعانيه لورد فى كتاب الله عز وجل الذى هو معدن الفصاحة والبلاغة أوورد فى كلام العرب الفصحاء ولم نره فى شىء من أشعارهم ولا خطبهم ولقد رأيت رجلا أديبا من أهل المغرب وقد تغلغل فى شىء عجيب وذاك أنه شجر شجرة ونظمها شعرا وكل بيت من ذلك الشعر يقرأ على ضروب من الاساليب اتباعا لشعب تلك الشجرة وأغصانها فتارة تقرأ كذا وتارة تقرأ كذا وتارة يكون جزء منه ههنا وتارة ههنا وتارة يقرأ مقلوبا وكل ذلك الشعر وان كان له معنى يفهم الا أنه ضرب من الهذيان والاولى به وبأمثاله أن يلحق بالشعبذة والمعالجة والمصارعة لا بدرجة الفصاحة والبلاغة (ورأيت أبا محمد) بن عبد الله بن سنان الخفاجى قد ذكر بابا من الابواب فى كتابه فقال ينبغى أن لا تستعمل فى الكلام المنظوم والمنثور ألفاظ المتكلمين والنحويين والمهندسين ومعانيهم ولا الالفاظ التى تختص بها بعض المهن والعلوم لان الانسان اذا خاض فى علم وتكلم فى صناعة وجب عليه أن يستعمل ألفاظ أهل ذلك العلم وأصحاب تلك الصناعة ثم مثل ذلك بقول أبى تمام

مودة ذهب أثمارها شبه * وهمة جوهر معروفها عرض

وبقوله أيضا خرقاء يلعب بالعقول حبابها * كتلعب الافعال بالاسماء

وهذا الذى أنكره ابن سنان هو عين المعروف فى هذه الصناعة

ان الذى تكرهون منه * هو الذى يشتهيه قلبى

وسأبين فساد ما ذهب اليه فأقول أما قوله انه يجب على الانسان اذا خاض فى علم أو تكلم فى صناعة أن يستعمل ألفاظ أهل ذلك العلم وأصحاب تلك الصناعة فهذا مسلم اليه ولكنه شذ عنه أن صناعة المنظوم والمنثور مستمدة من كل علم وكل صناعة لانها موضوعة على الخوض

فاذا خففت زدت ألفا فقلت البارياء ممدود وهو (عشر الشىء) فان فتحت العين قلت (عشير) فزدت ياء وكذلك (ثمين وخميس وثليث ونصيف) فى الثمن والخمس والثلث والنصف قال أبو زيد (تسيع وسبيع وسديس) وأنكر خميس وثليث قال الشاعر
* فما صار لى فى القسم الا ثمينها *
وقال آخر
لم يغذها مد ولا نصيف
ويقال (أحاد وثناء وثلاث ورباع) كل ذلك لا ينصرف ولم نسمع فيما جاوز ذلك شيئا على هذا البنا غير قول الكميت خصالا عشارا وأجرى هذا المجرى وأنشد الصخر السلمى
ولقد قتلتكم ثناء وموحدا
وتركت مرة مثل أمس الدابر
ويقال مثنى كما قيل موحد ولا ينون لانه معدول قال الشاعر
ولكنما أهلى بواد أنيسه
ذئاب تبغى الناس مثنى وموحدا
﴿ما يقال بالياء والواو﴾
رجل (سبروت وسبريت) وبينهما (بون) فى الفضل (وبين) فأما فى البعد فلا يقال فى

الا بين أتانا (لتوفاق الهلال وتيفاق) أى حين أهل هو يمشى (الخوزلى والخيزلى) وهو (العجاوة والعجاية) لعصبة تكون فى فرسن البعير وهو سريع (الايبة والاوبة) وهى (المصايب والمصاوب) أجد بقلبى (لوطا وليطا)وهذه (نقاوة الشىء ونقايته)

فى كل معنى وهذا لاضابط له يضبطه ولا حاصر يحصره فاذا أخذ مؤلف الشعر أو الكلام المنثور فى صوغ معنى من المعانى وأداه ذلك الى استعمال معنى فقهى أو نحوى أو حسابى أو غير ذلك فليس له أن يتركه ويحيد عنه لانه من مقتضيات هذا المعنى الذى قصده ألا ترى الى قول أبى تمام فى الاعتذار

فان يك جرم عن أو تك هفوة * على خطأ منى فعذرى على عمدى

فان هذا من أحسن ما يجىء فى باب الاعتذار عن الذنب وكان ينبغى له على ماذكره ابن سنان أن يترك ذلك ولا يستعمله حيث فيه لفظتا الخطأ والعمد اللتان هما من أخص ألفاظ الفقهاء وكذلك قول أبى الطيب المتنبى

ولقيت كل الفاضلين كأنما * رد الاله نفوسهم والاعصرا

نسقوا لنا نسق الحساب مقدما * وأتى فذلك إذ أتيت مؤخرا

وهذا من المعانى البديعة وما كان ينبغى لأبى الطيب أن يأتى فى مثل هذا الموضع بلفظة فذلك التى هى من ألفاظ الحساب بل كان يترك هذا المعنى الشريف الذى لا يتم الا بتلك اللفظة موافقة لابن سنان فيما رآه وذهب اليه وهذا محض الخطأ وعين الغلط وأما ما أنكره على أبى تمام فى قوله

مودة ذهب أثمارها شبه * وهمة جوهر معروفها عرض

فان هذا البيت ليس منكرا لما استعمل فيه من لفظتى الجوهر والعرض اللتين هما من خصائص ألفاظ المتكلمين بل لانه فى نفسه ركيك لتضمنه لفظة الشبه فانها لفظة عامية ركيكة وهى التى أسخفت بالبيت بجملته ورب قليل أفسد كثيرا وأما لفظتا الجوهر والعرض فلا عيب فيهما ولا ركاكة عليهما وأما البيت الآخر وهو

خرقاء يلعب بالعقول حبابها * كتلعب الافعال بالاسماء

فليس بمنكر وهل يشك فى أن التشبيه الذى تضمنه واقع فى موقعه ألا ترى أن الفعل ينقل الاسم من حال الى حال وكذلك يفعل الخمر بالعقول فى تنقل حالاتها فما الذى أنكره ابن سنان من ذلك وقد جاء لبعض المتأخرين من هذا الاسلوب مالا يدافع فى حسنه وهو قوله

عوامل رزق أعربت لغة الردى * فجسم له خفض ورأس له نصب

فانه لما حصل له المشابهة فى الاسمية بين عوامل الرماح والعوامل النحوية حسن موقع ماذكره من الخفض والنصب وعلى ماذكره ابن سنان فان ذلك غير جائز وهو من مستحسنات المعانى هذا من أعجب الاشياء وعلى هذا الاسلوب ورد قول بعضهم

وفتى من مازن * فاق أهل البصره

أمه معرفة * وأبوه نكره

وهل يشك فى حسن هذا المعنى ولطافته وكذلك ورد من هذا النوع فى شعر بعض العراقيين يهجو طبيبا فقال

قال حمار الطبيب توما * لو أنصفونى لكنت أركب

لاننى جاهل بسيط * وراكبى جهله مركب

وهذا من المعنى الذى أغرب فى الملاحة وجمع بين خفة السخرية ووقار الفصاحة وقد تقدم القول فى صدر كتابى هذا أنه يجب على صاحب هذه الصناعة أن يتعلق بكل علم وكل صناعة ويخوض فى كل فن من الفنون لانه مكلف بأن يخوض فى كل معنى من المعانى فاضمم يدك على

أى خياره فلان (أحول منك وأحيل) من الحيلة وهو (المتأوب والمتأيب) وهو (من صيابة قومه وصوابتهم) أى صميمهم و (داهية دهياء ودهواء) أرض (مسنوة ومسنية) وفلان (مرضو ومرضى) و (مجفو ومجفى) قال الشاعر

* ما أنا بالجافى ولا المجفى * قالوا بناه على جفى وقال الآخر * أنا الليث معديا عليه وعاديا *

بناه على عدى عليه اشتد (حمو الشمس وحميها) وهو (بلو سفر وبلى سفر) للذى قد بلاه السفر وهو (العبيثران والعبوثران) لضرب من النبت طيب الريح أبو زيد تثنية عرق النسا (نسيان ونسوان) وتثنية الرضا (رضوان ورضيان) والحمى (حموان وحميان) والرحا (رحوان ورحيان) ونقا الرمل (نقوان ونقيان) جمع صائم (صوم وصيم) ونائم (نوم ونيم) وخائف (خوف وخيف) قال الفرا من قاله بالواو فعلى أصله ومن قاله بالياء فعلى خائف ونائم بنوا جمعه على واحده وجمع ميثرة (مياثر ومواثر) والميثاق (مواثق ومياثق) و (الاقاوم والاقايم) القوم وجمع حائر (حوران وحيران)

﴿ما يقال بالهمز والياء﴾

(يبرين وأبرين) الرمل (ويسروع وأسروع) دودة (اليرقان والارقان) يقال (زرع مأروق وميروق) رجع (يزنى وأزنى) منسوب الى ذى يزن (ورجل يلندد وألندد) الخصم (رجل يلمعى وألمعى) الذكى (أعصر ويعصر) و (الارندج واليرندج) الجلد الاسود (يلمم وألملم) ميقات أهل اليمن فى احرامهم (يلنجوج وألنجوج) العود الذى يتبخر به طير (يناديد وأناديد) متفرقة بمعنى أبابيل (عظاءة وعظاية) و (عباية وعباءة) و (صلاءة وصلاية)

ماذكرته ونصصت عليه واترك ماسواه فليس القائل بعلمه واجتهاده كالقائل بظنه وتقليده وهذا النوع اذا استعمل على الوجه المرضى كان حسنا واذا استعمل بخلاف ذلك كان قبيحا كما جاء فى كلام أبى العلاء بن سليمان المعرى هو قوله فى رسالة كتبها الى بعض اخوانه حرس الله سعادته ما أدغمت التاء فى الظاء وتلك سعادة بغير انتهاء وهذا من الغث البارد لكن قد جاء فى الشعر ما هو حسن فائق كقوله

فدونكم خفض الحياة فاننا * نصبنا المطايا فى الفلاة على القطع

والخفض والنصب من الاعراب النحوى والخفض رفاهة العيش والقطع من منصوبات النحو والقطع قطع الشىء يقال قطعته اذا بترته ﴿ النوع التاسع والعشرون فى التوشيح ﴾ وهو أن يبنى الشاعر أبيات قصيدته على بحرين مختلفين فاذا وقف من البيت على القافية الاولى كان شعرا مستقيما من بحر على عروض واذا أضاف الى ذلك ما بنى عليه شعره من القافية الاخرى كان أيضا شعرا مستقيما من بحر آخر على عروض وصار ما يضاف الى القافية الاولى للبيت كالوشاح وكذلك يجرى الامر فى الفقرتين من الكلام المنثور فان كل فقرة منهما تصاغ من سجعتين وهذا لا يكاد يستعمل الا قليلا وليس من الحسن فى شىء واستعماله فى الشعر أحسن منه فى الكلام المنثور فمن ذلك قول بعضهم

اسلم ودمت على الحوادث مارسا * ركنا ثبير أو هضاب حراء
ونل المراد ممكنا منه على * رغم الدهور وفز بطول بقاء

وهذا من الجيد الذى يأتى فى هذا النوع إلا أن أثر التكلف عليه بادظاهر واذا نظر الى هذين البيتين وجدا وهما يذكران على قافية أخرى وبحر آخر وذاك أن يقال

اسلم ودمت على الحوا * دث مارسا ركنا ثبير ونل المراد ممكنا * منه على رغم الدهور

وقد استعمل ذلك الحريرى فى مقاماته نحو قوله

يا خاطب الدنيا الدنية انها * شرك الردى وقرارة الاكدار
دار متى ما أضحكت فى يومها * أبكت غدا بعداً لها من دار
واذا أظل سحابها لم ينتفع * منه صدى لجهامه الغرار

(واعلم) أن هذا النوع لا يستعمل إلا متكلفا عند تعاطى التمكن من صناعة النظم وحسنه منوط بما فيه من الصناعة لا بما فيه من البراعة ألا ترى أنه لو نظم عليه قصيد من أوله الى آخره يتضمن غزلا ومديحا على ما جرت به عادة القصائد أليس أنه كان يجىء باردا غثا لا يسلم منه على محك النظر عشره والعشر كثير وما كان على هذه الصورة من الكلام فانما يستعمل أحيانا على الطبع لا على التكلف وهو وأمثاله لا يحسن إلا إذا كان يسيرا كالرقم فى الثوب أو الشية فى الجلد ﴿ النوع الثلاثون فى السرقات الشعرية ﴾ ولربما اعترض معترض فى هذا الموضع فقال قد تقدم نثر الشعر فى أول الكتاب وهو أخذ الناثر من الناظم ولا فرق بينه وبين أخذ الناظم من الناظم فلم يكن الى ذكر السرقات الشعرية اذن حاجة ولو أنعم هذا المعترض نظره لظهر له الفرق وعلم أن نثر الشعر لم يتعرض فيه الى وجوه المأخذ وكيفية التوصل الى مداخل السرقات وهذا النوع يتضمن ذكر ذلك مفصلا (واعلم) أن الفائدة من هذا النوع

(الولد والولد والولد) وهو (الرغم والرغم والرغم) وهو (المشط والمشط والمشط) و (سقط الرمل وسقط وسقط) أى منقطعه (وسقط المرأة والنار) فيه اللغات الثلاث (والفتك والفتك والفتك) أن يقتل الرجل مجاهرة (الددن والددا والدد) اللعب (صفوه معك وصفوه وصفاه) شربت (شربا وشربا وشربا) وهذا (فم وفم وفم) وكان الأصمعى يروبه

* إذ تقلص الشفتان عن وضح الفم *

وشنئته (شنئا وشنئا وشنئا) ورجل (قزوقزوقز) للتقزز وهو (الزعم والزعم والزعم) وهو (الوجد والوجد والوجد) من المقدرة ورجل (ذوطب وطب وطب) أى حذق وهو (قلب النخلة وقلبها وقلبها) والصنم (نصب ونصب ونصب) مثل (العمر والعمر والعمر)
﴿ فعلة بثلاث لغات ﴾ كلمته (بحضرة فلان وحضرة وحضرة) قال

الكسائى وكلهم يقولون (بحضرة فلان) واليمين (الوة وألوة وألوة) و (رغوة اللبن ورغوة ورغوة) و (صفوة الشىء وصفوة وصفوة) فاذا نزعوا الهاء قالوا (صفو الشىء) ففتحوا لاغير قال الاصمعى (أخذت صفوة الشىء وصفوه) كما يقال للمصدر (برك وبركة) أوطأته (العشوة والعشوة والعشوه) وهى (الربوة والربوة والربوة)

المكان المرتفع وهى (وجنة ووجنة ووجنة) و (جذوة من النار وجذوة وجذوة) و (جثوة وجثوة وجثوة) وهى (الغشوة والغشوة والغشوة) وفيه (غلاظة وغلاظة وغلاظة) والحرب (خدعة وخدعة) زاد يونس وخدعة ﴿ فعال بثلاث لغات ﴾ هو (الزجاج والزجاج والزجاج) وهو مقطوع (النخاع والنخاع والنخاع) وهو الابيض الذى فى جوف الفقار (وقصاص الشعر وقصاص وقصاص) وهو (الوشاح والاشاح والوشاح) وفى طعامه (زوان وزؤان) مهموز (وزوان) وهو (جمام المكوك وجمام وجمام) صوان (وصوان وصيان) عن أبى زيد نحن منكم (براء وبراء وبراء) ﴿فعالة بثلاث لغات﴾ أتيته (ملاوة من الدهر وملاوة وملاوة) وهى (رغاوة اللبن ورغاية ورغاوة) و (الخلالة والخلالة والخلولة) مصدر خالله (سقط على حلاوة القفا وحلاوة القفا وحلاوى القفا)

﴿ ماجاء فيه ثلاث لغات من حروف مختلفة الابنية ﴾

هو (برقع وبرقع وبرقع) الخوصة (الابلمة والابلمة والابلمة) خاتم و(خيتام) وخاتام (سيما) مقصور و (سيماء) ممدود و(سيمياء) بزيادة الياء وهى لغة ثقيف بالمد عناق (تحلبة وتحلبة وتحلبة) للتى تحلب قبل أن تحمل عن أبى زيد

النوع أنك تعلم أين تضع يدك فى أخذ المعانى إذ لا يستغنى الآخر عن الاستعارة من الأول لكن لا ينبغى لك أن تعجل فى سبك اللفظ على المعنى المسروق فتنادى على نفسك بالسرقة فكثيرا ما رأينا من عجل فى ذلك فعثر وتعاطى فيه البديهة فعقر والاصل المعتمد عليه فى هذا الباب التورية والاختفاء بحيث يكون ذلك أخفى من سفاد الغراب وأظرف من عنقاء مغرب فى الاغراب وقد ذهب طائفة من العلماء الى أنه ليس لقائل أن يقول أن لأحد من المتأخرين معنى مبتدعا فان قول الشعر قديم منذ نطق باللغة العربية وأنه لم يبق معنى من المعانى إلا وقد طرق مرارا وهذا القول وان دخل فى حيز الامكان إلا أنه لا يلتفت اليه لأن الشعر من الأمور المتناقلة والذى نقلته الاخبار وتواردت عليه أن العرب كانت تنظم المقاطيع من الأبيات فيما يعن لها من الحاجات ولم يزل الحال على هذه الصورة الى عهد امرىء القيس وهو قبل الاسلام بمائة سنة زائدا فنا قصا فقصد القصائد وهو أول من قصد ولو لم يكن له معنى اختص به سوى أنه أول من قصد القصائد لكان فى ذلك كفاية وأى فضيلة أكبر من هذه الفضيلة ثم تتابع المقصدون واختير من القصائد تلك السبع التى علقت على البيت وانفتح للشعراء هذا الباب فى التقصيد وكثرت المعانى المقولة بسببه ولم يزل الامر ينمى ويزيد ويؤتى بالمعانى الغريبة واستمر ذلك الى عهد الدولة العباسية وما بعدها الى الدولة الحمدانية فعظم الشعر وكثرت أساليبه وتشعبت طرقه وكان ختامه على الثلاثة المتأخرين وهم أبو تمام حبيب بن أوس وأبو عبادة الوليد بن عبيد البحترى وأبو الطيب المتنبى فاذا قيل ان المعانى المبتدعة سبق اليها ولم يبق معنى مبتدع عورض ذلك بما ذكرته والصحيح أن باب الابتداع للمعانى مفتوح الى يوم القيامة ومن الذى يحجر على الخواطر وهى قاذفة بما لا نهاية له إلا أن من المعانى ما يتساوى الشعراء فيه ولا يطلق عليه اسم الابتداع لأول قبل آخر لان الخواطر تأتى به من غير حاجة الى اتباع الآخر الاول كقولهم فى الغزل

عفت الديار وما عفت * آثارهن من القلوب

وكقولهم ان الطيف يجود بما يبخل به صاحبه وان الواشى لو علم بزار الطيف لساءه وكقولهم فى المديح إن عطاءه كالبحر وكالسحاب وانه لا يمنع عطاء اليوم عطاء غد وانه يجود ابتداء من غير مسئلة وأشباه ذلك وكقولهم فى المراثى ان هذا الرزء أول حادث وانه استوى فيه الاباعد والاقارب وان الذاهب لم يكن واحدا وانما كان قبيلة وان بعد هذ الذاهب لا يعد للمنية ذنب وأشباه ذلك وكذلك يجرى الامر فى غير ما أشرت اليه من معان ظاهرة تتوارد الخواطر عليها من غير كلفة وتستوى فى إيرادها ومثل ذلك لا يطلق على الآخر فيه اسم السرقة من الاول وانما يطلق اسم السرقة فى معنى مخصوص كقول أبى تمام

لا تنكروا ضربى له من دونه * مثلا شرودا فى الندى والباس
فالله قد ضرب الاقل لنوره * مثلا من المشكاة والنبراس

فان هذا معنى مخصوص ابتدعه أبو تمام وكان لابتداعه سبب والحكاية فيه مشهورة وهى أنه لما أنشد أحمد بن المعتصم قصيدته السينية التى مطلعها ما فى وقوفك ساعة من باس * انتهى الى قوله

اقدام عمرو فى سماحة حاتم * فى حلم أحنف فى ذكاء إياس

﴿ ماجاء فيه أربع لغات من بنات الثلاثة ﴾ (العفو والعفو والعفو والعفا) ولد الحمار وأنشد * وطعن كتشهاق العفاهم بالنهق * ويقال (عضد وعضد وعضد وعضد) و (عجز وعجز وعجز وعجز) و (نطع ونطع ونطع ونطع) و (شغل وشغل وشغل وشغل) و (رحم ورحم ورحم ورحم) اسم (واسم وسم وسم) حما المرأة (وحموها) له مثل

فقال الحكيم الكندى وأى فخر فى تشبيه ابن أمير المؤمنين بأجلاف العرب فأطرق أبو تمام ثم أنشد هذين البيتين معتذرا عن تشبيهه إياه بعمرو وحاتم واياس وهذا معنى يشهد به الحال أنه ابتدعه فمن أتى من بعده بهذا المعنى أو بجزء منه فانه يكون سارقا له وكذلك ورد قول أبى الطيب المتنبى فى عضد الدولة وولديه

وأنت الشمس تبهر كل عين * فكيف وقد بدت معها اثنتان
فعاشا عيشة القمرين يحيى * بضوئهما ولا يتحاسدان
ولا ملكا سوى ملك الاعادى * ولا ورثا سوى من يقتلان
وكان ابنا عدو كاثراه * له ياءى حروف أنيسيان

وهذا معنى لأبى الطيب وهو الذى ابتدعه أى أن زيادة أولاد عدوك كزيادة التصغير فانها زيادة نقص وما ينبغى أن يقال إن ابن الرومى ابتدع هذا المعنى الذى هو

يشكى المحب ويلقى الدهر شاكيه * كالقوس تصمى الرمايا وهى مرنان

فان علماء البيان يزعمون أن هذا المعنى مبتدع لابن الرومى وليس كذلك ولكنه مأخوذ من المثل المضروب وهو قولهم يلدغ ويصى ويضرب ذلك لمن يبتدىء بالاذى ثم يشكو وانما ابن الرومى قد ابتدع معانى أخر غير ما ذكرته وليس الغرض أن يؤتى على جميع ماجاء به هو ولا غيره من المعانى المبتدعة بل الغرض أن يبين المعنى المبتدع من غيره والذى عندى فى السرقات أنه متى أورد الآخر شيئا من ألفاظ الاول فى معنى من المعانى ولو لفظة واحدة فان ذلك من أدل الدليل على سرقته (واعلم) أن علماء البيان قد تكلموا فى السرقات الشعرية فأكثروا وكنت ألفت فيه كتابا وقسمته ثلاثة اقسام نسخا وسلخا ومسخا أما النسخ فهو أخذ اللفظ والمعنى برمته من غير زيادة عليه مأخوذا ذلك من نسخ الكتاب وأما السلخ فهو أخذ بعض المعنى مأخوذا ذلك من سلخ الجلد الذى هو بعض الجسم المسلوخ وأما المسخ فهو إحالة المعنى الى مادونه مأخوذا ذلك من مسخ الآدميين قردة (وههنا قسمان آخران) أخللت بذكرها فى الكتاب الذى ألفته فأحدهما أخذ المعنى مع الزيادة عليه والآخر عكس المعنى الى ضده وهذان القسمان ليسا بنسخ ولا سلخ ولا مسخ وكل قسم من هذه الاقسام يتنوع ويتفرع وتخرج به القسمة الى مسالك دقيقة وقد استأنفت ما فاتنى من ذلك فى هذا الكتاب والله الموفق للصواب ومن المعلوم أن السرقات الشعرية لا يمكن الوقوف عليها إلا بحفظ الاشعار الكثيرة التى لا يحصرها عدد فمن رام الاخذ بنواصيها والاشتمال على قواصيها بأن يتصفح الاشعار تصفحا ويقتنع بتأملها ناظرا فانه لا يظفر منها إلا بالحواشى والاطراف وكنت سافرت الى الشام فى سنة سبع وثمانين وخمسمائة ودخلت مدينة دمشق فوجدت جماعة من أدبائها يلهجون ببيت من شعر ابن الخياط فى قصيد له أولها * خذا من صبا نجد أمانا لقلبه * ويزعمون أنه من المعانى الغريبة وهو

أغارا اذا آنست فى الحى أنة * حذارا عليه أن تكون لحبه

فقلت لهم هذا البيت مأخوذ من شعر أبى الطيب المتنبى فى قوله

لو قلت للدنف المشوق فديته * مما به لأغرته بفدائه

وقول

(الموتان والموتان والموات) هى (الاصبع والاصبع والاصبع والاصبع) قال الاصمعى الاضحية فيها أربع لغات (أضحية وإضحية) وجمعها أضاحى (وضحية) وجمعها ضحايا (وأضحاة) وجمعها أضحى كما يقال أرطاة وأرطى قال وبه سمى يوم الاضحى وجاء فى الحديث ان على كل امرىء فى كل عام أضحاة وعتيرة فلان (نجىء العين على فعيل) و (نجوء العين) على فعول (ونجىء العين) على فعل و(نجؤ العين) على فعل اذا كان شديد العين يقال قد نجأته بعينى وردوا نجأة السائل بشىء سمحت (قرونه وقرينه وقرونته وقرينته) أى تبعته نفسه

﴿ ماجاء فيه خمس لغات من حروف مختلفة الابنية ﴾

(الشمال والشمأل والشامل والشمل والشمل) أفرة الحر (وفره وأفره وعفرة وعفرة) وهى شدة الحر ويقال فيه طال (طولك وطيلك وطولك وطيلك وطوالك)

﴿ ماجاء فيه ست لغات ﴾

(فسطاط وفسطاط وفستاط وفساط وفساط) رغوة اللبن (ورغوة ورغوة ورغاوة ورغاوة ورغاية)

وقول أبى الطيب أدق معنى و إن كان قول ابن الخياط أرق لفظا ثم انى وقفتهم على مواضع كثيرة من شعر ابن الخياط قد أخذها من شعر المتنبي وسافرت إلى الديار المصرية فى سنة ست وتسعين فوجدت أهلها يعجبون ببيت من الشعر يعزونه إلى شاعر من أهل اليمن يقال له عمارة وكان حديث عهد بزماننا هذا فى آخر الدولة العلوية بمصر وذلك البيت من جملة قصيدة له يمدح بها بعض خلفائها عند قدومه عليه من اليمن وهو

فهل درى البيت أنى بعد فرقته * ماسرت من حرم إلا إلى حرم

فقلت لهم هذا البيت مأخوذ من شعر أبى تمام فى قوله مادحا لبعض الخلفاء فى حجة حجها وذلك بيت من جملة أبيات حسنة

يامن رأى حرما يسرى إلى حرم * طوبى لمستلم يأتى وملتزم

ثم قلت فى نفسى يالله العجب ليس أبو تمام وأبو الطيب من الشعراء الذين درست أشعارهم ولاهما ممن لم يعرف ولا اشتهر أمره بل هما كما يقال أشهر من الشمس والقمر وشعرهما دائر فى أيدى الناس بخلاف غيرهما فكيف خفى على أهل مصر ودمشق بيتا ابن الخياط وعمارة المأخوذان من شعرهما وعلمت حينئذ أن سبب ذلك عدم الحفظ للاشعار والاقتناع بالنظر فى دواوينهما ولما نصبت نفسى للخوض فى علم البيان ورمت أن أكون معدودا من علمائه علمت أن هذه الدرجة لا تنال إلا بنقل مافى الكتب إلى الصدور والاكتفاء بالمحفوظ عن المسطور

ليس بعلم ماحوى القمطر * ماالعلم إلا ماحواه الصدر

ولقد وقفت من الشعر على كل ديوان ومجموع وأنفدت شطرا من العمر فى المحفوظ منه والمسموع فألفيته بحراً لا يوقف على ساحله وكيف ينتهى إلى احصاء قول لم تحص أسماء قائله فعند ذلك اقتصرت منه على ماتكثر فوائده وتتشعب مقاصده ولم أكن ممن أخذ بالتقليد والتسليم فى اتباع من قصر نظره على الشعر القديم إذ المراد من الشعر إنما هو إيداع المعنى الشريف فى اللفظ الجزل واللطيف فمتى وجد ذلك فكل مكان خيمت فهو بابل وقد اكتفيت فى هذا بشعر أبى تمام حبيب بن أوس وأبى عبادة الوليد وأبى الطيب المتنبي وهؤلاء الثلاثة هم لات الشعر وعزاه ومناته الذين ظهرت على أيديهم حسناته ومستحسناته وقد حوت أشعارهم غرابة المحدثين إلى فصاحة القدماء وجمعت بين الامثال السائرة وحكمة الحكماء (أما أبو تمام) فانه رب معان وصيقل ألباب وأذهان وقد شهد له بكل معنى مبتكر لم يمش فيه على أثر فهو غير مدافع عن مقام الاغراب الذى برز فيه على الاضراب ولقد مارست من الشعر كل أول وأخير ولم أقل ما أقول فيه إلا عن تنقيب وتنقير فمن حفظ شعر الرجل وكشف عن غامضه وراض فكره برائضه أطاعته أعنة الكلام وكان قوله فى البلاغة ماقالت حذام فخذمنى فى ذلك قول حكيم وتعلم ففوق كل ذى علم عليم (وأما أبو عبادة البحترى) فانه أحسن فى سبك اللفظ على المعنى وأراد أن يشعر فغنى ولقد حاز طرفى الرقة والجزالة على الاطلاق فبينا يكون فى شظف نجد اذ تشبث بريف العراق وسئل أبو الطيب المتنبي عنه وعن أبى تمام وعن نفسه فقال أنا وأبو تمام حكيمان والشاعر البحترى ولعمرى أنه أنصف فى حكمه وأعرب بقوله هذا عن متانة علمه فان أبا عبادة أتى فى شعره

يقال (أرز وأرز وأرز) مثل كتب و (أرز) مثل كتب و (رزور نز) هو العبد (زُمّة وزِمّة وزلمة وزِلمة وزلمة وزنمة) ﴿معانى أبنية الاسماء﴾ كل اسم على فعلان فمعناه الحركة والاضطراب نحو (ضربان) و(نزوان) و(غليان) و(جولان) و(طيران) و (لهبان النار) و (قفزان) و(نقزان) و(نغزان) و(خطران) و(لمعان) و(وهجان النار) و(دوران) و (طوفان) وأشباه ذلك كثيرة وقد شذ منه شيء قالوا (الميلان وموتان الأرض) وليس هما من الحركة فى شيء وقال هذا البناء لا يجيء فعله يتعدى الفاعل الا أن يشذ شيء قالوا (شنئته شنآنا) قال وفعلان كثيراً ما يأتى فى الجوع والعطش وما قاربهما قالوا (ظمآن وعطشان) و(صديان) و(هيمان) بمعنى (عطشان) وقالوا (جوعان) و (غرثان) و (علهان) وهو الشديد الغرث والحرص على الطعام ورجل (شهوان) للطعام و(عيمان) إلى اللبن وقالوا (قرم إلى اللحم) فأخرجوه من هذه البنية وجعلوه بمنزلة الداء كما قالوا (دوو وجع) قال ومما قارب هذا المعنى فبنوه بناءه (لهفان) و (حران) و (ثكلان) و (غضبان) و(غيران) و (خزيان) قال ومما ضاد هذا المعنى فبنوه بناءه (شبعان) و (ريان) و (ملآن) و (سكران) قال سيبويه و(حيران) فى معنى سكران لأن كليهما مرتج عليه قال وفعل يأتى فى الأدواء وما قارب معناها يقال (وجع) و (دو) و (حبط) و (حبج) و(لو) و(وج) و(عمى قلبه) فهو (عم) جعل العمى فى القلب بمنزلة (الادواء) وكذلك (وجل) وأشباهه مما يكون من الذعر والخوف شبه به لأنه داء أصاب قلبه نحو (فرق) و (وجل)

نحو (فزع) وقالوا (جرب) و (شعث) و (حمق وقمس) و (كدر) و (خشن) وقالوا (سهك) و (لحن) و (لكد) و (لكن) و (قثم) و (حسك) كل هذا للشىء يتغير من الوسخ و يسود جعلوه كالداء لانه عيب وشبيه بذلك ماتعقد ولم يسهل نحو (عسر) و (شكس) و (لقس) و (ضبس) و (لحز) و (نكد) و (لحج) لأن هذه أشياء مكروهة فجعلت كالادواء وقد يدخل فعيل على فعل في بعض هذا البناء قالوا (سقيم) و (مريض) و (حزين) ويدخل أفعل عليه قالوا (شعث وأشعث) و (جرب وأجرب) و (حمق وأحمق) و (قمس وأقمس) وجاءت أشياء مضادة لما ذكرنا فبنوها على فعل قالوا (أشر) و (بطر) و (فرح) و (بهج) و (جذل) و (سكر) وأدخل فعيل على فعل كما أدخل فى الباب الأول فقالوا (نشيط) وقد يأتى فعل أيضا فيما كان معناه الهيج قالوا (أرج) تحرك الريح وسطوعها ورجل (حمس) إذا هاج به الغضب و (قلق) و (نزق) لانه خفة وتحرك و (غلق) لانه طيش وخفة و (سلس) لانه ضد العسر و (لحج) فبنى بناءه ويقال فى هذا كله فعل يفعل

﴿والصفات بالالوان تأتى على أفعل﴾

نحو (أدم) و (أعيس) و (أصهب) و (أكهب) و (أقهب) و (أشهب) و (أصدأ) و (أسود) و (أحمر) و (أصفر) و (أخضر) و (أبقع) و (أبلق) هذا الاكثر وقد جاء منها شىء على غير ذلك قالوا (جون) وقد و (ورد) و (خصيف) ﴿والافعال تأتى على فعل﴾ نحو (صهب) و (أدم) و (كهب) وعلى فعل نحو (صدىء) وعلى أفعال نحو (احمار) و (اصفار) وافعل نحو (احمر) و (اصفر) و (اخضر) ﴿والصفات بالعيوب والادواء﴾ قد تأتى على أفعل نحو (أزرق)

بالمعنى المقدود من الصخرة الصماء فى اللفظ المصوغ من سلاسة الماء فأدرك بذلك بعد المرام مع قربه إلى الافهام وما أقول إلا أنه أتى فى معانيه بأخلاط الغالية ورقى فى ديباجة لفظه إلى الدرجة العالية (وأما أبو الطيب المتنبى) فانه أراد أن يسلك مسلك أبى تمام فقصرت عنه خطاه ولم يعطه الشعر من قياده ما أعطاه لكنه حظى فى شعره بالحكم والأمثال واختص بالابداع فى وصف مواقف القتال وأنا أقول قولا لست فيه متأثما ولا منه متلثما وذلك أنه إذا خاض فى وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها وأشجع من أبطالها وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها حتى تظن الفريقين قد تقابلا والسلاحين قد تواصلا فطريقه فى ذلك تضل بسالكه وتقوم بعذر تاركه ولاشك أنه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة ابن حمدان فيصف لسانه ماأدى إليه عيانه ومع هذا فانى رأيت الناس عادلين فيه عن سنن التوسط فاما مفرط فى وصفه وإما مفرط وهو وان انفرد بطريق صار أبا عذرة فان سعادة الرجل كانت أكبر من شعره وعلى الحقيقة فانه خاتم الشعراء ومهما وصف به فهو فوق الوصف وفوق الاطراء ولقد صدق فى قوله من أبيات يمدح بها سيف الدولة

لاتطلبن كريما بعد رؤيته * إن الكرام باسخاهم يدا ختموا
ولا تبال بشعر بعد شاعره * قد أفسد القول حتى أحمد الصمم

ولما تأملت شعره بعين المعدلة البعيدة عن الهوى وعين المعرفة التى ماضل صاحبها وما غوى وجدته أقساما خمسة خمس فى الغاية التى انفرد بها دون غيره وخمس من جيد الشعر الذى يساويه فيه غيره وخمس من متوسط الشعر وخمس دون ذلك وخمس فى الغاية المتقهقرة التى لايعبأ بها وعدمها خير من وجودها ولولم يقلها أبو الطيب لوقاه الله شرها فانها هى التى ألبسته لباس الملام وجعلت عرضه شارة لسهام الاقوال ولسائل ههنا أن يسأل ويقول لم عدلت إلى شعر هؤلاء الثلاثة دون غيرهم فأقول إنى لم أعدل اليهم اتفاقا وإنما عدلت اليهم نظرا واجتهادا وذلك أنى وقفت على أشعار الشعراء قديمها وحديثها حتى لم أترك ديوانا لشاعر مفلق يثبت شعره على المحك إلا وعرضته على نظرى فلم أجد أجمع من ديوان أبى تمام وأبى الطيب للمعانى الدقيقة ولا أكثر استخراجا منهما للطيف الاغراض والمقاصد ولم أجد أحسن تهذيبا للالفاظ من أبى عبادة ولا أنقش ديباجة ولا أبهج سبكا فاخترت حينئذ دواوينهم لاشتمالها على محاسن الطرفين من المعانى والالفاظ ولما حفظتها ألغيت ماسواها مع مابقى على خاطرى من غيرها (وقد أوردت) فى هذا الموضع من السرقات الشعرية مالم يورده غيرى ونبهت على غوامض منها وكنت قدمت القول أنى قسمتها إلى خمسة أقسام منها الثلاثة الأول وهى النسخ والسلخ والمسخ ومنها القسمان الآخران وها أنا أبين ماتنقسم إليه هذه الاقسام من تشعبها وتفريعها فأقول (أما النسخ) فانه لايكون إلا فى أخذ المعنى واللفظ جميعا أوفى أخذ المعنى وأكثر اللفظ لانه مأخوذ من نسخ الكتاب وعلى ذلك فانه ضربان (الأول) يسمى وقوع الحافر على الحافر كقول امرىء القيس

وقوفا بها صحبى على مطيهم * يقولون لاتهلك أسى وتجمل

وكقول طرفة

وقوفا بها صحبى على مطيهم * يقولون لاتهلك أسى وتجلد

وقد أكثر الفرزدق وجرير من هذا فى شعرهما فمنه ماورد فيه مورد امرىء القيس وطرفة فى تخالفهما فى لفظة واحدة كقول الفرزدق

أتعدل احسابا لئاما حماتها * بأحسابنا إنى إلى الله راجع

وكقول جرير أتعدل احسابا كراما حماتها * بأحسابكم إنى إلى الله راجع

(ومنه) ماتساويا فيه لفظا بلفظ كقول الفرزدق

وغرقد وسقت مشمرات * طوالع لا تطيق لها جوابا
بكل ثنية وبكل ثغر * غرائبهن تنتسب انتسابا
بلغن الشمس حين تكون شرقا * ومسقط رأسها من حيث غابا

وكذلك قال جرير من غير أن يزيد وقد حكى أن امرأة من عقيل يقال لها ليلى كان يتحدث إليها الشباب فدخل الفرزدق إليها وجعل يحادثها وأقبل فتى من قومها كانت تألفه فدخل إليها فأقبلت عليه وتركت الفرزدق فغاظه ذلك فقال للفتى أتصارعنى فقال ذاك اليك فقام اليه فلم يلبث أن أخذ الفرزدق فصرعه وجلس على صدره فضرط فوثب الفتى عنه وقال يا أبا فراس هذا مقام العائذ بك والله ما أردت ماجرى فقال ويحك والله ما بى أنك صرعتنى ولكن كأنى بابن الاتان يعنى جريرا وقد بلغه خبرى فقال يهجونى

جلست إلى ليلى لتحظى بقربها * فخانك دبر لا يزال يخون
فلو كنت ذا حزم شددت وكاءه * كما شد جربان الدلاص قيون

قال فوالله مامضى إلا أيام حتى بلغ جريرا الخبر فقال فيه هذين البيتين وهذا من أغرب مايكون فى مثل هذا الموضع وأعجبه و يقال إن الفرزدق وجريرا كانا ينطقان فى بعض الاحوال عن ضمير واحد وهذا عندى مستبعد فان ظاهر الامر يدل على خلافه والباطن لا يعلمه إلا الله تعالى والا فاذا رأينا شاعرا متقدم الزمان قد قال قولا ثم سمعناه من شاعر أتى من بعده علمنا بشهادة الحال أنه أخذه منه وهب أن الخواطر تتفق فى استخراج المعانى الظاهرة المتداولة فكيف تتفق الالسنة أيضا فى صوغها الالفاظ (ومما كنت أستحسنه) من شعر أبى نواس قوله من قصيدته التى أولها * دع عنك لومى فان اللوم اغراء *

دارت على فتية ذل الزمان لهم * فما يصيبهم إلا بما شاؤا

وهذا من عالى الشعر ثم وقفت فى كتاب الاغانى لابى الفرج على هذا البيت فى أصوات معبد وهو

لهفى على فتية ذل الزمان لهم * فما أصابهم إلا بما شاؤا

وما أعلم كيف هذا ﴿ الضرب الثانى من النسخ ﴾ وهو الذى يؤخذ فيه المعنى وأكثر اللفظ كقول بعض المتقدمين يمدح معبدا صاحب الغناء

أجاد طويس والسريجى بعده * وما قصبات السبق إلا لمعبد

ثم قال أبو تمام محاسن أصناف المغنين جمة * وما قصبات السبق إلا لمعبد

وهذه قصيدة أولها * غدت تستجير الدمع خوف نوى غد * فقال

وقائع أصل النصر فيها وفرعه * إذا عدد الاحسان أولم يعدد

و (أحمر) و (أعور) و (أشتر) و (أدر) و (أصلع) و (أقطع) و (أجذم) وهو المقطوع اليدو (أجبن) و (أشل) و (أثول) و (أهوج) و (أشيب) و (أشمط) و (أرسخ) و (أوقص) و (أميل) و (أصيد) وقد يبنون ضد هذا الاسم من هذه الأسماء على بنيتيه فيقولون (أسته) كما يقولون (أرسخ) و يقولون (أفرع) للوافى الشعر كما يقولون (٣١٥) (أصلع) و يقولون (فرس أحزم) كما يقولون (أهضم) و يقولون (آذن) كما يقولون (أسك) و يقولون للغليظ (الرقبة أرقب) و (أغلب) كما قالوا (أوقص) وقالوا (أزب) و (اشعر) كما قالوا (أجرد)

﴿ والأفعال تأتى فى هذا الباب من العيوب على فعل ﴾ نحو (عور) و (شتر) و (صلع) و (قطع) و (أدر) و (جبن) و (هوج) وشذ منه شىء فقالوا (مال) فى الاميل والقياس (ميل) وقالوا فى الأشيب (شاب) شبهوه (بشاخ) والقياس (شيب) مثل (صيد يصيد) و (شمط يشمط)

﴿ وقالوا الأدواء إذا كانت على فعال ﴾ أتت بضم الفاء مثل (القلاب) و (الخمال) و (النحاز) و (الدكاع) و (السهام) و (السكات) و (الصفار) و (الصداع) و (الكباد) و (البوال) و (الدوار) و (الخمار) لأنه داء و (العطاش) و (الهيام) يقال (عطاش عطشا) واذا كان العطش يعتريه كثيرا قالوا به (عطاش) وتقول (قاء يقىء قيأ) فاذا كان القىء يعتريه كثيرا قالوا (به قياء) وتقول (قام يقوم قياما كثيرا) إذا أردت أنه يختلف إلى المتوضأ فان أردت اسم مابه قلت (به قوام) هذا كله وأشباهه بضم الفاء من فعال إلا حرفا واحدا كان أبو عمرو الشيبانى يفتح أوله وتابعه على ذلك عمارة وهو (السواف) داء من أدواء الابل وكان الاصمعى يضم أوله و يلحقه بأمثاله من الادواء

فهما تكن من وقعة بعدلا تكن * سوى حسن مما فعلت مردد

محاسن أصناف المغنين جمة * البيت ﴿ وأما السلخ ﴾ فانه ينقسم إلى اثنى عشر ضربا وهذا تقسيم أوجبته القسمة وإذا تأملته علمت أنه لم يبق شيء خارج عنه (فالأول) أن يؤخذ المعنى و يستخرج منه مايشبهه ولا يكون هو اياه وهذا من أدق السرقات مذهبا وأحسنها صورة ولا يأتى إلا قليلا فمن ذلك قول بعض شعراء الحماسة

لقد زادنى حبا لنفسى أننى * بغيض إلى كل امرىء غير طائل

أخذ المتنبي هذا المعنى واستخرج منه معنى آخر غيره إلا أنه شبيه به فقال

وإذا أتتك مذمتى من ناقص * فهى الشهادة لى بأنى فاضل

والمعرفة بأن هذا المعنى أصله من ذلك المعنى عسر غامض وهو غير متبين إلا لمن أعرق فى ممارسة الأشعار وغاص فى استخراج المعانى و بيانه أن الأول يقول إن بغض الذى هو غير طائل إياى مما زاد نفسى حبا إلى أى جملها فى عينى وحسنها عندى كون الذى هو غير طائل مبغضى والمتنبي يقول ان ذم الناقص إياى شاهد بفضلى فذم الناقص إياه كبغض الذى هو غير طائل ذلك الرجل وشهادة ذم الناقص إياه بفضله كتحسين بغض الذى هو غير طائل نفس ذلك الرجل عنده ومن هذا الضرب ماهو أظهر مما ذكرته وأبين كقول أبى تمام

رعته الفيافى بعد ما كان حقبة * رعاها وماء الروض ينهل ساكبه

أخذ البحترى هذا المعنى واستخرج منه مايشابهه كقوله فى قصيدة يفخر فيها بقومه

شيخان قد ثقل السلاح عليهما * وعداهما رأى السميع المبصر

ركبا القنا من بعد ما حملا القنا * فى عسكر متحامل فى عسكر

فأبو تمام ذكر أن الجمل رعى الأرض ثم سار فيها فرعته أى أهزلته فكأنها فعلت به مثل مافعل بها والبحترى نقل هذا إلى وصف الرجل بعلو السن والهرم فقال انه كان يحمل الرمح فى القتال ثم صار يركب عليه أى يتوكأ منه على عصا كما يفعل الشيخ الكبير وكذلك ورد قول الرجلين أيضا فقال أبو تمام

لا أظلم النأى قد كانت خلائقها * من قبله وشك النوى عندى نوى قذفا

أخذه البحترى فقال

أعاتك ما كان الشباب مقربى * اليك فالحى الشيب إذ هو مبعدى

وهذا أوضح من الذى تقدمه وأكثر بيانا (الضرب الثانى من السلخ) أن يؤخذ المعنى مجردا من اللفظ وذلك مما يصعب جدا ولا يكاد يأتى إلا قليلا فمنه قول عروة بن الورد من شعراء الحماسة

ومن يك مثلى ذا عيال ومقترا * من المال يطرح نفسه كل مطرح

ليبلغ عذراً أو ينال رغيبة * ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

أخذ أبو تمام هذا المعنى فقال

فتى مات بين الضرب والطعن ميتة * تقوم مقام النصر إذ فاته النصر

فعروة بن الورد جعل اجتهاده فى طلب الرزق عذرا يقوم مقام النجاح وأبو تمام جعل الموت فى

الحرب

﴿ وقد تأتى الأدواء على غير فعال ﴾ قالوا (الحبط) و (الغدة) و (الحبج) ﴿ قالوا والأصوات كلها إذا كانت على فعال ﴾ بضم الفاء نحو (الرغاء) و (الدعاء) و (البكاء) و (الحداء) و (الصراخ) و (النباح) و (الهتاف) قال و (الصياح) يضم أوله و يكسر وكذلك (النداء) يضم أوله ويكسر قال الفراء من كسرهما جعلهما مصدراً لفاعلت إلا الغناء فانه جاء مكسور الأول لا يضم (والغواث والغواث) من الاستغاثة يضم أوله ويفتح ﴿ قال وأكثر الأصوات يأتى على فعيل ﴾ نحو (الهدير) و (الهرير) و (النهيق) و (الشحيج) و (السحيل) و (الصهيل) و (القليخ) و (النبيج) و (الضغيب) ﴿ وقد أدخلوا فعالا على على فعيل ﴾ فى أكثر الاصوات فقالوا (النهاق والنهيق) و (الشحاج والشحيج) و (النباح و (النبيح) و (الضغاب والضغيب) و (السحال والسحيل) ﴿ قال وفعال يأتى كثيراً فيما يرفض و ينبذ ﴾ نحو (رفات) و (حطام) و (جذاذ) و (فضاض) و (فتات) و (رذال) قال و (فعالة) تأتى كثيرا فى فضلة الشيء وفيما يسقط (فالنخالة) اسم ماوقع عن النخل و (النحاتة) اسم ماوقع عن النحت و (القوارة) اسم ما وقع عن التقوير و (قلامة الظفر) اسم ماوقع عن التقليم و (السحالة) اسم ما وقع عن السحل و (الخلالة) اسم ماوقع عن التخلل من الفم و (الكساحة) اسم ما نبذ عن الكسح وكذلك (القمامة) اسم ماوقع عن القم وهو الكسح و (الفضالة) اسم ما بقى بعد الأخذ و (النفاية) اسم ما بقى بعد الاختيار ﴿ قال و بنو النقاوة من الشيء ﴾ (بنا النفاية إذا كان ضده لانهم كثيرا ما يبنون الشيء على بناء ضده ﴿ قال وفعالة تأتى كثيرا فى الصناعات والولايات ﴾ (كالقصارة)

و (النجارة) و (الخياطة) والوكالةو (الوصاية)و (الجراية)و (الخلافة)و(الامارة)و (النكابة) وهى(العرافة) و (السعاية) ولاية الصدقات و(الابالة)حسن القيام على الابل و(العرافة)و (السياسة) ﴿ قال والصناعة انما هى بمنزلة الولاية للشىء والقيام به) فلذلك جمع بينهما فى البنا ﴿ قال وقد جاء فعال فى أشياء تقاربت معانيها فجىء بها على مثال واحد ﴾ وهو(الفرار) و (الشراد) و (النفار) و(الشماس) و(الطماح و(الضراح)مشبه بذلك و(الضرح) الرمح(ضرح) أى رمح لأنه اذا ضرح باعدك و(الشباب)مشبه بالشماس و (الخراط) مشبه بالشراد و(العضاض) مشبه بالضراح وقالوا (الحران) فى الخيل و(الخلاء) فى النوق فجاءوا بهما على هذا المثال لأنهما فرق وتباعد من شىء يهاب ولأنهما فى العيوب بمنزلة ماتقدم

﴿ قال وقد يأتى فعال فى الوسوم ﴾ نحو (العلاط) و (الخباط) و(العراض) و(الجناب) و(الكشاح) وهذه أسماء آثار الوسوم والمصدر يأتى على فعل نحو خبطته (خبطا) وكشحته (كشحا)

﴿ قال وقد يأتى فعال فى الهياج ﴾ نحو(النزاع) لانه يهيج فيذكر و(الهياب و(الصراف) فى الشاء و (الكلاب)

﴿ وقد تأتى فعال فى أشياء بلغت الغاية ﴾ نحو (الصرام)و(الجزاز)و (الجداد)و (الحصاد)و (القطاع)و(القطاف) وقد جاءت هذه كلها على فعال بالفتح والمصدر يأتى على فعل ﴿ قال والاسماء التى بنيت على فعيل ﴾ تجىء وأضدادها على بناء واحد وما أقل مايختلف قالوا (كثير) و(قليل) و (كبير)و (صغير) و (ثقيل) و (خفيف) و (بطىء) و(سريع) و (شريف) و (وضيع) و (قوى)

الحرب الذى هو غاية اجتهاد المجتهد فى لقاء العدو قائما مقام الانتصار وكلا المعنيين واحد غير أن اللفظ مختلف وهذا الضرب فى سرقات المعانى من أشكلها وأدقها وأغربها وأبعدها مذهبا ولا يتفطن له و يستخرجه من الأشعار الا بعض الخواطر دون بعض وقد يجىء منه ماهو ظاهر لا يبلغ فى الدقة مبلغ هذه الابيات المشار اليها كقول ابن المقفع فى باب الرثاء من كتاب الحماسة

فقد جر نفعا فقدنا لك اننا * أمنا على كل الرزايا من الجزع

وجاء بعده من أخذ هذا المعنى فقال

وقد عزى ربيعة أن يوما * عليها مثل يومك لا يعود

وهذا من البديع النادر وههنا ماهو أشد ظهورا من هذين البيتين فى هذا الضرب من السرقات الشعرية وذلك يأتى فى الالفاظ المترادفة التى يقوم بعضها مقام بعض وذاك الاعتداد به لمكان وضوحه لكن قد يجىء منه ماهو صفة من صفات الترادف لا الاسم نفسه فيكون حسنا كقول جرير ولا يمنعك من أرب لحاهم * سواء ذو العمامة والخمار

أخذ أبو الطيب المتنبى هذا المعنى فقال

ومن فى كفه منهم قناة * كمن فى كفه منهم خضاب

(الضرب الثالث من السلخ) وهو أخذ المعنى و يسير من اللفظ وذلك من أقبح السرقات وأظهرها شناعة على السارق فمن ذلك قول البحترى فى غلام

فوق ضعف الصغير ان وكل الامـ * ـر اليه ودون كيد الكبار

سبقه أبو نواس فقال

لم يخف من كبر عما يراد به * من الامور ولا أزرى من الصغر

وكذلك قوله أيضا كل عيد له انقضاء وكفى * كل يوم من جوده فى عيد

أخذه من على بن جبلة

للعيد يوم من الايام منتظر * والناس فى كل يوم منك فى عيد

وكذلك قوله جاد حتى أفنى السؤال فلما * باد منا السؤال جاد ابتداء

أعطيت حتى لم تدع لك سائلا * وبدأت اذ قطع العفاة سؤالها

وقد افتضح البحترى فى هذه المآخذ غاية الافتضاح هذا على بسطة باعه فى الشعر وغناه عن مثلها وقد سلك هذه الطريق فحول الشعراء ولم يستنكفوا من سلوكها فمن فعل ذلك أبو تمام فانه قال قد قلصت شفتاه من حفيظته * فخيل من شدة التعبيس مبتسما

سبقه عبد السلام بن رغبان المعروف بديك الجن فقال

واذا شئت أن ترى الموت فى صو * رة ليث فى لبدتى رئبال

فالقه غير أنما لبدتاه * أبيض صارم وأسمر عال

تلق ليثا قد قلصت شفتاه * فيرى ضاحكا لعبس الصيال

وكذلك قال أبو تمام فلم أمدحك تفخيما بشعرى * ولكنى مدحت بك المديحا

أخذه من حسان بن ثابت فى مدحه للنبى صلى الله عليه وسلم حيث قال

ما ان مدحت محمدا بمقالتي * لكن مدحت مقالتي بمحمد

ولاشك أن أبا بكر رضي الله عنه سمع قول حسان حيث استخلف عمر رضي الله عنه فقال له عمر استخلف غيري فقال أبو بكر رضي الله عنه ماحبوناك بها وانما حبوناها بك وهكذا فعل ابن الرومي فمما جاء له قوله

جرحته العيون فاقتص منها * بجوى في القلوب دامي الندوب

سبقه أبو تمام فقال أدميت باللحظات وجنته * فاقتص ناظره من القلب

وكذلك قول ابن الرومي

وكلت مجدك في اقتضائك حاجتي * وكفى به متقاضيا ووكيلا

سبقه أبو تمام فقال واذا المجد كان عوني على المر * ء تقاضيته بترك التقاضي

وكذلك قال ابن الرومي ومالي عزاء عن شبابي علمته * سوى أنني من بعده لا أخلد

سبقه منصور النمري فقال

قد كدت أقضي على فوت الشباب أسا * لولا تعزي ان العيش منقطع

وكذلك فعل أبو الطيب المتنبي فما جاء منه قوله

فدى نفسه بضمان النضار * وأعطى صدور القنا الذابل

أخذه من قول الفرزدق كان الفداء له صدور رماحنا * والخيل اذرهج الغبار مثار

وكذلك قوله أيضا أين ازمعت أيهذا الهمام * نحن نبت الربا وأنت الغمام

أخذه من بشار حيث قال

كأن الناس حين تغيب عنهم * نبات الارض أخطأه القطار

وكذلك قوله فلا زالت ديارك مشرقات * ولا دانيت ياشمس الغروبا

لأصبح آمنا فيك الرزايا * كما أنا آمن فيك العيوبا

أخذه من ابن الرومي حيث قال

أسالم قد سلمت من العيوب * ألا فاسلم كذاك من الخطوب

والذي عندي في الضرب المشار اليه أنه لابد من مخالفة المتأخر المتقدم إما بأن يأخذ المعنى فيزيده معنى آخر أو يوجز في لفظه أو يكسوه عبارة أحسن من عبارته (ومن هذا الضرب) مايستعمل على وجه يزداد قبحه وتكثر البشاعة به وهو أن يأخذ أحد الشاعرين معنى من قصيدة لصاحبه على وزن وقافية فيودعه قصيدة له على ذلك الوزن وتلك القافية ومثاله في ذلك كمن سرق جوهرة من طوق أو نطاق ثم صاغها في مثل ماسرقها منه والأولى به ان كان نظم تلك الجوهرة في عقد أو صاغها في سوار أو خلخال ليكون أكتم لأمرها وممن فعل ذلك من الشعراء فافتضح أبو الطيب المتنبي حيث قال في قصيدته التي أولها * غيري بأكثر هذا الناس ينخدع

لم يسلم الكر في الأعقاب مهجته * ان كان أسلمها الأصحاب والشيع

وهذه القصيدة مصوغة على قصيدة لأبي تمام في وزنها وقافيتها أولها

أي القلوب عليكم ليس ينصدع * وهذا المعنى الذي أورده أبو الطيب مأخوذ من بيت منها وهو

و (ضعيف) و (كريم) (ولئيم) و (عزيز) و (ذليل) و (غني) و (فقير) و (سعيد) و (شقي) و (قبيح) و (مليح) و (وسيم) و (دميم) و (غوي) و (رشيد) و (قديم)و (حديث) و (طويل) و (قصير) و (سخي) و (شحيح) و (غليظ)و (دقيق) و (ثخين)و (رقيق) و (حليم) و (سفيه) و (دنيء) و (رفيع) و (بطين)و (خميص) وقالوا (جميل)و (سمج) و (سميج) وقالوا (عظيم) ولم يأت له ضد استغنوا بضد مثله عن ضده وهو (كبير) وضده (صغير) وقالوا (سمين) ولم يأت له ضد على بنائه فأما قولهم (هزيل) فانما هو فعيل بمعنى مفعول وقالوا (شديد) ولم يأت له ضد استغنى بضد مثله عن ضده مثل (قوي) و (ضعيف)وقد جاءت أشياء على غير هذا البناء قالوا (حسن)ولم يقولوا حسين كما قالوا (جميل)وقالو (جريء) و (شجيع) ولم يقولوا جبين من الجبان وقالوا (عظيم) ولم يقولوا (ضخيم)وقالوا (كبيش) فاستغنوا بضد مثله عن ضده مثل (سريع) و (بطيء) وقالوا (لبيب) ولا ضد له استغنى بضد مثله عن ضده وهو (عاقل وجاهل) وقالوا (شحيح وضنين وبخيل) ولم يأت في ضد ذلك (الاسخى) على هذا البناء قال وليس اسم من هذه الافعال التي لحقتها الزوائد يكون أبدا الاصفة ماغاب الا ما كان من مفعل فانه جاء اسما في (مخدع) ونحوه (شواذ البناء) قال سيبويه ليس في الاسماء ولا في الصفات فعل ولا تكون هذه البنية الا للفعل قال لي أبو محمد قال لي أبو حاتم السجستاني سمعت الاخفش يقول قد جاء على فعل حرف واحد وهو (الدئل) وقال هي دويبة

صغيرة تشبه ابن عرس قال وأنشدني الاخفش جاءوا بجمع لو قيس مغرسه * ما كان الا كمغرس الدئل قال وبها سميت قبيلة أبي الاسود الدؤلي وهي من كنانة الا أنك إذا نسبت الى (الدئل) قلت (الدؤلي) ففتحت استثقالا لكسرتين بعد ضمة ويائي النسب وكذلك ينسب الى (ابل) فتقول (ابلي) ويستثقلون تتابع الكسرات (٣١٩) ويائي النسب وقال سيبويه

ماغاب عنكم من الاقدام أكرمه * في الروع إذ غابت الانصار والشيع

وليس في السرقات الشعرية أقبح من هذه السرقة فانه لم يكتف الشاعر فيها بأن يسرق المعنى حتى ينادي على نفسه أنه قد سرقه (الضرب الرابع من السلخ) وهو أن يؤخذ المعنى فيعكس وذلك حسن يكاد يخرجه حسنه عن حد السرقة فمن ذلك قول أبي نواس

قالوا عشقت صغيرة فأجبتهم * أشهى المطي إلى مالم يركب

كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة * لبست وحبة لؤلؤ لم تثقب

فقال مسلم بن الوليد في عكس ذلك

ان المطية لايلذ ركوبها * حتى تذلل بالزمام وتركبا

والحب ليس بنافع أربابه * حتى يفصل في النظام ويثقبا

ومن هذا الباب قول ابن جعفر

ولما بدا لي أنها لاتريدني * وأن هواها ليس عني بمنجلي

تمنيت أن تهوى سواي لعلها * تذوق صبابات الهوى فترق لي

وقال غيره ولقد سرني صدودك عني * في طلابيك وامتناعك مني

حذرا أن أكون مفتاح غيري * واذا ماخلوت كنت التمني

أما ابن جعفر فانه تداعب وألقى عن منكبه رداء الغيرة وأما الآخر فجاء بالضد من ذلك وتغالى به غاية الغلو وكذلك ورد قول أبي الشيص

أجد الملامة في هواك لذيذة * شغفا بذكرك فليلمني اللوم

أخذ أبو الطيب المتنبي هذا المعنى وعكسه فقال

أأحبه وأحب فيه ملامة * ان الملامة فيه من أعدائه

وهذا من السرقات الخفية جدا ولأن يسمى ابتداعا أولى من أن يسمى سرقة وقد توخيته في شيء من شعري فجاء حسنا فمن ذلك قولي

لولا الكرام وما سنوه من كرم * لم يدر قائل شعر كيف يمتدح

أخذته من قول أبي تمام

ولولا خلال سنها الشعر مادرى * بناة العلى من أين تؤتى المكارم

(الضرب الخامس من السلخ) وهو أن يؤخذ بعض المعنى فمن ذلك قول أمية بن أبي الصلت يمدح عبد الله بن جدعان

عطاؤك زين لامرىء ان حبوته * ببذل وما كل العطاء يزين

وليس بشين لامرىء بذل وجهه * اليك كما بعض السؤال يشين

أخذه أبو تمام فقال تدعى عطاياه وفرا وهي ان شهرت * كانت فخارا لمن يعفوه مؤتنفا

مازلت منتظرا أعجوبة زمنا * حتى رأيت سؤالا يجتني شرفا

فأمية بن الصلت أتى بمعنيين اثنين أحدهما أن عطاءك زين والآخر أن عطاء غيرك شين وأما أبو تمام فانه أتى بالمعنى الأول لاغير ومن هذا الضرب قول علي بن جبلة

ليس في الكلام فعل الاحرفان في اسماء (ابل) و (الحبر) وهو القلح في الاسنان وحرف في الصفة قالوا امرأة (بلز) وهي الضخمة وقد جاء حرف آخر وهو أطل وقال سيبويه ليس في الكلام فعل وصف الاحرف من المعتل يوصف به الجميع وذلك قولك قوم (عدى) وهو مما جاء على غير واحده وقال غيره وقد جاء مكان (سوى) و (زيم) وقال سيبويه لا نعلم في الكلام أفعلاء الا الاربعاء قال أبو محمد قال لي أبو حاتم قال أبو زيد وقد جاء (الارمداء) وهو الرماد العظيم وأنشد

لم يبق هذا الدهر من آيائه

غير أثافيه وأرمدائه

جمع (آيا) على آياء وهو أفعال قال سيبويه وليس في الكلام يفعول فأما قولهم (يسروع) فانهم ضموا الياء لضمة الراء كما قالوا الأسود بن (يعفر) فضموا الياء لضمة الفاء ويقوي هذا أنه ليس في الكلام يفعل قال وليس في الكلام مفعل الا (منخر)

فأما (منتن) و (مغيره) فانهما من أغار وأنتن ولكنهم كسروا كما قالوا أجوءك ولامك قال وليس في الكلام مفعل قال الكسائي قد جاء حرفان نادران لايقاس عليهما وهو قول الشاعر

* ليوم روع أو فعال مكرم * وقال الآخر بثين الزمي لاان لاان لزمته * على كثرة الواشين أي معون

قال الفراء (مكرم) جمع مكرمة (ومعون) جمع معونة قال سيبويه وقد جاء (مفعول) وهو قليل غريب جعلوا الميم بمنزلة الهمزة فقالوا (مفعول) كما قالوا (افعول) وكما قالوا (مفعال) لما قالوا (افعال) و (مفعيل) لما قالوا افعيل قالوا (معلوق) للعلاق وزاد غيره (مغرود) لضرب من الكمأة (٣٢٠) (ومغفور) لواحد المغافير ويقال (مغثور) أيضا و (منخور) للمنخر قال شبه بفعلول وقال أيضا غيره وليس يأتي (مفعول) من ذوات الثلاثة وهي من بنات الواو بالتمام وانما يأتي بالنقص مثل (مقول) و (مخوف) الا حرفان قالوا مسك (مدووف) وثوب (مصوون) فاما ذوات الياء فتأتي بالنقص والتمام يقال بر (مكيل) و (مكيول) وثوب (مخيط) و (مخيوط) ورجل (معين) و (معيون) وقال سيبويه ولم يأت على (فعول) اسم ولا صفة قال غيره جاء (سبوح) و (قدوس) و (ذروح) لواحد الذراريح وحكى سيبويه (قدوس) و (سبوح) بالفتح وكان يقول في واحد الذراريح (ذرحرح) قال سيبويه وليس في الكلام (فعلول) بفتح الفاء وتسكين العين وانما يجيء على (فعلول) نحو (هذلول) و (زنبور) و (عصفور) وفي الصفة (حلكوك) أو على (فعلول) بفتح العين نحو (يلصوص) و (بعكوك) وقال غيره وقد جاء (فعلول) في حرف واحد نادر قالو (بنى صعفوق) لخول باليمامة قال العجاج من آل صعفوق وأتباع أخر قال سيبويه ولم يأت (فعيل) في الكلام الا قليلا قالوا (مريق) وكوكب (دريء) وأما الفراء فزعم أن الدري منسوب الى الدر ولم يجعله على فعيل قال سيبو لا نعلم (فعلالا)

وآتل مالم يحوه متقدم * وان نال منه آخر فهو تابع

فقال أبو الطيب المتنبي

ترفع عن عون المكارم قدره * فما يفعل الفعلات الاعذاريا

فعلى بن جبلة اشتمل ماقاله على معنيين أحدهما أنه فعل مالم يفعله أحد ممن تقدمه وان نال منه الآخر شيئا فانما هو مقتد به وتابع له وأما أبو الطيب المتنبي فانه لم يأت إلا بالمعنى الواحد وهو أنه يفعل مالا يفعله غيره غير أنه أبرزه في صورة حسنة ومن ذلك قول أبي تمام

كلف برب المجد يعلم أنه * لم يبتدأ عرف اذا لم يتمم

فقال البحتري ومثلك ان أبدى الفعال أعاده * وان صنع المعروف زاد وتمما

فأبو تمام قال ان الممدوح يرب صنيعه أي يستديمه ويعلم أنه اذا لم يستدمه فما ابتدأه والبحتري قال انه يستديم صنيعه لاغير وذلك بعض ماذكره أبو تمام وكذلك قال البحتري

ادفع بأمثال أبي غالب * عادية العدم أو استعفف

أخذه ممن تقدمه حيث قال انتج الفضل أو تخل عن الدنيـا * فهاتان غاية الهمم

فالبحتري أخذ بعض هذا المعنى ولم يستوفه وكذلك ورد قول ابن الرومي

نزلتم على هام المعالي اذا ارتقى * اليها أناس غيركم بالسلالم

أخذه أبو الطيب المتنبي فقال

فوق السماء وفوق ماطلبوا * فاذا أرادوا غاية نزلوا

وهذا بعض المعنى الذي تضمنه قول ابن الرومي لأنه قال انكم نزلتم على هام المعالي وان غيركم يرقى اليها رقيا وأما المتنبي فانه قال انكم إذا أردتم غاية نزلتم وأما قوله فوق السماء فانه يغني عنه قول ابن الرومي نزلتم على هام المعالي اذ المعالي فوق كل شيء لأنها مختصة بالطو مطلقا (الضرب السادس من السلخ) وهو أن يؤخذ المعنى فيزاد عليه معنى آخر فمما جاء منه قول الأخنس بن شهاب

إذا قصرت أسيافنا كان وصلها * خطانا الى أعدائنا فنضارب

أخذه مسلم بن الوليد فزاد عليه وهو قوله

ان قصر الرمح لم يمش الخطا عددا * أو غرد السيف لم يهمم بتغريد

كذلك ورد قول جرير في وصف أبيات من شعره

غرائب آلاف اذا حاز وردها * أخذن طريقا للقصائد معلما

أخذه أبو تمام فزاد عليه إذ قال في وصف قصيد له وقرن ذلك بالممدوح

غرائب لاقت في فنائك أنسها * من المجد فهي الآن غير غرائب

وكذلك ورد قول ولد مسلمة بن عبد الملك

أذل الحياة وكره الممات * وكلا أراه طعاما وبيلا

فان لم يكن غير احداهما * فسيرا الى الموت سيرا جميلا

أخذه أبو تمام فقال مثل الموت بين عينيه والذل وكلا رآه خطبا عظيما

ثم صارت به الحمية قدما * فأمات العداوة كريما

فزاد

فى الـكلام الا المضعف نحو (الجرجار) و (الدهداه) و (الصلصال) و (الحقحاق) وقال الفراء ليس فى الكلام (فعلال) بفتح الفاء من غير ذوات التضعيف الاحرف واحد يقال ناقة بها (خزعال ظلع) فأما ذوات التضعيف (فالقلقال) و (الزلزال) وما أشبه ذلك وهو مفتوح اسم فاذا كسرته فهو مصدر وتقول (قلقلته قلقالا) و (زلزلته زلزالا) قال سيبويه و (فعلال) من غير المضاعف (حملاق) و (قنطار) و (شملال) والصفة (سرداح) و (هلباج) قال سيبويه وقد جاء (فعلاء) بفتح العين فى الأسماء دون الصفات قالوا (قرماء) و (جنفاء) وهما مكانان وأنشد

على قرماء عالية شواه
كأن بياض غرته خمار

وأنشد

رحلت اليك من جنفاء حتى
أنخت فناء بيتك بالمطالى

قال غير سيبويه وقد جاء (فعلاء) فى حرف واحد وهو صفة قالوا الأمة (ثأداء) بتسكين الهمزة و (ثأداء) بفتحها وأنشد للكميت

وما كنا بنى ثأداء حتى
شفينا بالأسنة كل وتر

ويروى قضينا قال سيبويه ولا يكون فى الكلام (فعلاء) الا وآخره علامة التأنيث نحو (نفساء) وناقة (عشراء) وهو ينتفس (الصعداء) و (الرحضاء) الحمى تأخذ بعرق و (القوباء) وقال غيره من قال (قوباء) ففتح الواو جعلها مؤنثة لا تنصرف فجمعها قوب ومن قال (قوباء) فسكن الواو فهى حينئذ مذكر ينصرف وقال أيضاً وليس فى الكلام (فعلاء) مضمومة الفاء ساكنة العين ممدودة الا (قوباء) و (خشاء) وهو العظم الناتىء خلف الاذن وقال بعضهم الأصل (قوباء) و (خششاء) فسكنوا وكل حرف جاء على (فعلاء) فهو

فزاد عليه بقوله * فأمات العدا ومات كريما * ويروى أنه نظر عبدالله بن على رضى الله عنه عند قتال المروانية الى فتى عليه أبهة الشرف وهو يبلى فى القتال بلاء حسنا فناداه يافتى لك الأمان ولو كنت مروان بن محمد فقال الا أكنه فلست بدونه قال فلك الأمان ولو كنت من كنت فأطرق ثم تمثل بهذين البيتين المذكورين وكذلك ورد قول أبى تمام

يصد عن الدنيا اذا عن سودد * ولو برزت فى زى عذراء ناهد

أخذه من قول المعذل بن غيلان

واست بنظار الى جانب العلا * اذا كانت العلياء فى جانب الفقر

الا أنه زاده زيادة حسنة بقوله * ولو برزت فى زى عذراء ناهد * ومما يجرى هذا المجرى قول البحترى

خل عنا فانما أنت فينا * واو عمرو أو كالحديث المعاد

أخذه من قول أبى نواس

قل لمن يدعى سليما سفاها * لست منها ولا قلامة ظفر
انما أنت ملصق مثل واو * ألحقت فى الهجاء ظلما بعمرو

إلا أن البحترى زاد على أبى نواس فى قوله أو كالحديث المعاد وهكذا ورد قول البحترى أيضا

ركبوا الفرات الى الفرات وأملوا * جذلان يبدع فى السماح ويغرب

أخذه من مسلم بن الوليد فى قوله

ركبت اليه البحر فى موخراته * فأوفت بنا من بعد بحر الى بحر

الا أن البحترى زاد عليه بقوله جذلان يبدع فى السماح ويغرب وكذلك ورد قول أبى نواس

وليس لله بمستنكر * أن يجمع العالم فى واحد

وهذا البيت قد لهج به الناس لهجا كثيراً ومنهم من ظنه مبتدعا لأبى نواس ويحكى عن أبى تمام أنه دخل على ابن أبى داود فقال له أحسبك عاتباً يا أبا تمام فقال انما يعتب على واحد وأنت الناس جميعا قال من أين هذه يا أبا تمام قال من قول الحاذق أبى نواس وأنشده البيت وهذه الحكاية عندى موضوعة لان أبا تمام كان عارفا بالشعر حتى انه قال لم أنظم شعراً حتى حفظت سبعة عشر ديوانا للنساء خاصة دون الرجال وما كان يخفى عنه أن هذا المعنى ليس لأبى نواس وانما هو مأخوذ من قول جرير

إذا غضبت عليك بنو تميم * حسبت الناس كلهم غضابا

الا أن أبا نواس زاده زيادة حسنة وذلك أن جريراً جعل الناس كلهم بنى تميم وأبا نواس جعل العالم كله فى واحد وذلك أبلغ ومما ينتظم فى هذا السلك قول الفرزدق

علام تلفتين وأنت تحتى * وخير الناس كلهم أمامى
متى تأتى الرصافة تستريحى * من الانساع والدبر الدوامى

أخذه أبو نواس فصار أملك به وأحسن فيه غاية الاحسان فقال

واذا المطى بنا بلغن محمداً * فظهورهن على الرجال حرام

فالفرزدق قال تستريحى من الانساع والدبر الدوامى وليست استراحتها بمانعة من معاودة أتعابها مرة أخرى وأما أبو نواس فانه حرم ظهورهن على الرجال أى أنها تعفى من السفر اعفاء

مستمراً ولاشك أن أبانواس لم يتنبه لهذه الزيادة الامن فعل العرب فى السائبة والبحيرة وعلى هذا الأسلوب ورد قول المتنبي وملمومة زرد ثوبها * ولـكنه بالقنا مخمل

أخذه من أبى نواس فى قوله امام خميس أرجوان كأنه * قميص محوك من قنا وجياد

فزاد أبو الطيب زيادة صار بها أحق من أبى نواس بهذا المعنى وكذلك قال أبو الطيب المتنبي

وان جاد قبلك قوم مضوا * فانك فى الـكرم الأول

فأخذته أنا و زدت عليه فقلت

أنت فى الجود أول وقضى الله بأن لا يرى لك الدهر ثان

وهذا النوع من السرقات قليل الوقوع بالنسبة الى غيره (الضرب السابع من السلخ) وهو أن يؤخذ المعنى فيكسى عبارة أحسن من العبارة الأولى وهذا هو المحمود الذى يخرج بحسنه عن باب السرقة فمن ذلك قول أبى تمام

جذلان من ظفر حران ان رجعت * مخضوبة منكمو أظفاره بدم

أخذه البحترى فقال

إذا احتربت يوما ففاضت دماؤها * تذكرت القربى ففاضت دموعها

ومن هذا الأسلوب قولهما أيضاً فقال أبو تمام

ان الكرام كثير فى البلاد وان * قلوا كما غيرهم قلوا وان كثروا

وقال البحترى قل الكرام فصار يكثر مدهم * ولقد يقل الشيء حتى يكثر

وعلى هذا النحو ورد قول أبى نواس

يدل على مافى الضمير من الفتى * تقلب عينيه الى شخص من يهوى

أخذه أبو الطيب المتنبي فقال

واذا خامر الهوى قلب صب * فعليه لـكل عين دليل

ومما ينتظم فى هذا السلك قول أبى الطيب المتنبي

إذا ماازددت من بعد التناهى * فقد وقع انتقاصى فى ازدياد

أخذه ابن نباتة السعدى فقال

اذا كان نقصان الفتى من تمامه * فكل صحيح فى الانام عليل

وكذلك ورد قول أبى العلاء بن سليمان فى مرثية

وما كلفة البدر المنير قديمة * ولـكنه فى وجهه أثر اللطم

أخذه الشاعر المعروف بالقيسرانى فقال

وأهوى التى أهوى لها البدر ساجداً * ألست ترى فى وجهه أثر التراب

وكذلك قول ابن الرومى

إذا شنئت عين امرىء شيب نفسه * فعين سواه بالشناءة أجدر

أخذه من تأخر زمانه عنه فقال

ممدود الا أحرفا جاءت نادرة (وهى الاربى) وهى الداهية (وشعبى) وهو اسم موضع و(ادمى) أيضا اسم بلد قال سيبويه وليس فى الـكلام (فعلى) والالف لغير التأنيث ولا نعلمه جاء (فعلى) والألف لغير التأنيث الا أنهم قالوا (بهماة) فالحقوا الهاء كما قالوا امرأة (سعلاة) ورجل (عزهاة) وقال (٣٢٢) عبد الله بن قتيبة قال لى أبو حاتم عن الأخفش أو غيره قال لا يكون (فعلى) صفة قال وأما قولهم قسمة (ضيزى) فانها فعلى بالضم فكسرت الضاد لمكان الياء قال وليس فى الـكلام (فعلى) الا بالألف واللام أو بالاضافة نحو (الصغرى) و(الـكبرى) ولا تقل هذه امرأة (صغرى) كما لا تقول هذا رجل (أصغر) حتى تقول منك وتقول هذه (الصغرى) وهذا الأصغر قال سيبويه وغيره ليس فى الكلام من ذوات الأربعة (مفعل) بكسر العين وانما جاء بالفتح نحو (مرمى) و(مدعى) و(مغزى) قال الفراء قد جاء على ذلك حرفان نادران سمعتهما بالكسر وهما (مأقى العين) و(مأوى الابل) وسائر الـكلام بالفتح قال الأصمعى ليس فى الكلام (فعلل) بكسر الفاء وفتح اللام الا حرفان (درهم) و(هجرع) وهو الطويل المفرط الطول قال سيبويه و(قلعم) وهو اسم و(هبلع) وهو صفة وأنشد غيره

فشجحا مجافله جراف هبلع

قال أبو عبيدة ولم يأت (مفعيل) فى غير التصغير الا فى حرفين (مسيطر) و(مبيطر) وزاد غيره (مهيمن) قال غير واحد قالوا لم يأت (فعلة) فى الواحد الا قليلا قالوا (التولة) لضرب من السحر وهذا (سبى طيبة) وتقول (اياك والطيرة) ومحمد صلى الله عليه وسلم (خيرة الله)

اذا

اذا كان شيء بغيضا إلى * فكيف يكون اليها حبيبا

ومما ينخرط فى هذا السلك قول بعضهم

مخصرة الاوساط زانت عقودها * بأحسن مما زينتها عقودها

أخذه أبو تمام فقال

كأن عليها كل عقد ملاحة * وحسناوان أضحت وأمست بلاعقد

ثم أخذه البحترى فقال

اذا أطفأ الياقوت اشراق وجهها * فان عناء ماتوخت عقودها

وأمثال هـذا كثيرة وفيما أوردناه مقنع (الضرب الثامن من السلخ) وهو أن يؤخذ المعنى ويسبك سبكا موجزا وذلك من أحسن السرقات لما فيه من الدلالة على بسطة الناظم فى القول وسعة باعه فى البلاغة فمن ذلك قول بشار

من راقب الناس لم يظفر بحاجته * وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

أخذه سليم الخاسر وكان تلميذه فقال

من راقب الناس مات غما * وفاز باللذة الجسور

فبين البيتين لفظتان فى التأليف ومن هذا الاسلوب قول أبى تمام

برزت فى طلب المعالى واحدا * فيها تسير مغورا ومنجدا

عجب بأنك سالم فى وحشة * فى غاية مازلت فيها مفردا

أخذه ابن الرومى فقال

غربته الخلائق الزهر فى النا * س وماأوحشته بالتغريب

وكذلك ورد قول أبى نواس

وكلت بالدهر عينا غير غافلة * من جود كفك تأسو كل ماجرحا

أخذه ابن الرومى فقال

الدهر يفسد مااستطاع وأحمد * يتتبع الافساد بالاصلاح

وعلى هذا ورد قول ابن الرومى

كأنى أستدنى بك ابن حنية * اذا النزع أدناه من الصدر أبعدا

أخذه بعض شعراء الشام وهو ابن قسيم الحموى فقال

فهو كالسهم كلما زدته منـ * ـك دنوابالنزع زادك بعدا

ولقيت جماعة من الادباء بالشام ووجدتهم يزعمون أن ابن قسيم هوالذى ابتدع هذا المعنى وليس كذلك وانما هو لابن الرومى ومما يجرى هذا المجرى قول أبى العتاهية

وانى لمعذور على فرط حبها * لان لها وجها يدل على عذرى

أخذه أبو تمام فقال   له وجه اذا أبصر * ته ناجاك عن عذرى

فأوجز فى هذا المعنى غاية الايجاز ومما يجرى على هذا النهج قول أبى تمام

من خلقه وهو فى الجمع كثير نحو (كوز وكوزة) و (عود وعودة) و (هر وهررة) قالوا جمع (هرة هرر) وجمع (هرهررة) وكذلك (عود وعودة) وناقة (عودة وعود) قال سيبويه و (أفعل) فى الكلام قليل قالوا (أصبع) قال ولم يأت على (افعل) الا قليل فى الاسماء قالوا (أبلم) و (أصبع) ولم يأت وصفا قال ولم يأت على (افعال) الاحرف واحد قالوا (اسحار) لضرب من الشجر قالوا (وافعلان) قليل فى الكلام لا نعلمه جاء الا (اسحمان) وهو جبل و (امدان) و (أربيان) وفى الصفة (ليلة اضحيان) قال ولم يأت على (أفعلان) الاحرفان يوم (أرونان) وعجين (انبخان) قال ولم يأت (على أفعلاء) الاحرف واحد قالوا (الاربعاء) وهو اسم عمود من عمد الاخبية قال وكذلك (أفعلاء) لم يأت الا فى الجمع نحو (أصدقاء) و (أنصباء) الاحرف واحد لا يعرف غيره وهو (يوم الاربعاء) قال ولم يأت على (أفعلى) الاحرف واحد قالوا هو يدعو (الاجفلى) ويقال أيضا (الجفلى) قال (وفاعال) قليل فى الاسماء ولا نعلمه جاء صفة نحو (ساباط) و (خاتام) و (داناق) للخاتم والدانق قال ولم يأت على (فعاليل) الاحرف واحد قالوا ماء (سخاخين) قال ولم يأت على (افنعل) الا حرفان قالوا (النججج) و (الندد) من ألد قال ولم يأت على (فعيل) الاحرف واحد (عليب) اسم واد قال ولم يأت على (فعلان) الا قليل قالوا (السلطان) قال ولم يأت على (فعلان) الاحرف قال * ألا يا ديار الحى بالسبعان * قال ولم يأت على (فعلاء) الا قليل قالوا (السيراء) و (الخيلاء) قال و (فوعال) قليل قالوا (التوراب) للتراب قال ولم يأت على (فعولاء) الاحرف قالوا (عشوراء) وهو اسم (وفعلن)

كانت مساءلة الركبان تخبرني * عن احمد بن سعيد أطيب الخبر
حتى التقينا فلا والله ماسمعت * أذنى باحسن مما قد رأى بصرى

أخذه أبو الطيب المتنبي فأوجز حيث قال

وأستكبر الأخبار قبل لقائه * فلما التقينا صغر الخبر الخبر

وكذلك قولها في موضع آخر فقال أبو تمام

كم صار ماعضبا أناف على قفا * منهم لأعباء الوغى حمال
سبق المشيب اليه حتى ابتزه * وطن النهى من مفرق وقذال

أخذه أبو الطيب فزاد وأحسن حيث قال

يسابق القتل فيهم كل حادثة * فما يصيبهم موت ولاهرم

ومن هذا الضرب قول بعض الشعراء

أمن خوف فقر تعجلته * وأخرت انفاق ماتجمع
فصرت الفقير وأنت الغنى * وما كنت تعدو الذى تصنع

أخذه أبو الطيب المتنبي فقال

ومن ينفق الساعات في جمع ماله * مخافة فقر فالذى فعل الفقر

(الضرب التاسع من السلخ) وهو أن يكون المعنى عاما فيجعل خاصا أو خاصا فيجعل عاما وهو من السرقات التى يسامح صاحبها فمن ذلك قول الأخطل

لا تنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

أخذه أبو تمام فقال ألوم من بخلت يداه واغتدى * للبخل تربا ساء ذاك صنيعا

وهذا من العام الذى جعل خاصا ألاترى أن الاول نهى عن الاتيان بما ينهى عنه مطلقا وجاء بالخلق منكرا فجعله شائعا في بابه وأما أبو تمام فانه خصص ذلك بالبخل وهو خلق واحد من جملة الاخلاق وأما جعل الخاص عاما فكقول أبى تمام

ولو حاردت شول عذرت لقاحها * ولكن منعت الدر والضرع حافل

أخذه أبو الطيب المتنبي فجعله عاما اذ يقول

وما يؤلم الحرمان من كف حارم * كما يؤلم الحرمان من كف رازق

(الضرب العاشر من السلخ) وهو زيادة البيان مع المساواة في المعنى وذلك بأن يؤخذ المعنى فيضرب له مثال يوضحه فمما جاء منه قول أبى تمام

هو الصنع ان يعجل فنفع وان يرث * فللريث في بعض المواطن أنفع

أخذه أبو الطيب فأوضحه بمثال ضرب له وذلك قوله

ومن الخير بطء سيبك عنى * أسرع السحب في المسير الجهام

وهذا من المبتدع لا من المسروق وما أحسن ماأتى بهذا المعنى في المثال المناسب له وكذلك قولها في موضع آخر فقال أبو تمام

في الكلام قليل لا نعلمه جاء (الافرسن) و (جعثن) و (تفعل) قليل قالوا (تبشر) وهو طائر وزاد غيره (تنوط) وهو طائر أيضا ويقال (تنوط) أيضا قال ولم يأت (فيعل) في الكلام الا في المعتل نحو (سيد) و (ميت) غير حرف واحد جاء نادرا قال رؤبة ما بال عينى كالشعيب * ب المزادة العين فجاء به على فيعل وهذا في المعتل شاذ قال وكان بعض النحويين يزعم ان (سيدا) و (ميتا) وأشباههما فيعل غيرت حركته كما قالوا (بصرى) و (أموى) و (دهرى) فكذلك غيروا حركة فيعل وقال الفراء هو (فعيل) واحتج بأنه لا يعرف في الكلام (فيعل) انما جاء (فيعل) مثل (صيرف) و (خيفق) و (ضيغم) وقال البصريون هو (فيعل) واحتجوا بأنه قد يبنى المعتل بناء لا يكون للصحيح قالوا (قضاة) و (غذاة) و (رماة) فجمعوه على (فعلة) ولا يجمعون غير المعتل على ذلك (فالمعتل) جنس على حياله و (السالم) جنس على حياله قالوا و (فعليل) قليل في الكلام قالوا (غرنيق) لضرب من طير الماء قال وهو صفة

﴿ شواذ التصريف ﴾

قال الفراء وغيره العرب اذا ضمت حرفا الى حرف فربما أجروه على بنيته ولو أفرد لتركوه على جهته الأولى من ذلك قولهم (انى لآتيه بالعشايا) و (الغدايا) فجمعوا الغداة (غدايا) لما ضمت الى (العشايا) وأنشد

قد هتاك أخبية ولاج أبوبة * يخلط بالجد منه البر واللينا

فجمع الابواب (أبوبة) اذا كان متبعا لأخبية ولو أفرد لم يجز وقال آخر

أزمان عيناء سرور المسرور * عيناء حوراء من العين الحير

فقال (الحير) اذا كان بعد العين

قد قلصت شفتاه من حفيظته * فخيل من شدة التعبيس مبتسما

أخذه أبو الطيب المتنبي فقال

وجاهل مده فى جهله ضحكى * حتى أتته يد فراسة وفم
إذا رأيت نيوب الليث بارزة * فلا تظنن أن الليث مبتسم

ومما ينخرط فى هذا السلك قول أبى تمام

وكذاك لم تفرط كآبة عاطل * حتى يجاورها الزمان بحال

أخذه أبو عبادة البحترى فقال

وقد زادها افراط حسن جوارها * لاخلاق اصغار من المجد خيب
وحسن درارى الكواكب أن ترى * طوالع فى داج من الليل غيهب

فانه أتى بالمعنى مضروبا له هذا المثال الذى أوضحه وزاده حسنا (الضرب الحادى عشر من السلخ) وهو إيجاد الطريق واختلاف المقصد ومثاله أن يسلك الشاعران طريقا واحدة فتخرج بهما الى موردين أو روضتين وهناك يتبين فضل أحدهما على الآخر فما جاء من ذلك قول أبي تمام فى مرثية بولدين صغيرين

مجد تأوب طارقا حتى إذا * قلنا أقام الدهر أصبح راحلا
نجمان شاء الله أن لا يطلعا * الا ارتداد الطرف حتى يأفلا
ان الفجيعة بالرياض نواضرا * لأجل منها بالرياض ذوابلا
لهفى على تلك الشواهد فيهما * لو أخرت حتى تكون شمائلا
ان الهلال إذا رأيت نموه * أيقنت أن سيكون بدرا كاملا
قل للأمير وان لقيت موقرا * منه بريب الحادثات حلاحلا
ان ترز فى طرفى نهار واحد * رزأين هاجا لوعة وبلابلا
فالثقل ليس مضاعفا لمطية * الا إذا ماكان وهما بازلا
لاغرو أن فننان من عيدانه * لقيا حماما للبرية آكلا
ان الاشاء إذا أصاب مشذب * منه اتمهل ذرا وآث أسافلا
شمخت خلالك أن يواسيك امرؤ * أو أن تذكر ناسيا أو غافلا
الا مواعظ قادها لك سمحة * اسجاح لبك سامعا أو قائلا
هل تكلف الايدى بهز مهند * الا إذا كان الحسام القاصلا

وقال أبو الطيب فى مرثية بطفل صغير

فان تك فى قبر فانك فى الحشا * وان تك طفلا فالاسى ليس بالطفل
ومثلك لا يبكى على قدر سنه * ولكن على قدر الفراسة والأصل
ألست من القوم الذى من رماحهم * نداهم ومن قتلاهم مهجة البخل
بمولودهم صمت اللسان كغيره * ولكن فى أعطافه منطق الفصل
تسليهم علياؤهم عن مصابهم * ويشغلهم كسب الثناء عن الشغل

قال الفراء وأرى قولهم فى الحديث (ارجعن مأزورات غير مأجورات) من هذا ولو أفردوا لقالوا (موزورات) وقالوا (أرض مسنية) من يسنوها المطر والقياس (مسنوة) وقال * ما أنا بالجافى ولا المجفى * قال الفرا بناه على جفى وقال الآخر * أنا الليث معديا عليه وعاديا * قالوا بناه على (عدى عليه) (٣٢٥) وقالوا (العلياء) والأصل (العلواء) لانه من الواو ألا ترى انك تقول (عشواء) و (قنواء) و (سفواء) فان كانت من الياء قلتها بالياء مثل (ظمياء) و (عمياء) ترد الى الواو ماكانت أصله والى الياء ماكانت أصله قال الخليل إنما قالوا (علياء) لأنه لاذكر لها فأرادوا أن يفرقوا بين ماله ذكر وبين ماليس له ذكر قال الفرا قد جاءت حروف على فعلاء لاذكر لها بالواو وقالوا (اللأواء) و (الحلواء) ولكنهم بنوه على (عليت) وهما لغتان (علوت) و (عليت) والياء فى (عليت) أصلها الواو قلبت ياء لكسرة ماقبلها وقالوا (فلان مرضى المذهب) والأصل (مرضو) لانه من الرضوان فبنى على (رضيت) وقالوا فى جمع أبيض (بيض) والقياس (بوض) مثل (حمر) و (سود) وقالوا فى جمع قوس (قسى) والاصل (قؤوس) وقالوا فى جمع حاجة (حوايج) على غير قياس و (أنيق) والاصل (أنوق) وقالوا (مذروان) والاصل (مذريان) وهما فرعا كل شىء وإنما بنى بالواو لانه بنى (مثنى) لم يأت له واحد فيثنى عليه وكذلك قولهم عقله (بثنايين) والاصل (بثناءين) كما تقول (كساءين) و (رداءين) وإنما جاء بغير همز لانه بنى (مثنى) ولم يقولوا (ثناء) فيثنى عليه قال الفراء وانما قالوا هو (أليط بقلبى منك) بالياء وأصله الواو ليفرقوا بينه و بين المعنى.

الآخر قالوا ومثله قولهم (رجل نشيان الاخبار) وهو من (نشيت الخبر) وأصل الياء فى (نشيت) واو فقلبت ياء للكسرة فقالوا بالياء ليفرقوا بينه و بين (نشوان) من السكر وجمعوا العيد (أعيادا) وأصله الواو كراهية أن يوافق جمع العود قال وأهل الحجاز يقولون (القصوى) بالواو والقياس (القصيا) بالياء مثل (العليا) وهو من (علوت) و (الدنيا) من دنوت وهذا نادر خرج على الأصل وروى عنهم (خذ الحلوى وأعطه المرى) قال ومن البلاد (حزوى) بالياء ومن الشاذ قولهم (حل حبيته) و (حبيته) وأصلها بالواو وقد قالوا (حبوته) أيضا قال وانما غير واواوها لان الفعل يأتى منها بالزيادة يقال (احتبيت) ولا يقال (حبوت) فلذلك غيرت كما قالوا (رجل غديان) بالياء قال الفراء وانما بنوا (العليا) و (الدنيا) بالياء وأصلها الواو على ذكرها وكان الذكر من هذا النوع يكون للأنثى والذكر يقال هو (أعلى منك) وهى أعلى منك فكان أعلى قد انقلبت واوه الى الياء لانه لو ثنى لقيل (الاعليان) وقال الفراء قولهم (أخوة) بالضم غلط أو خطأ وانما هو مثل (غلمة) و (جلة) و (غزلة) فضموا أوله تشبيها (بكسوة) و (رشوة) قال و (التبيان) جاء مكسور الأول وهو مصدر (بينت تبيينا) و (تبيانا) مثل (كررته تكريرا) و (تكرارا) ولا يكون (التفعال) الا اسما موضوعا مثل (التمثال) و (التقصار) و (التلقاء) وموضع ان يقال له (التبراع) وموضع يقال له (تبراك) قال وانما شبهوا (التبيان) بـ (العصيان) و (النسيان) وقال البصريون كل اسم جاء على (التفعال) فهو مفتوح التاء نحو (التهيام) و (التهذار) و (التلعاب) و (الترداد) و (التجوال) و (التسيار).

عزاؤك سيف الدولة المقتدى به * فانك نصل والشدائد للنصل
تخون المنايا عهده فى سليله * وتنصره بين الفوارس والرجل
بنفسى وليد عاد من بعد حمله * الى بطن أم لا تطرق بالحمل
بدا وله وعد السحابة بالروى * وصد وفينا غلة البلد المحل
وقد مدت الخيل العتاق عيونها * الى وقت تبديل الركاب من النعل
وريع له جيش العدو وما مشى * وجاشت له الحرب الضروس وما تغلى

فتأمل أيها الناظم الى ما صنع هذان الشاعران فى هذا المقصد الواحد وكيف هام كل واحد منهما فى واد منه مع اتفاقهما فى بعض معانيه وسأبين لك ما اتفقا فيه وما اختلفا وأذكر الفاضل من المفضول فأقول أما الذى اتفقا فيه فان أبا تمام قال

لهفى على تلك الشواهد فيهما * لو أخرت حتى تكون شمائلا

وأما أبو الطيب فانه قال

بمولودهم صمت اللسان كغيره * ولكن فى أعطافه منطق الفصل

فأتى بالمعنى الذى أتى به أبو تمام وزاد عليه بالصناعة اللفظية وهى المطابقة فى قوله صمت اللسان ومنطق الفصل وقال أبو تمام

نجمان شاء الله أن لا يطلعا * الا ارتداد الطرف حتى يأفلا

وقال أبو الطيب بدا وله وعد السحابة بالروى * وصد وفينا غلة البلد المحل

فوافقه فى المعنى وزاد عليه بقوله * وصد وفينا غلة البلد المحل * لانه بين قدر حاجتهم الى وجوده وانتفاعهم بحياته (وأما ما اختلفا فيه) فان أبا الطيب أشعر فيه من أبى تمام أيضا وذلك أن معناه أمتن من معناه ومبناه أحكم من مبناه وربما أكبر هذا القول جماعة من المقلدين الذين يقفون مع شبهة الزمان وقدمه لا مع فضيلة القول وتقدمه وأبو تمام وان كان أشعر عندى من أبى الطيب فان أبا الطيب أشعر منه فى هذا الموضع وبيان ذلك أنه قد تقدم القول على ما اتفقا فيه من المعنى وأما الذى اختلفا فيه فان أبا الطيب قال

عزاؤك سيف الدولة المقتدى به * فانك نصل والشدائد للنصل

وهذا البيت بمفرده خير من بيتى أبى تمام اللذين هما

ان ترز فى طرفى نهار واحد * رزأين هاجا لوعة وبلابلا
فالثقل ليس مضاعفا لمطية * الا إذا ما كان وهما بازلا

فان قول أبى الطيب والشدائد للنصل أكرم لفظا ومعنى من قول أبى تمام ان الثقل انما يضاعف للبازل من المطايا وقوله أيضا

تخون المنايا عهده فى سليله * وتنصره بين الفوارس والرجل

وهذا أشرف من بيتى أبى تمام اللذين هما

لاغرو ان فننان من عيدانه * لقيا حماما للبرية آكلا

ان الاشاء اذا أصاب مشذب * منه اتهمل ذراوأث أسافلا

وكذلك قال أبو الطيب

أ است من القوم الذى من رماحهم * نداهم ومن قتلاهم مهجة البخل
تسليهم علياؤهم عن مصابهم * و يشغلهم كسب الثناء عن الشغل

وهذان البيتان خير من بيتى أبى تمام اللذين هما

شمخت خلالك أن يواسيك امرؤ * أو أن تذكر ناسيا أو غافلا
الا مواعظ قادها لك سمحة * اسجاح لبك ساهما أو قائلا

واعلم أن التفضيل بين المعنيين المتفقين أيسر خطبا من التفضيل بين المعنيين المختلفين وقد ذهب قوم الى منع المفاضلة بين المعنيين المختلفين واحتجوا على ذلك بأن قالوا المفاضلة بين الكلامين لا تكون الا باشتراكهما فى المعنى فان اعتبار التأليف فى نظم الالفاظ لا يكون الا باعتبار المعانى المندرجة تحتها فما لم يكن بين الكلامين اشتراك فى المعنى حتى يعلم مواقع النظم فى قوة ذلك المعنى أو ضعفه واتساق ذلك اللفظ أو اضطرابه والا فكل كلام له تأليف يخصه بحسب المعنى المندرج تحته وهذا مثل قولنا العسل أحلى من الخل فانه ليس فى الخل حلاوة حتى تقاس حلاوة العسل عليها وهذا القول فاسد فانه لو كان ماذهب اليه هؤلاء من منع المفاضلة حقا لوجب أن تسقط التفرقة بين جيد الكلام ورديئه وحسنه وقبيحه وهذا محال وانما خفى عليهم ذلك لانهم لم ينظروا الى الاصل الذى تقع المفاضلة فيه سواء اتفقت المعانى أو اختلفت ومن ههنا وقع لهم الغلط وسأبين ذلك فأقول من المعلوم أن الكلام لا يختص بمزية من الحسن حتى تتصف ألفاظه ومعانيه بوصفين هما الفصاحة والبلاغة فثبت بهذا أن النظر انما هو فى هذين الوصفين اللذين هما الاصل فى المفاضلة بين الالفاظ والمعانى على اتفاقهما واختلافهما فمتى وجدا فى أحد الكلامين دون الآخر أو كانا أخص به من الآخر حكم له بالفضل (وقرأت فى كتاب الاغانى) لأبى الفرج فى تفضيل الشعر أشياء تتضمن خبطا كثيرا وهو مروى عن علماء العربية لكن عذرتهم فى ذلك فان معرفة الفصاحة والبلاغة شىء خلف معرفة النحو والاعراب (فمما وقفت عليه) أنه سئل أبو عمرو بن العلاء عن الاخطل فقال لو أدرك يوما واحدا من الجاهلية ماقدمت عليه أحدا وهذا تفضيل بالاعصار لا بالاشعار وفيه مافيه ولو أن أبا عمرو عندى بالمكان العلى لبسطت لسانى فى هذا الموضع (وسئل جرير) عن نفسه وعن الفرزدق والاخطل فقال أما الفرزدق ففى يده نبعة من الشعر وهو قابض عليها وأما الاخطل فأشدنا اجتراء وأرمانا للفرائض وأما أنا فمدينة الشعر وهذا القول فى التفضيل قول اقناعى لا يحصل منه على تحقيق لكنه أقرب حالا مما روى عن أبى عمرو بن العلاء (وسئل الاخطل) عن أشعر الناس فقال الذى اذا مدح رفع واذا هجا وضع فقيل فمن ذلك قال الاعشى قيل ثم من قال طرفة وهذا قول فيه بعض التحقيق اذ ليس كل من رفع بمدحه ووضع بهجائه كان أشعر الناس لان المعانى الشعرية كثيرة والمدح والهجاء منها (وسئل الشريف الرضى) عن أبى تمام وعن البحترى وعن أبى الطيب فقال أما أبو تمام فخطيب منبر وأما البحترى فواصف جؤذر وأما المتنبى فقائل عسكر وهذا كلام حسن واقع فى موقعه فانه وصف كلا منهم بما فيه من غير تفصيل (ويروى

و (التقتال) و (التصعاق) فى الصعق الأحرفين فانهما جاآ بكسر التاء قالوا (التبيان) و (التلقاء) بمعنى اللقاوا نشد املت خيرك هل تأتى مواعده فاليوم قصر عن تلقاءك الامل قال وقولهم (بنى يبنى بنيانا) بالضم أصله الكسرة مثل (العصيان) و (الغشيان) وكذلك مصادر هذا الباب قال و (سمعت الطغيان) و (الطغيان) و (الغنيان) و (الغنيان) والكسر (٣٢٧) أحب اليه قال ومما بنى مفعوله على (فعل) ولم يأت على الاصل قول الشاعر

* مكتئب اللون مريح ممطور * أراد (مروح) وقال الآخر

* وماء قدور فى القصاع مشيب * يريد (مشوب) فبناه على شيب قالوا وأكثر ما يأتى على هذا المنقول عن الواو الى الياء قال وأنشد الكسائى

فما جاء بالواو و يأوى الى رغب مساكين دونهم فلا لا تخطاه الرقاب مهوب

قال بناه على قول من قال (قد هوب الرجل) قال الفرا وقولهم (العصى) و (الحقى) بالياء لانهم يجمعون ما بين الثلاثة منه الى العشرة بالياء فيقال (ثلاث أدل) و (عشرة أحق) و (عشر أعص) فبنوا الكثير على ذلك قال وقولهم (الفتوة) بالواو وأصلها الياء وهى مصدر من مصادر الياء شاذ حمل على مصادر الواو وهو قولك (أب بين الابوة) و (أخ بين الاخوة) و (رخو بين الرخوة) فلما حملت الفتوة على مصادر الواو جعلت بالواو كما جملت (الشروى) وهو المثل على الواو اذا شبهت مصادر الواو مثل (دعوى) و (نجوى) قال ثم جمعوا (الفتى فتوا) على ذلك بالواو وكان القياس (فتى) ولم نجد ياء بعدها واو غير مهموزة فى الاسماء (الا فى يوم) قال ولا يقال (من يوم) فعلت ولا يفعيل قال ومن الشاذ قولهم (للرجل حيوة)

و (القطضيون) قال سيبويه قالوا (أرقت الماء) ثم أبدلوا من الهمزة هاء فقالوا (هرقت الماء) قال الفراء والهمزة تبدل منها الهاء فى أول الحرف كثيرا قالوا (هبرية) وأصلها (أبرية) وقالوا (هنرت) وأصله (أنرت) و (هرحت) وأصله (أرحت) قال سيبويه ثم لزمت الهاء فصارت كأنها من نفس الحرف ثم أدخلت (٣٢٨) الالف بعد على الهاء وترك الهاء عوضا من حذفهم العين لأن أصله (أريقت) فقالوا (أهرقت) ونظيره (أسطعت) تسطع قال الفراء توهموا أن قولهم (أسطعت) أفعلت لانه بوزنه وقال الاحمر يقال (مشششت الدابة) باظهار التضعيف ليس فى الكلام غيره وزاد غيره (لححت عينه) اذا التصقت و (ضبب البلد) اذا كثرت ضبابه و (الل السقاء) اذا تغيرت ريحه و (قطط شعره) و (صككت الدابة) من الصكك فى القوائم وقالوا (شجرة فنواء) أى كثيرة الافنان والقياس فناء قال س ومما جاء على أصله * وصاليات ككما يؤثفين * وهو من أثفيت (وقول الآخر) كرات غلام فى كساء مؤرنب * قال الخليل كان الاصل فى مثل أخرج يخرج أن تثبت الهمزة فى يفعل وأخواتها فحذفت استثقالا وجاء هذان الحرفان على الاصل قال الفراء وانما قالوا (يهريق) ففتحوا الهاء لانها أبدلت من همزة لو كانت ظاهرة لكانت مفتوحة لانهم لو قالوا بالقياس فى يخرج لكان يؤخريج بحوكك قال الفراء الميم تزاد فى أول الحرف وآخره ولا تزاد فى وسطه فاما زيدت فيه أولا فمفعل ونحوه وأما ما زيدت فيه آخرا (فم) (واللهم) (وزرقم) (وستهم) (وابنم) قال سيبويه وكل ميم كانت فى أول حرف فهى مزيدة الاميم معزى فانها من نفس الحرف لانك تقول معز ولو كانت زائدة لقلت عزى وميم معد

عن بشار) أنه وصف نفسه بجودة الشعر والتقدم على غيره فقيل له ولم ذاك فقال لانى نظمت اثنى عشر ألف قصيدة وماتخلو واحدة منهن من بيت واحد جيد فيكون لى حينئذ اثنا عشر ألف بيت وقد تاملت هذا القول فوجدته على بشار لاله لان باقلا الذى يضرب به المثل فى العى لو نظم قصيداً لماخلا من بيت واحد جيد ومن الذى ينظم قصيدا واحدا من الشعر ولا يسلم له منه بيت واحد لكن كان الاولى ببشار أن قال لى اثنا عشر ألف قصيدة ليس واحدة منهن الا وجيدها أكثر من رديئها وليس فى واحدة منهن مايسقط فانه لو قال ذلك وكان محقا لاستحق التقدم على الشعراء ومع هذا فقد وصل الى ما فى أيدى الناس من شعره مقصدا ومقطعا فما وجدته بتلك الغاية التى ادعاها لكن وجدت جيده قليلا بالنسبة الى رديئه وتندر له الابيات اليسيرة (و بلغنى) عن الاصمعى وأبى عبيد وغيرهما أنهم قالوا اهو أشعر الشعراء المحدثين قاطبة وهم عندى معذورون لانهم ماوقفوا على معانى أبى تمام ولا على معانى أبى الطيب ولا وقفوا على ديباجة أبى عبادة البحترى وهذا الموضع لايستفتى فيه علماء العربية وانما يستفتى فيه كاتب بليغ أوشاعر مفلق فان أهل كل علم أعلم به وكما لايسأل الفقيه عن مسئلة حسابية فكذلك لايسأل الحاسب عن مسئلة فقهية وكما لايسأل أيضا النحوى عن مسئلة طبية فكذلك لايسأل الطبيب عن مسئلة نحوية ولايعلم كل علم الا صاحبه الذى قلب ظهره لبطنه وبطنه لظهره على أن علم البيان من الفصاحة والبلاغة محبوب الى الناس قاطبة ومامن أحد الا ويحب أن يتكلم فيه حتى انى رأيت أجلاف العامة ممن لم يخط بيده ورأيت أغتام الاجناس ممن لاينطق بالكلمة صحيحة كلهم يخوض فى فن الكتابة والشعر ويأتون فيه بكل مضحكة وهم يظنون أنهم عالمون به ولالوم عليهم فانه بلغنى عن ابن الاعرابى وكان من مشاهير العلماء أنه عرض عليه أرجوزة أبى تمام اللامية التى مطلعها * وعاذل عذلته فى عذله * وقيل له هذه لفلان من شعراء العرب فاستحسنها غاية الاستحسان وقال هذا هو الديباج الخسروانى ثم استكتبها فلما أنهاها قيل له هذه لأبى تمام فقال من أجل ذلك أرى عليها أثر الكلفة ثم ألقى الورقة من يده وقال ياغلام خرق خرق فاذا كان ابن الاعرابى مع علمه وفضله لايدرى أى طرفيه أطول فى هذا الفن ولا يعلم أين يضع يده فيه و يبلغ به الجهل الى أن يقف مع التقليد الشنيع الذى هذا غايته فما الذى يقول غيره وماالذى يتكلم فيه سواه (والمذهب عندى فى تفضيل الشعراء) أن الفرزدق وجريرا والاخطل أشعر العرب أولا وآخرا ومن وقف على الاشعار ووقف على دواوين هؤلاء الثلاثة علم ماأشرت اليه ولاينبغى أن يوقف مع شعر امرىء القيس وزهير والنابغة والاعشى فان كلا من أولئك أجاد فى معنى اختص به حتى قيل فى وصفهم امرؤ القيس اذا ركب والنابغة اذا رهب وزهير اذا رغب والاعشى اذا شرب وأما الفرزدق وجرير والاخطل فانهم أجادوا فى كل ماأتوا به من المعانى المختلفة وأشعر منهم عندى الثلاثة المتأخرون وهم أبو تمام وأبو عبادة البحترى وأبو الطيب المتنبى فان هؤلاء الثلاثة لايدانيهم مدان فى طبقة الشعراء أما أبو تمام وأبو الطيب فربا المعانى وأما أبو عبادة فرب الالفاظ فى ديباجتها وسبكها (و بلغنى) أن أبا عبادة البحترى سأل ولده أبا الغوث عن الفرزدق وجرير أيهما أشعر فقال جرير أشعر قال وبم ذلك قال لان حوكه شبيه

لانك تقول(تمعدد) و (تمفعل) قليل قالوا من مسكين (تمسكن) وهو من التمسكن (وتمدرع)وهو من المدرعة قالوا والميم فى(المنجنيق) من نفس الحرف بمنزلة وهوعنتريس (ومنجنون) كذلك بمنزلة عرطليل وميم (مأجج) وميم (مهدد) من الحرف لانهما لو كانا زائدتين لأدغمت كردد ومفروا نماهى بمنزلة الدالين فى قردد قال سيبويه وكل همزة جاءت أولا فهى مزيدة فى نحو أحمر وأفكل وأشباه ذلك الا أو لقافان الهمزة من نفس الحرف ألا ترى انك تقول (ألق الرجل)

بحوكك قال ثكلتك أمك أو فى الحكم عصبية قال يا أبت فمن أشعر قال الفرزدق قال وبم ذاك قال لان أهاجى جرير كلها تدور على أربعة أشياء هى القين والزنا وضرب الرومى بالسيف والنفى من المسجد ولا يهجو الفرزدق بسوى ذلك وأما الفرزدق فانه يهجو جريرا بأنحاء مختلفة ففى كل قصيد يرميه بسهام غير السهام التى يرميه بها فى القصيد الآخر وأنا أستكذب راوى هذه الحكاية ولا أصدقه فان البحترى عندى أعلم من ذلك وهو عارف بأسرار الكلام خبير بأوساطه وأطرافه وجيده ورديئه وكيف يدعى على جرير أنه لم يهج الفرزدق الا بتلك المعانى الاربعة التى ذكرها وهو القائل

لما وضعت على الفرزدق ميسمى * وعلى البعيث جدعت أنف الاخطل

فجمع بين هجاء هؤلاء الثلاثة فى بيت واحد (ولقد تأملت كتاب النقائض) فوجدت جريرا رب تغزل ومديح وهجاء وافتخار وقد كسا كل معنى من هذه المعانى ألفاظا لائقة به ويكفيه من ذلك قوله

وعاوعوى من غير شيء رميته * بقافية انفادها يقطر الدما
وانى لقوال لكل غريبة * ورود اذا السارى بليل ترنما
جروح بأفواه الرواة كأنها * شبا هند وانى اذا هز صمما
غرائب آلاف اذا حان وردها * اخذن طريقا للقصائد معلما

ولو لم يكن لجرير سوى هذه الابيات لتقدم بها الشعراء وسأذكر من هجائه الفرزدق ماليس فيه شىء من تلك المعانى الاربعة التى أشار البحترى اليها فمن ذلك قوله

وقد زعموا أن الفرزدق حية * وما قتل الحيات من أحد قبلى
ألم تر أنى لا أنبل رميتى * فمن أرم لاتخطى مقاتله نبلى
رأيتك لاتحمى عقالا ولم ترد * قتالا فما لاقيت شرا من القتل

وقوله

أبلغ هديتى الفرزدق انها * عبء تزاد على حصير مثقل
انى انصببت من السماء عليكم * حتى اختطفتك يافرزدق من عل

وقوله

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا * فابشر بطول سلامة يامربع
ورأيت نبلك يافرزدق قصرت * ورأيت قوسك ليس فيها منزع
ان الفرزدق قد تبين لؤمه * حيث التقت خششاؤه والاخدع

وقوله

أحارث خذ من شئت منا ومنهم * ودعنا نقس مجدا تعد فضائله
لبست سلاحى والفرزدق لعبة * عليه وشاحا كرج وجلاجله
فلست بذى عز ولا ذى أرومة * وما تعط من ضيم فانك قابله

وقوله

لايخفين عليك أن مجاشعا * لو ينفخون من الخؤورة طاروا

قال وهو فوعل و (ارطى) لانك تقول (اديم مأروط) ولو كانت الهمزة زائدة لقلت (مرطى) قال و (امر وامع) الهمزة من نفس الحرف لان افعل لا يكون وصفا وانما هو فعل (والق) من (التألق) كذلك هو مثل هيبج قال ومما همزوه وهو من نفس الحرف أول وأوائل استثقلوا ألفا بين واوين قال الفراء ومما همزوه ولا حظ له فى الهمز (غرقىء البيض) وأصله من الغرق و (الشمأل) و (الشأمل) أصله من الشمال قال الفراء وقالوا (قمت قياما) و (صمت صياما) فقلبوا فى المصدر الواو ياء وقالوا (قاومته قياما) و (حاورته حوارا) فلم يقلبوا فى المصدر الواو ياء لأن الواو صحت فى فعل هذا المصدر الثانى فصحت فيه واعتلت فى فعل المصدر الاول فاعتلت فيه قال الفراء فى قول العرب (صار صيرورة) و (حاد حيدودة) و (سار سيرورة) وهو خاص لذوات الياء من بين الكلام الا فى أربعة أحرف

من ذوات الواو و (هى كينونة) و (ديمومة) و (هيعوعة جبن) و (سيدودة) وانما جعلت بالياء وهى من الواو لانها جاءت على بناء لذوات الياء ليس للواو فيه حظ فقيلت بالياء كما قالوا (الشكاية) وهى من ذوات الواو ولما جاءت على مصادر الياء نحو (السعاية) و (الرماية)وقال البصريون (كينونة)واخواتها أريد بهن (فيعلوله) فخففن كما خفف الميت قال الفراء أريد بهن فعلوله ففتحوا أولها كراهية ان تصير الياء واوا فاما فيعلولة فانها صورة لم تأت لسقيم ولا لصحيح ولو كانت للمعتل على مذهبهم لوجدتها تامة فى

قد يؤسرون فلا يفك أسيرهم * ويقتلون فتسلم الآثار

وقوله بنى مالك ان الفرزدق لم يزل * يلقى المخازى من لدن أن يفعا

مددت له الغايات حتى تركته * قعود القوافى ذا علوب موقعا

وقوله ألا انما كان الفرزدق ثعلبا * ضغا وهى فى أشداق ليث ضبارم

وقوله مهلا فرزدق ان قومك فيهم * خور القلوب وخفة الاحلام

الظاعنون على العمى بجميعهم * والنازلون بشر دار مقام

وقوله اذا سفرت يوما نساء مجاشع * بدت سوأة مما تجن البراقع

مباشيم من عبء الهرير كأنما * تصوت فى أعفاجهن الضفادع

رأت مللا مثل الفرزدق قصرت * عن العلو لا يأبى عن العلو بارع

تعدل أحسابا كراما حماتها * بأحسابكم انى الى الله راجع

اذا قيل أى الناس شر قبيلة * وأعظم عارا قيل تلك مجاشع

وقوله علق الاخيطل فى حبالى بعدما * عثر الفرزدق لا لعا للعاثر

لقى الفرزدق مالقيت وقبله * طاح التعيس بغير عرض وافر

واذا رجوا أن ينقضوا لى مرة * مرست قواى عليهم ومرائرى

ولجرير مواضع كثيرة فى هجاء الفرزدق غير هذه ولولا خوف الاطالة لاستقصيتها جميعها ولو سلمت الى البحترى ما زعم من أن جريرا ليس له فى هجاء الفرزدق الا تلك المعانى الاربعة لاعترضت عليه بأنه قد أقر لجرير بالفضيلة وذلك أن الشاعر المفلق أو الكاتب البليغ هو الذى اذا أخذ معنى واحدا تصرف فيه بوجوه التصرفات وأخرجه فى صروف الاساليب وكذلك فعل جرير فانه أبرز من هجاء الفرزدق بالقين كل غريبة وتصرف فيه تصرفا مختلف الانحاء فمن ذلك قوله

ألهى أباك عن المكارم والعلا * لى الكتائف وارتفاع المرجل

وقوله وجد الكتيف ذخيرة فى قبره * والكلبتين جمعن والمنشار

يبكى صداه اذا تصدع مرجل * أو أن تفلق برمة أعشار

قال الفرزدق رقعى أكيارنا * قالت وكيف ترقع الاكيار

وقوله اذا آباؤنا وأبوك جدوا * بأن المفرقات من الغراب

فأورثك العلاة وأورثونى * رباط الخيل أفنية القباب

وسيف أبى الفرزدق فاعلموه * قدوم غير ثابتة النصاب

فانظر أيها الواقف على كتابى هذا الى هذه الاساليب التى تصرف فيها جرير وأدارها على هجاء الفرزدق بالقين فقال أولا ان أباه شغل عن المكارم بصناعة القيون ثم قال ثانيا انه يبكى عليه

شعرا أو سجع كما وجدت الميت والميت قال غير واحد كل افعل فالاسم منه مفعل بكسر العين نحو أقبل فهو مقبل (وأدبر فهو مدبر) وجاء حرف واحد نادر لا يعرف غيره قالوا (أسهب فى كلامه فهو مسهب) بفتح الهاء ولا يقال مسهب بكسر الهاء وجاء الاسم منه أيضا على فاعل فى حروف قالوا (أيفع الغلام فهو يافع) و (أورس الشجر فهو وارس) اذا أورق و (أبقل الموضع) فهو باقل ومما جاء الاسم منه على (فاعل) و (مفعل) أمحل البلد فهو ماحل و (ممحل) و (أعشب) البلد فهو (عاشب) و (معشب) و (أغضى الليل) فهو (غاض) و (مغض) قال رؤبة * يخرجن من أجواف ليل غاض * أى (مغض) وأما قول العجاج * يكشف عن حماته دلو الدال * فان الدالى هو الجاذب للدلو ليخرجها يقال منه دلا يدلو و (المدلى) هو المستقى يقال أدلى دلوه اذا ألقاها فى الماء ليستقى ولو قال العجاج المدلى لكان أشبه بما أراد ولكنه أراد القافية وعلم ان الدالى والمدلى يجوز أن يوصف بهما المستقى بالدلو قال فأراد تكشف عن الماء دلو المستقى و يقال (أعقت الفرس) فهى عقوق ولا يقال معق و (انتجت) فهى نتوج ولا يقال (منتج) وأما قولهم (أحببته) فهو محبوب و (أجنه الله) فهو مجنون و (أحمه) فهو محموم و (أزكمه الله) فهو مزكوم و (مثله مكزوز) و (مقرور) فانه بنى على فعل لانهم يقولون فى جميع هذه فعل بغير ألف يقولون (حب) و (جن) و (زكم) و (قر) و (كز) قال ولا يقال (قد حزنه) ولكن أحزنه و يقولون (يحزنه) فاذا قالوا فعله فكله بالالف ولا يقال مفعل فى شىء من هذه الا فى حرف واحد قال عنترة ويندبه

ولقد نزلت فلا تظنى غيره * منى بمنزلة المحب المكرم قال البصريون تقدير (انسان فعلان) زيدت الياء فى تصغيره كما زيدت فى تصغير ليلة فقالوا (ليبلية) وفى تصغير رجل فقالوا (رويجل) وقال بعض البغداديين الاصل فيه (انسيان) على زنة فعلان فحذفت الياء استخفافا لكثرة ما يجرى على ألسنتهم فاذا صغروه قالوا (أنيسيان) فردوا الياء لان التصغير ليس يكثر ككثرة الاسم

و يندبه بعد الموت المرجل والبرمة الاعشار التى يصلحها ثم قال ثالثا ان أباك أورثك آلة القيون وأورثنى أبى رباط الخيل وقد أورد جرير هذا المعنى على غير هذه الاساليب التى ذكرتها ولا حاجة الى التطويل بذلك ههنا وهذا القدر فيه كفاية وحيث انتهى بنا القول الى ههنا فلنرجع الى النوع الذى نحن بصدد ذكره وهو اتحاد الطريق واختلاف المقصد فمما جاء منه قول النابغة

اذا ما غزا بالجيش حلق فوقه * عصائب طير تهتدى بعصائب

جوانح قد أيقن أن قبيلة * اذا ما التقى الجمعان أول غالب

وهذا المعنى قد توارد عليه الشعراء قديما وحديثا وأوردوه بضروب من العبارات فقال أبو نواس

تتمنى الطير غزوته * ثقة باللحم من جزره

وقال أبو مسلم بن الوليد

قد عود الطير عادات وثقن بها * فهن يتبعنه فى كل مرتحل

وقال أبو تمام وقد ظللت أعناق أعلامه ضحى * بعقبان طير فى الدماء نواهل

أقامت مع الرايات حتى كأنها * من الجيش الا أنها لم تقاتل

وقد ذكر فى هذا المعنى غير هؤلاء الا أنهم جاؤا بشىء واحد لا تفاضل بينهم فيه الا من جهة حسن السبك أو من جهة الايجاز فى اللفظ ولم أر أحدا أغرب فى هذا المعنى فسلك هذه الطريق مع اختلاف مقصده اليها الا مسلم بن الوليد فقال

أشربت أرواح العدا وقلوبها * خوفا فأنفسها اليك تطير

لو حاكمتك فطالبتك بذحلها * شهدت عليك ثعالب ونسور

فهذا من المليح البديع الذى فضل به مسلم غيره فى هذا المعنى * وكذلك فعل أبو الطيب المتنبى فانه لما انتهى الامر اليه سلك هذه الطريق التى سلكها من تقدمه الا أنه خرج فيها الى غير المقصد الذى قصدوه فأغرب وأبدع وحاز الاحسان بجملته وصار كأنه مبتدع لهذا المعنى دون غيره فمما جاء منه قوله

تفدى أتم الطير عمرا اسلاحه * نسور الملا أحداثها والقشاعم

وماضرها خلق بغير مخالب * وقد خلقت أسيافه والقوائم

ثم أورد هذا المعنى فى موضع آخر من شعره فقال

سحاب من العقبان ترجف تحتها * سحاب اذا استسقت سقتها صوارمه

وهذا معنى قد حوى طرفى الاغراب والاعجاب وقال فى موضع آخر

وذى لجب لاذ والجناح أمامه * بناج ولا الوحش المثار بسالم

تمر عليه الشمس وهى ضعيفة * تطالعه من بين ريش القشاعم

اذا ضوؤها لاقى من الطير فرجة * تدور فوق البيض مثل الدراهم

وهذا من اعجاز أبى الطيب المشهور ولو لم يكن له من الاحسان فى شعره الا هذه الابيات

مكبرا وقالوا فى الجمع (أناسى) وكذلك انسان العين وقالوا اناس فى الناس ولا يقال ذلك فى انسان العين وروى عن ابن عباس أنه قال انما سمى انسانا لانه عهد اليه فنسى فهذا دليل على أنه انسيان فى الاصل قال الفراء التوراة (من ورى الزند كأنها الضياء) قالوا ورآى الدابة (فاعول) من التأرى وهو التحبس قالوا و (ادحى النعامة افعول) من (دحا يدحو) لانها تدحوه بصدرها وهو مثل أفحوض قال الفراء (ماعمعين) (مفعول) من العيون فنقض كما قيل (مخيط ومكيل) و (السرية فعلية) من السر وهو النكاح الا أنهم ضموا أولها كما يغيرون فى النسب (الاصمعى) قال وقولهم تسريت أصله (تسررت) من السر وهو النكاح قال الله جل ثناؤه ولكن لا تواعدوهن سرا أى نكاحا أبدل من الراء ياء كما قالوا (تظنيت) من الظن وأصلها تظننت وقالوا (لبى فلان) من التلبية وكان أصلها لببت لأنها من اللبث بالمكان قال ذلك الخليل قال و(معنى لبيك) ها أناذا عبدك قد أجبتك قد خضعت لك وثنوه على جهة التأكيد أى قد أجبتك اجابة بعد اجابة ونصبوه على جهة المصدر كما تقول حمدالله وشكرا ومثله (حنانيك) وقال أبو عبيدة فى قول الشاعر

فقلت لها فيئى اليك فاننى * حرام وانى بعد ذاك لبيب

أراد ملب قال البصريون فى تقدير قضاة ورماة واشباه ذلك من المعتل (فعلة) ولا يكون هذا فى جمع الصحيح وحكي عن الفراء بعض النحويين أنه قال تقديره (فعلة) مثل (كافر وكفرة وفاجر وفجرة) الا أنهم خصوا الياء والواو بضم أوله قال الفراء وليس ذلك كما قالوا لانا وجدنا (سريا من قوم سراة) فلو كان كما قالوا لقيل سراة فتجنبوا الجمع على فعلة ولكنهم قالوا فى ذوات الياء والواو وهم يريدون مثال (صوم) و (قوم) فثقل عليهم أن يشددوا العين و بعدها ساكن كأنه ألف اعراب فخففوا الشديدة وهم يريدونها وزادوا فى آخره الهاء لتكون تكملة للحرف اذ نقص كما قالوا (أقمته اقامة) فاذا شددوا

سقطت الهاء قال الله عز وجل (أوكانوا غزى) ولوقلت (الرمى) فى (الرماة) والعنى فى العفاة لكنت مصيبا قال البصريون فى تقدير أشياء هى (فعلاء) نقلت همزتها الى أولها كما قالوا (عقاب بعنقاة) قال الفراء ولم أجدلهم فى ذلك مذهبا يشبه وجه العربية لانهم أكثروا على الشيء العلة فقدموا مالم يقدم ولم نسمعه وجمعوه وهو ذكر خفيف لم يأت الافيما واحدته مثقلة مؤنثة مثل (القصبة) و (القصباء) و(الشجرة) و(الشجراء) (٣٣٢) و (الطرفة) و (الطرفاء) قال الفراء قال الكسائى وغيره من أصحابنا انما ترك اجراؤها لانها شبهت بفعلاء وكثرت (أشياوات) كما جمعوا (الفعلا) على (الفعلاوات) قال الفراء كان أصل شيء (شيء) فى الكلام حتى جمعت على مثال (شيع) ثم جمع على أفعلاء مثل (ابن) و (ابناء) ثم تركوا من أشياء الهمزة من العين فخفف وترك الاجراء لانه أفعلاء

«باب ماجمعه وواحده سواء»

(الفلك) و (السفن) واحدها فلك قال الله جل ثناؤه فى الفلك المشحون وقال فى موضع آخر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم و (الطاغوت) واحد وجمع ومذكر ومؤنث قال الله جل ثناؤه أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم وقال والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها و(الزوج) يكون واحدا ويكون اثنين قال الله جل ثناؤه من كل زوجين اثنين وهو ههنا واحد ويقال للاثنين اذا كان أحدهما ذكرا والآخر أنثى وكانا من جنس واحد هذا زوج هذا والمعنى أجمل من كل ذكر وأنثى اثنين (الكسائى) يقال غلام (يفعة) وغلمان (يفعة) الجميع مثل الواحد قال سيبويه يقال (جمل عبر أسفار) و (جمال عبر أسفار) و (درع دلاص) و (ادرع دلاص) وربما قيل (دلص) و (امرأة هجان) و (نسوة هجان) وربما قيل (هجاين) وقال س (الحلفاء) واحد وجمع وكذلك (الطرفاء) و (بهمى) واحدة وجميع و (شكاعى) واحدة وجميع وقال غيره (الطرفاء) جمع (طرفة) و (الحلفاء) جمع (حلفة) و (الشجراء) جمع

لاستحق بها فضيلة التقدم (ومما ينتظم بهذا النوع) ماتوارداعليه أبو عبادة البحترى وأبو الطيب المتنبى فى وصف الاسد وقصيدتاهما مشهورتان فأول احداهما * أجدك ماينفك يسرى لزينبا * وأول الاخرى * فى الخدان عزم الخليط رحيلا * أما البحترى فانه ألم بطرف مما ذكر بشر بن عوانة فى أبياته الرائية التى أولها

أفاطم لو شهدت ببطن خبت * وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا

وهذه الابيات من النمط العالى الذى لم يأت أحد بمثلها وكل الشعراء لم تسم قرائحهم الى استخراج معنى ليس بمذكور فيها ولولا خوف الاطالة لاوردتها بجملتها لكن الغرض انما هو المفاضلة بين البحترى وأبى الطيب فيما أورداه من المعانى فى هذا المقصد المشار اليه فمما جاء للبحترى من قصيدته

وما تنقم الحساد الا اصالة * لديك وعزما أريحيا مهذبا
وقد جربوا بالامس منك عزيمة * فضلت بها السيف الحسام المجربا
غداة لقيت الليث والليث مخدر * يحدد نابا باللقاء ومخلبا
اذا شاء غادى عانة أوعدا على * عقائل سرب أوتقنص ربربا
شهدت لقد أنصفته حين ينبرى * له مصلتا عضبا من البيض مقضبا
فلم أر ضرغامين أصدق منكما * عراكا اذا الهيابة النكس كذبا
هزبرا مشى يبغى هزبرا وأغلبا * من القوم يغشى باسل الوجه أغلبا
أذل بشغب ثم هالته صولة * رآك لها أمضى جنانا وأشغبا
فاحجم لما لم يجد فيك مطمعا * وأقدم لما لم يجد عنك مهربا
فلم يغنه أن كر نحوك مقبلا * ولم ينجه أن حاد عنك منكبا
حملت عليه السيف لا عزمك انثنى * ولا يدك ارتدت ولا حده نبا

ومما جاء لابى الطيب المتنبى فى قصيدته

أمعفر الليث الهزبر بسوطه * لمن ادخرت الصارم المصقولا
ورد اذا ورد البحيرة شاربا * ورد الفرات زئيره والنيلا
متخضب بدم الفوارس لابس * فى غيله من لبدتيه غيلا
ما قوبلت عيناه الا ظنتا * تحت الدجى نار الفريق حلولا
فى وحدة الرهبان الا أنه * لا يعرف التحريم والتحليلا
يطأ البر مترفقا من تيهه * فكأنه آس يجس عليلا
ويرد عفرته الى يافوخه * حتى يصير لرأسه إكليلا

قصرت

(شجرة) و (القصباء) جمع (قصبة) قال الفراء مثل ذلك إلا فى الحلفاء فانه قال لم أسمع الواحدة منها (الاحلفاءة) وتصغر حليفية قال غيره يقال (بعير قرحان) اذا لم يصبه الجرب (وصبي قرحان) اذا لم يصبه الجدرى الواحد والاثنان والمذكر والمؤنث فيه سواء وكذلك (شاة) شخص وهى التى ذهب لبنها و (رجل قرم) وأصله الشتاء أرد الماء وشره (وعبدقن) الواحد والاثنان والجميع والمذكر والمؤنث فى هذه الأحرف سواء الا أن جريرا قال* أولاد قوم خلقوا أقنه * فجمع قال والاسم اذا وصف بالمصدر كان واحده وجميعه سواء وكذلك مذكره ومؤنثه كان بمعنى المفعول أو بمعنى الفاعل يقال (ماء غور) ومياه (غور) أى غائر وانما هذا مصدر غار الماء غورا و (يوم غم) بمعنى غام و (أيام غمم) و (رجل نوم) بمعنى نائم و رجل صوم أى صائم و (رجل فطر) أى مفطر و (رجل فرط) إلى الماء و (قوم فرط) و (ماء كرع) للماء يكرع فيه و (لبن حلب) أى محلوب و (ماء صرى) و (مياه صرى) ويقال هو (رضي) و (رجل كرم) و (نساء كرم) و (رجل قز) و (رجال قز) و (ماء سكب) و (اذن حشر) انما هى حشرت فهى محشورة و (هذا الدرهم ضرب بلد كذا) أى مضروب و (هذا خلق الله) و (هؤلاء خلق الله) أى مخلوقو الله كل هذه مصادر لا تجمع ولا تؤنث وتقول (هم قريب منك) وهو (قريب منك) و (هو أمم) و (هم أمم) و (هم قمن) و (هم قمن) و هو (حرى) و (هم حرى) فان أدخلت الياء قلت فى قمن قمين فثنيت وجمعت وأنثت أبو عبيدة (فرس عياء) لايحسن أن ينزو وفى الجمع كذلك (حصن عياء) و (رجل جنب) قال الله جل ثناؤه وان كنتم جنبا فاطهروا و (رجل عدل ورجال عدل) ﴿باب ماجاء على بنية الجمع وهو وصف لواحد﴾ قالوا (برمة أعشار) و (ثوب أسمال) و (أخلاق) و (نعل أسماط) اذا كانت غير مخصوفة و (سراويل أسماط) إذا كانت محشوة قال الكسائى وانما قال ثوب أخلاق أرادوا أن نواحيه أخلاق فلذلك جمع

قصرت مخافته الخطا فكأنما * ركب الكمى جواده مشكولا
ألقى فريسته وزمجردونها * وقربت قربا خاله تطفيلا
فتشابه القربان فى أقدامه * وتخالفا فى بذلك المأكولا
أسد يرى عضويه فيك كليهما * متنا أزل وساعدا مفتولا
مازال يجمع نفسه فى زورة * حتى حسبت العرض منه الطولا
وكأنما غرته عين فادنى * لا يبصر الخطب الجليل جليلا
أنف الكريم من الدنية تارك * فى عينه العدد الكثير قليلا
والعار مضاض وليس بخائف * من حتفه من خاف مما قيلا
خذلته قوته وقد كافحته * فاستنصر التسليم والتجديلا
سمع ابن عمته به وبحاله * فمضى يهرول أمس منك مهولا
وأمر مما فر منه فراره * وكقتله أن لا يموت قتيلا
تلف الذى اتخذ الجراءة خلة * وعظ الذى اتخذ الفرار خليلا

وسأحكم بين هاتين القصيدتين والذى يشهد به الحق وتنفيه العصبية أذكره وهو أن معانى أبى الطيب أكثر عدداً وأسد مقصدا ألاترى أن البحترى قد قصر مجموع قصيدته على وصف شجاعة الممدوح فى تشبيهه بالاسد مرة وتفضيله عليه أخرى ولم يأت بشىء سوى ذلك وأما أبو الطيب فانه أتى بذلك فى بيت واحد وهو قوله

أمعفر الليث الهزبر بسوطه * لمن ادخرت الصارم المصقولا

ثم انه تفنن فى ذكر الأسد فوصف صورته وهيئته ووصف أحواله فى انفراده فى جنسه وفى هيئة مشيه واختياله ووصف خلق نجله مع شجاعته وشبه الممدوح به فى الشجاعة وفضله عليه بالسخاء ثم انه عطف بعد ذلك على ذكر الانفة والحمية التى بعثت الاسد على قتل نفسه بلقاء الممدوح وأخرج ذلك فى أحسن مخرج وأبرزه فى أشرف معنى واذا تأمل العارف بهذه الصناعة أبيات الرجلين عرف ببديهة النظر ماأشرت اليه والبحترى وان كان أفضل من المتنبى فى صوغ الألفاظ وطلاوة السبك فالمتنبي أفضل منه فى الغوص على المعانى ومما يدلك على ذلك أنه لم يعرض لماذكره فى أبياته الرائية لعلمه أن بشرا قد ملك رقاب تلك المعانى واستحوذ عليها ولم يترك لغيره شيئا يقوله فيها ولفطانة أبى الطيب لم يقع فيما وقع فيه البحترى من الانسحاب على ذيل بشر لأنه قصر عنه تقصيرا كثيرا ولما كان الأمر كذلك عدل أبو الطيب عن سلوك الطريق وسلك غيرها فجاء فيما أورد مبرزا (واعلم) أن من أبين البيان فى المفاضلة بين أرباب النظم والنثر أن يتوارد اثنان منهما على مقصد من المقاصد يشتمل على عدة معان كتوارد البحترى والمتنبى

﴿أبنية نعوت المؤنث﴾ ماكان من النعوت على (فعلان) فالأنثى (فعلى) هذا هو الأكثر نحو (غضبان) و (غضبى) و (سكران) و (سكرى) و بعضهم يقول (سكرانة) و (غضبانة) وقالوا (رجل سفيان) للطويل المشقوق و (امرأة سفيانة) و (رجل موتان الفؤاد) و (امرأة موتانة) ولم يقولوا في هذين فعلى ﴿وما كان على فعلان فمؤنثه بالهاء﴾ نحو (خمصان) و (خمصانة) و (عريان) و (عريانة) و (أفعل) مؤنثه (فعلاء) نحو (أحمر) (٣٣٤) و (حمراء) و (أعشى) و (عشواء) و ربما قالوا في المذكر أفعل ولم يقولوا في المؤنث فعلاء قالوا للفرس الخفيف الناصية (أسفى) ولم يقولوا للأنثى (سفواء) وقالوا للبغلة (سفواء) ولم يقولوا للبغل أسفى وربما قالوا في المؤنث (فعلاء) ولم يقولوا في المذكر (أفعل) قالوا (ناقة قصواء) وهي المقطوعة طرف الاذن أو المشقوقة الاذن ولم يقولوا في البعير (أقصى) إنما هو (مقصى) و (مقصى) و (مقصو) وقالوا (ناقة روعا) اذا كانت نشيطة ولا يقال للجمل (أروع) و (ناقة قرواء) طويلة الظهر ولم يقولوا للجمل (أقرى) وقد حكى ابن الاعرابي أقرى وقال العجاج وذكر ريحا (حدواء) جاءت من جبال الطور جعلها حدواء لأنها تحد السحاب أي تسوقه ولم يقولوا في المذكر أحدى وقال امرؤ القيس *ديمة هطلاء فيها وطف* ولم يقولوا في المذكر (أهطل) انما يقال هطل وقد يوصف المؤنث بما لا يوصف به المذكر ألا

فتى

تراهم قالوا (ناقة أجد) ولم يقولوا (بعير أجد) وعلامات التأنيث تكون آخرا بعد كمال الاسم الا (كلتا) فان التاء وهي علامة التأنيث جعلت قبل آخر الحرف وقالوا (بهماة) فأدخلوا الهاء التي هي علامة التأنيث على ألف فعلى وهي علم التأنيث وفعلى لا تكون الا للمؤنث ﴿أبنية المصادر﴾ (فعل يفعل) المصدر من هذا (فعل) نحو (ضرب ضربا) و (حطم حطما) و يجيء على فعل قالوا (حرمه يحرمه حرما) و (سرقه سرقا) و يجيء على فعال نحو (نكح نكاحا) و (سبق سباقا) و يجيء على فعلان

ههنا على وصف الاسد وهذا أبين في المفاضلة من التوارد على معنى واحد يصوغه هذا في بيت من الشعر وفي بيتين و يصوغه الآخر في مثل ذلك فان بعد المدى يظهر ما في السوابق من الجواهر وعنده يتبين ربح الرابح وخسر الخاسر فاذا شئت أن تعلم فضل ما بين هذين الرجلين فانظر الى قصيدتيهما في مراثي النساء التي مفتتح أحدهما يا أخت خير أخ يا بنت خير أب * كناية بهما عن أكرم العرب وهي لأبي الطيب ومفتتح الأخرى

غروب دمع من الأجفان ينهمل * وحرقة بغليل الحزن تشتعل

وهي للبحتري فان أبا الطيب انفرد بابتداع ما أتى به من معاني قصيدته والبحتري أتى بما أكثره غث بارد والمتوسط منه لا فرق فيه بين رثاء امرأة أو رجل (ومن الواجب) أنه اذا سلك الناظم أو الناثر مسلكا في غرض من الاغراض أن لا يخرج عنه كالذي سلكه هذان الرجلان في الرثاء بامرأة فان من حذاقة الصنعة أن يذكر ما يليق بالمرأة دون الرجل وهذا الموضع لم يأت فيه أحد بما يثبت على المحك الا أبو الطيب وحده وأما غيره من مفلقي الشعراء قديما وحديثا فانهم قصروا عنه وله في هذا المعنى قصيدة أخرى مفتتحها

نعد المشرفية والعوالي * وتقتلنا المنون بلا قتال

وكفى بهما شاهدا على ما ذكرته من انفراده بالابداع فيما أتى به والفتيا عندي بينه و بين البحتري أن أبا الطيب أنفذ في المضيق وأعرف باستخراج المعنى الدقيق وأما البحتري فانه أعرف بصوغ الألفاظ وحوك ديباجتها وقد تقدمت أن الحكم بين الشاعرين في اتفاقهما في المعنى أبين من الحكم بينهما فيما اختلفا فيه لأنهما مع الاتفاق في المعنى يتبين قولاهما و يظهران ظهورا يعلم ببديهة النظر و يتسارع اليه فهم من ليس بثاقب الفهم وأما اختلافهما في المعني فانه يحتاج في الحكم بينهما فيه إلى كلام طويل يعز فهمه ولا يتفطن له الا بعض الناس دون بعض بل لا يتفطن له الا الفذ الواحد من الناس ولي في هذا مقالة مفردة ضمنتها الحكم بين المعنيين المختلفين وتكلمت عليه كلاما طويلا عريضا وأقمت الدليل على ما نصصت عليه وما منعني من إيرادها في كتابي هذا إلا أنها سنحت لي بعد تصنيفه وشياعه في أيدي الناس وتناقل النسخ به وعلى هذا الأسلوب توارد البحتري والشريف الرضي على ذكر الذئب في قصيدة للبحتري دالية أولها * سلام عليكم لا وفاء ولا عهد * ومقطوعة للشريف الرضي أولها

وعاري الشوى والمنكبين من الطوى * أتيح له بالليل عاري الاشاجع

وقد أجاد البحتري في وصف حاله مع الذئب والشريف أجاد في وصف الذئب نفسه (وأما المسخ) فهو قلب الصورة الحسنة إلى صورة قبيحة والقسمة تقتضي أن يقرن اليه ضده وهو قلب الصورة القبيحة إلى صورة حسنة فالأول كقول أبي تمام

فتى لا يرى أن الفريصة مقتل * ولكن يرى أن العيوب مقاتل

وقول أبي الطيب المتنبي

يرى أن ما ما بان منك لضارب * بأقتل مما بان منك لعائب

فهو وان لم يشوه المعنى فقد شوه الصورة ومثاله في ذلك كمن أودع الوشي شملا وأعطى الورد جملا وهذا من أرذل السرقات وعلى نحو منه جاء قول عبدالسلام بن رغبان

نحن نعزيك ومنك الهدى * مستخرج والصبر مستقبل
نقول بالعقل وأنت الذي * نأوي اليه وبه نعقل
اذا عفا عنك وأودى بنا * الدهر فذاك المحن المجمل

أخذه أبو الطيب فقلب أعلاه أسفله فقال

ان يكن صبر ذي الرزية فضلا * تكن الافضل الاعز الاجلا
أنت يا فوق أن تعزى عن الاحـ * ـباب فوق الذي يعزيك عقلا
و بألفاظك اهتدى فاذا * عزاك قال الذي له قلت قبلا

والبيت الاخير من هذه الأبيات هو الآخر قدرا وهو المخصوص بالمسخ وأما قلب الصورة القبيحة الى صورة حسنة فهذا لا يسمى سرقة بل يسمى اصلاحا وتهذيبا فمن ذلك قول أبي الطيب المتنبي لو كان ما تعطيهم من قبل أن * تعطيهم لم يعرفوا التأميلا

وقول ابن نباتة السعدي

لم يبق جودك لي شيئا أؤمله * تركتني أصحب الدنيا بلا أمل

وعلى هذا النحو ورد قول أبي نواس في أرجوزة يصف فيها اللعب بالكرة والصولجان فقال من جملتها جن على جن وان كانوا بشر * كأنما خيطوا عليها بالابر

ثم جاء المتنبي فقال فكأنها نتجت قياما تحتهم * وكأنهم ولدوا على صهواتها

وبين القولين كما بين السماء والأرض فانه يقال ليس للارض الى السماء نسبة محسوسة وكذلك يقال ههنا أيضا فان بقدر ما في قول أبي نواس من النزول والضعف فكذلك في قول أبي الطيب من العلو والقوة وربما ظن بعض الجهال أن قول الشماخ

اذا بلغتني وحملت رحلي * عرابة فاشرقي بدم الوتين

وقول أبي نواس واذا المطي بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرجال حرام

من هذا القبيل الذي هو قلب الصورة القبيحة الى صورة حسنة وليس كذلك فان قلب الصورة القبيحة الى صورة حسنة هو أن يؤخذ المعنى الواحد فيكسى عبارتين احداهما قبيحة والاخرى حسنة فالحسن والقبيح انما يرجع الى التعبير لا الى المعنى نفسه وقول أبي نواس هو

نحو و (جدّ يجد وجدانا) و (حرم يحرم حرمانا) و (أتاه اتيانا) و يجيء على فعالة نحو (حماه حماية) و (نكاه ينكيه نكاية) و يجيء على فعلة نحو (حميته حمية) وعلى فعلة وفعل نحو (غلبه يغلبه غلبة وغلبا وسرقه سرقا) وعلى فعلان نحو (لواه ليانا) وعلى فعلان نحو (عسل يعسل عسلانا) و (مال يميل ميلانا) وعلى فعول نحو و (ثب وثوبا) وعلى فعيل نحو (صهل صهيلا) و (وجب قلبه وجيبا) و يجيء على فعال قالوا (قضى قضاء) و (مضى مضاء) و (نمى نماء) و يجيء في المعتل على فعل قالوا (هداه يهديه هدى) و (سرى يسرى سرى) وليس يجيء مصدر على فعل الا في المعتل وقالوا (التقى) أيضا (فعل يفعل) يجيء المصدر من هذا على فعول نحو (سكت سكوتا) و (خرج خروجا) وعلى فعل نحو (قتله قتلا) و (دقه دقا) وعلى فعل نحو (حلب حلبا) و (طرد يطرد طردا) و (سلبه سلبا) و (حزنه حزنا) و (طلبه طلبا) و (جلب جلبا) وهو قليل وعلى فعل (خنقه خنقا) وعلى فعل نحو (ذكر ذكرا) و (قال يقول قيلا) وعلى فعل نحو (شكر شكرا) و (كفر كفرا) وعلى فعلان نحو (شكر شكرانا) و (كفر كفرانا) ويجيء على فعال نحو (نعس ينعس نعاسا) و (صرخ يصرخ صراخا) وعلى فعلان نحو (نزا ينزو نزوانا) و (طاف يطوف طوفانا) وعلى فعيل نحو (خب يخب خبيبا) وعلى فعالة نحو (زار يزور زيارة) و (ساس سياسة) و (عبد عبادة) وعلى فعال نحو (قام قياما وصام صياما) و (كتب كتابا) و بعض العرب يقول كتبا على القياس و (حجبه حجابا) و يجيء على فعال نحو (زال يزول زوالا) و (ثبت يثبت ثباتا وثبوتا) (فعل يفعل) يجيء المصدر من هذا على فعل نحو (تعب تعبا) و (سخط سخطا) وعلى فعل نحو (بلع يبلع بلعا) و (لحس يلحس لحسا) وعلى فعول نحو (لزمه لزوما) و (نهكته الحمى نهوكا) وعلى فعل نحو (شرب شربا) و (وددت فلانا ودا) وعلى فعال نحو (سفد يسفد سفادا) وعلى فعلان نحو (غشي غشيانا)

و (حسب حسبانا) وعلى فعال نحو (سمع يسمع سماعا) وعلى فعلة نحو (رحمه رحمة) وعلى فعلان (شنئته أشنأه شنآنا) وعلى فعل نحو (ضحك ضحكا) و (لعب لعبا) وعلى فعالة نحو (زهد زهادة) و (سئمت سآمة) و (قنعت قناعة) وعلى فعلة نحو (شهب يشهب شهبة) و (كهب يكهب كهبة) و (صدئ يصدأ صدأة) وعلى فعل نحو (علم يعلم علما) ﴿ فعل يفعل ﴾ يجيء المصدر من هذا على فعول (جحده يجحده جحودا) وعلى فعال نحو (سأله يسأله سؤالا) و (مزح يمزح مزاحا) وعلى فعلان نحو

عكس قول الشماخ وقد تقدم مثل ذلك فيما مضى من ضروب السرقات ألا ترى الى قول أبي الطيب المتنبي وقول الشريف الرضي فقال أبو الطيب

انى على شغفي بما في خمرها * لاعف عما في سراويلاتها

وقول الشريف الرضي

أحن الى ماتضمن الخمر والحلي * وأصدف عما في ضمان المآزر

فالمعنى واحد والعبارة مختلفة في الحسن والقبيح وهذه السرقات وهي ستة عشر نوعا لا يكاد يخرج عنها شيء واذا أنصف الناظر في الذى أتيت به ههنا علم ان قد ذكرت مالم يذكره غيرى وأنا أسأل الله التوفيق لأن أكون لفضله شكورا وأن لا أكون مختالا فخورا (واذا فرغت من تصنيف هذا الكتاب) وحررت القول في تفصيل أقسام الفصاحة والبلاغة والكشف عن دقائقهما وحقائقهما فينبغي أن أختمه بذكر فضليهما فأقول ﴿ اعلم ﴾ أن هذا الفن هو أشرف الفضائل وأعلاها درجة ولولا ذلك لما فخر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في عدة مواقف فقال تارة أنا أفصح من نطق بالضاد وقال تارة أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي كان كل نبي يبعث في قومه و بعثت الى كل أحمر وأسود وأحلت لى الغنائم وجعلت لى الارض طيبة وطهورا ونصرت بالرعب بين يدى مسيرة شهر وأوتيت جوامع الكلم وما سمع بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتخر بشيء من العلوم سوى علم الفصاحة والبلاغة فلم يقل انه أفقه الناس ولا أعلم الناس بالحساب ولا بالطب ولا بغير ذلك كما قال أنا أفصح من نطق بالضاد وأيضا فلولم تكن هذه الفضيلة من أعلى الفضائل درجة لما اتصل الاعجاز بها دون غيرها فان كتاب الله تعالى نزل عليها ولم ينزل بمعجز من مسائل الفقه ولا من مسائل الحساب ولا من مسائل الطب ولا غير ذلك من العلوم ولما كانت هذه الفضيلة بهذه المكانة صارت في الدرجة العالية والمنثور منها أشرف من المنظوم لاسباب من جملتها أن الاعجاز لم يتصل بالمنظوم وانما اتصل بالمنثور الآخر أن أسباب النظم أكثر ولهذا نجد المجيدين منهم أكثر من المجيدين من الكتاب بل لا نسبة لهؤلاء الى هؤلاء ولو شئت أن تحصى أرباب الكتابة من أول الدولة الاسلامية الى الآن لما وجدت منهم من يستحق اسم الكاتب عشرة واذا أحصيت الشعراء في تلك المدة وجدتهم عددا كثيرا حتى لقد كان يجتمع منهم في العصر الواحد جماعة كثيرة كل منهم شاعر مفلق وهذا لا نجده في الكتاب بل ربما ندر الفرد الواحد في الزمن الطويل وليس ذلك الا لوعورة المسلك من النثر و بعد مناله والكاتب هو أحد دعامتي الدولة فان كل دولة لا تقوم الا على دعامتين من السيف والقلم وربما لا يفتقر الملك في ملكه الى السيف الامرة أو مرتين وأما القلم فانه يفتقر اليه على الايام وكثيرا ما يستغنى به عن السيف واذا سئل عن الملوك الذين غبرت أيامهم لا يوجد منهم من حسن اسمه من بعده الا من حظى بكاتب خطب عنه ونفم أمر دواته وجمل ذكرها

(لمع يلمع لمعانا) و (دأل يدأل دألانا) وعلى فعل نحو (نفع ينفع نفعا) و (ذبح يذبح ذبحا) وعلى فعال نحو (ذهب يذهب ذهابا) وعلى فعالة نحو (رأقراءة) وعلى فعالة نحو (نضج ينضج نضاجة) وعلى فعال نحو (طمح طماحا) و (ضرح ضراحا) ﴿ فعل يفعل ﴾ يجيء المصدر من هذا على فعالة نحو (ملح يملح ملاحة) و (نبل ينبل نبالة) وعلى فعل نحو (قبح يقبح قباحة وقبوحة) و (سهل يسهل سهولة) وعلى فعل نحو (حسن يحسن حسنا) و (قبح يقبح قبحا) وعلى فعل نحو (صغر صغرا) و (عظم عظما) و (سرع يسرع سرعا) وعلى فعل قالوا (كرم كرما) و (شرف شرفا) وعلى (فعلة وفعلة) نحو (وضع يوضع ضعة وضعة) و (وقح يوقح قحة وقحة) وعلى فعل قالوا (ظرف يظرف ظرفا) قال سيبويه اما قولهم الجمال فانه مصدر جمل يجمل وأصله جمالة كما قالوا (صبح صباحة) و (قبح قباحة) فحذفوا وقالوا من غير هذا الباب (شقى شقاء وشقاوة) كما قالوا (سعد سعادة) وقالوا (اللذاذ واللذاذة) وانما هو مصدر (لذيذ) وقالوا (بهو يبهو بهاء) و (بذو يبذو بذاء) مثل جمال ﴿ باب مصادر بنات الاربعة فما فوق ﴾ يجيء مصدرا فعلت على افعال تقول (أكرمت إكراما) و (أعطيت اعطاء) والالف مقطوعة وفي المعتل على افعالة تقول (أقمته اقامة) و (أجلته اجالة) وانما أدخلت الهاء فيه تعويضا مما

خالدا

خالداً يتناقله الناس رغبة فى فصل خطابه واستحساناً لبداعة كلامه فيكون خلود ذكرها فى خفارة مادونه قلمه ورقمته أساطيره وليس الكاتب بكاتب حتى يضطر عدو الدولة أن يروى أخبار مناقبها فى حفله ويصبح ولسانه حامد لمساعيها و بقلبه مابه من غله ولقد أحسن أبو تمام فى هذا المعنى حيث قال

سأجهد حتى أبلغ الشعر شأوه * وان كان طوعا لى ولست بجاهد
فان أنا لم يحمدك عنى صاغرا * عدوك فاعلم أننى غير حامد

وهذا الذى ذكرته حق وصدق لا ينكره إلا جاهل به وأنا أسأل الله الزيادة من فضله وان لم أكن أهلا له فانه هو من أهله (ووقفت على كلام لأبى اسحق الصابى) فى الفرق بين الكتابة والشعر وهو جواب لسائل سأله فقال ان طريق الاحسان فى منثور الكلام يخالف طريق الاحسان فى منظومه لأن الترسل هو ما وضح معناه وأعطاك سماعه فى أول وهلة ما تضمنته ألفاظه وأفخر الشعر ما غمض فلم يعطك غرضه إلا بعد مماطلة منه ثم قال بعد ذلك ولسائل أن يسأل فيقول من أية جهة صار الاحسن فى معنى الشعر الغموض وفى معانى الترسل الوضوح فالجواب أن الشعر بنى على حدود مقررة وأوزان مقدرة وفصلت أبياته فكان كل بيت منها قائما بذاته وغير محتاج إلى غيره إلا ما جاء على وجه التضمين وهو عيب فلما كان النفس لا يمتد فى البيت الواحد بأكثر من مقدار عروضه وضربه وكلاهما قليل احتيج إلى أن يكون الفصل فى المعنى فاعتمد أن يلطف و يدق والترسل مبنى على مخالفة هذه الطريق إذ كان كلاما واحدا لا يتجزى ولا يتفصل إلا فصولا طوالا وهو موضوع وضع ما يهذ هذا و يمر به على أسماع شتى من خاصة ورعية وذوى أفهام ذكية وأفهام غبية فاذا كان متسلسلا ساغ فيها وقرب لجميع ما يستحب فى الأول يكره فى الثانى حتى أن التضمين عيب فى الشعر وهو فضيلة فى الترسل ثم قال بعد ذلك والفرق بين المترسلين والشعراء أن الشعراء إنما أغراضهم التى يرمون إليها وصف الديار والآثار والحنين إلى الأهواء والأوطار والتشبيب بالنساء والطلب والاجتداء والمديح والهجاء وأما المترسلون فانما يترسلون فى أمر سداد ثغر واصلاح فساد أو تحريض على جهاد أو احتجاج على فئة أو مجادلة لمسئلة أو دعاء إلى ألفة أو نهى عن فرقة أو تهنئة بعطية أو تعزية برزية أو ما شاكل ذلك هذا ما انتهى إليه كلام أبى اسحق فى الفرق بين الترسل والشعر ولقد عجبت من مثل ذلك الرجل الموصوف بذلاقة اللسان و بلاغة البيان كيف يصدر عنه مثل هذا القول الناكب عن الصواب الذى هو فى باب ونصى النظر فى باب اللهم غفرا وسأذكر ما عندى فى ذلك لا ارادة للطعن عليه بل تحقيقا لمحل النزاع فأقول أما قوله إن الترسل هو ما وضح معناه والشعر ما غمض معناه فان هذه دعوى لا مستند لها بل الأحسن فى الأمرين معا إنما هو الوضوح والبيان على أن اطلاق القول على هذا الوجه من غير تقييد لا يدل على الغرض الصحيح بل صواب القول فى هذا أن يقال كل كلام من منثور ومنظوم فينبغى أن تكون مفردات ألفاظه مفهومة لأنها ان لم تكن مفهومة فلا تكون فصيحة لكن إذا صارت مركبة نقلها التركيب عن تلك الحال فى فهم معانيها فمن المركب منها ما يفهمه الخاصة والعامة ومنه ما لا يفهمه إلا الخاصة وتتفاوت درجات فهمه ويكفى من ذلك كتاب الله تعالى فانه أفصح الكلام وقد خوطب به الناس كافة من خاص وعام ومع هذا فمنه ما يتسارع الفهم إلى معانيه ومنه ما يغمض فيعز فهمه والألفاظ المفردة ينبغى أن تكون مفهومة سواء كان الكلام نظما أو

ذهب منه والذاهب منه موضع العين من الفعل وربما حذفت الهاء إذا أضيفت نحو قول الله جل ثناؤه وأقام الصلاة وكذلك الاستفعالة نحو الاستقامة (ويجىء مصدر فعلت على التفعيل والفعال) نحو كلمته (تكليما وكلاما) و (كذبته تكذيبا وكذابا) و (جملته تجميلا وجمالا) وفى بنات الياء والواو على تفعلة نحو (تعزية) (ويجىء مصدر فاعلت على مفاعلة وعلى فعال وعلى فيعال) نحو (جالسته مجالسة) و (قاعدته مقاعدة) و (ماريته مراء) وجادلته جدالا قال (١) يقولون (تفعلت تفعالا) يقولون (قاتلته قيتالا) ويجىء مصدر (تفعلت) على التفعل (يقولون تقولت تقولا) و (تكذبت تكذبا) والذين يقولون كلمته كلاما يقولون (تجملت تجمالا) (ويجىء مصدر تفاعلت على التفاعل) بضم العين نحو (تغافلت تغافلا) وقد شذ منه حرف تقوله بعض العرب بالكسر وبعضها بالفتح قالوا (تفاوت الأمر تفاوتا وتفاوتا) حكاه أبو زيد قال والكلابيون يفتحون

(١) بياض بالأصل الذى بأيدينا

نثرا و اذا تركبت فلا يلزم فيها ذلك وقد تقدم فى كتابى هذا أدلة كثيرة على هذا فتؤخذ من مواضعها وأما الجواب الذى أجاب به فى الدلالة على غموض الشعر و وضوح الكلام المنثور فليس ذلك بجواب وهب أن الشعر كان كل بيت منه قائما بذاته فلم كان مع ذلك غامضا وهب أن الكلام المنثور كان واحدا لا يتجزى فلم كان مع ذلك واضحا ثم لو سلمت اليه هذا فماذا يقول فى الكلام المسجوع الذى كل فقرة منه بمنزلة بيت من شعر وأما قوله فى الفرق بين الشاعر والكاتب أن الشاعر من شأنه وصف الديار والآثار والحنين إلى الأهواء والاوطار والتشبيب بالنساء والطلب والاجتداء والمديح والهجاء وأن الكاتب من شأنه الافاضة فى سداد ثغر أو اصلاح فساد أو تحريض على جهاد أو احتجاج على فئة أو مجادلة لمسئلة أو دعاء إلى ألفة أو نهى عن فرقة أو تهنئة بعطية أو تعزية برزية فان هذا تحكم محض لا يستند إلى شبهة فضلا عن بينة وأى فرق بين الشاعر والكاتب فى هذا المقام فكما يصف الشاعر الديار والآثار ويحن إلى الاهواء والاوطار فكذلك يكتب الكاتب فى الاشتياق إلى الاوطان ومنازل الاحباب والاخوان ويحن إلى الاهواء والاوطار ولهذا كانت الكتب الاخوانيات بمنزلة الغزل والنسيب من الشعر وكما يكتب الكاتب فى اصلاح فساد أو سداد ثغر أو دعاء إلى ألفة أو نهى عن فرقة أو تهنئة أو تعزية فكذلك الشاعر فان شذ عن الصابى قصائد الشعراء فى أمثال هذه المعانى فكيف خفى عنه قصيدة أبى تمام فى استعطاف مالك بن طوق على قومه التى مطلعها

* لو أن دهرا رد رجع جوابى * أم كيف أخل بالنظر فى ديوان أبى الطيب المتنبى وهما فى زمن واحد فهلا تأمل قصيدته فى الاصلاح بين كافور الاخشيدى و بين مولاه الذى مطلعها

* حسم الصلح ما اشتهته الاعادى * وكذلك لا شك أنه لم يقف على قصيد أبى عبادة البحترى فى غزو البحر التى مطلعها * ألم تر تفليس الربيع المبكر * ولو أخذت فى تعداد قصائد الشعراء فى الاغراض التى أشار اليها وخص بها الكاتب لأطلت وذكرت الكثير الذى يحتاج إلى أوراق كثيرة وكل هذه الفروق التى نص عليها وعددها فليست بشىء ولا فرق بين الكتابة والشعر فيها والذى عندى فى الفرق بينهما هو من ثلاثة أوجه (الاول) من جهة نظم أحدهما ونثر الآخر وهذا فرق ظاهر (الثانى) أن من الالفاظ ما يعاب استعماله نثرا ولا يعاب نظما وذلك شىء استخرجته ونبهت عليه فى القسم الاول المختص باللفظة المفردة فى المقالة الاولى من هذا الكتاب وسأعيد ههنا منه شيئا فأقول قد ورد فى شعر أبى تمام قوله

هى العرمس الوجناء وابن ملمة * وجاش على ما يحدث الدهر خافض

وكذلك ورد فى شعر أبى الطيب المتنبى كقوله

ومهمه جبته على قدمى * تعجز عنه العرامس الذلل

فلفظة المهمه والعرامس لا يعاب استعمالها فى الشعر ولو استعملا فى كتاب أو خطبة كان استعمالها معيبا وكذلك ما يشاكلهما و يناسبهما من الالفاظ وكل ذلك قد ضبطته بضوابط وحددته بحدود تفصله من غيره من الالفاظ فليؤخذ من المقالة الاولى ولولا خوف التكرار لاعدته ههنا (الثالث) أن الشاعر إذا أراد أن يشرح أمورا متعددة ذوات معان مختلفة فى شعره واحتاج إلى الاطالة بأن ينظم مائتى بيت أو ثلثمائة أو أكثر من ذلك فانه لا يجيد فى الجميع ولا فى الكثير منه بل يجيد فى جزء قليل والكثير من ذلك ردىء غير مرضى والكاتب لا يؤتى من ذلك بل يطيل فى الكتاب الواحد اطالة واسعة تبلغ عشر طبقات من القراطيس أو أكثر وتكون مشتملة على ثلثمائة سطر أو أربعمائة أو خمسمائة وهو مجيد فى ذلك كله وهذا لا نزاع

(ويجىء مصدر افتعلت على افتعال) نحو (اقتتلنا اقتتالا) و (احتبست احتباسا)

(ويجىء مصدر انفعلت على انفعال) نحو (انطلقت انطلاقا) و (انصرم الشىء انصراما)

(ويجىء مصدر افعللت على افعلال) نحو (احمررت احمرارا) و (اسوددت اسودادا)

(ويجىء مصدر افعاللت على افعيلال) نحو (اشهاببت اشهيبابا) ومصدر افعولت على افعوال نحو (اجلوذا جلواذا) ومصدر افعنللت على افعنلال نحو (اقعنسست اقعنساسا) ومصدر افعوعلت على افعيعال نحو (اغدودنت اغديدانا) ومصدر استفعلت على استفعال نحو (استخرجت استخراجا)

﴿باب ما جاء فيه المصدر على غير المصدر﴾

قال الله عز وجل (والله أنبتكم من الارض نباتا) فجاء على نبت وقال الله جل ثناؤه (وتبتل اليه تبتيلا) فجاء على بتل وقال الشاعر

فيه لاننا رأيناه وسمعناه وقلناه (وعلى هذا) فانى وجدت العجم يفضلون العرب فى هذه النكتة المشار اليها فان شاعرهم يذكر كتابا مصنفا من أوله الى آخره شعرا وهو شرح قصص وأحوال ويكون مع ذلك فى غاية الفصاحة والبلاغة فى لغة القوم كما فعل الفردوسى فى نظم الكتاب المعروف بشاه نامه وهو ستون ألف بيت من الشعر يشتمل على تاريخ الفرس وهو قرآن القوم وقد أجمع فصحاؤهم على أنه ليس فى لغتهم أفصح منه وهذا لا يوجد فى اللغة العربية على اتساعها وتشعب فنونها وأغراضها وعلى أن لغة العجم بالنسبة اليها كقطرة من بحر اللهم صل على سيدنا محمد النبى الأمى وآله وصحبه الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

بحمد الله قد تم طبع هذا الكتاب الباهر الذى هو فى حسنه المثل السائر محلى بحلية البيان والمعانى مشيدا بجواهر التركيب والمبانى مطرزا هامشه بكتاب أدب الكاتب لابى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى وذلك بمطبعة حجازى لصاحبها ومديرها (محمد افندى عبد اللطيف حجازى) الكائن مركزها بجوار قسم الجماليه فى أوائل ربيع الثانى من شهور سنة ١٣٥٤ هجريه على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحيه آمين آمين

وخير الامر ما استقبلت منه
وليس بأن تتبعه اتباعا
فجاء على اتبعت وقال الآخر
وان شئتم تعاودنا عوادا
فجاء على عاودنا وانما تجيء هذه المصادر مخالفة الافعال لان الافعال وان اختلفت أبنيتها واحدة فى المعنى (تم)

﴿ فهرست كتاب المثل السائر ﴾

﴿ تمت ﴾

﴿ فهرست كتاب أدب الكاتب للامام عبد الله بن قتيبة الدينورى الذى بالهامش ﴾

صحيفة

صحيفة

﴿ تمت ﴾


